

الجزء الثالث

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني

التأويل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم

الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء

الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي

الصوفي المعروف بالخوازن

تغمده الله برحمته

آمين

وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التأويل وحقائق
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود
النسفي عليه سحائب الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العلمية

على نفقة اصحابها

مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكرى وعيسى

(بمصر)

(سورة يوسف عليه السلام وهي مائة واحدى عشرة آية شاموا ثلثا عشرة مكي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الربنا آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه السورة والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات انى اوتيت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر مرها في اعجاز العرب أو التي تبين لمن نذرها أنهم عند الله لا من عند البشر أو الواضحة السنى لا تشبه على العرب معانيها الغزولها بالمسانم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (انا انزلناه قرآنا عربيا) أى انزلناه هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام فى حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه

(اعلمكم تعقلون) أى تفهموا ما عليه من توجيهات قرآنا نهي القائلين لولا قصات آياته

نحن نقص عليك احسن القصص نبين لك احسن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تفسير سورة يوسف عليه الصلوة والسلام)

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو عهدتنا فانزل الله عز وجل انه نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى الربنا آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثانى رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا احديثنا عن امر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل الربنا آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ال) تقدم تفسيره في أول سورة يونس عليه الصلوة والسلام (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التي اوتيت اليك في هذه السورة المسماة بالربنا آيات الكتاب المبين (وهو القرآن أى المبين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه مبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين (انا انزلناه) يعنى هذا الكتاب (قرآنا عربيا) أى أنزلناه بلغتككم لئلى تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركى مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا انزلناه هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على السنى والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال فى القرآن شئ بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن فى القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير سابق وأعظم على الله القول واحتج به هذه الآية انا انزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العربية مثل محيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أى عبيدة بلسان العرب وكذا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما كانت باللسان العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصحة وان كانت بغير عربية فى الأصل لكنهم لما تكلموا بها باللسان العرب صارت لهم لغة فظاهرهم هذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما (اعلمكم تعقلون) يعنى تفهموا ما فيها العرب لانه نازل بلغتكم (نحن نقص عليك احسن القصص) الأصل فى معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا وانقص هو الذى يأتى بالخبر على وجهه وأمله فى اللغة من قص لا تراذاته وبعده وانما سميت الحكاية قصة لان الذى يقص الحديث بذلك تلك القصة شيئا فشيئا والذى نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة والقرون الماضية احسن البيان وقيل المراد منه قصة

البيان والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون صدره بمعنى الاقتصار تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالتقص والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصار (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإيجازنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوب بانصب المصدر لضافته اليه والمخصوص محذوف لأن بما أوحينا إليك هذا القرآن مفعن عنه والمراد باحسن الاقتصار أنه اقتصر على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فانك لا ترى اقتصاصة في كتب الاولين مقار بالاقتصار في القرآن وإن أراد بالقصص المخصوص فعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الاحاديث وإنما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والمجائب التي است في غيره والظاهر أنه أحسن (٣) ما يقتصر في بابها كما يقال فلان أعلم الناس أي في

فنه واشتقاق القص من قص أثره اذا تبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا (وإن كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وإن الشان والحديث كنت من قبل إيجازنا إليك من الجاهلين به (اذقال) بدل اشتمال من أحسن القصص لأن الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذ كذا قال (يوسف) اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لايه) يعقوب (ياأبت) أبت شامي وهي ناء التانيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما لأن كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف وجاز

يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالدين معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفككه بهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها وقوله تعالى (بما أوحينا إليك) يعني بإيجازنا إليك يا محمد (هذا القرآن وإن كنت) أي وقد كنت (من قبله) يعني من قبل وحيننا إليك (لمن الغافلين) يعني عن هذه القصة وما فيها من المجائب قال سعد بن أبي وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله عز وجل ألم بأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قولهم لا يهمل (أي اذ قال يوسف لايه) أي اذ كر يا محمد اقومك قول يوسف لايه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه الصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسف العبد واجتمعا في يوسف فسمى به (ياأبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأيت يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لأنه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جبال لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم لم يعقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما خبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كني عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح فان قلت قد قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

الحاق ناء التانيث بالمد كركم في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من ياء ابتداء استيقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام (ان رأيت) من الرؤيا لأن الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماءها بيان النبي عليه السلام جريان والذيل والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء في (رأيتهم لي ساجدين) لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لأن الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابه كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لي ساجدين أي متواضعين وهو حال وكان ابن اثني عشرة سنة يومئذ

وكان بين رؤى يوسف
ومصراخونه اليه أربعون
سنة أو ثمانون (قال يابني)
بالفتح حيث كان حفص
(لاتقص رؤياك) هي
بمعنى الرؤية لأنها مختصة بما
كان منها في المنام دون اليقظة
وفرق بينهما بحرفي التانيث
كقافي القرية والقري (على
اخوتك فيكيد والاك)
جواب النهي أي ان
قصصها عليهم كادوك
عرف يعقوب عليه السلام
ان الله يصطفيه للنبوته وينعم
عليه بشرف الدارين
تخاف عليه حسد الاخوة
وانما لم يقل فيكيدوك كما
قال فيكيدوني لانه ضمن
معنى فعل يتعدى باللام
ليفيد معنى فعل الكيد مع
افادة معنى الفعل المضمن
فيكون أكد وأبلغ في
التخويف وذلك نحو
فيحتالوا لك ألا ترى الى
تأكيده بالمصدر وهو
(كيدا ان الشيطان
للانسان عدومبين) ظاهر
العداوة فيحملهم على الحسد
والكيد (وكذلك) ومثل
ذلك الاجتناء الذي دل
عليه رؤياك (بجيتيك
ربك) يصطفيك والاجتناء
والاصطفاء افتعال من
جيت الشيء اذا حصلته
لنفسك وجيت الماء في
الحوض جمعه (ويعلمك)
كلام مبتدأ غير داخل في

ثم أعاد لفظ الرؤيا تانيا فقال رأيتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار قلت معنى الرؤيا الاولى أنه رأى أجرام
الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية أنه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه أنه لما قال
رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لي ساجدين وانما أفرد
الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلها وشرفهما على سائر الكواكب
قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديدا يحب ليوسف عليه الصلاة والسلام حسده
اخوته لهذا السبب وظهر ذلك اي يعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تائها ان اخوته وأبويه يخضعون
له فلماذا (قال) يعقوب (يا بني لاتقص رؤياك على اخوتك) يعني لاتخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تائها بلها
(فيكيد والاك كيدا) أي فيحتالوا في اهلاك كما فامر بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق
واللام في فيكيد والاك كيدا تأكيدا للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (ان الشيطان
للانسان عدومبين) يعني انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان أقدم مواعلي الكيد كان ذلك مضافا
الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبي قتادة قال كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الرؤيا يا الصالحة من الله والرؤيا يا السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها
الامن يحب واذا رأى أحدكم ما يكره فليتنفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرفا فانها
لن تضره (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى
أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها ولا يحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من
الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن أبي رزين العقيلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعين وفي رواية جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهي على
رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا ليبيأ أو حبيباً أخرجه
الترمذي ولا يابى داود نحوه قال الشيخ محي الدين النووي قال المازري مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا
ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء
لا يمتعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على أمور أخر يجعلها في ثاقب الحال والجميع
خلق الله تعالى ولكن يخاف الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان فاذا
خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة
فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيئا
والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا بالمحبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف
الرؤيا بالمكروه وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر
المكروه ويرضيها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره
فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها ولا يتنفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لا تضره
فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء
واته أعلم بقوله تعالى (وكذلك يجتبيك ربك) يعني يقول يعقوب ايوسف عليه الصلاة والسلام أي وكأرفع
مزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتناء الله تعالى العبد
تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعى من العبد وذلك مختص بالانبياء أو ببعض
من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعني به تعبير الراسمي

وكان يوسف أعبر الناس بالرؤيا وتاويل أحاديث الانبياء وكتب الله وهو ام جمع للحديث وليس يجمع احذوثة (و يتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أى جعلهم أنبياء فى الدنيا واولو كوا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى فى الجنة وآل يعقوب أهلهم ونسلهم وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه (٥) لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبی وآل

الملك ولا يقال آل الجحام
ولكن أهله وإنما علم
يعقوب أن يوسف يكون
نبياً وأخوته أنبياء استدلالاً
بضوء الكواكب
فلذا قال وعلى آل يعقوب
(كما أتمها على أبويك من
قبل) أراد الجرد وأب الجدد
(إبراهيم واسحق) عطف
بيان لأبويك (إن ربك
عليم) يعلم من يحق له
الاجتهاء (حكيم) يضع
الاشياء مواضعها (لقد كان
في يوسف وأخوته) أي
في قصتهم وحديثهم (آيات)
علامات ودلالات على قدرة
الله وحكمته في كل شيء
آية مكي (للسائلين) لمن
سأل عن قصتهم وعرفها
أو آيات على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم للذين سألوه
من اليهود عنها فأخبرهم
من غير سماع من أحد
ولا قراءة كتاب وأسماؤهم
يهوذا وريبن وشمعون
ولاوي وزبولون ويشجر
وأهم ليابنت ليان ودان
ونفتالي وجاد وآشر من
سريتين زلفة وبلهة فلما
توفيت ليا تزوج أختها
راحيل فولدت له بنيامين
ويوسف (اذ قالوا ليوسف

تأويل لانه يؤل أمره الى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل احاديث الناس فيما يروونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل احاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب اولاده فانهم كانوا انبياء وهو المراد من تمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بان جعلهما نبيين وهو المراد من تمام النعمة عليهما وقيل المراد من تمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذته خليلاً والمراد من تمام النعمة على اسحق بان خلصه من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذيح وليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان تمام النعمة عليهم ما بالنبوة لانه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (ان ربك عليم) يعني بمصالح خلقه (حكيم) يعني انه تعالى لا يفعل شيئاً الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربع سنين وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما باغت هذه الرؤيا أخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى أن يسجد له أخوته حتى يسجد له أبواه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (لقد كان في يوسف واخوته) يعني في خبره وخبر اخوته وأسماؤهم رويل وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين اسم احدهما زلفة والاخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفتالى وجاد وآشر ثم توفيت ليا فزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفراً (آيات للسائلين) وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولدي يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع اخوته ووجدوها موافقة لما في التوراة فحججوا منه فمضى الى هناك كون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيئاً فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أو جاء الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل القائه في الحب وبيعه عبداً وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المرادوغ بذلك من الآيات التي اذافكر فيها الانسان اعتبر واتعظ (اذ قالوا) يعني أخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعني بنيامين ومهما من أم واحدة (أحب الى أئبنا منا ونحن عصبية) انما قالوا هذه المقالة حسداً منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقتة عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال القراء العصبية هي العشرة فإزاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم

وأخوه أحب إلى أئبنامنا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيـد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا وأخوه وهم اخوته أيضا لان أهمها كانت واحدة وانما قيل أحب في الاثنين لان أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكور والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف ساغ الامر ان والواو في (ونحن عصبه) للحال أي انه يفضلهم في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة تقوم برفقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما فضلا بالكثرة والمنفعة عليهما

فصاعدا (اقتلوا يوسف)
من جهة ما حكى بعد قوله
اذ قالوا كأنهم أطبقوا على
ذلك الامن قال لا تقتلوا
يوسف وقيل الامر
بالقتل شامون والباقون
كانوا راضين فجعلوا
امرهم (أو اطرحوه
أرضا) منكورة مجهولة
بعيدة عن العمران وهو
معنى تكبرها واخلاؤها
عن الوصف ولهذا الابهام
نصبت نصب الظروف
المبهم (يخل لكم وجه
أيكم) يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم
الى غيركم والمراد سلامة
محبة لهم من يشاركهم
فيها فكان ذكر الوجه
لتصوير معنى اقباله عليهم
لان الرجل اذا أقبل على
الشيء أقبل بوجهه وجاز
أن يراد بالوجه الذات كما
قالوا يسي وجهه ربك
(وتكونوا) مجزوم عطفاً
على يخل لكم (من بعده)
من بعد يوسف أي من
بعد كفايته بالقتل أو
التغريب أو من بعد قتله
أو طرحه فيرجع الضمير
الى مصدر اقتلوا واطرحوا
(قوما صالحين) تائبين الى
الله مما جئتم عليه أو يصلح
حالك عند أيكم (قال
قائل منهم) هو يهوذا

بعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرط والنفر (ان اباالنبي ضلال مبين) يعني لفي
خطأين في اثاره حب يوسف علينا مع صغره لانفع فيه ونحن عصبة نتفعه ونقوم بمصالحه من امر دنياه
واصلاح امر مواشييه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به
ولكن أرادوا به الخطأ في امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبة
اليه لاننا أكبر منه سنواً وشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو أن يعاقب عليه الصلاة
والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها
ويحتمل أن يعاقب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغيراً ولانه رأي فيه من
آيات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد
والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر أيضاً وكل
ذلك قاذح في عصمة الانبياء في الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت
النبوته لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوته لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مرهقين
غير بالغين ولان كليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قاذحة في عصمة الانبياء في قوله تعالى
حكاية عن اخوة يوسف (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أيكم) لما قوى الحسد وبلغ
النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تباعد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل
مرة واحدة أو التغريب الى أرض يحصل اليأس من اجتماعه بابيه بان تقتريه الاسد والسباع أو يموت في
تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجهه أيكم والمعنى انه قد شغل به حب يوسف
عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبة اليكم (وتكونوا من بعده)
يعني من بعد قتل يوسف أو إبعاده عن أبيه (قوما صالحين) يعني تائبين فتوبوا الى الله يعف عنكم
فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا توبوا الى الله
من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أبيكم
فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه الافعال منهم وهم أنبياء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا أنبياء في
ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قاذحة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوته
وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبياً شاوروه في ذلك فآشار عليهم بقتله (قال قائل منهم لا تقتلوا
يوسف) يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هور وبيلا وهو ابن خالته وكان أكبرهم
سنواً أحسنهم رأياً فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه
كان أقر بهم اليه سناً (والقوة في غيابة الجب) يعني القوة في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع
سترشياً وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب أي قطع ولم يطو وأقاد ذكر
الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه أحد واختلفوا في مكان ذلك
الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن
على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينو ذلك الجب لليلة التي ذكروها وهي قولهم (يلتقطه بعض
السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفاً يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ الشيء من الطريق
أو من حيث لا يحتسب ومنه الالقطه بعض السيارة يأخذ به بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى
فتستر بحون منه (ان كنتم فاعلين) فيه إشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيئاً من ذلك وان عزمتم
على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البعوى كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء

وكان أحسنهم فيه رأياً (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوة في غيابة الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن
عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني (يلتقطه بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسرون في الطريق (ان كنتم فاعلين) به شيئاً

(قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) أَي لَمْ نَخَافْ أَنْ يَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا وَنَحْنُ نُرِيدُ لَهُ الْخَيْرَ وَنَشْفِقُ عَلَيْهِ وَارَادُوا بِذَلِكَ لِمَا عَزَمُوا عَلَى كَيْدِ يُوسُفَ اسْتَنْزَالَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَعَادَتِهِ فِي حِفْظِهِ مِنْهُمْ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْهُمْ بِمَا أَوْجِبَ أَنْ لَا يَأْمَنُ مِنْهُمْ عَلَيْهِ (أَرْسَلَهُ مُعْنِئًا غَدًا نَزْعًا) نَتَسَعُّ فِي أَكْلِ الْقَوَائِكِ وَغَيْرِهَا وَالرَّغَةَ السَّامَةَ (وَنَلْعَبُ) نَتَفَرِّجُ بِمَا يَبَاحُ كَالصَّيْدِ وَالرَّمْيِ وَالرَّكْضِ وَبِالْيَأْسِ فِيهِمَا مَدَنِي وَكَوْفِي وَبِالنُّونِ فِيهِمَا مَكِّي وَشَامِي وَأَبُو عَمْرٍو بِكَسْرِ الْعَيْنِ خِجَازِي مِنْ أَرْتَعَى يَرْتَعَى افْتَعَالَ مِنَ الرَّعْيِ (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) مَنْ أَنْ يَنْهَاهُ (٧) مَكْرُوهَ (قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ) أَي يَحْزَنُنِي ذَهَابُكُمْ بِهِ

وَاللَّامُ لَامُ الْإِبْتِدَاءِ (وَإِخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَتَمَّ عَنْهُ غَافِلُونَ) اعْتَذَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَنْ يَذْهَبُوا بِهِ بِمَا يَحْزَنُهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ سَاعَةً وَانْهَ يَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ عُدْوَةِ الذَّنْبِ إِذَا غَفَلُوا عَنْهُ بِرَعِيَّتِهِمْ وَلَعِبِهِمْ (قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذَّنْبُ) اللَّامُ مَوْطِئَةٌ لِلْقَسَمِ وَالْقَسَمُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ وَاللَّهُ لَنْ أَكُلَهُ الذَّنْبُ وَالْوَاوُ فِي (وَنَحْنُ عَصَبَةٌ) أَي فِرْقَةٌ مَجْتَمِعَةٌ مُقْتَدِرَةٌ عَلَى الدَّفْعِ لِلْحَالِ (أَنَا إِذَا خَاسِرُونَ) جَوَابٌ لِلْقَسَمِ بِحُزْنٍ عَنْ جَزَاءِ الشَّرْطِ أَي إِنْ لَمْ تَنْقُدْ عَلَيَّ حِفْظَ بَعْضِنَا فَقَدْ هَلَكْتَ مَوَاشِينَا إِذَا وَخَسَرْنَاهَا وَأَجَابُوا عَنْ عِذْرِهِ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَغْيِظُهُمْ (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ) أَي عَزَمُوا عَلَى الْقَائِمَةِ فِي الْبُتْرِ وَهِيَ بُتْرٌ عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخٍ مِنْ مَنْزِلِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَوَابٌ لِمَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ فَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوا مِنْ الْأَذَى فَقَدَرُوا

الْأَبْعَدَ وَقِيلَ لَمْ يَكُونُوا بِالْعَيْنِ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ بِدَلِيلٍ أَنَّهُمْ قَالُوا وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ وَقَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كُنَّا خَاطِئِينَ وَالصَّغِيرَ لَا ذَنْبَ لَهُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ اشْتَمَلَ فَعَلُهُمْ هَذَا عَلَى جَرَائِمٍ كَثِيرَةٍ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحْمِ وَعَقُوقِ الْوَالِدِينَ وَقَوْلَةِ الرَّأْفَةِ بِالصَّغِيرِ الَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ وَالْعُدْرُ بِالْأَمَانَةِ وَتَرْكِ الْعَهْدِ وَالْكَذْبِ مَعَ آبَائِهِمْ وَعَفَا اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ حَتَّى لَا يَبْأَسَ أَحَدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ وَعَصَمَهُمُ اللَّهُ رَحْمَةً بِهِمْ وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ هَلَكُوا جَمِيعًا وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَبْأَهُمُ اللَّهُ فَلَمَّا أَجْعُوا عَلَى التَّفَرُّيقِ بَيْنَ يُوسُفَ وَبَيْنَ وَالِدِهِ بِضَرْبٍ مِنَ الْحَيْلِ (قَالُوا) يَعْنِي قَالَ اخْوَةَ يُوسُفَ لِيَعْقُوبَ (يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ) بِدَوَابِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِي تَرْكِ أَرْسَالِ يُوسُفَ مَعَهُمْ كَأَنَّهُمْ قَالُوا اتَّخَفْنَا عَلَيْهِ إِذَا أَرْسَلْتَهُ مَعَنَا (وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) الْمُرَادُ بِالنَّصِيحَةِ هُنَا الْقِيَامُ بِالْمَصْلَحَةِ وَقِيلَ الْبَرُّ وَالْعَطْفُ وَالْمَعْنَى وَإِنَّا لَاعَاطِفُونَ عَلَيْهِ قَائِمُونَ بِمَصْلَحَتِهِ وَبِحِفْظِهِ وَقَالَ مُقَاتِلٌ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَا يَبْأَهُمْ أَرْسَلَهُ مُعْنِئًا فَقَالَ يَعْقُوبُ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ لَوْلَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ثُمَّ قَالُوا (أَرْسَلَهُ مُعْنِئًا) يَعْنِي إِلَى الصَّحْرَاءِ (نَزْعًا) الرَّعْيُ هُوَ الْإِتْسَاعُ فِي الْمَلَاذِ يَقَالُ رَتَعَ فُلَانٌ فِي مَالِهِ إِذَا أَنْفَقَهُ فِي شَهْوَاتِهِ وَالْأَصْلُ فِي الرَّعْيِ أَكْلُ الْبَهَائِمِ فِي الْخَصْبِ زَمْنُ الرِّبْعِ وَاسْتِعَارَ لِلْإِنْسَانِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ الْأَكْلُ الْكَثِيرُ (وَنَلْعَبُ) اللَّعِبُ مَعْرُوفٌ قَالَ الرَّاعِبُ يَقَالُ لَعِبَ فُلَانٌ إِذَا كَانَ فَعْلُهُ غَيْرَ قَاصِدٍ بِهِ مَقْصِدًا صَحِيحًا سَتَلَّ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ كَيْفَ قَالُوا نَلْعَبُ وَهُمْ أَنْبِيَاءُ فَقَالَ لَمْ يَكُونُوا يَوْمَئِذٍ أَنْبِيَاءَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِاللَّعِبِ هُنَا الْإِقْدَامُ عَلَى الْمُبَاحَاتِ لِأَجْلِ إِنْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلَا بُكِرَ اتْلَاعُهَا وَتَلَاعُكَ وَأَيْضًا فَإِنَّ لَعِبَهُمْ كَانَ الْإِسْتِبَاقَ وَهُوَ غَرَضٌ صَحِيحٌ مَبَاحٍ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَارَبَةِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى الْإِقْرَانِ فِي الْحَرْبِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ نَسْتَبِقُ وَانْمَاسَمُوهُ لَعِبَالَانِهِ فِي صُورَةِ اللَّعِبِ وَقِيلَ مَعْنَى نَزْعٍ وَنَلْعَبُ نَتَنَقَّمُ وَنَأْكُلُ وَنَلْهَوُ وَنَنْشُطُ (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) يَهْنِي نَجْتَهْدُ فِي حِفْظِهِ غَايَةَ الْجَهَادِ حَتَّى نَرُدَّهُ إِلَيْكَ سَالِمًا (قَالَ) يَعْنِي قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ) أَي ذَهَابُكُمْ بِهِ وَالْحُزْنُ هُنَا أَلَمُ الْقَلْبِ بِفِرَاقِ الْمَحْبُوبِ وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ لَمَّا طَلِبُوا مِنْهُ أَنْ يَرْسَلَ مَعَهُمْ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اعْتَذَرَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِعُذْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ ذَهَابَهُمْ بِهِ وَمُفَارَقَتَهُ إِيَّاهُ يَحْزَنُهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصْبِرَ عَنْهُ سَاعَةً وَالثَّانِي قَوْلُهُ (وَإِخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَتَمَّ عَنْهُ غَافِلُونَ) يَعْنِي إِذَا غَفَلُوا عَنْهُ بِرَعِيَّتِهِمْ وَلَعِبِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ رَأْيِي فِي الْمَنَامِ أَنَّ ذُنُوبًا شَدَّ عَلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَقِيلَ كَانَتْ الذَّنَابُ فِي أَرْضِهِمْ كَثِيرَةً (قَالُوا) يَعْنِي قَالَ اخْوَةَ يُوسُفَ بِحَبِيبِينَ لِيَعْقُوبَ (أَنْ أَكُلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عَصَبَةٌ) أَي جَمَاعَةٌ عَشِيرَةٌ رِجَالٌ (أَنَا إِذَا خَاسِرُونَ) يَعْنِي عَجْزَةٌ ضَعْفَاءُ وَقِيلَ أَنَّهُمْ خَافُوا أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِمْ يَعْقُوبُ بِالْخُسَارِ وَالْبُورِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَا إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حِفْظَ أَخِينَا فَكَيْفَ تَقْدِرْ عَلَيَّ حِفْظَ مَوَاشِينَا فَذَنِّحْ إِذَا خَاسِرُونَ ﴿ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ) فِيهِ إِضْمَارٌ وَاخْتِصَارٌ تَقْدِيرُهُ فَارْسَلَهُ مَعَهُمْ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ (وَأَجْعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ) يَعْنِي عَزَمُوا عَلَى أَنْ يَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ

﴿ ذَكَرَ قِصَّةَ ذَهَابِهِمْ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴾

أَنَّهُمْ لَمَّا بَرَزُوا بِهِ إِلَى الْبَرِيَّةِ أَظْهَرَ وَالْإِدَاوَةَ وَضُرُّهُ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ فَنَعَمَهُمْ يَهُوذَا فَلَمَّا أَرَادُوا الْقَاءَ فِي الْجُبِّ تَعَلَّقَ بِشِيَابِهِمْ فَزَعَوْهَا مِنْ يَدِهِ فَتَعَلَّقَ بِحَاظِ الْبُتْرِ بِطَوَائِدِهِ وَزَعَوْا قَيْصَهُ لِيَلْطِخُوهُ بِالْدَمِ فَيَحْتَالُوا بِهِ عَلَى آبَائِهِمْ وَدَلُّوهُ فِي الْبُتْرِ وَكَانَ فِيهَا مَاءٌ فَسَقَطَ فِيهِ ثُمَّ أَوَى إِلَى صَخْرَةٍ فَفَقَّامَ عَلَيْهَا وَهُوَ يَبْكِي وَكَانَ يَهُوذَا يَأْتِيهِ بِالطَّعَامِ وَيُرْوِي أَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ جَرَّدَ عَنْ ثِيَابِهِ فَاتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَمِيصٍ مِنْ سُرِيرِ الْجَنَّةِ فَالْبَسَهُ إِيَّاهُ فَدَفَعَهُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى إِسْحَاقَ وَاسْحَاقَ إِلَى يَعْقُوبَ فَعَلَّهُ يَعْقُوبُ فِي تَمِيمَةٍ عُلِقَ فِي عُنُقِ يُوسُفَ فَخَرَجَهُ جَبْرِيلُ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ

قال وهب وغيره من أهل البحر والخبار أن أخوة يوسف قالوا له أمانتنا أن نخرج معنا إلى واشينا فنصيد ونسبق قال بلى قالوا له أنسال أباك أن يرسلك معنا قال يوسف أفعلا وقد خلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا إلى واشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا أبت اني أرى من أخوتي اللين واللطيف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقتهم ويحب مرضاته فأذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر إليهم فلما بعدوا عنه وصاروا إلى الصحراء أقوه على الأرض وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء إلى واحد منهم واستغاث به ضرب به فلما فطن لما عزمو عليه من قتله جعل ينادي يا ابتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من أخوته لأخزتك ذلك وأبكاك يا ابتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فاخذوه وبيعوه بثلثين ديناراً إلى مصر وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الأحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف يهودا وقال له اتق الله في رحل بيني وبين من يريد قتلي فأدركته رحمة الأخوة ورق له فقال يهودا يا أخوتي ما على هذا عاهدتموني ألا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال نلقونه في هذا الجب أما أن يموت أو يتلقطه بعض السيارة فأنطلقوا به إلى بئر هناك على غير الطريق واسع الأسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلون به في البئر فتعلق بشفير هافر بطوايديه ونزعوا قيصه فقال يا أخوتاه ردوا علي قيصى لاستتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال اني لم أر شيئا قالوه فيها ثم قال لهم يا أخوتاه أتدعوني فيها فريدوا وحيداً وقيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها أقوه أرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فخل يديه وأخرج له صخرة من البئر فجلس عليها وقيل انهم لما أقوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن أنهم أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه فنعهم يهودا من ذلك وقيل إن يعقوب لما بعثه مع أخوته أخرج له قيص إبراهيم الذي كساه الله إياه من الجنة حين أتى في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك إياه حين أتى في الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما أتى يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض جبريل لينذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيئاً فقل يا صريح المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائي لما أتى يوسف في الجب قال يا شاهد اغبر غائب ويا قرىبا غبر بعيد ويا غالباً غير مغلوب اجعل لي فرجاً مما أنا فيه فسابات فيه واختلقوا في قدر عمر يوسف يوم أتى في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة أيام وكان أخوته يرعون حوله وكان يهودا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا إليه لتبشئهم بأمرهم هذا) يعني لتخبرن أخوتك قال أكثر المفسرين إن الله أوحى إليه وحياً حقيقة فبعث إليه جبريل يؤنسه ويشره بالخروج ويخبره أنه سينبئهم بما فعلوا ويحاربهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغاً في ذلك الوقت أو كان صبياً صغيراً فقال بعضهم انه كان بالغاً وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيراً لأن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحاً لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فإن قلت كيف جعله نبياً في ذلك الوقت ولم يكن أحداً يبلغه رسالته به لأن فائدة النبوة والرسالة تبليغها إلى من أرسل إليه قلت لا يمنع أن الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة ألهم والغم والوحشة عنه ثم به ذلك

(وأوحينا إليه) قيل أوحى إليه في الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذذاك مدركا (لتبشئهم بأمرهم هذا) أي اتحدثن أخوتك بما فعلوا بك

(وهم لا يشعرون) انك يوسف اعلا شأنك وكبرياء سلطانك وذلك أنهم حين دخلوا عليه مختارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجمام انه كان لكم أخ من أيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه في غيابة الجب وقتلتم لايه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس أو يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا أي أنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا بأباهم عشاء) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يكون) (٩) حال عن الاعمش لاتصدق بأكية بعد اخوة يوسف

فلماسمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالك وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نسبق أي نسبق في العدو وفي الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتقاء والترامي وغير ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سي الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قيصه بدم كذب) ذي كذب ووصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى أنهم ذبحوا سخلة واطخوا القميص بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروى أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته

يا مره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحى الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعني بإحساننا اليك وأنت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والقائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم أنهم اذا عرفوه فز بما ازداد حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره ﴿قوله تعالى﴾ (وجاؤا بأباهم عشاء يكون) قال المفسرون لما طرحو يوسف في الجب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجترأ على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون وبصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتمكم يا بني هل أصابكم شيء في غنمكم قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نسبق قال ابن عباس يعني نتفضل وقال الزجاج يسابق بعضهم بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم وهو التناضل أيضا وسمى المتراميان بذلك يقال تسابقوا واستبقوا اذا فعلوا ذلك ليتبين أيهما أبعد سهما وقال السدي يعني نشدوا وعدوا المعنى نستبق على الاقدام ليتبين أينا أسرع عدوا وأخف حركة وقال مقاتل تصيد والمعنى نستبق الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعني عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعني في حال استباقنا وغفلتنا عنه (وما أنت بمؤمن لنا) يعني وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعني في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لاتصدق لنا قولنا لشدة محبتك ليوسف فانك تهمنافي قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك أمانة تدل على صدقنا (وجاؤا على قيصه) يعني قيص يوسف (بدم كذب) أي مكذوب فيه قال ابن عباس أنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دماها على قيص يوسف ثم جاؤا بأباهم وفي القصة أنهم اطحوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قيصه فاتهمهم بذلك وقيل أنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أبها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان فقال جئت لاصلة الرحم وهي قرابة لي فأخذوني وأتوا بي اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف يعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملتصق بالدم (قال) يعقوب (بل سوات لكم أنفسكم أمرا) يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وقال صاحب الكشاف سوات سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظاما ركبتموه من يوسف وهوته موه في أنفسكم وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد القوم فأكله الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون أكله الذئب بل سوات لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون (فصبر جيل) أي فشا في صبر جيل وقيل معناه فصبري صبر جيل والصبر الجليل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لاتحدث بمصبتك ولا تزكين

(٢ - (خازن) - ثالث) وقال ابن القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال نالته ما رأيت كالיום ذنبا أحلم من هذا كل ابني ولم يمزق عليه قيصه وقيل كان في قيص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره ومحل على قيصه النصيب على الطرف كأنه قيل وجاؤا فوق قيصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سوات) زينت أو سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظاما ارتكبتموه (فصبر جيل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فامري صبر جيل أو فصبر جيل أجل وهو لا شكوى فيه الى الخلق

رفقة تسير من قبل مدين
الى مصر وذلك بعد ثلاثة
أيام من لقاء يوسف في
الجب فأخطوا الطريق
فزلوا قري يمامه وكان الجب
في قفرة بعيدة من العمران
وكان مأوه ملحاف عذب
حين أتى فيه يوسف
(فارسوا واردهم) وهو
الذي يرد الماء ليستقي
للقوم اسمه مالك بن زعر
الخزاعي (فادلى دلوه)
أرسل الدلو ليلاء هافتشت
يوسف بالدلو فزعه (قال
يا بشرى) كوفي نادى
البشرى كأنه يقول تعالى
فهذا أو انك غيرهم بشرى
على اضافتها الى نفسه وهو
اسم غلامه فتاداه مضافا
الى نفسه (هذا غلام) قيل
ذهب به فلما دنا من أصحابه
صاح بذلك يبشرهم به
(وأسرده) الضمير للوارد
وأصحابه أخفوه من الرفقة
أولاخوة يوسف فانهم
قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد
أبق فاشروه منا وسكت
يوسف مخافة أن يقتلوه
(بضاعة) حال أي أخفوه
متاعا للتجارة والبضاعة
ما يضع من المال للتجارة
أي قطع (والله عليم بما
يعملون) بما يعمل أخوة
يوسف بأنهم وأخبيهم من
سوء الصنيع (وشروه)

نفسك (والله المستعان على ماتصفون) يعني من التول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل
ماتصفون قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سمووا سيارة لسيرهم في الارض وكانوا
رفقة من مدين ير يدون مصر فأخطوا الطريق فزلوا قري يمام من الجب الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة
بعيدة من العمرارة رده الرعاة والمارة وكان مأوه ملحاف لما أتى يوسف فيه عذب فلما زلوا أرسلوا رجلا
من أهل مدين يقال له مالك بن زعر الخزاعي ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فارسوا واردهم)
فادلى دلوه قال والوارد الذي هو يتقدم الرفقة الى الماء فيهي الارشية والدلاء يقال أدليت الدلو اذا
أرسلتها في البئر ودلوها اذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال وكان يوسف عليه
السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي بسند متصل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطى
يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجبال من جدته سارة وكانت قد أعيت سدس الحسن قال محمد
ابن اسحق ذهب يوسف وأمه بنتى الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه
جعد الشعر ضخيم العينين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعصدين والساقين خيصر البطن
صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثنياه ولا يستطيع
أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصورته قبل
أن يصب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن زعر كاحسن ما يكون من الغلمان (قال) يعني
الوارد وهو مالك بن زعر (يا بشرى) يعني يقول الوارد لأصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرئ يا بشرى
بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زبدو يقال ان جدران البئر
بكت على يوسف حين خرج منها (وأسرده بضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن زعر وأصحابه من التجار
الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه ليعرض أهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا
منهم الشراكة فيه وقيل ان اخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعني انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا
هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سر من مالك بن زعر وأصحابه والقول
الاول أصح لان مالك بن زعر هو الذي أسره بضاعة وأصحابه (والله عليم بما يعملون) يعني من ارادة هلاك
يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه ان يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان
يهودا كان يأتي يوسف بالطعام فأتاه فلم يجد في الجب فأخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن زعر
وأصحابه نزولا قري يمام البشر فأتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا ابقى منا ويقال انهم هددوا
يوسف حتى يكتنم ماله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه)
وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان
الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل
ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن زعر وأصحابه فلهذا القول يكون لفظ الشراء على بابه (نمن نخس)
قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي نخس أي حرام لان نمن الحرام ويسمى الحرام نخسا لانه مبغوس
البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس نخس أي زبوف ناقصة العيار وقال قتادة بخس أي ظلم
والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس أي قليل وعلى الاقوال كلها قال بخس
في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبخس والبخس الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى
قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما إنما كانوا يأخذون مادونها
عددا فاذا بلغت أربعين درهما هي أوقية وزنها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن

(وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عموماً في يده فيبيع بالثمن الطفيف أو معنى وشروء واشتروء بمعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق و يروى ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يابى وفيه ليس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الوصول وانما هو بيان كانه قيل في (١١) أي شيء زهدوا فيه (وقال الذي اشتراه من

مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزرته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أوزليخا واللام متعلقة يقال لا اشتراه (أ كرمي مشواه) اجعل منزله ومقامه عندنا كرمي أي حسنا مريضاً بدليل قوله انه ربي أحسن مشواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطيء فراشه (عسى أن ينفعنا) اعلمه اذا ندرج وراض الامور وفهم بحاجتها نستظهر على بعض مانحن بسبيله (أو تتخذ ولدًا) أي تنبئه وتقيم مقام الولد وكان قطفير عقيماً وقد تفرس فيه الرشيد فقال ذلك

عباس وقتادة كانت عشر بن درهمما فاقسموهما درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئاً منها وقال مجاهد كانت اثني عشر بن درهمما فعلى هذا أخذ أخوه منه درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخاً وقال عكرمة كانت أربعين درهماً (وكانوا فيه من الزاهدين) يعني وكان أخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى أخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروء وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروء كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه انهم اثار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمان بخس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد أبى أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابى منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن زوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريرا وكان وزنه أربع مائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قطفير من أهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أ كرمي مشواه) يعني أ كرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الإقامة وقيل أ كرميه في المطعم والملبس والمقام (عسى أن ينفعنا) يعني ان أردنا بيعه بعناه بربح أو يكفيننا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ (أو تتخذ ولدًا) يعني تتبناه وكان حصور اليس له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته أ كرمي مشواه عسى أن ينفعنا أو تتخذ ولدًا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لبيها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر في عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكننا ليوسف في الارض) يعني كما مننا على يوسف بان أنقذناه من القتل وأخرجناه من الحب كذلك مكنناه في الارض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أي مكناله في الارض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على أمره) قيل الكفاية في أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يملكه الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدة وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم (آتيناه حكاماً وعلماء) يعني آتيناه

(وكذلك) إشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكننا ليوسف) أي كما أنجينا وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله (في الارض) أي أرض مصر وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بامر ونهي (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على أمره) لا يمنع عما شاء أو على أمر يوسف بقبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) منتهى استعداده (آتيناه حكاماً وعلماء) حكمة

وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكما بين الناس وفقها (وكذلك تجزي المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقبيا
 عنقوان أمره (وراودته التي هوى بيتها عن نفسه) أي طلبت يوسف أن يواقعها والمرادة مغالبة من راد برودا إذا جاء وذهب وكان المعنى
 خادعة عن نفسه أي فعلت فعل الخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه من يده يحتال أن يغلبه عليه و يأخذه منه وهي عبارة عن
 التمثل لمواقعة أياها (وغلقت الأبواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم لتعال وأقبل وهو مبني على الفتح هيت مكي بناء على الضم
 هيت مدني وشامي واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هيت لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (أنه) أي ان الشأن والحديث
 (ربي) سيدي ومالكى يريد (١٢) فطير (أحسن مثواي) حين قال لك أكرمي مثواه فاجزأه أن أخونه في أهله

(أنه لا يفلح الظالمون)
 الخائنون أو الزناة أو أراد
 بقوله أنه ربي الله تعالى لانه
 مسبب الأسباب (ولقد
 همت به) هم عزم (وهم
 بها) هم الطباع مع الامتناع
 قاله الحسن وقال الشيخ
 أبو منصور رحمه الله وهم
 بها هم خطرة ولا صنع
 للعبد فيما يخطر بالقلب ولا
 مؤاخنة عليه ولو كان همه
 كهمها لما مدحه الله تعالى
 بانه من عباده الخالصين
 وقيل وهم بها وشارف أن
 بهم بها يقال هم بالامر اذا
 قصده وعزم عليه وجواب
 (لولا أن رأى برهان ربه)
 محذوف أي لكان ما
 كان وقيل وهم بها جوابه
 ولا يصح لان جواب لولا
 لا يتقدم عليها لانه في حكم
 الشرط وله صدر الكلام
 والبرهان الحجة ويجوز ان
 يكون وهم بها داخل في حكم
 القسم في قوله ولقد همت به

يوسف بعد بلوغ الاستدابة وفقه في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق
 بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل
 الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري (وكذلك) يعني وكما نعمنا على
 يوسف بهذه النعم كلها كذلك (تجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال
 الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التي هوى بيتها عن نفسه) يعني ان امرأة
 العزيز طابت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت الأبواب) أي أطبقنها وكانت
 سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية وأنها أغلقتها لشدة خوفها (وقالت هيت لك) أي هلم
 وأقبل قال أبو عبيدة كان الكسائي يقول هي اغتلاها لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة
 أيضا بالخورانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث واقبال على الشيء وقيل هي بالعبرانية
 وأصلها هيت أي تعال فربت فقيل هيت لك فن قال انها لغة يراد بها يقول ان العرب وافقت أصحاب
 هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في
 التنوير ولغة العرب الترك في الفساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة
 صارت لغة طارئة هي هيت لك بكسر الهاء مع الهززة ومعناها هيت لك (قال) يعني يوسف (معاذ الله) أي
 أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ اليه فيما دعوتني اليه (أنه ربي) يعني ان العزيز برزق فطير سيدي (أحسن مثواي)
 أي أكرم منزاتي فلا أخونه وقيل ان الهاء في أنه ربي راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربي أحسن
 مثواي يعني أنه آواني ومن بلاء الجب نجاني (أنه لا يفلح الظالمون) يعني ان فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا يفلح
 الظالمون وقيل معناه أنه لا يسعد الزناة قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) الآية
 هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر أقوال
 المفسرين في هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر همت
 بالشيء اذا أردته وحدثت نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فعني قوله ولقد همت به أي أرادته وقصدته
 فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصد وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو
 ابن صافي البرجي همت ولم أفعل وكدت وليفتي تركت على عثمان تبكي حلاله
 وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أي وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه
 محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لمخالطها قال البغوي وأما هم بها فروى عن ابن عباس أنه قال حل

ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القاري اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأيه أن يقف على به ويستدعي بقوله الهيمان
 وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الظمين ومفسرهم يوسف بانه حل تركه سرا وله وقع بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قضاها وفسر
 البرهان بانه سمع صوتا ياك واياها مرتين فسمع ثالثا عرض عنها فلم يجمع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنامله وهو باطل ويدل على بطلانه
 قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء
 مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه عن سوء الآن حصحص الحق أناراودته عن
 نفسه وأنه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت نوبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذو النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله
 محصيا فليقطع القطر انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف في

الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين
 منهم سعيد بن جبيرة والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهم ما ضرب بيده إلى جيد يوسف وبيده
 الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوي
 والقول ما قاله قدماء هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما
 أرادت امرأة العزيز من يوسف عن نفسه جعلت تذكرة محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسه ما قالت يا
 يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتزع عن جسدي قالت ما أحسن عييفك قال هي أول ما يسيل على خدي
 في قبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحر برمدسوط قم فاقض
 حاجتي قال اذا ذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطامعه وتدعوه إلى اللذة وهو شاب يجدم من شبق الشباب ما يجده
 الرجل وهي امرأة حسنة جميلة حتى لان لها الما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف
 بالبرهان الذي ذكره وسيأتي الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله
 المفسرون في هذه الآية أما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الذبيلة وبيان عصمته
 من هذه الخطيئة التي ينسب اليها قال بعض المحققين اهتم ههنا فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة
 رضامثلهم امرأة العزيز فالبعد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطر في القلب وحديث النفس من غير
 اختيار ولا عزم مثلهم يوسف فالبعد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن
 أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسينة
 فلا تكتبوها عليه فان عملها فاك تكتبوها عليه سينة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاك تكتبوها له حسنة فان
 عملها فاك تكتبوها له عشرة لفظ مسلم والبخاري بعناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم
 بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبع مائة
 ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسينة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله
 عليه سينة واحدة زاد في رواية أو محاها ولن يهلك على الله الا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى
 مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سينة وذکر الحديث المتقدم فلا معصية
 في هم يوسف اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان اهتم اذا وطئت عليه النفس كان سينة
 واما ما لم توطئ عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم
 يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا اهتم أو يكون ذلك على طريق
 التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما روي في برئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة ان يوسف
 عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأي برهان ربه لم يهاو قال
 تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
 وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيئت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي يزجرها ووعظها وقيل
 هم بها أي همها امتناعه وقيل هم بها أي نظر اليها وقيل هم بضر بها ودفعا وقيل هذا كما كان قبل نبوته وقد
 ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأه الله فالتقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبة
 كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله واما الامام غفر الدين فذكر في هذا المقام كلاما
 طويلا مبسوطا وأنا ذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام غفر الدين الرازي ان يوسف عليه الصلاة والسلام
 كان بريثا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب
 فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت إلى ما نقله بعض المفسرين عن الأئمة

المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار
 الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله بناظلمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود
 عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر را كما وأتاب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيئا من
 ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيء لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه
 كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علمنا ببراءته مما قيل فيه ولم يصد عنه شيء كما نقله أصحاب
 الاخبار ويدل على ذلك أيضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب
 اليه واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن أيديهن والمولود الذي
 شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان ان يوسف ادعى براءته عما
 نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وأما بيان ان المرأة
 اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقوله أنا راودته عن نفسه فاستعصم وقوله الآن
 حمص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه ان الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف
 فقوله انه من كيد كن ان كيد كن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفر لي ذنبك انك كنت من الخاطئين
 وأما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية وأما شهادة الله بذلك فقوله تعالى كذلك
 لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا الخاضعين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل
 قوله لاغوينهم أجمعين الاعدادك منهم المخلصين وبطل هذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ
 بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكرا لا يجوز لاحد أن يقول ذلك وأما ما روى عن ابن عباس أنه
 جلس منها مجلس الخائن فأنشئ ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض
 أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره أيضا فانه لا يكاد
 يصح بسند صحيح وبطل ذلك كما وثبت ما ينهه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم
 بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز
 وجل لولا أن رأى برهان ربه فأنذرت في أعظم الفوائد وبيانه من وجهين أحدهما انه تعالى أعلم يوسف
 أنه لوهم بدفعها لقتله فاعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك الوجه الثاني
 أنه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلق به فكاد في ذلك أن يترق ثوبه من قدام وكان في
 علم الله أن الشاهد يشهد بان ثوبه لو تترق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تترق من خلف كانت هي
 الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل رلى هار باقائت بذلك الشاهد حجة لا
 عليه وأما نفسه بالبرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر
 المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت
 مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى
 يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت
 شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف أتوا فاعها أم أمثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق عليه
 وان أمثلك ان واقعها كمثلها اذا وقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك ما لم تواقعها مثل
 الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعها كمثلها اذا مات ودخل النخل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه
 وقيل انه رأى معصما بلا عضة عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا
 ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقر بوالزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك
 الكف وعليه مكتوب واتقوا يومًا ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك

(كذلك) نصب أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أى الأمر مثل ذلك (لتصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (أنه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى أى الذين أخلصهم الله لطاعته وبكسر ها غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسبقا إلى (١٥) الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدأ ففر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرع وراءه لتمنعه الخروج ووجد الباب وان كان جمعه فى قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبه من خلفه فالتفت أى انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيد هالدى الباب) وصادقا بعلمها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رآته احتالت لتبرته ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخوف يوسف طمعا فى أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت مجازا من أراد باهلك سواء الآن يسجن أو عذاب أليم) مانافية أى ليس جزاؤه الا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذلك

عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه يقول يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا فى حائط فيه ولا تقر بوزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفى رواية عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسن قال كان فى البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف تستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فأنأى أن استحي من ربي فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهاني ربى وما المحققون فقد فسر والبرهان بوجه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثانى البرهان شجرة الله عز وجل على العبدى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجعلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله (كذلك) يعنى كما أريناه البرهان كذلك (لتصرف عنه السوء) يعنى الامم (والفحشاء) يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عبادنا المخلصين وهو قوله (انه) يعنى يوسف (من عبادنا المخلصين) قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفينا هم بالنبوة واختارناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى البرهان قام هاربا بمبادر الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمساوقة طلب السبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبه اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقدت قميصه من دبر) يعنى شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه (وألفيا سيد هالدى الباب) يعنى فلما خرجا وجد الزوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رآته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول (قالت) يعنى لزوجها (مجازا من أراد باهلك سواء) يعنى الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبه اليه فقالت (الا أن يسجن) أى يحبس فى السجن ويمنع التصرف (أو عذاب أليم) يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذلك كرا السجن دون العذاب لان الحب لا يشتهى ايام المحبوب وانما أرادت أن يسجن عند ها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالاتها أراد ان يبرهن عن نفسه (قال) يعنى يوسف (هى راودتنى عن نفسى) يعنى طلبت منى الفحشاء فابت وفرت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هى ما قالت ولطغت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هى راودتنى عن نفسى (وشهد شاهد من أهلها) يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا فى ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبيرة والضحاك كان صبيبا فى المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوى وغيره سند الذى جاء فى الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم

يوسف وانه أراد بها سواء لانها قصدت العموم أى كل من أراد باهلك سواء أخفقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هى راودتنى عن نفسى) ولولا ذلك لكتّم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لانه يكون أوجب للحجة عليها وأوثق ابراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيبا فى المهد وسمى قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة فى ان ثبت قول يوسف وبطل قولها

(ان كان قيصة قدم من قبل صدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصة قدم من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قيصة وانما دل قد قيصة من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها يلحقها فيعثر في مقدم قيصة فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل وامانت كير قبل ودبر فعنه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان التي للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان (١٦) قيصة قد (فلما رأى) قطير (قيصة قدم من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه

وكذبها (قال انه) ان قولك مأجراً من أراد باهلك سواء أو ان هذا الامر وهو الاحتيال ليل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولأولها (ان كيدكن عظيم) لانهم أظف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغابن الرجال والقصريات منهم معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لمن ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرب النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (اعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال لراعيل (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين لذنب يقال خطي اذا اذنب متعمدا وانما قال بلطف المتكبر

مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكما ذارأى وقال السدي هو ابن عم المرأة حكيم فقال (ان كان قيصة قدم من قبل) أي من قدام (صدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصة قدم من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وانما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفى التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفى التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يسط يديه الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف بعد وهاجرا منها والطلاب لا يهرب ومنها انهم رأوا المرأة قد تزيت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقاً أيضاً (فلما رأى قيصة قدم من دبر) يعني فلما رأى قطير زوج المرأة قيصة يوسف عليه الصلاة والسلام قدم من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام (قال) يعني قال لها زوجها قطير (انه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) يعني من حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخاق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلقا ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لان هن من المكر والحيل والكيد في انما مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعني يا يوسف (أعرض عن هذا) يعني اترك هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفسد ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكثر بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفري لذنبك) يعني توبى الى الله لما رميت يوسف به من الخطيئة وهو بري منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول لامرأة سلي زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين) يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو بري وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليباً للجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القاتلين ﴿قوله عز وجل﴾ (وقال نسوة في المدينة امرات العزيز ترادفتها عن نفسه) يعني وقال جماعة من النساء وكن خسا وقيل كن اربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيها بينهم بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب الدواب وامرأة خبازة وامرأة ساقية وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من أشرف مصر امرأة العزيز يعني زليخة ترادفتها عن نفسه يعني ترادفها الكنعاني عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعني قد

تغلبت كور على الاناث وكان العزيز رجلا قليلا الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء علقها وكن خسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيها غير حقيقي ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرات العزيز) يردن قطير والعزيز الملك بلسان العرب (ترادفتها) غلامها يقال فتاى وفتاى أى غلامى وجارى بنى (عن نفسه) لتسال شهواتها منه (قد شغفها حبا) تميز أى قد شغفها حبه يعني خفي حبه شفاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رفيقة يقال لها لسان القلب

(انالزاهافي ضلال مبين) في خطاؤه بعد عن طريق الصواب (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكر الانه في خفية وحال (١٧) غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن

سرها فافشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعدت) وهيات افعلت من العتاد (لهن متكأ) ما يتكئ عليه من غمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) وكانوا لا ياكون في ذلك الزمان الا بالسكاكين كفضل الاعاجم (وقالت اخرج عليه - ن) بكسر التاء بصرى وعاصم وحزرة وبضمها غيرهم (فلما رأيته أكبره) أعظمه وهين ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البخاري وغيره وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاً لأوجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالية هاهن أمره و بهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبره أي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكرأ كثرأهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبره تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناه وجعلناه الهاء في قوله أكبره هاء الوقف لاهاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فرغت فرجاً سقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فرجاً كان من فزعهن وماهاهن من أمر يوسف حين رأيته قال الامام غفر الدين الرازي وعندي أنه يحتمل وجه آخر وهو انهن انما أكبرنه لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقروناً بتلك الهيبة والهيبة فتعجبين من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن

علقها حباً والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبى عجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيئاً سواه (انالزاهافي ضلال مبين) يعنى في خطابين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحببت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك مكر لانهن طابن بذلك رؤية يوسف وكان وصفهن حسنه وجماله فقصدن أن يرآينه وقيل ان امرأة العزيز أفتت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكر (أرسلت اليهن) يعنى انهن لما سمعت بأنهن يلتهن على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مائدة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشرف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي عبرنهن (وأعدت لهن متكأ) يعنى ووضعت لهن غمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جرير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعنى طعاماً وانما سمي الطعام متكأ لان كل من دعوته ليطلع عندك فقد أعددت له وسأند يجلس ويتكئ عليها فسمى الطعام متكأ على الاستعارة ويقال أتكا ناعند فلان أي طعمنا عنده والمتكأ ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكأ وقيل المتكأ الانرج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين أو يحزبها يقال ان المرأة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة اللاتي عبرنهن يوسف (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) يعنى وأعطت كل واحدة من النساء سكيناً لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينتته واختبأته في مكان آخر (فلما رأيته) يعنى النسوة (أكبرنه) يعنى أعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البخاري وغيره وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاً لأوجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالية هاهن أمره و بهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبره أي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكرأ كثرأهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبره تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناه وجعلناه الهاء في قوله أكبره هاء الوقف لاهاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فرغت فرجاً سقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فرجاً كان من فزعهن وماهاهن من أمر يوسف حين رأيته قال الامام غفر الدين الرازي وعندي أنه يحتمل وجه آخر وهو انهن انما أكبرنه لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقروناً بتلك الهيبة والهيبة فتعجبين من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن

(٣ - (خازن) - ثالث)

حضن والهاء للسكت اذا لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخات في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكان أباطيب أخذ من هذا التفسير قوله خف الله واسترذا الجمال ببرقع

ه فان لحقت حاضرت في الخدور العوانق (وقطعن أيديهن) وجرحها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي نريد جرحها أي أردن ان يقطعن
 الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأينه فدهشن أيديهن (وقلن حاش لله) حاشا كلمة تفيد معنى التعزية في باب الاستثناء تقول أساء القوم
 حاشا زيد وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التعزية والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتعزية الله وقرأ أبو عمر وحاشا الله تحوفوك
 سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ ويترده وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تعزية الله من صفات العجز والتعجب من
 قدرته على خلق جيل مثله (ما هذا بشرا ان هـ الاملاك كريم) نفين عنه البشرية لغرابته جماله وأثبت له الملكية وبتنبيه الحكم
 لما ركز في الطباع ان لأحسن من الملك كما ركز فيها أن لا قبح من الشيطان (قالت فذا كن الذي لمتني فيه) تقول هو ذلك العبد
 الكنعاني الذي صورتني في (١٨) أنفك كن ثم لمتني فيه تعني انكن لم تصورنه حق صورته والاعذر تني في الافتتان

به (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والاستعصام بقاء مبالغته بدل على الامتناع البالغ والتعظيم الشديد كانه في عصمة وهو يحتج به في الاستزادة منها وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام برئ مما فسريه أولئك الفريق المهم والبرهان ثم قلن له أطع مولانا فقلت لا راعيل (ولئن لم يفعل ما أمره) الضمير راجع الى ما وهي موصولة والمعنى ما أمره به فحذف الجار كما في قوله أمرتك الخير أو ما صدر به والضمير يرجع الى يوسف أي ولئن لم يفعل أمرى إياه أي موجب أمرى ومقتضاه (ليسجنن) ليسجنن والالف في وليكونا بدل من نون التأكيد الخفيفة (من الصاغرين) مع السراق والسفك والاياق كما سرق

قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيديهن) يعني وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الا لم لدهشن وشغل قلوبهن يوسف قال مجاهدنا أحسن الابلدم وقال قتادة ابن أيديهن حتى ألقينها والاصح انه كان قطعاً من غير ابانة وقال وهب مات جماعة منهن (وقلن) معنى النسوة (حاش لله ما هذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا (ان هذا الاملك كريم) يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قدر كزفي النفوس أن لا شيء أحسن من الملك فلذلك وصفه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك (قوله تعالى) قالت فذا كن الذي لمتني فيه) يعني قالت امرأة العزيز لافسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذا كن الذي لمتني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فتاها الكنعاني حبا وانما قالت فذا كن الخ بعد ما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشف قالت فذا كن ولم تقل فذا وهو حاضر فعمل المزمع في الحسن واستحقة أن يحب ويفتن به ويجوز أن يكون إشارة الى المعنى بقولن عشقت عبده الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتني في أنفك كن ثم لمتني فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانهم قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما أمره) يعني وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه (ليسجنن) أي ليه أقبين بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولانا فذا كن الذي لمتني فيه فاذعنتك اليه فاختر يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك (قال رب) أي يارب السجن أحب الى مما يدعونني اليه قيل ان الدعاء كان منه خاصة وانما أضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولانا صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا أولانه كان يحضرنه قال بعضهم لولم يقل السجن أحب الى لم يتل بالسجن والاولى بالعبد أن يسأل الله العافية (والانصرف عني كيدهن) يعني ما أردن مني (أصب اليهن) أي أمل اليهن يقال صبأ فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن من الجاهلين) يعني من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم والجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعني فاجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعني لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعني بحاله وفي

قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق فلا بهنا ليوسف الطعام والشرب والنوم هذا كما معنى هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثل الآيات في الحرير على السرير أميرا حصل في الحصر على الحصر حيرا فلما سمع يوسف تهديدها (قال رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أجبت مولانا أو اقبلت كل واحدة به فدعته الى نفسها سرا فالتجأ الى ربه قال رب السجن أحب الى من ركوب المعصية (والانصرف عني كيدهن) فزع منه الى الله في طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الطوى ومنه الصبالان النفوس تصبو اليها الطيب بسيمها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعملون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء فلما كان في قوله والانصرف عني كيدهن معنى طلب الصبر والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أي أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) الدعوات للمتحنين اليه (العليم)

بحاله وحالهن (ثم بدا لهم) فاعلمه مضمرا لدلالة ما يفسره عليه وهو ليس سجنته والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي والضمير في لهم للعزير وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهي الشواهد على براءته كقصد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليسجنته) لا بداء عذر الحال وارخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك إلا باستئصال المرأة لزوجها (١٩) وكان مطواعا لها وحيلا ذلولا لازما في يدها

وقد طمعت أن يذله السجن ويسخره لها أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فالجأها الحجل من الناس والوجل من لباس إلى أن رضيت بالحجاب كان خوف الذهاب لتشتق بخبره إذا منعت من نظره (حتى حين) إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن منه (ودخل معه السجن فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فادخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن مع يدل على معسني الصيغة تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قال أحدهما) أي شرابيه (اني أراي) أي في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خرا) أي عنبا تسمية للعنب بما يؤل إليه أو الخمر بلفظة عثمان اسم للعنب (وقال الآخر) أي خبازه (اني أراي) أي فوق رأسي خبزا تا كل الطير منه نبثنا بتأويله) بتأويل ما رأيناه (انأراك من المحسنين)

الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلمته البلية بكيد النساء ومطالبتهن إياه بما لا يليق بحاله لجأ إلى الله وفتح إلى الدعاء رغبة في الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الأمر مع الاعتراف بأنه إن لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية إلا بعصمة الله ولطفه به ﴿قوله عز وجل﴾ (ثم بدا لهم) يعني للعزير وأصحابه في الرأي وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الأعراض وكنتم الحال وذلك أن المرأة قالت لزوجها إن ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس بخبرهم باني قد روادته عن نفسه فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر إلى الناس وإما أن تحبسه فرأى حبسه (من بعد ما رأوا الآيات) يعني الدالة على صدق يوسف وبرائه من قس القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجنته) أي ليحبسن يوسف في السجن (حتى حين) يعني إلى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء إلى أن تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة إلى سبع سنين وقال السكبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا لوليد بن نزوان العماليق ملك مصر الا كهرا أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشرف مصر أرادوا المسكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهدن الغلامين ما لا على أن يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا إلى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة رسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لانا كل أيها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان لشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فاني فاطم من ذلك الطعام دابة فهلك فامر الملك بحبسهما فحبسهما مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلنحرب هذا الغلام العبراني فترأى باله رؤيا فأسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رأيا شيئا إنما هما ليحربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا فصدقهما فقال يوسف قصا علي ما رأيتما فقصا عليه ما رأياه فذلك قوله تعالى (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (اني أراي) أي أعصر خرا) يعني عنبا تسمية للعنب خرا باسم ما يؤل إليه يقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ الآجر حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلفظة عثمان وذلك أنه قال اني رأيت في المنام كافي في بستان وإذا فيه أصل حبله وعليها ثلاثة عناقيد عنب فخبثتها وكان كاس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (اني أراي) أي أحل فوق رأسي خبزنا كل الطير منه) وذلك أنه قال اني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منها (نبثنا بتأويله) أي أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤل إليه أمر هذه الرؤيا (انأراك من المحسنين) يعني من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال كان إذا مرض انسان في الحبس عاده وقام عليه وإذا ضاق على أحد وسع عليه وإذا احتاج أحد جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل أنه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال خزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بآرك الله فيك يافتي ما أحسن وجهك وخلقتك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فنأين أنت قال أنابو سيف بن صفي الله

من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين إلى أهل السجن فانك تداوى المريض وتعزي الحزين وتوسع على الفقير فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا وقيل انهما تهما لهما ليمتحناه فقال الشرابي اني رأيت كافي في بستان فإذا باصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فإذا سباع الطير تنهش منها

(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نباتا كباثا وبله) أي يبيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (فيل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك (٢٠) فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبتهما بما

يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ووصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صدفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى أن يذكرا طعام التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهل منزله في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه لم يكن من باب التزكية (ذلكا) اشارة لهما الى التأويل أي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به الى ولم أقله عن تكهن وتنجم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به الى لاني رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (واتبع ملة آباء إبراهيم واسحق ويعقوب) وهي الملة الخفيفة وتكريرهم للتوكيد وذكر الآباء ليربهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما في اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لانه كان فيه ثم تركه (ما كان لنا) ماصح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شيء) أي شيء كان صنما أو غيره ثم قال

يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله إبراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت خلعت سديك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختراي بيوت السجن شئت وقبل ان الفتيين لما رأيا يوسف قالانا قد أحببناك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أشد كما بالله أن لا نحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحببني عمي فدخل على من ذلك بلاء وأحبني أبي فألقيت في الحب وأحببني امرأة العزيز فحببت فلما صاعليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما أن درجته في العلم أعلى وأعظم مما اعتقد فيه وذلك أنهم اطلبوا منه علم التعبير ولا شك أن هذا العلم مبني على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يهجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم أن أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة بهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نباتا كباثا وبله) قيل أراد به في اليوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا أخبرتكما خبره في اليقظة وقيل أراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطهرا به وتأكلا لانه الانبات كباثا وبله يعني أخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما فيه (قبل أن يأتيكما) يعني قبل أن يصل اليكما وأي طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنبئكم بما أنا كلون وما ندخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وإنما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به (ذلكا مما علمني ربي) يعني ان هذا الذي أخبرتكما به ووحى من الله أوحاه الى وعلم علمه (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فامعنى هذا الترك في قوله تركت فقلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والاتفات اليه بالمرّة وليس من شرطه أن يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الاقرب أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجيع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرر لفظه هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله (واتبع ملة آباء إبراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة وأظهر المعجزة أظهر أنه من أهل بيت النبوة وان آباءه كلهم كانوا انبياء وقيل لما كان إبراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة في الآخرة فأظهر يوسف عليه الصلاة والسلام أنه من أولادهم وأنه من أهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا للنبوة واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدى لفظه من في قوله من شيء زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشف ما كان لنا ماصح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان

(ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضل الله في شركون به ولا يشتهون (يا صاحبي السجن) يا سا كنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرأيت متفرقون خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق في العدد والتكاثر أي أن تكون أرباب شتى يستعبد كما هذا ويستعبد كما هذا خير كما أم يكون لكرب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ماتعدون) خطاب لهم ولمن كان على (٢١) دينهم من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الا

أسماء سميت وهاتم وآبؤكم) أي سميت ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفتهم تعبدونها فكانكم لاتعبدون الأسماء لامسميات لها ومعنى سميتوها سميتهم بها يقال سميت زيدا وسميته زيد (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (ان الحكم) في أمر العبادة والدين (الالهة) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا الاياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي السجن اما أحدكم) يريد الشرابي (فيسقي ربه) سيده (خرا) أي يعود الى عمله (واما الآخر) أي الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام

من ملك أو جنى أو انسى فضلا أن نشارك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال (يا صاحبي السجن) يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروقة فيها غير مسروقة ويجوز أن يريد يا سا كنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرأيت متفرقون) يعني آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لاتضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعني ان هذه الاصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قديكثير بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شيء من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كله بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذاله فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا اراد الانسان كسرها واهانتها فقدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وأنها لا شيء البتة فقال (ماتعدون من دونه) يعني من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالثنائية في المخاطبة لانه أراد جميع من في السجن من المشركين (الأسماء سميتوها) يعني سميتوها آلهة وأربابا وهي حجارة جادات خالية عن المعنى لا حقيقة لها (أنتم وآبؤكم) يعني من قبلكم سموها آلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) يعني ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان (ان الحكم الا لله) يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا لشر يك له في ذلك (أمر ألا تعبدوا الاياه) لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سميتوها آلهة (ذلك الدين القيم) يعني عبادة الله هي الدين المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياه فقال (يا صاحبي السجن اما أحدكم) يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقى الملك خرا كما كان يسقيه أولا والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك ويرده الى منزلته التي كان عليها (واما الآخر فيصلب) يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعوه الملك فيصلبه (فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما سمع قول يوسف عليه الصلاة والسلام قال امارأيت شيئا انما كان لي قال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) يعني فرغ من الامر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله عليهما بالذي أخبرتكما به رأيتما شيئا لم تر يا (وقال) يعني يوسف (لذي ظن) يعني علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (انه ناج منهما) يعني ساقى الملك (اذ كرتي عند ربك) يعني سيدك وهو الملك الا بكر فقل له ان في

مغضى في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئا فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم باستفتيان فيه من أمر كما وشأنكما أي ما يجري اليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذ كرتي عند ربك) صفيتي عند الملك بصفتي وفصص عليه فقصي لعله يرجعني ويخلصني من هذه

الورطة (فأنساه الشيطان) فأنسى الذراعي (ذكر به) أن يذكر به أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره وفي الحديث
رحم الله أخى يوسف لولم يقل إذ كرتي عند ربك لما لبثت في السجن سبع (فلبت في السجن بضع سنين) أي سبعة أعين الجهور والبضع ما بين
الثلاث إلى التسع (وقال الملك اني (٢٢) أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لما دنا

فرج يوسف رأى ملك
مصر الريان بن الوليد رؤيا
عجيبة هاتته رأى سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس
وسبع عجاف بقرات سمان
فابتلعت العجاف السمان
ورأى سبع سنبلات
خضر قد أنهقدت حبا وسبع
أخر يابسات قد استحصدت
وأدركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غابن عليها
فاستعبرها فلم يجد في قومه
من يحسن عبارتها وقيل
كان ابتداء بلاء يوسف
في الرؤيا ثم كان سبب نجاته
أيضا الرؤيا سمان جمع
سمين وسمينة والعجاف
المهازيل والعجف الهزال
الذي ليس بعده سمانة
والسبب في وقوع عجاف
جعل العجفاء وأفعال وفلاء
لا يجمعان على فعل حله
على تقيضه وهو سمان ومن
دأبهم حل الظير إلى الظير
والنقيض على النقيض
وفي الآية دلالة على أن
السنبلات اليابسة كانت
سبعاً كما خضر لان الكلام
مبني على انصابه إلى هذا
العدد في البقرات السمان
والعجاف والسنايل الخضر
فوجب أن يتناول معنى الآخر

السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه (فأنساه الشيطان ذكر به) في هاء الكناية في فأنساه إلى من تعود
قولان أحدهما أنها ترجع إلى الساق وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساق أن يذكر
يوسف عند الملك قالوا لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساق حتى أنساه ذكر يوسف أولى من
صرفها إلى يوسف وإقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين أن هاء الكناية ترجع إلى يوسف والمعنى أن
الشيطان أنسى يوسف ذكر به عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر
وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة لأنه لما كان مقام
يوسف على المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بهذا
القدر فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذكر
ربه قلت بشغل خاطر ولقاء الوسوسة فإنه قد صح في الحديث أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
فأما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب بالكيفية فلا يقدر عليه وقوله سبحانه وتعالى
(فلبت في السجن بضع سنين) اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث إلى السبع وقال قتادة هو
ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية
سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلا في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب
أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار قال يوسف للساق إذ كرتي
عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لا طيبان حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي ذكرك
كثرة البسوى فقلت نعم قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها لما لبث
في السجن ما لبث يعني قوله إذ كرتي عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ذكره
الثعلبي مرسل لا وبغير سند قيل إن جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف
يا أخا المنذر بن مالى أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهر بن يقرأ عليك السلام رب العالمين
ويقول لك أما استحييت مني أن استغثت بالأميرين فوعزتي وجلالى لا لبس لك في السجن بضع سنين قال
يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال إذا بالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك
من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حبسك إلى أيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البثر قال الله
قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك سوء الفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي
مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكاهن وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبيل ذلك ودنا
فرج يوسف وأراد الله عز وجل إخراجه من السجن رأى ملك مصر ألا كبر رؤيا عجيبة هاتته وذلك أنه رأى
في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرجن عقيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع
العجاف السمان ودخان في بطونهم ولم يبرهنهم شيء ولم يقبلن على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر
قد أنهقدت حبا وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم
يبق من خضرتها شيء فجمع السمرة والكهنة والمعبدين وقص عليهم رؤيا التي رآها فذلك قوله تعالى (وقال
الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأبها الملاء
أفتوني في رؤياي) يعني يأبها الاشراف أخبروني بتأويل رؤياي (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعني ان كنتم

السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعاً آخر (يأبها الملاء) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكام (أفتوني في
رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون) اللام في الرؤيا بالبيان كقولهم وكانوا فيه من الزاهدين أولان المفعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على
العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فذهبها تقول عبرت الرؤيا بالبرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به

متكنا منه وتعبرون خبر آخر أحوال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النه إذا قطعت حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أو أت الرؤيا إذا ذكرت ما لها وهو مرجمها وعبرت الرؤيا بابتغيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبر والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلط النبات وخزم من أنواع الخشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايد في وصف الحلم بالبطلان وجاز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فغالبوا ليس طاعة ناناو بل انما (٢٣) التأويل للمنامات الصحيحة أو

اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بخبرين (وقال الذي نجا) من القتل (منهما) من صاحبي السجن (واذكر) بالعدل هو الفصيح وأصله اذكر فأبدلت الذا لا والتاء والاولى في الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذا كر وجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أي تذكر يوسف وما شاهد منه (بعدأمة) بعد مدة أو بلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعرض على الملك تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عن عنده علمه (فارسلون) وبالياء يعقوب أي فابعثوني اليه

تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير يختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تعبير الان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعني أخلط مشبهة واحدا ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الخشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا للخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنهم من الجواب ليكون ذلك سببا للخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذي نجا من السجن) يعني وقال الساقى الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (واذكر بعدأمة) يعني انه تذكر قول يوسف اذكر في عذرك بك بعدأمة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (أنا أنبئكم) يعني أخبركم (بتأويله) وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عاليا يعبر الرؤيا (فارسلون) فيه اختصار تقدير فارسلى أيها الملك فارسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة (يوسف) أي يا يوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكتب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (أفتنا في سبع بقرات سمان يا كاهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يا بسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلني أرجع الى الناس) يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (اعلمهم يعلمون) يعني بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلمهم يعلمون منزلتك في العلم (قال) يعني قال يوسف معبر تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات سبع سنين مجربة فذلك قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فاحصدتم فذروه في سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا مما أنا كاون) يعني ادرسوا قليلا من الحنطة لا كل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجربة وهو قوله

لا ساله فارسله الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول (أفتنا في سبع بقرات سمان يا كاهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يا بسات اعلني أرجع الى الناس) الى الملك وأتباعه (اعلمهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم في طلبوك وبخاصوك من محنتك (قال تزرعون سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخير المبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) يسكون الهمة وحفص بحركة وهم مصدر أدب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين (فاحصدتم فذروه في سنبله) كي لا تأكله السوس (الا قليلا مما أنا كاون) في تلك السنين

(ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادياً كان) هو من اسناد المجاز جعلاً كاهن مسند اليهن (ما قدمتم لمن) أي في السنين المخصصة (الاقليلاً ما
تخصون) نحرزون ونحجون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أي بحباب مستغيثهم
أو من الغيث أي بطرون يقال غيثت البلاد إذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشبقة والادهان يعصرون
حزرة فأول البقرات السماء والسبلات الخضريتين محاصيب والجفاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان
العام الثامن يحى مباركاً كثيراً الخير (٢٤) غزير النعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك اتنوني به فلما جاءه الرسول) ايخرجه من السجن

(ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المخصصة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدبة بمحلة شديدة على
الناس (يا كان) يعني يقين (ما قدمتم لمن) يؤكل فيهن كل ما أعدتم وادخرتم لمن من الطعام وانما
أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام (الاقليلاً ما تخصون) يعني نحرزون ونحجون
لليندر والاحسان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من
بعد هذه السنين المجدبة (عام فيه يغاث الناس) أي بطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من فوطهم
استغثت من قحط فأتاني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خرا والزيتون زيتا
والسمسم دهناً أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه
ينجون من الكرب والشدة والجذب قوله عز وجل (وقال الملك اتنوني به) وذلك أن الساقى لما رجع
الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنته الملك وعرف أن الذي قاله كائن لا محالة فقال
اتنوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقى الى يوسف وقال له أجب الملك
فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأتى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال)
يعني قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعني الى سيدك وهو الملك (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
أيديهن) ولم يصرح بذلك امرأة العزيز بأدبار احترامها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ابشت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه
ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن هذا الحديث فيه بيان
فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاء من عنده
فلم يخرج معه مبادراً الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وراسل
الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله (ان ربي بكيدهن
عليم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الخيل العظيمة فرجع الرسول من عند
يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و(قال) لمن (ما خطبكن) أي
ما شأنكن وأمركن (اذراودتن يوسف عن نفسه) انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد
بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر
النسوة امرأته بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعني النسوة جميعاً محجبات للملك (حاش الله)
يعني معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني من خيانة في شيء من الاشياء (قالت امرأت العزيز الآن
حصى الحق) يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعرزنها وقيل خافت أن يشهدن
عليها فأقرت فقالت (أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين) يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلفوا

(قال ارجع الى ربك) أي
الملك (فأسأله ما بال النسوة)
أي حال النسوة (اللاتي
قطعن أيديهن) انما ثبت
يوسف وتأتى في اجابة الملك
وقدم سؤال النسوة ليظهر
براءة ساحته عما رمى به
وسجن فيه ثلاثين سنة
الحامدون الى تقيج أمره
عنده ويحملهوه ساعداً الى حط
منزله لديه ولئلا يقولوا
ما خلف في السجن سبع
سنين الا الامر عظيم وجرم
كبير وفيه دليل على ان
الاجتهاد في نفي التهم واجب
وجوب اتقاء الوقوف في
موافقها او قال عليه السلام
لقد عجزت من يوسف وكرمه
وصبره والله يغفر له حين
سئل عن البقرات الجفاف
والسمان ولو كنت مكانه
ما أخبرتهم حتى اشترط أن
يخرجوني ولقد عجزت منه
حين أتاه الرسول فقال ارجع
الى ربك ولو كنت مكانه
ولبت في السجن ما لبث
لا سرعت الاجابة وبادرت
الباب ولما ابتغيت العذر ان

كان خليلاً إذا أناة ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتسلبت فيه من السجن والعذاب
واقصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربي بكيدهن عليم) أي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجاز بهن عليه فرجع الرسول الى
الملك من عند يوسف برسالة فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لمن (ما خطبكن) ما شأنكن (اذراودتن
يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلاً اليكن (قلن حاش الله) تعجباً من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب
(قالت امرأت العزيز الآن حصى الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني

عن نفسى ولا مزيد على
شهادتهم له بالبراءة والزاهة
واعترافهم على أنفسهم
بأنه لم يتعلق بشئ مما قذف
به ثم رجع الرسول الى
يوسف وأخبره بكلام
النسوة واقرار امرأة
العزير وشهادتها على
نفسها فقال يوسف (ذلك)
أى امتناعى من الخروج
والثبوت لظهور البراءة
(ليعلم) العزير (أنى لم
أخنه بالغيب) بظهر الغيب
في حرمة والغيب حال
من الفاعل أو المفعول على
معنى وأنا غائب عنه أو هو
غائب عني أو ليعلم الملك أنى
لم أخن العزير (وأن الله)
أى وليعلم أن الله (لا يهدى
كيد الخائنين) لا يسدده
وكانه تعريض بامرأته
في خيانتها أمانة زوجها ثم
أراد أن يتواضع لله
ويهضم نفسه لئلا يكون
طامعاً كيأوليين أن مافيه
من الأمانة بتوفيق الله
وعصمته فقال (وما أبرئ
نفسى) من الزال وما أشهد
لها بالبراءة الكلية ولا
أزكيها في عموم الاحوال
أوفى هذه الحادثة لما ذكرنا
من الهم الذى هو الخطرة
البشرية لاعن طريق
القصد والعزم (ان النفس
لامارة بالسوء) أراد
الجنس أى ان هذا الجنس
يأمر بالسوء وعمل عليه لما فيه من الشهوات

في قوله (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما أنه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا
كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصص الحق أمارا ودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين ثم قالت
ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنى لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب
عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في
تأكيدها هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) يعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد
والمكر لا جرم انى افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه
الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام
انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة
أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أى الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم يعنى
العزير أنى لم أخنه في زوجته بالغيب يعنى في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقوله امرأة
العزير أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامع ان ذلك مع غموض فيه لانه ذكر
كلام انسان ثم أتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم
من أرضكم هذا من قول الملائكة فاذ انامرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا
من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقاً لها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف
حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما أنه كان في السجن وذلك أنه لما رجع اليه رسول الملك وهو في
السجن وأخبره بمجواب امرأة العزير للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبى صالح
عن ابن عباس وبه قال ابن جرير والقول الثانى أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية
عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهى اشارة لغائب مع حضوره
عندهم * قلت قال ابن الانبارى قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه
فصار كالشاهد الذى يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذى فعلته من ردى الرسول ليعلم
أنى لم أخنه بالغيب أى لم أخن العزير في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدى كيد الخائنين
يعنى أنى لو كنت خائناً لما خلصنى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لان الله لا يهدى أى لا يرشد ولا يوفق كيد
الخائنين واختلفوا في قوله (وما أبرئ نفسى) من قول من على قولين أيضاً أحدهما أنه من قول المرأة وهذا
التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ
نفسى من مراودتى يوسف عن نفسه وكذبتى عليه والقول الثانى وهو الاصح وعليه أكثر المفسرين انه من
قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت
بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسى وهذه رواية عن ابن عباس أيضاً وهو قول الاكثرين وقال الحسن
ان يوسف لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب خاف أن يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسى لان الله
تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ففى قوله وما أبرئ نفسى هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية
النفس في مقام العصمة والتركيز ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيئات المقربين
(ان النفس لامارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل ما يهمل الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسبئية
الفعلية القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هى قاله على أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم
ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها الاوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث
المراتب هى صفات النفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهى النفس الامارة بالسوء
فاذا فعلتها أتت النفس الاوامة فلامتها على ذلك الفعل التبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك

(الامارحم ربي) الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة ويجوز ان يكون مارحم في معنى الزمان أي الا وقت رحمة ربي يعني انها اماراة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة او هو استثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت لي علم يوسف أنني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قدفته وقلت ما جزاء من أراد باهلك سوا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار عما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الامارحم ربي الانقصار رحمها الله بالعصمة كنفس (٢٦) يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحته عما ارتكبت وانما

جعل من كلام يوسف ولادليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخير أي قوله ذلك اعلم متصل بقوله فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي) أجمعه خالصا لنفسي (فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحاسب (قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روى أن الرسول جاء ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبوا بعث اليه لباس الملوك فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخبار ففهم أعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلاء وقبور الاحياء وشهادة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن

الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس الماخذة وقيل ان النفس اماراة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة وقوله (الامارحم ربي) قال ابن عباس معناه الامن عصم ربي فتكون ما يعني من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربي غفور) يعني غفور لذنوب عباده (رحيم) بهم قوله تعالى (وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي) وذلك انه لما تبين للملك عن يوسف وعرف أماته وعلمه طلب حضوره اليه فقال اتوني به يعني يوسف أستخلصه لنفسي أي أجمعه خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركون فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن أدبه وثباته على الحق كلها فلهذا حسن اعتقاده الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرا هيا أسبابه فاهم الملك ذلك فقال اتوني به أستخلصه لنفسي (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن بالامعاودة فاجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخبار ففهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلاء وقبور الاحياء وشهادة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان أيضا قال يوسف هذا لسان آباءي قال وهب وكان الملك يتكلم بلسانين يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حدائنه من يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى أي هذا الملك الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و (قال انك اليوم لديك أمين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها بما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلك وصدقك وبرائك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها فقال نعم أيها

السجن ولبس ثيابا جدد فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آباءي وكان الملك يتكلم بلسانين لسانا فكامه بها فاجابه بجميعها فذهب منه وقال أيها الصديق اني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه

الملك رأيت سبع بقرات شهبان غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطامن من شاطئه
تشعب أخلافهن لبنافينما أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نصب النيل فغار مأوه وبدا يسه فرج
من حائه سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضرور ولا اخلاف ولهن أنياب
وأضراس وأكف ككف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان
كافتراس السبع فاكن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فينما أنت تنظر
وتتجحت كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعدا كاهن اذ سبع سنبلات خضر طريات
ناعيمات ممتلئات حبا وماء والى جانبهن سبع أخر سوديا بسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فينا
أنت تقول في نفسك أي شيء هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سوديا بسات والمنبت واحد وأصولهن في الثرى
والماء اذهبت ريح فذرت أوراق اليا بسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن
فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتهت مدعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيئا فثأن هذه الرؤيا
وان كان عجبا فها هو باعجب مما سمعت منك وماترى في تأويل رؤياي أيها الصديق قال يوسف عليه الصلاة
والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام
في الخزائن بقصبه وسنبله فإنه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب وتأمراً للناس فليرفعوا
الخمس من زروعهم أيضاً فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعه لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر
النواحي للميرة ويجمع عندك من الكوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن
يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك (قال) يعنى يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) يعنى على
 خزائن الطعام والاموال وأراد بالارض أرض مصر أى اجعلنى على خزائن أرضك التى تحت يدك وقال الربيع
ابن أنس اجعلنى على خزائن خراج مصر ودخلها (انى حفيظ الخزائن عليم بوجوده مصالحها
وقيل معناه انى صاحب كاتب وقيل حفيظ لما استودعنى عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة
من ياتينى وقال الكلبي حفيظ بتقديره فى السنين المخصبة للسنين المجدة به عليم بوقت الجوع حين يقع فقال
الملك عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله
من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد
من النهى عنهما مع كراهية طلبها لم يصح من حديث عبد الرحمن بن سمره قال قال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسألة وكأت إليها وان أوتيتها عن غير مسألة أعنت
عليها أخرجاه فى الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذ لم يتعين عليه طلبها فاذا تين عليه طلبها وجب
ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى
والرسول أعلم بمصالح الامم من غيره واذا كان مكافأ برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه
طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة ما يطريق الوحى من الله أو بغيره ورما أفضى ذلك الى هلاك
معظم الخلق او كان فى طلب الامارة اىصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عايه طلب الامارة لهذا السبب
فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم قلت انما يكره
تزكية النفس اذ اقصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم فى تزكية
النفس أما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها اىصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه
ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد
علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا به يوسف بقوله انى حفيظ عليم على انه عالم

(قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) ولى
على خزائن أرضك يعنى
مصر (انى حفيظ) أمين
أحفظ ما تستحفظنيه
(عليم) عالم بوجوه
التصرف وصف نفسه
بالامانة والكفاية وهما
طلبة الملوك بمن يولونه وانما
قال ذلك ليتوصل الى
امضاء أحكام الله واقامة
الحق وبسط العدل
والتمكن مما لاجله بعث
الانبياء الى العباد ولعلمه ان
أحدا غيره لا يقوم مقامه
فى ذلك فطلبه ابتغاء وجه
الله لالحب الملك والدنيا
وفى الحديث رحم الله
أخى يوسف لولم يقل اجعلنى
على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته ولكنه
أخر ذلك سنة قالوا وفيه
دليل على انه يجوز أن
يتولى الانسان عمالة من
يد سلطان جائر وقد كان
السلف يتولون القضاء من
جهة الظلمة واذا علم النبى
أو العالم أنه لا سبيل الى
الحكم بأمر الله ودفع الظلم
الا بتسكين الملك الكافر
أو الفاسق فله أن يستظهر
به وقيل كان الملك يصدر
عن رأيه ولا يعترض عليه
فى كل ما رأى وكان فى حكم
التابع له

بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا أيضا مع كمال علمه بمصالح الدين **﴿ قوله عز وجل ﴾** (وكذلك مكننا يوسف في الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما انعمنا على يوسف بان أنجينا من الحب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى قر به وأدنى منزلته كذلك مكناله في الارض يعني أرض مصر ومعنى التمكين هو أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله **(يتبوأمنها حيث يشاء)** لانه تيسر للتمكين قال ابن عباس وغيره لما اقتضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلته بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكال بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثين فراشا وستين ماريبا وضرب له عليه كفة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وقوض الملك الاكرام اليه ملكه وعزل قطير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان للملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاه نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قطير عزير مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لانتمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودينا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبنني نفسي وعصمتك الله قالوا فوجدها يوسف عن ذراعا فاصابها فولدت له ولدين ذكر بن افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دبّر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدة وأنفق المال المعروف حتى خلت السنين المحصية ودخلت السنين المجدة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبّر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاء نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا أول أو ان القحط فهلك في السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه في السنة المحصية فجعل أهل مصر يتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذهم منهم وباعهم في السنة الثانية بالحناء والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبيد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عاياه الصلاة والسلام فقال أهل مصر مارأينا كاليوم ملكا أجلا ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فاستري في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام ففيل له أتجوع ويديك خزان الارض فقال أخاف ان شبع أنسى الجائع وأمر يوسف طبأخي الملك أن يجعلوا غداة نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداة هم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام وبطلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكننا يوسف في الارض يتبوأمنها حيث يشاء **(نصيب برحمتنا من نشاء)** يعني نختص بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا **(ولانضيم أجر المحسنين)** في الدنيا **(ولاجر الآخرة)** قال ابن عباس يعني الصابرين **(ولاجر الآخرة)** يعني وثواب الآخرة **(خير)** يعني أفضل

(وكذلك) ومثل ذلك
التمكين الظاهر (مكننا
ليوسف في الارض) أرض
مصر وكانت أربعين
فرسخا في أربعين
والتمكين الاقدار واعطاء
المكنة (يتبوأمنها حيث
يشاء) أي كل مكان أراد
أن يتخذ منزلا لم يمنع منه
لاستيلائه على جميعها
ودخولها تحت سلطانه
نشاء مكي (نصيب برحمتنا)
بعطائنا في الدنيا من الملك
والغنى وغيرهما من النعم
(من نشاء) من اقتضت
الحكمة أن نشاء له ذلك
(ولانضيم أجر المحسنين)
في الدنيا (ولاجر الآخرة)
خير

لِلَّذِينَ آمَنُوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يجمل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك نوح يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم (٢٩) فأدبر به أمرك وأما التاج فليس

من لباسي ولا لباس آبائي
جلس على السرير ودانت
له الملوك وفوض الملك اليه
أمره وعزل قطفير ثم مات
بعده فزوجه الملك امرأته
فلما دخل عليها قال أليس
هذا خيرا مما طلبت فوجدها
عذراء فولدت له ولدين
أفرائيم وميشا وأقام العدل
بمصر وأحبته الرجال والنساء
واسلم على يديه الملك وكثير
من الناس وباع من أهل
مصر في سني القحط الطعام
بالدراهم والدنانير في السنة
الأولى حتى لم يبق معهم شيء
منها ثم بالحلي والجواهر
في الثانية ثم بالدواب في
الثالثة ثم بالعبيد والاماء في
الرابعة ثم بالدور والعقار في
الخامسة ثم بالولادهم في
السادسة ثم برقابهم في
السابعة حتى استرقهم جميعا
ثم أعتق أهل مصر عن
آخرهم ورد عليهم أملاكهم
وكان لا يبيع لاحد من
المتارين أكثر من حل
بغير وأصاب أرض كنعان
نحو ما أصاب مصر فارسل
يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك
قوله (وجاء اخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرفهم) بلا

من أجر الدنيا (لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك ﷺ قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطي أحدا أكثر من حل بغير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب منازل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربيات من أرض فلسطين والعربيات تغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغني أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لئلا تشروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد بآول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين أن قد فوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فذلك أنكره وقال عطاء النمالي يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخاق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخاق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما أخبر أنه سيدبثهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجتنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قالوكم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أيينا قال فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا هو عند أيينا لانه أخو الذي هلك لأمه قابو نائسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك اننا بلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فاتوني بأخيكم الذي من أبيكم أن كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسزاوده عنه قال فدعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتوني به فاقرعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فبني يوسف خلفوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثر من أهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حل لكل واحد منهم بغيرا من الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم) يعني الذي خلفوه عنده وهو بنيامين (الآنرون اتوني أوفى الكيل) يعني اني أتمه ولا أبخس منه شيئا وأزيدكم حل بغير آخر لاجل أخيكم أكرمكم بذلك

تعريف (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب وطول المدة وهو أربعون سنة وروى انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجتنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيوننا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي حزين لفقد ابن كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاه من أمه يستأنس به فقال اتوني به ان صدقتم (ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد منهم حل بغير وقرى بكسر الجيم شاذ (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم الآنرون اتوني أوفى الكيل) أتمه

فدعوا بعضكم رهنا فتركوا
عنده شمعون وكان
أحسنهم رأيا في يوسف
(وقال لفتياناه) كوفي غير
أبي بكر لفتيته غيرهم وهما
جمع فتى كاخوة وأخوان
في أخ وفعلة للقلة وعلان
للكثرة أي لعلمانه الكياليين
(اجعلوا بضاعتهم في رحالهم)
أو عينهم وكانت نعالا
أواد مأوورقا وهو أليق
بالدس في الرحال (اعلمهم
يعرفونها) يعرفون حق
ردها وحق التكرم باعطاء
البدلين (إذا انقلبوا إلى
أهلهم) وفرغوا وظرفهم
(اعلمهم يرجعون) لعل
معرفتهم بذلك تدعوهم إلى
الرجوع بنا أو ربما
لا يجدون بضاعة بها يرجعون
أو ما فيهم من الميانة يعيدهم
لرد الأمانة أو لم ير من الكرم
أن يأخذ من أبيه وأخوته
ثمننا (فلما رجعوا إلى أبيهم)
بالطعام وأخبروه بما فعل
(قالوا يا أبا مناع من الكيل)
يريدون قول يوسف فإن
لم تأتوني به فلا كيل لكم
عندي لأنهم إذا أذروا
بمنع الكيل فقد منع الكيل
(فارسل معنا أخانا نكتل)
نرفع المانع من الكيل

(وأنا خير المنزلين) كان قد أحسن ازالهم وضيافتهم رغبتهم هذا الكلام على الرجوع إليه (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) فلا
أبيعكم طعاما (ولا تقر بون) أي فإن لم تأتوني به فحرموا ولا تقر بوافيه داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو
بمعنى النهي (قالوا سئروا ودعنه) (٣٠ آية) سئروا عنه ونحتال حتى نزرعه من يده (وانا لفاعلون) ذلك لا محالة لا نقرط فيه ولا تنواني قال

(وأنا خير المنزلين) يعني خيرا اضيفين لأنه كان قد أحسن ضيافتهم مدة أقامتهم عنده قال الآكام خيرا الدين
الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين أنه انهمهم ونسبهم إلى أنهم جواسيس ومن
يشافهم هذا الكلام فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أني أوفى الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا يبعد من
يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا أن يقول لهم أتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف برأيتهم من
هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بالصدق ثم قال يوسف (فإن لم تأتوني به) يعني باخيكم الذي من أبيكم (فلا
كيل لكم عندي) يعني لست أكيل لكم طعاما (ولا تقر بون) يعني ولا ترجعوا ولا تقر بوابلا دي وهذا
هو نهاية التخويف والترهيب لأنهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله إلا من عنده فإذا
منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك (قالوا) يعني أخوة يوسف (سئروا ودعنه آياه) يعني
سنجته ونحتال حتى نزرعه من عنده (وانا لفاعلون) يعني ما أمرنا به قوله عز وجل (وقال لفتياناه) يعني
يعني وقال يوسف لفتياناه وهم غلمان وأتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي
أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكي الضحاك عن ابن عباس أنها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل
وغى الأوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره (اعلمهم يعرفونها) يعني يعرفون بضاعتهم (إذا انقلبوا إلى أهلهم)
يعني إذا رجعوا إلى أهلهم (اعلمهم يرجعون) الينا واختلجوا في السبب الذي من أجله رد يوسف عليه
الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقتل انهم إذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قدرت اليهم علموا أن ذلك
من كرم يوسف وسخائه فيبغضهم ذلك على الرجوع إليه سر يعاوقيل أنه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء
آخر من المال لأن الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل إنه رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وأخوته لوم
لشدة حاجتهم إليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يرهم به
وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى إلى العود إليه وقيل إنما فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم
وأمانتهم تحمّلهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها في رحالهم لأنهم أنبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد بربد البضاعة
اليهم أن يكون ذلك عونا لآبائه وأخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبا مناع) أنا قد مناعنا على
خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم
يعقوب اذارجعتم إلى ملك مصر فافروا عليه مني السلام وقولوا له ان أبا ناصلي عليك ويدعوك بما أوليتنا
ثم قال لهم أين شمعون قالوا الرهنه ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا أبا مناع من الكيل) وفيه قولان
أحدهما أنهم لما أخبروا يوسف باخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لآبائهم وأخيهم المتخلف عندهم فبغضهم من
ذلك حتى يحضر فقوهم منع من الكيل إشارة إليه وأراد بالكيل الطعام لأنه يكال والقول الثاني أنه سيمنع
من الكيل في المستقبل وهو إشارة إلى قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقر بون وقال
الحسن يمنع من الكيل أن لم يحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى أخبرا عنهم (فارسل معنا أخانا) يعني بنيامين
(نكتل) قرى بالياء يعني يكتل لنفسه وقرى بالنون يعني نكتل نحن جميعا وآياه معنا (واناله لحافظون) يعني
نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة (قال) يعني يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل)
يعني كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وأنكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه
في يوسف وضمنتم لي حفظه وقتلناه واناله لحافظون فما فعلتم فلما لم يحصل الأمان والحفظ هنالك فكيف
يحمل ههنا قال (فأنت خير حفظا) يعني ان حفظ الله خير من حفظكم له فقبه التفويض إلى الله تعالى

ونكتل من الطعام ما يحتاج إليه يكتل حزة على أي يكتل أخونا فينضم كتياله إلى ا كتيالنا (واناله لحافظون) عن أن والاعتماد
يناله مكرهه (قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعني انكم قلتم في يوسف أرسله معنا غدا برنع وبلعب واناله لحافظون كما
تقولونه في أخيه ثم ختم بضامكم فما بأمنني من مثل ذلك ثم قال (فأنت خير حفظا) كوفي غير أبي بكر فتوكل على الله فهو ودفعه اليهم وهو حال

أوتيز ومن قرأ حفظاً فهو تميز لا غير (وهو أرحم الراحمين) فارجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فأنه خير حفظاً قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا ردن عليك كليمي (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبا ناسي) ما كنتي أي ما نبني في القول ولا تتجاوز الحق أو ما نبني شيئاً وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو لا استفهم أي أي شيء نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت إلينا) جلة مستأنفة موضحة لقوله ما نبني والجل بعد ما معطوفة عليها أي ان بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها (وغير أهلنا) في رجوعنا إلى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) في ذهابنا ومجيئنا فإيصيبه شيء مما نخافه (وزداد كيل بعير) زداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر (٣١) لا يتعاطيه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياء مكى (موثقاً) عهداً (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما تؤثق به من عند الله أي أراد أن يحلفوا بالله وانما جعل الحلف بالله موثقاً منه لان الحلف به مما يؤكده العهود وقد أذن الله في ذلك فهو اذن منه (لتأثني به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأثني به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلم تطيقوا الايمان به فهو مفعول واللام المبتدأ وهو قوله لتأثني به في تأويل النفي أي لا تمتنعوا من الايمان به الا لا لاحاطة بكم يعني لا تمتنعوا منه لعله من العلل الالهة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي (فلما آتوه موثقهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام

والاعتماد عليه في جميع الامور (وهو أرحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا يوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبر وأفارسه معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوج به إلى ذلك ﴿ قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعني الذي جلاوه من مصر فيحتمل أن يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) يعني انهم وجدوا في متاعهم عن الطعام الذي كانوا قد أعطوه ليوسف قدر د عليهم ودس في متاعهم (قالوا يا أبا ناسي) يعني ما ذا نبني وأي شيء نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ويعقوب احسان ملك مصر إليهم وحضوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلم يفتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم قالوا أي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والا كرام أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم (هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا) يقال مارأه يبرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر إليهم والمعنى أنا نشترى لأهلنا الطعام ونحمله إليهم (ونحفظ أخانا) يعني بنيامين مما نخاف عليه حتى يرده اليك (وزداد كيل بعير) يعني وزداد لاجل أخينا على أجالنا حمل بعير من الطعام (ذلك كيل يسير) يعني ان ذلك الحمل الذي زداده من الطعام هين على الملك لانه قد أحسن إلينا وأكرمنا يا كثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفيننا وأهلنا (قال) يعني قال لهم يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله) يعني ان أرسل معكم بنيامين حتى تؤثقوا عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد بشهادة الله عليه (لتأثني به) دخات اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأثني به (الا أن يحاط بكم) قال مجاهد الا أن تهلكوا جميعاً فيكون عندكم عندى لان العرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الا أن تغلبوا جميعاً فلا تقدر واعي الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعني فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما تقول وكيل) يعني قال يعقوب الله شاهد على ما تقول كان الشاهد وكيل بمعنى انه موكل اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فأنه خير حفظاً قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا ردن عليك كليمي ما بعد ما توكلت على وفوضت أمرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عابهم الوقت وجهدوا وأشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فأرسله معهم متوكلاً على الله ومفوضاً امره اليه ﴿ قوله عز وجل اخبرنا عن يعقوب (وقال يا بني لا تدخُلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ ثلثة أبواب وقال السدي أراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد

(قال) بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على ما تقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطاع غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول وهذا يجوز فالاولى أن يفرق بينهم بالصوت فيقصد بقوة النعمة اسم الله (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجلالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالترقي في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة فالعين حق عندنا وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصا فيه وخلافاً وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول أعينكم بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وأنكر الجبائي العيين وهو مردود بما ذكرنا وقيل انه أحب أن لا يفتن بهم أعداؤهم فيحتالوا لاهلهم

أعطوا جالا وقوة وامتدادا قامت وكانوا أولاد رجل واحد فامرهم أن يتفرقوا في دخولهم المدينة لتلاصبا بها
 بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجهور المفسرين (ق) عن أبي هريرة رضي الله
 عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخاري ونسب عن الوشم (م) عن ابن عباس عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا
 عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه العين أخرجه أبو داود قال الشيخ
 محي الدين النووي رحمه الله تعالى قال المازري أخذ جواهر العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق
 وأنكره طوائف من المتدعة والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب
 حقيقة ولا افساد دليل قاطع من مجوزات العقول واذا أخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه
 وانكاره وقيل لابد من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة قال وقد زعم بعض
 الطبائعين المتبئين للعين تأثير ان العائن تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا
 يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل بالمدغغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا
 فكذلك العين قال المازري وهذا غير مسلم لا يبين في كتب علم الكلام أنه لا فاعل الا الله تعالى وينافس افعال القول
 بالطبائع ويبيّن ان المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا انقضى هذا ابطال ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما
 جوهر واما عرض فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهر لان الجواهر
 متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسد البعض باولي من عكسه فباطل ما قالوه وأقرب طريقتهم من ينصل
 الاسلام منهم أن قالوا لا بعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالعين فتدخل مسام
 جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجراها الله عز وجل
 وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر
 العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثم
 جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنها واصله الى
 الله تعالى فنقطع من اطباء الاسلام بانبعث الجواهر فقد أخطأ في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعاق
 بعلم الاصول وأما ما يتعاق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء وهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما
 أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوء العائن فقد كور في كتب شروح الحديث
 ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا وضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من
 باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاه ابن
 الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة
 والسلام الا ان الله تعالى لم يأذن له في اظهار ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد ودخلوا
 من أبواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى أخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول
 أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله (وما أغنى عنكم من الله من
 شيء) يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم بمحققين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع
 حذر من قدر (ان الحكم الا لله) يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تقويض من يعقوب في
 أموره كلها الى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها لا على غيره (وعليه فليتوكل
 المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة
 الفرما أو بعد أبواب قد دخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغنى عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله
 سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء (الاحاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء

(وما أغنى عنكم من الله من شيء) أي ان كان الله أراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أنتمت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تقويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغنى عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيئا قط حيث أصابهم ما شاءهم مع تفرقهم من اضافة السرقه اليهم واقتضاهم بذلك وأخذ أخيههم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف الريبة على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقتهم عليهم

(وانه لدوعلم) يعني قوله وما أغنى عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعليمنا إياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) ضم إليه بنيامين وروى أنهم قالوا له (٣٣) هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم

أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي أخوك وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤا كاه وقال له أتعجب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قال) له (اني أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن إلينا وجعلنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى انه قال له فانا لأفارقك قال لقد علمت اغنام والدي بي فان حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الآن أنسبك الى مالا يحمد قال لأبالي فافعل ما بدا لك قال فاني أدس صاعى في رحلك ثم أنادى عليك بانك سرقة لينتهي إلى ودك بعد تسريحك معهم فقال افعل (فلما جهزهم بجهازهم) هيأ أسباغهم السقاية هي مشربة يسقي بها

منقطع ليس من الاول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حمدا أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه (وانه) يعني يعقوب (لدوعلم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لتعليمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لدوعلم للشيء الذي علمناه والمعنى اننا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لدو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لما عمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وتستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فانا أجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤا كاه فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه ويشمر ويحبه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثمان وسأضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال روييل مارأيتنا مثل هذا فذلك قوله آوى إليه أخاه يعني ضمه وأنزله معه في منزله فلم يخاله به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثل كل وذلك انه لما ولدته أمه هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من أخ لامك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف أتعجب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام إليه وعانقه (وقال) له (اني أنا أخوك) يعني يوسف (فلا تبتئس) يعني لا تحزن وقال أهل اللغة تبتئس تفعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعني فلا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن إلينا ونجاننا من الهلاك وجع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفاهم فاراد ان يجعل قلب أخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لأخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشيء مما أعلمتك به ثم انه أوفى لآخوته الكيل وزاد لكل واحد حل يعبر ولبنيا بن حل يعبر باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني أنا أخوك قال بنيامين أنا لأفارقك فقال يوسف قد علمت اغنام والدي على فاذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك الى مالا يحمد قال لأبالي فافعل ما بدا لك فاني لأفارقك قال فاني أدس صاعى في رحلك ثم أنادى عليهم بالسرقعة لينتهي إلى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيا لا تلايكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لانه واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا من منزله وقيل حتى

(٥ - (خازن) - ثالث) وأوى الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه)

وهي الصواع قيل كان يسقي بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب

وأهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمرهم فادركوا وجبهم ثم قيل لهم (أيها العير) هي الابل التي عليها الاحمال لانها تعبر أى تذهب ونحى والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أبيه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا تفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاء به حل بعير وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أو ذيه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جملا لمن حصاه (قالوا نالته) قسم فيه معنى التجب مما أضيف اليهم (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض) استعملوا بملهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأما اتهم حيث دخلوا وأقواءهم واحلهم مشدودة لثلاث تداول زرعاً وطعاماً لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فما جزاؤه) الضمير للصواع أى فاجزاء سرقة (ان كنتم كاذبين) في جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أى جزاء سرقة

خرجوا من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوقفهم وجبهم (ثم أذن مؤذن) يعنى نادى مناد واعلم معلم والاذن فى اللغة الاعلام (أيها العير) وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحير والبغال وقال الهيثم كل ما سار عليه من الابل والحير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعبر أى تذهب ونحى وقيل هى قافلة الحير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيها العير اراد أصحاب العير (انكم لسارقون) فقفوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء فان قاتل هل كان هذا النداء بامر يوسف أم لا فان كان بامره فكيف يليق يوسف مع علو منصبه وشرف رقبته من النبوة والرسالة ان يتهم أقواما وينسبهم الى السرقة كند باع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أظهر لآخيه انه أخوه قال لست أقارئك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يبق قال رضى بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضى به فلا يكون ذنباً الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه الا أنهم ما ظهر وهذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى ر بما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فلو اذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وماذا لك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا تنهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعنى المؤذن وأصحابه (تفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولمن جاء به) يعنى بالصواع (حل بعير) يعنى من الطعام (وأنا به زعيم) أى كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فى قوله الحيل غارم والحيل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا ينطق شيئا قلت لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جماعاً وأول مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعنى اخوة يوسف (نالته) التاء بدل من الواو ولا تدخل الاعلى اسم الله فى الجمين خاصة تقديره والله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على أمر من أحد هما انهم ما جاؤا لاجل الفساد فى الارض والثانى انهم ما جاؤا سارقين وإنما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهوانهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبرحتى بلغ من أمرهم أنهم شددوا أقواءهم لئلا تؤذى زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد فى حقه ممتنع وأما الثانى وهوانهم ما كانوا سارقين فلأنهم قد كانوا ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس يسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فما يثبت براءتهم من هذه التهمة (قالوا) يعنى أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعنى فاجزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين (قالوا) يعنى اخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله) يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله أن يسلم رقبته الى المروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك منه آل يعقوب فى حكم السارق وكان فى حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضيعى قيمة المروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان مجرى مجرى القطع فى شرعنا

(فهو جزاؤه) تقرير
 للحكم أي فاخذ السارق
 نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه
 مبتدأ والجملة الشرطية كما
 هي خبره (كذلك نجزي
 الظالمين) أي السارق
 بالاسترقاق (فبدأ بأوعيتهم
 قبل وعاء أخيه) فبدأ
 بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء
 بنيامين لنفي التهمة حتى
 بلغ وعاءه فقال ما ظن هذا
 أخذشـ يا ألقوا والله
 لا تتركه حتى تنظر في رحله
 فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا
 (ثم استخرجها) أي
 الصواع (من وعاء أخيه)
 ذكر ضمير الصواع مراراً
 ثم أثنى لأن التأنيث يرجع
 إلى السقاية أولان الصواع
 يذكر ويؤتى الكاف
 في (كذلك) في محل
 نصب أي مثل ذلك الكيد
 العظيم (كذلك يوسف)
 يعني علمناه إياه (ما كان
 ليأخذ أخاه في دين الملك)
 تفسير للكيد وبيان له لأن
 الحكم في دين الملك أي
 في سيرته للسارق أن يغرم
 مثلي ما أخذ إلا أن يستعبد
 (الآن يشاء الله) أي ما
 كان ليأخذه إلا بمشيئة الله
 وإرادته فيه (رفع درجات)
 بالتسوية كوفي (من
 نشاء) أي في العلم كما رفعنا
 درجة يوسف فيه (وفوق
 كل ذي علم عليم) فوقعه أرفع

فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم إليهم والمعنى أن جزاء السارق أن يستعبد سنة
 جزاء له على جرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعني هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين) يعني مثل هذا
 الجزاء وهو أن يسرق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام أخوة يوسف وقيل هو من
 كلام أصحاب يوسف فعلى هذا أن أخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق أن يسرق سنة قال أصحاب يوسف
 كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير إن
 أخوة يوسف لما أقرروا أن جزاء السارق أن يسرق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رجالكم فردوهم
 إلى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لزالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم
 واحداً واحداً قال قتادة ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر وعاء إلا استغفر الله دائماً فما قد فهم به حتى
 لم يبق إلا رحل بنيامين قال ما ظن هذا أخذشـ يا ألقوا أخوته والله لا تتركه حتى تنظر في رحله فإنه أطيب
 لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) إنما
 أنت الكناية لأنه ردها إلى السقاية وقيل إن الصواع بذكر ويؤتى فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين
 لكس أخوة يوسف رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يابسون ويقولون له ما صنعت بنا فضحتنا وسودت
 وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنور راحيل ما زال لهم
 منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية أن الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في
 رحالكم قالوا فخذ بنيامين رقيقاً وقيل إن المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين
 استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه إلى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعني
 ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو إشارة إلى الحكم الذي ذكره أخوة يوسف باسترقاق السارق أي مثل
 ذلك الحكم الذي ذكره أخوة يوسف حكماً به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق
 الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء
 الكيد يعني كما فعلوا ليوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما
 ألهمنا أخوة يوسف بأن حكموا أن جزاء السارق أن يسرق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل
 أخيه ليضمه إليه على ما حكم به أخوته وقال ابن الأعرابي الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى
 كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الأنباري كدنا وقع خبراً من الله عز وجل على خلاف
 معناه في أوصاف المخلوقين فإنه إذا أخبر به عن مخلوق كان تحت احتيال وهو في موضع فعل الله معرى من
 المعاني المدمومة ويخلص بانه وقع بمن يكيد به تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من
 الله مشبته بالذي يكون من أجل أن المخلوق إذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمه له من الذي يقع به
 من الكيد فهو من الله تعالى أسترأذ هو ما ختم الله به عاقبته والذي وقع بأخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى
 إليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتعام النعمة وحيث جرى الأمر على غير ما قدر وأمن أهلاً كهو حلوص
 أيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيداً لأنه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون
 كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائداً إلى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير
 أخوته من غير أن يشعر بذلك وقوله تعالى (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه
 لأنه كان في حكم الملك أن السارق يضرب ويغرم ضعف قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن
 يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل إلى ذلك (الآن
 يشاء الله) يعني أن ذلك الأمر كان بمشيئة الله وتدبيره لأن ذلك كله كان إلهاماً من الله ليوسف وأخوته حتى
 جرى الأمر على وفق المراد (رفع درجات من نشاء) يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على أخوته وفي هذه
 الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لأن الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته

درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليهم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أرادوا يوسف قبل دخل كنيته فاخذتمنا لصغيرا (٣٦) من ذهب كانوا يعبدونه فدفقته وقيل كان في المنزل دجاجة فاعطاها

لسائل وقيل كانت منطقة لآبراهيم عليه السلام يتوارثها كبر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحسنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن يزرعه منها فعمدت الى المنطقة فزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت منه فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياهم وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنوراحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم باخي فاهلك قوه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم (فاسرها) أي مقاتلهم انه سرق كأنه لم يسمعها (يوسف في نفسه ولم يبد لها ظم) قال أتم شرمكانا) تميز أي أتم شرمكة في السرقة لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) في السن أو في القدر

على اخوته بالعلم وبما أظمه على وجه الطداية والصواب في الامور كلها (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينتهي العلم الى الله تعالى فانه تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب أن ينهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغيبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه ﴿قوله تعالى﴾ (قالوا) يعني اخوة يوسف (ان يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه الذي هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام ان السارق على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهم من أم أخرى غير أمناواختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجد أبي أمه صنم وكان يعبد فآخذه يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لئلا يعبد وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فآخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذكري محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحسنته عمته وأحبته حباً شديدا فلما نزع وع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فآخذه فقال لاخيه يا اختاه سامي الى يوسف فوالله ما أقدر على ان يقرب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال طاب والله ما أتاك ركه عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لي سلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى مات فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب المارقة ولكنها شبه السرقة فيعبرون بها عند الغضب (فاسرها يوسف في نفسه ولم يبد لها ظم) في هاء الكناية ثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أتم شرمكانا) روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قوطم فقد سرق أخ له من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبد لها ظم (قال أتم شرمكانا) يعني منزلة عند الله ممن رمتهم بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) يعني بحقيقة ما تقولون ﴿قوله عز وجل﴾ (قالوا) يعني اخوة يوسف (يا أيها العزيز) يخاطبون بذلك الملك (ان له أبا شيخا كبيرا) قال أصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه ثم قال ان صواعي هذا تخبرني انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من أيكم فبعتموه قال بنيامين أيها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد رزيت مع من كنت قالوا فغضب روييل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روييل اذا غضب لم يهم لغضبه شيء وكان اذا صاح ألقى كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد

يعقوب

شر منزلة في السرقة لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) في السن أو في القدر

(نقد أحد أماكنه) أبدله على وجه الاسترهان أو الاستبعاد فان أباه ينسب به عن أخيه المفقود (اناراك من الحسنين) الينا فأنتم احسانك ومن عادتكم الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذنا من أن نأخذ قاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من (انا ذا الظالمون) اذا جواب لهم وجزاء لان (٣٧) المعنى ان أخذنا بد ظلمنا وهذا لانه

وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظالما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم (فلما استياسوا) يشواوز زيادة السين والتاء للبالغة كما مر في استعصم (منه) من يوسف واجابته اياهم (خلصوا) افردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أي مناجيا المناجاة بعضهم بعضا أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجدواهتمام كلهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته فالتجى يكون بمعنى المناجي كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذى هو التناجي وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لا يهتم في شأن أخيه (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل أو في العقل والرأى وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في

يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشد هم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال كفو في أتم الاسواق وأنا كفيكم الملك أو كفو في أتم الملك وأنا كفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لترد علينا أخانا أولا يصيحن صيحة لا يفي بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها و قامت كل شعرة في جسده وويل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فسه أو خذ بيده فأتى له فلما سمع سكن غضبه فقال لاخوته من مسنى منكم قالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل ان هذا بذر من بذري يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال أتم يا عشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى تخلصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا يعنى في السن ويحتمل أن يكون كبير في القدر لانه نبي من أولاد الانبياء (نقد أحد أماكنه) يعنى بدلا عنه لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك (اناراك من الحسنين) يعنى في أفعالكم كلها وقيل من الحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا وأخذت أحدنا مكانه كنت من الحسنين (قال معاذ الله) يعنى قال يوسف أعوذ بالله معاذا (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق نحر زاعن الكذب لانه يعلم أن أخاه ليس بسارق (انا ذا الظالمون) يعنى ان أخذنا بربنا بذنب غير دقان قلت كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال بابيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجدأبيه عليه ففيه مافيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مافيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كماهات قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها وأصحها أنه لما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لاعتن أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آياته الماضية والله تعالى اسرار لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشاء وهو الذى أخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم باحوال عبادہ ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فلما استياسوا منه) يعنى أيسوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه وقيل أيسوا من أخيه أن يرد عليهم وقال أبو عبيدة استياسوا أي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) يعنى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعنى في العقل والعلم لاني السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا في يوسف لانه نهاهم عن قتله (ألم تعلموا أن أباكم) يعنى يعقوب (قد أخذ عليكم موثقا) يعنى عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف) يعنى قصرتم في أمر يوسف حتى ضيعتموه (فلن أبرح الارض) يعنى الارض التي أنا فيها وهي أرض مصر والمعنى فلن أخرج من أرض مصر ولا أفارقها على هذه الصورة (حتى يأذن لي أبي) يعنى في الخروج من أرض مصر فيدعوني اليه (أو يحكم الله لي) بردأخي على أو بخروجي معكم وترك أخي أو يحكم الله لي بالسيف فاقتلهم حتى استردأخي (وهو خير الحاكين) لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الانجاء الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى أبيكم) يعنى يقول الاخ الكبير

يوسف) ماصلة أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل نفر يطكم في يوسف (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) في الانصراف اليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم (وهو خير الحاكين) لانه لا يحكم الا بالعدل (ارجعوا الى أبيكم

فقلوا يا ابناء ان ابنك سرق (وفري سرق أي (٣٨) نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الاباعلمنا) من سرقة وتيقنا اذ الصواع استخرج

من وعائه (وما كنا للغيث حافظين) وما علمنا انه سرق حين أعطيناك الموثق (واسئل القرية التي كنا فيها) يعني مصر أي أرسل الى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (والعبر التي أقبلنا فيها) وأصحاب العبر وكانوا قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وانا اصادقون) في قوائم فرجعوا الى أيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه والافن أدري ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فصبر جيل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا) يوسف وأخيه وكبيرهم (انه هو العليم) بحالي في الحزن والاسف (الحكيم) الذي لم يتلنى بذلك الاحكام (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (وقال يا سفا على يوسف) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والاتف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الاسف ويوسف غير متكلف ونحوه انما قلتم الى الارض أرضيتهم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبابنا وانما اسف

الذي عزم على الإقامة بمصر لاختوته الباقيين ارجعوا الى أبيكم يعقوب (فقلوا) له (يا ابناء ان ابنك سرق) انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لافي حقيقة الحال وبدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا الاباعلمنا) يعني ولم نقل ذلك الا بعد ان رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشدة في عمرنا على شيء الاباعلمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صديق ابنك أنه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لا أنا شهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديد هاء أي نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تأويل ومعناه ان القوم نسبوه الى السرقة الا أن هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الاباعلمنا يعني وما قلنا هذا الاباعلمنا فانما رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل قال له يعقوب هب أنه سرق فليدري هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة الا بقولكم قالوا وما شهدنا عنده ان السارق يسترق الاباعلمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز لي يعقوب اخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مساهما فلذلك أنكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه أنه كافر (وما كنا للغيث حافظين) قال مجاهد وقتادة يعني ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير أمرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أماننا لما لنا الى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لئله ونهاره ومحبيته وذهابا به حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله ففعل الصواع دس في رحله ونحن لانعلم بذلك (واسئل القرية التي كنا فيها) يعني واسئل أهل القرية الا أنه حذف المضاف للإيجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعبر التي أقبلنا فيها) يعني واسأل القافلة التي كنا فيها وكان أصحابهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وانا اصادقون) يعني فيما قلناه وانما أمرهم أخوهم الذي أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة عن أنفسهم عند أيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) فيه اختصار تقديره فرجعوا الى أيهم فاخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لا يهملهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حل أخيك معكم الى مصر لطلب نفع عاجل قال أمركم الى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق (فصبر جيل) تقدم تفسيره في أول السورة وقوله (عسى الله ان يأتيني بهم جميعا) يعني يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي أقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنه علم ان الله سيجعل له فرجا ونجرا عاجل فرب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من أول الامر وهو رؤيا يوسف وقوله يائى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله ان يأتيني بهم جميعا (انه هو العليم) يعني بحزني ووجدى عليهم (الحكيم) فليدبره ويقضيه ﴿ قوله تعالى (وتولى عنهم) يعني وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين حينئذ تناهى حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم (وقال يا سفا على يوسف) الاسف أشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك

على يوسف دون أخيه وكبيرهم لئلا يدى أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على ان الزرع فيه مع تقادم عهد كان غضا اوجع هذه طريا (وايضت عيناه) اذا كثرت الاستعبار ومحتت العبرة سواد العين وقلبه الى بياض كدر وقيل قد عمى بصره وقيل كان قد يدرك

ادراك ضعيفا (من الحزن)
 لان الحزن سبب البكاء
 الذي حدث منه البياض
 فكانه حدث من الحزن
 قيل ما جفت عينا يعقوب
 من وقت فراق يوسف الى
 حين لقائه ثمانين عاما وما على
 وجه الارض اكرم على
 الله من يعقوب ويجوز للنبى
 عليه السلام ان يبلغ به
 الجزع ذلك المبلغ لان
 الانسان مجبول على ان
 لا يملك نفسه عند الحزن
 فذلك جد صبره ولقد بكى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على ولده ابراهيم وقال
 القلب يجزع والعين تدمع
 ولا نقول ما يخطئ الرب
 وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
 وانما المذموم الصياح
 والنياحة ولطم الصدر
 والوجوه وتمزيق الثياب
 (فهو كظيم) مملوء من
 الغيظ على اولاده ولا يظهر
 ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول
 بدليل قوله اذ نادى وهو
 مكظوم من كظم السقاء اذا
 شده على ملئه (قالوا والله
 تقتوا) أى لا تقتلوا خذف
 حرف التثنية لانه لا يلتبس
 اذ لو كان اثباتا لم يكن بد
 من اللام والنون ومعنى
 لا تقتلوا لا تزال (تذكر يوسف
 حتى تكون جرضا) مشفيا
 على الهلاك مرضا (أو
 تكون من الهالكين

أوجع للقلب وأعظم لهجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة رأى قبرا جديدا جدد خزنه على أخيه مالك
 يقول أتبكي كل قبر رأيت به • لقبر نوى بين اللوى والدكادك
 فقلت له ان الاسى يبعث الاسى • فدعنى فهذا كله قبر مالك

فاجاب بان الحزن يحدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب ينسلى عن
 يوسف وبنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد خزنه عليه ووجدته وجد دخرته على يوسف لان يوسف كان
 أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية
 واطهار جزع فلا يلقى بعلم منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة
 والسلام شكالى الله لانه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يا رب ارحم أسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى
 عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ وتلخيصه يا الهى
 ارحم أسفى وأنت رأتى أسفى وهذا أسفى فنادى الاسف فى اللفظ والمنادى سواء فى المعنى ولا مآثم اذ لم ينطق
 اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير
 مألوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أى
 اشكو الى الله شدة أسفى على يوسف ولم يشكه الى أحد من الخلق بدليل قوله انما أشكو بنى وحزنى الى الله
 (وابيضت عيناه من الحزن) أى عفى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيئا ست سنين وقيل انه
 ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج
 من العين (فهو كظيم) أى مكظوم وهو الممتلىء من الحزن الممسك عليه لا يشهه قال قتادة وهو الذى يردد
 خزنه فى جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيا ثمانون سنة
 لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه
 والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق
 قال يوسف أرى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل
 المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقرين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض
 بطهر التبيين وان الارض التى يدخلونها هى أطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله
 يا أطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لبى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين
 المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك فى عصية ربك
 فذلك سببك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من
 يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجليل
 قال فما قدر خزنه قال حزن سبعين شكلاء قال فله من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افترانى لاقية
 قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالى مما لقيت ان رأيت • قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف
 عليه الصلاة والسلام لا يهمل (تالله تفتؤا نذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفتقر عن حبه يقال ما فتئ
 يفعل كذا أى مازال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم خذفت لما تخفيف كقول امرئ القيس
 فقلت بمين الله أبرح قاعدا • ولو قطعوا رأسى ليدبك وأوصالى

أى لا أبرح قاعدا • وقوله (حتى تكون جرضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرض مادون الموت
 يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد العقل له والحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائب من
 الهم وأصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنفا الجسم
 محبوس العقل يعنى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (أو تكون من الهالكين) يعنى من

الاموات فان قلت كيف خلقوا على شيء لم يعلموا حقيقته قطعاً قلت انهم بذوا الامر على الاغلب الظاهر أي
 نقوله ظناً منا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعني يعقوب عند ما رأى قومه له وغلظتهم عليه (انما أشكوا بني
 وحرني الى الله) أصل البت اثاره الشيء ونفر يقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة
 البت أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكفه كان عما فاذا ذكره لغيره كان بشا فالبت أشد الحزن
 والحزن اظم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكوا حزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي
 روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان
 ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال أما الذي
 أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأناه جبريل فقال يا يعقوب
 ان الله يقرئك السلام ويقول لك اما تستحي ان تشكوا الى غيري فقال انما أشكوا بني وحرني الى الله فقال
 جبريل الله أعلم بما تشكروا وقيل انه دخل على يعقوب جاره فقال له يا يعقوب مالي أراك قد تهتمت بالضعف
 وفيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فقال همني وأفتاني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه
 يا يعقوب أشكوا بني وحرني الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزني وجلالي لا أكشف ما بك حتى
 تدعوني فعند ذلك قال انما أشكوا بني وحرني الى الله ثم قال أي رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري
 وقوس ظهري فأردد على رحمتي أشمها شمة قبل ان أموت ثم اصنع ما شئت فأناه جبريل فقال يا يعقوب
 ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزني لو كانا ميتين لشرتهما لك أنتدري لم وجدت عليك لانكم
 ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئاً وان أحب عبادي الى الانبياء ثم
 المساكين اصنع طعاماً وادع اليه المساكين فصنع طعاماً ثم قال من كان صائماً فليطعم الليلة عند آل يعقوب وكان
 بعد ذلك اذا تغدى أمر منادياً ينادي من أراد أن يتغدى فليأت آل يعقوب واذا أظفر أمر أن ينادي من
 أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتغشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى
 يعقوب أنتدري لم عافيتك وحبت عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عنا فاقترت على
 جارك وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاه يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي أمه وهي تخور فلم يرجها فان قلت
 هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابراشيات
 المقر بين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر منصبهم وشرى رتبهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام
 من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره الى الله
 فأبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى في النار فصبر ولم يشك الى أحد واسماعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض أمره
 الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى أحد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي
 بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء على فقد عمه وهو مع ذلك صابر لم يشك الى أحد شيئاً مما نزل به وانما
 كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكوا بني وحرني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم
 والثناء الجليل في الدنيا والدرجات العلافي الآخرة مع من سلف من أبويه إبراهيم واسحق عليهما الصلاة
 والسلام وأما مدح العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذم ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا
 بدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده إبراهيم عند موته وقال ان العين تدمع
 وان القلب يحزن وما نقول الا ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا
 لا حرج فيه على أحد من الناس في وقوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني أنه تعالى من رحمته واحسانه يأتي
 بالفرج من حيث لا أحسب وفيه إشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك

قال انما أشكوا بني وحرني
 الى الله) البت أصعب الهم
 الذي لا يصبر عليه صاحبه
 فينه الى الناس أي ينشره
 أي لا أشكوا الى أحد منكم
 ومن غيركم انما أشكوا الى
 ربي داعياله وملتجئ اليه
 خفوني وشكايي وروى انه
 أوحى الى يعقوب انما
 وجدت عليكم لانكم ذبحتم
 شاة فوقف ببابكم مسكين
 فلم تطعموه وان أحب خلقي
 الى الانبياء ثم المساكين
 فاصنع طعاماً وادع اليه
 المساكين وقيل اشترى
 جارية مع ولدها فباع
 ولدها فبكت حتى عميت
 (وأعلم من الله ما لا تعلمون)
 وأعلم من رحمته انه يأتيني
 بالفرج من حيث
 لا أحسب وروى أنه رأى
 ملك الموت في منامه فسأله
 هل قبضت روح يوسف
 فقال لا والله هو حي فأطلبه
 وعلمه هذا الدعاء اذا
 المصروف الدائم الذي
 لا يتقطع معروقه أبداً ولا
 بحصه غيرك فرج عني

الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ربح الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح
ابني يوسف في الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله ما لا تعلمون
وقيل معناه واعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق وانى وأتم سنسجده وقال السدي لما أخبره بنوه بسيرة ملك
مصر وكما حاله في جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني
يعقوب (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس
بالجيم وقيل ان التحسس بالخاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب
الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من
فلان وقال هنام يوسف وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من التبويض ويكون المعنى
تحسسوا خبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة أن يعقوب كتب كتابا إلى
يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب إسرائيل الله ابن اسحق ذبح الله ابن
إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى إبراهيم فشدت بداهه ورجلاه
والتي في النار فخطبها الله عليه بردا وسلاما وأما في فشدت بداهه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله
وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به أخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا
قدأكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أنسلى به وأنتك حبسته وزعمت
أنه سرق وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته إلى والادعوت عليك دعوة تدرك السابع من
ولده فلما قرأ يوسف كتاب إليه اشتد بكاءه وعمل صبره وأظهر نفسه لأخوته على ما سئد كره ان شاء الله تعالى
فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه (ولا تيأسوا) أى ولا تقنطوا (من روح الله) يعني
من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا يئأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعني ان
المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد
ذلك قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عندهم قاصدين مصر فلما
دخلوا عليه يعني على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز
لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن
وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من
البائع وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والترزجية دفع الشيء لينساق كترزجية الريح السحاب ومنه
قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعني هي قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها القلة الاعتناء
بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة اما لنقصانها أو لرداءتها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات
المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق القرائر
والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقطو وقال الكلبي ومقاتل كانت حبة الخضراء وقيل
كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من
قولهم فلان يزجي العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لنُدفع بها الزمان
وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها صر دودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها
(فأوف لنا الكيل) يعني أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى اننا نريد أن نقيم لنا الزائد
مقام الناقص والجيد مقام الرديء (وتصدق علينا) يعني ونفضل علينا بما بين الثمين الجيد والرديء ولا
تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المسألة يشبه الصدقة وليس به
واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للأنبياء قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت

(يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف وأخيه) فتعرفوا
منهما وتطلبوا خبرهما وهو
تفعل من الاحساس وهو
المعرفة (ولا تيأسوا من روح
الله) ولا تقنطوا من رحمة
الله وفرجه (انه) ان الامر
والشأن (لا يئأس من روح
الله الا القوم الكافرون)
لان من آمن يعلم انه متقلب
في رحمة الله ونعمته وأما
الكافر فلا يعرف رحمة الله
ولا تنقلبه في نعمته فيئأس
من رحمة فخرجوا من عند
أيهم راجعين إلى مصر
(فلما دخلوا عليه) على
يوسف (قالوا يا أيها العزيز
مسنا وأهلنا الضر) اطرال
من الشدة والجوع (وجئنا
ببضاعة مزجاة) مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها
واحتقار لها من أزجيتها
اذا دفعته وطرده قيل
كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ
الا بوضيعة وقيل كانت
صوفا وسمنا (فأوف لنا
الكيل) الذي هو حقنا
(وتصدق علينا) وتفضل
علينا بالمساحة والاعراض
عن رداءة البضاعة وزدنا
على حقنا أوجب لنا أمانا

حلالات الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال
 الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاعتماد عليهم والصدقة
 أو سائح الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواه وأجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه أن
 يجزيهم على عاداتهم من المسامحة وإيفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة
 لانفس الصدقة وكره الحسن ومحامده أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا
 من يتقنى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من
 يتقنى الثواب قل اللهم اعطني وتفضل على وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعني بردأخينا علينا
 (ان الله يجزي المتصدقين) يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه
 مؤمن (قال) يعني قال يوسف لآخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا في السبب الذي من
 أجله حل يوسف وهيجبه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي أنهم لما ظفروا بهذا الكلام أدركته رقة على
 أخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل أنه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه بيعة من مالك وفي آخره وكتبه
 يهودا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا أيها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاف ذلك يوسف وقال
 انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهودا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد
 واحد منا فكيف اذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعت بامتعتنا الى أين فانه بمكان
 كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرحمة فبكي وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه
 اليه لم يتمالك أن يبكي وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة
 ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفرقه من أبيه وهذا
 كما يقال للذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد هذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تفضيع
 الامر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقيب ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله إليهما من
 المكروه وأعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتبشئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان
 قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فالذي فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم
 يسعوا في حبه ولا أرادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف تفصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه
 كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منك يا بني راحيل خيرا (اذا تم جاهلون)
 هذا مجرى مجرى العذر لهم يعني انكم انما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو
 وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه أمر يوسف قوله عز وجل (قالوا أنك لآنت يوسف)
 قرئ على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه
 تبسم فرأوا ثانياه كاللؤلؤ تشبه ثانيا يوسف فشبوه يوسف فقالوا استفهاما أنك لآنت يوسف وقرئ على
 الخبر وحجة ما قال ابن عباس أيضا رواية أخرى عنه أن أخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه
 وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا أنت
 يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى (قال أنا يوسف) قال بعض العلماء انما أظهر الاسم في
 قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما نزل به من ظلم أخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك
 فكانه قال أنا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بأن ألقيتموني في الحب ثم بعتموني بأخس الأثمان
 ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال (وهذا أخي) وهم يعرفونه لانه
 قصد به أيضا وهذا أخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت أنا هو الى ماترون وهو قوله (قدم الله علينا)
 بأن جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا (انه)

(ان الله يجزي المتصدقين)
 ولما قالوا منا وأهلنا الضر
 ونفصر عوا اليه وطلبوا منه
 أن يتصدق عليهم ارفضت
 عيناه ولم يتمالك أن عرفهم
 نفسه حيث قال (قال هل
 علمتم ما فعلتم بيوسف) أي
 هل علمتم قبح ما فعلتم
 بيوسف (وأخيه اذا تم
 جاهلون) لا تعلمون فبيعه
 أو اذا تم في حد السفه
 والطيش وفعلهم بأخيه
 نعر بعضهم اياه للغم بأفراده
 عن أخيه لا يبيعه وأمه
 واذاؤهم له بأنواع الاذى
 (قالوا أنك) بهمزتين
 كوفي وشامي (لآنت
 يوسف) اللام لام الابتداء
 وأنت مبتدأ ويوسف خبره
 والجملة خبران (قال أنا
 يوسف وهذا أخي) وانما
 ذكر أخاه وهم قد سألوه عن
 نفسه لانه كان في ذكرا أخيه
 بيان لما سألوه عنه (قدم
 الله علينا) بالالفه بعد
 الفرقه وذكر نعمة الله
 بالسلامة والكرامة ولم
 يبدأ باللامه (انه)

من يتق (و يصبر) عن المعاصي وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجورهم فوضع المحسنين موضع الضمير لا شئنا
على المتقين والصابر بن وقيل من يتق مولاة ويصبر على بلواه لا يضيع أجره في دنياه وعقباه (قالوا والله لقد أترك الله علينا) اختارك وفضلك
علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا خاطئين) وان شأنا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للآثم لم تتق ولم نصبر لاجرم ان
الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قال لا تثريب عليكم) (٤٣) لا تعير عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو يغفر

والمعنى لا أثر بكم اليوم
وهو اليوم الذي هو مظنة
التثريب فإظنكم بغيره من
الايام ثم ابتداء فقال (يغفر
الله لكم) فدعا لهم بغفرة
ما فرط منهم يقال غفر الله
لك ويغفر لك على لفظ
الماضي والمضارع أو اليوم
يغفر الله لكم بشارة بعاجل
غفران الله وروى أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخذ بعضادتي باب
الكعبة يوم الفتح فقال
لقريش ما ترونني فاعلا بكم
قالوا نظن خيرا أخ كريم
وابن أخ كريم وقد قدرت
فقال أقول ما قال أخي
يوسف لا تثريب عليكم اليوم
وروى ان أباسفيان لما جاء
ليسلم قال له العباس اذا
أتيت رسول الله فاتل عليه
قال لا تثريب عليكم اليوم
ففعل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم غفر الله لك
ولن علمك وروى ان
اخوته لما عرفوه أرسلوا
اليه انك تدعونا الى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحي
منك لما فرط منا فيك

من يتق ويصبر) يعني يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن
وقيل يتق الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أجر من كان هذا حاله
(قالوا) يعني قال اخوة يوسف معتدلين اليه بمصادر منهم في حقه (قالوا والله لقد أترك الله علينا) أي
اختارك وفضلك علينا يقال أترك الله ايشاء أي اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى
لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم
والصفح علينا وقيل بالحسن ومائر الفضائل الذي أعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة
وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل في ذلك وأجيب عنه بان يوسف
فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جعت له النبوة والرسالة كان أفضل
من خص بالنبوة فقط (وان كنا خاطئين) يعني وما كنا في صنعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ
على المخطئ والفرق بينهما ان يقال خطئ خطأ اذا تعمداً وخطأ اذا كان غير متعمداً وقيل يجوز ان يكون
أثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآي لان خاطئين أشبه بما قبلها (قال) يعني يوسف (لا تثريب
عليكم) يعني لا تعير ولا توبخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدم فليجلدها الحد ولا يوبخها
ولا يثرب أي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع الى ما قبله
فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقرير والتوبيخ وأنا لا
أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبدأ
بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله
لا تثريب عليكم ويبدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفي عنهم التوبيخ والتقرير بقوله لا تثريب عليكم
بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال
ما حال أبي بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم قيصه وقال (اذهبوا بقميصي هذا) قال
الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قيصه وكان ذلك القميص
قيص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقي في النار عرياناً أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فلبسه اياه
فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب
ذلك القميص في قسبة من فضة وسدر أسها وجعلها في عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين
وكانت لا تفارقه فلما ألقى يوسف في البئر عرياناً أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان
هذا الوقت جاءه جبريل فأمره ان يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيه ربح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم
الاعوفى في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فالتقوه على وجه أبي
يات بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحى
الله اليه ذلك ويمكن أن يقال ان يوسف لما علم أن أباه قد عمى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه

فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم فأنهم ينظرون الى العين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ابيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد
مرفت الآن بكم حيث علم الناس أني من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أي اذار جتكم وأنا الفقير القنور فإظنكم بالفني الغفور ثم سألهم
عن حال أبيه فقالوا انه عمى من كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من
الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيه ربح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى (فالتقوه على وجه أبي يات بصيراً) يصير بصيراً تقول جاء
البناء محكاً أي صار أو يأت الى وهو بصير قال يهودا أنا أجل قيص الشفاء كما ذهب بقميص الحفاء وقيل جله وهو حافر حاسر من مصر الى

كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (وأتوني بأهلكم أجمعين) لينعموا بأثام ملكي كما اغتموا بأخبار ملكي (ولما فصلت العير) فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) لولد له خرجت من عريش مصر يقال

(٤٤)

ومن حوله من قومه (أني لاجدر ربح يوسف) أوجده الله ربح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفنيد النسبة إلى الفند وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ فند والمعنى لولا تفنيدكم إياي لعد قمتوني (قالوا) أي أسباطه (تالله أنك لني ضلالك القديم) لني ذهابك عن الصواب قديم في إفراط محبتك ليوسف أوفى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم أنه قد مات (فلما أن جاء البشير) أي يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد فرجع بصرا) يقال رده فارتد وارنده إذا رجع (قال ألم أقل لكم) يعني قوله أني لاجدر ربح يوسف أو قوله ولاتياسوا من روح الله وقوله (أني أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون

قبضه ليجدر ربحه فيزول بكافه ويشرح صدره ويشرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدرة كن معرفته من جهة العقل وقوله (وأتوني بأهلكم أجمعين) قال الكلبي كانوا نحو من سبعين إنسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين إلى أرض كنعان (قال أبوهم) يعني قال يعقوب لولد له (أني لاجدر ربح يوسف) قيل إن ربح الصبا استأذنت ربهاني أن تأتي يعقوب ربح يوسف قبل أن يأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ربح فاحتملت ربح القميص إلى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فعلم أنه ليس في الأرض من ربح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك أنه من ربح يوسف فلذلك قال أني لاجدر ربح يوسف (لولا أن تفندون) أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأي وقال ابن الأنباري أفند الرجل إذا خرف وفند إذا جهل ونسب ذلك إليه وقال الأصمعي إذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو الفنيد والفند فيكون المعنى لولا أن تفندوني أي تنسبوني إلى الخرف وقيل تسفهوني وقيل تلوموني وقيل تجهلوني وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرموني فتقولون شيخ كير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعني أولاد أولاد يعقوب وأهل الذين عنده لأن أولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (تالله أنك لني ضلالك القديم) يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لأنه كان عندهم أن يوسف كان قد مات وهلك ويرون أن يعقوب قد طبع بذكره فلذلك قالوا والله أنك لني ضلالك القديم يعني من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما أن جاء البشير) وهو البشير بنحبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدي قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب وأخبرته أن يوسف أكل الذئب فانا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي فأفرجه كما أحرته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا بعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوفأ كلها حتى أتى أبيه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (ألقاه على وجهه) يعني ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصرا) يعني فرجع بصرا بعد ما كان قد عمى وعادت إليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم أني أعلم من الله ما لا تعلمون) يعني من حياة يوسف وأن الله يجمع بيننا وروى أن يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة ﴿قوله تعالى﴾ (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) يعني قال أولاد يعقوب حين وصلوا إليه وأخذوا يعتذرون إليه عما صنعوا به ويوسف استغفر لنا أي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (أنا كنا خاطئين) يعني في صنيعنا (قال سوف أستغفر لكم رب) قال أكثر المفسرين أن يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم إلى وقت السحر لأنه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب إلى وقت السحر قام إلى الصلاة متوجها إلى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه إلى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لأولادي ما أتوا إلى أخيه يوسف فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس أنه أخر الاستغفار لهم إلى ليلة الجمعة لأنها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار إلى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف

استغفر

وروى أنه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته

قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا أنا كنا خاطئين) أي سل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق

ابنك أتينا واعترفنا بخطايانا (قال سوف أستغفر لكم رب)

انه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة أو ليتعرف حالهم في صدق التوبة أو الى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم
م أن يوسف وجهه الى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند
والعظماء وأهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو عشي يتوكأ على يهودا (فلما دخلوا) (٤٥) على يوسف آوى اليه) ضم اليه

(أبو به) واعتنقهما قليل
كانت أمه باقية وقيل ماتت
وتزوج أبوه خالته والخاله
أم كان الم أب ومنه قوله
واله آباءك إبراهيم
واسماعيل واسحق ومعنى
دخولهم عليه قبل دخولهم
مصر انه حين استقبلهم
أنزلهم في مضرب خيمة
أو قصر كان له ثمة فدخلوا
عليه وضم اليه أبويه
(وقال) لهم بعد ذلك
(ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين) من ملوكها وكانوا
لا يدخلونها الا بجوار أو
من القحط وروى انه لما
لقيه قال يعقوب عليه
السلام السلام عليك
يامذهب الازنان وقال له
يوسف يا بني بكيت على
حتى ذهب بصرك ألم تعلم
ان القيامة تجمعنا فقال بلى
ولكن خشيت أن يسلب
دينك في حال بيني وبينك
وقيل ان يعقوب وولده
دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون مابين رجال
ونساء وخرجوا منها مع
موسى ومقاتلهم ستمائة ألف
 وخسمائة وبضعة وسبعون
رجلا سوى الذرية والهرمي

استغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى (انه هو الغفور) يعنى
لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الخواص الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ
الأتري الى قول يوسف لا خونه لا تريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربى قال أصحاب
الخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتي راحلة وجهازا كثيرا لياتوه يعقوب
وجميع أهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون مابين
رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كان يوسف الملك الا كبر يعنى ملك
مصر وعرفه بجىء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم
يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب عشي وهو يتوكأ على يده يهودا فلما نظر الى الخيل
والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف
أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يامذهب
الازنان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابي
يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك في حال
بينى وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعنى ضم اليه (أبو به) قال أكثر المفسرين
هو أبوه يعقوب وخالته لياو كانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وأمّه وكانت حية بعد
وقيل ان الله أحياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوסף تحقيقا لرؤياه والاول أصح (وقال ادخلوا مصر)
قيل أكراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا
مصر يعنى البلاد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثانى الاستيطان بها أى ادخلوا
مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا
مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل أن يدخلوا مصر وقيل
ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون فى الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم
ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف
ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهلكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى
الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لا حق بهم (ورفع أبويه على العرش) يعنى على السرير
الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخروا له سجدا) يعنى يعقوب وخالته لياو واخوته
وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على
الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى
منصبا في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه ثم فى معنى هذا السجود
قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثانى انه كان حقيقة
السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغى أن يكون الا لله
تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان فى الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف

وكانت الذرية ألف ومائة ألف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سرير
واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى
التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم فى ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت الانحناء دون
تعبير الجباه وخروا لهم سجدا لياؤه وقيل وخروا لاجل يوسف سجد الله شكره وفيه نبوة أيضا واختلف فى استنباطهم

كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا للمسجد
وظاهر هذا يدل على أنهم لما صعدوا على السرى وخرّوا سجدوا لله تعالى ولو كان ليوسف مكان قبل الصعود لان
ذلك أبلغ في التواضع فإن قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله خروا له سجدافان الصغير
يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل أن يكون المعنى وخرّوا لله سجدافان
لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل أن الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي أن اخوة
يوسف ربما احتملهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلهذا وأما أن أباهم قد سجد له سجدوا له أيضا
فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك حائزا في ذلك الزمان فلما
جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (وقال) يعني وقال يوسف عند ما رأى ذلك
(ياأبت هذانأويل رؤياي من قبل) يعني هذانصديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر (قد جعلها ربي حقا)
يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتاويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد أن يعون سنة وقال
أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة وقال
قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حتى
هذه الأقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن أن يوسف كان عمره حين أُلقي في الحب سبع عشرة
سنة وأقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين
سنة وثوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله (وقد أحسن بي) يعني أنعم عليّ يقال أحسن بي والى
بمعنى واحد (إذا خرجني من السجن) انما ذكر انعام الله عليه في إخراجهم من السجن وإن كان الحب أصعب
منه استعمالا للدب والكرم لئلا ينجل اخوته بعد أن قال لهم لا تريب عليكم اليوم ولأن نعمة الله عليه في
إخراجهم من السجن كانت أعظم من إخراجهم من الحب وسبب ذلك أن خروجه من الحب كان سببا لحصوله
في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل إن دخوله الحب كان لحسد اخوته
ودخوله السجن كان لرواى التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية
وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر البدو وخلاف الحضرة والبادية
خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين
اخوتي) يعني أقدم ما يئسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى
بطلان الجبر من المتدعة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من
فعل الله لوجب أن ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا الامتدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان
واضافته اليه على سبيل المجاز وإن كان ظاهرا للفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان
الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من
عند الله بقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريض لافساد ذات البين وذلك
باقدار الله اياه على ذلك (ان ربي لطيف لما يشاء) يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال
صاحب المفردات وقد يعبر باللفظ عما تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه
وأن يكون لمعرفته بدقائق الامور وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أي
حسن الاستخراج نفسها على ما وصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الحب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه
واخوته بعد طول الفرق وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم
حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أن يهيا أسبابه (انه هو العليم) يعني بمصالح عباده (الحكيم) في
جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعين

(وقال ياأبت هذانأويل
رؤياي من قبل قد جعلها)
أي الرؤيا (ربي حقا) أي
صادقة وكان بين الرؤيا
وبين التأويل أربعون
سنة أو ثمانون أو ست
وثلاثون أو ثنتان وعشرون
(وقد أحسن بي) يقال
أحسن اليه وبه وكذلك
أساء اليه وبه (إذا خرجني
من السجن) ولم يذكر
الحب لقوله لا تريب عليكم
السوم (وجاء بكم من
البدو) من البادية لانهم
كانوا أصحاب مواش
ينتقلون في المياه والمناجع
(من بعد أن نزع الشيطان
بينى وبين اخوتي) أي
أفسد بيننا وأغرى (ان
ربي لطيف لما يشاء) أي
لطيف التدبير (انه هو
العليم الحكيم) بتأخير
الآمال الى الآجال أو حكم
بالامتنان بعد الاختلاف

(رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبويض اذ لم يوت البعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) اتعابه على النداء (أنت ولي في الدنيا والآخرة) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الثاني بالملك الباقي (توفني مسلما) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا اتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التستري مسلما اليك أمرى وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لان ظواهر الانبياء انظر الام اليهم (والحقني بالصالحين) من آبائي أو على العموم (٤٧) روى ان يوسف أخد يدي يعقوب

قطاف به في خزانته فادخله خزان الذهب والفضة وخزان الثياب وخزان السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يابني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانية مراحل فقال أمرني جبريل قال أو ما تسأله أنت قال أنت أبسط اليه مني فأسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني وروى ان يعقوب أقام معه أربعين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه اسحق فضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما مات أمره طلبت نفسه الملك الدائم ففني الموت وقيل ما عمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في

وعشرين سنة في أهنأ عيش وأنعم بالواحد أحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام، صر فعل يوسف ما أمره به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخى يعقوب وكان قد ولد في بطن واحد فدفن في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمه ورجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه وأخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) أي يارب (قد آتيتني من الملك) يعني من ملك مصر ومن هنا للتبويض لانه لم يوت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعني الخالق وأبدعه (أنت ولي) يعني معيني ومتولي أمرى (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) أي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة في الحال أم لا على قولين أحدهما أنه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى القول الثاني أنه سأل الوفاة على الاسلام ولم يمتن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الزوال والذهب وان نعيم الآخرة باق دائم لا تفادله ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه أولى وقوله (والحقني بالصالحين) أراد به بدرجة آبائه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا أن يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجذب الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجذب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدره بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق (من أنباء الغيب) يعني أخبار الغيب (نوحيه اليك) يعني الذي

دفنه كل يجب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعين سنة تابوته الى بيت المقدس وولده افرائيم وميشا وولده لافرايم ونون وبنون يوشع فتي موسى ولقد توارثت القراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران

(وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يكفرون) ييوسف ويبنون له التوائيل والمعنى أن هذا النباغ لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيه في البئر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وما نسألهم عليه) على التبليغ جعل (إن هو إلا ذكر) ما هو إلا موعظة (للعالمين) وحث على طلب النجاة على لسان

(٤٨)

(من أجر)

أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحينا إليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتاب ولم يلق العلماء ولم يسافر إلى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وأنه نشأ بين أمة أمية مثله ثم أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأصح عبارة فلم يزل ذلك الذي أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة إلى آخر الدهر وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعنى وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) يعنى حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الحب (وهم يكفرون) يعنى يوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على إيمانهم بمؤمنين وذلك أن اليهود وفر ينسأ للوارسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلموا فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم ففيه تسليقة له (وما نسألهم عليه من أجر) يعنى على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله من أجر يعنى أجزاؤه على ذلك (إن هو) أى ما هو يعنى القرآن (الاذكر) يعنى عظة وتذكيراً (للعالمين وكأين من آية) يعنى وكفى من آية دالة على التوحيد (في السموات والارض بمرون عليها) يعنى لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) أى لا يلتفتون إليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى بأعجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن أى أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى وما يؤمن أى أكثرهم بالله خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجاهل وعل أنها نزلت في المشركين لانهم يقرون بالله خالقهم ورازقهم واذا خبرهم أمر شدد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرة من اثبات قدرة الخلق للعباد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق الا الله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشملمهم

رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض بمرون عليها) على الآيات وأعلى الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم المهلكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أى أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى وما يؤمن أى أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجاهل وعل أنها نزلت في المشركين لانهم يقرون بالله خالقهم ورازقهم واذا خبرهم أمر شدد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرة من اثبات قدرة الخلق للعباد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق الا الله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشملمهم

(من عذاب الله وأتأتهم الساعة) القيامة (بغثة) حال أى فجأة (وهم لا يشعرون) باتأتها (قل هذه سبيلي) هذه السبيل عليه التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكركم ويؤثرتان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا إلى الله على بصيرة) أى أدعوا إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) ناكيد للمستتر فى ادعوا (ومن اتبعنى) عطف عليه أى أدعوا إلى سبيل الله أنا وادعوا إليه من اتبعنى أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعنى عطف على أنا خبر ابتداء به ومن اتبعنى على حجة وبرهان لا على هوى

عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وأبرها قلوبا وأعظمها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله اصحبه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطريقهم فهو لاء كانوا على الصراط المستقيم ﴿وقوله﴾ (وسبحان الله) أي وقل سبحان الله يعني تزيهه عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد (وما أنا من المشركين) يعني وقل يا محمد وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره ﴿وقوله﴾ عز وجل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (نوحى اليهم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اليك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك عالم كمالك (من اهل القرى) يعني انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادي لان اهل الامصار افضل وأعلم وأكمل عقلا من اهل البوادي قال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما يبعث الله نبيا من البادية لغلظتهم وجفافهم (أفلم يسروا في الارض) يعني هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فاعتبر هؤلاء بهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعني فعلنا هذا بآبائنا وأهل طاعتنا اذا نجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الآخرة خير لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار الى الآخرة وان كانت هي الآخرة لان العرب تضيف النتي الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (أفلا يعقلون) يعني يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون ﴿وقوله﴾ عز وجل (حتى اذا استيأس الرسل) قال صاحب الكشف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ اهل الكوفة وهم عاصم وحزرة والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أي لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جري في قوله أفلم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي مكذبي الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فإياهم وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل أنهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان أي وعدوا وأن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشف وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حتى حدثتهم بانهم لا ينصرون أو رجأوهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدته التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأمله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرأوتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشف فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهيج في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه

(وسبحان الله) وأنزله
عن الشركاء (وما أنا من
المشركين) مع الله غيره
(وما أرسلنا من قبلك
الا رجالا) لا ملائكة لانهم
كانوا يقولون لو شاء ربنا
لأنزل ملائكة أوليست
فيهم امرأة (نوحى) بالنون
حفص (اليهم من اهل
القرى) لانهم أعلم وأحلم
وأهل البوادي فيهم الجهل
والجفاء (أفلم يسروا في
الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم
ولدار الآخرة) أي ولدار
الساعة الآخرة (خير للذين
اتقوا) الشرك وأمنوا به
(أفلا يعقلون) وبالياء مكى
وأبو عمرو وحزرة وعلى
(حتى اذا استيأس الرسل)
يشو من ايمان القوم
(وظنوا أنهم قد كذبوا)
وأيقن الرسل ان قومهم
كذبوهم وبالتخفيف
كوفي أي وظن المرسل
اليهم ان الرسل قد كذبوا
أي أخلفوا أو وظن المرسل
اليهم أنهم كذبوا من جهة
الرسل أي كذبتهم الرسل
في انهم ينصرون عليهم
ولم يصدقوهم فيه

الطبيعة البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فإبالي
 رسل الله الذين هم أعرف الناس برهم وأنه متعال عن خلف الميعاد وحكي الواحدى عن ابن الانبارى أنه
 قال هذا غير معمول عليه من جهتين احدا عما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه
 والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دل على ان أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله
 للرسول ولو كان الظن للرسول كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم
 واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابو كعبير وابو عمرو وابن عامر وظنوا
 أنهم قد كذبوا بالنسبة بدو وجهه ظاهر وهو أن معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا
 يعنى وأيقنوا يعنى الرسل أن الامم قد كذبوهم تكديبا لا يرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين
 وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنوا
 أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطوا النصراتاهم
 النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحساب والتكذيب مطلقون من جهة من آمن بهم يعنى وظنوا بالرسول
 ظن حساب ان ربهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لا بطائفة وتأخره عنهم واطول البلاء بهم لأنهم
 كذبوهم في كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المؤمنين لأنه لو حصل لكان نوع
 كفر ولكن الرسل ظننتهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو
 من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكتابة في وظنوا للرسول (خ) عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن
 قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا وكذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد
 استيقنوا أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا
 فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك ربها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا برهم
 وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخروهم النصر حتى اذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم وظنوا ان
 اتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس
 حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب لها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين
 آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال فقلت عروة بن الزبير ذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ
 الله والله ما وعد الله رسوله من شيء قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسول حتى خافوا أن
 يكون من معهم من قومهم يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مشقة ﴿وقوله تعالى﴾ (جاءهم
 نصرنا) يعنى جاء نصر الله النبيين (فتجى من نشاء) من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فتجى
 المؤمنين المطيعين (ولا يرد بأسنا) يعنى عذابنا (عن القوم المجرمين) يعنى المشركين ﴿وقوله تعالى﴾ (لقد كان
 في قصصهم) يعنى في خبر يوسف واخوته (عبرة) أى موعظة (لأولي الالباب) يعنى يتعظ بها أولو الالباب
 والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس
 بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف من الحب
 بعد لقائه فيه واخراجه من السجن وتمليك مصر بعد العبودية وجعل شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة
 والياس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه
 القصة الحميمة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال
 في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب
 فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وأن فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثا يفترى) يعنى ما كان
 هذا القرآن حديثا يفترى ويختلق لان الذى جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن

(جاءهم نصرنا) للانبياء
 والمؤمنين بهم فجاءهم
 غير احتساب (فتجى)
 بنون واحدة وتشد يد الجيم
 وفتح الياء شامى وعاصم
 على لفظ الماضى المبني
 للمعنى معمول والقائم مقام
 الفاعل الباقون
 فتجى (من نشاء) أى
 النبي ومن آمن به (ولا يرد
 بأسنا) عذابنا (عن القوم
 المجرمين) الكافرين
 (لقد كان في قصصهم) أى
 في قصص الانبياء وأئمتهم
 أو في قصة يوسف واخوته
 (عبرة لأولي الالباب)
 حيث نقل من غاية الحب الى
 غيابة الحب ومن الحصر
 الى السرير فصارت عاقبة
 الصبر سلامة وكرامة ونهاية
 المكر وخاتمة وندامة (ما
 كان حديثا يفترى) ما كان
 القرآن حديثا يفترى كما
 زعم الكفار

(ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمت (وتفصيل كل شيء) يحتاج اليه في الدنيا لانه القانون الذي تستد اليه السنة والاجماع والقياس (وهدي) من الضلال (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبياءه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاء كم سورة يوسف (٥١) فاما عبد تلاتها وعلماها أهله وماملكت

عينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول

ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين ومع الاخوة عملوا يوسف ماعملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك في الدين أخرى أن تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم

(سورة الرعد مكية وهي ثلاث وأربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضي الله عنهما (تلك) إشارة الى آيات السورة (الكتاب) أريد بالكتاب السورة أي تلك الآيات

يفترية أو بختلة لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه إشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شيء) يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم ودنياهم (وهدي) يعني الى كل خير (ورحمة) يعني أنزلناه رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الرعد﴾

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبيرة وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الآيتين أحدهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والآخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلنا والقول الثاني انها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الآيتين نزلا بمكة وهما قوله ولو أن قرأنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريك البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الإشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ﴿ثم قال تعالى﴾ (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أي الاخبار والقصص التي قصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي أنزل اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني مشركي مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمد يقول من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهي الاساطين والدعائم التي تكون تحت السقف وفي قوله (ترونها) قولان أحدهما ان الرؤية ترجع الى السماء يعني وأتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعيمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمدة الكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان

السورة الكاملة العجيبة في بابها (والذي أنزل اليك من ربك) أي القرآن كله (الحق) خبر والذي (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال (الله الذي رفع السموات) أي خلقها مرفوعة لأن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذي رفع السموات (بغير عمد) حال وهو جمع عماد وعمود (ترونها) الضمير يعود الى السموات أي ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان أو الى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة للعمد أي بغير عمد مرئية

(ثم استوى على العرش)
استولى بالاقدار ونفوذ
السلطان (وسخر الشمس
والقمر) لمنافع عباده
ومصالح بلاده (كل يجري
لاجل مسمى) وهو انقضاء
الدنيا (يدبر الامر) امر
ملكوته وربوبته
(يفصل الآيات) بين آياته
في كتبه المنزلة (لعلكم
بإتقار بكم توفنون)
لعلكم توفنون بان هذا
المدير والمفصل لا بد لكم
من الرجوع اليه (وهو
الذي مد الارض) بسطها
(وجعل فيها رواسي)
جبالا ثوابت (وانهارا)
جارية (ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين)
أي الاسود والابيض
والخلو والحامض والصغير
والكبير وما أشبه ذلك
(يعني الليل النهار) يلبسه
مكانه فيصير أسود مظلم بعد
ما كان أبيض منيرا يعني
حزرة وعلى وأبو بكر (ان
في ذلك آيات لقوم
يتفكرون) فيعلمون ان
لهما صنعا عليهما حكما قادرا
(وفي الارض قطع
متجاورات) بقاع مختلفة
مع كونها متجاورة متلاصقة
طيبة الى سبخة وكريمة الى
زهيدة وصلبة الى رخوة
وذلك دليل على قدر
مدير صمد موقع لافعاله
على وجه دون وجه

الرؤية ترجع الى العمد والمهي ان لها عمدا ولكن لا تزونها اتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على
جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدياوالسما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية
الآخري عن ابن عباس والقول الاول أصح وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام
عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعني ذللهما للمنافع خلقه فهما مقهوران
بحريان على ما يريد (كل يجري لاجل مسمى) يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن
عباس أراد بالاجل المسمى درجاتها وما منازلها يعني انها سماء بحريان في منازلها ودرجاتها ما الى غاية ينتهيان
اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار
خاص من السرعة والبطء والحركة (يدبر الامر) يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه
ويقتضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام
والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون
تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعني انه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل
ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسما الاول الموجودات المشاهدة وهي خالق السموات والارض وما فيها
من العجائب وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الخفية في
العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما
يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بإتقار بكم توفنون) يعني انه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته
وكمال قدرته لكي توفقوا وتصدقوا بملقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه
قادر على ايجاد واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون
الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم وقوله تعالى (وهو الذي مد الارض)
لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكروا احوال الشمس
والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أي بسطها على وجه الماء وقيل كانت
الارض مجتمعة فدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطة كالا كف
وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها شاهد
بمدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك قاله تعالى قد أخبر أنه مد الارض وانه دحاها وبسطها
وكل ذلك يدل على التسطيع والله تعالى أصدق قила وأبين دليلا من أصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعني في
الارض (رواسي) يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشيء رسوا اذا ثبت ورساه غيره اثبته قال ابن عباس كان
أبو قيس أول جبل وضع على الارض (وانهارا) يعني جعل في الارض أنهارا جارية لمنافع الخلق (ومن
كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وخلقوا حامضا (يعني الليل النهار)
يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعه
وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (آيات) أي دلالات (لقوم يتفكرون) يعني فيستدلون بالصنعة
على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات
الفكر قوة مطرقة للعالم الى المعلوم والتفكير جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون
الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في
الله اذ كان الله منزها أن يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفكر لانه يستعمل في طلب
المعاني وهو فرك الامور وعنها طلب الوصول الى حقيقتها وقوله عز وجل (وفي الارض قطع متجاورات)
من متقاربات بعضها من بعض وهي مختلفة في الطباع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة

على قطع غيرهم بالجر
بالعطف على أعناب
والصنوان جمع صنو وهي
النخلة طاراً سان وأصلها
واحد وعن حفص بضم
الصاد وهم الغتان (تسقى
بماء واحد) وبالياء عاصم
وشامى (وتفضل بعضها على
بعض) وبالياء جزة وعلى
(في الاكل) في الثمر
وبسكون الكاف نافع
ومكى (ان في ذلك آيات
لقوم يعقلون) عن الحسن
مثل اختلاف القلوب في
آثارها وأنوارها وأسرارها
باختلاف القطع في أنهارها
وأزهارها وثمارها (وان
تعجب) يا محمد من قولهم في
انكار البعث (فجرب
قولهم) خبر ومبتدأ أى
فقولهم حقيق بأن تعجب
منه لان من قدر على انشاء
ما عدد عليك كانت الاعادة
أهون شئ عليه وأيسره
فكان انكارهم أعجوبة
من الاعاجيب (أنذا كنا
تراباً أننا في خلق جديد)
في محل الرفع بدل من قولهم
قرأ عاصم وحزة كل واحد
بهمزتين (أولئك الذين
كفروا برهم) أولئك
الكافرون المتأدون في
كفرهم (وأولئك الاغلال
في أعناقهم) وصفهم
بالاصرار أو من جملة الوعيد

الرابع وهذه كثيرة الربع (وجنات) يعنى بساتين والجنة كل بستان ذى شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك
سمى جنة لانه يستر بأشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو
وهي النخلات يجتمعن من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنواً بيه يعنى
انهم من أصل واحد (وغير صنوان) هي النخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق
(يسقى بماء واحد) يعنى أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مانع به حياة كل نام وقيل في حده
جوهر سيال به قوام الارواح (وتفضل بعضها على بعض في الاكل) يعنى في الطعام ما بين الحلو والحامض
والعفص وغير ذلك من الطعام عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
وتفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والنرسيان والحلو والحامض أخرجه الترمذى وقال حديث
حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضرب به الله
لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعاً متجاورات وأنزل على وجهها
ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبغها وما جعلها وخبيثها
وكل يسقى بماء واحد ولو كان الماء قليلاً قليل انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم
من السماء تذكرة فترقب قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتأهو ولا تسمع وقال الحسن والله
ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده زيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً وقوله تعالى (ان في ذلك) يعنى الذى ذكر (لآيات لقوم يعقلون)
يعنى فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته ﷻ قوله تعالى (وان تعجب فحجب قولهم)
الحجب تباعد النفس رؤية المستبعد في العادة وقيل الحجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال
بعض الحكماء الحجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل الحجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه
خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان
كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فحجب أمرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم
ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقدرأوا
من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال مارأوا فحجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة
والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فحجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون
البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرروا في النفوس ان الاعادة أهون من الابتداء
فهذا موضع التعجب وهو قولهم (أنذا كنا تراباً) يعنى بعد الموت (أننا في خلق جديد) يعنى نعاد خلقاً
جديداً بعد الموت كما كنا قبله ﷻ ثم ان الله تعالى قال في حقهم (أولئك الذين كفروا برهم) وفيه دليل على
ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان
الله على كل شئ قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر (وأولئك الاغلال في أعناقهم) يعنى يوم القيامة والاغلال
جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير
ذليلاً بالغل (وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون
(ويستجملونك بالسبيئة قبل الحسنة) الاستجمال طلب التحجيل الامر قبل محيى وقته والمراد بالسبيئة هنا هي
العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو
قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وأتذاب عذاب اليم (وقد خلت
من قبلهم المثلثات) يعنى وقته مضت في الامم المكذبة بالعقوبات بسبب تكذيبهم رسالهم والمثلة بفتح الميم وضم

(وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكراراً أولئك على تعظيم الامر (ويستجملونك بالسبيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك
انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلثات) أى عقوبات أمثالهم من

المكذبين فإلهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤوا بالنملة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها (وان ربك لظن
مغفرة للناس على ظلمهم) أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لانفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرجى آية في كتاب
الله حيث ذكر المغفرة مع العظم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أو هما جميعا
المؤمنين لكنه معلق بالسيئة فهما (٥٤) أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من

ربه) لم يعتقدوا بالآيات
المنزلة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم عندا
فأفترحوا نحو آيات موسى
وعيسى من انقلاب العصا
حية وأحياء الموتى فقيس
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم (إنما أنت منذر) إنما
أنت رجل أرسلت منبرا
مخوفاً لهم من سوء العاقبة
وناصحاً كغيرك من الرسل
وما عليك إلا الاتيان بما
يصح به أنك رسول منذر
وصحة ذلك حاصلة بآية
كانت والآيات كلها سواء في
حصول صحة الدعوى بها
(والكل قوم هاد) من
الانبياء يهديهم الى الدين
ويدعوهم الى الله بآية
خص بها لا بما يريدون
ويتحكمون (الله يعلم
ما تحمل كل أنثى وما تنقيض
الارحام وما تزداد) ما في
هذه المواضع الثلاثة
موصولة أي يعلم ما تحمله من
الوليد على أي حال هو من
ذكورة وأنوثة وتعام
وخداج وحسن وقبح

النام المثلثة نعمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلاً ليرتدع غيره به وذلك كالسكال وجمعه مثلات يفتح الميم وضمها
مع ضم النام فهما لغتان (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه أنه لذو تجاوز عن
المشركين إذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعني للمصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال مجاهد أنه
لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وأنه لشديد العقاب إذا عاقب ﴿قوله تعالى﴾ (ويقول الذين
كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعني
مثل عصا موسى وناقصة صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم (إنما
أنت منذر) أي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف واسلك من الآيات شي (والكل قوم هاد) قال
ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى إنما عليك
الانذار يا محمد والهادي هو الله بهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادي هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى إنما أنت منذر وأنت هادي وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل
قوم نبي يهديهم وقال أبو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد الى الخير لا الى
الشر ﴿قوله عز وجل﴾ (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم
الله عز وجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وأنه عالم بما تحمل كل أنثى يعني من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص
الخلق واحداً أو اثنين أو أكثر (وما تنقيض) يعني وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير غيض
الارحام الحيض على الحمل فإذا حاضت الحامل كان ذلك نقصاناً في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم
فإذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد وإذا لم تحض بزداد الولد ويتم قالتان نقصان خلقه الولد بخروج
الدم والزيادة تمام خلقه باستسكاك الدم وقيل إذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة
الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فإن رأت خمسة أيام دماً وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام قالتان
في الغذاء زيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضا نقصانها من
تسعة أشهر والزيادة زيارتها على تسعة أشهر فاقلة مدة الحمل ستة أشهر وقيل لهذه المدة ويعيشوا واختلفوا
في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل إن الضحاك ولد
لسنتين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقال حماد بن أبي سلمة إنما سمى هرم بن
حيان هراً لانه بقي في بطن أمه أربع سنين وعند مالك أن أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شيء عنده
بمقدار) يعني بتقدير واحد لا يجاوز ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على أكل الوجوه
وقيل معناه انه تعالى خص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وإرادته
وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه
وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس
(الكبير) أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته
وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه

وطول وقصر وغير ذلك وما تنقيضه الارحام أي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فانها دليل
تشمّل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون ناماً ومخدجاً ومدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى
سنتين عندنا والى أربع سنين عند الشافعي والى خمس عند مالك أو مصدرية أي يعلم كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها (وكل شيء عنده
بمقدار) بتقدير واحد لا يجاوز ولا ينقص عنه لقوله أما كل شيء خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير)
العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلى على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء في الحاليين مكي

دليل على أنه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص ﴿قوله تعالى
 (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي مستوم منكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره وأعلنه
 والمعنى أنه قد استوى في علم الله تعالى السر بالقول والجهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي مستتر بظلمته
 (وسارب بالنهار) أي ذاهب بالنهار في سر به ظاهر أو السرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال
 القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل وإذا
 خرج بالنهار أرى الناس أنه يرى من الأثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته
 وأخفيت إذا كتمته وسارب بالنهار أي متوارد دخل في السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما أضمرت
 به القلوب أو نطق به اللسان وسواء من أقدم على القبائح مستترافي ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرافي
 النهار فإن علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فإذا صعدت
 ملائكة الليل عتبتهم ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وإن
 كان الملائكة ذكور إلا أن واحدا معقب وجعها معقب ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد
 ورجالات بكر (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم
 ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يهرج الذين باتوا فيكم فيسألهم
 وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل إن مع كل واحد
 من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب
 الحسنات أمين على كتاب السيئات فإذا عمل العبد حسنة كتبها له به شرا من أهلها وإذا عمل سيئة
 قال صاحب الشمال لصاحب اليمين كتبها عليه فيقول أنظر له له يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث
 مرات فإن هو تاب منها أو لا قال كتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بخاصية العبد فإذا تواضع العبد لله
 عز وجل رفعه بها وإن تجبر على الله عز وجل وضع بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الأذى وملك
 موكل بفيه لا يدعه يدخل في فيه شيء من الهوام يؤذيه فهو لا خمسة أملاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة
 غيرهم في نهاره فانظر إلى عظمة الله تعالى وقدرته وكما شفقتك عليك أيها العبد المسكين وهو قوله تعالى (من
 بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من أمر
 الله بأمر الله وأذنه عالم بحج الله إذا جاء خلوا عنه وقيل معناه أنهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفاظ له
 قال مجاهد ما من عبد إلا ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شيء يأتيه
 يؤذيه إلا قال له الملك وراءك الاثنى باذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الأحبار لو أن الله تعالى وكل بكم ملائكة
 يذبون عنكم في مطعمكم ومشر بكم وعوراتكم لخطفتكم الجن وقال ابن جرير معنى يحفظونه أي يحفظون
 عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول إن الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال
 يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الأمر وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم
 والضمير في قوله راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه
 وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن
 ابن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على
 ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن
 زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرف
 الناس لجمال عامر وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل
 نحوك فقال دعه فإن يرد الله به خيرا يمهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي إن

(سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي
 القول ومن جهر به) أي
 في علمه (ومن هو مستخف
 بالليل) متوار (وسارب
 بالنهار) ذاهب في سر به
 أي في طريقه ووجهه يقال
 سرب في الأرض سربا
 وسارب عطف على من
 هو مستخف لا على مستخف
 أو على مستخف غير أن
 من في معنى الاثنين والضمير
 في (له) مردود على من
 كانه قيل لمن أسرو من
 جهر ومن استخفي ومن
 سرب (معقبات) جماعات
 من الملائكة تعقب في
 حفظه والاصل معقبات
 فادغمت التاء في القاف أو
 هو مفعلات من عقبه إذا
 جاء على عقبه لان بعضهم
 يعقب بعضا أولانهم يعقبون
 ما يتكلم به فيكتبونه
 (من بين يديه ومن خلفه)
 أي قدامه ووراءه (يحفظونه
 من أمر الله) هما صفتان
 جميعا وليس من أمر الله
 بصلة للحفظ كانه قيل له
 معقبات من أمر الله أو
 يحفظونه من أجل أمر الله
 أي من أجل أن الله تعالى
 أمرهم بحفظه أو يحفظونه
 من بأس الله وتقمته إذا
 أذنب بدعائهم له

(وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ بَأْسٍ أَتَاهُ نَذِيرٌ مِّنْهُ)

عذاباً (فلامر دة) ولا يدفعه

نبی (وما لهم من دونه من

(وال) من دون الله ممن يلي

مس همو يدوم عنهم (هو)

الذى يريكم البرق حرقا

وطبعاً) اتصبا على الحال

من البرق كانه في نفسه

خوف وطمع أو على ذا خوف

وَذَا طِمَعٍ أَوْ مِنْ الْمُخَاطِبِينَ

أَيُّ حَافِظِينَ وَمُطَاعِيٍّ وَالْمَعْنَى

يَخَافُ مِنْ وَقُوعِ الْمَوَاقِفِ

عند لعل البرق ويطلع في

الفتى قال أبو الطيب

فِي كَالسَّحَابِ الْجُلُونَ تَجْنِي

ورنی

برخی الحیانه و تخشی

الموقف

أَوْخَافُ الْمَطْرَمِ لَهُ فِيهِ

ضرر كالسافر ومن له بيت

يكفون من البلاد ما لا يتقنع

أهل المطر كاهل مصر

وَيَطْمَعُ فِيهِ مَنْ لَهُ تَقَرُّعٌ فِيهِ

(ويفتنى السحاب) هو

اسم جنس والواحدة مصابة

(الثقل) بالماء وهو جم

بقية قول سبحانه وتعالى

ومعاب ثقال) ويسمى الرعا

عبدہ) قیل یسوع سامعو

المرء من العباد الراجين

الطرائى يصعبون بـ

الله والجنته وعن ابي

صلی اللہ علیہ وسلم

الرعد ملك موكل بالعباد

مع تخاريق من تاريخه

بها السحاب والصوت الذي

بِسْمِ زُجْرٍ وَالسَّحَابِ عَنِ

أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فجعلني على الوجود وانت على المادرة قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليهم اقال او ليس ذلك لي اليوم قم معي املك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد اوصى الى اربدين ربيعة اذ ارايتني اكله فقدر من خلقه فاضرب به بالسيف فجعل عامر يخاضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربدين خاضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضرب به فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اربدين وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفني ما عاشرت فارسا رسول الله على اربدين صاعقة في يوم صواقظا فاحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربدين والله لا ملأناها عليك خيلا جر داوشا بامر دا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعني الله من ذلك وابناقية بر بدا الاوس والخزرج فنزل عامر بت امرأة سلوية فلما أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال عدة كعدة البعير وموت في بيت سلوية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن ابصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما بر محي فارسا رسول الله اليه ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره واجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل مات بالطعن واربددين ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله أي بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ^{وقوله} (ان الله لا يغير ما بقوم) خطاب لهذين عامر ابن الطفيل واربددين ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بانفسهم) يعني من الحالة الجارية فيعصون ربهم ويحجدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى (واذا اراد الله بقوم سوءا) يعني هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعني لا يقدر احد ان يرد ما انزل الله بهم من قضائه وقدره (وعاظم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلى امرهم ونصرهم وينزع العذاب عنهم ^{وقوله} عز وجل (هو الذي ير يك البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جريته يعني يديره الخمر والزيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر ترفع كالزراع ونحو الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا امطرت فحطت واذا لم تخطر اخسبت (وينشئ السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال انشأ الله السحابة فنشأت أي ابداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غراب الماء قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء اولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحب الجرو سمي السحاب سحابا لما جر الريح له وأجره الماء أولا تجراره في سيره (ويسبح الرعد بحمده) اكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيرهما واجب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسم للملك من الملائكة وانما أفرده بالذكر تشرى يفاله على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته

وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فهذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابه صاعقة فعلى دية وكان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان يحور الماء في نقرة ابهامه وانه يسبح الله فإذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيئته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نارا وعذاب أو موت وهي في ذاتها شيئا واحدا وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلك بها كما أصاب أربدين ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذكرا (وهم يجادلون في الله) يعني يخاضمون في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا أحكمت فتله نزلت في شأن أربدين ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك أم من درأ أم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فأنصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلا ككفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال أرجعوا اليه فرجعوا اليه فلم يزدتهم على مقالته الاولى شيأ بل قال أجيب محمد الى رب لا أراه ولا أعرفه فأنصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى شيأ بل قال أخبت فقال أرجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزددهم على مقالته شيأ اذا ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق الكافروهم جلوس عنده فرجعوا اليه يخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم ذلك قالوا قد أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواقعة واولها فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان أربدا جادل في الله

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) الصاعقة نار تسقط من السماء لما ذكر علمه الناقد في كل شيء واستواء الظاهر والخبى عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون في الله) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصف به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والوالواللحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان أربدا خا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد

(وهو شديد الحال) أي الماحلة وهي شدة المماكرة والمكابدة ومنه محمل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحمل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان والمعنى أنه شديد المكر والكيد لا عداية بينهم باطل كفة من حيث لا يحسبون (له دعوة الحق) أضيفت إلى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق وأنها بمنزلة من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤاله فكانت دعوة

(٥٨)

والنفع بخلاف ما لا يتنفع ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد الحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أريد ظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الأول وعيد للكفرة على محادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محالهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبهم ان دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كياسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) يعني الاستجابة كاستجابة الماء لمن يسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعو به جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على تفهمه وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لا أنهم ممن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه فيسقطهم أناساً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبه من شربه وقيل ان القايض على الماء ناساً أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تنفع ولا يفيد منها شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشعر بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا ياتيه أبداً هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء

أهلكه الله بالصاعقة وقيل انها أو الاستئناف فيكون المعنى أنه تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد الحال) أي شديد الأخذ بالعقوبة من قوطي محمل به محلاً إذا أراد به سوءاً وقيل هو من قولهم محمل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى أنه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحمل من المحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النعمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك انه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جداً منهم قوله تعالى (له دعوة الحق) يعني لله دعوة الصديق قال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا إله الا الله قال صاحب الكشف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو تقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق مختصة به وانما بمنزلة من الباطل والمعنى أن الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوته ملازمة للحق لكونه حقيقة ايان بوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا تنفع فيه ولا جدوى فيرد دعاءه الثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما قلت أما على قصة أريد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر ابن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على محادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعائهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخاص لا يكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهي الاصنام التي يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشئ) يعني لا يجيبونهم بشئ ير بدونه من نفع أو دفع ضرر ان يدعوهم (الا كياسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعني الاستجابة كاستجابة الماء لمن يسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعو به جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على تفهمه وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لا أنهم ممن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه فيسقطهم أناساً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبه من شربه وقيل ان القايض على الماء ناساً أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تنفع ولا يفيد منها شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشعر بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا ياتيه أبداً هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء

والنفع بخلاف ما لا يتنفع ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد الحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أريد ظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الأول وعيد للكفرة على محادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محالهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبهم ان دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كياسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) يعني الاستجابة كاستجابة الماء لمن يسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعو به جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على تفهمه وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لا أنهم ممن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه فيسقطهم أناساً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبه من شربه وقيل ان القايض على الماء ناساً أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تنفع ولا يفيد منها شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشعر بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا ياتيه أبداً هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء

فاه

والحال بخلاف استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الاستجابة

كاستجابة باسط كفيه الى الماء أي كاستجابة الماء لمن يسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ولا هو يبلغ فاه وكذلك ما يدعو به جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على تفهمه واللام في ليبلغ متعلق بياسط كفيه (وما هو ببالغه) وما الماء ببالغ فاه

فانه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ﴿ثم ختم هذا بقوله (ومادعاء الكافرين) يعني أصنامهم (الافى ضلال) يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى ﴿قوله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) في معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول ففي معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل يسجدونهم وعبادتهم خوفا من المؤمنين الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا الوجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فعباد بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من أنس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى واثن سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الاتقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون مقادون له ﴿وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال أفهاما حتى سبحت لله مع دأود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانهم من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانها طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) أي قل يا محمد طرؤا للمشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجاب أنت فامرء الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أي قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكانهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للمشركين (أفأنتخذتم من دونه) يعني من دون الله (أولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتهم غير رب السموات والارض وأنتخذتموهم انصارا يعني الاصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولا ضرا) (لانفسهم نفعا ولا ضرا)

لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من في السموات والارض) سجود تعبد واتقياد (طوعا) حال يعني الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق (وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقنى وقناة (والآصال) جمع أصل جمع أصيل قيل ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترا فهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبي قالوا الله أو هو تلقين أي فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا (قل أفأنتخذتم من دونه أولياء) أبعاد أن علمتموه رب السموات والارض أنتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرر عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المتيب المعاقب فأين ضلالتكم

الظلمات والنور) ملل الكفر والايمان يستوى كوفي غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا ومعنى الحمزة الانكار (خلقوا كخلقهم) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أي أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى قولوا قدره هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء ونعبدهم كما نعبدوا لكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) أي خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مر بوب ومفهور (أنزل) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسالت أودية) جمع واد وهو

فكيف لغبرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل نستوى الظلمات والنور) يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوى الاعمى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقهم) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرًا وجبالا وبحارا وجناتا وانما (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكاري أي ليس الامر كذلك حتى يشبه عليهم الامر بل اذا تفكر واعتقوا لم يجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون لا أيضا لا يخلقون شيئا حتى يشبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أي قل يا محمد طولا للمشركين الله خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت فضائه وقدره وارادته وقوله عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعني المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية جمع واد وهو المخرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسالت في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر وحذف في دلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد يملأها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ماؤها وانما كرا أودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتشكيرو قال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرأنا وهذا مثل ضرب به الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالآية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالآودية لان الآودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان بركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ محي الدين النوري رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الخشيش وأما قوله وكان منها أجادب فبالجيم والذال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلأ جمع جذب على غير قياس وقياسه جذب والجذب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي أخذات بالحاء المعجمة والذال المعجمة جمع أخاذة وهي القدير الذي يمسك الماء وقوله ورعوا كذا في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بلسر ها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى

الذي علم الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار (فاحتمل السيل) أي رفع (زبدا) هو ماء على وجه الماء من الرغوة والمعنى علامه زبد (راييا) منتفخا مر تفعالي وجه السيل (ومما توقدون عليه) وبالياء كوفي غير أبي بكر ومن لا ابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء والتبعيض أي وبعضه زبد (في النار) حال من الضمير في توقدون عليه ثابتا في النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون (أومتاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاواني وما يمتنع به في الخضر السفر وهو معطوف على حلية أي زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) نعت له ومما توقدون خبر له أي لهذه الفلزات اذا أغليت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) (٦١) (فاما الزبد فيذهب جفاء) حال أي

متلاشيا وهو ما انقذه الله عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفء الرمي وجفوت الرجل صرعه (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلي والاواني (فيمكت في الارض) فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الامثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضرب به الله للحق وأهله والباطل وخز به فتل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيصعبون به وينفعهم بانواع المنافع والفلز الذي يستفدون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة وذلك ما كن في الارض بلقيس عظماء يثبت الماء في منافعه وكذلك الجواهر تبقى

الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة انواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك والنوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحيا به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذا لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهم النوع الثاني من انواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ناقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يحسب المحتاج اليه المتعطل لما عندهم من العلم فيأخذونه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من انواع الارض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ناقبة فاذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينتفعون غيرهم والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما يعالو على وجه الماء عند الزيادة كالخبث وكذلك ما يعالو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا (راييا) يعني عاليا مر تفعالي الماء طافيا عليه وهما تام المثل ثم ابتداء بمثل آخر فقال تعالى (ومما توقدون عليه في النار) الايقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء ليزوب (ابتغاء حلية) يعني اطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما (أومتاع) يعني أو اطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يمتنع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع (زبد مثله) يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يعني ضائعا باطلا والجفاء ماري به الوادي من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الرج الغيم اذا فرقت والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب (فيمكت في الارض) يعني يثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الامثال) قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضرب به الله للحق والباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات

أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمي به ويزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا أذيب قال الجمهور وهذا مثل ضرب به الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للابدان والادوية التي لوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هو اجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب لزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هو اجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فللأحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فتل الأعمال الممدة بالاخلاص المدة للخلاص فان الأعمال جالبة للأوب دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرصاص والخلل والملل والسكر واللام في

(للمؤمنين استجابوا) أي أجابوا متعلقة بـ يضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسن) وهي صفة لصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسن (والذين لم يستجيبوا له) أي وللـ كافرين الذين لم يستجيبوا أي عمدا مثلا القر يقين وقوله (وأن لهم ما في الارض جميعا ومثله (٦٢) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد الله للمستجيبين أي لوملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها

والاحوال فان الله يحقه ويطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يغسل على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصوف من هذه الجواهر يبقى وبذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفى الكبر عما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علف في وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل المؤمن واعتقاده واستغائه بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبت اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضرب به الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم طافي الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شئ فيه من النجاسات والمستفترات كذلك اذا سال وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفة كنه كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينتفع الناس فيمكن في الارض يعني يذهب الباطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى (للمؤمنين استجابوا ربهم الحسن) قيل الام في المؤمنين متعاقبة يضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا الربهم يعني أجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به ورسوله وللـ كافرين الذين لم يستجيبوا فاعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للقر يقين من المؤمنين والكافرين وقيل ثم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للمؤمنين استجابوا الربهم الحسن قال ابن عباس وجهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسن هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والاقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين اسقروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله لا فتدوا به) يعني لبدوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أو لئلك) يعني الذين لم يستجيبوا الربهم (لهم سوء الحساب) قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كما ولا يغفر له منه شئ (وماؤاهم) يعني في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعني وبئس ما مهد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم وقوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه (كن هو أعمى) يعني أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في جزرة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالاول هو جزرة أو عمار والثاني هو أبو جهل وحل الآية على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وإنما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد دور بما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهلكة (انما يتذكرا أو لوالالباب) يعني انما يتعظ ذوا العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار وقوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وقيل أراد بالهد ما أخذ على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسول يعني يصل

لبنوهم ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسن مبتدأ خبره الذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسن وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لومع ما في حيزه (أو لئلك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه في الحديث من نوقش الحساب عذب (وماؤاهم جهنم) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمذموم محذوف أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في (أفمن يعلم) لا انكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يتبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كن هو أعمى) كعبد ما بين الزبد والماء والخبث والابرز (انما يتذكرا أو لوالالباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم

فنظر واواستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أو لئلك لهم عقبي الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولي الباب والاول وجه وعهد الله مائة ذوة على أنفسهم من الشهادة بر بويتعوا شهدهم على أنفسهم التبرير بكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوتقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد نصيب بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقربات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسبب الايمان انما المؤمنون
اخوة بالا حسان اليهم على
حسب الطاقة ونصرتهم
والدب عنهم واشفقة عليهم
وافشاء السلام عليهم
وعيادة مرضاهم ومنه
مراعاة حرق الاصحاب
والخدم والجيران والرفقاء
في السفر (ويخشون
رهم) أي وعيده كله
(ويخافون سوء الحساب)
خصوصا فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا
(والذين صبروا) مطلق
فيما يصبر عليه من المصائب
في النفوس والاموال
ومشاق التكليف (ابتغاء
وجه رهم) لا يقال ما
أصبره وأجمله للنوازل
وأقره عند الزلازل والاللا
يعاب في الجزع (وأقاموا
الصلاة) داوموا على اقامتها
(وأنفقوا مما رزقناهم)
أي من الحلال وان كان
الحرام رزقا عندنا (سرا
وعلانية) يتناول النوافل
لانها في السر أفضل
والفرائض لان المجاهرة
بها أفضل نفيا للهمة
(ويدرون بالحسنة السيئة)
ويدفعون بالحسن من
الكلام ما يرد عليهم من
سيئ غيرهم أو اذا حرموا
أعطوا واذا ظلموا عفاوا
واذا قطعوا وصلوا واذا أذنبوا

يتنهم بالايمان ولا يفرق بين أحد منهم والا كثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت
لها اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وأقال بته أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعته الله (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في
رزقه وان ينسأله في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الامل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان
ينسأله في أثره الاثر هنا الاجل وسمى الاجل اثره لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير
الاجل وهو على وجهين أحدهما ان يبارك الله له في عمره فكانما قد زاد فيه والثاني ان يزيد في عمره
زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسا بكم ما تاملون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الامل
ومثراة في المال ومنسأة في الاثر أخرجه الترمذي وقوله تعالى (ويخشون رهم) يعني انهم مع وفائهم
بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون رهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر
ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على
طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن
المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات
والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة
وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من
الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه
فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه رهم) لان الصبر ينقسم الى
نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما أكل صبره وأشد قوته على ما تحمل من
النوازل وقد يصبر ليعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الأعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها
الصبر فليس ذلك داخل تحت قوله ابتغاء وجه رهم لانها غير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان
يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طابا في ذلك الصبر ثواب الله محسبا أجره على الله
فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه رهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه
(وأقاموا الصلاة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل
والمراد باقامتها اتمام أركانها وهيأتها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة
المفروضة فان لم يتهم بترك أداء الزكاة فالاولى ان يؤديه سرا وان كان منهم ما بترك أداء الزكاة فالاولى أن
يؤديه علانية وقيل ان المراد بالسرا ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل
المراد بالسرا صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى (ويدرون بالحسنة
السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن
السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت
سيئة فاعمل بحسنة تحمها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروي البغوي بسنده عن عقبة
ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل

تابوا واذا هم بوابوا واذا راوا منكرا امرا وبغيره فهذه ثمانية أعمال تشير الى ثمانية أبواب الجنة

(٦٤) عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنات عدن)

(أولئك لهم عقبي الدار) بدل من عقبي الدار (يدخلونها ومن صلح) أي آمن (من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرئ صلح والفتح أفصح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وإن لم يؤكده لأن ضمير المفعول صار فاصلاً وأجاز الزجاج أن يكون مفعولاً معه ووصفهم بالصلاح ليعلم أن الأنساب لا تنفع بنفسها والمراد أبو كل واحد منهم فكانه قيل من آباؤهم وأمهاتهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) في قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال إذا المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي نسل عليكم ونكرمكم بصبركم والأول أوجه (فتم عقبي الدار) الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما وثقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج إلى الأرض وقال ابن كيسان يدفعون الله بباتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه إذا سلفه عليهم أموال السفة السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم رداً معروفاً وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا أظلموا عفاوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه عمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل أنه عدل اثنين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه خلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى (أولئك) يعني من أتى بهذه الأعمال (لهم عقبي الدار) يعني الجنة والمعنى أن عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبي الدار يعني بساكنين إقامة يقال عدن بالمسكان إذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم) يعني ومن صدق من آباؤهم بما صدقوا به وإن لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج إن الإنسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن وروى علي قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لأن الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به إذ كل من كان صالحاً في عمله فهو يدخل الجنة قال الإمام غفر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة وأصل الأولى من مات عنها أو مات عنه وروى أنه لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسأته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فامسكها رجاء أن تحسرى في جلة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس يريد به التحية من الله والتعظيم والهدايا (سلام عليكم) يعني يقولون سلام عليكم فاضمر القول هذه الدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل إن السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثواباً لفعل فعلي هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل إن الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتعظيم من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البيهقي بسنده عن أبي أمامة موقوفاً عليه قال إن المؤمن ليسكون متسكناً على أربكته إذا دخل الجنة وعنده سباطان من خدم وعند طرف السباطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول أذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن أذنوا له ويقول الذي يليه أذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فتم عقبي الدار) يعني فتم عقبي الدار وقيل معناه فتم عقبي الدار ما أتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لأنهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما وثقوه به على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والترابة (ويفسدون في الأرض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك) يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لأن منقلب

الناس

ويفسدون في الأرض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الأبعاد من

الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبي الدار وإن يراد بالدار جهنم ويسوئها عذابها

غیره (وفرحو بالحیوة الدنیا) بما بسط لهم من الدنیا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يبقا بلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحيوة الدنیا فی الآخرة الامتاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنیا فی جنب نعيم الآخرة ليس الاشياء أنزرا يتمتع به كحجلة الراكب وهو ما يتجمله من غيرات أو شربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه (الذين آمنوا) هم الذين أو محله النصب بدل من من (ونطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (ألا يذكر الله نطمئن القلوب) بسبب ذكره نطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو صدر من طاب كبشري ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلهما النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام في لهم

الناس في العرف الى دورهم ومنزلهم فالمؤمنون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقروه ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله (وفرحو بالحیوة الدنیا) يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا واطرأوا والفرح لذة تحصل في القاب بذيل المشتبه وفيه دليل على ان الفرحة بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحيوة الدنیا فی الآخرة) يعني بالنسبة الى الآخرة (الامتاع) أي قليل ذاهب قال الكافي المتاع مثل السكرجة والقصة والتدر ينتفع به في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا أنزل على محمد آية ومجزة مثل مجزة موسى وعيسى (قل) أي قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله (ويهدي اليه من أناب) يعني ويرشد الى دينه والایمان به من أناب بقلبه ورجع اليه بكايته (الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (ونطمئن قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك (ألا يذكر الله تطمئن القلوب) يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت انما يكون الوجع عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه ونطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلاف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرعة عين وقال عكرمة نعيم لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لحن لان قوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحشية وروى عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في الجنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبوع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليهم املك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن أبي سعيد الخدري ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمها وعن معاوية بن قرعة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحال وان أغصانها ترمى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين بغیر سند وروى بسنده موقوفان أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شتم وظل مدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أو حقة أو جذعة ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرامان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب

بالرفع والنصب بذلك على
عجلها (كذلك أرسلناك)
مثل ذلك الأرسال أرسلناك
أرسالاً شأنه وفضل على
سائر الأرسال ثم قدر
كيف أرسله فقال (في أمة قد
خلت من قبلك أمة) أي
أرسلك في أمة قد تقدمتها
أمة كثيرة فهي آخر الأمم
وأنت خاتم الأنبياء (لتلوا
عليهم الذي أوحينا إليك)
لتقرأ عليهم الكتاب العظيم
الذي أوحينا إليك (وهم
يكفرون) وحال هؤلاء أنهم
يكفرون (بالرحمن) بالبالغ
الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء (قل هوربي) ورب
كل شيء (لا اله الا هو) أي
هوربي الواحد المتعالي عن
الشركاء (عليه توكلت) في
نصرتي عليكم (واليه متاب)
مرجعي فينبني على
معارنكم متبني وثقة بي
وما آتي في الحالين يعقوب
(ولو أن قرآننا سبرت به
الجبال) عن مقارها (أو
قطعت به الأرض) حتى
تصدع وتزبل قطعاً (أو كما
به الموتى) فتسمع وتحيب
لأن هذا القرآن لكونه
غاية في التدبير ونهاية في
الإنذار والتحذير فجواب
لو محذوف أو عندهم ولو أن
قرآننا وقع به نسيير الجبال
زيت طبع الأرض ونكليم
الموتى ونبيهم لما آمنوا به
ولما شهروا عليه كقوله ولو
أنزلنا بهم الملائكة

عن أبي هريرة قال إن في الجنة شجرة قال لها طوبى يقول الله لها تنفتي أبدي عما يشاء فتفتق له عن
فارس مسروجة بالجماء وهيئتها كهيئة وتفتق له عن الراحلة برجلها وزمامها وهيئتها كهيئة وعن
التياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في
ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن
في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد
البخاري في روايته وأقرؤا أن شتم وظل ممدود وقوله تعالى (وحسن ما ب) يعني ولهم حسن منقلب
ومرجع ينقلبون ويرجعون إليه في الآخرة وهي الجنة قوله عز وجل (كذلك أرسلناك في أمة قد
خلت من قبلك أمة) يعني كما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة كذلك أرسلنا نبياء قبلك إلى أمة قد خلت ومضت
(لتلوا عليهم الذي أوحينا إليك) يعني لتقرأ على أمة التي أوحينا إليك من القرآن وشرائع الدين (وهم
يكفرون بالرحمن) قال قتادة وهو من قبل وابن جرير في هذه الآية مدنية زلت في صلح الحديبية وذلك أن سهيل
ابن عمرو لما جاءه لما صلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي
طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يهتدون مسيلة الكذاب
اكتب كما تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني أنهم ينكرونها ويجهلونها
والعروف أن الآية مكية وصحب زوطان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول
في دعائه يا الله يا رحمن فرجع أبو جهل إلى المشركين وقال إن محمداً يدعو أهلين يدعو الله ويدعو أهل آخر
سمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا الرحمن هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله وادعوا
الرحمن أي امدعوا فله الأسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس أنها زلت في كفار قريش حين قال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى (قل) أي قل يا محمد إن الرحمن الذي
أنكرتم معرفته (هوربي لا اله الا هو عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها (واليه متاب) يعني
واليه توبتي ورجوعي قوله تعالى (ولو أن قرآننا سبرت به الجبال) الآية زلت في نفر من مشركي قريش
منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جاسوا خلف الكعبة وأرسلوا خاف النبي صلى الله عليه وسلم
قاتلهم وقيل أنه مر بهم وهم جالوس فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبي أمية إن سرك أن تبعلك
في جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفتح فأنها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهاراً وعبوداً لنفرس
الاشجار ونزرع ونأخذ البساتين فاست كازمعت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال نسير
معه أو سخر لنا الريح كرهاي الشام لم يرتادوا حوايجنا ونرجع في يومنا كما سخرت سليمان كازمعت
فلست باهون على ربك من سليمان أو أحي لنا جسدك قصياً أو من شئت من موتانا نسأله عن أمرك أحق
أو باطل فإن عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله من عيسى فأنزل الله هذه الآية ولو أن قرآننا سبرت به
الجبال فاذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) يعني شقت فجعلت أنهاراً وعبوداً (أو كما به
الموتى) فاحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وإنما حذف اكتفاء بمعرفة السامع
مراده وتقديره ولو أن قرآننا فعل به كذا أو كذا كان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فأقسم لو شئنا أن نأمر رسوله هـ سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شئنا أن نأمر رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل
بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآننا سبرت به الجبال أو
قطعت به الأرض أو كما به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمنا فيهم كما قال ولو أنزلنا إليهم

الآية (بل الله الامر جميعا) بل الله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لخصمه معناه لان اليأس عن

(٦٧)

في معنى الترك لتضمن ذلك دليلا قراءته على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنة وهذه والله قرية ما فيها صرية (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تفرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلياء والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبا من دارهم) أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطابروا عليهم شرورها ويتعدي اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو القيامة أو لا يزال كفار مكة نصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بحيثك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أي لا خلف في مواعده (ولقد استهزى برسول من قبلك فامليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض

الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا ثم قال تعالى (بل الله الامر جميعا) بمعنى في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فقل وان شاء لم يفعل (أفلم يأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد

أقول لهم بالشعب اذ يأسروني * ألم يأسوا أني ابن فارس زهدم

بمعنى ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقوشاعر آخر

ألم يأس الاقوام اني أنا ابنه * وان كنت عن أرض العشيرة قائما

بمعنى ألم يعلم الاقوام قال قطرب يشس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بشئ ويقينك به يمتنع من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع من كلام العرب لالعلم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول بشت بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرب المسمومون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجمعتمو على الايمان فقال الله تعالى أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علمها يتبيننا (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) بمعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي ان معناه أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآية قولين أحدهما ان يشس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعني من الكفر والأعمال الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم بأنواع البلياء أحيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (أو تحل) يعني السرايا والبلياة (قريبا من دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (ان الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واند استهزى برسول من قبلك) وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزى برسول من قبلك (فامليت للذين كفروا) يعني قاملتهم وأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعني بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقمحط والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعني فكيف كان عقابي لهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعني أفمن هو حافظها ورزاقها وعالم بها وما عملت من خير أو شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها أن أحسن وتيعاقبها ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره مكن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي جعلوا لله شركاء (قل سموهم) يعني له وقيل صفوهم بما

وأمّن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزائه وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قريب (على كل نفس) صاحبة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خبره وشره ويعمل لكل جزاءه مكن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) أي الاصنام (قل سموهم) أي سموهم له من هم ونبؤهم باسمائهم ثم قال

(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّمَا أَلْهَمَ إِلَى الْإِسْلَامِ) عَلَى أَمِّ النُّقْطَةِ أَيُّ بَلْ أَتَيْنَاهُ بِشُرَكَاءَ لَا يَعْلَمُونَ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَذَلِكُمْ يَكْتُمُونَ
عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا سِوَايَ شَيْءٍ وَالْمُرَادُ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ شُرَكَاءُ (أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِشُرَكَاءَ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَكَ حَقِيقَةٌ
كَقَوْلِهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ (٦٨) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الْأَسْمَاءِ مُمَيَّنٌ هُوَ (بَلْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَكْرَهُمْ) كَيْدُهُمْ لِلْإِسْلَامِ

يستحقون ثم انظروا هل هي اهل لان تعيد (أم تنبؤنه) يعني أم تخبرون الله (بما لا يعلم في الارض) يعني انه لا يعلم ان نفسه شر يكلم من خلقه وكيف يكون الخلق شر يكلم الخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان اعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شرك (أم بظاهر من القول) يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لأصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزير في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد أن يتصرف في الوجود الا بأذنه فتزين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا آية وهو قوله ومن يضل الله فانه من هاد وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين وارشاد والهداية ومنه وا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أي عن الايمان (ومن يضل الله فانه من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في قراءة كثير القراء (لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل والامر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (واعذاب الآخرة أشق) يعني أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدة مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع (وما لهم من الله) يعني من عذاب الله (من واق) يعني من مانع عنهم من عذابه ﴿ قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الأنهار) كلها دائم لا ينقطع أبدا (وظلها) يعني انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهنم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة ينفى وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد فقال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب أن تنفى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تمتع بها الملائكة ومن بعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الا أن الذي نذهب اليه ان الجنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من آيتين احدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ﴿ وقوله تعالى (تلك عقي الذين اتقوا) يعني ان عاقبة أهل التقوى هي الجنة (وعقي الكافرين النار) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (والذين آمنوا هم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) فالمراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذي أتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوجيه والنسبة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الأحزاب) يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقادة فان قلت ان الأحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن

الآخِر

و الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الا قاصيص
و بعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما هو فوهو بدلو من الشرائع

(قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمسكرين أي قل إنما أمرت فيما (٦٩) أنزل إلى بان أعبد الله ولا أشرك

به فأنكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (إليه أدعو) خصوصاً لا أدعو إلى غيره (والإله) لا إلى غيره (مآب) مرجعي وأتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه أموراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه ولا نذار بدار الجزاء (حكماً عربياً) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يشاركونهم فيها فقل (ولئن اتبعت أهواءهم) أي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (مالك من الله من ولى ولا وادق) أي لا ينصرك ناصر ولا يفيك منه وادق وهذا من باب التهبيج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والافكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقرحون

الأحزاب من ينكر بعضه قلت ان الأحزاب لا ينكرون القرآن بحماته لانه قد ورد فيه آيات دلالت على توحيد الله وإثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبداً والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والإنجيل والمراد بأهل الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة من سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الأحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قايلاً في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قوله ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعمنون مسيماً الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وإنما قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) أي قل يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله) يعني وحده (ولا أشرك به) (إليه أدعو) أي إلى الله وإلى الإيمان به أدعو الناس (والإله مآب) يعني مرجعي يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) أي كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربياً بلسانك ولسان قومك وإنما سمى القرآن حكماً لان فيه جميع التكليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سبب الحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكماً لذلك المعنى (ولئن اتبعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آباءهم فتوعده الله على اتباع أهواءهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آباءهم في الصلاة لبيت المقدس (بعد ما جاءك من العلم) يعني بانك على الحق وان قبلك الكعبة هي الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حق للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدراً وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الأولى (مالك من الله من ولى ولا وادق) يعني من ناصر ولا حافظ ﴿قوله تعالى﴾ لا لقد أرسلنا رسلاً من قبلك روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشغولاً بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعماعابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك يا محمد (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) فانه قد كان لسلیمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبع مائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لآبيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضاً في نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قادحاً في نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك يا كلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكولون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يرهم المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في إثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة يجز عن مثلها البشر فإلهم أن يقترحوا عليه شيئاً وإتيان الرسول بالمعجزات ليس إليه بل هو مفوض إلى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل أجل

عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية) نساء وأولاداً (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أي ليس في وسعه إتيان الآيات على ما يقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله (لكل أجل

(كتاب) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استنبطوا ذلك وقد كانوا يستنجون نزوله أخبر الله عز وجل أن لكل قضاء قضاء كتابه فيه ووقته لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن لكل أجل أجل الله كتاباً قد أثبت فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى أن الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (بمحوائه ما يشاء ويثبت) وذلك أنهم لما اعترفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن محمدًا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدًا وما صلب ذلك إلا أنه يقول من تلقاه نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله (بمحوائه ما يشاء ويثبت) قال سعيد ابن جبلة وقتادة (بمحوائه ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا يبدله ولا يبدله وقال ابن عباس (بمحوائه ما يشاء ويثبت) إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة وبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أمر بالنعطة فثان وأمر بعون أيلة بعث الله ليهاملك كافصوورها وخلق سمعها وبصرها ووجدها وولمها أو عظامها ثم قال يا رب أدكر أم أنسى فيقتضي ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزال يدعى أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يومًا ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكًا يبارك بع كل ما يكسب رزقه وأجله وشرقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بأن الآجال والأرزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الأزل فبستحيل زيارتها وتقصاتها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيًا والشقي سعيدًا وقد صرح في فضل صلة الرحم أن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى (بمحوائه ما يشاء ويثبت) قلت قد تقرر بالدلائل القطعية أن الله عالم بالآجال والأرزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فإذا علم الله أن زيدا يموت في وقت معين استحال أن يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لا تزبد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بإجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة وقائه بما ينفعه في الآخرة وصيائمه عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها أنها بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمر زيدا مثلاً ستون سنة الآن يصل رحمه فان وصلها زيدا قبله أو بعون سنة وقد علم الله في الأزل ما يقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى (بمحوائه ما يشاء ويثبت) أي بالنسبة لما يظهر للمخوفين من تصور الزيادة وما انقلاب الشقي سعيدًا والشقي سعيدًا في تصور في الظاهر أيضًا لأن الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وكذا العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وقد يرتد المسلم والعباد بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة إلى الشقاوة والأصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يحتمل الله به له وهو المراد من علم الله الأزل الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل المحاذرة أثر الكتابة وهذه الإثبات فن العلماء من حمل الآية على ظاهرها فجعلوها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والأجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والإيمان بالله والكفر ونحو هذا عن عمر ابن مسعود فأنهما قال لا يحو السعادة والشقاوة وبعو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر أنه كان

(كتاب) لكل وقت حكم
يكتب على العباد أي
يفرض عليهم على ما تقتضيه
حكمته (بمحوائه ما يشاء)
ينسخ ما يشاء ونسخه
(ويثبت) بدله ما يشاء أو
يتركه غير منسوخ أو يحو
من ديوان الحفظ ما يشاء
ويثبت غيره أو يحو
كفر التائب ويثبت
إيمانهم أو يميت من كان
أجله وعكسه ويثبت
مدني وشامي وحزرة ودي

يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني من أهل الشقاوة فأعني. ثم اوثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمضي إلى ثلاثين سنة هكذا ذكره البيهقي وغيره وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العساء من حل معنى الآية على الخصوص في بعض الأشياء دون بعض فقال المراد بالحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضاً عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظ يكتوبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظ بما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربة دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكشي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب ويثبت من لم يجئ أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محمداً وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبتته ورده إلى صاحبه وقيل ان الله يثبت في أول كل سنة حكمها فإذا مضت السنة محمداً وأثبت حكماً آخر للسنة المستقبلية وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا الحو والاثبات قال الحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئاً ولا يثبت شيئاً الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر **(مسألة)** استدل الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان يعتقد شيئاً ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت والجواب عن هذه المسألة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته الخصوصية وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالاً كذا ذكره الامام غفر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقوله تعالى **(وعنده أم الكتاب)** يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الأشياء مثبتة فيه ومنه نسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها انفس اليه وتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير شيء، ثم اورد عطي عن ابن عباس قال ان لله لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كهبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خافي وما خلقه وما هم عاملون **(واما زينك)** يعني يا محمد **(بعض الذي نعدهم)** يعني من العذاب **(أو توفينك)** يعني قبل أن نريك ذلك **(فانما عليك التبليغ)** يعني ايس عليك التبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ **(وعلينا الحساب)** يعني وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجاز بهم بأعمالهم **(أولم يروا أنا تأتي الأرض أنافها)** يعني أولم يروا كفار مكة الذين سألوهم محمد صلى الله عليه وسلم الآيات أنا تأتي الأرض يعني أرض الشرك تنقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه

(وعنده أم الكتاب) أي أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه **(واما نرينك بعض الذي نعدهم)** أو توفينك **(وكيف ما دارت الحال)** أي يترك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفينك قبل ذلك **(فانما عليك البلاغ)** فإيجب عليك التبليغ الرسالة فحسب **(وعلينا الحساب)** وعلينا الحساب **(وعلينا الحساب)** حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهملهم أعمالهم ولا تستعمل أعراضهم ولا تستعمل بعذابهم **(أولم يروا أنا تأتي الأرض)** أرض الكفرة **(تنقصها من أطرافها)** بما فتح على المسلمين من بلادهم فنقص دار الحرب ونزید فی دار الاسلام وذلك من آيات النصر والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذي جلت له ولا تنهم بما وراء ذلك فنحن نكفيكم وتم ما وعدناك من النصر والظفر

(واقعة بحكم المعقب)

(حكمه) لا اراد لحكمه

والمعقب الذي يكر على الشيء

فيبطله وحقيقته الذي

يعقبه أي يعقبه بالرد

والابطال ومنه قيل لصاحب

الحق معقب لأنه يقضي

غريمه بالاقضاء والطلب

والمعنى أنه حكم للاسلام

بالغلبة والاقبال وعلى

الكفر بالادبار والانتكاس

ومحمل لامعقب لحكمه

النصب على الحال كأنه قيل

والله يحكم نافذا حكمه كما

نقول جاء في زبد العمامة

على رأسه ولا قلندوة له

تريد حاسرا (وهو سريع

الحساب) فعما قليل

يحاسبهم في الآخرة بعد

عذاب الدنيا (وقدمكر

الدين من قبلهم) أي كفار

الامم الخالية بانيائهم

والمكرارادة المكروه في

خفية ثم جعل مكرهم كلاما

بالإضافة إلى مكره فقال

(فله المكر جميعا) ثم فسر

ذلك بقوله (يعلم ما تكسب

كل نفس وسيعلم

فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أولم يروا أنا ناتي الارض فننفضها
لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يعتبرون فيستعظون وهذا قول ابن عباس
وقدادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرها ونخرها كان ذلك
نقصا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده
ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا ناتي الارض فننخر بها
ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة
والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب
الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض
العلم انتزاعا ينزع من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ
الناس رؤساء جهالا فلو افاقوا بغير علم فاضلوا واذلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة
في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب
أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس
وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء
والاشراف من الناس حكى الجوهرى عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واسئل الواحدى لفظه اللغة
بقول الفرزدق واسئل بنادوكم اذا وردت منى * اطراف كل قبيلة من يتبع

قال يروى بد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا
الموضع قال الامام خر الدين الرازى ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقديره أن يقال
أولم يروا أن كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد
كمال واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة في الذي يؤمنهم أن يقبض الله الامر على هؤلاء الكفرة
فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزة بزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز اتصال
الكلام بما قبله وقوله تعالى (والله يحكم لامعقب حكمه) يعنى لا اراد لحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب
هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يعقب غريمه بالاقضاء والطلب
والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غير بتغيير ولا
نقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يروى سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشكر
فمجازاة لكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى
سريع الحساب قبل هذا (وقدمكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين
مكروا بانيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود بآرامهم وفرعون
بموسى واليهود بيسى (فله المكر جميعا) يعنى عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدى يعنى جميع مكر الماكرين
له ومنه أى هو من خلقه وارادته فلا مكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر
لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كأنه قيل قد فعل من كان
قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضرهم الا من أراد الله ضره اذا كان الامر كذلك
وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعنى ان جميع
اكتساب العباد وتأثيراتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم تمتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم
وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان تمتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل
والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين (وسيعلم

الكفار ان عقبي الدار) يعني العاقبة المحمودة لان من علم ما نكسب كل نفس وأعد لها جزاء هافهو المكركه لانه يأتهم من حيث لا يظنون وهم في غفلة عما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس حجازي وأبو عمرو (ويقول الذين كفروا الست مرسل) المراد بهم كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا الست مرسل وهذا قال عطاء هي مكية الا هذه الآية (قل) كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بما أظهر

من الادلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهدا تميز (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقال ابن سلام في نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا يعني الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار أخوه فآخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر الميم يرتفع العلم بالابتداء

الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعني أباجهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (لمن عقبي الدار) والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحيدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة ﴿قوله تعالى (ويقول الذين كفروا الست مرسل) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أي قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسل من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعني ومن عنده علم الكتاب أيضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وأنكره من أنكره منهم وقيل انهم مؤمنوا أهل الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيد بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا لانه خلاف الاصل فلا يقال شهد به هذا زيد والفقيه بل يقال شهد به هذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فن علم هذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله أعلم بما رآه وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام﴾ وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى آخر الآيتين وهي احدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الكتاب أنزلناه اليك) يعني هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام غفر الدين الرازي رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ايسر الا واحد لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبير عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا

(١٠ - (خازن) - ثالث) ﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخمسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الكتاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه اليك) في موضع الرفع صفة للنكرة (لتخرج الناس) بدعائك اياهم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى

(بإذن ربهم) يتيسر وتسهيله مستعار من الأذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما ينحهم من التوفيق (إلى صراط) يدل من النور
 بتكرير القائل (العزير) الغالب بالانتقام (الحديد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدني وشامي على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطف
 بيان للعزير بالحديد (الذي له ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعده
 الكافر بن بالويل وهو تقيض الوال وهو (٧٤) النجاة وهو اسم معنى كاطلاك فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد)

(بإذن ربهم) يعني بامر ربهم وقيل يعلم ربهم (إلى صراط العزيز الحكيم) يعني إلى دين الإسلام وهو دينه
 الذي أمر به عباده والعزير هو الغالب الذي لا يغلب والحديد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد
 (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبر ما بعده وقرئ بالجر اعتل للعزير بالحديد وقال أبو عمر وقراءة الخفض
 على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحكيم (الذي له ما في السموات وما في الأرض) يعني
 ملكا وما فيه ما عبيده (وويل للكافرين) يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في
 السموات وما في الأرض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لأنه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة
 ما في السموات وما في الأرض (من عذاب شديد) يعني معذبهم في الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين
 يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (ويصدون عن
 سبيل الله) أي ويمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبعونها عوجا) يعني ويطلبون لها زينا ويغفرون لها الخلف
 الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حامدين عن القصد وقيل الهاء في ويبعونها راجعة إلى الدنيا
 ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل إلى الحرام (أو لئلا) يعني من هذه صفته (في ضلال
 بعيد) يعني عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال بعيد ذي بعدا وفيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق قوله
 تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوههم إليه وهو قوله تعالى
 (ليبين لهم) يعني ما يأتون وما يذرون فإن قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما
 بعث إلى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث إلى الثقيلين
 الخفيفين والناس وهم على السنة مختلفة وأوقات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضي بظاهره
 أنه مبعوث إلى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ولسانهم
 والناس تبع للعرب فكان مبعوثا إلى جميع الخلق لأنهم تبع للعرب ثم إنه بعث الرسل إلى الأطراف فيترجون
 لهم بالسنتهم ويدعونهم إلى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل أنه أراد بقومه أهل بلده وفهم العرب وغير العرب
 فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى وقيل إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته
 خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم في ذلك فإذا فهموه ونقل عنهم
 اتشبع عنهم علمه وقامت التراجم ببيان وتفهم لمن يحتاج إلى ذلك ممن هو من غير أهلها وإذا كان الكتاب
 واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الأمم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم
 فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء)
 يعني أن الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعني الذي
 يغلب ولا يغلب (الحكيم) في جميع أفعاله في قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) المراد بالآيات
 المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وفاق البحر وغير ذلك من المعجزات
 العظيمة الباهرة (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أي أن أخرج قومك بالعودة من ظلمات الكفر

وهو مبتدأ وخبر وصفة
 (الذين يستحبون) يختارون
 ويؤثرون (الحياة الدنيا على
 الآخرة) ويصدون عن سبيل
 الله (عن دينه) ويبعونها
 عوجا (يطلبون سبيل الله
 زينا) عوجا جارا والاصل
 ويغفون لها الخلف الجار
 وأوصل الفعل الذين مبتدأ
 خبره (أو لئلا) في ضلال
 بعيد (عن الحق) ووصف
 الضلال بالبعد من الاسناد
 المجازي والبعد في الحقيقة
 للضلال لأنه هو الذي يتباعد
 عن طريق الحق فوصف
 به فعله كما تقول جد جده
 أو مجرور وصفة للكافرين
 أو منصوب على الذم أو
 مرفوع على أعني الذين
 أوهم الذين (وما أرسلنا من
 رسول الا بلسان قومه)
 الامتكاما بلغتهم (ليبين
 لهم) ما هو مبعوث به وله
 فلا يكون لهم حجة على الله
 ولا يقولون له لم تفهم
 ما حوطيناه فإن قلت إن
 رسولنا صلى الله عليه وسلم
 بعث إلى الناس جميعا بقوله
 قل يا أيها الناس إني رسول

الله اليكم جميعا بل إلى الثقيلين وهم على السنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فغيرهم الحججة قلت لا يخلو ما أن ينزل بجميع اللسان إلى
 أو هو أحد من أهل الحاجة إلى نزوله بجميع اللسان لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين أن ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه
 أولى بالتبيين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعدهم من التعريف والتبديل (فيضل الله من يشاء) من أترسبب الضلالة (ويهدي من يشاء) من أتر
 سبب الاهتداء (وهو العزيز) فلا يزال على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الأهل الخذلان (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (أن أخرج
 قومك) بأن أخرج أو أي أخرج لان الارسل فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلناه أخرج قومك (من الظلمات إلى النور

وذ كرههم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها وأيام الأنعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفاق لهم البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على البلياء (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن اذا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذ قال موسى (٧٥) لقومه اذ كروا نعمة الله عليكم اذا أنجاكم من آل

فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام أى انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتغال من نعمة الله أى اذ كروا وقت انجائكم (وذبحون أبناءكم) ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلاوا ووهنا مع الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب و بيان له وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر (ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (واذ تأذن ربكم) أى آذن ونظير تأذن وآذن توعدا وتوعدا ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذا آذن ربكم ايذا نابليغا تنفي عنه الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه واتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل واذا قال موسى لقومه اذ كروا نعمة الله عليكم واذا كروا

الى نور الايمان (وذ كرههم بأيام الله) قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة يعنى نعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الأمم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أى بوقائعهم وانما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والنعمة فاجبه بذ كرا الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظمهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والوعد ان يذ كرههم بما أنعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول فيما مضى من الايام والترهيب والوعد ان يذ كرههم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسوله وقيل بأيام الله في حق موسى أن يذ كرقومه بأيام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد أن كانوا عبيدا (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبر بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة لكافة لانهم هم المنتفعون بهادون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدي للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة (واذ قال موسى لقومه اذ كروا نعمة الله عليكم) لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذ كرقومه بأيام الله امتثل ذلك الامر وذ كرههم بأيام الله فقال اذ كروا نعمة الله عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون) أى اذ كروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) فان قلت قال في سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا يذبحون بزيادة واو والفرق قلت انما حذف الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءني القوم زيد وعمر واذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يذبحونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح أيضا فلهذا يذبحون نوع آخر من العذاب لأنه تفسير للعذاب (ويستحيون نساءكم) يعنى يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت نعم كينهم وامها لهم حتى فعلوا ما فعلوا ببلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه أولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذ كروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل اذ كروا نعمة الله عليكم واذا كروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن أى أعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذا آذن ربكم ايذا نابليغا تنفي عنه الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعنى يابني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمن الخالص والعمل الصالح (لازيدنكم) يعنى نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لا يزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دققة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد ويذكر تلك تتأ كد محبة العبد

حين تأذن ربكم والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يابني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لازيدنكم) نعمة الى نعمة فالتشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر تاهبت للمزيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجد في الطاعة لا يزيدنكم بالجد في الثوبة

(وإن كفرتم) ما أنعمت به عليكم (إن عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى أما فى الدنيا فسلب النعمة وأما فى العقبى فتوالى النقم (وقال موسى إن تكفروا أأنتم) يابنى اسرائيل (ومن) (٧٦) فى الارض جميعا) والناس كلهم (فإن الله لغنى) عن شكركم (حيد) وإن لم

يحمده الحاسدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتوها الخير الذى لا يدلكم منه (ألم يأنكم) نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً وعطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جاءتهم رسالتهم بالبينات) (فردوا أيديهم في أفواههم) الضمير ان يعودان الى الكفرة أى أخذوا أناملهم بلسانهم نجساً أو عضوا عليها تعظيلاً أو الثاني يعود الى الانبياء أى رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا به (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) وانا لى شك مما تدعوننا اليه من (مريب) أى الله شك (أفئ الله شك) أى هل تشكون فى الله وهو استفهام انكار ونفى لما اعتقدوه (فاطر السموات

والارض) (مريب) موقع فى الرية (قال رسالتهم أى الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وانا لى شك (فاطر السموات والارض)

(مريب) موقع فى الرية (قال رسالتهم أى الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وانا لى شك (فاطر السموات والارض)

(الارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجي مع من الان في خطاب الكافرين كقوله واتقوا وأطيعوا
 سفر لكم من ذنوبكم يا قوم هذا جيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال
 فراءكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد (ويؤخركم الى
 أجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أي القوم (ان أتم) ما أتم (الابشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا
 لم تحسون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني الاصنام (فاتونا بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم
 بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها فاعتوا لجأجا (٧٧) قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر

مثلكم) تسليم لقولهم
 انهم بشر مثلهم (ولكن
 الله يمين على من يشاء من
 عباده) بالايمان والنبوة
 كما من علينا (وما كان
 لنا أن نأتيكم بسلطان الا
 باذن الله) جواب اقولهم
 فاتونا بسلطان مبين
 والمعنى أن الانبياء بالآية
 التي قد اقترحوها ليس
 لنا ولا في استطاعتنا
 وانما هو أمر يتعلق بمشيئة
 الله تعالى (وعلى الله
 فليتوكل المؤمنون) أمر
 منهم للمؤمنين كافة
 بالتوكل وقصدوا به أنفسهم
 فعدا أوليا كأنهم قالوا
 ومن حقنا أن نتوكل على
 الله في الصبر على معاندكم
 ومعاداتكم وابدائكم
 ألا ترى الى قوله (وما لنا
 أن لا نتوكل على الله)
 معناه وأي عذر لنا في أن

(الارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيها (يدعوكم ليغفر لكم
 من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى
 هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعني الى
 حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الامم مجيبين للرسول (ان أتم) يعني ما أتم (الابشر
 مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون
 بقولكم هذا الاصنام عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فاتونا بسلطان مبين) يعني حجة بينة واضحة على
 صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم) يعني ان الكفار لما قالوا رسلهم ان أتم الابشر مثلنا
 قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لا تنكر ذلك (ولكن الله يمين
 على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف
 (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله من النبوة وشرفنا به من الرسالة
 أن نأتيكم بآية وبرهان ومجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
 يعني في دفع شرور أعدائهم عنهم (وما لنا أن لا نتوكل على الله) يعني أن الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا انه
 لا يصيننا شي الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقد هدا ناسبنا) يعني
 وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشدا (وانصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لتصبرن (على
 ما آذيتونا) يعني به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل
 من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى
 السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين ﴿ قوله تعالى
 (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا ولنعودن في ملتنا) يعني ليكون أحد الامرين اما
 اخراجكم أي الرسل من بلادنا وأرضنا واما عودكم في ملتنا فان قلت هذا ابوهم بظاهرة أنهم كانوا على ملتهم في
 أول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصبر ورة وهو كثير في كلام العرب وفيه
 وجه آخر وهو أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهر واخلاف أمهم فلما رسلوا اليهم أظهر وا
 مخالفتهم ودعاهم الى الله فقالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة
 على أن الرسل من أول الامر انما نشؤوا على التوحيد لا يعرفون غيره (فأوحى اليهم ربهم) يعني ان الله تعالى

لا تتوكل عليه (وقد هدا ناسبنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل مناسبه له الذي يجب عليه سلوكه في الدين
 قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتونا)
 جواب قسم مضمرا أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يسكوا عن دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون على
 توكلهم حتى لا يكون نكرا (وقال الذين كفروا لرسولهم) سبنا رسلهم أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لنعودن في
 ملتنا) أي ليكون أحد الامرين اخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصبر ورة وهو كثير في كلام العرب وأخطبوا به كل
 رسول ومن آمن معه فخلعوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم)

لهلكن الظالمين) القول مضمراً وأجري الإجماع مجرى القول لأنه ضرب منه (ولكنكم الأرض من بعدهم) أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آدى جاره ورثه الله دارد (ذلك) الأهلاك والاسكان أي ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامى) موقفي وهو موقف الحساب أو المقام مقعدهم أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أن ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابي وبالياء يعقوب (واستفتحوا) (٧٨) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى إليهم (وخاب كل جبار)

أوحى إلى رساله وأنبأه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لهلكن الظالمين) يعني أن عاقبة أمرهم إلى الهلاك فلا تخافوهم (ولكنكم الأرض من بعدهم) يعني من بعدهم هلاكهم (ذلك) يعني ذلك الاسكان (لمن خاف مقامى) يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد إلى نفسه لأن العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم ندمت على ضربى أياك وندمت على ضربك مثله (وخاف وعيد) أي وخاف عذابي قوله عز وجل (واستفتحوا) يعني واستنصروا وقال ابن عباس يعني الامم وذلك أنهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أممهم وذلك أنهم لما أسول من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعني وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار في صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى قوة أحد أو قيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجاهد قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يأتي أن يقول لا إله الا الله وقيل العنيد هو المحب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعني هي أمامه وهو صائر إليها قال أبو عبيدة هو من الأضداد يعني أنه يقال وراء بمعنى خلف ومعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الأمر من ورائك يعني أنه سيأتيك (ويسقى) يعني في جهنم (من ماء صديد) وهو ما سأل من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) أي يتحساهو يشربه لا بمرارة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته وثقلته (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الحلق إذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساعة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أي يسيغه بعد إبطاء لأن العرب تقول ما كنت أقوم أي قمت بعد إبطاء فعلى هذا كاد على أصلها وأبست بصلته وقال ابن عباس معناه لا يجبره وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويبيغه فيغلى في جوفه عن أبي امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إلى فيه فيمكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا مر به قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حيا فقطع أمعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بشئ الشراب وساءت مرتفعنا أخرجناه الترمذى وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها وقوله تعالى (ويأتية الموت من كل مكان وما هو بميت) يعني ان الكافر يجد ألم الموت وشدة من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شجرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدمه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت فيسترى وقال ابن جرير تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (ومن ورائه) يعني امامه (عذاب غليظ) أي شديد وقيل

وخسر كل متكبر بطر (عنيد) مجاب للحق معناه فنصرنا وظفروا وأفلحووا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنناهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى (من ماء صديد) ما يسيل من جلود أهل النار وصديد عطف بيان لماء لأنه مبهم فبين بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون

الاساعة كقوله لم يكذبوا أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ورأية الموت من كل مكان) أي أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا انقطع لما يصبه من الآلام أي لو كان ثم موت لكان كل واحد منها مهلكا (وما هو بميت) لأنه لو مات لاستراح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله بتلقى عذاب أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وجسها في الأجساد هو

(مثل الذين) متبداً محذوف الخبر أي فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفروا برهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الريح مدني (في يوم عاصف) جعل العصف ليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلاة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسرى وعقر الأبل للأضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الإيمان بالله (٧٩) تعالى برماطيرته الريح العاصف

(لا يقدر) يوم القيامة (عما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له أثر من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) إشارة إلى بعد ضلالتهم عن طريق الحق أو عن الثواب (ألم تر) ألم تعلم الخطاب لكل أحد (أن الله خلق السموات والأرض) خالق مضافاً جزوة على (بالحق) بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقهما عبثاً (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم أعلاماً بأنه قادر على اعدام الموجود وإيجاد المعدم (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر (وبرزوا لله جميعاً) ويرزون يوم القيامة وأنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وجل صدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى

هو الخلود في النار ﴿قوله تعالى﴾ (مثل الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد) اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا برهم خفف المضاف اعتماداً على ما ذكره بعد المضاف إليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الخطب والفحم بعد احتراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فسفته وطيرته ولم تبق منه شيئاً في يوم عاصف وصف اليوم بالعصف والعصف من صفة الريح لأن الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحر ويلة ماطرة لأن البرد والحر والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح خفف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضرب به الله تعالى لأعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الأعمال هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاء بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الأعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الأعمال وإن كانت أعمالاً ولكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها كما هو قيل المراد بالأعمال عبادتهم الأصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرتهم أنهم اتبعوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالاعمالهم وقيل أراد بالأعمال الأعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فأنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدر) (عما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الأعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجع عودها والبعيد هنا الذي لا يرجع عوده (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) يعني لم يخلقهما باطلاً ولا عبثاً وإنما خلقهما لأمراً عظيماً وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطوع لله منكم والمعنى أن الذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على إفناء قوم وأماتهم وإيجاد خلق آخر سواهم لأن القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد بمتك يا معشر الكفار ويخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بمتنع لأن الأشياء كلها سهلة على الله وإن جلت وعظمت ﴿قوله عز وجل﴾ (وبرزوا لله جميعاً) يعني وخرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرز حصل في البراز وذلك أن يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا إلى القضاء وأورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكأن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود (فقال الضعفاء) يعني الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (انا كنا لكم تبعاً) يعني في الدين

روزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يرزله انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويطنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا الله عندهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية وأخرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغفروهم وصدوهم عن الاستماع إلى أنبياء وأتباعهم (انا كنا لكم تبعاً) تابعين جمع تابع على تبع تكاد وخدم وغائب وذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعاً

(فهل أتم مغنون عذاب الله من شيء) فهل تقدررون على دفع شيء مما نحن فيمومون من الأولى للتبيين والثانية للتبعض كأنه قيل فهل أتم مغنون عذاب الله الذي هو عذاب الله أو هما للتبعض أي فهل أتم مغنون عذاب الله وهو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توحيهم وأعلم وعذابا على استغواهم لأنهم علموا أنهم لا يقدررون على الإغناء عنهم (قالوا) لهم محبين مقتدرين (لوهدانا الله هديناكم) أي لوهدانا الله إلى الإيمان في الدنيا هديناكم إليه أي لوهدانا الله طريق النجاة من العذاب هديناكم أي لا غشيانا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأما للتسوية روي أنهم يقولون في النار تعالى ونخرج فيحزرون خمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالى وانصبر فيصبرون خمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا أو انصبرنا أم صبرنا (٨٠) حيث إن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه ففعلوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون

والاعتقاد (فهل أتم) يعني في هذا اليوم (مغنون عذابا) يعني دفعون عذابا (من عذاب الله من شيء) من هنا للتبعض والمعنى هل تقدررون على أن تدفعوا عذاب الله الذي حل بنا (قالوا) يعني الرؤساء والقادة والمتبوعون للتابعين (لوهدانا الله هديناكم) يعني لو أُرشدنا الله لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلادعوناكم إلى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستويان علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لأنه يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (مالنا من محيص) يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالى ونخرج فيحزرون خمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالى وانصبر فيصبرون خمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار يستغيثون بالحزنة كما قال الله وقال الذين في النار الحزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومئذ العذاب فردت الحزنة عليهم وقالوا ألم تكن تأتيكم رسالتكم بالبينات قالوا بلى فردت الحزنة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلما يسوا عما عند الحزنة نادوا يا مالئكة ليقض علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثمانمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله أنكم ما كنتم فلهما يسوا عما عند الله قال بعضهم لبعض تعالى فلنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصرخوا واطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (وقال الشيطان) يعني إبليس (لما قضى الأمر) يعني لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ياخذ أهل النار في يوم إبليس وتقر به وتوحيه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجفع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (أن الله وعدكم وعد الحق) فيه اضمار تقديره فصدق في وعده (ووعدتكم فأخلفتمكم) يعني الوعد وقيل يقول لهم أني قلت لكم لا بعث ولاجنة ولا نار (وما كان لي عليكم من سلطان) يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به (الأن دعوتكم) هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم (فاستجبت لي فلا تلووموني ولوموا أنفسكم) يعني ما كان مني إلا الدعاء واللقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا إلى ولا تسمعوا فولي فلما رجتم قول علي الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى بأجابتى ومتابعي من غير حجة ولا دليل (ما أنا بمصرخكم) يعني بمغيبكم ولا منقذكم (وما أتم بمصرخي) يعني بمغيبى ولا منقذى عما أنا فيه (اني كفرت بما أشركتمون من قبل) يعني

أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضى الأمر) حكم بالجنة والنار لاهلها وافرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لأهل النار (أن الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفتمكم) كذبتمكم (وما كان لي عليكم من

سلطان) من تسلط واقتدار (الأن دعوتكم) لكني دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزبيني والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبت لي) فاسترعتما اجابتي (فلا تلووموني) لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى أمر فيبيع مع إن الرحمن قد قال لكم لا يقتلكم الشيطان كما أخرج أبو بكر من الجنة (ولو موأ أنفسكم) حيث أتبعوني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله التمكن ولأن الشيطان لا أثر بين باطل لقوله لوهدانا الله أي إلى الإيمان هديناكم كما مر (ما أنا بمصرخكم وما أتم بمصرخي) لا ينبغي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيبه والأصراخ الإغاثة بمصرخي حزة أتباع الخفاء غيره بفتح الياء لئلا يتجمع الكسرة والياء آن بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الأولى الجمع والثانية ضمير المتكلم (اني كفرت بما أشركتمون) أي بالياء بصري وما مصدرية (من قبل) متعلق بأشركتمون أي كفرت اليوم بما أشرككم إياي مع

الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بأشرا كهم إياه تبرؤ منه واستنكاره له كقوله
 نار آمنتكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي
 شركتمونه وهرا الله عز وجل تقول أشركني فلان أي جعلني له شريكا ومعنى (٨١) أشرا كهم الشيطان بالله طاعتهم له

فيما كان بزينة لهم من عبادة
 الاوثان وهذا آخر قول
 الشيطان وقوله (ان الظالمين
 لهم عذاب أليم) قول الله
 عز وجل وقيل هو من تمام
 كلام ابليس وانما حكى
 الله عز وجل ما سيقوله في
 ذلك الوقت ليكون لطفا
 للسامعين (وأدخل الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات
 جنات تجري من تحتها
 الأنهار خالدين فيها) عطف
 على برزوا (بإذن ربهم)
 متعلق بادخل أي أدخلتهم
 الملائكة الجنة بإذن الله
 وأمره (تحييتهم فيها سلام)
 هو تسليم بعضهم على بعض
 في الجنة وتسليم الملائكة
 عليهم (ألم تر كيف ضرب
 الله مثلا) أي وصفه وبينه
 (كلمة طيبة) نصب بمضمر
 أي جعل كلمة طيبة (كشجرة
 طيبة) وهو تفسير لقوله
 ضرب الله مثلا نحو شرف
 الأمير زيداً كسأه حلة
 وحمله على فرس أو اتصب
 مثلا وكلمة بضرب أي ضرب
 كلمة طيبة مثلاً يعني جعلها
 مثلاً ثم قال كشجرة طيبة
 على أنها خبر مبتدأ محذوف
 أي هي كشجرة طيبة

كفرت بجمعكم أي شر يكاله في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس يجد ما يعتقد الكفار فيه من
 كونه شريكاً لله وتبرأت من ذلك (ان الظالمين لهم عذاب أليم) روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن
 النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتوني فيأذن الله لي ان أقوم فيثور من
 مجلسي أطيب ريح شمسها أحد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نوراً من شعر رأسي الى ظهر قدمي ثم يقول
 الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذي أضلنا فيأتونه
 فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه
 أنثن ريح شمسها أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية وقوله تعالى (وأدخل
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء
 بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والاجر
 الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخاصة اليها الإشارة بقوله وأدخل
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله (خالدين فيها)
 والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (بإذن ربهم) لان تلك المنافع انما كانت تفضلاً من الله بانعامه
 الثاني قوله (تحييتهم فيها سلام) فيحتمل ان بعضهم يحكي بعضهم هذه الكلمة أو الملائكة يحييهم بها أو الرب
 سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام
 مشتق من السلامة وقوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء
 وأحوال السعداء ضرب مثلاً فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترأي بعين قلبك فتعلم علم يقين
 بإعلامي إياك فعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل
 أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم ترأيها الانسان كيف ضرب الله مثلاً يعني بين
 شهاب والمثل عبارة عن قول في شيء يشبهه قولاً في شيء آخر بينهما مشابة ليتبين أحدهما من الآخر ويتصور
 وقيل هو قول سائر لتشبيه شيء بشيء آخر (كلمة طيبة) هي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس وجهور المفسرين
 (كشجرة طيبة) يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد
 وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 أخبروني عن شجرة شبه الرجل أو قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها توتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع
 في نفسي انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهتا أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم هي النخلة قال فلما ناقلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك
 ان تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهتا أن أتكلم وأقول شيئاً فقال عمر لان تكون قلتها أحب الي
 من كذا وكذا وفي رواية أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم خدثوني ما هي فوقع
 الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا
 ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه انها
 المؤمن وقوله (أصلها ثابت) يعني في الارض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء

(١١ - (خازن) ثالث) (أصلها ثابت) أي في الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (في السماء) والكلمة الطيبة كلمة
 توحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الاركان وكان الشجرة شجرة وان لم تكن حاملاً فالمؤمن مؤمن وان
 لم يكن عاملاً ولكن الاشجار لا تراء الا لثمارها فأقوات النار الامن الاشجار اذا اعتادت الاخفاف في عهد الاثمار والشجرة كل شجرة
 مشمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان

الله تعالى طرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيافوق في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها (٨٢) وأنا صغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنها النخلة فقال عمر يا بني لو كنت

قلتها لكانت أحب الي من حمر النعم (تؤتي أكلاها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لأنماها (بأذن ربها) بتبجرحا لقلها وتكويته (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث انها شجرة الحنظل (اجتنت من فوق الارض) استوصلت جنتها وحقيقة الاجتنان أخذ الجنة كلها وهو في مقابلة أصلها ثابت (ما لها من قرار) أي استقرار يقال قرار الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يصند بحجة فهو داحض غير ثابت (ثبت الله الذين آمنوا) أي بدينهم عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (في الحياة الدنيا) حتى اذا فتنوا في دينهم لم يزوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاختود وغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على أن المراد به في القبر بتلقين الجواب وتعيين الصواب

(تؤتي أكلاها) يعني ثمرها (كل حين بأذن ربها) يعني بامر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحين سنة أشهر يعني من وقت طلوعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر يعني ان مدة حملها باطنها وظاهرها ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت أن يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غداة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل أبدأ ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والحلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فاكلاها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن كشبوت أصل النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث أن ثمر النخلة ياتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين يركب هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الله كره الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير الامماني وتذكيرا ومواعظ لمن تذكر واتعظ وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعني الحنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه أيضا أنها الثوم وعنه أيضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء (اجتنت) يعني استوصلت وقطعت (من فوق الارض ما لها من قرار) يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خيره ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا الاعتقاد أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظة أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوف او قال الموقوف أصح وقوله سبحانه وتعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمه أخبر في هذه الآية انه ثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمه بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله (في الحياة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني يوم

فمن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول رب في الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملك ان عشت سعيدا ومت جيدا ثم نومة العروس

القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبداً لك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم يرجع الى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية وأما الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا نليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ومسلم بمعناه زاد في رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا الفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يستل عن شيء بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره أتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا نليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين وأخرجه النسائي أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول ارجع الى أهلى فأخبرهم فيقولان ثم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التثمي عليه فتلتم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فأتته الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير ويده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال نعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له وما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من ربه وطيبها ويفسح له في قبره مدبصره وان كان الكافر قد كرمته قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك

(ويضل الله الظالمين) فلا (ويفعل الله ما يشاء) فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله (كفرا) لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين تابعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك (جهنم) عطف بيان (بصالحونها) بدخولها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا الله أندادا) أمثالا في العبادة أو في التسمية (ليضلوا عن سبيله) وافتح الباء مكي وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا والمراد به الخلدان والتخلية وقال ذو النون التمتع ان يقضى العبد ما استطاع من شهوته (فان مصيركم إلى النار) مرجعكم إليها (قل لعبادي الذين آمنوا) خصهم بالضافة إليه تشريفا وبكون الباء شاميا وحزما وعلى والاعشى (يقيموا الصلاة وينفقوا

فيقول هاهاهاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيه قول هاهاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان قد كذب عبدي فافرشوا له من النار وافتحوا لها بالي النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاله زاد في رواية ثم يقبض له أنعمي أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبالا لصارت رابا فيضرب به باضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفر والاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عاتمة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكي بكاء طويلا وحول وجهه إلى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد كرى الحديث بطوله وفيه فاذا أمانت فلا تصحبني نائمة ولا نار فاذا دفتنوني فشنوا على التراب شنائم أقبلوا حول قبري قدر ما تخرج ررو ويقسم لها حتى أستاذس بكم وأنظر ماذا اراجع به رسل ربى أخرجه مسلم زيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى انما يشيئهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحجم طاعتهم كانت مواظبتهم على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم أن يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعن الله عز وجل أن يرزقه بركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شئ قدير ﴿ وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعني أن الله تعالى لا يهدي المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر (ويفعل الله ما يشاء) يعني من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يستل عما يفعله وهم يسئلونك قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) ﴿ (خ) عن ابن عباس في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش فجر يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاخران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد متموا إلى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فأرسله اليهم وأزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان اختاروا الكفر على الإيمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى (جهنم بصالحونها وبئس القرار) يعني المستقر (وجعلوا الله أندادا) يعني أمثالا وأشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن ذلك والشبيه والمثيل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أي قل يا محمد طؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا أياما قلائل (فان مصيركم إلى النار) يعني في الآخرة ﴿ قوله تعالى (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعني أقيموا وليقيموا الصلاة الواجبة واقامتها تمام أركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل أراد بهما

عمارزقناهم) المقول محذوف لان قل تقتضي مقولا وهو أقبلوا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة الانفاق وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول بالتقدير ليقموا وينفقوا الحذف اللام لانه قل عليهم ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام

بجز (سراو علانية) انتصبا على الحال أي ذوى سر و علانية يعني مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر و علانية أو على المصدر أي اتفاق سر و اتفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع و اعلان الواجب (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه (٨٥) ولا حلال) أي لا انتفاع فيه بمبايعة

ولا مخالفة والحلال المخالفة وانما ينتفع فيه بالاتفاق لوجه الله بفتحهم مكي وبصري والباقون بالرفع والتوين (الله) مبتدأ (الذي خلق السموات والارض) خبره (وأزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وهو حال من الشمس والقمر أي بدأبان في سيرهما وناثرتهما ودرهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفه لمعاشكم وسباسكم (وآنا كم من كل ما سألوه) من التبغيض أي آنا كم بعض جميع ما سألوه أو آنا كم من كل شيء سألوه وما لم نسألوه فموصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سراييل نقيمكم الحر من كل عن أبي

الاتفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الاتفاق في جميع وجود الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والاتفاق في جميع وجود البر (سراو علانية) يعني ينفقون أموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل أراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعني لافداء في ذلك اليوم (ولا حلال) يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون مخاللة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخاللة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يثاب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة بمحمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها بمحمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراه أثبتهم للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان يوم القيامة احوالا مختلفة في بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالفة لله في محبته قوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والارض وأزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم أنه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض قوائده هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذي لا يجهز شيء أراده ففعله تعالى الله الذي خلق السموات والارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات المشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فأخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل قوله كما ومن ثمره اذا تقرر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الأنهار) يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الأنهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذاها ما قال ابن عباس دأبها في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه بدأبان في طاعة الله أي في سيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخيرهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيرهم (وآنا كم من كل ما سألوه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العدد والحصر والمعنى وآنا كم من كل ما سألوه شيئا خذف شيئا كتفاء بدلالة الكلام على التبغيض وقيل هو

عمر وما سألوه نفي وحمله النصب على الحال أي آنا كم من جميع ذلك غير سائلين أو ماموصولة أي وآنا كم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سائلوه أو طلبتموه بلسان الحال

(وان تعدوا نعمت الله
لا تحصوها) لا تطبقوا عددها
وبلغ آخرها هذا اذا
أرادوا أن يعدوها على
الاجمال وأما التفصيل فلا
يعلمه الا الله (ان الانسان
لظلم) يظلم النعمة باغفال
شكرها (كفار) شديد
الكفران طأ وظلوم في
الشدة يشكو ويحزع
كفار في النعمة يجمع
ويمنع والانسان للجنس
فيتناول الاخبار بالظلم
والكفران من يوجدان
منه (واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد
أى البلد الحرام (آمنا) ذا
أمن والفرق بين هذه
وبين ما في البقرة انه قد
سأل فيها أن يجعله من جلة
البلدان التى يأمن أهلها
وفي الثاني أن يخرج من
صفة الخوف الى الامن
كأنه قال هو بلد مخوف
فاجعله آمنا (واجنبني)
وبعدنى أى بئسنى وأدمنى
على اجتناب عبادتها كما
قال واجعلنا مسلمين لك
أى بئسنا على الاسلام
(وبني) أراد بنيه من
صلبه (أن نعبد الاصنام)
من ان نعبد الاصنام

على التكبير يعنى وآنا كم من كل شئ سألتموه وما لم نسأله لان نعمه علينا كثر من أن تحصى (وان تعدوا
نعمت الله لا تحصوها) يعنى ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عددها لكثرتها
(ان الانسان) قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلم
كفار) يعنى ظلم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلم الشاكر لغفر من أنعم عليه فيضع الشكر في غير
موضعه كفار سجود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران طأ وقيل ظلم
في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا البلد آمنا) يعنى ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فان قلت أى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا
و بين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول أن يجعله من جلة البلاد التى يأمن أهلها
فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن
كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) يعنى أبعدني وبني أن نعبد
الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه أن يجعل
مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثاني أن الانبياء عليهم
وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله
اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أيضا أن يجنب بني عن عبادة الاصنام
وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت
الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن ابراهيم عليه
السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بمحمد
الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تخرب الكعبة ذوا السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل
هذا البلد آمنا يعنى الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تعارض
بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من
المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزادة الامن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله
و يتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة آمن على نفسه وماله من
ذلك وحتى أن الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست
لعلمها أنه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا التمدد من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها وأما الجواب عن
الوجه الثاني فمن وجوه أيضا الوجه الاول أن دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه زيادة العصمة والتثبيت فهو
كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى
يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعا بهذا الدعاء هضم للنفس واظهار للجزع والحاجة والفاقة الى فضل الله
تعالى ورجته وان أحد الا يقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما
دعائة لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول أن ابراهيم دعا لبنيه من
صلبه ولم يعبد أحد منهم صنما قط الوجه الثاني انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك
أن ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعائى أن الله أن يدعو له فكأنه قال
وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا
الوجه يكون هذا الدعاء من العام بخصوص الوجه الرابع ان هذا المختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه
أنه قال في آخر الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يقيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار

كتابه ﴿ وقوله تعالى (رب انهن) يعني الاصنام (أضلن كثير من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جادات ونجارة لا تعقل شيئا حتى تضل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول فتفتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بسببها (فن تبغى فانه منى) يعني فن تبغى على ديني واعتقادي فانه منى يعني المتدينين بديني المتسكين بحبلى كما قال الشاعر

إذا حاولت في أسد فجورا • فاني لست منك ولست منى

أراد ولست من المتسكين بحبلى وقيل معناه فانه منى حكمه حكمى جار مجرای في القرب والاختصاص (ومن عصاني) يعني في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيمادون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصاني تخالفني في بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت أن تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لا بوجه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرأ منهما ما والوجه الآخر ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على أن تغفر له وترجيه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب ﴿ قوله عز وجل اخبرنا عن ابراهيم (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطلقا لثي أثرها على سارية ثم جاءها ابراهيم وبنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهما ماء فوضعها هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فبعثته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهم ما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقاها وهو يفور بعدما تغرف وفي رواية قد مر ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم برحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لولم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا مغيضا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بين يديه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا قالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس

(رب انهن أضلن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسيب لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضلنهم (فن تبغى) على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي (فانه منى) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي (ومن عصاني) فيمادون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا اني أسكنت من ذريتي) بعض أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادي مكة (غير ذي زرع) لا يكون فيه شيء من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أولاده لم يزل يمنعها به كل جبار أولاده محترما عظيم الحرم لا يحل انتهاكها أولاده حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه

(ر بنا ليقموا الصلاة)
 اللام متعلقة بأسكنت أي
 ما أسكنتهم بهذا الوادي
 البلقع الالقيمو الصلاة
 عند بيتك المحرم ويعمره
 بذكرك وعبادتك
 (فاجعل أفئدة من الناس)
 أفئدة من أفئدة الناس
 ومن للتبعض لاروي
 عن مجاهد لوقال أفئدة
 الناس لراحتكم عليه فارس
 والروم والترك والهند أو
 لا ابتداء كقولك القلب
 مني سقيم تريد قلبي فكانه
 قيل أفئدة ناس ونكرت
 المضاف إليه في هذا التمثيل
 لتكبرا أفئدة لانها في الآية
 نكرة ليتناول بعض
 الافئدة (تهوى اليهم)
 تسرع اليهم من البلاد
 الشامة وتطير نحوهم
 شوقا (وارزقهم من
 الثمرات) مع سكتهم
 وادبما فيه شئ منها بان
 تجلب اليهم من البلاد
 الشامة (لعلهم يشكرون)
 النعمة في أن يرزقوا أنواع
 الثمرات في واديس فيه
 شجر ولا ماء (ر بنا)
 النداء المكرر دليل
 التضرع واللجأ الى الله
 (انك تعلم ما تخفي وما نعلن)
 تعلم السر كما تعلم العان

فنزلا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربيتهم
 وأنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته باصراة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج
 اسمعيل بطالع تركته أخرجه البخاري بطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة وأما
 تفسير الآية فقوله ر بنا اني أسكنت من ذريتي من للتبعض أي بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام
 بواد غير ذي زرع يعني ايس فيه زرع لانه واديين جبلين جبل أبي قبيس وجبل اجياد وهو وادي مكة عند
 بيتك المحرم مما هو محرم لانه يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء
 وحرم التعرض له والنهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان
 بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزائر ين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل
 وسمى عتيقا ايضا لانه اعتق من الجبابرة ومن الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك
 بيت حينئذ وانما بناء ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل أوحى اليه وأعلمه أن له هناك بيتا قد
 كان في الف الزمان وأنه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي
 كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك أنه سيحدث
 في هذا المكان (ر بنا ليقموا الصلاة) اللام في ليقموا متعلقة بأسكنت يعني أسكنت قوم من ذريتي وهم
 اسمعيل وأولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقموا أي لا جل أن يقيموا أولئك يقيموا الصلاة (فاجعل
 أفئدة من الناس) قال البغوي جمع الوفد (تهوى اليهم) نحن ونشاق اليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم
 الى هذا الموضع وقال ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلماذا جعله جمع فؤاد قال ابن
 الانباري وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحين وقال
 الجوهري الفؤاد القلب والجمع أفئدة فجعلها جارحة واحدة واظفة من في قوله من الناس للتبعض قال
 مجاهد لوقال أفئدة الناس لراحتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى
 والمجوس واسكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوى هو يا اذا سقط
 من علوا الى سفلى وقال الفراء تهوى اليهم يريدونهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا
 تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانباري معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف
 وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد نحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان أن
 حينئذ الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعتنائهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء
 لكان مكة من ذريته بانهم يتفجعون بمن يأتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام في
 هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته (وارزقهم من الثمرات) يعني كما رزقت سكان
 القرى ذوات الماء والزروع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون
 المراد جاب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يحيى اليه ثمرات كل شئ وقوله تعالى
 (لعلهم يشكرون) يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحّدونك
 ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات
 (ر بنا انك تعلم ما تخفي وما نعلن) يعني انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما
 يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا من حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهار العبودية لك وتخشعا
 لعظمتك وتذلا لعزتك واقتدار الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما تخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث
 أسكنهم ما بواد غير ذي زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما تخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن
 يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من نكنا قال الى الله قالت اذا

(وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لبراهيم عليه السلام أو من كلام ابراهيم ومن للاستفراق كانه قيل وما يخفى على الله شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير (اسمعيل واسحق) روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنتهية الولد فيها (٨٩) أعظم لانها حال وقوع اليأس من الولادة

والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لبراهيم (ان ربي لسميع الدعاء) عجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله ان حجه وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما كرمه به من اجابته وازافة السميع الى الدعاء من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فصيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم أباه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) و بعض ذريتي عطفًا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة (ربنا وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكى واقفه أبو عمرو وحزة في الوصل الباقون

لا يضيئنا (وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) قيل هذا من تنمة قول ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الا كثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لبراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولد اسمعيل لبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة وقال سفيان بن عيينة بشر ابراهيم باسمعيل واسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن من أعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المننة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق في الدعاء في وقت واحد وانما بشر باسمعيل بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عند ما بشر باسمعيل وذلك انه لما عظمت المننة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وأمه لان الذي صح في الحديث أنه دعا بقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي الى قوله له لهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (ان ربي لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما كرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله (رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في أوقاتها (ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي ممن يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التي هي للتبويض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا تقبل دعاء) سأل ابراهيم عليه السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لبراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لي) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة قلت المقصود منه الاتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولو الذي) فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت أراد انهما ان أسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له انهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد بوالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعني واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خيله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على

(١٢) (خازن) ثالث) بلاياء أي استجب دعائي أو عبادتي وأعتزلكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولوالدي) أي آدم وحواء وأقاله قبل النهي والياس عن ايمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يثبت أو أسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازا بمثل واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تشييته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا تحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكما جاء في الامر بأبها الذين آمنوا

آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايمان بالله عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم (انما يؤخروهم) أي عقوبتهم (ليوم تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم لا تفرق أما كثرة ما من هول ما ترى (مطعين) مسرعين إلى الداعي (مقضى رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظروهم فينظروا إلى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) صفر من الخير لا تبقى (٩٠) شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب

فلان هواء اذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جراءة وقيل جوف لا عقول لهم (وأندّر الناس يوم يأتهم العذاب) أي يوم القيامة ويوم مفعول ثان لا تفر لا ظرف اذا اندار لا يكون في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أي الكفار (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك وتب الرسل) أي ردنا إلى الدنيا وأمهنا إلى أمم وحمد من الزمان قريب تدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا قسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي حلفتم في الدنيا انكم اذا تم لتزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسم ولو حكى لفظ المقسمين لقل ما لنا من زوال أو أريد باليوم يوم هلا كههم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذرين بشدة السكرات

حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة وهو يعتري الانسان من قلة التحفظ واليقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظالم وفيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلاً قال سفيان بن عيينة فيه تسليّة للمظالم وتهديد للظالم فان قلت تعالى عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلاً وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلاً حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثنية على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه وتعالى بأيها الذين آمنوا أي اثبتوا على ما أتم عليه من الإيمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانته غافلاً الاعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وأنه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلاً فليجعله بصفاته (انما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الابصار) يقال شخص بصير الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحة لا يطر فيها او شخص بصير بدل على الخبرة والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم (مطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أي عبادة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقي بصيره شاخصاً من شدة الخوف أن يبقى واقفاً باهتافين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فاخبر سبحانه وتعالى أنهم مع شخص من الابصار يكونون مطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهبط الخاضع الدليل الساكت (مقضى رؤسهم) الاقتاع رفع الرأس إلى فوق فاهل الموقف من صفتهم أنهم رافعو رؤسهم إلى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فإنه يبطر فيبصره إلى الأرض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شائعة لا يرتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفئدتهم هواء) أي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أما كنها ومعنى الآية ان أفئدتهم خالية فارغة لا تبقى شيئاً ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواء أي مترددة نهوى في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ راللة عن أما كنها والابصار شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وأندّر الناس) يعني وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو في قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) يعني أمهنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع إلى الدنيا حتى يؤمنوا فينتقمهم ذلك وهو قوله تعالى (نجيب دعوتك وتب الرسل) فاجيبوا بقوله (أولم تكونوا قسمتم من قبل) يعني في دار الدنيا (ما لكم من زوال) يعني ما لكم عنها تنفال ولا يبعث ولا تنور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم)

ولقاء الملائكة بلا بشرى فأنهم يسألون يومئذ ان يؤخروهم بهم إلى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكسر لان السكنى من السكون وهو البيت والاصل تعديته بنى نحو قري الدار وأقام فيها ولكنه لما قل أي سكن خاص نصرف فيه فقيل سكن في الدار كما قيل تبوأها أو يجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها وأطعموا وطبوا النفوس سائر بين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يجد ثوبها بما في الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا

(وتبين لكم) بالأخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمردل عليه الكلام أي تبين لكم حالهم (كيف) ليس بفاعل لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما نصب كيف بقوله (فعلنا بهم) أي أهلكناهم وانتقمنا منهم (وضربناكم الأمثال) أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في القرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم (وقدمكم وامكرهم) أي مكرهم العظيم (٩١) الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه

من تأييد الكفر وظلان
الاسلام (وعند الله مكرهم)
وهو مضاف إلى الفاعل
كالاول والمعنى ومكتوب عند
الله مكرهم فهو مجازيهم
عليه بكم هو أعظم منه أو إلى
المفعول أي وعند الله مكرهم
الذي يكرهم به وهو عذابهم
الذي يأتيهم من حيث
لا يشعرون (وان كان
مكرهم لتزول منه الجبال)
بكسر اللام الاولى ونصب
الثانية والتقدير وان وقع
مكرهم لزوال أمر النبي صلى
الله عليه وسلم فبعد عن أمر
النبي عليه السلام بالجبال
لعظم شأنه وكان تامة أو ان
نافية واللام مؤ كدتها
كقوله وما كان الله ليعذبهم
والمعنى ومحال أن تزول
الجبال بكمهم على أن
الجبال مثل لآيات الله
وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال
الراسية نباتاً وتمكن دليله
قراءة ابن مسعود وما كان
مكرهم وبفتح اللام الاولى
ورفع الثانية على أي وان
كان مكرهم من الشدة بحيث
تزل من الجبال وتنقطع
عن أما كنا فان محففة
من ان واللام مؤ كدة

يعني بالكفر والمعاصي من كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم
كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا ايهم (وضربناكم الأمثال) يعني الأمثال التي
ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم
الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب
والهلاك ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وقدمكم وامكرهم) اختلفوا في الضمير إلى من يعود في قوله وقدمكم
ف قيل يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لأن الضمير يجب عوده
إلى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقدمكم وكفار قريش الذين مكر وارسول الله صلى الله عليه وسلم
ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذا مكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم
العذاب يعني بسبب مكرهم بك وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعني جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت
عند الله لجوازهم به يوم القيامة (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعني وان كان مكرهم لأضعف من أن
تزل منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزال أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كشيت الجبال
وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قول آخر وهو انها زلات في نمرود الجبار الذي
حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا انتهى حتى أصدق إلى السماء فاعلم ما فيها فعمد
إلى أربعة أفراخ من النور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذن تابوتاً من خشب وجعل له باباً من أعلى وباباً
من أسفل ثم جوع النور ونصب خشبات أربعاً في أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحماً
أجرو وقعد هو في التابوت وأقعد معه رجلاً آخر وأمر بالنور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت
النور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارأت إليه فطارأت النور يوماً ما أجمع حتى بعدت في الهواء فقال نمرود
لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قرب منها ما ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له
افتح الباب الأسفل فانظر إلى الأرض كيف تراها ففعل فقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان
قال فطارأت النور يوماً آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب
الأعلى ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فاذا الأرض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغية أين تريد
قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب وأخذ معه الرمح ورمى بسهم فعاد إليه
السهم ملطخاً بدم سمكة قد دفت بنفسها في بحر في الهواء وقيل ان طائراً أصابه السهم فلما رجع إليه السهم
ملطخاً بالدم قال كفيت له السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات إلى أسفل و ينكس اللحم ففعل
فهبطت النور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنور ففرقت وظنت انه قد حدث حدث من
السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أما كنا فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الأمر
العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله) يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعده رسله من النصر وإعلاء الكلمة وإظهار الدين فإنه ناصر
رسله وأوليائه ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (ان الله عزيز) أي

(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعني قوله اننا لننصر رسلنا كتب الله لا غلبين أنا ورسلنا مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف إلى
وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وإنما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحد فكيف يخلف رسله الذين هم خير من وصفوه (ان الله عزيز) غالب
لأبما كر

(ذواتقام) لا وليا تمن أعدائه وانتصاب (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) على الطرف للاتقام أو على اخبار ذكر والمشي يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها (٩٢) أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات وانما حذفت

للدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون في القدرات كقوله ذلك بدل الدراهم ومانبر وفي الاوصاف كقوله ذلك بدل الحلقة خاتماً اذا أذنتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل الى شكل باختلاف في تبدل الارض والسموات فقل تبدل اوصافها وتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوي فلا ترى فيها عوجاً ولا أمثاوعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانشار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قرها وانشقاقها وكونها أبواباً وقبلاً تخلق بدلتها أرض وسموات أخرى عن ابن مسعود رضي الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرض من فضة وسموات من ذهب (وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (الله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا

غالب (ذواتقام) يعني من أعدائه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لاذانها فاما تبدل الارض فتغير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدكدك جبالها وتسوي وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لايبقى على وجهها مني الاذهب وتدمر الادبم وأما تبدل السماء فهو أن تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقرها ويكوران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وهذا القول قال جماعة من العلماء وبذل على صحة هذا القول ما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لا حاداً خراجاً في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء الى حرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المسائل الى حرة كان النار ميلت بياض وجهها الى الحرة وقوله ليس بها علم لا حاد يعني ليس فيها علامة لا حاد بتبديل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنائها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبدل ذوات الارض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يفسك بهادم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيراناً والسماء جناحاً وقال أبو هريرة وسعيد بن جبيرة وعبد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزاً بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزاً واحدة يتكفوها الجبار بيده كما يتكفوا أحدكم خبزته في السفر زلاً لاهل الجنة أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محي الدين النوروي في شرح هذا الحديث أما الزل فبضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما بعد للضيف عند نزوله وأما الخبز فبضم الخاء وقال أهل اللغة هي الطلعة التي توضع في الملة يتكفوها بالهمز بيده أي يميلها من يدها الى يدها حتى تجتمع وتسوي لانها ليست منبسطة كالرقعة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس ككله شيء ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالطامة أي الرغيف العظيم وتكون طعاماً زلاً لاهل الجنة والله على كل شيء قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرنا فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل أولاً صفاتها مع بقاء ذاتها كما تقدم في يومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل ذاتها وتانياً وهو أن تبدل ذاتها بتغيرها كما تقدم أيضاً وبذل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبراً من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسد ذكره البيهقي بغير سند في هذين الحديثين دليل على ان تبدل الارض ثانی مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى ﴾ (وبرزوا) يعني وخرجوا من قبورهم (الله) يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى قال الواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المزمع عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذي يظهر عبادته على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ قوله تعالى ﴾ (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعني

مستقنات لا حاد الى غيره كان الامر في غابة الشدة (وترى المجرمين) الكافر بن (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرننا بينهم الى أرجلهم مظلنين

(في الاصفاد) متعلق بمقرنين أي يقرون في الاصفاد وغيره متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود والاعلال (مراييلهم) (من قطران) هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيها به الابل الجرب فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه أن يسرع به اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسراييل فيجتمع عليهم لذع القطران وحرقة اسراع النار في جلودهم واللون الوحش وفتح الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعده به في الآخرة فبينه وبين ما شاهد من جنسه ما لا يقدر قدره وكأنه ما عندنا منه (٩٣) الا الاسامي والمسميات ثمة نعوذ بالله من

سخطه وعذابه من قطران زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره اناة (وتغشى وجوههم النار) تعالوها باشة عالها وخص الوجه لانه أعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس مجرمة أو مطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر (هذا) أي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصحووا و لينذروا (وايعلموا انما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به دعاهم

مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شدته معه في رباط واحد (في الاصفاد) يعني في القيود والاعلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سالة وقال أبو زيد يقرن أي يديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض (سراييلهم) يعني قصصهم واحدها سر بال وقيل السربال كل ما لبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جرت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنيؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سراييل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقد رول لكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطران على كلمتين منوئين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعني تعالوها وتجلها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حاسب عبادهم يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وايعلموا انما هو اله واحد) يعني ولا يستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (ولينذروا به) (الالباب) يعني وليتعض بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أو لوالعقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن انعط والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الحجر﴾

(مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبع مائة وستون حرفاً)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله سبحانه وتعالى (التي آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب والقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله به محمد صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وفي كونه قرآناً أي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والقراءة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لانه لم يجز للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جعلاهما بوصفين وان كان الموصوف واحد الما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما الغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليلها الفعل تقول رب رجل جاءني بر بما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شيء كأنك قلت رب شيء فيكون المعنى رب شيء (يؤذون الذين كفروا) وقيل ما في رب بما معنى حين أي رب حين يؤذون أي يمتن الذين كفروا لان المتنى هو تشهي حصول ما يؤذونه واختلف المفسرون في الوقت الذي يمتن الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين أحدهما ان

خافه الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كما (ولينذروا بالآيات) ذور العقول ﴿سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (التي آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين سورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وفي كونه قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والقراءة في البيان (ربما) بالتخفيف مدني وعاصم والتشديد غيرهما وما هي الكافة لانها حرف مجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة فاذا كفت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم وانما جاز (يؤذون الذين كفروا) لان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة

الماضي المقطوع به في تحقيقه فكأنه قيل بما ورد ودادتهم تكون عند النزاع أو يوم القيامة إذا عابوا حالهم وحال المسلمين أو أذاروا المسلمين بخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلماً كذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وإنما جىء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر

(٩٤)

حسنا وإنما قل رب لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمتني فإذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال إن رب يعني بها الكثرة سهو لانه ضد ما يعرفه أهل اللغة لأنها وضعت للتقليل (ذرهم) أمر اهانة أي أقطع طمعك من أرعواهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكير والنصيحة وخلصهم (ياكلوا) وجمتعوا بدنياهم (ويلهم الأمل) وينخلهم أملهم وأمانهم عن الإيمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على أن إثارة التلذذ والتنعيم وما يؤدى إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جلة واقعة صفة لقسرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية

ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فينتدب العلم الكافر أنه كان على الضلال فيقضى لو كان مسلماً وذلك حين لا ينفعه ذلك التمتني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني أن هذا التمتني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدها و ما يصيرون إليه من العذاب فينتدب التمتني الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج أن الكافر كلما رأى حالاً من أهوال العذاب ورأى حالاً من أهوال المسلم ودلو كان مسلماً وقيل أذار أي الكافر أن الله تعالى برحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فإيدخل الجنة فينتدبوا الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمتني حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة أستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معاني النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغفرها الله لهم بفنل رحمة فيأمر الله بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فينتدبوا الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال واليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وإبراهيم يعني النخعي فإن قلت رب إنما وضعت للتقليل ونفى الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال رب بما يؤذو الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك ورب بما ندبم الإنسان على فعله ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قابلاً لخلق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من التيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره أن هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجراً لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل إن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم فإن قلت رب لا تدخل الأعلى الماضي فكيف قال رب بما يؤذو وهو في المستقبل قلت لأن المتروك في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحقيقه كأنه قال رب بما يؤذو قوله سبحانه وتعالى (ذرهم ياكلوا وجمتعوا) يعني دع يا محمد هؤلاء الكفار ياكلوا في دنياهم وجمتعوا بلدانها (ويلهم الأمل) يعني ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان والاختباطة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعني إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذا نهوا لم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فتي بهما العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على أن إثارة التلذذ والتنعيم في الدنيا يؤدى إلى طول الأمل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن أبي طالب إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الأولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم إلا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ (ما سبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاء في من أحد يعني أحد وقيل هي على أصلها لأنها تفيد التبعض إلى هذا الحكم فيكون ذلك في إفادة عموم النفي آ كدوم معنى الآية أن الأجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما

الصفة بالموصوف إذا الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو وفيها واو أنا كيد ذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالة لقرية لكونها في حكم الموصوفة كانه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفاً وقوله كتاب معلوم أي مكتوب معلوم وهو أجلها التي كتب في اللوح المحفوظ وبين الأثرى إلى قوله (ما سبق من أمة أجلها) في موضع كتابها (وما

يستأخرون) أي عنه وحذف لأنه معلوم وأنت الأمة وألأم ذكرها آخر اجلا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (يا أيها الذي نزل عليه
الذي) أي القرآن (أنك لمجنون) يعنون محمد عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل
اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزل الله كرم عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهم سائح ومنه فبشرهم بعذاب
أليم أنك لانت الحليم الرشيد والمعنى أنك لتقول قول المجانين حيث (٩٥) تدعى أن الله نزل عليك الذي ذكر

(لوما تأتينا بالملائكة
ان كنت من الصادقين) لو
ركبت مع لاوما لامتناع الشيء
لوجود غيره أو للتخصيص
وهل ركبت مع لا للتخصيص
فحسب المعنى هلا تأتينا
بالملائكة يشهدون بصدقك
أو هلا تأتينا بالملائكة
للعقاب على تكذيبنا لك
ان كنت صادقا (ما نزل
الملائكة) كوفي غير أبي
بكر نزل الملائكة أبو بكر
نزل الملائكة أي تنزل
غيرهم (الابالحق) الانزلا
ملتبسا بالحكمة (وما
كانوا اذا منظرين)
اذا جواب لهم وجزاء
الشرط مقدر تقديره
ولو نزلنا الملائكة ما كانوا
منظرين اذا وما آخر
عذابهم (انا نحن نزلنا
الذي ذكر) القرآن (واناله
لحافظون) وهو رد
لإنكارهم واستهزائهم
في قولهم يا أيها الذي نزل
عليه الذي ذكرنا ذلك قال
انا نحن فأكبر عليهم أنه
هو المنزل على القطع وأنه
هو الذي نزل محفوظا

يستأخرون) وانما أدخل الهاء في أجلها لارادة الامة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال
في قوله عز وجل (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذي ذكر) يعني القرآن وأرادوا به محمدا
صلى الله عليه وسلم (أنك لمجنون) انما نسبوه الى الجنون لأنه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي
عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما
مستغرا بامن غيره فربما نسبته الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وآتى بهذا القرآن
العظيم أنكره ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذي ذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه
يا أيها الذي نزل عليه الذي ذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه أنك لمجنون في ادعائك الرسالة (لوما)
قال الزجاج والقراء لوما ولولا لفتان ومعناها هلا يعني هلا (تأتينا بالملائكة) يعني يشهدون لك بانك رسول
من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك وادعائك الرسالة (ما نزل الملائكة الا بالحق) يعني
بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعني لو نزلت الملائكة اليهم لم يهملوا ولم
يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة
عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يؤمنوا
ويصدقوا (انا نحن نزلنا الذي ذكر) يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذي ذكر
جوابا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذي ذكر فاجاب الله عز وجل انه هو الذي نزل الذي ذكر على محمد صلى الله
عليه وسلم (واناله لحافظون) الضمير في له يرجع الى الذي ذكر يعني واناله الذي أنزلناه على محمد لحافظون
يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء
كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا أو كلمة واحدة
وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل
والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة
والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في لمر اجمة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون
عن أراد بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر
الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه أمرا
معلوما لأن القول الاول أصح وأشهر وهو قول الأكثرين لانه أشبه بظاهر التنزيل وورد الكناية الى أقرب
مذ كورأى الى وهو الذي ذكرنا ذلك على المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل
عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا مابينة الكلام البشر فجز الخلق عن الزيادة فيه
والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمهم وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة
أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه
وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وفساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراسخين
يحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وفساده

من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما
استحفظها الراسخين والاحبار فاختلوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف فكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله واناله لحافظون دليلا على
أنه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والله يعصمك

(واقدرسلنا من قبلك في شيع الاولين) أي واقدرسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا انفقوا على مذهب وطريقة (وما يأتهم) حكاية حال ماضية (٩٦) لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول

الا كانوا به يستهزؤن) يعزى نبيه عليه السلام (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) أي كما سلكتنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمثلك من اختار ذلك يقال سلكت الحيط في الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال (لا يؤمنون به) باقية أو بالذكر وهو حال (وقد خلت سنة الاولين) مضت طر يقتهم التي سنها الله في اهلهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فظلوا فيه يرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت ابصارنا) حيرت أو حبت من الابصار من السكر أو من السكر سكرت مكي أي حبت كما يحبس النهر من الجري والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه

فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (واقدرسلنا من قبلك في شيع الاولين) لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون وأساؤ الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره واقدرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والملك ادخال الشيء في الشيء كادخال الحيط في المحيط ومعنى الآية كما سلكتنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدى قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فن آمن بالقرآن فليست حسنة وقال الامام نحر الدين الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكرا فقبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ﴿قوله تعالى﴾ (لا يؤمنون به) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الاولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فأحذروا يا اهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يرجون) يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ماتنا تبتنا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه معنى في ذلك الباب يرجون يعني يصعدون والمعراج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا فيه يرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة كلما آمنوا فعادهم وكفرهم وقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس حدثنا ابصارنا ما خوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت بمعنى غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا وقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾

ولقد

اليهاورأوا من العيان مارأوا قالوا هو شئ تتخيلونه لاجل حقيقة له وقالوا

(بل نحن قوم مسحورون) فسحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في

(ولقد جعلنا في السماء بروجاً) البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحد هـ ا ب ج وهي بروج الفلك
 الاثنا عشر برجاً وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
 والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلاً لكل برج
 منزلان وثلاث منازل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثمانية
 وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها
 القمر في ثمانية وعشرين يوماً قال ابن عباس في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال
 ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال أبو اسحق
 يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور (وزينها)
 يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم (للتأظرين) يعني المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها
 وصانعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلق صورته (وحفظناها) يعني السماء (من كل شيطان رجيم)
 أي من نجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون
 عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فيلقونها إليهم فلما ولد عيسى عليه السلام
 منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فامنعهم من أحد يريد أن
 يسرق السمع الأرمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكرنا ذلك لا بليس فقال لقد حدث في الأرض
 حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الامن
 استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه اكن من استرق السمع (فاتبعه) أي لحقه (شهاب مبین)
 والشهاب شعلة من نار ساطع سمي الكوكب شهاباً لاجل ما فيه من البريق شبه شهاب النار قال ابن عباس في
 قوله الامن استرق السمع يريد بالخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء يسترقون
 السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطي أبداً فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه
 أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فصير غولاً يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة
 على صفوان فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو
 السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فرفها وبددين أصابعه فيسمع
 الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فربما
 أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا
 كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء

(فصل) اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمي بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أم لا على قواين أحدهما أنها لم تكن ترمي بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ظهر ذلك
 في بدء أمره فكان ذلك أساس النبوة صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس
 قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
 وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي
 بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي وبعضه ما روى أن يعقوب بن
 الصيرفي الاخنس بن شريق قال أول من فرغ للرمي بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا إلى رجل
 منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف
 بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي تهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء

السماء عياناً لقالوا ذلك
 وذكر الظلول ليجعل
 عروجهم بالنهار ليكونوا
 مستوضحين لما يرون وقال
 انما يدل على أنهم يبنون
 القول بان ذلك ليس الا
 تسكيراً للابصار (ولقد
 جعلنا في السماء) خلقنا
 فيها (بروجاً) نجوماً أو
 قصوراً فيها الحرس أو منازل
 للنجوم (وزينها) أي
 السماء (للتأظرين
 وحفظناها) أي السماء
 (من كل شيطان رجيم)
 ملعون أو رمى بالنجوم
 (الامن استرق السمع)
 أي المسموع ومن في محل
 النصب على الاستثناء
 (فاتبعه شهاب) نجم ينقض
 فيعود (مبين) ظاهر
 للمبصرين قيل كانوا
 لا يحجبون عن السموات
 كلها فلما ولد عيسى عليه
 السلام منعوا من ثلاث
 سموات فلما ولد محمد صلى الله
 عليه وسلم منعوا من
 السموات كلها

من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرمى بها قوس الله على الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجومها غير هادئة ثابتة على حالها فهذا الامر اراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المبرعمة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كانه كوكب في اترغربة • مسوم في سواد الليل منقض

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث الله رسوله غلظ عليهم قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال اخبرني رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بيناهم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تفعلون في الجاهلية اذ رمى بهذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم او مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها الموت احد ولا الحيانه ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امر اسبح حلة العرش ثم سبح اهل السماء الذين بلونهم حتى يبلغ التسبيح الى اهل هذه السماء ثم قال الذين بلون حلة العرش حلة العرش ما اذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى اوليائهم ويرمون فاجاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقدفون فيه ويزيدون اخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

قالعير يرهقها الغبار وجحشها • ينقض خلفها ما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كلدرى يبتعه • تقع بشور نخاله طنبيا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث الله رسوله ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لاجبار الغيوب والله اعلم في قوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعني بسطانها على وجه الماء كما يقال انها حيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة انها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتبروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر ان الارض مدودة بسيطة وانها كرة وردها اصحاب التفسير بان الله اخبر في كتابه بانها مدودة وانها بسيطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله اعلم بما راده وكيف مد الارض (واقينافها رواسي) يعني جبال الانوار وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فاقبنتها بالجبال (واقبنتها فيها) أي في الارض لان انواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب منه كقول لقوله تعالى (من كل شيء موزون) وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جابر موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي ممدود وعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ورازقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عني به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه

(والارض مددناها)
بسطناها من تحت الكعبة
والجمهور على أنه تعالى مدناها
على وجه الماء (واقينافها
رواسي) في الارض جبالا
قواب (واقبنتها من
كل شيء موزون) وزن بميزان
الحكمة وقدر بمقدار
تقصيه لا يصلح فيه زيادة
ولا نقصان أوله وزن وقدر
في أبواب المنفعة والنعمة
أومابوزن كالزعفران
والذهب والفضة والنحاس
والحديد وغيرها وخص
ما يوزن لانه الكيل
الى الوزن

الارض (معاش) ما يعيش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياض صريحة بخلاف الخبثات ونحوها فان تصرع الياء فيها خطأ (ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معاش أو على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم فيها معاش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم برزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون محل من جر بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الاباءة الجار (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزانة تمثيل والمعنى وما من شيء يتفهم به الابدان الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به و نعطيهاه الا بقدر معلوم ف ضرب الخزانة مثلا لا قدره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لافحة أي وأرسلنا الرياح لواقح لافحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كانه لافحة بها من

الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا احسن بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقداران بالوزن (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمنسارب والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطيروا تم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وان تكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش (وان من شيء الا عندنا خزائنه) الخزانة جمع خزنة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء اذا أحضره فحفظه الخزانة وقيل أراد بالخزانة المطر لانه سبب الارزاق والمايش لبني آدم والدواب والوحش والطيروا معنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وأمره وتديره قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطرا الا ومعهاملاك بسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا أراد الله بقوم خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة واذا أراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم انفتحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها الماء فحملته فكذلك الرياح كالنفحة للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتجمعه في السحاب ثم تمر به فتدرك كما تدرك النفحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الرياح للبشرة فتحمّل الارض قائم يرسل المنيرة فتشير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتواف السحاب بعضها الى بعض فتجعلها ركائما ثم يرسل الواصلات فتلقح الشجر والارض في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعد فانزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء الا بعد أن تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعها والجنوب تدره والدبور تفرق وقال أبو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملفحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لواقح وان ألقحت غيرها لان معناها النسبة كما يقال درهم وزن أي ذو وزن واعترض الواحد على هذا فقل هذا ليس بمعنى لانه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازي عنه بان قال هذا ليس بشيء لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أي ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحابتا فلا أي حلت فعلى هذا تكون الريح لافحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقحت اذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد في بعض الاخبار أن الملقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب الا وأنبتت عينا غدة (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جئت النبي صلى الله عليه وسلم على

(فأزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا) وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أنبت لنفسه في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وانا لنحن نحيي ونميت) أي نحيي بالإنجاد ونميت بالإنهاء أو نميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزء الأعمار على التقديم والتأخير إذا الواو للجمع المطلق (ونحن الوارثون) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأن يبقى بعد فناءه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) من تقدم ولادة وموتاً ومن تأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر (وان ربك هو يحشرهم) أي هو وحده يقدر على حشرهم ويحييهم بمصرهم (أنه حكيم عليم) بآمر الحكمة واسع العلم (ولقد خلقنا الإنسان) أي آدم (من صلصال طين يابس) غير مطبوخ (من حمأ صفة

ركبته وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً اللهم اجعلها ريحاً بارحاً ولا تجعلها ريحاً عاصفاً قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل أنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الريح لواقع وقال يرسل الريح مبشرات ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فأزلنا من السماء ماء) يعني المطر (فأسقيناكموه) يعني جعلنا لكم المطر سقياً يقال أسقى فلان فلان إذا جعل له سقياً وسقاء إذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماءً ولبناً إذا كان أسقيه فإذا جعلوا له ماءً لشربه أرضه أو ما شربه يقال أسقيناها (وما أنتم له) يعني للمطر (بخازنين) يعني أن المطر في خزائنا لا في خزائنكم وقيل وما أنتم له بمائعين (وانا لنحن نحيي ونميت) يعني بيدنا أحياء الخلق وماتهم لا يقدر على ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى لأن قوله تعالى وانا لنحن بفيض الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بأن نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المال كين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين أمتهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لأن وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداءً منه تعالى فإذا فنى جميع الخلائق رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز إلى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الحق إليه ﴿وقوله عز وجل﴾ (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الأول للرايها أو يتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأرسل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين أخرجه النسائي وأخرجه الترمذي وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن يخرجن إلى الجماعة فيقفن خلف الرجال فرمما كان من الرجال من في قلبه ربة فيتأخر إلى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ربة فتتقدم إلى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله والمتأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الأولى والمتأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمتأخرون يعني فيهما وقال الأوزاعي أراد بالمستقدمين المسلمين في أول الوقت والمتأخرين المؤخرين طه إلى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمتأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولاً ومن يسلم آخراً وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الأول فأزدجوا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لئيبعن دورنا ونشترى دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومنها ما انفجرون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الأول المستقدم للتقوى والمتأخر للنظر وعلى القول الأخير المستقدم لطلب الفضيلة والمتأخر للعدو ومعنى الآية أن علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائفتهم وعاصبتهم لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم أنه حكيم عليم) يعني على ما علم منهم وقيل إن الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين على ما ماتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (ولقد خلقنا الإنسان) يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي إنساناً لظهوره وإدراكه البصرياً وقيل من النسيان لأنه عهد إليه ففسى (من صلصال) يعني من الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صونا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي إذا نصب عنه الماء تشقق فإذا حرك تققق وقال مجاهد هو الطين المنقن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم إذا أنقن (من حمأ) يعني من الطين الأسود

بالماء فصار طينا فكت فصار
حأ فخلص فصار سلافة فصور
وييس فصار صلصالا
فلاتناقض (والجان) أبا
الجن كآدم للناس أو هو
ابليس وهو منصوب بفعل
مضمر يفسره (خلقناه من
قبل) من قبل آدم (من نار
السموم) من نار الحر
الشديد الناقد فى المسام قيل
هذه السموم جزء من
سبعين جزءا من سموم النار
التي خلق الله منها الجان
(واذ قال ربك) واذا ذكر
وقت قوله (للملائكة اني
خالق بشر من صلصال من
حأ مسنون فاذا سويته)
أتممت خلقته وهياها النفخ
الروح فيها (ونفخت فيه
من روحي) وجعلت فيه
الروح وأحييته وليس تمت
نفخ وانما هو تمثيل
والإضافة للتخصيص
(ففعوا له ساجدين) هو
أمر من وقع يقع أى اسقطوا
على الأرض يعنى اسجدوا
له ودخل الفاء لانه جواب
اذا وهو دليل على أنه يجوز
تقديم الأمر عن وقت
الفعل (فسجد الملائكة
كلهم أجمعون) فالملائكة
جمع عام محتمل للتخصيص
فقط باب التخصيص
بقوله كلهم وذ كر الكل
احتمل تاويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون

(مسنون) أى متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتين المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت
الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبطل المنتين جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقوال على
ما ذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الأرض فبلها بالماء
حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الإشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم
ان ذلك التراب بله بالماء وخره حتى اسود وأنتن ريحه وتغير واليه الإشارة بقوله من حأ مسنون ثم ذلك الطين
الاسود المتغير صورته صورة انسان أجوف فلما جف وييس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعنى صوتا
واليه الإشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تنفخ في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان
بشر اسوياء قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعنى من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو
الجن كآدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفى الجن
مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون
ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن
الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع
من الجن لا شترا كهم فى الاستتار سموا جناتا وهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر
والشيطان هو العاتى المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعنى من ریح حارة
تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح
الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهى نار بين
السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فاهلدة التي تسمعون من خرقة ذلك
الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم
وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن
عباس كان ابليس من حى من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا فى
القرآن من نار وخلق الملائكة من النور قوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة) أى واذا ذكر
يا محمد اذ قال ربك للملائكة (انى خالق بشر) سمي الآدمى بشر لانه جسم كشيء ظاهر والبشرة ظاهرة الجلد
(من صلصال من حأ مسنون) تقدم تفسيره (فاذا سويته) يعنى عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه
من روحي) النفخ عبارة عن اجراء الريح فى نجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح فى النشأة الاولى وهو المراد
من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لما
كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسياتى الكلام على الروح فى تفسير سورة الاسراء عند قوله ويستلونك
عن الروح ان شاء الله تعالى (ففعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم اني خالق بشر أمرهم
بالسجود لآدم بقوله ففعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة
كلهم) يعنى الذين أمروا بالسجود لآدم (أجمعون) قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن
هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال
فظهر بهذا انهم سجدوا بأسرهم عند هذا بقى احتمال آخر وهو انه سجدوا فى أوقات متفرقة أو فى دفعة
واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكي الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول
التحليل وسيبويه أجمعون معرف فلا تكون حال الروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله سبحانه
وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فإرسل الله عليهم نارا فاحرقهم ثم قال لجماعة أخرى

(الابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء مفعول ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير التارك مأمورا وقال في الكشف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد الغلب كقولك رأيتمهم الا هذا (أي أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هذا سجد فقبل أي ذلك واستكرهه وقيل معناه واكن ابليس أي (قال ابليس مالك لأنك تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك في أن لا تكون مع الساجدين أي غرض لك في ابائك السجود (قال لم أكن لا سجد) اللام لنا كيد النبي أي لا يصح مني أن أسجد (لنذر خلقته من صصال من حامسون قال فخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من نجلة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه مأمون لان اللعنة هو الطرد (١٠٢) من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب

اسجدوا لآدم فسجدوا (الابليس أي أن يكون مع الساجدين) يعني مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فسجدوا (قال) يعني قال الله (يا ابليس مالك لأنك تكون مع الساجدين قال) يعني ابليس (لم أكن لا سجد ليشر خلقته من صصال من حامسون) أراد ابليس أنه أفضل من آدم لان آدم طين الاصل وابلis نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس في قياسه أفضل من آدم ولم يدرك حيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى (قال فخرج منها) يعني من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أي طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعن أهل الارض فهو ملعون في السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الآية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمر الانقطاع له (قال رب فانظرنى) يعني أخرى (الى يوم يعثون) يعني يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فلماذا السب سأل لا نظار الى يوم يعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال كما مال بل كان ذلك الامهال زيادة له في بلائه وشقائه وعذابه وانما سمى يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الا نظار الى يوم يعثون اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عيقت وسألت الا نظار اليه (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم في قوله بما وما مصدرية وجواب القسم (لا زينين) والمعنى فباغوائك اي لا زينين لهم في الارض وقيل هي باء السبب يعني بسبب كونى غاوى لا زينين (لهم في الارض) يعني لا زينين لهم حب الدنيا ومعاصيك (ولا غوينهم أجمعين) يعني بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر واغواهم ثم استثنى فقال (الاعبادك منهم المخلصين) يعني المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الامن أخلصته واصطفيته لتوحيده وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيدته ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصا عنه شائبة الغير فكل من أتى

يوم الدين حدا لللعنة لانه أبعد غاية يضر بها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى الملعن معه (قال رب فانظرنى) فآخرى (الى يوم يعثون) قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يوم الدين ويوم يعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد واكن خولف بين العبارات سلوكا بكلاما طريقة البلاغة وقيل انما سأل لا نظار الى اليوم الذي فيه يعثون لا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر أيام التكليف (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب

القسم لا زينين لهم والمعنى أقسم باغوائك اي (لا زينين لهم) المعاصي ونحوه قوله بما أغويتني لا زينين لهم فبعضتك لا غوينهم في أنه اقسام الا أن أحدهما اقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة بين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فاعترف الناس الحلف به يكون بيمين او مالا فلا الآية حجة على المعتزلة في خلق الافعال وجعلهم على التسبب عدول عن الظاهر (في الارض) في الدنيا التي هي دار العرور واراد اني أقدر على الاحتيا لآدم والتزيين له الا كل من الشجرة وهو في السماء فاما على التزيين لاولاده في الارض أقدر (ولا غوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصري ومكي وشامي استثنى المخلصين لانه علم ان كيدته لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه

بعمل

قال هذا صراط على مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (١٠٣) أي هذا طريق حق على أن أراعيه وهو

أن لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على الى على يعقوب من علو الشرف والفضل (وان جهنم لم وعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار الحبايقها وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (ان المتقين في جنات وعيون) وبضم العين مدني وبصري وحفص المتقي على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال في الشرح ان دخل أهل الكبراء في قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبراء والافالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أي سالمين أو مسلمة عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وهو

بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو اما ان يكون مراده بذلك الطاعة وجه الله فقط أو غيراته أو مجموع الامرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أي الجانبين رجح أخذه (قال) يعني قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعاليه طريقه لا يعرج الى شيء وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخافه طريقك على أي لا تنفقت مني وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على والى يؤدي الى كرامتي ورضواني (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازين لهم في الارض ولا غوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين أو هم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهو لا خصته أي الذين هداهم واجتباهم من عباده (الامن اتبعك من الغاوين) يعني الامن اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به (وان جهنم لم وعدهم أجمعين) يعني موعد ابليس وأشياعه وأتباعه (لها) يعني لجهنم (سبعة أبواب) يعني سبع طبقات قال علي بن أبي طالب تدرجون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع احدي يديه على الاخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات وأطراف جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فذلك اختافت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها من سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله سبحانه وتعالى (ان المتقين في جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل محتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الجارية في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل أن كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجري في جنانه وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولده انه ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات (ونزعنا ما في صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشحشاء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه لخصال المذمومة داخلية في الغل لانها كامنة في القلب بروي ان المؤمنين يحسدون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى

لقد السكا من في القلب أي ان كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها

التوادة والتعاب (أخوانا) حال (على سرر متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا (لا يسميهم فيها نصب) في الجنة تعب (وما هم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما تم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) (١٠٤) تقرر بالمآذ كروية كيناله في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد

قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبغض نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف (ونبئهم) وأخبر أمتك على نبي عبادي ليتخذوا مآحل من العذاب يقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أي أضيفه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يحكي واحدا وجعل الله مصدر ضافه (أذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسل عليك سلاما وسلمنا سلاما (قال) ي ابراهيم (انا منكم وجلون) خائفون لامتناعهم من الاكل أولدخولهم بغير اذن وبغير وقت (قالوا لا توجل) (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي أنك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حزة (بغلام عليم) هو اسحق لقوله في سورة هود فبشرناها باسحق (قال أبشروني على أن مسني

الجنة وقد تقيت قلوبهم من الغل والغش والحق والحسد (أخوانا) يعني في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب (على سرر) جمع سرر يقال بعض أهل المعاني السرر مجلس رفيع عال مهيا للسرور وهو ما خوذ منه لأنه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرر ير مثل صنعاء الى الحامية (متقابلين) يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلتقي أخاه المؤمن سار سرر بكل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يسميهم فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا اعياء (وما هم منها) يعني من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء ومكالم بلا نقصان وفوز بلا حرمان ﴿ قوله سبحانه وتعالى (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضمحكون فقال أضحكون وبين أيديكم النار فتزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد تم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند (وأن عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبغض نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها ما ترحمة فامسك عنده تسع وتسعين رحمة وادخل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا شريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذي أسرى بعبد ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا الشرف العظيم ومنها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله أني وثانيها انا وثالثها ادخال الالف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل أني أنا المعبذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ما قبله أي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولاً بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيغان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لبشر ابراهيم بالولد يهلكوا قوم لوط (أذ دخلوا عليه) يعني أذ دخل الأضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أي نسل سلاما (قال) يعني ابراهيم (انا منكم وجلون) أي خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) يعني لا تخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعني أنهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته (قال أبشروني) يعني باني بالولد (على أن مسني الكبير) يعني على حالة الكبير قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعني فبأي شيء تبشرون وهو

الكبير) أي أبشروني مع مس الكبير بان يولد لي أي ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبير (فبم تبشرون) هي استفهام ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي عجب تبشرون وبكسر النون والقشد يدمكي والاصل تبشروني فادغم نون الجمع في نون العماد ثم حذف الياء وبقيت الكسرة دليلا على انها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشروني فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع التوين والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع

أولاً بشرناك بالحق) باليقين الذي لا لبس فيه (فلانكن من القانطين) من الآيسين من ذلك (قال) إبراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون
 هري وعلى (من رحمة به الا الضالون) الا المخطئون طريق الصواب والا الكافرون كقوله انه لا يباس من روح الله الا القوم الكافرون أي
 استنكر ذلك فنوطا من رحمة ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها (قال فما خطبكم) فاشأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا إلى قوم
 برمين) أي قوم لوط (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالأجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون
 استثناء من الضمير في مجرمين كأنه قيل الا قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمغنى يختلف باختلاف الاستثناءين لان آل لوط
 مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعني انهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين
 أن إرسال السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والهلاك كأنه قيل انا هلكنا (١٠٥) قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم

وأما في المتصل فهم داخلون
 في حكم الارسال يعني ان
 الملائكة أرسلوا إليهم جميعا
 ليهلكوا هؤلاء وينجوا
 هؤلاء وإذا انقطع الاستثناء
 جرى (انما لنجوهم أجمعين)
 مجرى خبر لكن في الاتصال
 بآل لوط لان المغنى لكن
 آل لوط منجئون وإذا اتصل
 كان كلاما مستأنفا كان
 إبراهيم عليه السلام قال لهم
 فما حال آل لوط فقالوا انا
 لنجوهم (الا امرأته)
 مستثنى من الضمير المجرور
 في لنجوهم وليس باستثناء
 من الاستثناء لان الاستثناء
 من الاستثناء إنما يكون فيما
 اتحد الحكم فيه بان يقول
 أهلكناهم الا آل لوط الا
 امرأته وهنا قد اختلف
 الحكماء لان آل لوط
 متعلق بأرسلنا وبمجرمين
 والا امرأته متعلق بنجوهم

استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعني بالصدق الذي
 قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكر انك تذر به وهو اسحق (فلانكن من القانطين) يعني فلانكن من
 الآيسين من الخير والقنوط هو الا يباس من الخير (قال) يعني إبراهيم (ومن يقنط من رحمة به الا الضالون)
 يعني من يياس من رحمة به الا المكذبون وفيه دليل على ان إبراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين
 ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط
 من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من
 يجمل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجمل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه
 الامور سبب للضلالة (قال) يعني إبراهيم (فما خطبكم) يعني فاشأنكم وما الامر الذي جئتم فيه (أيها
 المرسلون) والمغنى ما الامر الذي جئتم به سوى ما بشرتموني به من الولد (قالوا) يعني الملائكة (انا أرسلنا
 إلى قوم مجرمين) يعني هلاك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه (انما لنجوهم
 أجمعين الا امرأته) يعني امرأة لوط (قدرنا) يعني قضينا وانما أسند الملائكة القدر إلى أنفسهم وان كان
 ذلك لله عز وجل لا اختصاصهم بالله وقرهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد
 فعلوه بأمر الملك (انهم الم غابرين) يعني لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات
 نفى فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك أن الملائكة
 عليهم السلام لما بشروا إبراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا إلى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال
 انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زى شبان مردان حسان الوجوه
 تخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم
 منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الاقوام أنتم ولا لاى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعني
 الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه (وأنتناك بالحق)
 يعني باليقين الذي لا شك فيه (وانا لصادقون) يعني فيما أخبرناك به من اهلاكم (فأسر بأهلك بقطع من
 الليل) يعني آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه (واتبع أديارهم) يعني واتبع آثار أهلك وسر
 خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعني حتى لا يرى منازل بقومهم من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع

(١٤ - (خازن) - ثالث) فكيف يكون استثناء من استثناء لنجوهم بالتخفيف حزة وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر (انهم الم غابرين)
 الباقين في العذاب قيل لولم تكن اللام في خبرها الوجوب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولو كان كقوله ولقد علمت
 الجنة انهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقرهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والامر هو الملك
 (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أي لا أعرفكم أي ليس عليكم زى السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقوني
 بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما نكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب
 الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أي يشكون ويكذبونك (وأنتناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) في الاخبار بنزوله
 (فأسر بأهلك بقطع من الليل) في آخر الليل أو بعد ما مضى شيء صالح من الليل (واتبع أديارهم) وسر خلفهم لتكون مطالعا عليهم وعلى أحوالهم
 (ولا يلتفت منكم أحد) للابروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني

والتوقف لان من يلتفت لبدله في ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أو حيناً كانه قيل وأوحينا اليه مقضياً مبتوتاً وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصبحين) وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) (١٠٦) سدوم التي ضرب بقاضيه المثل في الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعا

منهم في ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لان من أساء الى ضيفي فقد أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أي ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان وبالباء فيها يعقوب (قالوا أولم تهك عن العالمين) عن أن تحجرهم منهم أحدا أو تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهاي عن المنكر والجحيز بينهم وبين المعرض له فوعدوه وقالوا لئن لم تنته بالوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتي) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزاً ولا تعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (امرك انهم اني سكرتهم) أي في غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتميزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب

في السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجم من آل لوط ولشلائه تخلف أحد منهم فينال العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعني الى الشام وقيل الاردن وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعني وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعني ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أبهم الامر الذي قضاه عليهم أولاً وفسره ثانياً بتفخيما له وتعظيماً لشأنه (وجاء أهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعني يبشر بعضهم بعضاً بضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شباناً مردين في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفي) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا ظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعني خافوا الله في أمرهم (ولا تخزون) يعني ولا تخجلون (قالوا) يعني قوم لوط الذين جاؤا اليه (أولم تهك عن العالمين) يعني أولم تهك عن أن تضيف أحداً من العالمين وقيل معناه أولم تهك أن تدخل الغرباء الى بيتك فاننا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه الساقط نهيناك أن تكلمنا في أحد من العالمين اذا قصدنا دابة الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه (هؤلاء بناتي) أزوجكم اياهن ان أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبي كالألدلأمة (ان كنتم فاعلين) يعني ما أمركم به (امرك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع امرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى امرك قسمي خذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه (انهم اني سكرتهم) يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم (يعمّهون) يعني يترددون متعجبين وقال قتادة ياعيون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح ونماؤه وانهاؤه حين أشرقت الشمس (جعلنا ناء اليها سافها) وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود (ان في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب (آيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمتوسمين وقال مقاتل للتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين وبعض هذا التأويل ما روى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك آيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخبر وهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث

الذي يشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمّهون) يتحبرون فكيف يقولون قولك ويصفون الى نصيحتك وهو أو الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد فقط تعظيماً له والعمر والعمر واحد وهو البقاء الا أنهم خصوا القسم بالفتوح اشارة بالاختلاف كثرة دور الخلف على السنهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره امرك قسمي (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس (جعلنا ناء اليها سافها) رفعها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقري قوم لوط (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) ان في ذلك آيات للمتوسمين للمتفرسين التأملين كأنهم يعرفون بالطن الشيء بسمه ظاهرة

(وانها) وان هذه القرى يعني آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعدوهم يصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتعمرون عليهم مصبحين وبالليل (ان في ذلك آية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بذلك (وان كان أصحاب الايكة) وان الامر والشأن كان أصحاب الايكة أي الغيضة (لظالمين) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانته منامنهم) فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا (وانهما) يعني قرى قوم لوط والايكة (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام (١٠٧) اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء

لانهما معا يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم ثمود والحجر واديبهم وهو ما بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسول جميعا فن كذبوا واحدا منهم فكانوا كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيثيون في ابن الزبير وأصحابه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أي ينقبون في الجبال بيوتا ويننون من الحجارة (آمنين) لوثاق البيوت واستحكامها من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء

وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الخدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والخلق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعني قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلوم ليس يخفى ولا زائلا والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يعمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (آية للمؤمنين) يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان كان أصحاب الايكة لظالمين) يعني كان أصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيدهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله وقوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحرسبعة أيام حتى أخذوا بأنفسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجوا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فأحرقهم جميعا (وانهما) يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الايكة (لبامام مبين) يعني بطريق واضح مستبين لمن صر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤتم ويتبع ولان المسافر يأتي به حتى يصير الى الموضع الذي يريد ﴿ قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآتيناهم آياتنا) يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجهما من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولدها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) يعني خوفا من الخراب أو ان يقع عليهم الجبل أو السقف (فاخذتهم الصيحة) يعني العذاب (مصبحين) يعني وقت الصبح (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ان يصيبكم ما أصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأمرع السير حتى جاوز الوادي ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاظهار الحق والعذاب وهو ان يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لا تية) يعني وان القيامة لتأتي ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائه (فاصفح الصفح الجليل) الخطاب للنبي صلى الله عليه

الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعشنا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة) أي القيامة لتوقعها كل ساعة (لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق (فاصفح الصفح الجليل) فاعرض عنهم اعراضا جليلا بهم واغضاه قبل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا

وهو يحكم بينكم (ولقد آتيناك سبعاً) أي سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطوال واختلاف في السابعة فقليل الانتقال وبراءة لانهما في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة بونس أو سبع القرآن (من الثاني) هي من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما يتكرر في الصلاة أو من الثناء لاشتغالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة لآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء كانها تنثني على الله واذا جعلت السبع مثاني فن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فن للتبعض (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فاوراهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن

وسلم أي قاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفو احسن واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفع والاعراض مذوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعضو والصفح الخالي من الجزع والخوف (ان ربك هو الخلاق العليم) يعني انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلموه وما يصلحهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصري وأذرعان ليهود قر يظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقويناهم وأتقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل وبديل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أو لا يصح لان هذه السورة مكينة باجماع أهل التفسير وليس فيها من المدينى شيء ويهود قر يظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمرو بن علي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين وبديل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلانها سبع آيات باجماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تنثني في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء وبديل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مثناة وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك قال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثنى اهدنا صراطها هذه الامة فلم يعطها غيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تنثني أهل الشر عن الشر من قول العرب ثبت عناني وقال الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتغالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سورته لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعاً من المثاني انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمرو وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقليل الانتقال مع براءة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهن ماسطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة بونس وبديل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفضل أخرجه البيهقي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود

(لا تمدن عينيك) أي لا
تطمح بصرك طموح
راغب فيه متمن له (إلى
ما تمنى به أزواجهم)
أصناف من الكفار كاليهود
والنصارى والمجوس يعني
قد أوتيت النعمة العظمى
التي كل نعمتان عظمت
فهي إليها حقيرة وهي
القرآن العظيم فعليك أن
تستغنى به ولا تمدن عينيك
إلى متاع الدنيا وفي الحديث
ليس منا من لم يتغن بالقرآن
وحديث أبي بكر من أوتي
القرآن فرأى أن أحدا
أوتي من الدنيا أفضل مما
أوتي فقد صغر عظمها
وعظم صغرها (ولا تحزن
عليهم) أي لا تمن أموالهم
ولا تحزن عليهم أنهم لم
يؤمنوا فيتقوى بمكانهم
الاسلام والمسلمون
(واخفض جناحك
للمؤمنين) وتواضع لمن
معك من فقراء المؤمنين
وطب نفسا عن إيمان
الغنياء (وقل) لهم (إني
أنا النذير المبين) أذكركم
ببيان وبرهان أن عذاب
الله نازل بكم (كما أنزلنا)
متعلق بقوله ولقد آتيناك
أي أنزلنا عليك مثل ما
أنزلنا (على المقسمين)
وهم أهل الكتاب

والأمثال والخبر والعبر ثبت فيها وأورد على هذا القول أن هذه السور الطوال غالبها مدينيات فكيف يمكن
تفسير هذه الآية بها وهي مكينة وأجيب عن هذا الإيراد بأن الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بإزال هذه
السور على النبي صلى الله عليه وسلم وإذا كان الأمر كذلك صح أن تفسر هذه الآية بهذه السور القول
لأن السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المثني وحجة هذا القول الحديث
للقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع أن السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس
وحجة هذا القول أن الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القرآن كله
مثاني لأن الأخبار والقصص والأمثال ثبتت فيه فإن قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم
على قوله سبع من المثاني وهل هو الأعطف الشئ على نفسه قلت إذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب والسبع
الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لأن القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى قوله
عما أوحينا إليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام وإذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد
آتيناك سبع من المثاني وهي القرآن العظيم وأنما سمى القرآن عظيما لأنه كلام الله وروحه أنزله على خير
خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قوله﴾ (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن
عينيك يا محمد (إلى ما تمنى به أزواج) يعني أصنافا (منهم) يعني من الكفار متمنيا لها هي الله عز وجل
رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومن أوجه أهلها عليها والمعنى أنك قد أوتيت القرآن العظيم الذي
فيه غنى عن كل شئ فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات إلى الدنيا والرغبة فيها روى أن سفيان بن عيينة تأول
قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتناول هذه الآية قيل إنما
يكون ما داعينيه إلى الشئ إذا دام النظر إليه مستحسنه فيحصل له من ذلك تمنى ذلك الشئ المستحسن فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر إلى الشئ من متاع الدنيا ولا يلتفت إليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم)
يعني ولا تنغم على ما فأنك من مشاركتهم في الدنيا وقل ولا تحزن على إيمانهم إذا لم يؤمنوا فيه الذي عن الالتفات
إلى أموال الكفار والالتفات إليهم أيضا وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تغبطن فاجر ابنة فأنك لا تدري ما هو لاق بعد موته أن له عند الله قاتلا لا يموت قيل لا بن أبي مریم ما قاتلا
لا يموت قال النار (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه
في المال والخلق فليتنظر إلى أسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى
من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد
الله بن عتبة كنت أحب الأغنياء فما كان أحدا كثر همامني كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا
من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحمت ﴿قوله﴾ سبحانه وتعالى (واخفض جناحك
يعني لين جانبك) (للمؤمنين) وارفق بهم لما نهى الله سبحانه وتعالى عن الالتفات إلى الأغنياء من الكفار
أمر بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أي وقل لهم يا محمد (إني أنا النذير
المبين) لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ
ما أرسل به إليهم والنذارة بتبليغ مع تخويف والمعنى إني أنا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين البين النذارة
(كما أنزلنا على المقسمين) يعني أذكركم عذابا كهذا أنزلناه بالمقسمين قال ابن عباس أراد بالمقسمين
اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سمو بذلك لأنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه
فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة أنهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم
هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وأنما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد أنهم اقتسموا كتبهم
فأمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفروا آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد

(الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل رعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لله ويقول الآخرون سورة آل عمران لله وأورد القرآن ما يقرؤه من كتبهم وقد اقساموه فاليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز (١١٠) أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالنذير أى انذر العضين الذين يجزؤن

القرآن الى سحر وسحر وأساطير مثل ما أنزلنا على المؤمنين وهم الاثنا عشر الذين اقساموا مداخل مكة أيام الموسم فمعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منافاته ساحر ويقول الآخرون كذاب والآخرون شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لأنه لما كان ذلك تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدار لمعنى التسلي من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكميته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحداً واحداً من هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه

بالمقتسمين كفار قرئش سمو بذلك لان أقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين وقال ابن السائب سمو بالمقتسمين لانهم اقساموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطاً من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم أنه كاهن وليقل بعضكم أنه شاعر وليقل بعضكم أنه ساحر فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعى النبوة منافاته كاهن وشاعر وقد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوهم عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) ﴾ (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشيء اذا فرقته وجعلته أجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن أجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعنى أنهم جعلوا القرآن سحراً (فوربك لنسألنهم أجمعين) أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعنى عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمنين والكافرين لان اللفظ عام فعمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لاله الا الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسأل هل عملتم لأنه أعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان يعنى سؤال استعلام وقوله لنسألنهم أجمعين سؤال توبيخ وتقرير وجواب آخر وهو مروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال في الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون في بعض المواقف ولا يسئلون في بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهر وروى عنه أمه وقال الضحاك اعلم وأصل الصدع الشق والفرق أى افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار السعوى وتبليغ الرسالة الى من أرسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) أى اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالتك ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وقوله سبحانه وتعالى (انا كفيناك المستهزئين) أكثر

وسلم أو في القرآن أو في كتب الله (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً من المديح وهو المفسرين النجباء وفاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجية وهو الابانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع خذف الجار كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به (وأعرض عن المشركين) هو أمر استهزائهم (انا كفيناك المستهزئين) الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر كانوا يلقون في ابذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بن بكال فتعلق بشوبه سهم قاصب عرقاق عقبه فقطعه فات والعاص بن وائل دخل في اخمص شوكه فاتتعت رجلاه فات والاسود بن عبد المطلب عمى والاسود بن عبد شمس

المفسر بن علي ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك
 المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزين يقول الله عز وجل لنبيه
 محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عاداك فانا
 كفيناك المستهزين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزون بالنبي صلى الله عليه وسلم
 والقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث
 ابن أسد بن عبد العزى بن زمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله
 بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن طلالة كذا ذكره
 البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة قال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه
 وأمه قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزون يطوفون بالبيت
 فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد
 هذا قال بش عبد الله فقال قد كفيته وأما الى ساق الوليد فر الوليد برجل من خراطة نبال يرش نباله
 وعليه برد يمانى وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فثغره الكبران يطأ طي رأسه فينزعهها
 وجعلت تضربه في ساقه فخذشته فرفض منها فأتى ورمى ما العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد
 هذا يا محمد فقال بش عبد الله فاشار جبريل الى أخمص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتنزه
 ومعه ابنه فنزل شعبان من تلك الشعاب فوطئ شبرقة فدخل منها شوكة في أخمص رجله فقال لدغت لدغت
 فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فأتى مكانه ورمى ما الاسود بن المطلب
 فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعصى قال ابن
 عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي
 رواية الكلبى قال أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة
 ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فأتى وهو يقول
 قتلتني محمد ورمى بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بش عبد الله على أنه خالي
 فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فأتى وفي رواية الكلبى أنه خرج من أهله فاصابه سموم
 فاسود وجهه حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقدوا دونه الباب فأتى وهو يقول قتلتني رب محمد ورمى
 بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل الى رأسه وقال قد كفيته
 فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس أنه أكل حوتا ملحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه
 فأتى فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزين يعني بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
 يعلمون) يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد في قوله سبحانه وتعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك
 بما يقولون) يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعون من الاستهزاء به والقول الفاحش والجليلة البشرية
 تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد
 ربك) قال ابن عباس فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) يعني من المتواضعين لله وقال الضعفاك فسبح
 بحمد ربك قل سبحانه الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
 كان اذا حز به أمر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب
 اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور بطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر
 الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على قوائها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء
 اذا نزل بالعبد مكره ففزع الى الصلاة فكأنه يقول يا رب انما يجب على عبادتك سواء أعطيني ما أحب أو

جعل ينطح رأسه بالشجرة
 ويضرب وجهه بالشوك
 حتى مات والحرث بن
 قيس امتخط قيحا ومات
 (الذين يجعلون مع الله الها
 آخر فسوف يعلمون) عاقبة
 أمرهم يوم القيامة (ولقد
 نعلم أنك يضيق صدرك بما
 يقولون) فيك أوفى القرآن
 أوفى الله (فسبح بحمد
 ربك وكن من الساجدين)
 فالفرع فيما نابك الى الله
 والفرع الى الله هو الذكر
 الدائم وكثرة السجود
 يكفك ويكشف عنك الغم

كفيتني ما أكره فانا عبدك وبين يديك فافعل في ما تشاء ﴿ قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ﴾
يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقانك ومدة حياتك حتى يأتيك
الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا روي
البيهقي بسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوصى الله إلى أن أجمع المال
وأكون من التاجرين ولكن أوصى إلى أن أسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد
تعلق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأى بين يديه يغذيانه
بأطيب الطعام والشراب ولقد رأى عليه حلة ثراها وأقال ثمرته بمائتي درهم فدعا حب الله وحب
رسوله إلى ما روي ذكره البيهقي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النحل ﴾

مكية الا قوله تعالى وان عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به إلى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حزة بن
عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشربوا به ماء قليل إلى
قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان
ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتكم إلى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله
من بعد ما بعثناه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة
النم لكثرة تعداد النم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية والفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف
وسبعمائة وسبعة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع المحي
بمد ما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا (فلا تستجلبوه) يعني وقوا والمراد به محي القيامة قال ابن عباس
لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقرب الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم
ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شيء قالوا
ما نرى شيئا فنزل قوله تعالى اقرب للناس حسابه فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا
به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا
تستجلبوه فاطمأنوا والاستجبال طلب محي الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه
وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعه يدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد
(ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل أحدهما على
الأخرى وضم السبابة إلى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقها كفضل هذه على الأخرى قال
ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا
إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو
العذاب بالقتل بالسيوف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
سحارة من السماء أو اتنا بعذاب أليم فاستجلب العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه
وتعالى عما يشركون) يعني تنزه الله وتعظيمه بالأوصاف الحميدة عما يصف به المشركون ﴿ قوله سبحانه
وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي (من أمره) وانما سمي الامر روحا لانه به تحيا القلوب من
موت الجهالات وقال عطاء بالتبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل

(واعبد ربك) ودم على
عبادة ربك (حتى يأتيك
اليقين) أي الموت يعني
مادمت حيا فاشتغل بالعبادة
وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا حز به أمر
فزع إلى الصلاة

﴿ سورة النحل مكية وهي
مائة وثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)
كانوا يستجلبون ما وعدوا
من قيام الساعة ونزول
العذاب بهم يوم بدر استهزاء
وتكديبا بالوعد فقيل لهم
(أتى أمر الله) أي هو
بمنزلة الآتي الواقع وان كان
منتظرا القرب وقوعه (فلا
تستجلبوه سبحانه وتعالى
عما يشركون) تبرأجل
وعز عن أن يكوله شرك
وعن اشراكهم فاما
موصولة أو مصدرية
واتصال هذا يستجلبون من
حيث ان استجلبوا
استهزاء وتكذيب وذلك
من الشرك (ينزل
الملائكة) وبالتخفيف
مكي وأبو عمرو (بالروح)
بالوحي أو بالقرآن لان كلا
منهما يقوم في الدين مقام
الروح في الجسد أو يحيي
القلوب الميتة بالجهل (من
أمره

على من يشاء من عباده أن أنذروا) أن مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا اله الا أنا فاتقون) اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا أنا فاتقون خافون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خالق السموات والارض وهو قوله (خالق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) وبالتاء في الموضعين حزة وعلى وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الانسان من نطفة (١١٣) فاذا هو خصم مبين) أي فاذا هو

منطوق بمجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة لاحس به ولا حركة أو فاذا هو خصم له به منكر على خالفه قائل من يحيي العظام وهي رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتماذي في كفران النعمة وخلق ما لا بد له منه من خلق البهائم لا كانه ور كونه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله (والانعام خلقها لكم) هي الازواج الثمانية وأ كثر ما يقع على الابل واتصاها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الانسان أي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان (فيها دفء) وهو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنهاتنا كلون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل

الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق (أن أنذروا) يعني بان أعلموا (أنه لا اله الا أنا فاتقون) أي خافون وقيل معناه صروا بقول لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصم مبين) يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة نزل في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجاء بمظلم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رم فترأت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح ان الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا و يوم القيامة وحملها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قدرة فصار جبارا كثيرا لخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من مجدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتداء فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتداء فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين يكون الوقف عند قوله خلقها ثم ابتداء بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورة ومنها غير ضرورة بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفع به من اللباس والا كسية ونحوها المتخذة من الاصواف والا و بارو الاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل والدرو والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام (ومنهاتنا كلون) يعني من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنهاتنا كلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الا كل من هذه الانعام هو الذي يعتقد الناس في معاشهم وأمالا كل من غيرها كالذجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فقير معتد به في الاغاب وأ كله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنهاتنا كلون مخرج الاغلب في الا كل من هذه الانعام فان قلت منفعة الا كل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخرج منفعة الا كل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الا كل فلهذا قدم على الا كل وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أي في الانعام (جال) أي زينة (حين تربحون وحين تسرحون) الراحة رد الابل بالعشي الى مراحيها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى قال أهل اللغة وأ كثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلام وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من

(١٥ - (خازن) - ثالث) من غيرها لان الا كل منها هو الاصل الذي يعتقد الناس في معاشهم وأمالا كل من غيرها كالذجاج والبط وصيد البر والبحر فكثير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه (ولكم فيها جال حين تربحون) تردونها من مراحيها الى مراحيها بالعشي (وحيث تسرحون) ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالاستفاد بها لانه من أغراض أصحاب المواشي لان الرعيان اذا روجوها بالعشي وسرحوها بالغداة ترين باراحتها وتسريحها الاقنية وفرحت أربابها وأ كسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما قدمت الراحة على التسريح لان الجال في الراحة أظهر اذا قبلت ملائى البطون حاقة الضروع

المشقة وقيل المفتوح
مصدر شق الامر عايه
شقا وعقيقته راجعة الى
الشق الذي هو الصدع
وأما الشق فالنصف كانه
بذهب نصف قوته لما ينال
من الجهد والمعنى ونعمل
أنقالكم الى بلادكم تكونوا
بالفيه لولم يخلق الابل الا
بجهد ومشقة فضلا أن
نحملوا أنقالكم على ظهوركم
أومناه لم تكونوا بالفيه
بها الا بشق الانفس وقيل
أنقالكم أبدانكم ومنه
الثقلان للجن والانس
ومنه وأخرجت الارض
أنقالها أى نى آدم (ان
ربكم لرؤف رحيم) حيث
رحمكم بخلق هذه الحوامل
وتيسير هذه المصالح
(والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة) عطف
على الانعام أى وخلق هذه
للكوب والزينة وقد
احتج أبو حنيفة رحمه الله
على حرمة أكل لحم الخيل
لانه على خلقها للركوب
والزينة ولم يذكر أكل
بعد ما ذكره في الانعام
ومنفعة الاكل أقوى
والآية سبقت إيمان النعمة
ولا يليق بالحكيم أن يذكر
في مواضع المنة أدنى النعمتين
ومترك أعلاهما واتصاب
زينة على المفعول له عطفًا
على محل تركبوها وخلق

بالاستفاد بها لانه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من معظمها لان الرعاة اذا مر حوا النعم بالفدانة الى
المرعى وروحوها بالمشى الى الافنية والبيوت يسمعون لابل رغاء ولشاة تغاء ويجابون بعضها ببعض فنعند ذلك
يفرح أربابها وتبتهل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على
التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر من وقت التسريح لان النعم تقبل من
المرعى ملائى البطون حافلة لمضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائنة البطون
ضامرة المضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للمرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجهل في
الاراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله سبحانه وتعالى (ونحمل أنقالكم) الانتقال جمع نقل
وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعنى غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى
اليمن والى الشام وإنما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم الى
الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخل الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين
(لم تكونوا بالفيه) يعنى بالى ذلك البلاد الذى تقصدونه (الا بشق الانفس) يعنى بالمشقة والجهد والعناء
والتعب والشق نصف الشئ والمعنى على هذا لم تكونوا بالفيه الا بشق قوة النفس وذهب نصفها (ان
ربكم لرؤف رحيم) يعنى بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع وقوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير
لتركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها والخيل اسم
جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعنى وجعلها زينة مع المنافع التى فيها
(فصل) احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه
للكوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا أيضا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة
الركوب فلم يذهب كراهة الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى
بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال
لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول
الحسن ونعيم وعطاء وسعيد بن جبيرة واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأجدوا مصداق واحتجوا
على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرسا قاضا كناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة
فأكلناه أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجوارا الهلية
وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خير لحوم الخيل وحر الوش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
الجوارا الهلية هذه رواية البخارى ومسلم وفي رواية أبى داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا
قد أصابتنا محضة فمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجاب من أباح
لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وإنما خص
هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولماذا حكى عن حمل الانتقال على الخيل مع قوله في
الانعام ونحمل أنقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الانتقال على الخيل وقال البغوى ليس المراد من الآية
بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريض الله عباده نعمة وتذبيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل
الصحيح المعتبر عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبيحة لا كتاب ولما كان نص الآية يقتضى ان الخيل
والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتصريح فوردت
السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا بها جميعا بين النصين والله أعلم وقوله تعالى
(ويخلق ما لا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التى ينتفع بها الانسان في جميع حالاته

وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا لله هدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالجمع ومنها جائز أي من السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم ماء لكم منه شراب (لكن متعلق بانزل أو خير شراب وهو ما يشرب) ومنه شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (فيه نسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالمرعى علامات في الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكير (ان في ذلك آية لقوم يتفكرون) فيستدلون

بشروا به على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن نحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقل بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما أعد الله لاهل الجنة في الجنة واهل النار في النار مما عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في نبات والدود في القواكه قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصدا اذا أدك الى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائز) يعني من السبيل سبيل جائز عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائز منها دين يهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائز الاهواء والبدع (ولو شاء لهداكم أجمعين) به دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لتوفيد استقاء الشيء لا تتفاء به فقله ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فحرم ما هداكم قوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على ربه بخلق الحيوانات لاجل الارتفاع والزيادة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على بآدم فقال وهو الذي أنزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني طر (لكم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني تشر بونه (ومنه) يعني ومن ذلك الماء (شجر) الشجر في لغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن أهل اللغة انهم قالوا الشجر أصناف ما جل وعظم وهو يبقى على الشتاء ومادق وهو صنفان أحدهما تبقى له أدوحة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو اسحاق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشد نطعمه اللحم عز الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن اذا أجذبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الآية يعني كلا ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى الشجر (فيه) يعني في الشجر (تسيمون) يعني ترعون مواشيك يقال أسمت الساعة اذا خلتها ترعى ما تهي اذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) أي ينبت الله لكم وقرئ نبت على التعظيم لكم (به) أي لك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجالا كرفي الثمار تفصيلا واجالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقات به كالحنطة والشعير وما أشبههما من به قوام بدن الانسان وثني بذكر الزيتون لافيه من الادم والدهن والبركة وثلاث بذكر النخيل لانها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر الثمرات اجالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى (ان في ذلك) الذي ذكر من أنواع الثمار (آية) يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدايتنا (لقوم يتفكرون) فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدايته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم بمره في سورة الاعراف (مسخرات) يعني مذلات مقهورات تحت قهره وارادته فيه رد على الفلاسفة يجمعين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرف في العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه نجوم مسخرات في نفسها مذلات (بامرء) يعني بامر ربها مقهورات تحت قهره بصرفها كيف هو يختار وانها ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم

عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرء) بنصب السك

و جعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامخ على الابتداء والخبر

(ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذ كرا العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالته على القدرة الباعرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم في الارض) عطوف على الليل والنهار أي ما خلق قبها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مختلفا) حال (ألوانه ان في ذلك آية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو) الذي سخر البحر لنا كإوامنه لماطر يا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد

(١١٦)

وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) يعني أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيريه لما أراد منها (وما ذرأ لكم في الارض) يعني وما خلق لكم في الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار (مختلفا ألوانه) يعني في الخلق والطبيعة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دلائل قاطعة على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى (ان في ذلك آية لقوم يذكرون) يعني فيعتبرون بذلك قوله سبحانه وتعالى (وهو الذي سخر لكم البحر) لماذا ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خالق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذ كرا انعامه في ذلك على عباده ذ كرا بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالفوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر البحر لنا كإوامنه لماطر يا فبذ كرا لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذ كرا الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر المالح الزقاق الحيوان الطرى الذي له في غاية العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلق لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد • المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم • المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعني السفن (مواخر فيه) يعني جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل المخرفى اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخر اذا شقت الماء بجوؤ جوؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني أنها اذا جرت يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعني صوائع والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن المواخر يعني مواقر أي مملوءة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعني الارباح بالتجارة في البحر (ولعلمكم تشكرون) يعني انعام الله عليكم اذ ارأيتم نعم الله فيما سخر لكم (والتي في الارض رواسي) يعني جبالا تقالا (أن تميد بكم) يعني لتأتمل وتنضرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتنحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة أحد على ظهرها فاصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدرك الملائكة ثم خلقت الجبال (وانهارا) يعني وجعل فيها أنهارا لان في ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وانهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان (لعلكم تهتدون) يعني بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم ثم الكلام عند قولهم وعلامات ثم ابتداء (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم

يسرع اليه فيؤكل سر يعا طر يا خيفة الفساد وانما لا بحث باكله اذا حلف لا يأكل لجان مبنى الايمان على العرف ومن قال لعلامه اشترى هذه الدراهم لما جاء بالسمك كان حقيقا بالانكار (وتستخرجوا منه حلية) هي اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن انما يزين بهن من أجلهن فكانها زينتهن ولباسهم (وترى الفلك مواخر) جوارى تجري جوارى تشرق الماشق والنحر شق الماء يحير ومها (فيه) في البحر (ولتبتغوا من فضله) هو عطوف على محذوف أي لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة (ولعلمكم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (والتي في الارض رواسي) جبالا نواب (أن تميد بكم) كراهية أن تميل بكم وتنضرب أو لتأتمد بكم لكن حذف المضاف أكثر قيل خلق الله الارض فجعلت تميد فقالت الملائكة ما هي بمقرة أحد على ظهرها فاصبحت وقد

أرسيت بالجبال لم تدرك الملائكة ثم خلقت (وانهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم أو الى نوحيدركم (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس أو هو النور والفرقان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم في النجم

مقدم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً صابتهون فمن المراد بهم قلت كانه أراد فر يشافلهم اهتداء بالنجوم في سائرهم ولم
 بذلك علم لم يكن مثله غيرهم فكان الشكر واجب عليهم والاعتبار (١١٧) ألزم لهم خصوصاً (أفمن يخلق) أي الله

تعالى (كن لا يخلق) أي
 الاصنام وحيى بن الذي
 هو لاولي العلم لزعمهم حيث
 سموها آله وعبدوها
 فاجروها مجرى أولي العلم
 أولان المعنى ان من يخلق
 ليس كمن لا يخلق من أولي
 العلم فكيف بما لا علم عنده
 وانما يقل أفمن لا يخلق
 كمن يخلق مع اقتضاء المقام
 بظاھر اياه لكونه الزاما
 للذين عبدو الاوثان
 وسموها آله تشبيها بالله
 لانهم حين جعلوا غير الله
 مثل الله في تسميته باسمه
 والعبادة له فقد جعلوا الله
 من جنس المخلوقات وشبها
 بها فانكر عليهم ذلك بقوله
 أفمن يخلق كمن لا يخلق
 وهو حجة على المعتزلة في
 خلق الافعال (أفلا
 تذكرون) فتعرفون
 فساد ما أتم عليه (وان
 تعدوا نعمة الله لا تحصوها)
 لانضبطوا عددها ولا تبلغه
 طاقتكم فضلا أن تطيقوا
 القيام بحققها من أداء
 الشكر وانما اتبع ذلك
 ما عده من نعمة تفيها على
 ان ما وراءها لا ينحصر
 ولا يعد (ان الله لغفور
 رحيم) يتجاوز عن تقصيركم
 في أداء شكر النعمة ولا
 يقطعها عنكم لتفريطكم

علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد
 بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدى فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله
 النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء وعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف
 ما لا علم به ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته
 وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة
 المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا
 قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تنضر ولا تنفع ولا تقدر على
 شيء أفمن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه
 الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لانها جادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها
 ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا
 تذكرن) يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر
 فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر في الآية سؤالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي
 جادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سمو هذه الاصنام آله
 وعبدوها أجريت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون
 شيئا خاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على
 من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن
 لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه
 النعم الجزيلة كيف يسوي بينه وبين هذه الجادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل أن
 يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جادات لا تخلق
 شيئا البتة والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه
 من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء وبتطش
 اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه
 من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لجز عن معرفتها وحصرها
 فكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها جميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
 لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأنعمتم نفوسكم لا تقدرون عليه (ان الله لغفور)
 يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير
 والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا
 يكررون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من ايدائه فاخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل
 أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام
 وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل
 المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام
 بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام التي تدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون
 شيئا وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه

والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوه الكفار (من دون الله)
 بالثناء غير عاصم (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون)

أموات) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون أيان يعنون) نقي عنهم خصائص الالهية بنبي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخالق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليهم الموت وأمره (١١٨) بالعكس من ذلك والضمير في يعنون أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه

نهيكم بالمشركين وإن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الحكم اله واحد) أي ثبت بما أمران الالهية لا تكون لغير الله وإن معبودكم واحد (فالدین لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) لا وحداية (وهم مستكبرون) عنها وعن الإقرار بها (لا جرم) حقا (إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلايتهم فيجازيهم وهو وعيد (أنه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشركين (وإذا قيل لهم طوؤا الكفار) ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) ماذا منصوب بأنزل أي أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع على الابتداء أي أي شيء أنزل ربكم وأساطير خير مبتدا محذوف قيل هو قول المتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أساطير الأولين أي أحاديث

الاصنام لا تخلق شيئا فقلوه سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فمما فائدة التكرار فائدة أن المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئا وأنهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار (أموات) أي جادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما يزعمون لكانت أحياء غير جائز عليهم الموت لأن الآلهة التي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقلوه (وما يشعرون) يعني هذه الاصنام (أيان يعنون) يعني متى يعنون وفيه دليل على أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تدبر أمم عابدين أو قيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يعنون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (الحكم اله واحد) يعني أن الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالدین لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جادة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لأن الحق إذا تبين كان تركه تكبرا (لا جرم) يعني حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أنه لا يحب المستكبرين) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيد عباده بطلان هذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فغناه يتعجب عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا قيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقل غمط حق فلان إذا احتقرته ولم تزه شيئا وكذا معنى غمضته أي انتقصت به وأزدريته ﴿ قوله عز وجل (وإذا قيل لهم) طوؤا الكفار يعني طوؤا الكفار وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها إذا سألهم الحاج الذين يتبعون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في ليحملوا اللام العاقبة وذلك أنهم لما رصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وإنما قال سبحانه وتعالى كاملة لأن البلائ التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الإمام فخر الدين الرازي وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين إذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن تخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الإيمان مثل أوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثم من تبعه لا ينقص ذلك من آثمهم شيئا أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير إذا سن سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فإن الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنة الحسن أو القبيحة وليس المراد أن الله تعالى يوصل جميع

الأوليين وأباطيلهم وأحاديثها أسطورة وإذا أرادوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر عنهم بصدق وانه نبي فيم الذين قالوا الثواب خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) أي قالوا ذلك أضلالا للناس فحملوا أوزار أضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزير الأضلال لأن المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم) حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال

القواعد وهى الاساطين وهذا تمثيل يعنى أنهم سور منصوبات لمكروا بهارسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنو انيا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بان ضعفت فسقط عليهم السقف وما تواروا هلكوا والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله أى أمره بالاستئصال (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلمهم بعذاب الخزي سوى ماء مذبوا به فى الدنيا (ويقول ابن شركاى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم تشاقون نافع أى تشاقونى فيهم لان مشاقة المؤمنين كأنها

الثواب أو العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل وبدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدى ولقطة من فى قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبويض لانها لو كانت للتبويض لانتقص ذلك من آثامهم شيئاً ولكنهم للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقدرون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (الاسماء يزرعون) يعنى الابتنى ما يحملون فيه وعيد وتهديد لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قدمكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكرهاته بنى صرحاً ببابل ايسعد الى السماء ويقاتل أهلها فى زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبليت السنة الناس من الفزع فتكاملوا وبومئذ ثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت ببابل وكان لسان الناس قبل ذلك السرى يانية قلت هذا ذكره البغوى وفى هذا نظر لان صالحاً عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عرباً منهم جرهم الذى أنشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكاملوا فى قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله أعلم وقيل حل قوله قدمكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة فى جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحق الضر والمكر بالغير ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) يعنى قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بان أتاهم بريح قصفت بنيانهم من أعلى وأتاهم بزلازل قلعت بنيانهم من قواعدهم وأساسهم هذا اذا جئنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان جئنا تفسير الآية على القول الثانى وهو جعلها على العموم كان المعنى أنهم لما بنوا منصوبات لمكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكتهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو انيا واثيقاً شديد اودعهم بالاساطين فانهم ذل البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضرب به الله سبحانه وتعالى لمن مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بئر الاخيه أوقعه الله فيه ﴿ وقوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وهوله من فوقهم للتأكيده لان السقف لا يختر الامن فوقهم وقيل يحتمل أنهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم أنهم كانوا تحتها وأنه لما خر عليهم أهلكوا وما توا تحتها (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى فى مأمنهم وذلك أنهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشده كان ذلك البنيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة يخزيهم) يعنى يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان (ويقول) يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة (ابن شركاى) يعنى فى زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعنى كنتم تعادون وتخاصمون المؤمنين وتخاصمونهم فى شأنهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعنى المؤمنين وقيل الملائكة (ان الخزي) يعنى الهوان (اليوم) يعنى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعنى العذاب (على الكافرين) وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزئون بالمؤمنين فى الدنيا وينكرون عليهم أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا

لعذاب (على الكافرين مشاقة الله) قال الذين أوتوا العلم أى الانبياء والعلماء من أمهم الذين كانوا يبدعونهم الى الايمان ويعظونهم لا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شتمة بهم أو هم الملائكة (ان الخزي اليوم) الفضيحة (والسوء)

الذين تتوفاهم الملائكة) وبآيات حزمة وكذا ما بعدة (ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أى الصلح والاسلام أى اختبأوا جلا
بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من (١٢٠) الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وتجددوا ما وجد منهم من الكفران

بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون إن الخزى اليوم
والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول إظهار الشهادة بهم فيكون أعظم فى الهوان والخزى ﴿ قوله تعالى ﴾
(الذين تتوفاهم الملائكة) تفيض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (ظالمى أنفسهم) بمعنى بالكفر
(فألقوا السلم) بمعنى أنهم استسلموا وانقادوا بأمر الله الذى نزل بهم وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) بمعنى
شركاؤنا عما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) بمعنى فإفادة لكم فى انكاركم
قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أى فىقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين
فيها) بمعنى مقبضين فيها لا يخرجون منها وإنما قال ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن
الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (فليس مثوى المتكبرين) بمعنى عن الإيمان ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وقيل
للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأنهم
بخبير النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقدعون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو
ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون وإذا لم تلقه خبرك فيقول الوافد أنا شر وافدان رجعت إلى قومي من دون
أن أدخل مكة فالتقاء فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله عن خبره ونه بصدقه
وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا أى اتقوا الشرك
وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أى أنزل خيرا فإن قلتم رفع الأول وهو قوله أساطير
الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب
المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال
فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن
المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلغنموا وأطبقوا الجواب على السؤال يدنا مكشوفاً معقولا لا لانزال
فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (الذين أحسنوا
هذه الدنيا حسنة) بمعنى للذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابا حسنة مضاعفة من الواحد إلى العشرة إلى
السبع مائة إلى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون
معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك
عما أنعم الله به على عباده فى الدنيا وبذل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) بمعنى ما لهم فى
الآخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا (ولنعم دار المتقين) بمعنى الجنة وقال الحسن هي الدنيا
لان أهل التقوى يتزودون منها إلى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه
الدار بقوله (جنات عدن) بمعنى بساكنة إقامة من قوهم عدن بالمكان أى أقام به (يدخلونها) بمعنى تلك
الجنات لا يدخلونها عنها ولا يخرجون منها (تجري من تحتها الأنهار) بمعنى تجري الأنهار فى هذه الجنان من
تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) بمعنى فى الجنات (ما يشاؤون) بمعنى ما تنتهى الانفس
وتلذذ الاعين مع زيات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يفيد
الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد ركل ما يريد فى الدنيا (كذلك يجزى الله المتقين) أى هكذا
يكون جزاء المتقين ثم عاد إلى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) بمعنى مؤمنين
طاهرين من الشرك قال مجاهد زكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى
حسن فيدخل فيه أنهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من

والعداوة فرد عليهم أولوا العلم
وقالوا (بلى إن الله عليم بما
كنتم تعملون) فهو
يجازيكم عليه وهذا أيضا
من الشهادة وكذلك
(فادخلوا أبواب جهنم
خالدين فيها فليس مثوى
المتكبرين) جهنم (وقيل
للذين اتقوا) الشرك (ماذا
أنزل ربكم قالوا خيرا) وإنما
نصب هذا ورفع أساطير
لان التقدير هنا أنزل خيرا
فأطبقوا الجواب على
السؤال وثمة التقدير هو
أساطير الاولين فعدلوا
بالجواب عن السؤال
(الذين أحسنوا فى هذه
الدنيا) أى آمنوا وعملوا
الصالحات أو قالوا لا اله الا
الله (حسنة) بالرفع أى
ثواب وأمن وغنيمة وهو
بدل من خيرا حكاية لقول
للذين اتقوا أى قالوا هذا
القول فقدم عليه تسميته
خيرا ثم حكاه أو هو كلام
مستأنف عدة للقائلين
وجعل قولهم من جملة
احسانهم (ولدار الآخرة
خير) أى لهم فى الآخرة ما
هو خير منها كقول
فأنعم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة (ولنعم
دار المتقين) دار الآخرة

خلف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها) المكروهات
حال (تجري من تحتها الأنهار) لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر

المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والحصال الحيدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والحصال
المكروهة القبيحة وقيل معناه ان اوقانهم تكون طيبة سهلة لانهم يشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان
والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب
لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعني الملائكة لهم (سلام عليكم) يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم
السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع
بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله
قالوا لا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضله ورحته أخرجه في الصحيحين من حديث أبي
هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت
بالعقل ثواب ولا عقاب ولا انحرى ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا يثبت هذه الاشياء كلها ولا
غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه
والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب للطيعين والصالحين أجعين وأدخلهم النار كان ذلك
عدلا منه واذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولونهم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له
ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة
برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب
الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طوبى لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المناهضة لنصوص الشرع وفي
ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي أورتهموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على
ان الاعمال الصالحة تدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخلوا الجنة
بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل
وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالاعمال أى بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده
في قوله تعالى (هل ينظرون) يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله ومجده وانبؤتك يا محمد (الا أن تأتيهم الملائكة)
يعني لقبض ارواحهم (أو يأتي أمر ربك) يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم
القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعني بتعذيبه اياهم
(ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني باكتسابهم المعاصي والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم
سيئات ما عملوا) يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن)
والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا)
يعني ان مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا
لو شاء الله منا الايمان لحصل جنت أو لم نجى ولو شاء الله منا الكفر لحصل جنت أو لم نجى واذا كان كذلك
قال كل من الله فلا فائدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكانت
بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله وفي أفعاله وهو
باطل لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وأفعاله ولا يجوز
لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان في حكم الله وسنته في عباده ارسال الرسل اليهم ليأمرهم
بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فن هداة فهو المهتدي ومن اضله فهو
الضال وهذه سنة الله في عباده أنه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدي من
يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم

لانه في مقابلة ظالمى أنفسهم
(يقولون سلام عليكم)
فيل اذا أشرف العبد المؤمن
على الموت جاءه ملك فقال
السلام عليك يا ولي الله الله
يقرأ عليك السلام ويشره
بالجنة ويقال لهم في الآخرة
(ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون) بفعلكم (هل
ينظرون) ما ينتظر هؤلاء
الكفار (الا أن تأتيهم
الملائكة) لقبض ارواحهم
وبالياء على وحزة (أو
يأتي أمر ربك) أى
العذاب المستأصل أو
القيامة (كذلك) مثل
ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب (فعل الذين
من قبلهم وما ظلمهم الله)
بتدميرهم (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) حيث
فعلوا ما استحقوا به التدمير
(فأصابهم سيئات
ما عملوا) جزاء سيئة
أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن) وأحاط بهم
جزاء استهزائهم (وقال
الذين أشركوا لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا آباؤنا) هذا كلام
صدر منهم استهزاء ولو
قالوه اعتقادا لكان صوابا

(ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني البعيرة والسائبة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) بأن وحدوه (واجتنبوا) (١٢٢) الطاغوت) الشيطان يعني طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى

(ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي لزمته لاختياره أياها (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث أهلكتهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وأعلمه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (ان تحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل) بفتح الياء وكسر الدال كوفي الباقر بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولا يهدي خبره (وما لهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد لهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على وقال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكدا لدل عليه بلى لأن يبعث موعده من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان

الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جاهلا منهم لانهم اعتقدوا أن كون الأمر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه التمس والوعيد وأما قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا أن الله رضى بها للغير ذلك ولهدانا إلى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الأمم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فأنكار بعثة الرسل كان قد بما في الأم الخالية (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يعني ليس اليهم هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به إلى من أرسلوا اليه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) يعني كما بعثنا فيكم محمد صلى الله عليه وسلم رسولا (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعني ان الرسل كانوا يأمرهم بأن يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعني فن الأمم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعني هداة الله إلى الإيمان به وتصديق رسوله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعني ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الأزل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه الآية دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق علمه (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسيروا في الأرض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما لكم من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم ان أصررت على الكفر والتكذيب كما نزل بهم في قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هدايتهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقيل معناه لا يهدي من أضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له (وما لهم من ناصرين) أي مانعين يمنعونهم من العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأنه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن لا يبعث الله من يموت فترت هذه الآية قال أبو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناءه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظه بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوجده من العدم ولم يك شيئا فالذي أوجده بقدرته ثم أعده قادر على إيجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية أهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعني ان الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لا يبعث بعد الموت (انما قولنا شيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد أن يحيي الموتى

وعده حق أو أنهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بمادل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين و يبعثهم والكافرين (الذي يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قولهم لا يبعث الله من يموت (انما قولنا شيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أي فهو يكون وبالنصب شامخ وعلى جواب كن قولنا مبتدأ وأن تقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحضور والوجود أي اذا أردنا وجود شيء فليس الا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الاجابة

عند أمر الأمر المطاع إذا ورد
على المأمور المطيع الممثل
ولا قول ثم والمعنى أن إيجاد
كل مقدور على الله بهذه
السهولة فكيف يمنع عليه
البعث الذي هو من بعض
المقدورات (والذين
هاجروا في الله) في حقه
ولوجه (من بعد ما ظنوا)
هم رسول الله وأصحابه
ظلمهم أهل مكة ففروا
بدينهم إلى الله منهم من
هاجر إلى الحبشة ثم إلى
المدينة فجمع بين المهاجرين
ومنهاجروا إلى المدينة
(لنبوتهم في الدنيا حسنة)
صفة للمصدر أي نبوة
حسنة أو لنبوتهم بمبادة
حسنة وهي المدينة حيث
آواهم أهلها ونصروهم
(ولاجر الآخرة أكبر)
الوقف لازم عليه لأن جواب
(لو كانوا يعلمون)
محذوف والضمير للكفار
أي لو علموا ذلك لرغبوا في
الدين أو للمهاجرين أي لو
كانوا يعلمون لزدوا في
اجتهادهم وصبرهم (الذين
صبروا) أي هم الذين صبروا
وأعني الذين صبروا وكلاهما
مدح أي صبر على مفارقة
الوطن الذي هو حرم الله
المحسوب في كل قلب فكيف
بصلوب قوم هو مسقط
رؤسهم وعلى المجاهدة
وبذل الأرواح في سبيل

ويعظمهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في أحيائهم وبعثهم إنما يقول لشيء أراده كن فيكون على ما أراده لانه
القادر الذي لا يجزئه شيء أراده (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى يستمني ابن آدم وما ينبغي له أن يستمني ويكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه أي فيقول إن لي
ولدا أو ما تكذبه أي في قوله ليس يعيدني كما بدأتي وفي رواية كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني
ولم يكن له ذلك أما تكذبه أي في قوله لن يعيدني كما بدأتي وليس أول الخلق باهون على من أعادته وأما
شتمه أي في قوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿وقوله تعالى
(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظنوا) يعني أودوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير
وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الإسلام إلى الكفر وهم
المستضعفون فاما بلال فكان أصحابه يخرجونه إلى بطحاء مكة في شدة الحر ويشتدون ويجعلون على صدره
الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتره منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب
فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه
منه فربه أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باقيهم فاعطوهم بعض ما ير يدون فخلوا عنهم وقال
قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة
بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا إليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين
فآوهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن
الهجرة إذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد إلى آخر ومنه حديث الأعمال
باليات وفيه من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو
امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه الحديث أخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ﴿وقوله
تعالى (لنبوتهم في الدنيا حسنة) يعني لنبوتهم نبوة حسنة وهو أنه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار
هجرة والمعنى لنبوتهم في الدنيا دار حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في
الدنيا وما أدخلك في الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه ليحسن إليهم في الدنيا بأن يفتح لهم مكة
ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصروهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب
وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين (ولاجر الآخرة أكبر) يعني أعظم وأفضل وأشرف
بما أعطاهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع إلى الكفار لأن المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة
والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل أنه
راجع إلى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة لزدوا في الجد والاجتهاد والصبر على
ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) يعني في الله على ما لهم من الأذى والمكروه فهو صفة مدح
يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل النفس والأموال في سبيل الله (وعلى ربهم
يتوكلون) يعني في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السلوك إلى الله
تعالى ومنتهاهما الصبر فهو قهر النفس وجسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق
والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية
والتوجه إلى الحق تعالى بالكلية فالأول هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه
(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) نزلت هذه الآية جوابا للمشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى

الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يفوضون الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله ولما قالت قریش الله أعظم من أن يكون رسوله
بشر أنزل (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) على السنة الملائكة نوحي حفص

الله كونه مواعظ وتنبية
للعافلين (ان كنتم
لا تعلمون بالبينات والزبر)
أي بالمعجزات والكتب
والباء يتعاقب رجالا لصفة له
أي رجالا ملتبسين بالبينات
أو بارسلنا مضمرا كأنه
قيل بم أرسل الرسل فقبل
بالبينات أو يوحى أي
يوحى إليهم بالبينات أو يلا
تعلون وقوله فاسئلوا أهل
الذكر اعراض على الوجوه
للتقدمة وقوله (وأزلنا
إليك الذکر) القرآن
(لتبين للناس ما نزل إليهم)
في الذکر مما أمروا به ونهوا
عنه ووعدوا به وأوعدوا
(ولعلمهم تفكرون) في
تنبيهاته فينتبهوا (أفمن
الذين مكروا السيئات)
أي المكرات السيئات
وهم أهل مكة وما مكروا به
رسول الله عليه السلام
(أن يخسف الله بهم
الارض) كما فعل بمن
نقدمهم (أو يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون)
أي بفتنة (أو يأخذهم في
نقلهم) متقلبين في
سائرهم ومتاجرهم
(فاهمهم بمحجزين أو
يأخذهم على خوف)
متخوفين وهو أن يهلك
قومًا قبلهم فيتخوفوا
فيأخذهم العذاب وهم

الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فها لبث ملكا البينا فاجابههم الله عز وجل
بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا يعني مثلك نوحى إليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول
مبدأ الخلق أنه لم يبعث إلا رسولا من البشر فهذه عادة مستقرة وسنة جارية قديمة (فاسئلوا أهل الذکر)
يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وإنما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا
يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله إليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل
وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم بان الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم
بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لا تعلمون) الخطاب لأهل مكة يعني ان كنتم يا هؤلاء لا تعلمون
ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر
الارجالا يوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذکر بمعنى العلم في قوله فاسئلوا أهل الذکر يعني أهل
العلم والمعنى فاسئلوا أهل الذکر الذي هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون أتم ذلك والبينات والزبر
اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي بالبينات
وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (وأزلنا
إليك الذکر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأزلنا عليك يا محمد الذکر الذي هو القرآن وإنما
سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيهات للعافلين (لتبين للناس ما نزل إليهم) يعني ما أجل إليك من أحكام
القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى
وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية
والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه منشأه فالمحكم يجب أن يكون ميثاقا والمنتشأ
هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجل فيه دون المحكم
المبين المفسر (ولعلمهم تفكرون) يعني فيما أنزل إليهم فيعملوا به (أفمن الذين مكروا السيئات)
فيه حذف تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه
وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالقصد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم
بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات غرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار
مكة (أن يخسف الله بهم الارض) يعني كما خسف بقرون من قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون)
يعني ان العذاب يأتيهم بفتنة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في نقابهم) يعني في
نصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكم في السفر كما هو قادر على اهلاكم في الحضر
وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جرير في اقباطهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على أن
يأخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم (فاهمهم بمحجزين) يعني بسائقين الله ويفوتونه بل هو قادر
عليهم (أو يأخذهم على خوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص
ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا
القول يكون المراد به انه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على
أصله من الخوف فيحقل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال
الضحاك والكافي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل
انه سبحانه وتعالى يخوفهم بخسف يحصل في الارض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو
بآفات تحدث قليلا قليلا إلى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان

متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون) فان

ربكم لرؤف رحيم) حيث يعلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم ياخذكم مع ما قبلكم فاماراً فته تقيم ورجعتم عنكم (أولم يروا) وبالتاء جزء وعلى وأبو بكر (الى ما خلق الله) ماموصولة بخلق الله وهو (١٢٥) مبهم بيانه (من شيء يتفيؤ ظلاله)

أى يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصري (عن الحسين) أى الايمان (والشمال) جمع شمال (سجد الله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء (وهم داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجع بالواو والنون لان الدخور من أوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من يعقل فقلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التى لها ظلال متفية عن ايمانها وشمالها أى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقاداً لله تعالى غير متمنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى أنفسها داخرون أيضاً صاغرة منقاداً لافعال الله فيها غير متمنعة (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) من بيان لما فى السموات وما فى الارض جميعاً على أن فى السموات خلقا يدبون فيها كما تدب الاناسى فى الارض أو بيان لما فى الارض وحده والمراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله

ربكم لرؤف رحيم) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يجمل بالعقوبة والعذاب في قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ما خلق الله من شيء) يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التى يكون معها نظر الى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (تتفيؤ ظلاله) يعنى تميل وتدور من جانب الى جانب فهى من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود فى آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى أى لانه من فاء ينىء اذا رجع من المغرب الى المشرق والى الرجوع قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد اتصاف النهار بالتفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال (عن اليمين والشمال) قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فاول النهار وأما الشمال فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للإيجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشيء وهو واحد والشمال راجع الى المعنى لان لفظ الشيء يراد به الجمع (سجد الله) فى معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الجمل والمعنى أن جميع الاشياء التى لها ظلال فهى منقادة لله تعالى مستسلمة لأمره غير متمنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أو لا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أى صاغرون أذلاء ولله الصاغر الذى يفعل ما نأمر به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لأمرة الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لأمره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء في قوله عز وجل (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) يحتمل النوعين لان سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظ ما فى قوله ما فى السموات وما فى الارض للتغليب لان ما لا يعقل أكثر من يعقل فى العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكور على المؤنث ولانه لو اتى بمن التى هى للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما يشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الديب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسمانى يتحرك ويدب فيه فدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة فى قوله (وللملائكة) لانهم أولوا جناحة يطرون بها وأفردهم بالذكور وان كانوا من جملة من فى السموات خففهم وقيل أراد الله يسجد ما فى السموات من الملائكة وما فى الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين طاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجادات يدل على قدرة

(وللملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله معنى الانقياد بجمعها فلا يختلفا فلان اجاز أن يعرضهما بلفظ واحد وجى بما اذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جى بمن لتناول العقلاء خاصة

(وهم لا يستكبرون بخافون ربهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علقته بيخافون فعنا
بخافونه أن يرسل عليهم عند أبمن فوقهم وان علقته برهم حالامنه فعنا بخافون ربهم غالبالم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده
(ويشعلون ما يؤمرون) وفيه (١٢٦) دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والهي وانهم بين الخوف

والرجاء (وقال الله لا تتخذوا

الطين اثنين انما هو اله واحد)

فان قلت انما جمعوا بين

العدد والمعدود في اورداه

الواحد والاثنين فقالوا

عندي رجال ثلاثة لان

المعدود عار عن الدلالة على

العدد الخاص فاما رجل

ورجلان فمعدودان فيهما

دلالة على العدد فلا حاجة

الى أن يقال رجل واحد

ورجلان اثنان قلت الاسم

الحامل لمعنى الافراد والتثنية

دال على شيئين على الجنسية

والعدد المخصوص فاذا

أريدت الدلالة على أن

المعنى به منهما هو العدد

شفع بما يؤكده فدل به

على القصد اليه والعناية به

الآتري أنك لو قلت انما

هو اله ولم تؤكده بواحد

لم يحسن وخيل أنك تثبت

الالهية لا الوحدانية (فأبى

فأرهبون) نقل للكلام

عن الغيبة الى التكلم وهو

من طريقة الالتفات وهو

أبلغ في لتهيب من قوله

فأياه فأرهبوا فأرهبون

يعقوب (وله ما في السموات

والارض وله الدين) أي

الطاعة (واصبا) واجبا

الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لا يستكبرون) يعني

الملائكة (بخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويشعلون

ما يؤمرون) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن

السماء وحق لها أن تنط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أع

لضحكمتم قليلا ولبيكنم كثيرا وما لئلا تذهبن بالنساء على الفرش وتخرجن الى الصدقات تجارون الى الله تعالى

قال أبو ذر لو ددت اني كنت شجرة تعضداً أخرجه الترمذي وقال عن أبي ذر موقوفا

(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقاري والمستمع أن يسجد عند قراءته

وسماعها قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذوا الطين اثنين) لما أخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة ان

كل ما في السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه ونحت قدره وقبضته

نهي في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الطين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الطين اثنين قال الزجاج ذ

الاثنين تو كيد القول اله الطين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الطين يعني ان

الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله تبارك وتعالى (انما هو اله واحد

لان الاطين لا يكونان الامتساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنين

منافية للالهية وذلك قوله تعالى انما هو اله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود اثنان انما هو

واحد (فأبى فأرهبون) يعني خافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى

الحضور وهو من طريق الالتفات لانه أبلغ في التهيب من قوله فأياه فأرهبوا فهو من بديع الكلام وبليغ

وقوله فأبى فأرهبون يفيد الحصر وهو أن لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وقض

واحسانه (وله ما في السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك

في الهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيدا له في ملكه وتصرفه ونحت قدره فذلك قوله تعالى وله ما

السموات والارض يعني عبيدا او ملكا (وله الدين واصبا) يعني وله العباداة والطاعة واخلص العمل دائما

ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت

الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما

أبدا (أفغير الله تتقون) يعني انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتا

اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام

على طريق الانكار قوله عز وجل (وما بكم من نعمة فن الله) يعني من نعمة الاسلام وصحة الابدان وس

الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليه

شكره على جميع انعامه ولما بين في الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه

الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الاياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها

اذا مسكم الضر أي الندة والامراض والاسقام (فاليه تجارون) يعني اليه تستغيثون وتصبحون وتضجون

بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والندة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديدا ومنه جوار اليه

ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال

عمل فيه الطرف أو له الجزاء دائما يعني الثواب والعقاب (أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة) وأي شيء اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخ

(فن الله) فهو من الله (ثم اذا مسكم الضر) المرض والفقور والجذب (فاليه تجارون) فما تضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت بال

والاستغاثة

والمعنى

(ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يرميهم بشركون) الخطاب في وما بكم من نعمه ان كان عاماً فالمراد بالفرق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبويض كانه قال فاذا فريق كافروهم اثم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر ففهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمه الكشف عنهم كانهم (١٢٧) جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة

ثم اوعدهم فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) هو عدول الى الخطاب على التهديد (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم أي لا لهم ومعنى لا يعلمون انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتنفع عند الله وليس كذلك لانها جاد لا تضر ولا تنفع أو الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزرورعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم لك تقر باليهيم (ناله لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) أنها آلهة وانها أهل للتقرب اليها (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لدانه من نسبة الولد اليه أو تعجب من قوطم (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز في ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين عطوف والمعطوف عليه

والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضرب في بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا بدعي الاياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم) يعني ثم اذا ازال الشدة والبلاء عنكم (اذا فريق منكم) يعني طائفة وجاعة منكم (يرميهم بشركون) يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) قيل ان هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما أشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التي اتم فيها الى المدة التي ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعني عاقبة أمركم الى ماذا تصيرون وهو نزول العذاب بكم قوله سبحانه وتعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً) قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائداً الى المشركين يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عائداً الى الاصنام يعني ان الاصنام لا تعلم شيئاً البتة لانها جاد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين أولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا انه عائداً الى المشركين احتجنا فيه الى اضرار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه اله ولا له حق نصيباً واذا قلنا انه عائداً الى الاصنام لم نحتاج الى هذا الاضرار لانها لا علم لها ولا فهم وقوله (مما رزقناهم) يعني ان المشركين جعلوا للاصنام نصيباً من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام (ناله) أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسئلن عما كنتم تفترون) يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيباً من أموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بدع الكلام وبلغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستقارهم عن العيون كالنساء أول دخول لفظ التأنيث في تسميتهم (سبحانه) نزاهة الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم ما يشتهون) يعني ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني البنين (واذا بشر أحدكم بالأنثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أو الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التي تعالو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر أحدكم بالأنثى (ظل وجهه مسوداً) يعني متغيراً من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى أحدكم بالبنات الا ان تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسبها الى الله تعالى فقيه تكبى لهم وتوبيخ وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعني انه ظل ممتلئاً غماً وحزناً (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني انه يخفى من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدكم توارى من القوم الى ان يعلم ما ولد له فان كان ولداً ابتهج وسر بذلك وظهروا ان كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى يفكر ما يصنع بها

أي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور (واذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسوداً) أي صار فظلاً وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصبر لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مفتاحاً مسوداً الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) ملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يستخفى منهم من أجل سوء البشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر

يَجْعَلُونَ الْوَلَدَ الَّذِي هَذَا
عَمَلُهُ عِنْدَهُمْ لَنَّهُ وَيَجْعَلُونَ
لَا نَفْسَهُمْ مِنْ هُوَ عَلَى عَكْسِ
هَذَا الْوَصْفِ (لِلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ
السُّوءِ) صِفَةُ السُّوءِ وَهِيَ
الْحَاجَةُ إِلَى الْوَلَدِ الَّذِي كُورِ
وَكِرَاهَةُ الْإِنَاثِ وَوَادَهُنَّ
خَشْيَةُ الْأَمْلَاقِ (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ
الْأَعْلَى) وَهُوَ الْغَنَى عَنْ
الْعَالَمِينَ وَالنَّزَاحَةُ عَنْ صِفَاتِ
الْمَخْلُوقِينَ (وَهُوَ الْعَزِيزُ)
الْعَالِمُ فِي تَنْفِيذِ مَا أَرَادَ
(الْحَكِيمُ) فِي إِمْعَالِ الْعِبَادِ
(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ
بِظُلْمِهِمْ) بِكَفَرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ
(مَاتَرَكُ عَلَيْهَا) عَلَى
الْأَرْضِ (مِنْ دَابَّةٍ) قَطَا
وَلَا هَلَكُوهَا كُلُّهَا بِشُؤْمِ ظَلَمِ
الظَّالِمِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْخُبَارِيَّ
لَمَمُوتَ فِي وَكْرِهِمَا ظَلَمَ الظَّالِمِ
وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ كَادَ الْجَعْلُ يَهْلِكُ فِي
نَجْمِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ وَعَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
مِنْ دَابَّةٍ مِنْ مُشْرِكٍ يَدْبُ
(وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى) أَيُّ أَجَلٍ كُلِّ
أَحَدٍ أَوْ وَقْتُ تَقْضِيهِ
الْحُكْمَةُ أَوِ الْقِيَامَةُ (فَإِذَا
جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
وَيَجْعَلُونَ نَفْسَهُمْ بِكَرْهُونِ)
مَا يَكْرَهُونَهُ لَا تَنْفُسُهُمْ مِنْ

وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى (أَيْمَكُهُ عَلَى هُونٍ) يَهْنِي عَلَى هَوَانٍ وَانْخَادَ كَرِ الضَّيْفِ فِي أَيْمَكِهِ لِأَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى مَا بَشَرَهُ فِي قَوْلِهِ
وَإِذَا بَشَرُوا أَحَدَهُمْ (أَمْ يَدْسُهُ فِي التَّرَابِ) يَهْنِي أَمْ يَغْنَى ذَلِكَ الَّذِي بَشَرَهُ فِي التَّرَابِ وَالْأَسَاءُ اخْفَاءُ الشَّيْءِ فِي
الشَّيْءِ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ مَضْرُوبَ خِرَافَةٍ وَتَمِيمًا كَانُوا يَدْفِنُونَ الْبَنَاتِ أَحْيَاءً وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَمَّا خَوْفُ الْفَقْرِ
وَكَثْرَةُ الْعِيَالِ وَلِزُومِ النِّفَقَةِ أَوِ الْحَيَاةِ فِي خَافُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَسْرِ وَنَحْوِهِ أَوْ طَمَعُ غَيْرِهَا لَا كِفَاءَ فِيهِمْ فَكَانَ
الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا وَلَدَتْ لَهُ بِنْتُ وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَحْيِيَهَا تَرَكَهَا حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ أَلْبَسَهَا جُبَّةً مِنْ صُوفٍ
أَوْ شَعْرٍ وَجَعَلَهَا تَرعى الْإِبِلَ وَالنَّعَمَ فِي الْبَادِيَةِ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهَا تَرَكَهَا حَتَّى إِذَا صَارَتْ مَدَاسِيَةً قَالَ لَهَا مَهَارَ نِيهَا
حَتَّى أَذْهَبَ بِهَا إِلَى أَحِبَّائِهَا وَيَكُونُ قَدْ حَفَرَ لَهَا حُفْرَةً فِي الصَّحَرَاءِ فَإِذَا بَلَغَ بِهَا تِلْكَ الْحُفْرَةَ قَالَ لَهَا انْظُرِي إِلَى
هَذِهِ الْبِثْرَةِ فَإِذَا انْظُرْتَ إِلَيْهَا فَفَعَلْهَا مِنْ خَلْفِهَا فِي تِلْكَ الْبِثْرَةِ يَهْلِكُ التَّرَابُ عَلَى رَأْسِهَا وَكَانَ مَعْصَعَةً عَمَ (٢)
الْمَرْزُوقِ إِذَا أَحْسَسَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَجَّهَ بِأَبِلَ إِلَى وَالِدِ الْبِنْتِ حَتَّى يَحْيِيَهَا بِذَلِكَ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَفْتَخِرُ بِذَلِكَ
وَعَمِي الَّذِي مَنَعَ الْوَأْدَاتِ فَاحْيَا الْوَأْدَةَ فَلَمْ تَوَادَّ

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَأْدَةُ وَالْمُؤَدَّةُ فِي النَّارِ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
(الْأَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ) يَعْنِي بِشْرُ مَا يَصْنَعُونَ وَيَقْضُونَ حَيْثُ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمُ الْبَنَاتِ وَهُمْ
يَسْتَكْفُونَ مِنْهُمْ وَيَجْعَلُونَ لِنَفْسِهِمُ الْبَنِينَ نَظِيرَهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَلْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْإِنْتِ تِلْكَ إِذَا قَسَمْتَ
ضَيْرِي وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْأَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ فِي وَادِ الْبَنَاتِ (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ) يَعْنِي صِفَةُ
السُّوءِ مِنْ أَحْتِيَاجِهِمْ إِلَى الْوَلَدِ الَّذِي كُرِهَتْ لَهُمُ الْإِنَاثُ وَقَتْلُهُنَّ خَوْفُ الْفَقْرِ (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) أَيُّ الصِّفَةِ
الْعَالِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَهِيَ أَنَّ لَهُ التَّوْحِيدَ وَأَنَّهُ الْمُتَزَعُّ عَنْ الْوَلَدِ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَنَّ لَهُ جَمِيعَ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْإِكْمَالِ
مِنْ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَثَلُ
السُّوءِ النَّارُ وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (وَهُوَ الْعَزِيزُ) أَيُّ الْمَمْتَنَعِ فِي كِبَرِيَّاتِهِ وَجَلَالِهِ (الْحَكِيمُ)
يَعْنِي فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ ﴿قَوْلُهُ﴾ (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ) يَعْنِي بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ فَيُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى
ظُلْمِهِمْ وَكَفَرِهِمْ وَعَصْيَانِهِمْ فَإِنَّ قَوْلَ النَّاسِ اسْمُ جَنْسٍ يَشْمَلُ الْكُلَّ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى فَهُمْ ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ فَقَسَمَهُمْ فِي تِلْكَ الْآيَةِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ فَعَلَّ الظَّالِمِينَ قِسْمًا وَاحِدًا
مِنْ ثَلَاثَةِ قُلْتِ قَوْلُهُ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ عَامٌ مَخْصُوصٌ بِتِلْكَ الْآيَةِ الْآخِرَى لِأَنَّ فِي جَنْسِ النَّاسِ
الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَمَنْ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الظَّالِمِ وَقِيلَ أَرَادَ بِالنَّاسِ الْكُفَّارَ فَقَطَّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ أَنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ وَقَوْلُهُ (مَاتَرَكُ عَلَيْهَا) يَعْنِي عَلَى الْأَرْضِ كُنْيَاةً عَنْ غَيْرِ مَنْذُورٍ لِأَنَّ الدَّابَّةَ لَا تَدْبُ الْأَرْضَ (الْأَرْضُ) (مِنْ
دَابَّةٍ) يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى لَوْ يُؤَاخِذُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ لَا هَلَاكَ جَمِيعُ الدَّوَابِّ الَّتِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ
قَتَادَةُ وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي زَمَنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاهْلَكَ مَنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْأَمْنُ كَانَ فِي السَّفِينَةِ
مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَوَى أَنَّ أَبَاهُ رُبْرَةَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ أَنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ أَنْفُسَهُ فَقَالَ بِشْرُ مَا قُلْتَ
أَنَّ الْخُبَارِيَّ مَمُوتَ هَذَا لَا يَظْلَمُ الظَّالِمَ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ الْجَعْلَ يُعَذِّبُ فِي جَرِّهَا بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ وَقِيلَ أَرَادَ
بِالدَّابَّةِ الْكَافِرَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ أَنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ مَعْنَى الْآيَةِ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ الْآبَاءَ
الظَّالِمِينَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لَا تَقْطَعُ النُّسْلُ وَلَمْ تَوْجِدِ الْإِبْنَاءَ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ)
يَعْنِي بِمَهْلِهِمْ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَحِلْمِهِ (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) يَعْنِي إِلَى انْتِهَاءِ أَجَلِهِمْ وَانْقِضَاءِ أَعْمَارِهِمْ (فَإِذَا جَاءَ
أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) يَعْنِي لَا يُؤَخِّرُونَ سَاعَةً عَنْ الْأَجَلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ
وَلَا يَنْقُصُونَ عَنْهُ وَقِيلَ أَرَادَ بِالْأَجَلِ الْمُسَمًّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَعْنَى وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُعَذِّبُهُمْ
فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (وَيَجْعَلُونَ نَفْسَهُمْ بِكَرْهُونِ) يَعْنِي لِنَفْسِهِمْ وَهِيَ الْبَنَاتُ

وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أي ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهي الجنة أن كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت
 إلى ربي لنجزن عذابه للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبو جعفر
 المفتوح بمعنى مقدمون إلى النار مجالون اليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء إذا قدمت أو منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلق
 ما خلفته ونسيته والمكسور الخفيف من الإفراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات أي التقصير فيها (ثالثا لقد أرسلنا إلى أمم من
 قبلك) أي أرسلنا رسلا إلى من تقدمك من الأمم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر (١٢٩) والتكذيب بالرسول (فهو وليهم

اليوم) أي قريتهم في الدنيا
 تولى أضلالهم بالغرور أو
 الضمير لمشركي قريش أي
 زين للكفار قبلهم أعمالهم
 فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم
 أو هو على حذف المضاف
 أي فهو ولي أمثالهم اليوم
 (ولهم عذاب أليم) في
 القيامة (وما أنزلنا عليك
 الكتاب) القرآن (الا
 لتبين لهم) للناس (الذي
 اختلفوا فيه) هو البعث
 لأنه كان فيهم من يؤمن به
 (وهدي ورجة) معطوفان
 على محمل تبين الاثني
 اتصبا على انهما مفعول
 لهما لانهما فعلا الذي أنزل
 الكتاب ودخلت اللام
 على لتبين لأنه فعل المخاطب
 لا فعل المنزل (لقوم يؤمنون
 والله أنزل من السماء ماء
 فاحياه به الأرض بعد موتها
 ان في ذلك لآية لقوم
 يسمعون) سماع انصاف
 وتدبر لان من لم يسمع
 بقلبه فكانه لا يسمع (وان
 لكم في الانعام لغيرة نسقيكم
 مما في بطونه) وبفتح النون

(وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعني ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا
 لبنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم
 كذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادق في البعث بعد الموت فان
 الجنة لا نأعلى الحق فأكذبهم الله تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعني في الآخرة لا الجنة (وانهم
 مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لأمور
 الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل
 متروكون وقال قتادة مجالون إلى النار وقال الفراء مقدمون إلى النار والفرط المتقدم إلى الماء قبل القوم
 منه قوله صلى الله عليه وسلم أن أفرطكم على الخوض أي متقدمكم (ثالثا لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) يعني
 كما أرسلناك إلى هذه الأمة لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسالهم التكذيب ففيه تسلية للنبي
 صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعني أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزير في
 الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وإنما جعل الشيطان آلة بالقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له
 قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وإنما الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته
 (فهو وليهم) أي ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه
 ليألمهم لطاعتهم إياه (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي
 اختلفوا فيه) يعني في أمور الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من
 الحرام (وهدي ورجة) يعني وما أنزلنا عليك الكتاب الا بياناً وهدى ورجة (لقوم يؤمنون) لأنهم هم
 المنتفعون به ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (والله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فاحياه) يعني بالماء (الأرض)
 من النباتات والزرع (بعد موتها) يعني يبسها وجدوتها (ان في ذلك لآية) يعني دلالة واضحة على كمال
 قدرتنا (لقوم يسمعون) يعني سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لسماع الآذان
 من سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم
 في الانعام لغيرة) يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقيكم مما في بطونه) الضمير عائداً إلى
 الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لقادة
 الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكور وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره
 ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي
 عبيدة والاختصاص وقال الكسائي انه رده إلى ما ذكره يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكناية مردودة
 إلى البعض وفيه ضمير كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللين فاضر اللين اذ ليس لكلها لبن (من بين فرث)
 هو مما في الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثاً (ودم لبننا خالصا) يعني من الدم والفرث ليس عليه

١٧ - (خازن) - ثالث) نافع وشامي وأبو بكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد كرسبويه الانعام في الاسماء المفردة
 واردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفرداً أو مما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقال
 نسقيكم مما في بطونه (من بين فرث ودم لبننا خالصا) أي يخلق الله اللبن وسيطابين الفرث والدم يكتنفانه وبينهما رزخ لا ينبغي أحدهما عليه
 لبن ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفل فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه
 ما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر في
 كعبه لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم

المروء في الخلق ويقال لم
بعض أحد باللبن قط ومن
الأولى للتبويض لأن اللبن
بعض ما في بطونها والثانية
لابتداء الغاية ويتعلق
(ومن ثمرات النخيل
والاعناب) بمحذوف
تقديره ونسقيكم من ثمرات
النخيل والاعناب أي من
عصيرهما وحذف للدلالة
نسقيكم قبله عليه وقوله
(تخذون منه سكرًا) بيان
وكشف عن كنه الاسقاء
أو اتخذون منه من تكرير
الظرف للتوكيد والضمير
في منه يرجع إلى المضاف
المحذوف الذي هو العصير
والسكر الخمر سميت بالمصدر
من سكر سكرًا وسكرًا نحو
رشد رشدًا ورشدًا فيه
وجهان أحدهما أن الآية
سابقة على تحريم الخمر
فتكون منسوخة وثانيهما
أن يجمع بين العناب والمث
وقيل السكر النبيذ وهو
عصير العنب والزبيب
والتمر إذا طبخ حتى يذهب
ثلثاه ثم يترك حتى يشتد
وهو حلال عند أبي حنيفة
وأبي يوسف ورحمهما الله
إلى حد السكر ويحتاجان
بهذه الآية وبقوله عليه
السلام الخمر حرام لعينها
والسكر من كل شراب
وبإخبار جة (ورزقًا حسنًا)
هو الخمر والزبيب والتمر
والزبيب وغير ذلك

لون الدم ولا رائحة الفرس قال ابن عباس إذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان أسفله قرنا
وأوسطه لبنًا وأعلىها دمًا فالكبد مسطرة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن
في الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائق الشاربين) يعني هنياً سهلاً يجري في الخلق بسهولة قيل أنه لم ينض
أحد باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكي الإمام غير الدين الرازي قول الحكماء في ذلك
فقال ولما قيل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحسن فإن هذه الحيوانات تنضج
ذبحاً متوايلاً ما رأى أحد في كرشها دمًا ولا لبنًا بل الخلق أن الحيوان إذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف إلى
معدته إن كان انساناً وإلى كرشه إن كان من الأنعام وغيرها فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه فما كان منه
صافياً انجذب إلى الكبد وما كان كثيفاً نزل إلى الأمعاء ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دماً
وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطاً بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب إلى المرارة
وأما السوداء فتذهب إلى الطحال وأما المائية فتذهب إلى الكلية ومنها إلى المثانة وأما الدم فيذهب في الأوردة
وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة
فيصب الدم من تلك العروق إلى الضرع والضرع لحم غددى رخو أبيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند
انصبابه إلى ذلك اللحم الغددى الرخو الأبيض فيصير الدم لبناً فهذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن
إنما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم إنما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الأشياء المأكولة الحاصلة في
الكرش فاللبن تولد أولاً من الفرس ثم من الدم ثانياً ثم صفاء الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبناً خالصاً من بين
فرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلة الثدي ثقباً صفاراً ومسام
ضيقة فيجعلها كالصفاء للبن فكل ما كان لطيفاً من اللبن خرج بالمص أو الحلب وما كان كثيفاً احتبس
في البدن وهو المراد بقوله خالصاً يعني من شوائب كدورة الدم والفرث سائق الشاربين يعني جاري في حلقهم
سهلاً لا يذأ هنيئاً من يثاق قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعني ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم
ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب (تخذون منه) الضمير في منه يرجع إلى ما تقديره ولكم من ثمرات
النخيل والاعناب ما تتخذون منه (سكرًا ورزقًا حسنًا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبيرة
ومجاهد وإبراهيم وابن أبي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرًا وسكرًا
والرزق الحسن ما لم يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فإن
قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل في معرض الأنعام والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن
هذا أن هذه السورة مكية وتحريم الخمر إنما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت
الذي كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل إن الله عز وجل نهي في هذه الآية على تحريم الخمر أيضاً لأنه ميز بينها
وبين الرزق الحسن في الذك كرفوجب أن يقال الرجوع عن كونه حساناً يدل على التصريح وروى العوفي عن
ابن عباس أن السكر هو الخمر باغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد
والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنسفي ومن يبيع شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية
الأخبار لا الأحلال وأولى الأقاويل أن قوله تتخذون منه سكرًا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال
السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حلت قال أقول بالنسخ فيه نظر لأن قوله ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا خبر والأخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم أنها منسوخة رأى أن
هذه الآية نزلت بمكة في وقت إباحة الخمر ثم إن الله تبارك وتعالى حرمها بالدين فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة
وقال أبو عبيد بن قيس معنى الآية أن السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره السكر ما سدد الجوع
من قولهم سكرت النهر أي سددته والتمر والزبيب ما سدد الجوع وهذا شرح قول أبي عبيدة أن السكر

(ان في ذلك آية لقوم

يعقلون وأوحى ربك الى النحل) وألهم (أن اتخذى من الجبال بيوتا) هي أن المفسرة لان الإيحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونحلة والتأنيث باعتبار هذا ومن في من الجبال (ومن الشجر وما يعرشون) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تصل فيها للتبعض لانها لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير في يعرشون للناس وضم الرء شامى وأبو بكر (ثم كلى من كل الثمرات) أى ابني البيوت ثم كلى كل ثمرة تشبهها فإذا كملها (فاسلكي سبل ربك) فادخلي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل وإذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لاتضلين فيها (ذلالا) جمع ذلول هي حال من السبل لان الله تعالى ذلها وسهلها أو من الضمير في فاسلكي أى وأنت ذلل منقاد لما أمرت به غير متمنعة (يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه ما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشباب وعلى ألوان أغذيتها

الطم (ان في ذلك) يعنى الذى ذكر من انعامه على عباده (آية) يعنى دلالة وحجة واضحة (لقوم يعقلون) يعنى ان من كان عاقلا استدلل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان هذه الاشياء خالقها مدبرها قادر على ما يريد قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك الى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرت ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها باطيف حكمته وقدرته وأصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكمة الالهية التي يلقيها الله الى أنبيائه وحى والى أوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعنى أنه سخرها لما خلقها له وألهمها رشدها وقدر في أنفسها هذه الاعمال المحيية التي يعجز عنها العقل من البشر وذلك ان النحل تبنى بيوتها على شكل سدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض مجرد طباعها لو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألهمها الله سبحانه وتعالى أن تبنى على هذا الشكل السدس الذى لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وألهمها الله تعالى أيضا أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذا للحكم فيها وهي تطيعه وتمثل أمره ويكون هذا الاميرا كبيرا حاجته وأعظمها خلقه ويسمى يعسوب النحل يعنى ملكها كذا حكاها الجوهري وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص المحيية الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحى فلذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل النحل الذى يخرج من بطونها يعنى أعطاهم وقال غيره النحل يذكرو ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الجاز وكذا أنها الله تعالى فقال (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون) يعنى يبنون ويسقفون وذلك أن النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجر ويأوى الى الكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى الى البيوت ويربى به الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوى اليها وقال ابن زيد أراد بالذى يعرشون الكروم (ثم كلى من كل الثمرات) يعنى من بعض الثمرات لانها لاتأكل من جميع الثمار فلفظة كل ههنا ليست للعموم (فاسلكي سبل ربك) يعنى الطرق التي ألهمك الله أن تسلكيها وتدخلى فيها لاجل طلب الثمرات (ذلالا) قيل انها نعت للسبل يعنى أنها مذكلة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعنى انها مذكلة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤوا وأرادوا لا تستعصى عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلف ألوانه) يعنى ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام غفر الدين الرازى انه رأى في بعض كتب الطب أن العسل مل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فتجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فاننا شاهدان

من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشباب وعلى ألوان أغذيتها

(فيه شفاء للناس) لانه من جملة الادوية النافعة وقل مجنون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه و لان فيه بعض الشفاء لان النكرة في الاثبات تخص وشكا رجل استطلق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا فشاء وقال زاده ثم ا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصيح وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء في الصدر فعليكم بالشفاء من القرآن والعسل ومن يدع الروافض ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم ان رجلا قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فانتخوما ضحكة من اصحابكهم

النحل تنغذي بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطناً فقوله يخرج من بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لانا شاهد انه يوجد في طم العسل طعم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لونهاور بحها وطعمها فيه أيضاً ويضد هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه كانت مغافير قال لافان فها هذه الريح التي أجدمنك قال سقتني حفة شربة عسل قالت جوست نحل العرفط العرفط حجر الطلع وله صمغ يقال له المغافير كره الريح فغني جوست نحل العرفط أ كانت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وأنه يوجد في طم العسل ولونه ور يحط طم مايا كله النحل ولونه ور يحط لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلال لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة التريجين فيه نظر لان مزاج التريجين معتدل الى الحرارة وهو الطيف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فينبغي ما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطناً فيه نظر لان لفظ البطن اذا أطلق لم ير دبه الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم وقوله تعالى (فيه) يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذا الضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء من كل داء في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا لطيخ الموضع بالعسل و يقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال اني سقيته عسلا فلم يزد الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزد الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء يحجمون على ان العسل سهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعارض الملحدا الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من أنواع كثيرة منها التخم والحيضات وقد أجمع الأطباء في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وتعملها فان احتاجت الى معين على الاسهال أعين ما دامت القوة باقية فاما ما حبسها فضر عندهم واستحجال مرض فيحتمل أن يكون اسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ما هو عليه أو تقويته فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى أن فئت المادة فوق الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعارض عليه جاهل لما ولنا قصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرتناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعارض بانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحى الالهى أن العسل الذي أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك ففهم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعني باستحجالك للشفاء في أول مرة والله أعلم بما راد وأسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء وبهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض أيضا ان قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر

باصحاب الصفر اويهيح الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجلة دواء وان نفعه أكثر من مضرته وقل مجنون من المعاجين الاوتما به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلم والشيخوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء للارجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب أن يعود الى اقرب المذكورات وافر بها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله سبحانه وتعالى (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعني فيعتبرون ويستدلون بمطذ كرناء على وحدانيتها وقدرتنا وقوله عز وجل (والله خلقكم) يعني أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم توفاكم) يعني عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) يعني أوداه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أو لها من النشور والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يقين النقص ويكون الهرم والخرف وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم اني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) يعني ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئا الشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليرى الله من قدرته انه كما قدر على اماته واحيائه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليرى الله من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احياؤه بعد اماته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى (ان الله عليم) يعني بما صنع باوليائه وأعدائه (قد ير) يعني على ما يريد وقوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فالذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم) يعني من العبيد حتى يستوفوا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء الله قال قتادة هذا مثل ضر به الله عز وجل يقول هل

(ان في ذلك لآية) لقوم يتفكرون) في عجب أمرها فيعلمون ان الله أودعها علمه بذلك وفطنها كما أعطى أولى العقول عقولهم (والله خلقكم ثم توفاكم) بقبض أرواحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (ان الله عليم) بحكم التحويل الى الارذل من الاكمل أو الى الافناء من الاحياء (قد ير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليكم وهم بشر مثلكم (فالذين فضلوا) في الرزق يعني الملاك (برادى) يعطى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فكان ينبغي أن يردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم

(فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لانه جواب النفي بالقائه وتقديره فقال الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فاستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء اتهم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيها انصت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لى شركاء (أفبنتمة الله بمجحدون) وبالنساء أبو بكر فجعل ذلك من جملة جود النعمة (١٣٤) (والله جعل لكم من انفسكم أزواجا) أى من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم

بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذي يحفد أى يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القات واليك نسعى ونحفد واختاف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أى خداما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أى بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا نموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو ما يعتقدونه من منفعة الاصنام وشفاعتها (وبنعمة الله) أى الاسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يبول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) أى الصنم وهو جاد لا يملك أن يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر ويعنى

منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الآية ان المولى والمماليك الله ورازقهم جميعا (فهم فيه) يعنى في رزقه (سواء) فلا تحسبن أن المولى يردون رزقهم على ممالكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي المولى للمماليك والمقصود منه بيان ان الرزق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان المولى والمماليك في الرزق سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرزق للمماليك والممالك هو الله سبحانه وتعالى وقوله (أفبنتمة الله بمجحدون) فيه انكار على المشركين حيث يجحدون نعمة الله وعبيدا غيره وقوله عز وجل (والله جعل لكم من انفسكم أزواجا) يعنى النساء خلقى من آدم حواء وزوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك نسعى ونحفد أى نسرع الى طاعتك فهذا أصله في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنسفي الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا أنهم أصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتنون ويخدمون من الأولاد وقال مقاتل والكلبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينون الرجل على عمله قال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الأقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة (ورزقكم من الطيبات) يعنى النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والأشربة المستطابة الخلال من ذلك كله (أفبالباطل يؤمنون) يعنى بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون أن لى شريكا وصاحبة وولد وهذا استفهام انكارى أى ليس لهم ذلك (وبنعمت الله هم يكفرون) يعنى أنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه أنهم يجحدون ما أحل الله لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض) يعنى الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدر على اخراج النبات الذي في الارض معدنه (شيئا) يعنى لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما لا يرزق شيئا (ولا يستطيعون) يعنى ولا يقدر على شيء يذ كر عجز الاصنام عن ايصال نفع أو دفع ضرر (فلا تضر بوالله الامثال) يعنى لا تشبهوا الله بخلقته فانه لا مثل له ولا شبهة ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالخلق أو الرزاق بالمرزوق أو القادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعنى ما أنعم الله به من ضرب الامثال له (وأتم لا تعلمون) خطأ ما تضر بون له من الامثال وقوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقا حسنا) لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه

ما يرزق فان أردت المصدر نصبت به شيئا أى لا يملك أن يرزق شيئا وان أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه أى قليلا ومن السموات مثلا والارض صلة للرزق ان كان مصدرا أى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما للبرزق والضمير في (ولا يستطيعون) لانه في معنى الآية بعد ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضر بوالله الامثال) فلا تشبهوا الله بخلقته فانه لا مثل له (ان الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأتم لا تعلمون) ذلك أو ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأتم لا تعلمون ذلك والوجه الاول تم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلا عبدا) هو بدل من مثلا (مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقا حسنا

عبد مملوك عاجز عن
التصرف و بين حر مالك
قدر رزقه الله ما لا فهو
يتصرف فيه وينفق منه
ما شاء وقيد بالمملوك ليميزه
من الحر لان اسم العبد
يقع عليهما جميعا اذ هما من
عباد الله و لا يقدر على
شيء ليمتاز من المكاتب
و المأذون فهما يقدران
على التصرف ومن موصوفة
أي وحر رزقناه ليطلق
عبدا أو موصولة (هل
يستون) جمع الضمير
لارادة الجمع أي لا يستوي
القبيلان (الجد لله بل
أكثرهم لا يعلمون) بان
الجد والعبادة لله ثم زاد في
البيان فقال (و ضرب
الله مثلا رجلين أحدهما
أبكم لا يقدر على شيء)
الأبكم الذي ولد أخس فلا
يفهم ولا يفهم (وهو كل على
مولاه) أي ثقل و عيال
على من يلي أمره و يعوله
(أينما بوجهه لا يأت بخير)
حينما يرسله و يصرفه في
مطلب حاجة أو كفاية مهم
لم ينفعه ولم يأت بنجح (هل
يستوي هو ومن يأمر
بالعدل) أي ومن هو سليم
الحواس نفاع ذو كفايات
مع رشد و ديانة فهو يأمر
الناس بالعدل والخير
(وهو) في نفسه (على
صراط مستقيم) على سيرة

مثلا فقال تعالى مثلكم في انشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف و بين
حر كريم مالك قادر قدر رزقه الله ما لا فهو يتصرف فيه و ينفق منه كيف يشاء قصر يح العقل يشهد بانه لا تجوز
التسوية بينهما في التعظيم و الاجلال فله الم تجز التسوية بينهما في الخلقة و الصورة البشرية
فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق و الافضال و بين الاصنام التي
لا تملك و لا تقدر على شيء البتة و قيل هذا مثل ضرب به الله للمؤمن و الكافر و المراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر
على شيء هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله و طاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي
لا يقدر على شيء و قيل ان الكافر لما رزقه الله ما لا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيئا و المراد بقوله
و من رزقناه من رزقنا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله و عبوديته و الانفاق في وجوه البر و الخير صار
كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله و ابتغاء مرضاته و هو قوله سبحانه و تعالى (فهو ينفق
منه سرا وجهرا) فأتاه به الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء و كل عبد هو مملوك و هو
غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك ليعلم من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد
الله و قوله لا يقدر على شيء احتراز به عن المملوك المكاتب و المأذون له في التصرف لانهم لا يقدران على
التصرف و احتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا (هل يستون) و لم يقل هل يستويان يعني
هل يستوي الاحرار و العبيد و المعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر
العاصي و المؤمن الطائع و قال عطاء في قوله عبدا مملوكا هو أبو جهل بن هشام و من رزقناه من رزقنا حسنا هو
أبو بكر الصديق ثم قال تعالى (الجد لله) جد الله نفسه لانه المستحق لجميع الحمد لانه المنعم المتفضل على
عباده و هو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التي عبدها هؤلاء فانه لا تستحق الحمد لانها اجساد عاجزة لا بد لها
على أحد و لا معروف فتحمده عليه انما الحمد الكامل لله لا غيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل
الجد و الثناء الحسن (بل أكثرهم) يعني الكفار (لا يعلمون) يعني أن الجد لله لاهذه الاصنام (و ضرب
الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أخس فكل أبكم أخس وليس كل أخس أبكم و الأبكم الذي
لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شيء) هو اشارة الى العجز التام و النقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أي
ثقل على من يلي أمره و يعوله و قيل أصله من الغلظ و هو تقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته
و كل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق و كل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينعث فيه فقوله و هو كل على
مولاه أي غليظ ثقل على مولاه (أينما بوجهه) أي حينما يرسله و يصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم
(لا يأت بخير) يعني لا يأت بنجح لانه أخس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوي) يعني من هذه صفته
(هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (و من يأمر بالعدل) يعني و من هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات
ذو رشد و ديانة يأمر الناس بالعدل و الخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على سيرة صالحة
و دين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل و هذا
مثل ثان ضرب به الله لنفسه و لما يفيض على عباده من انعامه و يشملهم به من آثار رحمة و الطافه و للاصنام
التي هي أموات جاد لا تضر و لا تنفع و لا تسمع و لا تنطق و لا تعقل و هي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة
الحل و النقل و الخدمة و قيل كلا المثليين للمؤمن و الكافر و المؤمن هو الذي يأمر بالعدل و هو على صراط
مستقيم و الكافر هو الأبكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فلهذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن
و كافر و قيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو على صراط مستقيم
و الذي يأمر بالظلم و هو أبكم أبو جهل و قيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان و كان له مولى يأمره بالاسلام
و ذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير و قيل المراد بالأبكم

صالحه و دين قويم و هذا مثل ثان ضرب به لنفسه و لما يفيض على عباده من آثار رحمة و نعمته و للاصنام التي هي أموات لا تضر و لا تنفع

(وقد غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخصي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الا كلمح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه (١٣٦) لا يعرف زمان أقل منه (أوهو) أي الامر (أقرب) وليس هذا الشك المخاطب

الذي لا يأتي بخير أي بن خلفو بالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والارض) أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وأنه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا تخفى عليه شيء منها وقبل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب (الا كلمح البصر) يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحها وهو طرف العين أيضا (أو هو أقرب) يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله (ان الله على كل شيء قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وأنه سبحانه وتعالى مهما أراد شيئا كان أمره ما يكون قال الزجاج ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بهامتي شاء لا يعجزه شيء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) ثم الكلام هنا لان الانسان خلق في أول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتداء فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني أن الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتتقوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعو به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعو ما وعظ الله وتبصروا ما أنعم الله به عليكم من اخرجكم من بطون أمهاتكم الى أن صرتم رجالا وتعقلوا عظيمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم به في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب القرب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الاتقان بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي يتفجع بها فيسهوان كانت قد خلقت قبل ذلك ﴿ وقوله تعالى ﴾ (اعلمكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم عليكم بها (ألم يروا الى الطير مسخرات) يعني مذلات (في جوار السماء) الجوار القضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوائن عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يمكنهن الا الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان طامس خراسخرها ومذللها لا ذل لها ومسكأ مسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكرا لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها ويتفجعون بها دون غيرهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنا) يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من ألف أو بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع

واسكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقبم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق فصيل اهراق وشدت زيادتها في الواحدة (لا تعلمون شيئا) حال أي غير عالين شيئا من حق الاسم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) أي وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جوع القلة التي جرت مجرى جوع الكثرة لعدم

السماع في غيرها (ألم يروا) وبالناء شامى وحمزة (الى الطير مسخرات) مذلات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب واعلم الموازية لذلك (في جوار السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو (ما يمكنهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته وفيه نفي لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الخلق لا غنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي قباب الادم

(تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) يسكون العين كوفي وشامى و بفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم في منازلكم (١٣٧) والمعنى انها خفيفة عليكم في اوقات السفر

والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت (ومن اوصافها) أى اوصاف الضأن (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أثاناً) متاع البيت (ومتاعاً) وشياً ينتفع به (الى حين) مدة من الزمان (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً) كالاشجار والسقوف (وجعل لكم من الجبال أكناناً) جمع كن وهو ما سترك من كهف أو غار (وجعل لكم سراييل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهى تقى البرد أيضاً لأنه اكتفى باحد الضدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيراً محتملاً (وسراييل تقيكم بأسكم) ودروعاً من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم والبأس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام

واعلم ان المساكن على قسمين أحدهما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثانى ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليه الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعنى يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعنى فى يوم سيركم ورحيلكم فى أسفاركم وظعن البادية هو طلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعنى وتخف عليكم أيضاً فى اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم فى الحالتين (ومن اوصافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن اوصاف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثاناً) يعنى تتخذون أثاناً الاثان متاع البيت الكبير وأصله من أث اذا كثرت كثافة وقيل للمال أثان اذا كثر قال ابن عباس أثاناً يعنى مالا وقال مجاهد متاعاً وقال القتيبي الاثان المال أجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثان هو متاع البيت من الفرش والا كسبة ونحو ذلك (ومتاعاً) يعنى وبلاغاً وهو ما يتمتعون به (الى حين) يعنى الى حين يبلى ذلك الاثان وقيل الى حين الموت فان قلت أى فرق بين الاثان والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاثان ما ذكر من آلات البيت وحوادثه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينتفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً) يعنى جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكناناً) جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما أن يكون غنياً أو فقيراً فاذا سافر احتاج فى سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغنى فيستصحب معه الخيام فى سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سراييل تقيكم الحر) يعنى وجعل لكم قصاوئياً باب من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعانى والبرد فاكثفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسراييل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن وسائر ما يلبس فى الحرب من السلاح والبأس الحرب يعنى تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراسانى انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكناناً وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثروا لكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن اوصافها وأوبارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعنى كما أنعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعنى نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعنى لعلكم يأهل مكة تخلصون لله الواحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الايمان بك وتصدقك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر والاذنات الدنيوية فأنما وبال ذلك عليهم لاعليك (فانما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال

(١٨ - (خازن) - ثالث)

(فانما عليك البلاغ المبين) أى ولا تبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبليغ

الظاهر وقد فعلت (يعرفون نعمت الله) التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم أو فى الشدة ثم فى الرخاء

(وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
وأكثرهم الجاحدون المنكرون يقولون بهم ونم بدل على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن
يعترف لأن ينكر (ويوم) اتصاه (١٣٨) باذ كر (نبث) نخسر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعابهم بالتصديق

السدى نعمة الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم أنكره وكذبوه وقيل نعمة الله هي الإسلام لأنه من أعظم النعم
التي أنعم الله بها على عباده ثم أنكره وكذبوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عده عليهم في
هذه السورة من النعم يقولون بأسماء من الله ثم إذا قيل لهم صدقوا وامثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون
ورثناها عن آبائنا وقال الكلبي أنه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلهم من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا
وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل أنهم يعترفون بأن الله أنعم بهذه النعم
ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونها عليها (وأكثرهم الكافرون) إنما قال سبحانه وتعالى
وأكثرهم الكافرون مع أنهم كانوا كلهم كافرين لأنه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فغير بالأكفر
عن البالغين وقيل أراد بالأكفر الكافر من الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وإن كان كافرا
وقيل أنه غير بالأكفر عن الكل لأنه قد يذكر الأكفر ويراد به الجمع في قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبث من
كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمة على الكافرين وانكارهم لها وذكر أن أكثرهم كافرون
أنبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبث من كل أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم
القيامة والمراد بالشهداء الأنبياء يشهدون على أممهم بانكارهم نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين
كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا
فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولاهم
يستعقبون) الاستعقاب طلب العتاب والمعقبة هي الغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره
والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه لا من غيره ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب يرجع إلى الرضا عنه
وإذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكفون أن يرضوا بهم في
ذلك اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيفتنوا ويرجعوا ويرضوا بهم فلا استعقاب
التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة (وإذا رأى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم
بالكفر والمعاصي (العتاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولاهم ينظرون) يعني لا يؤخرون
ولا يمهلون (وإذا رأى الذين أشركوا) يعني يوم القيامة (شركاءهم) يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا
(قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كان يدعو من دونك) يعني أربابا وكان يعبدهم وتتخذهم آلهة (قالوا) يعني
الأصنام (اليوم) يعني إلى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعني أن الأصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعني
في تسميتنا آلهة ومادعونكم إلى عبادتنا فان قالت الأصنام جادا لا تسلم فكيف يصح منها الكلام قلت
لا يبعد أن الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت
ذلك والمقصود من أعادتها بعثها أن تكذب الكفار ويراه الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون
بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم) يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه
فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وخل عنهم) يعني وزال عن المشركين (ما كانوا يفكرون) يعني ما كانوا
يكذبون في الدنيا في قولهم أن الأصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضلوا

والتكذيب والإيمان
والكفر (ثم لا يؤذن
للذين كفروا) في الاعتذار
والعنى لا حجة لهم فدل
بترك الأذن على أن لا
حجة لهم ولا عذر (ولاهم
يستعقبون) ولا هم
يسترضون أي لا يقال لهم
ارضوا ربكم لأن الآخرة
ليست بدار عمل ومعنى ثم
أنهم يمتنون أي يمتثلون بعد
شهادة الأنبياء عليهم السلام
بما هو أطم وأغلب منها
وهو أنهم يمنعون الكلام
فلا يؤذن لهم في القاء
معذرة ولا ادلاء بحجة
(وإذا رأى الذين ظلموا)
كفروا (العذاب فلا يخفف
عنهم) أي العذاب بعد
الدخول (ولاهم ينظرون)
يمهلون قبله (وإذا رأى
الذين أشركوا شركاءهم)
أو ثنائهم التي عبدوها (قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا) أي
آلهتنا التي جعلناها شركاء
(الذين كنا ندعو من
دونك) أي نعبد (قالوا)
اليهم القول انكم لكاذبون
أي أجابوهم بالتكذيب
لأنها كانت جادا لا تعرف

من عبدها ويحتمل أنهم كذبوه في تسميتهم شركاء
وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وألقوا) يعني الذين ظلموا (إلى الله يومئذ السلم) القاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء
والاستكبار في الدنيا (وخل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفكرون) من أن الله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم
وتبرؤ منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وحلوا غيرهم على الكفر

زدناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا بكفرهم وعذابا بصددهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بالصد (ويوم
بعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبينهم لانه كان يبعث (١٣٩) أنبياء الامم فيهم منهم (وجئت بك) يا محمد

(شهيدا على هؤلاء) على
أمتك (وزلنا عليك
الكتاب تبيانا) بليغا (لكل
شيء) من أمور الدين اما في
الاحكام المنصوصة فظاهر
وكذا فيما ثبت بالسنة أو
بالاجماع أو بقول الصحابة
أو بالقياس لان مرجع
الكل الى الكتاب حيث
امر نبيه باتباع رسوله عليه
السلام وطاعته بقوله أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وحثنا
على الاجماع فيه بقوله
ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقدرضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم لامته باتباع
أصحابه بقوله أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم
اهتديتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطؤا طرق
الاجتهاد والقياس مع انه
امر نابه بقوله فاعتبروا يا أولي
البصائر فكانت السنة
والاجماع وقول الصحابي
والقياس مستندة الى
تبيان الكتاب فتبين أنه
كان تبيانا لكل شيء
(وهدي ورحمة وبشرى
للمسلمين) ودلالة الى الحق
ورحة لهم وبشارة لهم بالجنة
(ان الله يامر بالعدل)
بالتسوية في الحقوق فيما
بينكم وترك الظلم وإيصال
كل ذي حق الى حقه

كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني
زدناهم هذه الزيادة بسبب صددهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصل
واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال وقال
سعيد بن جبيرة حيات كالبعث وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين
خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أشهر من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار
الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزهرير فيبادرون من شدة
الزهرير الى النار مستغيثين بها وقيل بضاعف لهم العذاب ضعف بسبب كفرهم وضعف بسبب صددهم
الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صددهم عن سبيل الله
وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعت في كل أمة شهيدا عليهم)
قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها (من أنفسهم)
يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة
وعصيان (وجئت بك) يعني يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال
تبارك وتعالى (وزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شيء) تبيانا اسم من البيان قال مجاهد
يعني لما أمر به وما نهى عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شيء يعني من أمور الدين اما بالنص عليه أو بالاحالة
على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من
الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو أيضا أصل ومفتاح العلوم
الدين (وهدي) يعني من الضلالة (ورحة) يعني لمن آمن به وصدق به (وبشرى للمسلمين) يعني وفيه بشرى
للمسلمين من الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان قال ابن عباس العدل
شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد
الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب أن يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب
أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل
في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا علو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في
المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير بما كثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل
العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف بالمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك
وقيل يامر بالعدل في الافعال وبالا حسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن (وايتاء
ذي القربى) يعني ويامر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والاعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل
ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا
وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة
(والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبنى)
يعني الكبر والظلم وقيل البنى هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصي
البنى ولو أن جبلين بنى أحدهما على الآخر لك الباغى وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء
السر والعلائية والاحسان أن تكون سريره أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبنى أن
تكون علانيته أحسن من سريره وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات

(والاحسان) الى من أساء اليكم أو هما الفرض والندب لان الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وايتاء ذي القربى) واعطاء ذي
القرابة وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبنى) طلب التطاول بالظلم والمنكر

(بظكم) حال أو مستأثر (لعلكم تذكرون) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون فإنه قال ما كنت أسلمت
الاحياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان في قلبي
فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال (١٤٠) والله ان له الخلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلامه لثمروان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر

وقال أبو جهل ان الله
ليأمر بمكارم الاخلاق وهي
أجمع آية في القرآن للخير
والشر ولهذا يقرؤها كل
خطيب على المنبر في آخر
كل خطبة لتكون عظة
جامعة لكل ما مورومني
(وأوفوا بعهد الله اذا
عاهدتم) هي البيعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على
الاسلام ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله (ولا
تنقضوا الايمان) ايمان
البيعة (بعد توكيدها)
بعد توثيقها باسم الله وأكده
ووكده لغتان فصيحتان
والاصل الواو والهمزة بدل
منها (وقد جعلتم الله عليكم
كفيلة) شاهدا ورقيبا
لان الكفيل مراعى لحل
المكفول به مهيمن عليه
(ان الله يعلم ما تفعلون)
من البر والحنث فيجازيكم
به (ولا تكونوا) في نقض
الايمان (كأنى نقضت
غزلهما من بعد قوة) كالمرأة
التي انحنت على غزلهما
بعد ان أحكمته وأبرمته
فجعلته (أنكاثا) جمع نكت
وهو ما ينكت قتله قيل
هي ربيعة وكانت حواء
تغزل هي وجواربها من

ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء قد كرر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكروا
في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الاقوال والافعال وذكروا الاحسان وهو ان تغفوا عن ظلمك وتحسن الى
من أساء اليك وذكروا في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من أحسن اليك وذكروا ابتداء ذي القربى
والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكروا في مقابلته البغي وهو ان يتكبر عليهم أو يظلمهم
حقوقهم ثم قال تعالى (يعظكم لعلكم تذكرون) يعني انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي
تتعظوا وتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية في القرآن خير وشر هذه
الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بين في هذه الآية
المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجال فامتنع من شيء يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك
الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله
يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد على فأعادها عليه فقال له الوليد والله ان له الخلاوة وان عليه
لطلاوة وان أعلامه لثمروان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم)
لماذا كرر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجال ذكروا في هذه الآية
بعض ذلك الاجال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لانه أكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا
عاهدتم نزلت في الذين يبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد
منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال
القتبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه صلاح فلا
يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف بيمين ثم رأى غيرا خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن
يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذي خصته السنة وقال مجاهد وقادة نزلت في حلف أهل
الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزد الاسلام الا شدة
(ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) يعني تشديد ما فتنحشوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين
لانه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلة) يعني شهيدا بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ما تفعلون) يعني من
وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعني في
نقض العهد (كأنى نقضت غزلهما من بعد قوة) يعني من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه
امرأة من قريش يقال لها ربيعة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حقاء بها
وسوسة وكانت قد انحذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل
الغزل من الصوف أو الشعر أو الوبر وتأمّر جواربها بالغزل فكان يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا
انصف النهار أمرنهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا ما بهو المعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا
حين عملت كفت عن النقص فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفي به (أنكاثا) جمع نكت
وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد القتل (تخذون ايمانكم دخلا بينكم) يعني دخلا وخيانة وخديعة
والدخا ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخا والدغلا ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطل
نقضه (أن تكون) يعني لان تكون (أمة هي أمة) يعني أمة كثيرة أمة من أمة قال مجاهد وذلك
انهم كانوا يحلفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر

الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تخذون ايمانكم) حال كان كاثا (دخلا) أحدهم معولى تهذاى ولا تنقضوا والمعنى
أيمانكم متخذها دخلا (بينكم) أى مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة بمعنى جماعة قريش (هي أمة من أمة) هي أمة
ههنا وأمر مالا من أمة من جماعة المؤمنين هي أمة مبتدأ وخبر في موضع الرفع صفة لامة وأمة فاعل تكون وهي تامة وهي ليست بفصل

وقوعها بين نكرتين (انما يلوكم الله به) الضمير للصدر رأى انما يخبركم بكونهم أربى لينظر اتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدهم من
 عن البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغفرون بكثرة قریش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقيرهم (وليدينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
 مختلفون) اذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة
 (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدي من يشاء) من علم منه (١٤١) اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم

تعملون) يوم القيامة
 فتجزون به (ولا تتخذوا
 إيمانكم دخلاً بينكم)
 كرر النهي عن اتخاذ الإيمان
 دخلاً بينهم تأكيدها عليهم
 واطهار العظمة (فتزل قدم
 بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم
 عن محجة الاسلام بعد
 ثبوتها عليها وانما وحدث
 القدم ونكرت لاستعظام
 أن تزل قدم واحدة عن
 طريق الحق بعد أن تثبت
 عليه فكيف بأقدام كثيرة
 (وتذوقوا السوء) في الدنيا
 (بما صدتم) بصدودكم
 (عن سبيل الله) وخروجكم
 عن الدين أو بصدكم غيركم
 لانهم لو تقضوا إيمان البيعة
 وارتدوا لاتخذوا نقضها
 سنة لغيرهم يستنون بها
 (ولكم عذاب عظيم) في
 الآخرة (ولاتشتروا) ولا
 تبدلوا (بعهد الله) وبيعة
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم (ثمناً قليلاً) عرضاً
 من الدنيا يسيراً كأن
 قوماً من أسلم بمكة زين لهم
 الشيطان لجزعهم مما
 رأوا من غلبة قریش

والعني انكم طلبتم العز بنقض العهد لان كانت أمة أي جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك
 أمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (انما يلوكم الله به) يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو
 علم بكم (وليدينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه مختلفون) يعني في الدنيا في ثيب الطائع المحق ويعاقب المسيء
 لخالفه قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني على أمة واحدة ودين واحد وهو دين
 الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يعني يخذلانه اياه عدلانه (ويهدي من يشاء) بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك
 ما اقتضته الحكمة الالهية لا يستل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون)
 يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أو يغفر له قوله عز وجل (ولا تتخذوا
 إيمانكم دخلاً بينكم) يعني خديعة وفساد ايمنكم فتغفروا بها الناس فيسكنوا الى إيمانكم ويامنوا اليكم ثم
 يقضونها وانما كرر هذا المعنى تأكيدها عليهم واطهار العظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهى
 الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام منهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده وهو قوله
 سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على الإيمان به وبشريعته وقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذ كر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد
 آفة ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل
 أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صدتم عن سبيل الله) يعني
 سبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على
 ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولاتشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا
 نقضها عوضاً من الدنيا قليلاً ولكن أو فوا بها (ان ما عند الله) يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء
 بعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال
 ارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعني من متاع الدنيا ولذاتها ينفى ويذهب (وما عند الله باق) يعني من ثواب
 الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزي الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني
 إجاب صبرهم (باحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
 أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله سبحانه وتعالى
 من عمل صالحاً من ذا كراواتي وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحاً في العموم فافائدة الذ كر والاثني
 ت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناولاً للذ كر دون الاثني فقل من
 كراواتي على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعاً وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب
 البالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتاً للتأ كيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو
 من جعل الإيمان شرطاً في كون العمل الصالح موجباً للثواب (فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبیر
 طاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة
 بسل رزق يوم يوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيراً أطيب من عيش الكافران كان غنياً

تضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ان
 عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفذ وما عند الله) من خزائن رحمته (باق)
 ينفذ (وليجزين) و بالنون مكى وعاصم (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل
 الحامن ذ كراواتي) من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهره للذ كر فبين بقوله من ذ كراواتي ليعم الموعد النوعين جميعاً (وهو مؤمن)
 لان الإيمان لان أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الإيمان (فلنحيينه حياة طيبة) أي في الدنيا بقوله

(ولنجز ينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وعنده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فا ناهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا (١٤٢) كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعا

لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتديره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه ايا ما وعرف ان له مصلحة في ذلك ان قدر الذي رزقه اياه فاستراح نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر والجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعيب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المؤمن التنوع أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعيبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الآية (ولنجز ينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمر بها فقبره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبر بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أى صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفثته وهزته قال نفخته الكبر ونفثته السحر وهزته الموتة أخرجه أبوداود الموتة الجنون والقاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما ور بما حصلت الوسواس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوسواس وبقي الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذ قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الخ ومثله من الكلام اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله واذا أردت أن تسافر فأتأهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه يجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها وانفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والاتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك أوهم ان له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم فزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يفقر (٤) ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تنفيها اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الابغصاة

ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمه الله تعالى وأما الفاجر فامر به بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا بدعه أن ينهأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فبعد عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والقاء للتعقيب اذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعني ابليس (الرجيم) المطرود أو الملعون قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا قرأني جبريل عليه السلام (انه ليس له) لا بليس (سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فالنؤمن المتوكل لا يقبل منه وسواسه

(٤) قوله ويظهر من هذا اسم الإشارة راجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من التخرقانه لم يذكر في هذا المحل قول ولهذا سفيان وذكر ما قبله وما بعده وعبارته صحيحة بخلاف ما هنا فانه يوهم رجوع اسم الإشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر له

(انما سلطانه على الذين يتولونه) يتخذونه ولباو يتبعون وساوسه (والذين هم به مشركون) الضمير يعود الى ربهم اوالى الشيطان اى بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) تبدل الآيات مكان الآيات هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع (١٤٣) بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله

(والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف

مكي وأبو عمرو (قالوا انما

أنت مفتر) هو جواب اذا

وقوله والله أعلم بما ينزل

اعتراض كانوا يقولون ان

محمد يسخر بأصحابه

يا أمرهم اليوم بأمر

و ينههم عنه غدا فيأتيهم

بما هو أهون ولقد افتروا

فقد كان ينسخ الاشق

بلا هون والاهون بالاشق

(بل أكثرهم لا يعلمون)

الحكمة في ذلك (قل نزل

روح القدس) أى جبريل

عليه السلام أضيف الى

القدس وهو الطهر كما يقال

حاتم الجود والمراد الروح

المقدس وحاتم الجود

والمقدس المطهر من المآثم

(من ربك) من عنده

وأمره (بالحق) حال أى نزل

ملتبسا بالحكمة (ليثبت

الذين آمنوا) ليبلوهم

بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو

الحق من ربنا والحكمة لانه

حكيم لا يفعل الا ما هو

حكمة وصواب حكم لهم

بثبات القدم وصحة اليقين

وطمأنينة القلوب (وهدى

وبشرى) مفعول هما

معطوفان على محل ليثبت

والتقدير تثبتنا وارشادا

وبشارة (للمسلمين) وفيه

ولهذا قال المحققون لاحول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه) يعنى يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعنى بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من أجله مشركون بالله قوله سبحانه وتعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) وذلك ان المشركين من أهل مكة قالوا ان محمد يسخر بأصحابه يا أمرهم اليوم بأمر و ينههم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا انسختنا حكم آية فابدلنا مكانه حكما آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من النسخ وبما هو أصل خلقه وبما يغير ويبدل من أحكامه أى هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عبادته وهذا نوع توبيخ وتقرير لكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما أنت مفتر) أى تخلق من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمد الى الافتراء والكذب لاجل التبدل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى لا يعلمون فائدة النسخ وتبدل المنسوخ (قل) أى قل لهم يا محمد (نزل) يعنى القرآن (روح القدس) يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعنى ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعنى لينتبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى وبشرى) يعنى وهو هدى وبشرى (للمسلمين) قوله عز وجل (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا انما يعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فأجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر واختلقوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم فينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرى غلاما لبنى المغيرة يقال له يعش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومى نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله ابن مسleme كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار وبكى أبافكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فر بما أمر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أذاه الكفار يقعد اليهما فيترجح بكلامهما فقال المشركون انما يعلم محمد ما وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم محمد من عائش ملك كان نحو طب بن عبد العزى كان نصرانياً قد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه وأنزل هذه الآية تكذيبا لهم فيأمر مواه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذي يلحدون اليه) يعنى يميلون ويشيرون اليه (أعجمي) يعنى هو أعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان

غير بض يحصل اذداد هذه الحصال لغيرهم (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) أرادوا به غلاما كان نحو طب قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمي أو عبدان جبر ويسار كانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه) أو بفتح الباء والخاء جزءة على (أعجمي)

وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذي يملون قوهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحته القوهم وإبطالها (١٤٤) لطفهم وهذه الجملة أعني لسان الذي يلحدون اليه أعجمي لأهل لها

يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة مع أنه كان من العرب والعجمي منسوب إلى
العجم وإن كان فصيحاً بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب
وهو منسوب إلى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو أن الذي
يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا
القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عنه وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يتقدم من هو أعجمي على مثله وأين
فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم وحى أو جاءه الله إليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من
الله عز وجل إليه وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه (أن الذين لا يؤمنون بآيات
الله) يعني لا يصدقون أنها من عند الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للإيمان (ولهم عذاب
أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم المفترون فقال تعالى (إنما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني إنما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار
قريش إنما أنت مفتر (وأولئك هم الكاذبون) يعني في قوهم إنما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فإن
قلت قد قال تبارك وتعالى إنما يفتري الكذب فامعنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو الأول
قلت قوله سبحانه وتعالى إنما يفتري الكذب أخبار عن حال قوهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم
لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادت لك الكذب وفي الآية دليل
على أن الكذب من أخفى الذنوب الكبار لأن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي
باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق
قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
﴿ قوله تعالى ﴾ (من كفر بالله من بعد إيمانه الأمن) كرهه وقلبه مطمئن بالإيمان) نزلت في عمار بن ياسر
وذلك أن المشركين أخذوه وأباه يأسر وأمه سمية وصهيبار بلالا وخبابا وسالمافعذبوهم ليرجعوا عن
الإسلام فأمه سمية أم عمار فأتاهم بطت بين بعيرين ووجي قبلها بحر به فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول
قتيلين قتلا في الإسلام وأما عمار فأنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو النخيلة
عماراً وغطوه في بئر ميمون وقالوا له الكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن عماراً كفر فقال كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه
فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر
يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئناً بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا
فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن هاجروا إلىنا فأنالناكم من ناحيتي نهاجروا ونخرجوا
يريدون المدينة فأدر كنهم قریش في الطريق فقتلهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف
لأن الآية مكية وكان هذا في أول الإسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبرمولى عامر بن
الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى
جبر وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة والأولى أن يقال إن الآية عامية في كل من أكرهه على الكفر وقلبه
مطمئن بالإيمان وإن كان السبب خاصاً فإن قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استنشاؤه من الكافر

لأنها مستأنفة جواب
لقوهم واللسان اللغة
ويقال ألد القبر ولحده
وهو ملحد وملحد إذا
أمال حفره عن الاستقامة
خفر في شق منه ثم استعير
لكل أمالة عن الاستقامة
فقالوا ألد فلان في قوله
وألد في دينه ومنه
الملحد لأنه أمال مذهبه
عن الأديان كلها (أن
الذين لا يؤمنون بآيات
الله) أي القرآن (لا يهديهم
الله) ماداموا مختارين
الكفر (ولهم عذاب
أليم) في الآخرة على
كفرهم (إنما يفتري
الكذب) على الله
(الذين لا يؤمنون بآيات
الله) أي إنما يليق افتراء
الكذب بمن لا يؤمن لأنه
لا يتقرب عقاباً عليه وهو
رد لقوهم إنما أنت مفتر
(وأولئك) إشارة إلى
الذين لا يؤمنون أي
وأولئك (هم
الكاذبون) على الحقيقة
الكاملون في الكذب
لأن تكذيب آيات الله
أعظم الكذب وأولئك
هم الكاذبون في قوهم
إنما أنت مفتر جوزوا أن
يكون (من كفر بالله من
بعد إيمانه) شرطاً مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب

(لكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون
 كيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضين البديل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه
 استثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم افتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فمليهم غضب من الله وأن يكون بدل من المبتدأ الذى
 وأولئك أى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر (١٤٥) الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من

كفر بالله من بعد ايمانه
 وان ينتصب على التمر روى
 أن ناسا من أهل مكة فتنوا
 فارتدوا وكان فيهم من أكره
 فاجرى كلمة الكفر على
 لسانه وهو معتقد للإيمان
 منهم عمار وأما بواه ياسر
 وسمية فقد قتلا وهما أول
 فتيلين فى الاسلام فقيل
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان عمارا كفر فقال
 كلا ان عمارا ملئ ايمانا من
 قرنه الى قدمه واختلط
 الايمان بلحمه ودمه فاقى
 عمار رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو يبكى فجعل
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يمسح عينيه وقال مالك
 ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
 وما فعل أبو عمار أفضل
 لان فى الصبر على القتل
 اعزازا للاسلام (ذلك)
 اشارة الى الوعيد وهو لحوق
 الغضب والعذاب العظيم
 (بانهم استحبوا) آثروا
 (الحياة الدنيا على الآخرة)
 أى بسبب ايشارهم الدنيا
 على الآخرة (وأن الله
 لا يهدي القوم الكافرين)

فما معنى هذا الاستثناء فى الامن أكره قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما شابه ما يظهر من الكافر طوعا
 صرح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم
 (فصل فى حكم الآية) قال العلماء يجب أن يكون الاكره الذى يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب
 بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايالات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه
 قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال
 وعمار وأبو ياسر وأمه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعله الله من أذى المشركين بعمه أبى طالب وأما
 أبو بكر ففعله قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أذراع الحديد وأجلسوا فى حر الشمس بمكة فاما بلال
 فكانوا يعذبونه وهو يقول أحدا أحدا حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب
 لقد أوقدوا لى ناراً ما أطفأها الا ودك ظهري وأجمعوا على ان من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة
 نصر يحابل يأتى بالمعاريض وبما يوهى انه كفر فلوا كره على التصريح بباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب
 على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لان ياسرا وسمية قتلا
 ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلا الصبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الا كراه
 عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو
 يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك
 ولو صبر كان أفضل ومن الافعال ما لا يتصور الا كراه عليه كالزنا لان الاكره يوجب الخوف الشديد
 وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الا كراه واختلف العلماء فى طلاق المكره فقال الشافعى رضى الله
 تعالى عنه وأكثر العلماء لا يتبع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى
 لا اكره فى الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى انه
 لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على أن محل الايمان هو القلب (ولكن من
 شرح بالكفر صدرا) يعنى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب
 عظيم) يعنى فى الآخرة (ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يعنى يكون ذلك الاقدام على
 الارتداد الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يعنى
 لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) تقدم
 تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعنى عميا رادهم من العذاب فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لا جرم
 أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) يعنى أن الانسان انما يعمل فى الدنيا ليرجى فى الآخرة فاذا دخل النار بان
 خسارته وظهر غيبه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر قوله عز وجل (ثم ان
 ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول فى الاسلام فتنهم المشركون (ثم جاهدوا

(١٩ - (خازن) - ثالث) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا
 يدرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب
 هى غاية الغفلة ومنتهىها (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك (للذين هاجروا) من
 مكة أى انه لم يزل عليهم يعنى انه واهبهم وناصرهم لاعدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محيا منفعوا غير مضرور (من
 بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكره على الكفر فتنوا شامى أى بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة

(ان ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لا يعذبهم على ما قالوه في حالة الاكراه (يوم تأتي) منصوب برحيم أو بذكر (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس لانه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لايهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا بنا اننا اطعنا ساداتنا وكبرائنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وتوفى كل نفس ما عملت) تعطى جزاء عملها وافيا (وهم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثل كل قوم أنعم الله عليهم فأبطلتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضر بها الله مثلاً لذكر المشبه به ولهم ذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب

وصبروا) عن الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعني من بعد الفتنة التي فتنوها (لغفور) نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل من الرضاة وقيل كان أخاه لأمه وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسامة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فتهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا إليه وأمن شرهم ثم اتهم من بعد ذلك هاجروا واجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستنزه الشيطان فارتد ولحقه بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنية في السور المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك ﴿ قوله سبحانه وتعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) يعني تخاصم وتحتج عن نفسها أي بما أسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تنفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فامعنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقديراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها أيضا والمعنى يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهتم به غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خيرا وشر (وهم لا يظلمون) يعني لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار خوفا فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لانت عليك ساعات وأنت لا يهلكك الا نفسك وان جهنم لترزق زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جنا على ركبته حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا أسألك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما نزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يا رب لم تكن لي بدا بطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالخشب لست لي بدا بطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لساني وبه أبصرت عيني وبه مشيت رجلاي فضرب الله لهما مثلاً عمو ومقعد دخلا حائطا يعني يستأفيا فيه ثم أقالا عمو لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله حمل الاعمي المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب ﴿ قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابة ليبين أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعات للمثابة قال الامام غفر الدين الرازي المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا أو لم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها المثل يحتمل أن تكون شيئا مفروضا ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين على أنها مكة والاقر بانها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطلتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضر بها الله مثلاً لذكر المشبه به ولهم ذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب

الله مثلاً لقرية تكم أي بين الله لها شياً ثم قال قرية فيجوز أن تكون القرية بدلاً من مثلاً لانها هي
 للمثل بها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلاً مثل قرية فخذ المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون
 كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكره وقال ابن الجوزي في هذه
 القرية قولاً أن أحدهم أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني أنها قرية
 وسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخزف بحث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت
 المدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات
 ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضر بهم الله مثلاً لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل
 صنعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت أن الخوف المذكور في هذه الآية في
 قوله فاذا قها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول
 جميع المفسرين لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وإنما أمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة
 فكان يبعث البعوث والسرايا إلى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم برأيه وأما تفسير قوله
 تعالى وضرب الله مثلاً قرية يعني مكة (كانت آمنة) يعني ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة)
 معنى قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لا تتجاع كما كان يحتاج إليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغداً)
 معنى واسعاً (من كل مكان) يعني يحمل إليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يجي
 ليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق أهلهم من الثمرات (فكفرت)
 معنى هذه القرية والمراد أهلها (بأنهم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما
 أبلاوهم الله التي أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لا جرم أن الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فاذا قها الله
 لباس الجوع والخوف) وذلك أن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت
 عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكوا العظام المحرقة والجيف والكلاب
 والميتة والعفن وهو الوريع بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه
 لدخان من الجوع ثم أن رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا هيك عادت
 لرجال فبال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حل الطعام إليهم وهم بعد
 شركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للآغاثة فكانت
 طيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم فان قلت الاذقة واللباس استعارتان
 فأوجه صحتها والاذقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فأوجه صحة إيقاعها عليه وهو أن اللباس
 لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فاذا قها الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشف
 ما الاذقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يحس الناس منها فيقولون ذاق
 لأن البؤس والضرر وأذقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر البشع وأما
 اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الاذقة
 على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما يلبس فكانه قيل فاذا قهاهم ما غشاهم من
 الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام غفر الدين الرازي
 مواه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فلما
 قدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديداً كاملاً فصار كأنه أحاط بهم
 من كل الجهات فاشبه اللباس والحاصل أنه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس
 اعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذا قها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها
 بلباس الجوع والخوف لأنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذقة وأصل الذوق بالفم ثم قد يستعار

(كانت آمنة) من القتل
 والسبي (مطمئنة) لا يزعمها
 خوف لان الطمأنينة مع
 الامن والازعاج والقلق
 مع الخوف (بأنها رزقها
 رغداً) واسعاً (من كل
 مكان) من كل بلد
 (فكفرت) أهلها (بأنهم
 الله) جمع نعمة على ترك
 الاعتداد بالتاء كدرع
 وأدرع أو جمع نعم كبؤس
 أبؤس (فاذا قها الله لباس
 الجوع والخوف

بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقفة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جار بمقتضى مجرى الحقيقة لتسبوعها في البلاء والشدة وما عسى الناس منها فية ولون ذاق فلان البؤس والضرر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر البشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما عسى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما رفع عبارة عما يغشى منهما ويلبس فكانه قيل فاذا قمهم ما غشيه من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال التباسهم بالظلم قالوا انه القتل بالسيوف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله (١٤٨) عليه وسلم وجهه الى أهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع

(فكلوا مما رزقكم الله) على يدي محمد صلى الله عليه وسلم (حلالا طيبا) بدلا عما كنتم تأكلون حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصب وخبايا لكسب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان صرح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاءكم عنده ثم عدده عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما للحصر أي المحرم هذا دون البقرة وأخواتها وباقي الآية قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما نصف ألسنتكم الكذب) وهو منصوب بلاقولوا أي ولا تقولوا الكذب لما نصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة كورنا ومحرم

فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذوق ما عنده قال الشاعر ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها وسبق اليها عذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسه فصار التقدير فاذا قمهم الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمانينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ابدائه وأرادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة الى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدة والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فاخذهم العذاب) يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم في الآية (وهم ظالمون) يعني كفرون (فكلوا مما رزقكم الله) في مخاطبين بهذا قولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤسائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عادت الرجال فبال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاة الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله ير بد الغنائم (حلالا طيبا) يعني ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم يحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعني التي أنعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعد هنا وقوله تعالى (ولا تقولوا لما نصف ألسنتكم الكذب) يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تنفعوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة كورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعني لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم نوه المفسرين بالكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعني

على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي أو الى القياس المستنبط منه واللام مثلها لا ينجون في قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلاقولوا أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا الوصف ألسنتكم الكذب أي ولا تحرموا ولا تحلوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجوز في أفواهكم لا لاجل حجة وبينه ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا انطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورة كقولك وجهها يصف الجبال وعينها تصف السحر واللام في (لتفتروا على الله الكذب) من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعلة قليلة وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) (١٤٩) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين

غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لأعصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم (رحيم) بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ليس على الله بمسئسك * أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا وكان أمة بمعنى مأسوم يؤمه الناس لياخذوا منه الخير (قاتل الله) هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان معاذ كان أمة قاتل الله فقيله انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير والتقات المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فاني سمعت

لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعني بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فاعما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية فاعما يصدر عنه بسبب جهله اما لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعله بالجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعني أصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعدها) يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعني لمن تاب وآمن (رحيم) يعني بجميع المؤمنين والتائبين قوله سبحانه وتعالى (ان ابراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري أنه قال هذا مثل قول العرب فلان رجة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأييد قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فناده الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر ليس على الله بمسئسك * أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير بآتم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل بعثه الله أمة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اما ما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام أمة لانه قام مقام أمة في عبادة الله (قاتل الله) يعني مطيعا لله وقيل هو القائم بأمر الله (حنيفا) مسلما يعني مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختن وضحي وأقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره (شاكرا لانعمه) يعني انه كان شاكر الله على أنعمه التي أنعم بها عليه (اجتباها) أي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الامة ومعاذ أمة لله قاتل الله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون (حنيفا) مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام (ولم يك من المشركين) نفى عنه الشرك تكذبا لكفار قریش لزمعهم انهم على ملة أبيهم ابراهيم وحذف النون للتشبيه بحروف اللين (شاكر الانعمه) روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيالوا له أن بهم جذا ما فقال الآن وجبت مؤاكتكم شكر الله على انه عافاني وابتلاككم (اجتباها) اختصه

(وهده الى صراط مستقيم) يعني هده الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم (وآتيناه في الدنيا حسنة) يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله حبيه الى جميع خلقه فكل اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركون العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آناه اولاد ابراهيم الكبر (وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانهم في الآخرة لمن الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم) يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الأصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأموراً بشريعة ابراهيم الامانسخ منها وما لم ينسخ صار شرعاً له وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفاً) مسلماً (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئاً من صنعكم وستة أيام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا يريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضاً بيوم الجمعة فقالت النصارى لا تريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فأتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم أتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وآتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهذا انما الله فهم لنا فيه تبع ففعل لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أفضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهذا اما اليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد انهم يعني غير انهم أو الا انهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهذا انما الله له قال القاضي عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكّل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف اُخبارهم في تعيينه ولم يهدم الله له وفرضه على هذه الامة مينا ولم يكلمهم الى اجتهادهم فجازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياضاً وقد جاء ان موسى عليه السلام أمرهم يوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقبل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوباً عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محي الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحاً ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لم يلزم تعيينه أم لم يبد له فابدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام خنرالدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا بينهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحد على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى

واصطفاه للنبوة (وهده الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) نبوة وأموالاً وأولاداً أو تنويه الله بذكره فكل اهل دين يتولونه أو قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والابذان بان أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطیاد فيه

وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) روى ان موسى عليه السلام (١٥١) أمرهم أن يجعلوا في الاسبوع

يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الاشرذمة منهم قدرضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بنحرى الصيد فاطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو أهله (ادع الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصدها ينفعهم فيها أو بالقرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة والحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من

ابتدأ فيه بخاق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فر يقين في السبت وانما اختاروا الاحد النصارى بعدهم زمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاخترنا والسبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخاق الاشياء في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيد الناهن لان وجهه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيداً قلت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال الخلق وتماه كان فيه وحصول التمام والكمال وجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيداً لهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئاً وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحلوا بعضهم وحرمة بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحلوا بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ونسخوا قرده وخنازيرى زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيئاً وهم الناهون والقول الاول أقرب الى الصحة وقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب وقوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعنى ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصده ما ينفعهم (وجادلهم بالتي هي أحسن) يعنى بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير غظاظ ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الناقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهو لاءهم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى يتفهموا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم أصحاب الفطرة السليمة الخلق الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم أوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاودة هؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي أحسن حتى ينقادوا الى الحق يرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أى ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي أحسن أى أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعنى انما عليك ان تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعاهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازى

فق واللين من غير غظاظ أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأتى المناظرة في الدين (ان ربك هو أعلم عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خبر كفاء الوعظ القليل ومن لا خيرة فيه عجزت عنه الحيل

كل عامل بعمله **﴿قوله سبحانه وتعالى﴾** (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) نزلت هذه الآية بالدين في سبب شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تبقي البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لئن بينا على صنيعهم ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حنظلة بن عبد المطلب وقد جددوا نفعه وآذانه وقطعوا مفاصله وكبره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فوضعتها في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما أنتم أياكم كرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمه حنظلة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فأنك ما علمنا ما كنت الافعال لا لخبرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسر في أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى اما والله لئن أظفر في الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حنظلة فقتلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لئن بينا عليهم قال فلما كان يوم قح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لخير للصابرين فقال رجل لا قرش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الأربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل أو مثله ونحوها فقايلوه بمثله ولا تزيد واعليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبت في استيفاء القصاص فاقصوا بالمثل ولا تزيد واعليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الإشارة والرمز والتعريض بان الترك أولى فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الإشارة إلى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لخير للصابرين) يعني ولئن عفوت وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين العافين

﴿فصل﴾ اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة قامر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما عز الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامه فلا يحل له ان ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الانب في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم **﴿قوله عز وجل﴾** (واصبر وما صبرك الا بالله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه ان صبره بتوفيقه ومعوته (ولا تحزن عليهم) يعني على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتل أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا إلى

(وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) سمي الفعل الاول عقوبة والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع بكم صنع سوء من قتل أو نحوه فقايلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مفاصل كبرهم فرأى النبي عليه السلام حنظلة بمقور البطن فقال أما والذي أحلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراد ولا خلاف في تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهاي عنها حتى بالكذب العقور (ولئن صبرتم لخير للصابرين) الضمير في هو يرجع إلى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابر في موضع الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك الا بالله) أي بتوفيقه وتشيته (ولا تحزن عليهم)

على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم (ولانك في ضيق مما يمكرون) ضيق مكي والضيق تخفيف الضيق أى في أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول (١٥٣) والمعنى ولا يصيقن صدرك من مكرهم

فانه لا ينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أى هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات قيل من اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله ومعينه نصرته في المأمور وعصيته في المحذور

(سورة بنى اسرائيل مكية) وهى مائة وعشر آيات بصرية واحدى عشرة آية كوفى وشامى

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كغمان للرجل واتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان

ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعده) محمد صلى الله عليه وسلم أسرى لغتان (ايلا) نصب على الظرف وقيد بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل للتأكيده

ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة (من المسجد الحرام)

رحمة الله ورضوانه (ولانك في ضيق مما يمكرون) يعنى ولا يصيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصر لك عليهم قرئ في ضيق بفتح الصاد وكسر هاء فصيل هما لغتان وقال أبو عمر والضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وأما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين فعلى هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى ولانك في أمر ضيق من مكرهم قال الامام نضر الدين الرازى هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فيك الا ان الفائدة في قوله ولانك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) أى اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي (والذين هم محسنون) يعنى بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى ان أردت أيها الانسان ان أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا الاشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية في المال ولا مال لي ولكنى أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الاسراء) قال ابن الجوزى هي مكية في قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس انه قال هي مكية الاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصبر او هذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب أدخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاظ بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتي تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شئ هكذا ذكره غير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذى أسرى يقال أسرى به وأسرى به لغتان بعده أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الامة في ذلك وقوله بعده اضافة تشرىف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم لا تدعى الا يا عبدها * فانه أشرف أسمائى

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فامعنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر أو أكثر فدل تنكير الليل على البعوضة (من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى

(٢٠ - (خازن - ثالث) قيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا ناني جبريل بالبراق وقد عرج نى الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريش

عن غيرهم وعدد جلالها وأحوالها وأخبارهم أيضا بما رأى في السماء من المجائب وأنه لقي الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الأسراء قبل الهجرة يستقروا في البقعة وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الأول الجمهور إذا لفضيلة للعالم ولا مزبة للناسم (إلى المسجد الأقصى) هو بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) بربد بركات الدين والله نباله متعبد الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحي وهو محفوظ بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة (لنبيه) أي محمدا عليه السلام (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها من الآيات (أنه هو السميع) للأقوال (البصير) بالأفعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم أنه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة

الله عليه وسلم قال بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتي بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (إلى المسجد الأقصى) يعني إلى بيت المقدس سمي أقصى لبعده عن المسجد الحرام أولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالأنهار والأشجار والثمار وقيل مباء مبارك لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة فإن قلت ظاهر الآية يدل على أن الأسراء كان إلى بيت المقدس والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط قلت قد كان الأسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كان عروجه إلى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بعوده إلى السماء أو لا اشتد إنكارهم لذلك فلم أخبر أنه أسرى به إلى بيت المقدس وبأن لم صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه إلى السماء فجعل الأسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لمعراجة إلى السماء ﴿وقوله تعالى (لنبيه من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة الأنبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام فإن قلت لفظة من في قوله من آياتنا تقتضي التبعية وقال في حق إبراهيم عليه السلام وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وظاهر هذا يدل على فضيلة إبراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به فواجهه قلت ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله أيضا وآيات الله أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه محمد صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والأرض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على إبراهيم صلى الله عليه وسلم (أنه هو السميع) لأقواله ودعائه (البصير) لأفعاله الحافظ له في ظلمة الليل وقت أسرائه وقيل أنه هو السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراة إلى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل أنه هو السميع لأقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازي كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الأحكام ومآل العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الخطيم وراء أقال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان إذا أتاني آت فقد قال وسمعتة يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعتة يقول من قصته إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب ملوثة إيمانا فغسل قلبي ثم حشيت ثم أعيدت ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود أهو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم بضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فأنطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فقم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعدني حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فقم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها عيسى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعدني إلى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فقم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعدني حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل

من حبابه فنعم المجيء جاء ففتح فلم يخلصت فاذا ادر يس قال هذا ادر يس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم
 قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدني حتى اتي السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقد اُرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلم يخلصت فاذا هرون
 قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدني حتى اتي
 السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد اُرسل اليه قال نعم قال
 مرحبا به فنعم المجيء جاء فلم يخلصت فاذا موسى قال هداموسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا
 بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال ابكى لان غلاما بيعت بعدى يدخل الجنة
 من اُمتة اكثر مما يدخلها من اُمتي ثم صعدني الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقد اُرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلم يخلصت فاذا ابراهيم
 قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
 ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى
 فاذا اربعة اَنْهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في
 الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لى البيت المعمور ثم اُتيت باناء من خرواء من لبن واناء من
 حسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة اُنت عليها وَاُمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم
 فرجعت فررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان اُمتك لا تستطيع
 خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك
 فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرة افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني
 عشرة افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرة افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
 فوضع عني عشرة افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى
 فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس
 صلوات كل يوم قال ان اُمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني
 اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن
 أرضى وأسلم قال فلما تجاوزت نادى مناداً مضيت فريضي وخففت عن عبادي زادني رواية أخرى وأجزى
 بالحسنة عشرة وفي رواية أخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ
 ايماناً وحكمة وفيه فرفع لى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون
 ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء
 بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ففرغ في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرجني الى السماء فلما جئنا
 السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم
 معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه قال نعم فافتح ففتح قال فمساءلونا السماء الدنيا فاذا رجل عن
 يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا انظر قيل يمينه ضحك واذا انظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي
 الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه
 فاهل اليمن اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا انظر قبل يمينه ضحك واذا انظر قبل شماله بكى
 قال ثم عرج بي جبريل حتى اتي السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا
 ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف

منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا و ابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول
 الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت
 بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال
 مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت بابراهيم فقال
 مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب واخبرني ابن خزم ان ابن
 عباس واباحية الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى
 اسمع فيه صريف الاقدام قال ابن خزم وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على
 امني خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على امتك قال
 قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فرأيت ربي فوضع
 شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فرأيت ربي فقال
 هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت
 من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ماهي قال ثم أدخلت الجنة فاذا
 فيها جنازة للؤلؤ واذنابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نمران سمع أنس بن مالك يقول ليلة أسرى
 برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد
 الحرام فقال أولهم أبيهم هو فقال أولهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى
 أتوه ليلة أخرى فبما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه
 حتى احتلوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبتة حتى فرغ من صدره
 وجوفه ففصله من مائة زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشوا ايماناً
 وحكمة فغشاه صدره ولغاده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها
 فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به
 وأهلاً يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يرزق الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا
 آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا ابوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا وأهلاً بابني نعم الابن
 أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهر بن يطر دان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات
 عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر
 قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل
 ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلاً
 عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج
 به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء
 السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة
 وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمهم و ابراهيم في السادسة وموسى في السابعة لتفضيل كلام الله فقال موسى رب
 لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
 فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط
 حتى بلغ موسى فاحتبه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان
 امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك عنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه
 يستشير في ذلك فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف

لنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبس به فلم يزل يردده موسى الى
 ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبس به موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي
 على أدنى من هذا فضعفوا فتر كوه فامتك أضعف أجساد او قلوبا وأبدانا وأبصارا واسما عافا رجع فليخفف
 منك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليسير عليه فلا يكره ذلك
 جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم واسما عافهم وأبدانهم خفف عنا
 فقال الجبار يا محمد قال ليبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل
 حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت
 قال خفف عنا عطاءنا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على أدنى من ذلك
 تر كوه ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت
 من ربى مما اختلفت اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخارى
 وادرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند قد كرم من أول حديث
 شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت
 من هذه الالفاظ الا ما نورد على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حدثنا جاد بن سلمة عن ثابت البناني عن
 أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل
 يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء
 قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بانهاء من خروا ناء من لبن فاخترت اللبن
 فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال
 جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بأدم فرحب بي ودعاني
 بنحير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل
 وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بنى الخلاء عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا
 لي بنحير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل قبل ومن معك قال محمد
 قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا يوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى شطر الحسن قال
 فرحب بي ودعاني بنحير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل قبل ومن
 معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادر يس فرحب بي ودعاني بنحير قال الله تعالى
 ورفعهما مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل قبل ومن معك
 قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب بي ودعاني بنحير ثم عرج بنا الى السماء
 السادسة فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث
 اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعاني بنحير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقبل من
 أنت قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بإبراهيم عليه
 السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
 الى سدرة المنتهى واذا ورقتها كآذان القيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت
 فأحدهم خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل
 يوم وليسلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله
 التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يا رب
 خفف على أمتي فخط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع

الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر ومن هم بسنة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سبئة واحدة قال فزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته قال أرجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه هذه رواية مسلم وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل يا محمد تفعل هكذا ما ربك أحد أكرم على الله منه فارقض عرقا وأخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت الى ربي فسالته التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة خمس وخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها أمر الله جري بقول حتم فلم أرجع

(فصل) قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحقل محررا الا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكر عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لان هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في البقعة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا للرؤيا التي رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى اقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أو هام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قسم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبغته صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحرابي كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبغته صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محي الدين وأشباه الأقوال قول الزهري وابن اسحق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الاخرى يينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا يخفى فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها وقد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قالوا الاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها

(فصل) في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجده صلى الله عليه وسلم

وسلم وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أولسدة صفائه وبياضه ولعانه وتلألؤه ونوره والحلقة بالسكان اللام ويجوز فتحها والمراد ببط البراق بالحلقة الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب وإن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل بآباء من خير وآباء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال لي اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وأنه سليم العاقبة بخلاف الخرفانها أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر قوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الأدب لمن استأذن وأن يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه ان للسماء أبوابا وبوابين وإن عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفي الرواية الأخرى وقد بعث اليه معناه للإسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل غيره وقوله فإذا أنا بآدم وذكر جماعة من الأنبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وإن كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا آمن عليه من الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فإذا أنا بآدم مسندا ظهره إلى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل ظهره إليها وقوله ثم ذهب بي إلى السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات إلى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهي إليها لم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل وقوله وإذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين أو أكثر قوله فرجعت إلى ربّي قال الشيخ محيي الدين النووي معناه رجعت إلى الموضع الذي ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربّي معناه وبين موضع مناجاة ربّي عز وجل قلت وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فانه سيأتي إن شاء الله تعالى في تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمتي خمسين صلاة إلى قوله فوضع شطرها في الرواية الأخرى فوضع عني عشر أو في الأخرى خمسين بين هذه الروايات منافاة لأن المراد بالشر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني وقتادة وهما أثبت من شريك فالمراد حط عني خمس إلى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني خمسين في الأجر والثواب لأن الحسنه بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول الحديث أنه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق أيضا في صغره وهو عند حليلة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة إيلة المعراج وقوله أثبت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم أنه يجوز استعمال آباء الذهب لنا وليس الأمر كذلك لأن هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريره وقوله تمتلي إيماننا وحكمة فافرغها في صدري فإن قلت الحكمة والإيمان معان والافراغ صفة الأجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل أنه جعل في الطست شيء يحصل به كمال

الايمان والحكمة وز يادتهم افسى ايماناً وحكمه لكونه سبباً لهما وهذا من أحسن المجاز وقوله في صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسر في الحديث بأنه نسيم بنيه يعني أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بان أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه محتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمنين منهم وخزيه على سوء حال الكفار منهم وقوله في ادر يس مرحباً بالنبي الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن ادر يس هو أخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والاخ الصالح كما قال آدم و ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادر يس المذكور هذا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادر يس أبا النبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح محتمل أن يكون قاله تطلقاً وتادباً وهو أخ وان كان أباً لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

فصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء قال البغوي روى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذى طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى به الى السماء أصبحت بمكة فضقت بامرئ وعرفت أن الناس يكذبوني فروى أنه صلى الله عليه وسلم قعد معترلاً خريفاً فر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفتدت من شيء قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتني به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانقضت المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليه ما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متحجبوا وارتد أناس عن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل أن يصبح قال نعم اني أصدقه بما هو أبعده من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل نستطيع أن ننتع لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنت حتى التبس على قال غي بالمسجد وانا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنتع المسجد وانا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن غيرنا فهي أهم الينا هل لقيت منها شيئاً قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشر به ثم وضعت كما كان فسلوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذى مر فنفرت بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فاخبرنا عن غيرنا قال مررت بها بالنعم قالوا فاعدتها وأحاطها وهيئتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له

(وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه) أي الكتاب وهو التوراة (هدى لبني اسرائيل) (١٦١) أن لاتتخذوا أي لاتتخذوا وبالياه

أبو عمرو أي لثلاثيخذوا
(من دوني وكيل) ربا
تكون اليه أموركم (ذرية
من جلتنا مع نوح) نصب
على الاختصاص أو على
النداء فمن قرأ لاتتخذوا
بالنداء على النهي أي قلنا
لهم لاتتخذوا من دوني
وكيل يا ذرية من جلتنا مع
نوح (انه) ان نوحا عليه
السلام (كان عبدا
شكورا) في السراء
والضراء والشكر مقابلة
النعمة بالثناء على المنعم
وروي أنه كان لا يأكل
ولا يشرب ولا يلبس الا
قال الحمد لله وأتم ذرية
من آمن به وحمل معه
فاجعلوه اسوتكم كما جعله
آبائكم اسوتهم وآية رشد
الابناء صحة الاقتداء بسنة
الآباء وقد عرفتم حال
الآباء هنالك فكونوا أيها
الابناء كذلك (وقضينا
الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض)
وأوحينا اليهم وحيا مقضينا
أي مقطوعا مبتوتا بانهم
يفسدون في الارض لا محالة
والكتاب التوراة ولتفسدن
جواب قسم محذوف أو
جري القضاء المبتوت
محري القسم فيكون
لتفسدن جوابا له كانه قال
وأقسمنا لتفسدن في

بعدتها وأجالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزرة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها
جل أوراق عايه غرار تان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون
نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا أو بينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى
تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخرو هذه العير قد طلعت يقدمها
بعيرا ورق فيهما فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته في الحجر وقر يش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء
من بيت المقدس لم أثبتها فكرت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي أنظر اليه ما يسألوني عن
شيء الا أنبأته به وقد رأيته في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعدا كانه من رجال
شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شيئا عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي
أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فامتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل
يا محمد يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام (ق) عن جابر انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش قتلت الى الحجر فحلفي الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته
وأنا أنظر اليه زاد البخاري في رواية له لما كذبتني قريش حين أسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث
(م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الاحمر فاذا
هو قائم يصلي في قبره عن يريده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتينا الى بيت المقدس قال جبريل
كذابا صبعه فخرق به الحجر وشده البراق أخرجه الترمذي فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه
وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة قلت أما صلواته صلى الله عليه وسلم
بالانبياء في بيت المقدس فاحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعترفوا بفضل الله وتقديره عليهم
ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى
وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم في
الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلواتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من أعمال
الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانه اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون
النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص
بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر انه رأىهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق
في قوله سبحانه وتعالى (وآتيناه موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني
اسرائيل أن لاتتخذوا) يعني وقلنا لهم لاتتخذوا (من دوني وكيل) يعني ربا كفيلا (ذرية) يعني يا ذرية
(من جلتنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما
أشرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل (وقضينا الى بني
اسرائيل في الكتاب) يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى
(لتفسدن في الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالي بمعنى على والمراد بالكتاب
الروح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد
بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا

(٢١ - (خازن) - ثالث) الارض (مرنين) أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا عليه السلام
حين أنذرهم سخط الله والاخرى قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن

عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا في الارض والمراد به النبي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فاذا جاء وعد اولاهما) أي وعد عقاب اولاهما (بمنا عليكم) سلطانا عليكم (عبادنا اولى بأس شديد) أشداء في القتال يعني سنجاريب وجنوده أو يختصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا (١٦٢) المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فجاسوا لخلال الديار) ترددوا للغارة فيه اقال الزجاج الجوس

طلب الشيء بالاستقصاء
(وكان وعدا مفعولا)
وكان وعد العقاب وعدا
لا بد ان يفعل (ثم رددنا
لكم الكرة) أي الدولة
والغلبة (عليهم) على
الذين بعثوا عليكم حين
بتم ورجعتم عن الفساد
والغلو قيل هي قتل يختصر
واستفاد بنى اسرائيل
أسراهم وأموالهم ورجوع
الملك اليهم وقيل أعدنا
لكم الدولة بملك طالوت
وقتل داود جالوت (وأمددناكم

فاذا جاء وعد اولاهما) يعني اولى المرتين قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتلهم شعبياء في الشجرة وارتيكاهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادنا) يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من أهل ينسوى وقيل هو يختصر البابي وهو الاصح (أولى بأس شديد) يعني ذوى بطش وقوة في الحرب (فجاسوا لخلال الديار) يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبون نسك ليقبلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائننا لازما لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين بتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعني أكثر عددا (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم) يعني طمأنوا بها وجزاء احسانها (وان أسأتم فلها) يعني فعلها اساءتها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى نخلصه الله منهم ورفعهم اليه وقتلوا زكريا وبجي عليهم السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبواهم وقتلواهم وهو قوله تعالى (ليسوا بأجوهكم) يعني ليعززونكم وقرئ بالنون أي يسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ونواحيه (كمدخله أول مرة) يعني وقت افسادهم الاول (وليتبروا ما علوا تتييرا) يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلا كا

ذكر القصة في هذه الآية

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والنزول وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول منازلهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقه وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون بانبايع التوراة والاحكام التي فيها فامسا ملك صديقه بعث الله معه شعبياء وذلك قبل مبعث زكريا وبجي وشعبياء هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشري أورشليم الآن ياتيك ركب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك يعني صديقه بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعبياء فبعث الله سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائر حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاء شعبياء النبي اليه وقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هاهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا بني الله هل أتاك من الله وحى فباحث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وسنجاريب وجنوده فقال شعبياء لم يأتني وحى في ذلك فبيناهم على ذلك أوحى الله الى شعبياء النبي ان انت ملك بنى اسرائيل فردد أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعبياء ملك بنى اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الى أن أمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعبياء لصديقه الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخاض اللهم رب الارباب واله الآلهة يا قدوس يا مقدس يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذ سنة ولا نوم اذكرني بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سرى وعلا نيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله الى شعبياء أن يخبر صديقه ان ربه قد استجاب له ورجعه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعبياء

بأموال وبنين وجعلناكم
أكثر نفيرا) عما كنتم
وهو تميز جمع نفروهم من
ينفر مع الرجل من قومه
(ان أحسنتم أحسنتم
لانفسكم وان أسأتم فلها)
قيل اللام بمعنى على كقوله
وعليها ما كتبت والصحيح
أنها على بابها لان اللام
للإختصاص والعامل
مختص بجزء عمله حسنة
كانت أو سبئة يعني ان
الاحسان والاساءة تختص
بانفسكم لا يتعدى النفع
والضرر الى غيركم وعن
على رضى الله عنه ما أحسن

الى أحد ولا أسأت اليه ونلاها) فاذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوا) أي هؤلاء
(وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أي ليجمعوا لها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوعا
وحزرة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أولو وعدا ولابعث ليسوعا على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كمدخله أول مرة وليتبروا
ما علوا تتييرا) ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال اهلبي واله آباءى لك سجدت
 وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء
 عالم الغيب والشهادة أنت الاول والاخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت
 الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعيا أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من
 عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحتك فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعيا سل ربك
 أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا قل له انى قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم
 يصيحون موتى كلهم الاسنجاريب وخسة نفر من كتابه أحدهم يختصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ
 على باب المدينة يا ملك بنى اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج
 الملك والخمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب في مفازة ومعه خمسة نفر من
 كتابه أحدهم يختصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت
 الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأتم غافلون فقال
 سنجاريب قد أتاني خبر بكم ونصره اياكم ورحمته التي برحمتكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم
 لقني في الشقوة الاقله عقلى ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذى
 كفاناكم بما شاء وان ربنا لم يمتك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في
 الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتندروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك
 من معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير حرسه
 أن يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يرزقهم في كل يوم
 موزن من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك صديقة التل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فأمر بهم
 إلى السجن فأوحى الله الى شعيا النبي أن قل للملك بنى اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم
 ليكرمهم وليحملهم حتى يبالغوا ببلادهم فبلغ ذلك شعيا للملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى
 سمو ابا بل فلما قدم جمع الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص
 عليك خبر ربهم وخبر نبينهم وأوحى الله الى نبينهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر
 سنجاريب تخويف ابني اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنجاريب لبث بعد ذلك سبع
 سنين ثم مات واستخلف على ملكه مختصرا بن ابنه فعلم بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله
 على بنى اسرائيل صديقة فرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعيا نبينهم معهم
 يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعيا قم في قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحى
 فقال يا سماء استمعي ويا أرض انصتي فان الله يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم
 نفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عبادهم وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فاقوى شاردها وجمع ضالتها
 ببركسها وداوى مريضها وأسمن مهزوها وحفظ اسميها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فتل
 بعضها بعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يجير اليه آخر فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم
 حين ان البعير مما يذ كروطنه فينتابه وان الحمار مما يذ كراوى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما
 كراوى الذى سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذ كرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الاباب
 العقول ليسوا ببقير ولا حير وانى ضارب لهم مثلا فليس معوه قل كيف ترون فى أرض كانت خرابا زامانا
 عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع
 هو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرًا وأنبت فيها نهرًا ووصف فيها غراسا من الزيتون والرمان

والنخيل والاعناب والوان الثمار كلها ولى ذلك واستحفظه فيها رأى ذاومة حفيظا قويا أميناً فلما طلعت
 جاء طلوعها خرو باقوا الواست الارض هذه فترى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها
 ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ديني والقصر
 شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبي وان الغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة
 وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني
 اللعن ولا آكله ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها وأيديهم مخصوبة
 منها وتياهم مترملات بدمائها يشيدون لى البيوت مساجد ويظهرون أجوافها وينجسون قلوبهم
 وأجسادهم ويدنسونها يزوقون لى المساجد يزيتونها ويغربون عقولهم وأخلاقهم ويضدون بها قاي
 حاجة الى تشييد البيوت است أسكنها وأى حاجة الى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها
 لا ذكر وأصبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم نورصلنا وتصدقنا فلم نرك صدقتنا ودعونا
 بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذى يمنعنى أن
 أستجيب لهم ألت أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع
 صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنورصلاتهم وقلوبهم صاغية الى
 من يحاربني ويحادي في و يشك محارمي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما
 آجر عليها أهلها المقصودين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قوطم بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد
 وإنما أستجيب للداعى اللين وإنما أسمع قول المستضعف المستكين وان من علام مراضي رضا المساكين
 يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتى انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتا آليف مما تؤلف
 السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلاوا ولو شاءوا أن يطلعوا على علم الغيب بما
 توحى اليهم الشياطين اطاعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبتته وحتمته على
 نفسى وجعلت دونه أجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انقذوا
 أى زمان يكون وان كانوا يقدررون على أن يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت قاي
 مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدررون على أن يؤلفوا ما يشاؤون فيؤلفوا مثل هذه
 الحكمة التي ادبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان أجعل
 النبوة فى الاجراء وان أجعل الملك فى الرعاء والعز فى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى
 الجهلة والحكمة فى الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأصاره ان كانوا
 يعلمون وانى باعث لذلك نبيا أميا ليس أعشى من عريان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا ضحاح
 فى الاسواق ولا منزى بالفتحش ولا قوال للخناسدده بكل جيل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة
 لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه
 والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأجد اسماء أهدي به بعد الضلالة
 وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخسالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة
 وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خیرامة أخرجت
 للناس يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدى وإيماني وإخلاصى يصلون قياما وقعودا
 وركعا وسجودا ويقفون فى سبيلى صفوفًا وزخوفًا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى
 ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدح والتمجيد لى مسيرهم ومجالسهم
 ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكة ون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف يظهرون لى الوجوه

والاطراف ويعقدون لى الثياب على الاتصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صددورهم رهبان بالليل
ليوث بالنهار ذلك فضلى أو نيه من أشاء وأناذو الفضل العظيم فلما فرغ شعبياء من مقاتته عدوا عليه ليقتلوه
فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها
فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد
ذلك رجلا منهم يقال له ناشة بن أموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران
وذ كرا بن اسحق أنه الخضر واسمه ارمياء سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز
خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا
المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارمياء ان انت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به
وذ كرههم نعمي وعرفهم باحداثهم فقال ارمياء يارب انى ضعيف ان لم تقوى عاجزان لم تبلغنى مخدول ان
لم تنصرنى قال الله تعالى ولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتي وان القلوب والألسنة بيدى ألقبها كيف
شئت انى معك ولن يصل اليك شئ معى فقام ارمياء فيهم ولم يدري ما يقول فاهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة
بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وانى حلفت بعزتى لا قيضن
لهم فتنة يتحرف فيها الحليم ولا سلطان عليهم جبار اقاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل
سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارمياء انى مهلك بنى اسرائيل يافت ويافت من أهل بابل فسلط الله عليهم
بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطى الشام وقاتل بنى اسرائيل حتى أفناهم
وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يلا كل رجل منهم ترسه تراثم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك
حتى ملؤوه ثم أمرهم ان يجمعوا من فى بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى
اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين
كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فقسمهم
بين الملوك الذين كانوا معه فإصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق
ثلثا أقرهم بالشام وثلثا سبأهم وثلثا قتلهم وذهب باناث بيت المقدس وبالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم
بابل فكانت هذه الواقعة الاولى التى أنزل الله عز وجل بينى اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا
جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديديعنى بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر أقام فى سلطانه
ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيئا أصابه فانساه الذى رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزرا وياوميشائيل
وكانوا من ذرارى الانبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بما نخبرك بتأويلها فقال ما أذكرها ولكن لم تخبرونى
بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم
عنه فجاءوه فقالوا رأيت تمنا لا قدماه وساقاه من نثار وركبتاه وخفاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من
ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فينبأ أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من
السما فدقته فهى التى أنستكها قال صدقتم فأتأويلها قالوا تأويلها انك رأيت الملوك بعضهم كان ألين
ملكاً وبعضهم كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشد ملكاً والفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه
ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد ملكك فهو
أشد وأعز مما قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى ببعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع
ويصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا بختنصر رأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين سألناك ان
تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا القدر أينا نساها انصرف وجوههن عنا اليهم فاخرجهم
من بين أظهرنا واقتلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان فى يده فليفعل فلما قربوهم

للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا ياربنا اصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحببهم فقتلوا
الامن كان منهم مع مختصر منهم دايمال وحنانيا وعزار ياوميشايل ثم لما اراد الله تعالى هلاك مختصر
انبعت فقال لمن في يده من بني اسرائيل ارايت هذا البيت الذي خربت والناس الذين قتلتم منكم وما هذا
البيت قالوا هو بيت الله وهو لاهل اهل كاتوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وفسطت عليهم بذنوبهم وكان
رهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم بكرمهم وبغزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم
فاستكبر وتجبروا وظن انه يجبرونه فعل ذلك بني اسرائيل قال فاخبروني كيف لي ان اطلع الى السماء العليا
فاقتل من فيها واتخذها لي ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض قالوا ما يقدر عليها احد من الخلائق قال
لتفعلن اولاً قتلتمكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة
فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فلما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأله رأسه على أم دماغه فلما مات
شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجي الله من يقي من بني اسرائيل
في يده ووردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى
أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة
قد احترقت وكان عزير من السبائا الذين كانوا يابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن
الناس فينبأهم هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين
أظهرنا الذي لا يصلح ديننا وآخرنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم ونظروا ظهر
ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا ارجع عزير فصام ونظروا ظهر ثيابه ثم عمدا الى المكان الذي وعده
فجلس فيه فأنه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فثلت التوراة في صدره
فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حباً لم يحبوا حبه شيا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو
اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون
حتى كان آخر من بعث اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا
مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفع الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم
ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا
من رؤساء جنوده يقال له بيورزا اذان صاحب القتل فقال له اني قد كنت حلفت باطمي لئن أنا نظرت على
أهل بيت المقدس لا قتلهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الآن لا أجد أحدا أقتله فامرته أن يقتلهم حتى
يباغ ذلك منهم ثم ان بيورزا اذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد
فيها دما يغلي فسألهم عنه فقال يابني اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان لنا
قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني
فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح
بيورزا اذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحاً من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعمائة غلام من
غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فامر بسبعة آلاف من شبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما
رأى بيورزا اذان ان الدم لا يهدأ قال لهم يابني اسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طالما
ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار من ذكر ولا أنثى الا قتلتها فلما رأوا الجهد وشدة
القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كنا
أرشدنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدق فقتلناه فهذا دمهم فقال لهم بيورزا اذان ما كان اسمه فقالوا يحيى بن
زكريا قال الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم بكم منكم فلما علم بيورزا اذان انهم صدقوه خرسا جذا وقال لمن

(عسى ربكم أن يرحكم) بعد المرة الثانية إن تبتغي توبة أخرى وانزجرت عن المعاصي (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) إلى عقوبتكم وقد عادوا فإعاد الله عليهم النعمة بتسليط الكسرة وضرب الأناوة عليهم وعن ابن عباس (١٦٧) رضي الله عنهما سلط عليهم

المؤمنون إلى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يقال للسجن محصور وحصير (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدّها وهي توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته أو للعملة أو للطريقة (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حمزة وعلى (أن لهم) بأن لهم (أجرا كبيرا) أي الجنة (وأن الذين) وبأن الذين (لا يؤمنون بالآخرة) أعدنا أي أعدنا قلبت تاء (لهم عذابا ليليا) يعني النار والآية ترد القول بالنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (وبدع الانسان بالشركاء) وبدع أي وبدع الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وإن قل بالضرر الآجل وإن جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع إلى طلب ما يقع في قلبه

حواله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلافى بنى اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى ور بك ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهداً بأذن ربك قبل أن لا يبقى من قومك أحداً الا قتلتهم فهدأ الدم بأذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره وقال ابني اسرائيل ان خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لا أستطيع أن أعصيه قالوا له افع ما أمرت به فامرهم خفروا واخذوا قلوبهم باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشى فلم يظن خردوش الا أن ما في الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل ثم انصرف إلى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الواقعة الاخيرة التي أنزل الله بنى اسرائيل في قوله اتفسدن في الارض مرتين فكانت الواقعة الاولى مختصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونانيين الا أن بقايا بنى اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة بيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة إلى ان بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس بن اسديانوس الرومى فخرّب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فالبثوا في أمة الاو عليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بامرهم وقيل في سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدعى مجلسه وان الملك هو بنى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن ذلك فبلغ ذلك أمها فخذت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرا به فالبستها ثيابا قاقارا وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هوراودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاه ما سألته سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتى به في طست ففعلت فلما راودها قالت لا أفعل حتى تعطينى ما سألك قال فإسألني قالت رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فأتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلى فامر بتراب فأتى عليه فرقى الدم يغلى فلا زال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك برقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فخرّب بيت المقدس وقتل سبعين ألفا حتى سكن دمه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (عسى ربكم أن يرحكم) يعني يابني اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وان عدتم) أي إلى المعصية (عدنا) أي إلى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي سجننا ومحبسا من الحصر الذي هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصر الذي يدهس ويفترش ﴿ قوله تعالى ﴾ (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أي إلى الطريقة التي هي أصوب وقيل إلى الكرامة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات) أن لهم أجرا كبيرا (يعني الجنة) وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعدنا لهم عذابا ليليا (يعني النار في الآخرة) (ويدع الانسان) أي على نفسه وولده وماله (بالشر) يعني قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاء بالخير) أي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه هلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الانسان عجولا) أي بالدعاء على ما يكره

ويخطر بباله لا يتأتى فيه ثانی المتبصر أو أريد بالانسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتية لا محالة فهاذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع في الخط على موافقة اللفظ

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المود أي محونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة أو وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية (١٦٨) الليل التي هي القمر حيث لم يخاف له شعاعا كشعاع الشمس فتري الاشياء به

أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجر الأصبر له على سراء ولا ضراء في قوله سبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين دلتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو أنه جعلهما دليلين للمخلق على مصالح الدنيا والدين أما في الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على أنهما مدبراً يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلأن مصالح العباد لا تتم إلا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) أي جعلنا الليل محو الضوء مطمونا مظالمه لا يستبان فيه شيء (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي تبصر فيه الأشياء رؤية ينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزاً ونور القمر كذلك فحامن نور القمر تسعة وستين جزاً فجعلها مع نور الشمس وحكى أن الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواء علياً عن السواد الذي في القمر فقال هو أثر الحمو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي لتتوصلوا بدياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف في معاشكم (وتعلموا) أي باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدرك الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وأيسر بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار (وكل شيء فصلناه تفصيلاً) يعني وكل شيء تفتقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم فدينناه بياناً شافياً واضحاً غير ملتبس وقيل انه سبحانه لما ذكر أحوال آيتي الليل والنهار وعلم من وجهه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلاً قوله عز وجل (وكل انسان أزمانه طائره في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيرته وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه انه عام له وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني أزمانه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل وألزمك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيراً كان له كالقلادة أو الحلي في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شراً كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) (منشوراً) حال من يلقاه يعني غير مطوى لم يمكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب وتقول له (اقرأ) أي يقال له اقرأ كتابك قبل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئاً (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) أي محاسباً قال الحسن لقد

رؤية ينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا بدياض النهار الى التصرف في معاشكم (وتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعني حساب الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثليين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكنتين والتجار (وكل شيء) مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلاً) بيناه بياناً غير ملتبس فازحنا علمكم وماتركنا لكم حجة علينا (وكل انسان أزمانه طائره) عمله (في عنقه) يعني ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه) هو صفة لكتاب يلقاه شامياً (منشوراً) حال من يلقاه يعني غير مطوى لم يمكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب وتقول له (اقرأ) أي كتابك

عده

أعمالك وكل يبعث قارئاً (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة أي كفى نفسك (حسيباً) تمييزاً وهو

بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكتفي بالمدعى ما أمه وانما ذكر حسيباً لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذا الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكأنه قيل كفى نفسك رجلاً حسيباً أو تقول النفس بالشخص

أمرنا ومنه الحديث خير
المال سكة مأبورة ومهرة
مأمورة أي كثيرة النسل
(حق عليها القول) فوجب
عليها الوعيد (فدبرناها
تدميرا) فاهلكناها
اهلا كا (وكم) مفعول
(أهلكنا من القرون)
بيان لكم (من بعد نوح)
يعني عاد وثمود وغيرهما
(وكفى بربك بذنوب
عباده خيرا) وإن أخفوها
في الصدور (بصيرا) وإن
أرخوا عليها الستور (من)
كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما يشاء (لا ما يشاء
لمن يريد) بدل من له
بإعادة الجار وهو بدل البعض
من الكل إذا ضمير يرجع
إلى من أي من كانت
العاجلة هم ولم يرد غيرها
كالكفرة تفضلنا عليه من
منافعها بما يشاء لمن يريد
فقيده المجل بمشيئته
والمجل له بإرادته وهكذا
الحال ترى كثيرا من
هؤلاء يتمنون ما يتمنون
ولا يعطون إلا بعضا منه
وكثيرا منهم يتمنون ذلك

(٢٢ - (خازن) - ثالث) وقد حرّموا ههنا ما جمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار
 غنى الآخرة فان أوتي حظا من الدنيا فبها والافربها كان الفقر خيرا له (ثم جعلناه جهنم) في الآخرة (بصلاحها) بدخلها (مدموما) بمقوتها
 (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد
 (١) قوله عدل عليك هكذا في الاصل الطبع وفي بعض النسخ اليك بدل عليك وفي الخطيب عدل والله في حقك من الخ وفي الكشف يا ابن
 آدم أنصفك والله من الخ اه مصحح

الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به وأحقها من السعي وكفأها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعيده (فأولئك
 كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب
 وثلاث الآيات فانه شرط فيه ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيما كاف والإيمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين
 والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (عده هؤلاء) بدل من كلا أي عده هؤلاء (وهؤلاء) أي من أراد العاجلة ومن أراد
 الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق بنعمه والعطاء اسم للمعطى أي نزل يدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددنا للسالف لا نقطعه
 فنزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (أنظر) يعين الاعتبار (كيف
 فضلنا بعضهم على بعض) في المال (١٧٠) والجاه والسعة والكمال (وللا آخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

الآخرة وسعى لها سعيها) أي عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) أي مقبولا لا قبل
 في الآية ثلاث شرائط في كوني السعي مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد بها همه ويتجاني عن دار
 الغرور والسعي فيما كاف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن
 معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وثلاث هذه الآية ﴿ قوله عز وجل ﴾ (كلا عده هؤلاء
 وهؤلاء) أي عده كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعني رزقهما جميعا ثم
 يختلف الحال بهما في المال (وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في
 الدنيا اذ لا حظ للكافر في الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الرزق والعمل يعني
 طالب العاجل وطالب الآخرة (وللا آخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعني ان تفاضل الخلق في درجات
 منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر أعظم فان نسبة التفاضل في درجات
 الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته في طلب
 الدنيا فلا أن تقوى وتشتد رغبته في طلب الآخرة أولى لانهادار المقامة ﴿ قوله تعالى ﴾ (لا تجعل مع الله الها
 آخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله الها آخر وهذا
 أولى (فتنقعد مذموما) أي من غير جد (مخدولا) أي بغير ناصر ﴿ قوله سبحانه ﴾ (وقضى ربك) أي وأمر
 ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن
 الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم أصدقوا الواو بالصاد فصار قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام
 نضر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول يعيد جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير قد تطرق
 الى القرآن ولوجوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم
 في الدين (الأنعبدوا الاياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبادة
 عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لان ذلك الامن له الانعام والافضل على عباده ولا منعم الا
 الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا أي برأيهما وعظما
 عليهما واحسانا اليهما (اما يبلغن عنك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف
 والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر وعلم ان الله سبحانه وتعالى لما
 ذكر هذه الحالة كاف الانسان في حق الوالدين خمسة أشياء ﴿ الاول قوله تعالى ﴾ (فلاتقل لهما أف) وهي

روى ان قوما من الاشراف
 فن دونهم احتجوا باب
 عمر رضي الله عنه فخرج
 الاذن لبلال وصهيب فشق
 على أي سفيان فقال سهيل
 ابن عمر وانما أوتينا من قبل
 انهم دعوا ودعينا يعني الى
 الاسلام فامر عوا وأبطنا
 وهذا باب عمر فكيف
 التفاوت في الآخرة وامن
 حشدنهم على باب عمر
 أعد الله لهم في الجنة أكثر
 (لا تجعل مع الله الها آخر)
 الخطاب للنبي صلى الله عليه
 وسلم والمراد به أمته
 (فتنقعد مذموما مخدولا)
 فتصير جامعا على نفسك
 القدم والخذلان وقيل
 مستوما بالاهانة محروما عن
 الاعانة اذا خذلان ضد
 النصر والعون دليله قوله
 تعالى ان ينصركم الله فلا
 غالب لكم وان يخذلكم
 فمن ذا الذي ينصركم من

كلمة

بعده حيث ذكر الخذلان بمقالة النصر (وقضى ربك) وأمر امرأ مقطوعا به (الأنعبدوا الاياه)

أن مفسرة ولا تعبد وانهي أو بان لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بان تحسنوا بالوالدين احسانا (اما يبلغن
 عنك الكبر) اما هي ان الشرطية زيدت عليهما مائتا كيدا طاولتا دخلت الثون المؤكدة في الفعل ولو أفردت ان لم يصح دخولها
 لا تقول ان نكر من زيد بكرمك ولكن امانا كرمته (أحدهما) فاعلن يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلى يبلغان بدل من ألف الضمير
 الراجع الى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدا (فلاتقل لهما أف) مدني وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو
 صوت بدل على تضجر فالكسر على أصل التفاء الساكنين والفتح للمتحفيف والتنوين لارادة التكبر أي أفضجر تضجرا وتركة لقصده
 التعريف أي أفضجر التضجر المعلوم

(ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيان به مما لا يوجبك والنهي والنهر اخوان (وقل لهما) بدل التافيق والنهر (قولا كريما) جيلا لينا كما يقتضيه حسن الادب وهو ان يقول يا ابتاه يا ماه ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلتني أبو بكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأمور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أضجرهما ما يستقدر منهما أف فضلا عما يزيد عليه واقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما (١٧١) حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من

المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما الكبر هما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن جانبك متذلل لهما من مبالغتك في الرحمة لهما (وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا) ولا تكثف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمة الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتها عليك في صفرك وتربيتها لهما والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الايمان

كلمة تضجرو كراهية وقيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو رماد ونفخت فيه تزيله تقول أف ثم انهم توسعوا به كرهذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم **والثاني قوله (ولا تنهرهما)** أي تزجرهما عما يتعاطيان به مما لا يوجبك يقال نهره بمعنى فان قلت المنع من التأفيف بالغ من المنع من الاتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تنقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما **الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما)** أي حسنا جيلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا ماه يا ابتاه وقيل لا يكتفيهما وقيل هو ان يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحببه (من الرحمة) أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقر اليهما **الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا)** أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا مسلمين فلما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رجعما وقيل في معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما - ما حتى لم يرخص في أدنى كلمة نسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عنده الكبر وأحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحمي والدك قال نعم قال ففهما جفاهد وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أو سبط أبواب الجنة فان شئت فضع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى **قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم)** أي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) أي أبرارا مطيعين

وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة بوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجدر يحيا عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جارا زاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين (ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي الى اذاهما ثم أتم الى الله واستغفرتم منها

(فانه كان للاوايين غفورا) الاواب الذي اذا اذنب بادر الى التوبة فجاز ان يكون هذا عام الكل من فرطت منه جنابة ثم تاب منها وبتدريج تحت الجنابة على ابي يه الذائب من (١٧٢) جنابته لو روده على اثره (وات ذا القربى منك حقه) أى النفقة اذا كانوا

قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قبل فرط منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدي الى اذا عساهم ان ينتم الى الله واستغفروا ثم مما فرط منكم (فانه كان للاوايين) للتوايين (غفورا) قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى ابي يه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاء الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاء الى الله فيما يحزنه وبنو به وعنه انهم المسيحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى بدل عليه ماروى عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوايين اذا رُمضت الفصل أخرجه مسلم قوله اذا رُمضت الفصل يريد ارتفاع الضحى وأن نحصى الرضاء وهو الرمل بحر الشمس فتترك الفصل من الحر وشدة حره اخفافه او الفصل جمع فصل وهو اولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلى بين المغرب والعشاء بدل عليه ماروى عن ابن عباس قال ان الملائكة تحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوايين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتي أقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب لكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتيوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزينة وحسن المعاشرة والمؤاتفة على السراء والضراء والمعاونة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاربين وهو موسر لزمه الاتفاق عليهم وهو مذهب أبي حنيفة وقال الشافعي رضى الله تعالى عنه لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولا تبذر تبذيرا) أى لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهمين أو مائة باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال اتفاق المال في غير حقه وقيل هو اتفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة في خيرا كثيرا فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعنى أولياءهم وأصدقاءهم لانهم بطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف فيما (وكان الشيطان لربه كفوراً) فما ينبغي أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى انتظار رزق من الله رجوه ان يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) أى لينا جيلا أى عدمهم وعدا طيبا طيب به قلوبهم وقيل هو أن يقول رزقنا الله واياكم من فضله ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر أتى صبي فقال يا رسول الله ان أمي تستكسيك درعاً ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد البنا وقتاً آخر فعد الى أمه فقالت قل له ان أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فراءه عريانا فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية

محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحل والحل فغن مجاهد لو أنفق مدافى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خيرا كثيرا فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان أو هم اخوانهم وأصدقاءهم لانهم بطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفوراً) فما ينبغي أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى انتظار رزق من الله رجوه ان يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) أى لينا جيلا أى عدمهم وعدا طيبا طيب به قلوبهم وقيل هو أن يقول رزقنا الله واياكم من فضله ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر أتى صبي فقال يا رسول الله ان أمي تستكسيك درعاً ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد البنا وقتاً آخر فعد الى أمه فقالت قل له ان أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فراءه عريانا فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية

لان فاقد الرزق متبع له فكان الفقر سبب الابتغاء والابتغاء مسيئاعه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل ولا سعد الرجل ونحوه فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم يسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ميسورا وهو اليسر أى دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر في موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك

ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاصافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المرف أمر بالافتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتتعد ماوما) فتصير ماوما عند الله لان المرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير اعطى فلانا وحرمني ويقول الغني ما حسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لاشئ عندك من حصره السفر اذا اثرفه امر ابلغا وعا ريامن حصر رأسه وقد خاطرت مسامة ضررتها اليهودية في أنه يعني محمد عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قبضه الذي عليه فدفعه وقعد عريانا فاقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فمزات (١٧٣) ثم سلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أي هو يضيّق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خيرا) بمصالحهم فيمضيها (بصيرا) بحوائجهم فيقيضها (ولا تقتلوا اولادكم) قتلهم اولادهم وأدهم بذاتهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اثماعظما يقال خطي خطأ كاثم اثمما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطأ بالمد والكسر مكي (ولا تقر بوزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهى عن دواعي الزنا كالمس والقبلة

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) أي بالاعطاء (كل البسط) أي فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المرف أمر بالافتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتتعد ماوما) أي عند الله لان المرف غير مرضى عنده وقيل ماوما عند نفسك وأصحابك أيضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذالم تعطيهم (محسورا) أي منقطعا لاشئ عندك تنفقه وقيل محسورا أي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهبه من الاضاعة بان ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يقتدر ويضيّق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خيرا بصيرا) يعني أنه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عبادهم وما يصلحهم فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد قوله عز وجل (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) أي فاقة وفقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يشدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغير كفاءة لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكما أنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحها على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) (ولا تقر بوزنا) الزنا انه كان فاحشة) أي قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) أي بش طر يقاطر يقه وهو أن تعصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وإيجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولده من هو ولا يقوم احد بتر يته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسب لذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل اثم ثابت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الابالحق أي الاباحدي ثلاث كما روى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله الاباحدي ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه في الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أي قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو أنه يتخير فان شاء استقادمه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا (فلا يسرف في القتل) أي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرصون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شر يفا فلا يرصون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه أنه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول ونحوهما ولو أراد النهي عن نفس الزنا قال ولا تزونا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) وبش طر يقه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) أي بارتكاب ما يبيح الدم (ومن قتل مظلوما) غير مرتكب ما يبيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه (فلا يسرف في القتل) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كمادة أهل الجاهلية والاسراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلا تسرف جزرة وعلى على خطاب الولي أو قاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير للولي أي حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك أو لاء ظلم أي الله ناصر حيث أوجب القصاص بقتله وينصره

ونحوهما ولو أراد النهي عن نفس الزنا قال ولا تزونا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) وبش طر يقه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) أي بارتكاب ما يبيح الدم (ومن قتل مظلوما) غير مرتكب ما يبيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه (فلا يسرف في القتل) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كمادة أهل الجاهلية والاسراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلا تسرف جزرة وعلى على خطاب الولي أو قاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير للولي أي حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك أو لاء ظلم أي الله ناصر حيث أوجب القصاص بقتله وينصره

في الآخرة بالثواب أول الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فإنه كان منصورا بإيجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على
القصاص يجري بين الحر والعبد وبين المسلم والذمي لأن أنفُس أهل الدمة والعبيد داخل في الآية لكونها محرمة (ولانقر بوامال اليتيم الابا
هي أحسن) بالخصلة والطريقة التي هي أحسن وهي حفظه وتربيته (حتى يبلغ أشده) أي ثمانى عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) بأوامر الله تعالى
ونواهيه (ان العهد كان مسؤولا) مطاوعا بإطالب من المعاهدان لا يضيعه وينبغي به وأن صاحب العهد كان مسؤولا (وأوفوا الكيل إذا
وزنوا بالقسطاس) بكسر القاف (١٧٤) حزة ولى وحفص وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها

ظلمة يعني أنه منصور في الدنيا بإيجاب القود على قتله وفي الآخرة بتكفير خطايا وإيجاب النار لقائه وقيل
الضمير راجع الى ولي المقتول معناه أنه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه والدية وقيل في قول
فلا يسرف في القتل أراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فإنه ان فعل ذلك فولى القتل منصور من قبل
عليه باستيفاء القصاص منه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولانقر بوامال اليتيم الابا التي هي أحسن) أي بالطريق
التي هي أحسن وهي تربيته وحفظه عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الأشد كمال العقل
ورشد به بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والام بنفك عنه الحجر (وأوفوا بالعهد) أي بالاتيان بما أمر الله
والاتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤولا) أي عنه وقيل
مطالو باوقيل العهد يسئل فيقال فيم تقضت كالمؤدة تسئل فيم قتلت ﴿قوله عز وجل﴾ (وأوفوا الكيل إذا
كأنتم) المراد منه تمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان
الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومي وقيل سرياني والاصح أنه عربي مأخوذ من
القسط وهو العدل أي وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليلا
والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس
محتاجون الى المعاملات والبيع والشراء فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعيا في ابقاء
الاموال على أربابها (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه أمر
﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولا تقف) أي ولا تتبع (ماليس لك به علم) أي لا تقل رأيت ولم ترو سمعت ولم
تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل
مأخوذ من القفا كما نه يقفوا الامور ويتبعها ويتعرفها والمراد أنه لا يتكلم في أحد بالظن (ان السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسئل
السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة في أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول
ترجع الى أربابها عن شكل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعويذا
أعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر فؤادي وشر لساني
وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب قوي
وشر مني يعني ماءه وذكره ﴿قوله عز وجل﴾ (ولا تمس في الارض مراحا) أي بطرا وكبرا وخيلاء (انك
لن تخرق الارض) أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أي لا تقدر أن تطاول
الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الارض ومطاول
الجبال لا يحصل على شيء وقيل ان الذي يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدره وقدميه فقي
له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدره وقدميك
على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صلبه أخرجه الترمذي

هو القسطون أي القبان
(المستقيم) المعتدل (ذلك
خير) في الدنيا (وأحسن
تأويلا) عاقبة وهو تفعيل
من آل اذا رجع وهو ما
يؤل اليه (ولا تقف ما ليس
لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم
أي لا تقل رأيت وما رأيت
وسمعت وما سمعت وعن
ابن الحنفية لا تشهد بالزور
وعن ابن عباس لا ترم
أحدا بما لا تعلم ولا يصح
التثبت به لمبطل الاجتهاد
لان ذلك نوع من العلم
فان علمقوهن مؤمنات
وأقام الشارع غالب الظن
مقام العلم وأمر بالعمل به
كافي الشهادات ولنا في
العمل بخبر الواحد لما
ذكرنا (ان السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك كان
عنه مسؤولا) أولئك اشارة
الى السمع والبصر والفؤاد
لان أولئك كما يكون
اشارة الى العقل لا يكون
اشارة الى غيرهم كقول
حرر

دم المنازل بعد منزلة الاولى والعيش بعد أولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه في
فسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في غير المغضوب عليهم يقال فلانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر
اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تأخر عن الفاعل
فاما اذا تقدم فالا (ولا تمس في الارض مراحا) هو حال أي ذا سرح (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطول
(ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاوذك وهو تهكم بالخيال ولن تخاذبها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول

(كل ذلك كان سيئاً) كوفي وشامى على اضافة سبي الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاسم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيده الانراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سبي وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئته بالاضافة أى ما كان من المذكور سيئاً كان عند الله مكروهاً وهاهنا وجه قراءة من قرأ سيئته قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله (١٧٥) لا تجعل مع الله الهة اخرى الى هذه

الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس بأسوته (ولا تجعل مع الله الهة اخرى فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) مطروداً من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه النماذج عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الهة اخرى وآخرها مدحوراً واتخذ جهات فاتحتها وخاتمها النهى عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذفها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربك بالمئين) الهمزة لانكار يعنى أنفصمكم ربكم على وجه الخلو والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ

في الشمايل قوله تكفوا التكفوا التمايل في المشى الى قدام وقوله كما إنما ينحط من صلب هو قريب من التكفوا أى كأنه ينحدر من موضع عال عن أبى هريرة قال ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له أنا لنجهداً نفسه سناوانه غير مكترث أخرجه الترمذى قوله غير مكترث أى شاق والا كثرات الامر الذى يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئاً عند ربك مكروها) أى ما ذكر من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئاً مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروهاً سيئاً عند ربك وقوله مكروهاً على التكرير لعل الصفة أى كل ذلك كان سيئاً وكان مكروهاً وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الآيات (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) أى ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والمثل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الهة اخرى قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب ان يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم انه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى ان الشرك يجب أن يكون صاحبه مذموماً مخذولاً وقال في هذه الآية (ولا تجعل مع الله الهة اخرى فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) والفرق بين المذموم والمملوم اما كونه مذموماً فبغناه أن يذكر له ان الفعل الذى أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموماً ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حلاك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحوران المخذول هو الضعيف الذى لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أفأصفاكم ربكم) يعنى أنفصمكم واختاركم فجعل لكم الصفة ولنفسه ما ليس بصفة (بالبنين) يعنى اختصكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثاً) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بان الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (انكم لتقولون قولاً عظيماً) يخاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى خاصة الاجسام ثم انهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعنى البنات ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعنى العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والادلام والتشديد في صرفنا لكثير والتكرير (ليذكروا) أى ليتعظوا ويعتبروا (ومايزيدهم) أى تصرّفنا وتذكروا (الانفورا) أى تباعدوا عن الحق (قل) أى قل يا محمد طوّلوا المشركين (لو كان مع الهة كما تقولون

من الملائكة اناثاً) واتخذوا دونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لا يؤثرون باجود الاشياء وأصفاها ويكون أروها وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولاً عظيماً) حيث أضفتم اليه الاولاد وهى من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما يكرهون (ولقد صرفنا في هذا القرآن) أى التنزيل والمراد ولقد صرفناه أى هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم (ليذكروا) وبالتخفيف جزء على أى كررناه ليتعظوا (ومايزيدهم الانفورا) عن الحق وكان الثورى اذا قرأها يقول زادنى لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً (قل لو كان معه) مع الله (آلهة كما تقولون) وبالباء مكى وحفص

(إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلا) يعني اطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقر بواله كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة إذا دالة على أن ما بعده هو لا بتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالله حمزة وعلى (١٧٦) (علوا) أي تعالوا والمراد البراءة من ذلك والعزاهة (كبيرا) وصف الغلو بالكبر مغالطة في معنى البراءة

والبعد عما وصفوه به (يسج)

وبالله عراقي غير أبي بكر

(له السموات السبع

والارض ومن فيهن وان

من شئ الا يسج بحمده)

أي يقول سبحانه الله

وبحمده عن السدي قال

عليه السلام ما اصطيد

حوت في البحر ولا طائر

يطير الا بما يضع من تسج

الله تعالى (ولكن لا تفقهون

تسبيحهم) لاختلاف

اللغات أو لتعسر الادراك

أو سب تسبيح الناظر

اليه والبال على الخبر

كفاعله والوجه الاول (انه

كان حليما) عن جهل العباد

(غفورا) لتدوب المؤمنين

(وذا قرأت القرآن جعلنا

بينك وبين الذين

لا يؤمنون بالآخرة غلجا

مستورا) ذا ستر أو حجابا

لا يرى فهو مستور (وجعلنا

على قلوبهم أكنة) جمع

كنان وهو الذي يستر الشئ

(أن يفقهوه) كراهة أن

يفقهوه (وفي آذانهم وقرا)

تقلا يمنع عن الاستماع

(وإذا ذكرت ربك في

القرآن وحده) يقال وحده

يحد وحده أو حدة نحو وعد

يعد وعد أو عدة فهو مصدر

سدمسد الحال أصله محد

إذا لا بتغوا) أي اطلبوا يعني هؤلاء الآلهة (إلى ذي العرش سبيلا) أي بالمغالبة والقهر لا بيلوامد كقوله الملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه ليتقر بواله وقيل معناه ليعرف بواله فضله فابتغوا ما يقر بهم اليه والاول أصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك بالمبالغة في البراءة والبعده عما يصفونه به قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) يعني الملائكة والانس والجن (وان من شئ الا يسج بحمده) قال ابن عباس وان من شئ حي الا يسج بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يتقل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت ترك التسبيح وان الورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت ترك التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير تسبح اذا صاحتا فاذا سكنت ترك التسبيح وقيل وان من شئ جمادا أو حي الا يسج بحمده حتى صرير الباب وتقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح الله حيوانا كان أو جمادا وتسبحها سبحانه الله وبحمده ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأتم تعدونها تخويها كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باباء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فقل رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالى بعثت واني لا عرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فخن الجذع فأناه فسمع بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشئ ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجمادات تسبح وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته واطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك وبصير لها منزلة التسبيح والقول الاول أصح لما دل عليه الاحاديث وأنه منقول عن السلف وأعلم ان الله تعالى أعلمنا في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان نكل علمه اليه وقوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلسانكم ولسانكم (انه كان حليما غفورا) أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح قوله عز وجل (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة غلجا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهمه والارتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن سعيد بن جبيرة أنه قال لما نزلت بتبدا أبي لب جئت امرأة أبي هب ومعهما الحجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر فلم نره فقالت لابي بكر أين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأيتك إلا يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني وبينها (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغشية (أن يفقهوه) أي لا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا لئلا يسمعه (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني اذا قلت لا اله الا الله وأنت تسبح القرآن (ولو اعلی أدبارهم نفورا) جمع نافر (نحن أعلم بما يستمعون به) أي من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذي

وحده بمعنى واحدا (ولو اعلی أدبارهم) رجعوا على أعقابهم (نفورا) مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعدة وقعود أي يستمعون بحبون أن تذكرهم بآلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أي نحن أعلم بالحال والطريقة التي يستمعون القرآن به فالقرآن هو المستمع وهو مخدوف وبه حال وبيان لما أي يستمعون القرآن هازئين لاجادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين

(اذيستمعون اليك) نصب باعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذهم نجوى) وبما يتناجون به اذهم ذوو نجوى (اذيقول الظالمون) بدل من اذهم (ان تتبعون الارجال مسحورا) سحر جفن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلا ولا يستطيعون سبيلا) أي فضلا وفي جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طر يقايسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع (وقالوا) أي منكرو البعث (أئذا كنا عظاما ورفانا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي مجدد ا وخلقا حال أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي السموات والارض (١٧٧) فانها تكبر عنكم عن قبول الحياة (فسيقولون

من يعيدنا قل) يعيدكم (الذي فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحى بل هي عمود خلقه التي يبنى عليه سائرته فليس يبدع ان يردّها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة وهوان تكونوا حجارة أو حديدا لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (فسيقولون من يعيدنا) أي من يعيدنا بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) فن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فيسنفضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو) أي البعث استبعادا له ونفيا (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أي تحجبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون

يستمعون به وهو التكذيب (اذيستمعون اليك) أي وأنت تقرأ القرآن (واذهم نجوى) أي وبما يتناجون به في أمرك وقيل - معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول ساحر أو شاعر (اذية ول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون الارجال مسحورا) أي مطبويا وقيل محذوعا وقيل معناه انه سحر جفن وقيل هو من السحر وهو الرثة ومعناه انه بشر مثلكم يا كل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لا مرغيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أي تغذي بهما (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أي الاشياء فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلا) أي في جميع ذلك وحرارا (فلا يستطيعون سبيلا) أي الى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما) أي بعد الموت (ورفانا) أي ترايا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى رداعليهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) أي في الشدة (أو حديدا) أي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو أمر تعجيز أي استشعر وافي قلوبكم انكم حجارة أو حديد في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السماء والارض والجبال لانها أعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شئ في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لا ميتنكم ولا بعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) أي من يعيدنا بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) فن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فيسنفضون اليك رؤسهم) أي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعني البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب (يوم يدعوكم) أي من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بامر هو قيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الجد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) أي في الدنيا وقيل في القبور (الا قليلا) وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر لو فامن السنين عد ذلك قليلا بنسبة القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة * قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل (وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي أحسن أي لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فامرّه الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا كلمة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقى العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة * قوله عز وجل

(٢٣ - (خازن) - ثالث) التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانهك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبثتم الا قليلا)

أي لبثنا قليلا أو زمانا قليلا في الدنيا أو في القبر (وقل لعبادي) وقيل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التي هي أحسن) وألین ولا يخاشنوهم وهي ان يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) باقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة والنزغ يقع الشر وفساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما الغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة أو فسر التي هي أحسن بقوله

(ر بكم أعلم بكم ان يشأركم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأركم) بالخذلان أي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يعظيهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان يفرغ بينهم اعتراض (وما أرسلناك عليهم وكيلًا) حافظًا لأعمالهم وموكلًا إليك (١٧٨) أمرهم وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فادبرهم وصرأحجابك بالمداواة (وربك أعلم

عن في السموات والارض) وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه إشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينادود زبورًا) دلالة على وجه تفضيله وأنه خاتم الانبياء وان أمته خير الأمم لان ذلك مكتوب في زبور داود قل الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمة ولم يعرف الزبور هذا وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهتهم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدتهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا يحولوه من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يتفنون الى ربهم الوسيلة) وان يعني ان آلهتهم أولئك يتفنون الوسيلة وهي القرية الى الله عز وجل (أبهم) بدل من واو يتفنون وأي موصولة أي يتفنى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يتفنون الوسيلة معنى يحرضون فكانه قيل يحرضون أبهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (و يرجون رحمة ويخافون عذابه) ان عذاب ربك كان محذورا أي حقيقيا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق قوله سبحانه وتعالى

واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يتفنون الى ربهم الوسيلة) وان يعني ان آلهتهم أولئك يتفنون الوسيلة وهي القرية الى الله عز وجل (أبهم) بدل من واو يتفنون وأي موصولة أي يتفنى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يتفنون الوسيلة معنى يحرضون فكانه قيل يحرضون أبهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (و يرجون رحمة ويخافون عذابه) ان عذاب ربك كان محذورا أي حقيقيا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق قوله سبحانه وتعالى

عذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا)
 يهلكها لصلحها والعذاب للظلمة (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك
 تفسيرها ما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبيل بالصواعق والرواجف وأما خراسان
 عذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما يدخشان فيخربها أقوام وأما نرمن فاهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان الى
 أشجر فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش واسيججاب
 وخوارزم وأما بخارى فهي أرض الجبارة فيموتون قحطا وجوعا وأما مرو فيغلب عايلها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون
 الحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما
 مينية وأذربيجان فيهلكها سنايك الخيول والجيوش والصواعق (١٧٩) والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها

ويخربها وأما حلوان فتسمر بها
 ريج سا كنة وهم نيام
 فيصبح أهلها قردة وخنازير
 ثم يخرج رجل من جهينة
 فيدخل مصرفويل لأهلها
 ولاهل دمشق وويل لأهل
 افرقية وويل لأهل الرملة
 ولايدخل بيت المقدس وأما
 سجستان فيصيبهم ريج
 عاصف أياما ثم هدة تأتيهم
 ويموت فيها العلماء وأما
 كرمان وأصبهان وفارس
 فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة
 تنخلع القلوب وتموت الأبدان
 (ومامنعنا أن نرسل بالآيات
 الآن كذب بها الاولون)
 استعبر المنع لترك ارسال
 الآيات وان الأولى مع صلتها في
 موضع النصب لانها مفعول
 ثان لمنعنا وان الثانية مع
 صلتها في موضع الرفع لانها

(وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي بالموت والخراب (أومعذبوها عذابا شديدا) أي
 بالقتل وأنواع العذاب اذا كفر وأوعصوا وقيل الأهلالك في حق المؤمنين الامانة وفي حق الكفار العذاب قال
 عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والرافي قرية أذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح
 المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد
 أخرجه الترمذي بقوله سبحانه وتعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الآن كذب بها الاولون) قال ابن عباس
 سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهابا وفضة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا
 فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان أستأني بهم فعلت وان شئت ان أوتيهم ماسألو افعلت فان
 لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأني بهم فانزل الله عز
 وجل ومامنعنا أن نرسل بالآيات التي سألتهم كفار قومك الآن كذب بها الاولون أي فاهلكناهم فان لم
 يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من سنتنا في الامم اذا سألو الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيناها ان
 نهلكهم ولا نعلمهم وقد حكمنا بما همال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون
 ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى (وأتينا نود الناقة مبصرة) أي بينة وذلك لان آثارها لا كهم
 في بلاد العرب قرية من حدودهم ببصرها صادرهم وواردهم (فظالموا بها) أي تجحدوا انها من عند الله وقيل
 فظالموا أنفسهم بتكذيبها فاجلناهم بالعقوبة (ومانرسل بالآيات) المقترحة (الاتخويفا) أي وما نرسل
 بالآيات الاتخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر
 والدلالات الاتخويفا أي انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء
 من آياته لعلهم يرجعون قوله عز وجل (واذ قلنا لك) أي واذكر يا محمد اذ قلنا لك (ان ربك أحاط بالناس)
 أي ان قدرته محيطه بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدر على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك
 فهم لا يقدر على أمر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك وما نعتك منهم فلا تهمهم وامض لما أمرك

اعمل منعنا والتقدير ومامنعنا ارسال الآيات الاتكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهابا ومن احياء
 لوقى وغير ذلك وسنة الله في الامم أن من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى ومامنعنا عن ارسال ما
 يقترحوه من الآيات الآن كذبها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها ككذب أولئك وعذبوا
 العذاب المستأصل وقد حكمنا ان تؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت
 فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثارها لا كهم قرية من حدودهم ببصرها صادرهم وواردهم فقال (وأتينا نود الناقة)
 اقترحهم (مبصرة) آية بينة (فظالموا بها) فكفروا بها (ومانرسل بالآيات) ان أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لانرسلها (الاتخويفا) من نزول
 العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرهما فالمعنى وما نرسل من الآيات كالآيات القرآن وغيرها
 الاتخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس)

وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) واذا كراذوا وحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدره فكلمهم في قبضته فلا تبالههم
وامض لامرك وبلغ ما أرسلت به أو يشرناك بوقعة يدرو بالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقل للذين كفروا ستغلبون
ونحشرون الى جهنم وبئس المهاد فجعله كأن قد كان ووجد فقل أحاط بالناس على سنته في اخباره ولعل الله تعالى أراد مصارعهم في منامه فقد كان
يقول حين ورد ما يدور والله كما في أنظر الى مصارع لقوم وهو يوحى الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر يدور وما أرى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء
(والشجرة الملعونة في القرآن) أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
جعلوها سخريه وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق

(١٨٠)

قدره اذ قالوا ذلك فانه

من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويؤيئك على ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الا كثرون
من المفسرين على أن المراد منها ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من الجانب والآيات قال ابن
عباس هي رؤيا عيسى أربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسرى به الى بيت المقدس
أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبيرة والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم
والعرب تقول رأيت بعيني رؤيا ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك
وكذبوا فكانت فتنة للناس وازدادوا المخلصون إيمانا وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال
قوم كان له معراجان معراج رؤيا عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فمجل المسير الى مكة قبل الاجل فصدقه المشركون
فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبرانه بدخولها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة في العام المقبل
وأزال الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان ولد
الحكم بن أمية يتداولون سببه كما يتداول الصبيان الكرة فساء ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير
وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كتابا بالمدينة أجيب بانه لا اشكال فيه فانه لا يبعد ان النبي صلى الله عليه
وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة الزقوم التي
وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كربه طعام ملعون والفتنة فيها ان أبا جهل قال
ان ابن أبي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها شجرة وتعلمون
أن النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبير قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد
والنمر فقال أبو جهل يا جارية تعالي فرقينا فانت بزبد ونمر فقال يا قوم تزقوا فان هذا ما يخوفكم به محمد فانزل
الله سبحانه وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرانا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت أين لعنت
شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن
وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في أصل
جهنم في أبعاد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوى
على الشجر والشوك فيجفقه (ونخوفهم فما يزبدهم) أي التخويف (الاطغيانا كبيرا) أي تمردا وعتوا

لا يمتنع أن يجعل الله
الشجرة من جنس لاتأكله
النار فهو بالسندل وهو
دوينة ببلاد الترك يتخذ
منه مناديل اذا اتسخت
طرحت في النار فذهب
الوسخ وبقي المنديل سالما
لا تعمل فيه النار وترى
النعامة تبتلع الجرف فلا
يضرها وخلق في كل
شجرة نارا فلا تحرقها فجاز
أن يخلق في النار شجرة
لا تحرقها والمعنى ان الآيات
انما ترسل تخويفا للعباد
وهؤلاء قد خوفوا بعذاب
الدنيا وهو القتل يوم بدر
وخوفوا بعذاب الآخرة
وبئس جره الزقوم فما
أثر فيهم ثم قال (ونخوفهم)
أي بمخاوف الدنيا والآخرة
(فما يزبدهم) التخويف

عظيما

(الاطغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه ماظم بالرسال ما يقترحون من الآيات وقيل

الرؤيا هي الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية
وانما سها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا يراها استبعادا عنهم كما سمي أشياء باسمها عند الكفرة كقوله فراغ الى
آلهتهم أين شركائي أو هي رؤيا انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحدية فان قلت ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه
والشجرة الملعونة آكلها وهم الكفرة لانه قال ثم انكم أيها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من زقوم فاللون منها البطون فوصفت
بلعن أهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعاد مكان
من الرحمة

(واذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا) هو تمييز أحوال من الموصول والعامل فيه أسجد على أسجد له وهو طين أي أصله طين (قال أرايتك هذا الذي) الكاف لاموضع لها الانهاذ كرت للخطاب تأكيذا هذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي (كرمت على) أي فضلت له كرمته على وأناخير منه خلقتني من نار وخلقته من طين خذف ذلك اختصارا للدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لئن أخرجني) و بلاياء كوفي وشامي واللام موطئة للقسم المحذوف (الي يوم ١٨١)

القيامة لاحتسبكن ذريته) لاستأصلهم باغوائهم (الافليلا) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أولانه رأى انه خلق شهواتي (قال اذهب) ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذ لانا وتخليه ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم واتصب (جزاء موفورا) أي موفرا باضمار تجازون (واستفزز) استنزل أو استخف استفزه أي استخفه والفز الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالزمار (وأجلب عليهم) اجمع وصح بهم من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب

عظيما ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا) أي من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبهام وملحها فن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي (قال) يعني ابليس (أرايتك) الكاف للمخاطب والمعنى اخبرني (هذا الذي كرمته على) أي فضلت له على (لئن أخرجني) أي أمهلتني (الي يوم القيامة لاحتسبكن ذريته) أي لاستأصلهم بالاضلال وقيل معناه لا قودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (الافليلا) يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أي امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد المجيء (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) أي مكمل لقوله سبحانه وتعالى (واستفزز) أي استخف واستنزل واستجمل واستزل (من استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أي اجمع عليهم مكابذك وحبائك واحتشهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركابك جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى في معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجدي الامر جئتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم في الاموال والاولاد) أما المشاركة في الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لأهلهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة في الاولاد فروى عن ابن عباس انها المؤودة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هي تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا اولادهم في الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله أصاب منه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وروى في بعض الاخبار ان فيكم مغر بين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن (وعندهم) أي منهم الجليل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك أن الشيطان اذا دعاه الى المعصية فلا بد أن يقرر أو لا أنه لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعوا أنه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده أن هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو أنه يقرر عنده أن لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم أي شفاعته الاصنام عند الله وإيثار العاجل على الآجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهديك فيستري ما ينزل بك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) أي يزين

وماش من أهل العيث فاخيل الخيالة والرجل اسم جمع للرجال ونظيره الركب والصعب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وناعب ومعناه وجعلك الرجل وهذا لان أقصى ما يستطاع في طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز أن يكون لا بليس خيل ورجال (وشاركهم في الاموال والاولاد) قال الزجاج كل معصية في مال وولد فابليس شر يكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والاتفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس (وعندهم) المواعيد الكاذبة من شفاعات الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو

تزيين الخطأ بما هوهم أنه صواب (ان عبادي) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) يدبشبد بل الايمان ولكن تشوب بل العصيان (وكفى
بربك وكيفا) لهم يتوكلون به في الاستعانة منك أو حفاظهم عنك والسكن أمر تهديد فيعاقب به أو أهانة أي لا يخل ذلك بملكى (ربكم
الذى بزجى) بجري ويسير (لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) يعنى الربح في التجارة (انه كان بكم رحما واذامكم الضرف في البحر) أي
خوف الفرق (ضل من تدعون) (١٨٢) الاياه) ذهب عن أو هامكم كل من تدعونه في حوادنكم الاياه وحده فانكم لاند كرون

الباطل بما يظن أنه حق واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله
وما يعبدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه لما يدعوا الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو
الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعو اليها خيالية لاحقية لها ولا تحصل الا بعد متاعب
ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريرة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت
هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعنى بعباده الانبياء
وأهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى بربك وكيفا) أي حافظا والمعنى أنه سبحانه وتعالى لما
أمكن ابليس أن يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى
وكفى بربك وكيفا أي قاله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسه
ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب أخرجتنى من الجنة
لاجل آدم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فزدنى قال استفرز من استطعت
منهم الآية فقال آدم يارب سلطت ابليس على وعلى ذريتي واني لا أستطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكنت
به من يحفظه قال رب زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها والسبب في ذلك ان رب زدنى قال التوبة معروضة مادام
الروح في الجسد قال رب زدنى فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفي الخبر
ان ابليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتباف اقراءنى قال الشعر قال فما كتابى قال الوشم قال ومن رسلى
قال الكهنة قال أي شئ مطعمى قال ما لم يذكروا عليه اسمى قال فاشرا بى قال كل مسكر قال وأين مسكنى قال
الحمامات قال وأين مجلسى قال فى الاسواق قال وما حبائلى قال النساء قال وما أذانى قال المزمارة قوله سبحانه
وتعالى (ربكم الذى بزجى) أي يسوق ويجرى (لكم الفلك) أي السفن (في البحر لتبتغوا من فضله) أي
لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها (انه كان بكم رحما) أي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح
وسهلا عليكم (واذا مسمكم الضرف في البحر) أي الشدة وخوف الفرق في البحر (ضل من تدعون) أي ذهب
عن أو هامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادنكم من الاصنام وغيرها (الاياه) أي الا الله وحده فانكم
لاند كرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اعانتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) أي أجاب دعاءكم
وأنجاكم من هول البحر وشدة وأخرجكم (الى البر أعرضتم) أي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم
النعمة وهو قوله تعالى (وكان الانسان كفورا) أي بخودا (أفأنتم) أي بعد انجائكم (أن نخسف بكم جانب
البر) أي نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفي قدرته برا كان أو بحرا بل ان كان الفرق في البحر في جانب
البر ما هو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الفرق يغيب تحت الماء (أو نرسل عليكم حاصبا) أي
نمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيفا) أي مانعا وناصرا (أم أمنتكم أن
نعيدكم فيه) أي في البحر (نارة) أي مرة (أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أي عاصفا

سواه أو ضل ما تدعون من
الآلهة عن اعانتكم ولكن
الله وحده الذى رجونه
على الاستثناء المنقطع
(فلما نجاكم الى البر
أعرضتم) عن الاخلاص
بعد الاخلاص (وكان
الانسان) أي الكافر
(كفورا) للنعم (أفأنتم)
الهمزة للانكار والفاء
للعطف على محذوف تقديره
أنجوتهم فأنتم فعملكم ذلك
على الاعراض (أن نخسف
بكم جانب البر) انتصب
جانب يخسف مفعولا به
كالارض في قوله نخسفنا به
وبداره الارض وبكم حال
والمعنى أن نخسف جانب
البر أى يقلبها وأتم عليه
والحاصل ان الجواب كلها
في قدرته سواء وله في كل
جانب برا كان أو بحرا
سبب من أسباب الهلاك
ليس جانب البحر وحده
مختصا به بل ان كان الفرق
في جانب البحر في جانب
البر الخسف وهو تغيب
تحت التراب والفرق تغيب

تحت الماء فعلى العاقل ان يستوى خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهي
هي الريح التي تحبب أي ترمى بالحصى يعنى أو ان لم يصيبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسل عليكم فيها الحصى (ثم
لا تجدوا لكم وكيفا) بعرف ذلك عنكم (أم أمنتكم أن يعيدكم فيه نارة أخرى فيرسل عليكم) أي أم أمنتكم أن يقوى دواعيكم ويوفر
حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فاعرضتم فيقتحم منكم بان يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهي الريح التي لها
فصيف وهو الصوت الشديد وأهو الكاسر للنفك

ففرقكم بما كفرتم) بكفر انكم النعمة وهو عراضكم حين نجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالباً من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالباً
بما فعلنا ما نفعل بهم ثم لا يجدوا أحد ايطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركاً للشار من جهتنا وهذا حق قوله ولا يخاف عقباها أن نخسف أو نرسل أن
نعيدكم فنرسل فنفرقكم بالنون مكي وأبو عمرو (ولقد كرّمنا بني آدم) بالعقل والنطق (١٨٣) والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة

وتدبيراً أمر المعاش والمعاد
والاستيلاء وتسخير
الاشياء ونناول الطعام
بالأيدي وعن الرشيد أنه
أحضر طعاماً فقدمه للملائكة
وعنده أبو يوسف رحمه
الله فقال له جاء في تفسير
جندك ابن عباس رضى
الله عنهما قوله تعالى ولقد
كرّمنا بني آدم جعلنا لهم
أصابع بأكلون بها فاحضرت
الملائكة فردّها وأكل
بأصابعه (وجعلناهم في البر)
على الدواب (والبحر)
على السفن (ورزقناهم
من الطيبات) بالذبيذات
أو بما كسبت أيديهم
(وفعلناهم على كثير من
خلقنا تفضيلاً) أى على
الكل كقوله وأكثرتهم
كاذبون قال الحسن أى
كلهم وقوله وما يتبع
أكثرهم الاظناذ كرفي
الكشاف أن المراد بالاكثر
الجميع وعنه عليه السلام
المؤمن أكرم على الله من
الملائكة وهذا لانهم
محبوبون على الطاعة
ففيهم عقل بلا شهوة وفي
البهائم شهوة بلا عقل وفي
الآدمي كلاهما فمن غلب عقله

وهي الريح الشديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره (ففرقكم بما كفرتم) أى
بكفر انكم النعمة وأعرضكم حين أنحنّاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) التبع المطالب والمعنى انا
فعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحد ايطالبنا بما فعلنا انتصاراً لكم ودركاً للشار من جهتنا وقيل معناه من
يتبعنا بالانكار علينا ﷺ قوله سبحانه وتعالى (ولقد كرّمنا بني آدم) قال ابن عباس هو أنهم بأكلون بالأيدي
وغير الآدمي يأكل بفيه من الارض وقال أيضاً بالعقل وقيل بالنطق والتميز والخط والفهم وقيل باعتدال
القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحي والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع
ما في الارض وتسخيرهم لهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خيراً أمة أخرجت للناس
(وجعلناهم في البر) أى على الابل والخيول والبغال والحمير (والبحر) أى وجعلناهم في البحر على السفن وهذا
من مؤكّدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على
مصلحتهم (ورزقناهم من الطيبات) يعنى لذيذ الطعام والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق
غيرهم مما لا ينحني وقيل ان جميع الاغذية امانبانية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب من القسمين
بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا الغير الانسان (وفعلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) واعلم
أن الله تعالى قال في أول الآية ولقد كرّمنا بني آدم وفي آخرها وفعلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم
والتفضيل والالزام التكرار والاقرب أن يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية
ذاتية طبيعة مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل
والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال سبحانه
وتعالى على كثير من خلقنا تفضيلاً لظاهر الآية يدل على انه فضل بني آدم على كثير من خلقه لا على الكل فقال
قوم فضلو على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال السكبي فضلو على الخلائق كلهم الا
على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وأشباههم وقيل فضلو على جميع
الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلتقون
السمع وأكثرتهم كاذبون أراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة
يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلفته
ييدي وتنفخت فيه من روحي كن قلت له كن فكان وقيل بالتفصيل وهو الأولى والراجح ان خواص بني آدم
وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بني آدم وهذا التفصيل
انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لا حرمه لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى
من الملائكة الذين عنده ﷺ قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بأمامهم) أى بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل
عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا الى الهدى واما الى ضلال
وذلك ان كل قوم يحققون الى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع أم يعنى بامهاتهم
والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان

شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم انفسه (يوم ندعوا) منصوب
اذكر (كل أناس بأمامهم) الباء للحال والتقدير مختلط بين بامامهم أى بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع
فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر

(فن أدنى) من هؤلاء المدعوين (كتابهم يمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) وإنما قيل أولئك لأن من في معنى الجمع (ولا يظلمون قليلاً) ولا ينقصون من نوابهم أدنى شيء ولم يذكر الكفار وإيحاء كتبهم بشماطهم اكتفاء بقوله (ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى فهو في الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلاً) من الأعمى أي أضل طريقاً والأعمى مستعار من لا يدرك المبصرات أفساد حاسته من لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلنقص النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمر والاول عمالاً والثاني مفعلاً لأن أفعال التفضيل تمامه من فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا يقبل الإمالة وأما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في (١٨٤) الطرف فقبيل الإمالة وأما لها حزة وعلى ونخمهما الباقيون ولما قالت قرش

لا يفتضح أولاد الزنا (فن أدنى كتابه يمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرؤنه أيضاً قلت الفرق أن أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشقلاً على مشكلات عظيمة فيستولون عليهم الحجل والدهشة فلا يتقدرون على إقامة حروفه فتكون قراءتهم كلاً قراءة وأصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملاً على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأينها (ولا يظلمون قليلاً) أي ولا ينقصون من نواب أعمالهم أدنى شيء (ومن كان في هذه أعمى) المراد أعمى القلب والبصيرة لا أعمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عدها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم تعين ولم تر (أعمى وأضل سبيلاً) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل سبيلاً أي أخطأ طريقاً وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافراً ضالاً فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فتنعته قرش وقالوا لاندعك حتى تلم بأهلكنا ونمسا حدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم أني طاهر بعد أن يدعوني أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويذبحوه فحدث نفسه فأنزله الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبيك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نجبي في الصلاة أي لا ننحني ولا نكسر أصنامنا أي ديننا وان تمعنا باللات سنة من غير أن نعبد ما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن لا تكسروا أصنامكم أي أيديكم فذاك لكم وأما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير متمتعكم بها قالوا يا رسول الله انما نجب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوتهم أن يعطيهم ذلك فانزل الله تعالى وان كادوا أي هموا ليفتنونك أي ليصرفونك عن الذي أوحينا إليك (لتفترى) أي لتخلق وتبتعث (عليها غيره) أي ما لم نقله (واذا) أي لو فعلت مادعوك إليه (لا تخذوك خليلاً) أي والوك ورافوك وصافوك (ولولا أن ثبتناك) أي على الحق بعصمتنا إياك (لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) أي قربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوماً فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطراً قلب ولم يكن عزماً وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تنكسني إلى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا أن ثبتناك وقد ثبتته الله فلم يركن اليهم (إذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)

اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن بك نزل (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من التيسلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فأتين (عن الذي أوحينا إليك) من أوامرنا ونواهيها ووعدا ووعيدنا (لتفترى علينا غيره) لتقول علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد ووعيداً والوعيد وعدا (واذا لا تخذوك خليلاً) أي ولواتبع مرادهم لا تخذوك خليلاً ولكنك لهم وليا وخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل إلى مكرهم (شيئاً قليلاً) ركوناً قليلاً وهذا تهيج من الله وفضل

تثبتت (إذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أي لا ذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة الآية وأصل الكلام لا ذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فاتهم عذاباً ضعفاً من النار أي مضاعفاً فكان أصل الكلام لا ذقناك عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدرة

وتقليها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضعف في الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول اللهم لا تكن لي الى نفسي طرفه عين (ثم لا تجددك علينا نصيرا) معنيالك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أي أهل مكة (ليستفزونك) ليخرجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (١٨٥) (ليخرجوك منها واذا لا يلبثون) لا يقفون (خلفك) بعدك أي بعد

اخراجك خلافا كوفي غير أبي بكر وشامي بمعناه (الاقبلا) زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا بيد بعد اخراجه بقليل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم وأن لا يعذبهم مادام نبينهم فاذ أخرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنننا تحويلا) أي تبديلا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (أقم الصلاة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال دلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل دلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحل على الزوال أولى القواين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بد والليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآنا لأنها لا تجوز الا بقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام غفر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا امرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ومن الليل فتهجد به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا

أي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة (ثم لا تجدك علينا نصيرا) أي ناصرا يمنعك من عذابنا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فانوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج البها مخافة الروم وان الله سميعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه ففزع الله رسوله ولم ينالوا منه مأملوه والاستفزاز الازعاج (واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا) أي لا يقفون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنه الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبينهم فاذ أخرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنننا تحويلا) أي تبديلا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (أقم الصلاة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال دلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل دلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحل على الزوال أولى القواين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بد والليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآنا لأنها لا تجوز الا بقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام غفر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا امرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ومن الليل فتهجد به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا

(٢٤ - (خازن) - ثالث) ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا طول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزه هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر يومان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك المجود للصلاة ويقال في النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن

قليل انصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستعباب بدليل قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (نافلة لك) أي زيادة لك بر يدور بصفة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليكم روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث عن علي فرضة وهن سنة لكم الوزر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فإن قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات

(مافله) عبادت رائده (لك)

على الصلوات الخمس وضع
نافلة موضع تهجد الان
التهجد عبادة زائدة
فكان التهجد والنافلة
يجمعها معنى واحد والمعنى
أن التهجد زيد لك على
الصلوات المفروضة غنيمة
لك أو فريضة عليك خاصة
دون غيرك لانه تطوع لم
(عسى أن يبعثك ربك
مقاما محمودا) نصب على
الظرف أى عسى أن
يبعثك يوم القيامة
فيقيمك مقاما محمودا أو
ضمن يبعثك معنى يقيمك
وهو مقام الشفاعة عند
الجمهور ويدل عليه
الاخبار أو هو مقام يعطى
فيه لواء الحمد

[illegible]

وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشر اثم صلوا
 الله الى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سألني الوسيلة
 حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء
 اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
 حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة
 فيهمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيرجعنا من مكاننا فيأتون آدم
 فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع
 لنا عند ربك حتى يرجعنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيزكركم خطيئته التي أصاب فيستحي ربها منها
 ولكن اتوا نوحا وأول رسول بعثه الله الى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيزكركم خطيئته التي
 أصاب فيستحي ربها منها ولكن اتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم
 فيزكركم خطيئته التي أصاب فيستحي ربها منها ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون
 موسى فيقول لست هناكم فيزكركم خطيئته التي أصاب فيستحي ربها منها ولكن اتوا عيسى روح الله وكلته
 فيأتون عيسى روح الله وكلته فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له
 ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فاستأذن علي ربّي تعالى فيؤذن لي
 فإذا أنا رأيتني وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع
 رأسي فأجدر بي بتحميد يعلمني به ربّي ثم اشفع فيحدي حدافا يخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع
 ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع
 رأسي فأجدر بي بتحميد يعلمني به ربّي ثم اشفع فيحدي حدافا يخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري
 في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود وفي رواية
 للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى
 الله عليه وسلم زادني رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من
 الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من
 قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان
 مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فأقول يا رب
 أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من متقال حبة من خردل من ايمان فأخرجه من النار
 فانطلق فأقول يا رب ما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثنا بالحديث الى هذا الموضع
 فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم
 أعود في الرابعة فأجده بتلك المحامد ثم أخرجه ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط
 واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك اليك ولكن
 وعزني وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع أي مجتمع
 الذهن والرأي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا خسر
 ويدي لواء الحمد ولا خسر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض
 ولا خسر قال فيخرج الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني أذنبت
 ذنبا عظيما فاهبطت به الى الأرض ولكن اتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل الأرض دعوة
 فاهلكوا ولكن اذهبوا الى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله

(وقل رب أدخلني مدخل صدق) هو مصدر رأى أدخلني القبر أذخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وأخرجني مخرج صدق) أي أخرجني منه عند البعث أخرجني من مرضيا بالكرامة آمنة من اللامة دليله ذكره على أثر ذلك البعث وقيل نزلت حين أمر بالطهارة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة أو هو عام في كل ما يدخل فيه ويلبسه من أمر ومكان

صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن اتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتل نفسا ولكن اتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن اتوا محمدا فيأتون فيأطلق معهم قال ابن جردان قال أنس فكأنني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعهما فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فآخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل بسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعهما فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فآخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذي قوله ما حل المعاملة الخاصة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت منه وقوله فاقعقعهما أي أحر كها حركة شديدة والقعقة حكاية أصوات الترس وغيره مما له صوت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا خرا أخرجه الترمذي زادني رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم إذا حبسوا للكرامة والمقاييس يومئذ بيدي يطوف على خدم كاهن بيض مكنون أولوؤ مشور (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي قال أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم ما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فينبأهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا بحمد في أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفني رأي من رأى الخوارج فخرجت في عصابة ذوى عدد يزيد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثوننا والله يقول انك من تدخل النار فقد أخرجته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها هذا الذين يقولون قال أنقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرا ما قبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيذان السماسم قال فيدخلون نهارا من أنهار الجنة فيقتلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا وبحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد وكما قالوا لا حديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال ان الله اتخذ إبراهيم خليله وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعد على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد منهما الإدخال والإخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنة من المشركين وأدخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد فت بما وجب على من حق النبوة

اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرفني على من خالفني أو ملكا وعزا قويا ناصر الاسلام على الكفر مظهره عليه (وقل جاء الحق) اسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمحلًا في كل أو ان ينزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ما هو شفاء) (١٨٩) من أمراض القلوب (ورجة) وتفرج

للكروب وتطهير للعيوب
وتكفير للذنوب (للمؤمنين)
وفي الحديث من لم يستشف
بالقرآن فلا شفاء الله (ولا
يزيد الظالمين) الكافرين
(الاخسار) ضلالا
لتكذيبهم به وكفرهم
(واذا أنعمنا على الانسان)
بالصحة والسعة (أعرض)
عن ذكر الله أو أنعمنا
بالقرآن أعرض (ونأى
بجانبه) تأكيد للأعراض
لان الأعراض عن الشيء
أن يولييه عرض وجهه
والنأى بالجانب أن يولي
عنه عطفه ويولي ظهره أو
أراد الاستكبار لان ذلك
من عادة المستكبرين نأى
بالامالة حزة وبكسرهما على
(واذا مسه الشر) الفقر
والمرض أو نازله من النوازل
(كان يؤسا) شديد اليأس
من روح الله (قل كل) أي
كل أحد (يعمل على شاكلته)
على مذهبه وطريقته التي
تشاكل حاله في الهدى
والضلال (فربكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا) أسد
مذهبا وطريقة (ويستلونك
عن الروح قل الروح من
أمر ربي) أي من أمر
يعلمه ربي الجمهور على أنه

مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه
دخلني حيثما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين
يكون آمنا عند الله (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرفني به على
أن عاداني وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزع عن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه
فقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ستخلفهم في الارض الآية ﴿ قوله تعالى ﴾ (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (وزهق الباطل) أي
شرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقا) أي مضمحلًا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصوله
لوقت من الاوقات فهو سريرع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله
عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعن بها بعود في يده ويقول جاء الحق
زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ونزل
من القرآن ما هو شفاء) من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى تنزل من هذا الجنس الذي هو
أن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من
شبهة ويهتدي به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء لأمراض الباطنة
الظاهرة وذلك (٣) لانها تنقسم الى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة
بالاعتقادات الباطلة فاشد فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر
لبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب
فاسدة لاجرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة
لقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق الحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من
جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من
الامراض يدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك أنهارقية (ورجة
ومنين) لما كان القرآن شفاء لأمراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رجة للمؤمنين (ولا يزيد
الظالمين الا خسارا) لان الظالم لا يتفجع به والمؤمن ينتفع به فكان رجة للمؤمنين وخسار للظالمين وقيل لان
كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو
نقصان قضاء الله الذي قضى شفاء ورجة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (واذا
أنعمنا على الانسان) أي بالصحة والسعة (أعرض) أي عن ذكرنا ودعائنا (ونأى) بجانبه أي تباعد منا بنفسه
ترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أي الشدة والضرر (كان يؤسا) أي
ساقنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضرر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يشس فلا ينبغي للمؤمن أن
يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (قل كل) أي كل أحد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على
احيته وقيل الشاكلة الطريقة أي على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على
حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت
نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي أوضح
طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق قوله سبحانه وتعالى (ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

روح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبرانه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه وعن أبي هريرة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم
بما علم الروح وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد اتفاق الاعمار الطويلة (٣) قوله لانها تنقسم الى نوعين
أي الامراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية والعبارة في الفخر الرازي بغاية التهذيب فليراجع

على الخوض فيه والحكمة في ذلك تهيئ العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل في حده
انه جسم دقيق هوأى في كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه
السلام نزل به الروح الامين على قلبك (١٩٠) وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ولان به

(ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكل على عسيب معه فمر
ببعض من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفي
رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا احذتنا عن الروح فقام ساعة ينتظر
الوحي وعرفت انه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفي رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال
الاعمش هكذا في قراءة ثنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قرشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا ناسا
فيه امانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نورا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه
فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن
شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبي فاسألوه عن فتية فقد وافى الزمن الاول
ما كان شأنهم فانه كان ظم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما أخبره وعن الروح قال
فسألو النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتهم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثني
عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا نجرينا
بشيء حتى خزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه
السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في الفتية أم حسبت ان أصحاب
الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسألونك عن ذي القرنين ونزل
في الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه فروى عن ابن
عباس أنه جبريل وعن علي أنه ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون
ألف لغة يسبح الله تعالى بكلمات وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيدي وأرجل ورؤوس ليسوا بثلاثكة ولا
ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يطلع
السماوات والارض ومن فيها بالقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على
صورة وجه آدميين يقوم يوم القيامة على بين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب
السبعين وأقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو من يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة ستر من
نور لا حرق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سمار روحا ولان به حياة القلوب وقيل
هو الروح المركب في الخلق الذي به يحيا الانسان وهو أصح الاقوال ونكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم
هو الدم ألا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت
باحتماس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف بجيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتماع
النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات
واذا خرج منه ذهب الشكل وأقارب الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها
وأولى الاقوال ان يوكّل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بر يدة ان الله لم يطلع على
الروح ملكا مفر باولا نبيا مر سلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربي الذي استأثر به (وما
أوتيتم من العلم) أي من علم ربي (الا قليلا) أي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب

حياة القلوب ومن أمر ربي
أي من وحيه وكلامه ليس
من كلام البشر وروى أن
اليهود بعثت الى قريش
أن سلوه عن أصحاب
الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان أجاب
عن الكل أو سكت عن
الكل فليس بنبي وان
أجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وأمر الروح
وشومهم في التوراة
فقدموا على سؤاظهم وقيل
كان السؤال عن خلق
الروح يعني أهو مخلوق أم
لا وقوله من أمر ربي دليل
خلق الروح فكان هذا
جوابا (وما أوتيتم من العلم
الا قليلا) الخطاب عام فقد
روى أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما قال ظم
ذلك قالوا نحن مختصون
بهذا الخطاب أم أنت معنا
فيه فقال بل نحن وأنتم لم
نوت من العلم الا قليلا
وقيل هو خطاب لليهود
خاصة لانهم قالوا لاني صلى
الله عليه وسلم قد أوتينا
التوراة وفيها الحكمة وقد
نوت ومن نوت الحكمة

فقد أوتى خيرا كثيرا فليل ظم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية
فالحكمة التي أوتيتها العبد خير كثير في نفسها الا أنها اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على آذى
الجدال في السؤال بقوله

(ولئن شئت لذهبن بالنبي أو حيناً إليك) لذهبن جواب قسم محذوف مع نيابة عن جزاء الشرط واللام الداخلة على أن موطئة للقسم والمعنى أن شئت لذهبن بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثراً (ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظاً مسطوراً (الارحة من ربك أن فضله كان عليك) (١٩١) كبيراً أي إلا أن يرحك ربك

فبرده عليك كأن رحمة
تتوكل عليه بالرد أو يكون
على الاستثناء المنقطع أي
ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهب به
وهذا امتنان من الله تعالى
ببقاء القرآن محفوظاً
بعد المنية العظيمة في تنزيله
وتحفيظه ونزل جواباً
لقول النضر لو نشاء لقلنا
مثل هذا (قل لئن اجتمعت
الانس والجن على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيراً)
معينا ولا يأتون جواب
قسم محذوف ولولا اللام
الموطئة لجاز أن يكون
جواباً للشرط كقوله

يقول لا غائب مالي ولا حرمي
لان الشرط وقع ماضياً
أي لو تظاهروا على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن
في بلاغته وحسن نظمه
وتأليفه لمجزوا عن الاتيان
بمثله (ولقد صرفنا) رددنا
وكررنا (لناس في هذا
القرآن من كل مثل) من
كل معنى هو كالمثل في
غرابته وحسنه (فأني
كثير الناس الا كفوراً)
ججوداً وانما جاز فأني

اليهود فأنهم كانوا يقولون أو تبنا التوراة وفيها العلم الكثير فقل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله
وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشيء بالقلة مضاعفاً الى ما فوقه وبالكثرة مضاعفاً الى ما تحته
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علماً بالنبوته
والقول الاصح هو ان الله عز وجل استأثر بعلم الروح ﴿قوله عز وجل﴾ (ولئن شئت لذهبن بالنبي أو حيناً
إليك) ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شئت لذهبن بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف
فلم نترك له أثراً وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب (ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً) معناه لا تجد بعد الذهاب
به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظاً مسطوراً (الارحة من ربك) معناه إلا أن يرحك ربك
فبرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به وهذا
امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل قلت المراد
منه محو ما في المصاحف واذهاب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم
الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسري عليه ليلاً فيرفع ما في
صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون ما في المصاحف شيئاً ثم تفيضون في الشعر وعن عبد الله بن
عمر بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول
الرب مالك فيقول يارب اتلى ولا يعمل بي (ان فضله كان عليك كبيراً) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك
وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (قل لئن
اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدر على ذلك (ولو كان
بعضهم لبعض ظهيراً) أي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن
معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه
كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل) أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر
والاحكام والوعود والوعيد والقصص وغيرها (فأني أكثر الناس الا كفوراً) أي ججوداً ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾
(وقالوا لن نؤمن لك) أي ان نصدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً) لما تبين اعجاز القرآن وانضمت
اليه معجزات أخرى وبنات لزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتغالبون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى
عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأباسفيا بن حرب والنضر بن الحرث وأبالبختري
ابن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأباجهل بن هشام وعبد الله بن أبي
أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر
الكعبة فقال بعضهم لبعض ابغثوا الى محمد فكموه وخصصوه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشرف
قومك قد اجتمعوا لك ليكموه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً وهو يظن انه بدا لهم في
أمره بدا وكان حراً يصاحبه رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لتعترف بك وانا والله لانعلم
رجال من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسففت الاحلام
وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقى من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت

أكثر الناس الا كفوراً ولم يجز ضربت الازيد الان أبي تناول بلقي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفوراً ولم تبين اعجاز القرآن وانضمت
اليه المعجزات الاخرى ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجور ج المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبالله خفيف
كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعاً) عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطر بفعل من نبع الماء

(أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر) والتشديد هنا جمع عليه (الانهار خلاها) وسطها (تفجيرا) وتسقط السماء

زعمت علينا كسفا) يفتح
السين مدني وعاصم أي
قطعا يقال اعطني كسفة
من هذا الثوب ويكون
السين غيرهما جمع كسفة
كسرة وسدر يعنون
قوله ان نشأ نخف بهم
الارض أو تسقط عليهم
كسفا من السماء (أوتأتي
بالله والملائكة قبلا)
كفلا بما تقول شاهدنا
بصحة والمعنى أوتأتي بالله
قبلا والملائكة قبلا
كقوله كنت منه والدي
برياء أو مقابلا كالعشير
بني المعاشر ونحوه لولا
أنزل علينا الملائكة أنزى
ربنا أو جماعة حال من
الملائكة (أو يكون لك
بيت من زخرف) ذهب
(أو ترقى في السماء) تصعد
(اليها وان تؤمن لرقيقك)
لاجل رقيقك (حتى تنزل
علينا) وبالتخفيف أبو
عمرو (كتابا) أي من
السماء فيه تصديقك
(تقرؤه) صفة كتاب
(قل) قال مكي وشامي أي
قال الرسول (سبحان
ربي) تعجب من اقتراحهم
عليه هل كنت الانسرا
رسولا) أي أنا رسول
كسائر الرسل بشير مثلهم
وكان الرسل لا يأتون
قومهم الا بما يظهره الله

بهذا الحديث تطلب به ما لا جفنا لك من أموالنا حتى تكون أ كثرنا ما لا وان كنت تريد الشرف سودناك
علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي بك ريثا تراه قد غاب عليك لا تستطيع
رده بذاتك أموالنا في طلب الطب حتى يبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولالشرف عليكم ولا
للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبما جئتكم
رسالة ربي ونصحت لكم فان قبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لا مر الله حتى
يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحدا ضيق بلاد
ولأشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويسط لنا بلادنا
ويفجر لنا فيها الانهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب
فانه كان شيخا صديقا فاسألهم عما تقولون الحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان قبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لا مر الله تعالى
قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك وأسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا
من ذهب وفضة يعينك بها على ما تريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما تلتمسه فقال ما بعثت
بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان
شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فاما قالوا ذلك قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عائكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك
قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تجعل
ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أو من لك أبدا حتى تسخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وأما انظر حتى
تأتيها فتأتي بنسخة منشورة معك وانقر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت
أن لا صدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله خريبا لما رأى من مبادعتهم فانزل الله تعالى
وقالوا ان تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعني أرض مكة ينبوعا أي عينا (أو تكون لك جنة من نخيل
وعنب) أي بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الانهار خلاها تفجيرا) أي تشقيا (أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا) أي قطعا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع
القبيلة أي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه تراهم مقابلة عيانا (أو يكون
لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن تؤمن لرقيقك) أي
لاجل رقيقك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل
يا محمد (سبحان ربي) أمره بتعزيه وتعجيد وفيه معنى التعجب (هل كنت الانسرا رسولا) أي كسائر الرسل
لايهمهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات اليهم انما هو الى الله
تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا الفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا الانسرو وليس ما سألتهم
في طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمجرات ما يغني
عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون
ما اقترحوه بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد
الله تعالى عليهم سؤلهم قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي الوحي والمعنى
وما منعهم الايمان بالقرآن وبفيرة محمد صلى الله عليه وسلم الاشبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم أن

يرسل

عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الى انما هو الى الله فما بالكم تخبرونها على (وما منع الناس)
يعني أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن

(الأن قالوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أى الاشبهة تمكنت في صدورهم وهى انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة فى أبعث الله لانكار وما أنكروه ٣ فى قضية حكمته منكر ثم رد الله عليهم بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الانس ولا يطرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب عليهم (مطمئنين) حال أى ساكنين فى الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المرشد فاما الانس فأنما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشراؤهم كاحالان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على انى بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتهم (١٩٣) وعاندتم شهيدا تميزا وحال (انه كان بعباده)

المنذرين والمنذرين (خيبرا)
عالميا باحوالهم (بصيرا)
بافعالهم فهو مجاز بهم وهذه
نسبية لرسول الله عليه
السلام ووعيد للكفرة
(ومن يهد الله فهو المهتد)
وبالياء يعقوب وسهل
وافقهما أبو عمرو ومدنى
فى الوصل أى من وفقه الله
لقبول ما كان من الهدى
فهو المهتدى عند الله (ومن
يضلل) أى ومن يخله ولم
يعصمه حتى قبل وساوس
الشیطان (فلن نجدهم
أولياء من دونه) أى انصارا
(ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم) أى
يسحبون عليها كقوله
يوم يسحبون فى النار على
وجوههم وقيل لرسول الله
عليه السلام كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذى
أمشاهم على أقدامهم قادر
على أن يمشيهم على
وجوههم (عميا وبكما وصما)

يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الأن قالوا) أى جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن تؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله اليك ملكا فاجابهم الله بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أى مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أى من جنسهم لان الجنس الى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أى على انى رسوله اليكم وانى قد بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتهم وعاندتم (انه كان بعباده) يعنى المنذرين والمنذرين (خيبرا بصيرا) أى عالميا باحوالهم فهو مجاز بهم وفيه نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن نجدهم أولياء من دونه) أى يهدونهم وفيه أيضا نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم وهوان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالاضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) ق عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أبحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال فتادة حين بلغه بلى وعزرة بنا وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك أخرجه الترمذى الحذب كل ما ارتفع من الارض (عميا وبكما وصما) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها نغيظا وزفيرا فأنبت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يبصرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسمرون الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون فيصبرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (مأواهم جهنم كلما خبت) أى سكن لهاها وقيل ضعفت وهذات من غير أن يوجد نقصان فى ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يفتقر عنهم وقيل معناه أرادت أن تخبو (زدناهم سعيرا) أى وقودا وقيل معناه خبت أى نضجت جلودهم واحترقت أعينهم الى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا ماذا نعظما ورفانا أننا لمبعوثون خلقا جديدا) أجابهم الله ورد عليهم بقوله (أولم يروا ان الله الذى خلق السموات

(٢٥ - (خازن - ثالث) كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقرأ عينهم ولا يسمعون ما يبلد مسامعهم ولا ينطقون بما لا يقبل منهم (مأواهم جهنم كلما خبت) طفي لهاها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا ماذا نعظما ورفانا أننا لمبعوثون خلقا جديدا) أى ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم أن يسلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها ليزالوا على ذلك ليزيد فى تحشرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات

المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله أو الى الانبياء اه وهى ظاهرة اه مصححه

والارض قادر على أن يخلق منهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لرب فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) تجردا مع وضوح الدليل (قل لو أتمتم ملكون) تقديره لو تم ملكون أتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فاضمر ملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فاتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو ان أتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشئ المتبالغ (خزان (١٩٤) رحمة ربى) رزقه وسائر نعمه على خلقه (اذا لامسكم خشية الانفاق) أى لبخاتم

والارض) أى فى عظمها وشدها (قادر على أن يخلق منهم) أى فى صغرهم وضعفهم (وجعل لهم أجلا) أى وقت العذابهم (لرب فيه) أى لاشك فيه أنه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) أى تجردا وعنادا (قل لو أتمتم تملكون خزان رحمة ربى) أى خزان نعمه ورزقه وقيل ان خزان الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزان لانهاية لها (اذا لامسكم) أى لبخاتم وجبتم (خشية الانفاق) والفقر والنفاق وهذا مبالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشئ (وكان الانسان قنورا) أى ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل فى الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لا بد وأن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا أنه قد يوجد لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب فثبت بهذا أن الاصل فى الانسان البخل (وقوله تعالى) (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أى دلالات واضحة قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه خلفها وقلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع أهله فى الفرائض وقد صاروا حجرين والمرأة قائمة تحبزو وقد صارت حجر او روى أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظى عن الآيات وقد كرمها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين ونوم وحصى وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن غسان ان بهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتياه فسالاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشر كواي الله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرى الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا فى السبت فقبلا يده وقالوا شهدناك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعاربه أن لا يزال فى ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسئل) يا محمد (بنى اسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال لينبين كذبهم مع قومهم (اذ جاءهم) يعنى جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) قال ابن عباس محدوعا وقيل مطبوأ أى سحروك وقيل معناه ساحرا أعطى علم السحر فهذه الحجاب التى تقطعها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده (ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض) يعنى الآيات التسع (بصار) أى بنات يبصر بها (وانى لاظنك يا فرعون مشورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير (فأراد أن يستفزهم من الارض) معناه خالفهما (بصار) حال أى

خشية أن يفنيه الانسان (وكان الانسان قنورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس رضى الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطوفان الذى تنقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطوفان (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل وقوله (اذ جاءهم) متعلق بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) مسحورا غلوطا عقلا (قال) أى موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض) خالفهما (بصار) حال أى

بنات مكشوفات لانك معاند ونحوه وحججهما واستيقنتها أنفسهم ظاهرا وعلمت على أنى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات مغرط لارب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وانى لاظنك يا فرعون مشورا) كأنه قال ان ظننتى مسحورا فانا أظنك مشورا وظنى أصح من ظنك لان له أماره ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحتهم ومكابرتهم لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب تحت لان قولك مع علمك بصحة أمرى انى لاظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مشورا مصروفا عن الخير من قوطم ما تبرك عن هذا أى ما منعك وصرفك (فأراد) فرعون (أن يستفزهم) بخرجهم أى موسى وقومه (من الارض) أى أرض مصر أو بنفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستتصال

(فأغرقناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره بأن استفزه الله بأغرقه مع قبضه (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) التي أراد فرعون أن يستفزكم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئناكم لفيضا) جميعا مختلطين أياكم وإياه ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتصقا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير وأما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماء وذهبنابه إلى طيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقلنا إلى أين فقلنا إلى فلان الطيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله بعد والله أضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السماء وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل و بالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل (١٩٥) وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك

الأمبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أي فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تودة وثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) أي اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أتوا العلم من قبله) أي التوراة من قبل القرآن (إذا يتلى عليهم) القرآن (ينخرون للاذقان سجدا) (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا أي أعرض عنهم فانهم ان

أراد فرعون أن يخرج موسى وبنى إسرائيل من أرض مصر (فأغرقناه ومن معه جميعا) أي أغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون (لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) يعني أرض مصر والشام (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني القيامة (جئناكم لفيضا) أي جميعا إلى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير إذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء ﷺ قوله سبحانه وتعالى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعني ان ما أردنا أن نزال القرآن لا تقريره للحق فلما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أنزلنا القرآن إلا بالحق المقضى لانزاله وما نزل إلا ملتصقا بالحق لاشتماله على الهداية إلى كل خير (وما أرسلناك إلا مبشرا) يعني بالجنة للطيعين (ونذيرا) أي مخوفا بالنار للعاصين ﷺ قوله عز وجل (وقرآنا فرقناه أي فصلناه وبيناه وقيل فرقناه به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أي على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (ان الذين أتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنوا أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القرآن (ينخرون للاذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجدا) أي يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أي تعظيما لربنا لانجاز ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي كأننا واقعاه (وينخرون للاذقان يكونون ويزيدهم خشوعا) أي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في متخرى مسلم أبدأ اللوح الدخول والمخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينا لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي ﷺ قوله عز وجل (قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة

لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فاذا أتى عليهم خروا سجدا وسجدوا لله تعظيما لامره ولا يجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان معنى انه وهى تؤكد الفعل كما ان تؤكدا الاسم وكما كدت ان باللام في انهم لمحضرون كدت ان باللام في لمفعولا (وينخرون للاذقان يكونون) ومعنى الخرو للذقن السقوط على الوجه وانما حص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرو واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر ينخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خروهم في حال كونهم ساجدين وخروهم في حال كونهم باكين (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين (قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن) لما سمع أبو جهل يقول يا الله يارحمن قال انه نهانا أن نعبد الهين وهو يدعوا لها آخر فنزلت وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقدأ كثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأوللتخير أي سمو بهذا الاسم أو بهذا أو ذا كروا ما هذا وما هذا والتنوين في

(أَيَامَانِدَعُوا) عوض من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد وأيانصب بتدعوا وهو مجزوم بأي أي هذين الاسمين ذكرتم وسميتهم (قوله الاسماء الحسنى) والضمير في له يرجع الى ذات الله تعالى والقاء لانه جواب الشرط أي أيا ماندعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله (قوله الاسماء الحسنى لانه اذا حفت أمانه (١٩٦) كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء انهما مستقلة بمعاني التمجيد

والتقديس والتعظيم (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذا الجهر والخافتة تعقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون افوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى نسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لا نسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والخافتة (سبيلا) وسطا أو معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعم المشركون (ولم يكن له ولي من الدن) أي لم يذل

فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينها عن آلهتنا وهو يدعوا لهين فانزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم (أَيَامَانِدَعُوا) ماضية ومعناها أي هذين الاسمين سميتهم وذكرتم أو من جميع أسمائه (قوله الاسماء الحسنى) يعني اذا حفت أمانه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انهما مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مخف بركة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى انبيي صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أي بقراءة تلك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك في الدعاء وقيل كان أعراب من بني نعيم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا ما لا ولد يجهرون بذلك فانزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءة تلك ودعائك ولا تخافت بها الخافتة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أي اطلب (بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والاختفاء عن أي فتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال اني أسمع من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال اني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمد الله على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو عيسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض بنعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولي من الدن) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعز به (وكبره تكبيرا) أي وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمد الله عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله لا يضرك باهن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الكهف﴾

وهي مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلما تها ألف وخمسة وسبع وسبعون كلمة

وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله

فيحتاج الى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مدله به ليدفعها بما لا اله (وكبره تكبيرا) وعظمه وصفه

بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبي عليه السلام الآية آية العز وكان اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية

﴿سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية بصري وعشر آيات كوفي﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده فقهم كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجا) أى شيئا من العوج والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان يقال في رأيه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيما) مستقيما واتصابه بمضمر وتقديره وجعله قويا لانه اذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قويا على سائر الكتب مصداقا لها شاهد بصحتها (لينذر) أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولي أنذر لان (١٩٧) المنذر به هو المسوق اليه فاقصر عليه

(من لدنه) صادرا من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أى بأن لهم (أجرا حسنا) أى الجنة ويبشر حمزة وعلى (ما كثرين) حال من هم في لهم (فيه) في الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الاول استغناء لتقديم ذكره (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قوطهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت استغناء لتقديم ذكره (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قوطهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لان الله سبحانه وتعالى وصف قوطهم بآيات الولد بكونه كذباً مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فاعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب قوله عز وجل (فلعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك (على آثارهم) أى من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القرآن (أسفا) أى حزنا وقيل غيظا (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولا هلهام من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعنى النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت أى زينة في الموصل اليه ولانه في نفسه محال (ولا آباءهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قوطهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أى قولا كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار شبهه وآياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تدخله من الاسف على توليهم رجلا فارقه أحبه فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويخضع نفسه وجدا عليهم وتلهف على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفراط الحزن والاسف المبالغة في الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولا هلهام من زخارف الدنيا وما يستحسن منها

قوله عز وجل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أثني الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) أى لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس في قوله تعالى قرأنا ناعرياً غير ذي عوج قال غير مخلوق (قيما) أى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قويا على الكتب كلها ومصداقا لها وناسخا لشرائعها (لينذر بأسا شديدا) معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس (من لدنه) أى من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) يعنى الجنة (ما كثرين فيه) أى بكميين فيه (أبدا) وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قوطهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت استغناء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به (ولا آباءهم) أى ولا اسلافهم من قبل (كبرت) أى عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أى هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطالان فكانه يجري على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذبا) أى ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق الخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قوطهم بآيات الولد بكونه كذباً مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فاعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب قوله عز وجل (فلعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك (على آثارهم) أى من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القرآن (أسفا) أى حزنا وقيل غيظا (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولا هلهام من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعنى النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت أى زينة في الموصل اليه ولانه في نفسه محال (ولا آباءهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قوطهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أى قولا كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار شبهه وآياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تدخله من الاسف على توليهم رجلا فارقه أحبه فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويخضع نفسه وجدا عليهم وتلهف على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفراط الحزن والاسف المبالغة في الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولا هلهام من زخارف الدنيا وما يستحسن منها

الموصل اليه ولانه في نفسه محال (ولا آباءهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قوطهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أى قولا كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار شبهه وآياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تدخله من الاسف على توليهم رجلا فارقه أحبه فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويخضع نفسه وجدا عليهم وتلهف على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفراط الحزن والاسف المبالغة في الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولا هلهام من زخارف الدنيا وما يستحسن منها

(لبلوهم أيهم أحسن ما عليها) من هذه الزينة (صعيداً) أرضاً ملساء (جزراً) يابساً لانبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والمعنى تعيدها بعد عمارتها خراباً بمائة الحيوان وتحفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لاحصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو اسم كلهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذي فيه الكهف) كانوا من آياتنا عجباً أي كانوا آية عجباً من آياتنا وصفاً بل صدر أو على ذات عجب (اذ) أي اذ كراذ (أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المتفرقة الرزق والامن من الاعداء (وهي لنا من أمرنا) أي التي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدنا) حتى نكون بسببه راشدين

الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونهما يدل على وحدانية الله تعالى وكما قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكاف بدليل قوله تعالى (لبلوهم) فمن يبلى يجب أن لا يدخل في ذلك ومعنى لبلوهم تختبرهم (أيهم أحسن عملاً) أي أصح عملاً وقيل أيهم أترك للدينا وأزهد فيها (وانا لجاعلون ما عليها) أي من الزينة (صعيداً جزراً) يعني مثل أرض لانبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجزر الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت) أي ظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذأوى الفتية الى الكهف) أي صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشباب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وجلال فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء (وهي لنا) أي أصح لنا (من أمرنا رشداً) أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشداً كله

خذ كرقصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطفعت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح مفسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالقه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحداً الا فتنة عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه أهل الايمان وهرى بواقي كل وجه فالتجسس طام من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان في أماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان جعلوا يسمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية خزناً شديداً فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشرف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططنا أكثف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارف عنهم البلاء حتى يعلموا عبادتك فينبأهم على ذلك وقد دخلوا مصلاتهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجوداً يكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن أمر الملك ثم اطلقوا الى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث اليهم قاتليهم نقيض أعينهم من الدمع مغفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا بالذبح لأهتنا التي نعبد في الارض وتجعلوا أنفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا ما أن تذبحوا لأهتنا وما أن أقتلكم فقال مكسبنا وهو أكبرهم ان لا اله الا الله السماوات والارض عظمت ان ندعو من دونه الها أبداله الحمد والتكبر من أنفسنا خالصاً بدينا نعبد واياهم نال النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبد هاهنا أبداً اصنع بنا ما بذكرك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بترغ ثيابهم وحلته كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم الا أني أراكم شباباً حديثي أسنانكم فلا أحب أن أهلكم حتى

أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم أمرهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى
مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم أن يذكروهم فأمروا
بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى
كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجلوس ٤ فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه
فيصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي
معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كلب الاحبار مروا بكم فاتبعتهم
فطردوهم فعاد دفعوا لذلك مراء فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني أنا أحب أهاب الله عز وجل
فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هرير بوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فاتبعتهم على دينهم
وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام
والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تلميذ خاف كان يتنازع لهم أرزاقهم
من المدينة سرا وكان من أجلهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ
ورقه فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا أصحابه بشئ ثم يرجع الى
أصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا اللطوا غيت
ففرع من ذلك أهل الإيمان وكان تلميذا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه
طعام قليل فأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والتسوامع عظماء المدينة ففرعوا ووقعوا
سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تلميذا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم
واطعموا وتكلموا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا
يتحدثون ويذكروا بعضهم بعضا فيبيناهم على ذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف وكلهم
باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من
الغد تفقدتهم دقيانوس والتسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساء في شأن هؤلاء الفتية الذين
ذهبوا لقد ظنوا أن بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لاجل عليهم أن هم تابوا وعبدوا
آلهتى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما جرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولوشاؤا
لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فأتى بهم فقال
أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة أنهم ذهبوا بأموالنا
وأهلكوا في أسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدري
ما يصنع بالفتية فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن
يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله
يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا
ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله عز وجل
أرواحهم وفاة نوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال
ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتبان إيمانهما اسم أحدهما يدروس واسم الآخر روناس اهتما
أن يكتبا شأن هؤلاء الفتية وأسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من
نحاس ويجعلاهما التابوت في البنيان وقال لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم
من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقى دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه
وغيرهم بعده كثيرة وخلف الملوك بعد الملوك ٥ وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيا ناموا في

٤ قوله ينجلوس هكذا
في بعض النسخ وفي بعضها
نجلوس وفي حياة الحيوان
منجلاوس فليحرر اه
مصححه

مسور بن ذوى ذؤاب فخرجوا في عيد لهم عظيم في رى وموكب وأخرجوا معهم أهلهم التي كانوا يعبدونها
وكان معهم كلب صيدهم وكان أحدهم وزير الملك فقدم الله سبحانه وتعالى الإيمان في قلوبهم فآمنوا
وأخفى كل واحد إيمانه وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبني عقاب بجرهم فخرج
شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة بفلس فيه ثم خرج آخر فراه جالساً وحده فربما أن يكون على مثل أمره
وجلس إليه من غير أن يظهره على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعاً فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل
واحد يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتين فيخلوا ويقتل كل واحد سره إلى
صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعاً على الإيمان وإذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض
فاذروا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا
تسعاً وقلدهم قومهم وطلبوهم فعسى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان
وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في ملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في
خزانة الملك وقالوا ليكون طولاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل
تلك البلاد رجل صالح يقال له يدروس فلما ملك بقي ملكة ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا
أحزاباً منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع إلى
الله وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة إلا الحياة
الدنيا وانما تبعث الأرواح دون الأجساد وجعل يدروس الملك يرسل إلى من يظن فيهم خيراً وانهم أئمة في
الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوار بين فلما رأى
ذلك الملك الصالح دخل يته وأغلق باباً عليه وليس مسجداً وجعل تحته رماداً جلس عليه فدأب ليله ونهاره
يتضرع إلى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم
أن الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين
للناس شأنهم ويجعلهم آية وحنة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح يدروس
ويتم نعمته عليه وإن يجمع من كان تبعد من المؤمنين قال في الله سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك
البلد الذي فيه ذلك الكهف وكان اسمه أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف ويبني به
حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعل يترعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعاً ما كان على باب
الكهف وفتح باب الكف وحجبه الله تعالى عن الناس بالرعب فافتتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى
ذو القدرة والسلطان محي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة
أنفسهم فلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعته التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم ثم
قاموا إلى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه وانهم كهيتهم حين
وقد راوهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فاما قضاوا صلاتهم قالوا تملينا صاحب نفقتهم أن يشاء بما قال الناس
في شأننا عشية أمس عندها الجبار وهم يظنون أنهم قد قتلوا كبعث ما كانوا يرقدون وقد خيل إليهم
أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى نساءوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبستم نياماً قالوا البنا يوماً أو
بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبستم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تملينا فقد التمسنا في المدينة وهو يريد
أن يؤتى بكم اليوم فتدبحوا للطواغيت أو يقتلكم فإشاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكساميناً يا أخوتاه اعلما
أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ثم قالوا تملينا انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال
لنا بها وما الذي يذكركم فينا عند دقيانوس وتطف ولا تشعرك بك أحد أو ابغ لنا طعاماً فأتاه وزدنا على
الطعام الذي جئنا به فقد أصبحنا جوعاً ففعل تملينا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر

فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع فانطلق تلميذا خارجا فلما مر باب الكهف رأى الجبارة منزوعة عن باب الكهف فحجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يهد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تلميذا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الإيمان إذ كان أمر الإيمان ظاهر فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى إلى باب آخر فرأى مثل ذلك فخل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا أما عشيّة أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة على نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي في أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشيّة أمس فليس كان على الأرض من يذكّر عيسى بن مريم الاقتل وأما اليوم فاسمع كل إنسان يذكّر عيسى بن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالخيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل في مسأوا وأمرها أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج قبل أن يصيبني فيها شر فأهلك فضي إلى الذين يتعاونون الطعام فأخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاهم رجال منهم وقال له يعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فحجب منها فئا وطها رجالا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كنزا خبيثا في الأرض منذ زمان طويل فلما رآهم تلميذا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يردد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم انما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضوا عليّ قد أخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا ما وشاركا فيه نخفف عليك ما وجدت وانك إن لم تفعل نحملك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت وجعل تلميذا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يجز على لسانه اليهم شيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنزا فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأينا فيهها قط وما نعرفه وجعل تلميذا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقنا أن أباه وأخوته بالمدينة وأنه من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فينبأها هو قائم كالخيران ينتظروني يأتيه بعض أهلهم فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طيطيوس فلما انطلقوا به إليهما ظن تلميذا أنه انما ينطاق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم اله السماء واله الأرض أفرغ علي اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين أخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم يأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا قد كنا نوثقنا على الإيمان بالله وأن لا نشرك به أحدا أبدا ولا نلج في حياة ولا موت فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين

أربوس وطينيوس ورأى أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أربوس وطينيوس
الورق ونظر إليها وعجبا منها وقال أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تملينا ما وجدت كنزا ولكن هذا
ورق آباءى ونقش هذه المدينة وضر بها وكنزها والله ما أدري ما شأنى وما أقول لكم فقال له أحد هما من
أنت فقال تملينا ما أنا فكنت أرى أنى من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم
باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له أحد عما أنت رجل كذاب لا تنبنا بالحق فلم يدرك تملينا ما يقول
غير أنه نكس بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه
يحقق نفسه عمدا لكي ينفلت منهم فقال له أحد عما ونظر إليه نظرا شديدا أنظن أنا نراك وصدقك بأن
هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضر بها وهذه الورق أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب أنظن أنك
تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شعث وحولك سراة هذه المدينة وولادة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا
وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واتى لاظنى ساء أمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقتك
حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تملينا ما خبروني عما سألكم عنه فإن أتم فعلتم صدقتكم
عما عندى فقالوا له سل لأنك تمك شيئا فقال فما فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الأرض من
اسمه دقيانوس ولم يكن إلا ملك هلك في الزمان الأول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال
تملينا ما إذا أخبرنا وما يصدقنى أحد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وإن الملك أكرهنا
على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت فمر بنا منه عشية أمس فأتينا إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس
فمننا فيه فلما انتهينا خرجت لا شئنا لاصحابنا طعاما وأنجس الأخبار فإذا أنا معكم كما ترون فانطلقوا معى
إلى الكهف أرىكم أصحابى فلما سمع أربوس قول تملينا ما قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل
لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى رينا أصحابه فانطلق أربوس وطينيوس ومعهما جميع أهل
المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تملينا ما قد
احتبس عنهم طعامهم وشربهم عن القدر الذي كان يأتى فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم
دقيانوس فيبيناهم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا أنهم رسل
الجبار دقيانوس بعث بهم إليهم ليؤتى بهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا
وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تملينا ما فإنه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأت به فيبيناهم يقولون ذلك
وهم جلوس على هذه الحالة إذ هم بأربوس وأصحابه وقفا على باب الكهف فسبقهم تملينا ما ودخل وهو
يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا أنهم كانوا أياما بامر الله ذلك الزمن
الطويل وانما وقفوا ليكونوا آية للناس وتصديق للبعث وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها ثم دخل على
أثر تملينا ما أربوس فرأى تابوتا من نحاس مكتوبا بخاتم فضة فوقه على الباب ودعا جماعة من عظماء
أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب بهما مكتوبين
ومختمين وتملينا ما وطينيوس وكشيطونس ويرونس وديموس و بطيوس وقالوس والكاب اسم
قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يقتلهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما
أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وأما كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر بهم
فلما قرؤوه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد
الله ونسبيته ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقا وجوههم لم تبل نياهم فخرار يوس
وأصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية
عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم أن أربوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن
عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية تكون لهم نورا وضياء

(فضر بنا على آذانهم في الكهف) أي ضر بنا عليها بخباب من النوم يعني أنماهم انما ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو صفة اسنين قال الزجاج أي تعدد الكثرة لان القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا كثر عدد فاما دراهم معدودة فهي على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم) أي يقظناهم من النوم (لنعلم أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا البشايوما (٢٠٣) أو بعض يوم قالوا بكم أعلم بما لبثتم

وكان الذين قالوا بكم أعلم بما

لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأما ظرف لأحصى أو مفعول له والفعل الماضي خبر المبتدا وهو أي والمبتدا مع خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى أيهم اضبط أمدا لاوقات لبثهم وأحاط علما بما د لبثهم ومن قال أحصى أفعال من الاحضاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس وإنما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ما يتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا وليكون لطفًا للمؤمنين زمانهم وآية بينة لكفارهم أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما عفاها قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (أنهم فتية) جمع فتى والفتوة بذل الندي وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل

وتصديقًا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال أحمك اللهم رب السموات والارض وأعبدك وأسبح لك تطويات على ورحتي ولم تطفئ النور الذي جعلته لأبائي ولأعبد الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة افسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جالوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيمك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أتمى ونام أتوه في منامه فقالوا له انالمن نخلق من ذهب ولا فضة ولكننا خلقنا من تراب والى التراب نصير فتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتأبوت من ساج ففعلوا فيه ونحجهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلي فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل أن تليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكرا أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكرا منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية قد فقدوا في الزمان الاول وأن أسماهم مكتوبة على لوح في خزائنه فدعا بالروح ونظر في أسماهم فاذا اسمه مكتوب وذكرا أسماء الآخرين فقال تليخا لهم أصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تليخا دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم فأنهم ان رأوكم معي أربعتموهم فدخل تليخا فبشروهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ أوى الفتية الى الكهف أي صاروا الى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي هداية في الدين وهي لنا أي يسر لنا من أمرنا رشا أي ما نلت من مرضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس أي مخرجنا من الغار في سلامة قوله سبحانه وتعالى (فضر بنا على آذانهم) أي ألقينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (في الكهف سنين عددا) أي أنماهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أي من نومهم (لنعلم) أي علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وإنما أراد ما يتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا (أي الحزبين) أي الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) أي احفظ لما مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أي نقرأ عليك خبر أصحاب الكهف بالحق أي بالصدق (أنهم فتية) أي شبان (آمنوا برهم وزدناهم هدى) أي إيمانا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) أي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكف (اذ قاموا) يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة

الفتي ما لا يدعى قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل (آمنوا برهم وزدناهم هدى) يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) وقويناهم بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذ قاموا) بين يدي الحمار وهو دقيانوس من غير صلاة له حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام

(فقالوا رب السموات والارض) مفتخرين (لن ندعو من دونه اهل) ولئن سميناهم آلهة (لقد قلنا اذا شططا) فولاذا شططا وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط يسط ويشط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار في معنى الانكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم حذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فن اظلم عن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذا عزلتهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيتهم على القرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أي واذا عزلتهم واعزلتهم معبوديهم (الا الله) استثناء متصل لانهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة أو منقطع أي واذا عزلتهم الكفار والاصنام التي يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله (فاووا الى الكهف) صيروا اليه أو جعلوا الكهف مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (ويهيئ) (٢٠٤) لكم من أمركم مرفقا) مرفقا مدني وشامي وهو ما يرتفق به أي ينتفع وانما قالوا

ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه وتصوع يقينهم أو أخبرهم به نبي في عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بتخفيف الزاي كوفي زور شامي زاور غيرهم وأصله تزاور خفف بادغام التاء في الزاي أو حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (عن كهفهم) أي تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المماثلة باليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم أي تركهم وتعديل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا

الاصنام (فقالوا) أي الفتية (رب السموات والارض لن ندعو من دونه اهل) انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام (لقد قلنا اذا شططا) قال ابن عباس يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعني أهل بلادهم (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعني أصناما يعبدونها (لولا) أي هلا (يأتون عليهم) أي على عبادة الاصنام (بسلطان بين) أي بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال (فن اظلم عن افترى على الله كذبا) أي وزعم أن له شركا أو ولداهم قال بعضهم لبعض (واذا عزلتهم) يعني قومكم (وما يعبدون الا الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذا عزلتهم جميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعزلوا عبادته (فاووا الى الكهف) أي الجؤا اليه (ينشر لكم) أي ييسر لكم (ربكم من رحمته ويهيئ) أي يسهل (لكم من أمركم مرفقا) أي ما يعود اليه يسركم ويرفقكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) أي تميل وتعديل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب اليمين (واذا غربت تقرضهم) أي تركهم وتعديل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي متسع من الكهف (ذلك من آيات الله) أي من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك أن ما كان في ذلك السميت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة أبد الانقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحر هاو لكن اختار الله لهم مضجعا في متسع يناهم فيه برد الريح ونسيمها وبدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أي ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعني مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم (ومن يضل) أي ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن نجده له وليا) أي معينا (مرشدا) أي يرشده ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل أحد (أيضا) أي منتهين لان أعينهم مفتحة (وهم رقاد) أي نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لثلاثا كل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وقيل كان لهم في السنة تقلبتان (وكلهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلنا أنمر وعنه أنه كان فوق القاطي ودون الكرزي والقاطي كلب صيني وقيل

تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله بحجبتها عنهم وقيل منفسح من غارهم يناهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالع وغاوبة آية من آيات الله يعني أن ما كان في ذلك السميت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة أبد او معنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل ما مر في سبحان وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله وأسماؤهم وجوههم فأرشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضل فلن نجده له وليا مرشدا) أي من أضله فلا هادي له (وتحسبهم) بفتح السين شامي وجزرة وعاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أيضا) جمع يقط (وهم رقاد) نيام قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيضا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء (وكلهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى الضي

(بالوصيد) بالفناء أو بالعقبة (لواطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لا عرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وايت منهم فررت منهم (ولمئت منهم) وبتشديد اللام مخجزي للمبالغة (ربعا) تمييزو بضم العين شامح وعلى وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الطيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وعن معاوية أنه غزا الروم فركب الكهف فقال أريد أن ادخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جاعة بامرهم فاحرقتهم ربح (وكذلك بعثناهم) وكما أنماهم تلك النومة كذلك أية ظنناهم اظهارة القدرة على الانامة والبعث جميعا (لنساء لواينهم) ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبستم) كم مدة لبستم (قالوا لبنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن

وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبستم) بمدة لبستم انكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالادلة أو بالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انبأهم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدلى ابن عباس رضي الله عنهما على أن الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبستم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا ربكم أعلم بما لبستم

كان أصفر وقيل كان شديدا الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم (بالوصيد) أي فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان ينقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى وورقه عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى وورقه عليها (لواطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الطيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولمئت منهم ربعا) أي خوفا من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كالتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعني كما أنماهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (لنساء لواينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسميننا (كم لبستم) أي في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل أنهم راعاهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا لبنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبستم) وقيل ان مكسميننا المسمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبستم (فابعثوا أحداكم) يعني تليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه الى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام أفسوس (فلينظر أيها أزر كي طعاما) أي أحل طعاما وقيل أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم وقيل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأرخصه (فليأتكم برزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) أي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتان (ولا يشعروا) أي ولا يعلموا (بكم أحدا) أي من الناس (أنهم ان يظهر واعليكم) أي يعلموا بكانكم (برجوكم)

هذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة (فابعثوا أحداكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما بهمكم فابعثوا أحداكم أي تليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبكون الرأبوع ووحدة وأبو بكر (هذه الى المدينة) هي طرسوس وجلهم الورق عند فرارهم دليل على أن حل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلمين على الاتفاقات على ما في أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول ما لهذا السفر الا شيئا شديدا لهمايان التوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أي أهلها فحذف كما في واستل القرية وأي مبتدأ وخبره (أزر كي) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص طعاما تميز (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليت كلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغيب أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (ولا شعروا بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بذامن غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في (أنهم) راجع الى أهل المقدري أيها (ان يظهر واعليكم) يطلعوا عليكم (برجوكم) يقتلواكم أخبت القتل

(أو يعيدوكم في ملتهم) بالا كراه والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم (ولن تفلحوا إذا أبدا) إذا بدل على الشرط أي ولن تفلحوا أن
دخلتم في دينهم أبدا (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أغناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم (ليعلموا) أي الذين أطلعناهم على
حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) كائن لأن حالهم في نومهم وانقباهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لا ريب فيها) فانهم
يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق بأعثرنا أي اعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم
ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف
وليثبت ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفي الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا)
أي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بترتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخطيرة (ر بهم أعلم
بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذا كروا أمرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فاعلم بهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ر بهم
أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رد لقول الخاضعين في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملوكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء
عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى ان أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا
وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكروا على عبادتها ومن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم
بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان (٢٠٦) والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكنب فتبعهم فطردوه فانطقه الله

قيل معناه يشقوكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل
يعذبوكم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي الكفر (ولن تفلحوا إذا أبدا) أي ان عدتم اليه ﴿ قوله عز وجل
(وكذلك أعثرنا عليهم) أي اطلعنا الناس عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني قوم يبدروس الذين
أنكروا البعث (وان الساعة لا ريب فيها) أي لا شك فيها أنها آتية (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن
عباس في البيان فقال المسلمون بنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون بنى
بنيانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث
الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم (فقالوا
ابنوا عليهم بنيانا ر بهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني يبدروس وأصحابه (لنتخذن عليهم
مسجدا) ﴿ قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من
نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخرى ذ كرا أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان
يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون) أي وقال العاقب وكان نسطوريا (خسة سادسهم كلبهم رجبا
بالغيث ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) حقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار

تعالى فقال ماتر يدون مني
اني أحب أحب الله فناموا
وانا أحرسكم وقيل مروا
براع معه كلب فتبعهم على
دينهم ودخلوا الكهف
فضرب الله على آذانهم
وقيل ان يبعثهم الله ملك
مد يبتهم رجل صالح مؤمن
وقد اختلف أهل مملكته
في البعث معترفين
وجاحدين فدخل الملك
بيته وأغلق بابه ولبس

مسحوا وجلس على رما دوسأل ربه ان يبين لهم الحق فالتقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم
ماسد به فم الكهف ليتخذ حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياح الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه
وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحدهم الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفي الله أنفسهم فالتقى الملك عليهم نيا به وأمر فجعل
لكل واحد تابوت من ذهب فراحهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة رابعهم
كلهم ويقولون خسة سادسهم كلبهم رجبا بالغيث ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخبر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا
بما سيجرى بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم وروى ان السيد والعاقب وأصحابهما من أهل
نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخرى ذ كرا أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب
وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم حقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماءهم يميننا ومكشيلينا ومثليينا هؤلاء أصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا
من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل في الاول دون الآخرين فهدا دخلا في حكم

السين كقولك قدأكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً وأريد يفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر مبتدا محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلهم وثامنهم كلهم رجاء بالغيب رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظناً بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للسكر كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي أذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجوا بالظن كما رجم غيرهم دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله رجاء بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربي أعلم بعدتهم) أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلهم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما أمان ذلك القليل وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب (٢٠٧) في شأن أصحاب الكهف (الامراء

ظاهراً) الاجدالا ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن نقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو عياد من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيغ ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشيء) لاجل شيء تعزم عليه (اني فاعل ذلك) (الشيء) (غدا)

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى أولاً ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجاء بالغيب أي ظناً وحسباً من غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وأن يكون قول المسلمين مخالفاً لقول النصارى في كونه رجاء بالغيب وظناً ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون الا الله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما أمان أولئك القليل كانوا سبعة وهم (٣) مكسيميناو ويليخاوس وطونس وينيونس وسارينونس وذونوانس وكشفيطونوس وهو الراعي واسم كلهم قطمير (فلا تمار فيهم) أي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم (الامراء ظاهراً) أي الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحدا) أي لا ترجع الى قول أحد منهم بعد أن أخبرناك قصتهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشيء) اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله﴾ يعني اذا عزمتم على فعل شيء غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استئناء وذلك ان أهل مكة سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي أياماً ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل (واذ كر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستئناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستئناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوز الحسن ما دام في المجلس وجوز بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوز جهاعة حتى يكون الكلام متصلاً بالاستئناء وقيل في معنى الآية واذا كر ربك اذا

أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغدا خاصة (الا ان يشاء الله) أن تقوله بان يأذن لك فيه أو لا تقوله الا بان يشاء الله أي الاعمشىته وهو في موضع الحال أي الاملتبس بالعمشية الله قائلان شاء الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن اني أفعل ذلك الاعمشىته الله تعالى لان قول القائل أنا أفعل ذلك ان شاء الله معناه لا أفعله الاعمشىته الله وهذا نهى تأديب من الله لنبهه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال اتوني غدا أخبركم ولم يستثن فباطأ عليه الوحي حتى شق عليه (واذا كر ربك) أي مشيت ربك وقل ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لئلا والمعنى اذا نسيت كلمة الاستئناء ثم تنبهت عليها فداركها بالذكر عن الحسن ما دام في مجلس الذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستئناء فاما الاستئناء المغير حكماً فلا يصح الامتصلا وحي أنه بلغ المنصور ان أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستئناء المنفصل فاستحضره لينسكه عليه فقال له أبا حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالابمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بأخراجه من عنده أو معناه واذا كر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستئناء تشديد في البعث على الاهتمام بها أو صل صلاة نسيها اذا ذكرتها واذا نسيت شيئاً فاذا كر ربك المنسى

(٣) قوله وهم مكسيميناو وقع اختلاف كبير في أسمائهم وذكر في القاموس في ذلك ثلاثة أقوال فليراجع

(وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من ههنا) يعني إذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لأقرب من ههنا هذا المسمى أقرب منه رشدا أو أدنى خيرا ومنفعة أن يهديني أن ترن أن يؤتني أن تعلمن مكى في الحالين ووافقه أبو عمرو ومدي في الوصل (ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) (٢٠٨) سنين) يريد ابنهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجل في

غضيت قال وهب مکتوب في التوراة والآنجيل ابن آدم اذ كرتي حين تغصب اذ كرك حين أغضب وقيل الآية في الصلاة يدل عليه ما روى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها قال تعالى أقم الصلاة ذكرى متفق عليه زاد مسلم وأوام عنها فكفارته أن يصليها إذا ذكرها (وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من ههنا رشدا) أي يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد وقيل إن الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره إذا نسي شيئا ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسي وقيل إن القوم لما سأله عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسدين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذان أمره الله أن يقول مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان قوله إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله إن شاء الله عسى أن يهديني ربي لأقرب من ههنا رشدا (وقوله عز وجل) (ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبنهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) والاصح أنه إخبار من الله تعالى عن قدر لبنهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعني إن نازعوك في مدة لبنهم في الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد أخبر بعبدة لبنهم وقيل إن أهل الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله فإن قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة فقلوا أيا ما أوشهوا أو سنين فترت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجل في قوله فضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عدد اوزدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فترت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل إن عند أهل الكتاب لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلاثمائة سنة وتسع سنين قرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع سنين قرية (له غيب السموات والارض) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال أهلها فإنه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف (أبصر به وأسمع) معناه ما أبصر الله بكل موجود ما سمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا يخفى عليه خافية (ما لهم) أي ما لأهل السموات والارض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) أي ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحدا وقيل في قضائه (وقوله سبحانه وتعالى) (واتل) أي واقرأ يا محمد (ما أوحى إليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به (لا تبدل لكلماته) أي لا تغير القرآن ولا يتقدر أحد على التطرق إليه بتغيير أو تبديل فإن قلت موجب هذا أن لا يتطرق النسخ إليه قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى وقت طريق النسخ فالنسخ كالمغايير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا تغير ما أوعده الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) أي من دون الله أن لم تتبع القرآن (ملتصدا) أي ملجأ

قوله فضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لثلاثمائة ثلثمائة سنين بالإضافة حمزة وعلى على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالآخرين أعمالا (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لأن زاد تقتضي مفعولين فازداد يقتضي مفعولا واحدا (قل الله أعلم بما لبثوا) أي هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بعبدة لبنهم والحق ما أخبرك به أو حكاية لكلام أهل الكتاب وقيل الله أعلم رد عليهم والجمهور على أن هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم مائة (له غيب السموات والارض) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والارض وخفى فيها من أحوال أهلها (أبصر به وأسمع) أي وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمع لكل مسموع (ما لهم) لأهل السموات والارض

(من دونه من ولي) من متول لا مورهم (ولا يشرك في حكمه) (أحدا) منهم ولا تشرك على التهي شامى وحزرا كانوا يقولون له أنت بقرآن غير هذا وبذلك فليله (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) أي من القرآن ولا تسمع لما يهزؤون به من طلب التبديل فإنه (لا تبدل لكلماته) أي لا يتقدر أحد على تبديلها أو تغييرها إنما يتقدر على ذلك هو وحده (ولن تجد من دونه ملتصدا) ملجأ

تعدل اليه ان همت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن هؤلاء الموالى وهم صهيبي وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) واحبسهم معهم وثبتها (بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت أو بالغداة اطلب التوفيق والتيسير والعشي اطلب عفوا التقصيرا وهما صلاة الفجر والعصر بالغداة شامي (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدى (٢٠٩) بعن لتضمن عدم معنى نبأ في قولك ثبت منه

عينه وفائدة التضمن اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى قد (تريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه تعالى خالق أفعال العباد (وانبع هواه وكان أمره فرطا) مجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف أى هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أى جاء الحق وزاغت العليل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وحيء بلفظ الامر والتخيير لانه لمامكن من اختيار أيهما شاء فكانه مخيرا موريا يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا اعتدنا) هيا لنا (للظالمين) للكافرين فقيدهم بالسياق كما ترك حقيقة الامر والتخيير

وحزنا تعدل اليه قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها ويده خوص يشته وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرفها ان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلسا فنزل الله عز وجل واصبر نفسك أى احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بمعنى طرفي النهار (يريدون وجهه) أى يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعة ما تقرر جل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم (ولا تعد) لا تصرف ولا تجاوز (عيناك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أى تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا بمعنى عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (وانبع هواه) أى في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) ضياعا ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) أى قل يا محمد هؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان ويده الهدى والضلال ليس الى من ذلك شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقيل الحق من ربكم أى لست بطارد المؤمنين لولاكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم نار وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء الله الكفر كفر (انا اعتدنا) أى هيا لنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) أى الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجر التي تطيف بالفساطيط عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كشف كل جدار أربعون سنة أخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) أى من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه أخرجه الترمذي وقال رشدين أحدر رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقح وقيل هو الرصاص والصفير المذاب (يشوى الوجوه) أى ينضج الوجوه من حره (بش الشراب) أى ذلك الذي يغاثون به (وساءت) أى النار (مرتقا) قال ابن عباس رضى الله عنهم ما منزلا وقيل مجتمعا وأصل المرتقا المتكأ وانما جاء كذلك لما كاه قوله وحسنت مرتقا والافلا ارتفاق لاهل النار ولا متكا قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(٢٧ - خازن) - ثالث بالسياق وهو قوله انا اعتدنا للظالمين (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجر التي تكون حول الفسطاط وهو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردى الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وفيه تمكهم بهم (يشوى الوجوه) اذا قدم لي شرب انشوى الوجه من حرارته (بش الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتقا) متكا من الرفق وهذا المشاكة قوله وحسنت مرتقا والافلا ارتفاق لاهل النار وبين جزاء من اختار الايمان فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

انا انضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف بيان للاجر المبهم ولك أن تجعل انا انضيع وأولئك خبرين معا والمراد من احسن منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فأقام من احسن مقام الضمير (يجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور) من اللابتداء وتنكير أساور وهي جمع اسورة التي هي جمع سوار لابسهم أمرها في الحسن (من) (ذهب) من للتبيين (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مارق من الديباج

(واستبرق) ما غلظ منه
أى يجمعون بين النوعين
(متكئين فيها على
الارائك) خص الاتكاء
لانه هيئة التنعيم والملوك
على أسرته (نعم الثواب)
الجنة (وحسن) الجنة
والارائك (مرتقا)
متكئا (واضرب لهم مثلا
رجلين) مثل حال
الكافرين والمؤمنين بحال
رجلين وكانا أخوين في بني
اسرائيل أحدهما كافر
اسمه قطروس والآخر مؤمن
اسمه يهوذا وقيل هما
الذكوران في الصافات
في قوله قال قائل منهم انى
كان لى قرين ورنان من أيتها
ثمانية آلاف دينار
فجعلها شطرين فاشترى
الكافر أرضا بالدينار
فقال المؤمن اللهم ان أخى
اشترى أرضا بالدينار
وأنا اشترى منك أرضا فى
الجنة بالف فتصدق به ثم بنى
أخوه دارا بالف فقال اللهم
انى اشترى منك دارا فى الجنة
بالف فتصدق به ثم تزوج
أخوه امرأة بالف فقال اللهم

انا انضيع اجر من احسن عملا) أى لا تترك أعمالهم تذهب ضياعا بل تجازيهم بأعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا انضيع اجر من احسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أى دار إقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجرى من تحتهم الانهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان يجرى فيه الماء (يحلون فيها من أساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة أساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الرقيق (واستبرق) هو الديباج المصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتكاء لانه هيئة التنعيم والملوك (فيها) أى فى الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهي السرر فى الجبال والما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم الثواب) أى نعم الجزاء (وحسن) أى الجنة (مرتقا) أى مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسن مرتقا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتقا وقوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الأسود بن عبد الأسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههم ما برجلين من بنى اسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا فى قول ابن عباس وقيل يعلينا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى سورة الصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورنان من أيتها ثمانية آلاف دينار فاشترى أحدهما أرضا بالدينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار وانى قد اشتريت منك أرضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة فاتفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما وماتا بالف دينار فقال هذا اللهم انى اشترى منك خدما وماتا بالف دينار فى الجنة فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعلى يذاتى منه معروف فجلس على طريقته حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابتنى حاجة بعدك فانيتك لتعيننى فخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالا وأخذت شرطه فقضى عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين وروى أنه لما أتاه أخذه بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما ما واضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا لهما جنتين) أى بستانين (من أعناب وحفناهما) أى أطفناهما من جوانبهما (بدخل وجعلنا بينهما زراعا) أى وجعلنا بين النخل والأعناب الزرع وقيل بينهما أى بين الجنتين

انى جعلت ألفا صدقا لله عور ثم اشترى أخوه خدما وماتا بالف دينار فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المثلدين بالف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لآخيه على طريقته فمر به فى حشمه فطرده وورثه على الصدق بماله (جعلنا لهما جنتين من أعناب بساتين من كروم) (وحفناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فترى به الباء مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زراعا) جعلناهما أرضا جامعة للافوات والفواكه وصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم توسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الاينى

(كلتا الجنتين أنت) أعطت حل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولوقيل اتنا على المعنى لجاز (أكلها) ثمرها (ولم تظلم منه) ولم تنقص من أكلها (شيأ وجرا ناخلطها نهر) نعمتها بوفاء الثمار وتتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يستقي به وهو النهر الجاري فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المال من ثمره اذا كثره أى كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما لثمر وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو وبضمهما غيرهما (فقال لصاحبه وهو يحاوره) راجعه الكلام من حار يحور اذار جمع يعنى قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بممالك من المال دونه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أنصارا وحشما وأولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث (ودخل جنته) إحدى جنتيه أو ساهما جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن تبدي هذه أبدا) أى أن تهلك هذه الجنة شك في بيدة جنة لطول أمه وتمادي غفلته واعتراه بالمهلة وترى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق السنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربي لاجدن (٢١١) خيرا منها من قبلا) أقسام منه على أنه

ان رد الى ربه على سبيل
القرض كما يزعم صاحبه
ليجدن في الآخرة خيرا من
جنته في الدنيا ادعاء
لكرامته عليه ومكاته
عنده من قبلا تميز أى
مرجعا وعاقبة (قال له
صاحبه وهو يحاوره
أ كفرت بالذي خلقك من
تراب) أى خلق أصلك
لان خلق أصله سبب في
خلقه وكان خلقه خلقا له
(ثم من نطفة) أى خلقك
من نطفة (ثم سواك رجلا)
عدلك وملك انسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعله
كافرا بالله لشكه في البعث
(لكننا) بالالف في الوصل

يعنى لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كلتا الجنتين أنت) أى أعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) أى ثمرها تمام (ولم تظلم منه شيأ) أى ولم تنقص منه شيأ (وجرا ناخلطها) شققنا وسطهما (نهر) وكان له) أى لصاحب البستان (ثمر) قرى بالفتح جمع ثمرة وقرى بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعنى صاحب البستان (صاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) أى يخاطبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى عشيرة ورهطا وقيلا خدما وحشما (ودخل جنته) يعنى الكافر أخذ بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها (وهو ظالم لنفسه) أى بكفره (قال ما أظن أن تبدي) أى تهلك (هذه) يعنى جنته (أبدا) وذلك أنه رآه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تنفنى أبدا وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنة (ولئن رددت الى ربي) فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربي على ما تزعم من أن الساعة آتية (لا جدن خيرا منها من قبلا) أى يعطيني هنالك خيرا منها لانه لم يعطيني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) كفرت بالذي خلقك من تراب) أى خلق أصلك من تراب لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقا له (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) أى عدلك بشرا سويا وملكك انسانا ذكرا بالغامبلغ الرجال (لكننا هو الله ربى) مجازة لكن أنا هو الله ربى (ولأشرك برى أحدا ولولا) أى هلا (اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولي والنظر الى ما رزقك الله منها ماشاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا (لاقوة الابالة) أى وقلت لاقوة الابالة اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وتأبيده ولا أقدر على حفظ مالى ودفع شئ عنه الابالة روى عن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى من ماله شيأ يهجه أو دخل حائط من حيطانه قال ماشاء الله لاقوة الابالة الحائط البستان (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أى لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فعسى ربى) أى فلعل ربى

شامى الباقون بغير ألف وبالف في الوقف اتفاق وأصله لكن أنا خذفت الهمزة وألقت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فادغمت الاولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربى) هو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبر أنا والراجع منه اليه بياء الضمير وهو استدراك لقوله أ كفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف أى أقول هو الله بدليل عطف (ولأشرك برى أحدا ولولا) وهلا (اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ماشاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعنى أى شئ شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولي والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ماشاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها (لاقوة الابالة) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة وتأبيده من قرأ (ان ترن أنا أقل منك مالا) بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعول ثانى الترنى وفي قوله (ولدا) نصره قلن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعز نفرا (فعسى ربى

أن يؤتيني خيرا من جنتك) في الدنيا وفي العقبى (ويرسل عليها حسابنا) عذابا (من السماء فتصيح صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها الملائكة (أو يصيح ماؤها غورا) غائرا أي ذاهبا في الأرض (فلن تستطيع له طلبا) فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى أن ترن أقر منك فانا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما في وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايمان جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرتك نعمته ويخرب بسايتك (وأحيط بثمره) هو عبارة عن اهلا كه وأصله من أحاط به العدو ولانه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك (فأصبح) أي الكافر (يقلب كفيه) يضرب احداهما على الأخرى ندمًا وتحسرا وانما صار قلب الكافرين كناية عن الندم والحسرة لان النادم يقلب قلبه كفيه طهر البطن كما كفى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) تذكروا عظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه (٢١٢) التمنى ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان (ولم تكن له فئة

ينصرونه) يقدررون على نصرته (من دون الله) أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا أنه لم ينصره لحكمة (وما كان منتصرا) وما كان متمتعاً بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يمكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلى فهي بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وذلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وهنالك السلطان والملك لله لا يغلب أو في مثل

(أن يؤتيني) أي يعطيني (خيرا من جنتك) يعني في الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسابا) قال ابن عباس نارا وقيل مراعى (من السماء) وهي الصواعق فهل كها (فتصيح صعيدا زلقا) أي أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل زلق فيها الاقدام وقيل رملها تالا (أو يصيح ماؤها غورا) غائرا اذا هبالاته الايدي ولا الدلاء (فان تستطيع له طلبا) يعني ان طلبته لم تجده (وأحيط بثمره) يعني أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فاهلكتها وغار ماؤها (فأصبح) يعني صاحبها الكافر (يقلب كفيه) يصفق بكفه على كف ويقلب كفيه طهر البطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) المعنى فأصبح يندم على ما أنفق في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة سقوطها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) يعني أنه تذكروا عظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي بمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) أي متمتعاً لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرى بكسر الواو يعني السلطان في القيامة (لله الحق) وقرى بفتحها من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا (هو خير ثوابا) أي أفضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره شيب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير ثابة وعاقبة قوله عز وجل (واضرب لهم) أي اضرب يا محمد لقومك (مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الأرض) أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قريب (هشيا) قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذر به وقيل تفرقه وتفسقه (وكان الله على كل شيء مقتدرا) أي قادرا قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعني التي يفتخر بها عينته وأصحابه الاغنياء (زينته الحياة الدنيا) يعني ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه المال والبنون حرث

تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة الحجة اليها فقاطها الدنيا جزاء عمادها من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياء المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني أنه نصر فيها فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسابنا من السماء ويؤيده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لا ولياته وهنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله من الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمرو وعلى صفة للولاية وخير مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبا يسكون القاف عاصم وحمزة وبضمها غيرهما وفي الشواذ عقيبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء) أي هو كما أنزلناه (فاختلط به نبات الأرض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وأثر في النبات الماء فاختلط به حتى روى (فأصبح هشيا) يابسا متكسرا الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تفسقه وتطيره الريح حمزة وعلى (وكان الله على كل شيء مقتدرا) قادر أشبه حال الدنيا في نصرتها وبهجتها وما يتبعها من الهلاك والافناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كان لم يكن (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) لازاد القبر وعدة العقبى

(والباقيات الصالحات) أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخيرا مالا) لانه وعد صادق وأكثرا مالا كاذبة يعني ان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصديه في الآخرة (وبوم) واذ كر يوم (نسير الجبال) نسير الجبال مكي وشامي وأبو عمر وأبو تيسرى (٢١٣) الجؤا ويذهب بها بان تجعل هباء

منشورا منبثا (وترى الارض بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار (وحشرناهم) أي الموتى (فلم تغادر منهم أحدا) أي فلم تترك غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحدا شبهت حالهم بحال الجنود المعروضين على السلطان (لقد جثقونا) أي قلنا لهم لقد جثقونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عامل النصب في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جثقونا عراة لاشئ معكم كما خلقناكم أولاً وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسيرو ترى للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البر وزليعائنا تلك الأحوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بل

الدنيا والأعمال الصالحة حث الآخرة وقد يجمعها لا قوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثر من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهيل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررت برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك في الموطأ وموقوف عليه وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الأعمال الصالحات (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخيرا مالا) أي ما يؤمله الانسان قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هباء منشورا كما يسير السحاب (وترى الارض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرا (وحشرناهم) يعني جميعا الى موقف الحساب (فلم تغادر منهم أحدا) أي لم تترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وفوجا فوجا لانهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جثقونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الاوانه سيحيا برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثت بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لن يزالوا مني أبداً على أعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فأقول سحقا سحقا قوله غرلا أي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكرو هو موضع الختان وقوله سحقا سحقا أي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أياماتهم وشمالهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (بمافي) يعني من الأعمال السيئة (ويقولون) يعني اذا رأوها (يا ويلتنا) أي باهلا كنا وكل من وقع فيهلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (الأحصاها) أي عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التيسر والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبيرة الصغيرة اللمم واللمس والقبلة

زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقت الانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة (ووضع الكتاب) أي صحف الأعمال (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (بمافي) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) أي لا يترك شيئا من المعاصي (الأحصاها) حصرها وضبطها

والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فاما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فناء هذا يعود وجاء هذا يعود فاضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لو بقات الحنير الكشي الصغير التافع وقوله لم يبقات أي مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوب بامنتاني كتابهم (ولا يظلم بك أحد) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤخذ أحد بالجرم لم يعمل به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان خدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فتأخذ بيمينه وأخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقدر رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى عليه السلام قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا) أي واذا ذكرنا محمد صلى الله عليه وآله قلنا) للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الأنس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك أن قر يشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على أن الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لأن الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستنارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله أفتخذونه وذريته قائمت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء أنه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذا قال إبراهيم لأبيه وقومه انني برأء مما تعبدون إلا الذي فطرنى وقال تعالى لا يستمعون فيها الغوا الأسلاما قيل أنه كان من الملائكة فلما خالف الأمر مسخ وغيره وطردوا عن الجنة وقوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعة ربه (أفتخذونه) يعني يأنى آدم أفتخذون إبليس (وذريته أولياء من دونه وهم لكم عدو) يعني أعداء روى مجاهد عن الشعبي قال انى لقاعد يوم ماذا قبل رجل فقال أخبرني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتخذونه وذريته أولياء من دونه فعلت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد بسو آدم وقيل أنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتتعلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية إبليس لا قيس وولطان وهو صاحب الطهارة والصلاة والحقاف ومردة وبه يكنى وزلبور وهو صاحب الأسواق يزبن اللغو والخلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصاب يزبن خش الوجوه واطم الخدود ووشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينقش في أحليل الرجل وعجيزة المرأة ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه وإذا كل ولم يسلم أكل معه قال الأعمش ر بما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم قرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصتهم ثم أذكروا قول داسم داسم أعوذ بالله منه روى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للو ضوء شيطانا يقال له الوطيان فاتقوا وساوس الماء أخرجه الترمذي (م) عن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتقل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهب الله عني شيطان (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم

(ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف عتيدوا أجزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذبه بغير جرم (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية أو سجود انقياد (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) وهو مستأنف كان قائلا قال ما له لم يسجد فقبل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) خرج عما أمره ربه به من السجود وهو دأبل على أنه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) اطمرة للأنكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دونه) وتقبلونهم بي ومن ذريته لاقيص موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبقصر صاحب المصاب ومطوس صاحب الأراجيف وداسم يدخل ويأكل كل مع من لم يسم الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء

(بش للظالمين بدلا) بش البذل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعة الله (ما شهدتهم) أي ابليس وذريته (خلق السموات والارض) يعني انكم اتخذتموهم شركاء في العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما شهدتهم خلق السموات والارض لا اعتضد بهم في خلقها أو أشاورهم فيه أي تفردت بخلق الاشياء فأفردوني في العبادة (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذهم عضدا) أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا في الخلق فالكتم تتخذونهم شركاء في العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائي الذين زعمتم) (٢١٥) أنهم فيكم شركائي ليمنموكم من

عذابي وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم تو بينخالهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) وجعلنا بينهم موبقا مهلكا من وبق يبق وبوقا اذا هلك أو مصدرا كالموعد أي وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا أو الملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (ورأي المجرمون النار فظنوا) (أنهم واقعوها) (ولم يجدوا عنها مصرفا) (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ليتذكروا ويتعظوا (وكان الانسان أكرث شي جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجداله في القرآن وقيل أراثة أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب خذه بيده وكان الانسان أكرث شي جدلا قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلو لم يقدموا على الايمان والاستغفار (الأن تأتيهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة وقيل فجأة قوله سبحانه وتعالى (وما ترسل المرسلين الا مبشرين) أي بالثواب على الطاعة (ومندرين) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسول ما أتمم الا بشر مثلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) أي ليبطلوا (به)

منه منزلة أعظمهم فتنة يحيى أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ ثم يحيى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه وقوله (بش للظالمين بدلا) يعني بش ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته قوله سبحانه وتعالى (ما شهدتهم) أي ما أحضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) والمعنى ما شهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين) يعني الشياطين الذين يضلون الناس (عضدا) يعني أنصارا وأعوانا قوله عز وجل (ويوم يقول نادوا) يعني يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائي) يعني الاصنام (الذين زعمتم) يعني أنهم شركائي (فدعوهم) أي فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعني بين الاصنام وعبيدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (موبقا) يعني مهلكا قال ابن عباس هو واد في النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافته حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك (ورأي المجرمون) أي المشركون (النار فظنوا) أي أيقنوا (أنهم واقعوها) أي داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا) أي بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ليتذكروا ويتعظوا (وكان الانسان أكرث شي جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجداله في القرآن وقيل أراثة أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب خذه بيده وكان الانسان أكرث شي جدلا قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلو لم يقدموا على الايمان والاستغفار (الأن تأتيهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة وقيل فجأة قوله سبحانه وتعالى (وما ترسل المرسلين الا مبشرين) أي بالثواب على الطاعة (ومندرين) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسول ما أتمم الا بشر مثلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) أي ليبطلوا (به)

جدلا) تميز أي أكثر الاشياء التي يتأني منها الجدل ان فصلتها واحد بعد واحد خصومة وعماراة بالباطل يعني ان جدل الانسان أكثر من جدل كل شيء (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي سببه وهو الكتاب والرسول (ويستغفروا ربهم) (الأن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب) ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما مع الناس الايمان والاستغفار الانتظار أن تأتيهم سنة الاولين وهي الهلاك أو انتظار ان يأتيهم العذاب أي عذاب الآخرة (قبلا) كوفي أي أنواعا جمع قبيل الباقيون قبلا أي عيانا (وما ترسل المرسلين الا مبشرين ومندرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم للرسول ما أتمم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك (ليدحضوا به)

الحق) ليرى بلواو يبطلوا بالجدال النبوة (وانخذوا آياتي) القرآن (وما أنذروا) ما موصولة والراجع من الصلة محذوف أي وما أنذروه من العقاب أو مصدر به أي وانذارهم (هزوا) موضع استهزاء يسكون الزاى والهمزة حرة وبأبدال الهمزة واوا وحفص وضم الزاى والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها منه كرا في قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتدكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسى ما قدمت يداه) (٢١٦) عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسى والمحسن لا بد

الحق) ويزيلوه (وانخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) فيه اضمار يعني انخذوا وما أنذروا به وهو القرآن استهزاء قوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر) أي وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسى ما قدمت يداه) أي ما عمل من المعاصي من قبل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغشية (أن يفقهوه) يريد أن لا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي تفلأوصمما (وان تدعهم) يا محمد (الى الهدى) أي الدين (فلن يهتدوا اذا أبدا) وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون (وربك الغفور) أي البليغ المغفرة (ذو الرحمة) أي الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم) أي يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) يعني البعث والحساب (لن يجدوا من دونه موثلا) أي ملجأ (وتلك القرى) يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا) أي كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أي أجلا لا هلا بهم قوله سبحانه وتعالى (واذ قال موسى لفتهاه) الآيات أكثر العلماء على أن موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميثا من أولاد يوسف بن يعقوب وكان قريشا قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح بدليل أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز بموسى إلا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم بوجوب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فاسم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح أنه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف وهو صاحب موسى وولى عهده بعد وفاته وقيل أنه أخو يوشع وقيل أنه فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاى وفتاى (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوحا البكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أني بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فغضب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لي عبدا يجمع البحر بن هو أعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال نخدمك حوتا فاجعله في مكمل فحينما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فاجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أنيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيلا في البحر سريبا وأمسك الله عن الحوت جريفة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يحبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به فقال له فتاه أرايت اذا رأينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيلا في البحر عجا قال فكان للحوت سر باب لموسى ولفتهاه عجا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقضا آثارهما حتى اتيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى شوب أبيض فسلم عليه

لما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم باهم مطبوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغشية جمع كنان وهو الغطاء (أن يفقهوه) أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) تفلأعن استماع الحق وجمع بعد الافراد جملا على لفظ من ومعناه (وان تدعهم) يا محمد (الى الهدى) الى الايمان (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (اذا) جزاء وجواب فدل على اتقاء اعتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في اتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم حرصا على اسلامهم فقبل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا (أبدا) مدة التكليف كلها (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعذاب) ي ومن رحمة ترك مؤاخذته

أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موثلا) موسى منجاولا ملجأ يقال أوأل اذا نجوا وأأل اليه اذا جاء اليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) أولئك القرى نصب باضمار أهلكناهم والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضر بنا لا هلا بهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضر بنا لا هلا مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وفتح الميم وكسر اللام حفص وفتحهما أبو بكر أي لو فت هلا بهم أو هلا بهم والموعود وقت أو مصدر (واذ) واذا كراذ (قال موسى لفتهاه)

هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وياخذ منه العلم (لأبرح) لا زال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما الاولى فلانها كانت حال سفر وأما الثانية فلان قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غايته مضروبة تستدعي ما هي غاية فلا بد ان يكون المعنى لأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام (٢١٧) وهو ملتحق بحرقارس والروم وسمى

خضر لانه أينما يصل بخضر ماحوله (أو أمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط سال ربه أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكركني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضي قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك اعلم قال الذي يتنقى علم الناس الى علمه عسى يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو أعلم مني فدلي عليه قال أعلم منك الخضر قال أين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتاني مكنل فيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا بمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه

موسى فقال الخضر وأني بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه فقال موسى متجددني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمر ا فقال له الخضر فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا بمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكاهم وهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلم يركبا السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالتقدم فقال له موسى قوم حملوا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلهما فقد جثت شيئا أمر ا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسر ا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فيبيناهما بمشيان على الساحل اذا بصرا الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي مائلا فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم أتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجر ا قال هذا فرق بيني وبينك سائيتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برحم الله موسى لو ددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفي رواية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون وورقت القلوب ولى قادر كه رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحدا أعلم منك قال لا فغضب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أي رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا ما لحاقه حيث يفقد الحوت زادني رواية وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فحرك وانسل من المكنل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير قوله سبحانه وتعالى (لأبرح) أي لا زال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) قيل أراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية (أو أمضى حقبا) يعني أو أسير دهرًا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبرا وسمكة مألحة في المكنل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى اتيا الصخرة التي عند مجمع البحرين وعند هاهنا عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيئا الا حي فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكنل وهاجت ودخلت في البحر (فلما بلغا) يعني موسى وفتاه (مجمع بينهما) أي بين البحرين (نسيا) أي تركا (حوتهما) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما أضاف النسيان اليهما لانهما تزودا لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيان حوتهما أي نسيا كيفية

(٢٨ - (خازن) - ثالث) في البحر فتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بشو به فلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فرفقه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أما (فلما بلغا مجمع بينهما) مجمع البحرين (نسيان حوتهما) أي نسي أحدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فاني نسيت الحوت وهو كقوله نسيوا زادهم وانما ينساهم متعهد زاد قيل كان الحوت سمكة مألحة فنزل اليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء

(فأخذ سبيله في البحر) أي اتخذ طريقه من البر إلى البحر (سربا) نصب على المصدر أي سرب فيه سربا يعني دخل فيه واستقر به (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ماشاء الله (قال) موسى (لفقاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبوا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال) أرايت إذا رأينا إلى (الصخرة) هي موضع الموعد (فأني نسيت الخوت) ثم اعتذر فقال (٢١٨)

(وما أنسانيه) وبضم الهاء حفص (الال شيطان) بالقاء الخواطر في القلب (أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره الال شيطان (واتخذ سبيله في البحر عجا) وهو أن أثره بقي إلى حيث صار (قال) ذلك ما كنا نبغ نطلب وبالباء مكي وافقه أبو عمرو وعلى ومدي في الوصول وبغير ياء فيهما غيرهما اتباعا الخط المصحف وذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأن ذهاب الخوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتدا على آثارهما) فرجعا في الطريق الذي جا آفیه (قصصا) يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الأثر (فوجدنا عبدا من عبادنا) أي الخضر راقدًا تحت ثوب أو جالسًا في البحر (آتيناه رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة أو العلم أو طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعني الأخبار بالغيوب وقيل العلم اللادني

الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) أي الخوت (سبيله في البحر سربا) أي مسلكا وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الخوت فصار كوة لم يلتزم فدخل موسى الكوة على أثر الخوت فإذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الخوت لايمس شيئا من البحر إلا يمس حتى صار صخرة وقدروا بينهما الماء انتهى إلى الصخرة وضعا رؤسهما فقاما واضطرب الخوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الخوت جريفة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره فأنطلقا حتى إذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لفقاه آتنا غداءنا) أي طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبوا وشدة وذلك أنه ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الخوت ويرجع في طلبه (قال) يعني يوشع (أرايت إذا رأينا إلى الصخرة) وهي صخرة كانت بالموضع الموعود (فأني نسيت الخوت) أي تركته وفقدته وذلك أن يوشع حين رأى من الخوت ذلك قام ليذكر موسى فيه خبره فنسى أن يخبره فكتبا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الال شيطان أن أذكره) أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الخوت الال شيطان قيل المراد من الشيطان شغل قلب الإنسان بوسوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الفكر لأن ذلك لا يصح إلا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الخوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان للخوت سربا ولموسى ولفقاه عجا وقيل أي شئ أعجب من حوت يؤكل منه دهرًا ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه في قوله عز وجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أي رجعا يقصان الذي جا آمنه ويتبعانه (فوجدنا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ أنه الخضر واسمه بليان ملكا وكنيته أبو العباس قيل كان من بني إسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي به لأنه جلس على فروة بيضاء فأخضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحت خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لأنه كان إذا صلى أخضر ما حوله وروينا أن موسى رأى الخضر مسجيا بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأني بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا وروى عن موسى مسجيا بثوب أي مغطيا بثوب وقوله وأني بأرضك السلام معناه من أين بأرضك التي أنت فيها الآن السلام وروى أنه لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذكر قوله سبحانه وتعالى فوجدنا عبدا من عبادنا (آتيناه رحمة) أي نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أي علم الباطن الهام ما لم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم فإن قلت ظاهر هذه الآيات يدل على أن الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه قلت لا يخفى لو أن يكون الخضر من بني إسرائيل أو من غيرهم فإن كان من بني إسرائيل فهو من أمة موسى ولا جائز أن يكون أحد الأمة أفضل من نبيها أو أعلى شأنه وإن كان من غير بني إسرائيل فقد قال الله تعالى لبني إسرائيل وأني فضلتكم على العالمين أي على عالمي زمانكم (قال له موسى هل أتبعك) معناه جئت لأصحبك وأتبعك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) أي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الأخبار قال الخضر لموسى كفي بالتوراة علما ويني إسرائيل

منفلا

طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعني الأخبار بالغيوب وقيل العلم اللادني

ما حصل للعبد بطريق الإلهام (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أي علما أدارشد أرشد به في ديني رشدا أبو عمرو وهما العنان كالبطل والبخل وفيه دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه

(قال انك لن تستطيع معي) وافتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه السورة (صبرا) أي عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) تميزني استطاعة الصبر معي على وجه التأكيذ وعلى ذلك بأنه يتولى أموري في ظاهرها هذا كبر والرجل الصالح لا يتالك أن لا يخرج إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيا (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولأعصى لك أمرا) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص وهو عطف على ستجدني ولا محل له (قال فان اتبعني فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي وبسكون اللام وبتخفيف النون غيرهما (٢١٩) والياء ثابتة فيهما ما جمعا (عن شيء حتى

أحدث لك منه ذكرا) أي من شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا أنه خفي عليك وجه صحته فانكرت في نفسك أن لا تفتحنى بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم أو المتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذا ركباني السفينة خرقتها) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلم اركباها قال أهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى رجوه الانبياء فحملوهما بغير نول فلم الجحوا أخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يمد الخرق بشيابه ثم (قال خرقتها لتغرق أهلها) ليغرق حمزة وعلى من غرق (لقد جئت شيئا مراما) أثبت شيئا عظيما من أمر الامر اذا

شغلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا حينئذ (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معي صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمورا منكورة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي علما (قال) موسى (ستجدني ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر (ولأعصى لك أمرا) أي لا أخالفك فيما تأمرني به (قال فان اتبعني) أي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألني عن شيء) أي مما عمل به مما تنكره ولا تعرض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى أبتدىء بذكره فابين لك شأنه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) أي يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركباها فوجدوا سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمرهم بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن أرى رجوه الانبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول أي بغير عوض ولا عطاء فلما الجحوا في البحر أخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى اذا ركباني السفينة خرقتها قال) يعني موسى له (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا مراما) أي أثبت شيئا عظيما منكرا روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فغشاه بالخرق (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) يعني موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكن من معارض الكلام فكأنه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني) أي لا تغشني (من أمرى عسرا) والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسرها بالاعضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي أمرى (فانطلقا حتى اذا القيا غلاما فقتله) في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فرابعلمان يابعون فاخذ الخضر غلاما ظر يفوضىء الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فقتله بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى انه رضح رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتات نفسا زكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق وياخذ المتاع ويلجأ إلى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفسا زكية) أي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي أذنت ثم تاب

عظم (قال) أي الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) فلما رأى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لا تؤاخذني بما نسيت) بالذي نسيت أو بشئ نسيت أو بنسياني أراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني من أمرى عسرا) رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه أي ولا تغشني عسرا من أمرى وهو اتباعه اياه أي ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاعضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى اذا القيا غلاما فقتله) قيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالقاء وقال خرقتها بغير فاء لان خرقتها جعل جزءا للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وانما خولف بينهما لان خرقت السفينة لم تعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زكية) زكية مجازي وأبو عمرو وهي الطاهرة من

الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنت اولانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتلها وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل (لقد جئت شيئا نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدني وأبو بكر وهو المنكر وقيل المنكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيئا أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالبد ولا يمكن تدارك القتل (٢٢٠) قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زادك هنالان النكر فيه أكثر قال ان

سألتك عن شيء بعدها) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) اعذرت فيما بيني وبينك في الفراق ولدى تخفيف النون مدني وأبو بكر (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هي انطاكية أو الابله وهي أبعد ارض الله من السماء (استطعما أهلها) استضافا (فأبوا أن يضيفوهما) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا أهل قرية ثامنا وقيل شر الترى التي تبخل بالقرى (فوجدافها) في القرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد أن ينقض) يكاد يسقط استعبرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعبراهم والعزم لذلك (فأقامه) بيده أو مسحه بيده فقام واستوى أو نقضه وبناء كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم

(بغير نفس) أي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل (لقد جئت شيئا نكرا) أي منكر اعظما وقيل المنكر أعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئا أنكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالبد وهذا لا سبيل الى تداركه (قال) يعني الخضر (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة تؤكد للتوبيخ فعندهذا (قال) موسى (ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يابني ان الله اذ كرا العهد الذي أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبنى أي فارقني ولا تصاحبنى (قد بلغت من لدنى عذرا) قال ابن عباس أي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بذال محجمة أي حياء واشفاق من الدم واللوم يقال ذمته ذمامة يعني لته ملامته ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل الابله وهي أبعد الارض من السما وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية ثامنا فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروى أنهم اطافوا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة قال أطعمتها امرأة من أهل بربرية بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فعدا النساءهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف الضيف (فوجدافها) جدارا يريد أن ينقض أي يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعيرها النظر كما استعير للجدار الارادة (فأقامه) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد بينيه (قال) يعني موسى (لوشئت لا اتخذت عليه أجرا) يعني على اصلاح الجدار جعلنا والمعنى انك قد علمت أناجياع وان أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجرا (قال) يعني الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك أخذ الاجر هو المفرق بيننا (سأنبئك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبل أن تفارقني فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت عشرة اخوة خمسة زماني وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرونها ويكنسون بها

بجداموا سيفا فلما أقام الجدار لم ينالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لوشئت لا اتخذت عليه أجرا) أي أصليت وفيه على عملك جعل حتى تستدفع به الضرورة لتخدت بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الذال بصرى وبإظهار هامي وبشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الذال حفص وبشديد التاء وفتح الخاء وادغام الذال في التاء غيرهم والتاء في تخذاصل كافي تبع وانخذاف فعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء (قال هذا فراق بيني وبينك) هذه الإشارة الى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرئ به فاضيف المصدر الى الطرف كما يضاف الى المفعول به (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت عشرة اخوة خمسة منهم زماني وخمسة يعملون في البحر

(فأردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) إمامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندي (يأخذ كل سفينة غصبا) أي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وإن كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فإن قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وإنما قدم للعناية (وأما الغلام) وكان اسمه الحسين (فكان أبواه مؤمنين خشيئنا أن يرهبهما طغيانا وكفرا) (٢٢١)

يفشى الوالدين المؤمنين
طغيانا عليهما وكفرا
لنعمتهما بعقوبه وسوء
صنيعه ويلحق بهما شر
وبلاء أو يعديهما بداته
ويضلها بضلاله فيرتدا
بسببه وهو من كلام الخضر
وإنما خشى الخضر منه
ذلك لأنه تعالى أعلم بحاله
وأطلع على سر أمره وإن
كان من قول الله تعالى
فعني خشينا فعلمنا أن
عاش أن يصير سببا لكفر
والديه (فأردنا أن يبدلها
رهبما) يبدلها رهبما
مدني وأبو عمرو (خيرا
منه زكاة) طهارة وتقاء
من الذنوب (وأقرب رجا)
رجة وعطفا وزكاة ورجا
تميز روي أنه ولدت لها
جارية تزوجها نبي فولدت
نبيا وسبعين نبيا وأبدلها
ابنا مؤمنا مثلها رجا
شاميا وهما لفتان (وأما
الجدار فكان لغلامين)
أصرم وصريم (يتيمين
في المدينة) هي القرية
المدكورة (وكان تحته

وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته وإن حال
الفقر في الضرر والحاجة أشد من حال المسكين لأن الله سبحانه وتعالى سباهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون
تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي إمامهم وقيل خلفهم
وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح (يأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة غرقها وعبتها
حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الأزدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي
أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت إذا هي تمر به
أن يدعها لعيها فإذا جاوزوا أصلحوها واتفعوها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين
خشيئنا) أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا
(أن يرهبهما) أي يرهبهما وقيل يكفهما (طغيانا وكفرا) قيل معناه خشينا أن يحملها حبه على أن يتبعاه
على دينه (فأردنا أن يبدلها رهبما) الإبدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه (خيرا منه زكاة) أي صلاحا
وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى أقتلت نفسا زكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة
(وأقرب رجا) أي ويكون المبدل منه أقرب عطفا ورجة بابويه يان يرهبها ويشفق عليهما قيل أبدلها
جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولد سبعين نبيا وقيل
أبدلها بغلام مسلم وقيل أن الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولدوا وخزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه
هلا كهما فلبرض العبد بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما
يحب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل كان اسمهما أصرم وصريم
(وكان تحته كنزهما) روي أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة أخرجه
الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجايب ما أيقن بالموث
كيف يفرح عجايب ما أيقن بالقدر كيف يغضب عجايب ما أيقن بالرزق كيف يتعب عجايب ما أيقن بالحساب
كيف يغفل عجايب ما أيقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن إليها لاله الا الله محمد رسول الله وفي
الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير
وأجرته على يديه والويل كل الويل لمن خلقت له الشر وأجرته على يديه وقيل الكنز إذا أطلق يراد به المال
ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما (وكان أبوهما صالحا) قيل كان
اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أي بهما وقيل كان بينهما وبين الأب صالح سبعة
آباء قال محمد بن المنكدر إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولده ولده وعشيرته وأهل ذوات
حواله فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي
(فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي يدركا ويعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة فإن قلت كيف
قال في الأولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأرد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما

كنز لهما) أي لوح من ذهب مكتوب فيه عجايب ما يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجايب ما يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجايب ما يؤمن بالموث
كيف يفرح وعجايب ما يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجايب ما يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن إليها لاله الا الله محمد رسول الله أو مال
مدفون من ذهب وفضة أو صحف فيها علم والاول أظهر وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحل لنا (وكان
أبوهما) قيل جدهما السابع (صالحا) ممن يصحبني وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما
حفظ الله الغلامين قال بصلاح أي بهما قال فاني وجدني خيرا منه (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي الحلم

(ويستخرجنا كثرهما رجة) مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحهما (من ربك ما وافعلته) وما فعلت رأيت (عن امرى) عن اجتهدى وانما فعلته بامر الله والطاء يعود الى الكل اولى الجدار (ذلك) أى الاجوبة الثلاثة (تاويل مالم تسطع عليه صبرا) حذف التاء تخفيفا وقد زل اقدام اقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جلي حيث قالوا امر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي الخواص ان الخضر نبي وان لم يكن (٢٢٢) كما زعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام على ان اهل الكتاب

يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال ان يكون الولي وليا بايمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي ولا عضة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم مطلوبة وانما ذكر اولافاردت لانه افساد في الظاهر وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه انعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فارادنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فارادنا فاراد الله عز وجل ومثله في القرآن كثير (ويستلونك) أى اليهود على جهة الامتحان أو أبو جهل وأشياعه (عن ذي القرنين) هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قبل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران عمرود وبختنصر وكان بعد عمرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى بهدبه النور من امامه

ذكر العيب اضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح أيهما اضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الابناء وصلاح احوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا الله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى (ويستخرجنا كثرهما) يعني اذا بلغا وعقلا وقويا (رحمة من ربك) أى نعمة من ربك (وما فعلته عن امرى) أى باختياري ورأيت بل فعلته بامر الله والطامه اياي لان تنقيص أموال الناس واراقت دماهم وتغيير احوالهم لا يكون الا بالخص وأمر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن امرى على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي وذلك للانبياء والصالحين انه ولي لله وليس بنبي وأجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن امرى انه الطامه من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الاذني لدفع الضرر الاعلى (ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا) أى لم تطق ان تصبر عليه روى أن موسى عاياه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصني قال لا تطلب العلم لتحديث به واطلب العلم لتعمل به واختلاف العلماء في أن الخضر أحي أم ميت فقيل انه حي وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة والحكايات في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريرة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاواه هو حي عند جواهر العلماء والصالحين والعامه هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيها حتى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى وشكر الله تعالى وأخطأ ذو القرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة رأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبق ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده وقوله عز وجل (ويستلونك عن ذي القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الرومي وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام غفر الدين في تفسيره عن أبي الرحمان السمروري المنجم في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من حير واسمه أبو كرب سمي ابن عير بن بن افر يقبس الحيري وهو الذي افتخر به أحد شعراء حير حيث يقول قد كان ذو القرنين جدي مساما * ملكا علفا في الارض غير مفند * بلغ المشرق والمغرب يشن أسباب ملك من كريم مرشد * فرأى ما أب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثاظة حرمه قوله فرأى ما أب الشمس أى ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب أى حاة والثاظة الحاة أيضا والجمع ناط والحرم الطين الاسود وقيل سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك

ونحو طه الظلمة من وراءه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن فارس كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الابن في طاعة الله فأتى ثم بعته الله فضرب على قرنه الابن فأتى فبعته الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونهم فيحبيه الله تعالى وقال عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف ثرى الدنيا يعني جانيها مشرقها ومغربها وقيل كان له قرنان أي صغيرتان أو اقترض في وقته قرنان من الناس أو لانه ملك الروم وفارس والترك والروم أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أبا أو ما وكان من الروم

(قل سأتلوا عليكم منه) من ذى القرنين (ذ كرا انا مكناله في الارض) جعلناه فيها مكانة واعتلاء (وآتيناه من كل شيء) أراد من اغراضه ومقاصده في ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه (فاتبع سببا) والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أوقدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا فاتبع ثم أتبع كوفي وشامي الباقون يوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعي أتبع لحق واتبع اقتنى وان لم يلحق (حتى اذا بلغ مغرب (٢٢٣) الشمس) أي منتهى العمارة

نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بدء أمره أنه وجد في الكتب ان أحداً ولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين (وجد هاتغرب في عين حجة) ذات حاة من حجت البئر اذا صارت فيها الحاة حامية شامى وكوفي غير حفص بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فأنها تغرب في عين حجة وكان ابن عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حجة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجدد الشمس تغرب قال في ماء وطن كذلك نجد في التوراة فوافق قول ابن

فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقر في الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان توارى بهما العمامة وروى عن علي أنه أمر قومه بتقوى الله فضر به على قرنه الايمن فمات فأحياه الله ثم بعثه الله فأمرهم بتقوى الله فضر به على قرنه الايسر فمات فأحياه الله واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا ويبدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا اذا القرنين وخطاب الله لا يكون الامع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطيف سئل عن ذى القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله فأحبه الله وناصح الله فذاصححه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لاخر ياذا القرنين فقال تسميتهم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتهم باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الا كثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ أقصى المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعدان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القران ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبنى السدود وأنت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهر زورومات بها وحل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويستلونك عن ذى القرنين (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي خبرا يتضمن حاله ﷺ قوله سبحانه وتعالى (انا مكناله في الارض) أي وطأ ناله والتمكن تمهيدا لاسباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلل له طريقها (وآتيناه من كل شيء) مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سببا) أي علما يتب به الى كل ما يريد ويسير به في أقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث أراد وقيل قر بنا له أقطار الارض (فاتبع سببا) أي سلك طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجد هاتغرب في عين حجة) أي ذات حاة وهي الطينة السوداء وقرئ حامية أي حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجد في التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال تجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطن وقيل يجوز أن يكون معنى في عين حجة أي عندها عين حجة أو في رأى العين وذلك انه بلغ موضع من المغرب لم يبق بعده شيء من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كأنها تغيب في البحر (ووجد عندها قوما) أي عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية حريحسا سكنها قوم من نسل نوح الذين آمنوا بالصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب أي تغيب (قلنا اذا القرنين) يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الا الهام وقيل محقل أن يكون الخطاب على لسان غيره (أما أن تعذب) يعني تقتل من لم يدخل في الاسلام (وأما أن تتخذ فيهم حسنا) يعني تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين

عباس رضى الله عنهما ولا تنافي في جاز أن تكون العين جامعة لا وصفين جميعا (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم مالط البحر وكانوا كفارا (قلنا اذا القرنين) أما أن تعذب وأما أن تتخذ فيهم حسنا ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا والافقد أوحى الى نبي فامر به النبي به أو كان الها ما خير بين أن يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا بكرامهم وتعليم الشرائع ان آمنوا أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان (قال) ذو القرنين

(أما من ظلم فسوف نعذبه) بالقتل (ثم رد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا) في القيامة يعني إمام من دعوته إلى الإسلام فإني إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المذهب في الدارين (وأما من آمن وعمل صالحا) أي عمل ما يقتضيه الإيمان (فله جزاء الحسنى) فله جزاء الفعل الحسن الذي هي كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفي غير أي بكر أي فله الفعلة الحسنى جزاء (وستقول له من أمرنا يسرا) أي ذابسر أي لا تأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) (٢٢٤) من دون الشمس (سرا) أي ابنية عن كبر أرضهم لا تمسك الابنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها

الأميرين (قال أما من ظلم) أي كفر (فسوف نعذبه) أي تقتله (ثم رد إلى ربه) أي في الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أي منكر أي يعني بالنار لأنها أنكر من القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أي جزاء أعماله الصالحة (وستقول له من أمرنا يسرا) أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا (ثم أتبع سببا) أي سلك طريقا ومنازل (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سرا) قيل أنهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فإذا اطلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض فإذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم وحروثهم وقيل أنهم كانوا إذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا قروا كالبهايم وقيل هم قوم عمارة يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى وقيل أنهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقسيا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج قوله سبحانه وتعالى (كذلك) أي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الأصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أي علمنا بما عنده ومن معه من الجن والعدو وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ما كذاه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره قوله عز وجل (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين) هما هاجيلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك حكى أن الواثق بعث بعض من يتق به من أتباعه إليه ليأمنوه فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن حديد مشدود بالحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) أي إمام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا إذا القرنين) فإن قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون قلت تكلم عنهم مترجم عن مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا لا يجهدون ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الخرس (ان يأجوج ومأجوج) أصلهما من أجج النار وهو موضوعها وشررها شبهوا به لكثرة شدة شدة وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل إن طائفة منهم خرجت تغير ف ضرب ذو القرنين السيف فبواخارجه فسموا الترك لذلك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والحجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والتوبة ويافث أبو الترك والخرز والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشر أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا أن يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حل السلاح وهم من ولد آدم يسبغون إلى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرض شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع السدين وسد امكي وأبو عمرو وحفص السدين وسد اجزة وعلى وبضمهما غيرهم قيل ما كان سدودا خلقه فهو مضموم وما كان

وهؤلاء من عمل العباد فهو مفتوح واتصّب بين على أنه مفعول به لبلغ كما أنجر بالإضافة في هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في لقد تقطع بينك لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفها وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق (وجد من دونهما) من ورأتهما (قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) أي لا يكادون يفهمونه لا يجهدون ومشقة من إشارة ونحوها يفقهون جزاء وعلى أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة (قالوا إذا القرنين ان يأجوج ومأجوج) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهما معاصم فقط وهما من ويافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل والديلم

(مفسدون في الارض) قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا كاه ولا يابس الا احتملوه ولا يموت أحد منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد دخل السلاح وقيل هم (٢٢٥) على صنفين طوال مفروط والطول وقصار

مفروط والقصر (فهل نجعل لك خراجا) خراجا حمزة وعلى أي جعل انخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (على أن نجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكني) بالاغام وبفكمه مكي (فيه ربي خير) أي ما جعلني فيه مكيانا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه (فاعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (أجعل بينكم وبينهم ردمًا) جدارا وحاجزا حصينا موثقًا والردم أكبر من السد (آتوني زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المناfix حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاخترط والتصق بعضه ببعض وصار جلدًا صلبًا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ ٢ قوله احتمل كذا بالنسخ التي بايد بنا وتفسير الخطيب

وهو لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفتش أحدهم أذنه ويلتصق بالآخر لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا كاه ومن مات منهم كاه مقدمتهم بالشام وساقطهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفروط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم ٢ احتمل ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء ياجوج وماجوج فهم متصلون بنا من جهة الابدون الام وذكروهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له اني باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والآخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال لها هاو يل والآخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاو يل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فقال ذا القرنين باي قوة أكابدهم وباي جمع أكابدهم وباي لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى اني سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهوانك شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى فكابدهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته ففهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فخدم من أهل المغرب جندًا عظيمًا وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاو يل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جندًا عظيمًا ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى تاو يل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمدا الى الامم التي في وسط الارض فلما كان فيما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمة سالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع وياكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك أنهم يملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خراجا على أن نجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكني فيه ربي خير وقال أعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع مناظهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم هلب شعر يوارى أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد والكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفتش احدهما ويلتصق بالآخرى يصيف في واحدة ويشتي في واحدة يتسافدون تسافدا البهائم حيث التقوا فلما عاين ذا القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقياس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج (مفسدون في الارض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر الا كاه ولا يابس الا احتملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا ياكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خراجا) أي جعلوا أجرا من الاموال (على أن نجعل بيننا وبينهم سدا) أي حاجزا فلا يصلون اليها (قال) لهم ذا القرنين (مامكني فيه ربي خير) أي ما قواني به ربي خير من جعلكم (فاعينوني بقوة) يعني لا اريد منكم المال بل أعينوني بأيد انكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردمًا) أي سدا قالوا وماتلك القوة قال فعدلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وماتلك الآلة قال (آتوني) أي اعطوني ٢ وقيل جيؤني (زبر الحديد) أي قطع الحديد فأتوه بها وبالخطب فجعل الخطب على الحديد والحديد

(٢٩ - (خازن) - ثالث) ويرده ما احتملني قط اللهم الآن يكون المراد أنه سال فيه في نومه لامتلاء وعائه اه مصحح

٢ قوله وقيل جيؤني ظاهره انه تفسير لا توني مقطوع الهمزة ولا يصح انما يصح اذا كان تفسير لا توني بموصولة فلي تأمل اه

(حتى اذا سوي بين الصدفين) بفتحين جانبي الجبلين لانهما يتصادقان أي يتقابلان الصدفين مكي وبصري وشامي الصدفين أبو بكر
(قال انفخوا) أي قال ذوالقرنين للعملة انفخوا في الحديد (حتى اذا جعله) أي المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتوني)
أعطوني (أفرغ) أصب (عليه قطرا) نحاسا مذابا لأنه يقطر وهو منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا الخذف الاول لدلالة
الثاني عليه قال آتوني بوصل (٢٢٦) الالف حزة واذا الباء سر الالف أي جيؤني (فاسطاعوا) بحذف التاء للنخفة لان التاء

على الحطب (حتى اذا سوي بين الصدفين) أي بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) يعني في
النار (حتى اذا جعله نارا) أي صار نارا (قال آتوني أفرغ عليه) أي أصب عليه (قطرا) أي نحاسا مذابا
فجعلت النار تاكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس فسيل ان السد كالبرد الحبر
طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا
السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا انفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها
والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكانه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين
حتى تمكنوا من العمل فيه (فاسطاعوا أن يظهره) أي بعلا عليه لعلمه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا)
أي من أسفل له شدته وصلابته (قال) يعني ذوالقرنين (هذا) أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي
(فاذا جاء وعد ربي) قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) أي أرضا ملساء وقيل مدكوكا
مستويا مع الارض (وكان وعد ربي حقا) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتح اليوم من رجمياجوج وما جوج مثل هذه وعقديده تسعين قوله وعقديده تسعين هو من
موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا تبين
لها الاخلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يخفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه
قال بعضهم ارجعوا فاستخفرونه غدا قال فيعيده الله كاشدما كان حتى اذا باغوا مدينتهم وأراد الله تعالى أن
يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فاستخفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه
على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتقر منهم الناس وفي رواية تحصن
الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع محضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلمنا
من في السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغافا فيرقاهم فيهلكون فوالذي نفس محمد بيده ان
دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكرا أخرجه الترمذي وقوله قسوة وعتوا أي غلظة وفظاظة
ونكبرا والتغف دود يكون في أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكري اذا امتلأت
ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ايحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يا جوج وما جوج قوله عز وجل (وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يا جوج وما جوج يموج أن يدخل بعضهم في بعض
كموج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض
لكثرتهم ويختلط انهم يحترقون حيارى (ونفخ في الصور) فيه دليل على ان خروج يا جوج وما جوج من
علامات قرب الساعة (جمعناهم جمعا) أي في صعيد واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين
عرضا) إيشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء وستر (عن ذكرى) أي عن الايمان
والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع قبول

قريبة المخرج من الطاء
(أن يظهره) أن بعلاوا
السد وما استطاعوا له
نقبا) أي لا حيلة لهم فيه
من صعود لارتفاعه ولا
نقب لصلابته (قال هذا
رحمة من ربي) أي هذا
السد نعمة من الله ورحمة
على عباده أو هذا الاقدار
والتمكين من تسويته
(فاذا جاء وعد ربي)
دنى مجيء يوم القيامة
وشارف أن يأتي (جعله)
أي السد (دكاء) أي مدكوكا
مبسوطا مسويا بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع
فقد اندك دكاء كوفي أي
أرضا مستوية (وكان
وعد ربي حقا) آخر قول
ذو القرنين (وتركنا)
وجعلنا (بعضهم) بعض
الخلق (يومئذ يموج) يختلط
(في بعض) أي يضطربون
ويختلطون انهم وجرهم
حيارى ويموجون أن يكون
الضمير يا جوج وما جوج
وانهم يموجون حين
يخرجون عما وراء السد
مزدحمين في البلاد دورى

انهم يأتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدر
أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغافا في أفضائهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (جمعناهم)
أي جمع الخلق للشواب والعقاب (جمعا) تأكيد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرنا هالهم فرأوا وشاهدوها (الذين كانت
أعينهم في غطاء عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها أو عن القرآن فازكره بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لا يستطيعون
سمعا) أي وكانوا صامعا عنه الا أنه أبلغ اذا الصم قد يستطيع

سمع اذا صيغ به وهؤلاء كانهم اُصميت اُسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أخشب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي أفطن الكفار اتخذهم عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بشئ ما ظنوا وقيل ان بصلتها سد مسد مفعولي أخشب عبادي أولياء مفعولا أن يتخذوا وهذا أوجه يعني انهم لا يكونون (٢٢٧) لهم أولياء (انا أعتدنا جهنم للكافرين

نزلا) هو ما يقام للنزول وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب (قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا) أعمالا تميزوا بما جمع والقياس أن يكون مفردا تنوع الالهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو في محل الرفع أي هم الذين (في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولغائه فبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هي عطف بيان لجزاؤهم (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أي جزاؤهم جنات الفردوس نزلا (خالدین فيها) حال (لا يبغون عنها حولا) تحولا إلى غير ما رصا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولا أي لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم

للإيمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعو من رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة عداوتهم له ﴿قوله تعالى﴾ (أخشب) أي أفطن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) يعني أن يباير يد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أفطن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء واني لا أغضب لنفسي فلا أعاقبهم وقيل معناه أفطنوا انه ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء (انا أعتدنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أي منزل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف ﴿قوله تعالى﴾ (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا دونوا لافئالوا هلا كانوا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حوراء يعني الخوارج (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أي عملائهم وصفهم فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولغائه) يعني أنهم مجمدون لا تزل توحيدة وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء (فبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا تقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال أبو سعيد الخدري يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدريهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) يعني سخرية واستهزاء بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألت الله فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار أهل الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها قيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاغاب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت ضررو بامن النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهب للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا (خالدین فيها لا يبغون) أي لا يطلبون (عنها حولا) أي تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار أخرى ﴿قوله تعالى﴾ (قل لو كان البحر ممدادا لكانت كلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم اننا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتهم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما أوتيتهم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى قل لو كان البحر ممدادا لكانت كلمات ربي أي ما يستقده الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر ممدادا

يأجمع لا غرضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامع مائل الطرف الى أرفع منه والمراد نبي التحول تأ كيد الخلود (قل لو كان البحر) أي ماء البحر (ممدادا لكانت كلمات ربي) قال أبو عبيدة المدا ما يكتب به أي لو كتب كلمات علم الله بحكمته وكان البحر ممدادا لها والمراد بالبحر الجنس

(لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا مثله) بمثل البحر (مددا) لنفذ أيضا والكلمات غير نافذة ومددنا غير نحول مثل رجل
والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ينفذ جزء وعلى وقيل قال حي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن
وما أوتيتهم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم اله
واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليكن آملا حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القيدوم
عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ (٢٢٨) والرجاء على هذا مجرى على حقيقته (فليعمل عملا صالحا) خالصا

لا يريد به الاوجه ربه ولا
يخطأ به غيره وعن يحيى بن
معاذ هو ما لا يستحي منه
(ولا يشرك بعبادة ربه
أحدا) هو نهى عن الشرك
أو عن الرياء قال صلى الله
عليه وسلم اتقوا الشرك
الا صفر قالوا وما الشرك
الا صفر قال الرياء قال صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة
الكهف فهو معصوم عما ينة
أيام من كل فتنة تكون
فان يخرج الدجال في تلك
الثمانية عصمه الله من
فتنة الدجال ومن قرأ قل
انما أنا بشر مثلكم يوحى
الى آخرها عند مضجعه
كان له نور يتلأأ من
مضجعه الى مكة حشود ذلك
النور ملائكة يصلون عليه
حتى يقوم من مضجعه
وان كان مضجعه بمكة
فتلاها كان له نور يتلأأ
من مضجعه الى البيت المعمور
حشود ذلك النور ملائكة
يصلون عليه ويستغفرون
له حتى يستيقظ

للقلم والدم يكتب قيل والخلائق يكتبون (لنفذ البحر) أى لنفذ ماؤه (قبل أن تنفذ كلمات ربى) أى علمه
وحكمه (ولو جئنا مثله مددا) والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفى ماء البحر ولم تنفذ كلمات
ربى ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرة مداد أو زيادة ﴿ قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم) قال ابن عباس
علم الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم التواضع لثلاثه هي على خلقه فامر به أن يقرأ فيقول أنا آدمى
مثلكم الا أنى خصت بالوحى وأكرمى الله به وهو قوله تعالى (يوحى الى انما الحكم اله واحد) لا شريك له فى
ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤيته ربه (فليعمل عملا صالحا) أى من
حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى
لا يرأى بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه
قيدان أحدهما أن يراد به الله سبحانه وتعالى والثانى أن يكون مبرا من جهات الشرك جميعها (ق) عن
جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الله به ومن يرأى برأى الله به
قوله من سمع سمع الله به أى من عمل عملا مراما للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به
أى أسمع المكره (م) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى
يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه برىء هو
والذى عمله عن سعيد بن أبى فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع
الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه منه فان الله أغنى
الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما
أخاف عليكم الشرك الا صفر قالوا وما الشرك الا صفر قال الرياء (م) عن أبى الدرداء عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله أعلم
بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة مريم عليها السلام﴾

هى مكية وهى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبع مائة كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة حرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن
وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد
والياء من رحيم والعين من عنيم والصاد من صادق وقيل معناه كاف خلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم
عالم بربه صادق فى وعده (ذكر) أى هذا الذى تلو اعليك ذكر (رحمك ربك عبده زكريا) قيل
معناه ذكر ربك عبده ذكر يا رحمته (اذنادى) أى دعا (ربه) فى المحراب (نداء خفيا) أى دعاء سرا من

﴿سورة مريم عليها السلام﴾

مكية وهى ثمان وتسعون

وتسعون آية مدنى وشامى ﴿بسم الرحمن الرحيم﴾ (كهيعص) قال السدى هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قومه
قرأ على ويحيى بكسر الهمزة والياء ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهمزة وفتح الياء وجزء بعكس وغيرهم
بفتحهما (ذكر رحمة ربك) خبرا مبتدأ أى هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة (زكريا) بالقصر جزء وعلى وحفص بدل من عبده (اذ)
ظرف للرحمة (نادى ربه نداء خفيا) دعاء دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب الى الصفا عا وأخفاء لتلايلام على طلب
الولد فى أو ان الكبر لانه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة

(قال رب) هذا تفسير الدعاء وأصله يارب خذ حرف النداء والمضاف اليه اختصارا (اني وهن العظم مني) ضعف وخص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقط قوته ولانه أشد ما فيه وأصله فاذا وهن كان ما وراءه أو هن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييزا في شيبا في رأس الشيب واشتعلت النار اذا تفرقت في التهامها وصارت شعلا فشببه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذ منه كل ما أخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا أتري ان أصل الكلام يارب قد شخت اذا الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدني ففيه عدول عن تصريح الى لكنية فهي أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريق الاجمال والتفصيل وأقوى منه اني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط البدن وأقوى منه اني وهن العظم مني لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي الى أبلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي وأبلغ منه اشتعل رأسي شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لافتادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزن اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا وزان (٢٢٩) اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا

والفرق بين ولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرفت في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيبا لما مر وأبلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم (ولم أكن بدعائك) مصدر مضاف الى المفعول أي بدعائي اياك (رب شقيا) أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا

قومه في جوف الليل وقيل راعي سنة الله في اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سياتان لكن الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل في الاخلاص وقيل أخفاه لثلايلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب اني وهن) أي رقي وضعف (العظم مني) أي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشتعل الرأس) أي ابيض الشعر (شيبا) أي شبط (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخينني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان (واني خفت الموالي من ورائي) أي من بعد موتي والموالي هم بنوالم و قيل العصبه وقيل الكلاله وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أي لا تلد (فهب لي من لدنك وليا) أي أعطني من عندك ولدا مرضيا (برثني ويرث من آل يعقوب) أي وليا اذا ارشاد وقيل أراد به يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والخبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الخبورة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى أن يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويبعد من زكريا وهو نبي من الانبياء أن يشفق على ماله أن يرثه بنوعمه وانما خاف أن يضع بنوعمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما أن شاهد من بني اسرائيل تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لثلايلام وهذا قول ابن عباس (واجعله رب مرضيا) أي براتقيا مرضيا في قوله تعالى (يا زكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يا زكريا (انا نبشرك بغلام) أي بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أي لم يسم أحد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبيها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله

سأله وقال أنا الذي أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الىنا وقت حاجته وقضى حاجته (واني خفت الموالي) هم عصبه اخوته وبنوعمه وكانوا شرار بني اسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدي به في احياء الدين (من ورائي) بعد موتي وبالتقصير وفتح الياء كهداي مكي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعدموته لا يتصور ولكن بعد خوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يلون الامر من ورائي (وكانت امرأتى عاقرا) عقيما لا تلد (فهب لي من لدنك) اختراعا منك بلا سبب لان امرأتى لا تصلح للولادة (وليا) ابنا يلي أمرك بعدى (برثني ويرث) برفعهما صفة لوليا أي هب لي ولدا وارثا مني العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثته النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يراد ان نفس النبوة تورث ويحزمهما أبو عمر وروى على انه جواب للدعاء يقال ورثته ورثت منه (من آل يعقوب) يعقوب بن اسحق (واجعله رب مرضيا) مرضيا ترضاه أو راضيا عنك وتحكمك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) نولي الله تسميته تشرى فانه نبشرك بالتخفيف حزة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد يحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهيم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به

(قال رب أنى كيف (يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون أبو هب له وهو وامرأته بتلك الحال ام يحولان شابين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بلغت عتيا وهو اليأس والجساة فى المفاصل والعظام كالعمود اليأس من أجل الكبر والطمع فى السن العالية عتيا وصليا وجنيا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الا فى بكيا (قال كذلك) السكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتداء (قال ربك) أو نصب يقال وذلك اشارة الى مبهم بفسره (هو على هين) أى خلق يحيى من كبيرين سهل (وقد خلقتك (٢٣٠) من قبل) أو جلدتك من قبل يحيى خنتناك حمزة وعلى (ولم نك شيئا) لان

المعذوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها جيل امرأتى (قال آيتك أن لانكلم الناس ثلاث ليال سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الاعضاء واللسان يعنى علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح مابك خرس ولا يكلم ودل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن اذ ذكر الايام يتناول ما بارأها من الليالى وكذا ذكر الليالى يتناول ما بارأها من الايام عرفا (فخرج على قومه من المحراب) من موضع صلته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فآوحى اليهم) أشار باصبعه (أن سجعوا) صلوا وان هى المفطرة (بكرة وعشيا) صلاة الفجر والعصر (يا يحيى) أى وهبنا له يحيى

ولم يهمهم بمصيبة قط وقال ابن عباس لم تلد العواقير مثله ولد اقليل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها يحيى وانما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام) وكانت امرأتى عاقرا (أى وامرأتى عاقرا) (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يأسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى يسير (وقد خلقتك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم نك شيئا قال رب اجعل لى آية) أى دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) أى علامتك (أن لانكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى صحبنا سليمان وغير ما يأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول أصح قيل انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله انطلق لسانه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فخرج على قومه من المحراب) أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا متغير اللون فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فآوحى) أى فأوحى وأشار (اليهم) وقيل كتب لهم فى الارض (أن سجعوا) أى صلوا الله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فامرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا يحيى) فيه اضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى (خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلت لان أصل النبوة مبنى على خرق العادات اذ اثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) أى رحمة من عندنا قال الخطيبه يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نحن على هداك المليك ه فان لكل مقام مقالا

أى نرحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا ونحننا على العباد ليدعوههم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاصه (وكان تقيا) أى ماسما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهمهم بها قط (وبرا بوالديه) أى بار الطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) قيل هو أبلغ من العاصي والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال

وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صبيا) حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما لعب خلقنا (وحنانا) شفقة ورحمة لا يوبيه وغيرهما عطف على الحكم (من لدنا) من عندنا (وزكاة) أى طهارة وصلا حاقم يعمد بذب (وكان تقيا) مخلصا مطيعا (وبرا بوالديه) وباراهما لا يعصيهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) أمان من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتلى القبر (ويوم يبعث حيا) من الفرع الا كبر قال ابن عينة انها أوحى المواطن

(واذ كر) يا محمد (في الكتاب) القرآن (مريم) أي اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم ليقتفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها (اذ) بدل من مريم دل اشتغال اذ الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود يدكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أي اعتزلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أي تحت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقه لا تغتسل من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه (فارسلنا إليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمي روحا لان الدين يحيا به وبوحيه (فتمثل لها بشرا) أي فتمثل لها جبريل في صورة آدمي شاب أمر د رضى الوجه جعل الشعر (سويا) مستوى الخلق وانما مثل لها في صورة (٢٣١) الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بد لها في صورة الملائكة

انفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أي ان كان يرجى منك ان تتقي الله فاني عاندة به منك (قال) جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك) أمنها ما خافت وأخبر أنه ليس بآدمي بل هو رسول من استعادت به (لا هب لك) باذن الله تعالى أولا كون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع ليهب لك أي الله أبو عمرو ونافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب وأتاميا على الخير والبركة (قالت أني) كيف (يكون لي غلام) ابن (ولم يمسني بشر) زوج بالنكاح (ولم أك بغيا) فاجرة تبغى الرجال أي تطلب الشهوة من أي رجل كان ولا يكون الولد عادة الامن أحد هذين والبغى فعول عند المبرد بغوى

سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أو حش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهد هم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى بحجي في هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها ﴿قوله عز وجل﴾ (واذ كر في الكتاب) أي في القرآن (مريم اذ انتبذت) أي تنصت واعتزلت (من أهلها) أي من قومها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديدا البرد فحاست في مشرقه تغلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) أي فضرت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس أي ستر أو قيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فينماهي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمر د رضى الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فارسلنا إليها روحنا) يعني جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أي سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيئا وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بد لها في صورة الملائكة لانفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحلت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرت به من بعيد (قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أي مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها ورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغي أن تكون تقواك مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك لا هب) أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أنى يكون لي) أي من أين يكون لي (غلام ولم يمسني بشر) أي ولم يقر بني زوج (ولم أك بغيا) أي فاجرة تريد أن الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) أي هكذا قال ربك (هو على هين) أي خلق ولدك بلا أب (وانجعله آية للناس) أي علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) أي ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرا مقضيا) أي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل ﴿قوله عز وجل﴾ (فتمثل له) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحلت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كمها وقيل في ذياها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحلت بعيسى عليه السلام في

قلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كالم تلحق في امرأة صبور وشكور وعنده غيره هي فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب (قال) جبريل (كذلك) أي الامر كما قالت لم يمسك رجل نكاحا أو سفاحا (قال ربك هو على هين) أي اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك وهو معطوف على تعليل مضر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أي عبرة وبرهاننا على قدرتنا (ورحمة منا) أي ان آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرا مقضيا) مقدرا مسطورا في اللوح فاما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فتملته) أي الموهوب وكان سنه ثلاث عشرة سنة أو عشر أو عشرين

(فانبتت به) اعترلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حلتته نبذة وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل حلتته في ساعة ووضعت في ساعة (مكناقصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللامة (فاجاءها) جاء بها وقيل ألجأها وهو منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الاجاء الا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءني زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعرفها مشعر بانها (٢٣٢) كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها الى

النخلة ليطلعها منها الرطب لانه خرسه النساء أي طعامها ثم (قالت) جزعا مما أصابها (ياليتني مت قبل هذا) اليوم مدني وكوفي غير أبي بكر وغيرهم بالضم يقال مات بموت ومات يمات (وكنت نسيا منسيا) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناها واحد وهو الشيء الذي حقه أن يطرح وينسى لحقارته (فناداها من تحتها) أي الذي تحتها فن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان مكان منخفض عنها وعيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضممر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والهاء في تحتها للنخلة ولشدة ما لقيت سليت بقوله (أن لا تحزني) لانهم يبالو وحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى أي (قد

الحال) (فانبتت به) أي فلما حلتته نبتت بالحمل وانفردت (مكناقصيا) أي بعيدا من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرار من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حلتته في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لانه لا يعيش من ولد ثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي بمكة جبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحدا شدة عبادة واجتهادا منهما وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا في أمرها كلما أراد أن ينهها ذلك كعبادتها وصلاحها وانها لم تعب عنه واذا أراد أن يبرها رأى مظهر منها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه وقع في نفسي من أمر كشيء وقد حرصت على كتمانها ففعلتني ذلك فرأيت ان أنكم به أشفي صدري فقالت قل قول لا يجيلا قال أخبرني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذرو هل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكرك قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انبائها قال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له ككن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكرو لا أني فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى فانبتت به مكناقصيا قوله عز وجل (فاجاءها المخاض) أي ألجأها وجاءها والمخاض وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت ياليتني مت قبل هذا) تمت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) يعني شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناها انها تمت انهم لم يخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزني) قد جعل ربك تحتك سريا) أي نهر اقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله في الأرض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس جفري فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحت النخلة اليابسة فاورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أي تحت أمرك ان أمرته أن يجري جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سريا أي عيسى وكان عبدا سرا رقيقا (وهزي اليك) أي حركي اليك (بجذع النخلة تساقط عليك

جعل ربك تحتك) بقربك أو تحت أمرك ان أمرته أن يجري جرى وان أمرته أن يقف وقف (سريا) نهرا رطبا صغيرا عند الجهور وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول وعن الحسن سيديا كرميا يعني عيسى عليه السلام وروى أن خالده بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سريا فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الأرض فظهرت عين ماء عذب جفري النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأنبعث ثمرتها فقيل لها (وهزي) حركي (اليك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال أبو علي الباء زائدة أي هزي جذع النخلة (تساقط عليك) بادغام التاء الاولى في الثانية مكى

ومدني وشامو وأبو عمرو وعلى وأبو بكر والاصل تساقط باظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين بفتح وسهل وحاد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط وتسقط ويسقط التاء النخلة والياء للجذع فهذه تسع قراآت (رطباً) تمييزاً ومفعول به على حسب القراءة (جنياً) طر ياء وقالوا النمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للرئيس من العسل (فكلى) من الجنى (واشربى) من السرى (وقرى عيناً) بالولد الرضى وعينا تمييزاً أى طيبى سابعيسى وارفضى عنك ما أخرجك (فاما) أصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما وأدغمت فيها (ترين من البشر) أحد اقولى انى نذرت للرحن (سوما) أى فان رأيت آدمياً سألَكَ عن حالكَ فقولى انى نذرت للرحن صمتاً واما ك (٢٣٣) عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما

يصومون عن الاكل والشرب وقيل صياماً حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخاً فبنا وانما أمرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفها الكلام بما يرى به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفه واجب وما قد عسف به مثل الاعراض ولا أطاق عنانه بمثل العراض وانما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقد سمي الاشارة كلاماً وقولا لأنرى الى قول الشاعر في وصف القور وتكلمت عن أوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أسوغ لها هذا القدر بالتطوق (فلن أكل اليوم انسيا)

رطباً جنياً) قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء أو ان اجتنائه قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للرئيس خير من العسل (فكلى واشربى) أى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر (وقرى عيناً) أى طيبى نفساً وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما برضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر) أحد (فقولى انى نذرت للرحن صوما) أى صمتاً قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقاً ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لأمري من أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لجنه فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الافضل أولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفه واجب (فلن أكل اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم للملائكة ولاتكلم الانس قوله تعالى (فانت به قومها تحمله) قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فكثت فيه أربعين يوماً حتى لمهرت من نقاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا ماء ابشرى فأتى عبد الله ومسيحه لما دخلت على أهلها ومعهما الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فرياً) أى عظيماً منكر أو قيل معناه جئت بامر عجيب بديع (يا أخت هرون) أى يا شقيقة هرون قيل كان رجلاً صالحاً فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفوها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم أتى أربعون القام من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبه قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوا الى انكم تقرأون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يصومون باسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أخاً مريم لا يها وقيل كان من أمثال رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عاونوا هرون أخاً موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتيمى يا أخايم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقاً أعظم الفسق فشهروه به (ما كان أبوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بغيا) أى فية فمن أين هذا الولد (فاشارت اليه) أى أشارت مريم الى عيسى ان كلامه قال ابن مسعود لما لم يكن حاجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً) قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل

(٣٠ - (خازن - ثالث)

آدمياً (فانت به) بعيسى (قومها) بعد ما ظهرت من نقاسها (عمله) حال منها أى أقبلت نحوهم حاملة اياه فلما رأوه معها (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فرياً) بديعاً عجيباً والفرى القطع كأنه يقطع العادة (أخت هرون) وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بنى اسرائيل أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من اعقابه وبينهما ألف سنة وهذا فقال يا أخا همدان أى يا واحد منهم أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوهابه فى الصلاح أو شتموهابه (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) زانيا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) زانية (فاشارت اليه) الى عيسى أن يحجبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لا تحزنى وعيلى بالجواب على وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت اليه غضبوا وتعجبوا (قالوا كيف نكلم من كان) حدث ووجد (فى المهد) يهود (صبياً) حال

(قال اني عبد الله) ولما سكنت بامر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أر بعين ايسلة أو ابن يوم روى انه أشار ببابته وقال بصوت رفيع اني عبد الله وفيه رداتول النصارى (آتاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا) روى عن الحسن انه كان في المهدي نيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه وجد (وجعلني مباركاً أينما كنت) نفاع حيث كنت معناه اللخير (٢٣٤) (وأوصاني) وأمرني (بالصلاة والزكاة) ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر

أو تطهير البدن ويحتمل
وأوصاني بان آمركم للصلاة
والزكاة (مادمت حيا)
نصب على الظرف أي مدة
حياتي (وبرا بوالدتي)
عطفا على مباركاً أي باراً بها
أكرمها وأعظمها (ولم
يجعلني جباراً) متكبراً
(شقياً) عاقاً (والسلام على
يوم ولدت) يوم ظرف
والعامل فيه الخبر وهو على
(وبوم أموت وبوم أبعث
حياً) أي ذلك السلام
الموجه الى يحيى في المواطن
الثلاثة موجه الى ان كان
حرف التعريف للمهدوان
كان للجنس فالمعنى وجنس
السلام على وفيه تعريض
باللعنة على أعداء مريم وابنها
لانه اذا قال وجنس السلام
على فقد عرض بان ضده
عليكم اذ المقام مقام منكرة
وعناد فكان مثله مثل
هذا التعريض (ذلك)
مبتداً (عيسى) خبره
(ابن مريم) نعتاً وخبر ثان
أي ذلك الذي قال اني
كذا وكذا عيسى ابن
مريم لا كما قالت النصارى

فما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع وانكأ على يساره
وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (قال اني عبد الله) قال وهب أنا هاز كريباء عند مناظرتها اليهود فقال
لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أر بعين يوم وقيل بل يوم ولد اني
عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ لها فان قلت ان الذي اشدت اليه الحاجة
في ذلك الوقت نفي التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت
كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعترافه على
نفسه بالعبودية لتحصيل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا
والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى (آتاني
الكتاب وجعلني نبياً) قيل معناه سيجعلني نبياً ويؤتيني الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما
كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم مني كنت نبياً قال كنت نبياً وأدم بين الروح
والجسد وقال الا كثرون انه أوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكامل وعن الحسن انه
ألم التوراة وهو في بطن أمه (وجعلني مباركاً أينما كنت) معناه اني نفاع أينما توجهت وقيل معناه اللخير
أدعو الى الله والى توحيد عبادته وقيل مباركاً على من يتبعني (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني
بهما وكلفني فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم
رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى
أوصاه باداءهما في الحال بل المراد اوصاه باداءهما في الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره
حين انفصل عن أمه بالغاً عاقلاً وهذا القول أظهر في سياق قوله (مادمت حياً) فانه يفيد ان هذا التكليف
متوجه اليه في زمان جميع حياته حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه
(وبرا بوالدتي) أي وجعلني برا بوالدتي (ولم يجعلني جباراً شقياً) أي عاصياً للرب متكبراً على الخلق بل
أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبي لين وأنا صغير في نفسي قال بعض العلماء لا نجد العاق الا جباراً شقياً
وتلا هذه الآية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أي السلامة عند الولادة من
طعن الشيطان (وبوم أموت) أي عند الموت من الشرك (وبوم أبعث حياً) أي من أهوال يوم القيامة
فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم حكى عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها
الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أي ذلك الذي قال اني عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) أي هذا
الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني بذلك عيسى بن مريم كلمة الله
الحق والحق هو الله (الذي فيه يمتثلون) أي يشكون ويختلفون فقاتل يقول هو ابن الله وقاتل
يقول الله وقاتل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه
عنه فقال تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أي ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك

سبحانه

انه اله أو ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق

الله وقيل له كلمة الله لانه ولدته قوله كن بلا واسطة اب وارفعه على انه خير بعد خيرا وخير مبدءاً محذوف أو بدل من عيسى ونصبه شامياً
وعاصم على المراح أو على المصداق رأي أقول قول الحق هو ابن مريم وليس بالله كما يدعون (الذي فيه يمتثلون) يشكون من المربة الشك
أو يختلفون من المراء فقال اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغي له (أن يتخذ من ولد) شيء
عنه كما يدعون

(سبعه نه) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (إذا قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون) بالنصب شامى أى كما قال عيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزلها أن يشبه الحيوان الوالد (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) بالكسر شامى وكوفى على الابتداء وهو من كلام عيسى يعنى كما أناعبد فاعبدوه فاعبدوه ومن فتح عطف على الصلاة أى وأوصافى بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربى وربكم وأعطف بما بعده أى وأن الله ربى وربكم فاعبدوه (هذا) الذى ذكرت (صراط مستقيم) فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً (فاختلف الأحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك ان النصارى اختلفوا فى عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا الى قول ثلاثة (٢٣٥) كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكان

فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبد الله مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم (فويل للذين كفروا) من الأحزاب اذ الواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة ومن شهودهم هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيماً لفضاعة ما شهدوا به فى عيسى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب

(سبحانه إذا قضى أمراً) أى اذا أراد أن يحدث أمراً (فأنما يقول له كن فيكون) أى لا يتعذر عليه اتخاذ على الوجه الذى أراد (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا الخبر عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى وربكم لأرب المخلوقات سواء (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أخبرتكم به ان الله أمرنى به هو الصراط المستقيم الذى يؤدى الى الجنة (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعنى النصارى سمووا أحزاباً لانهم تحزبوا ثلاث فرق فى أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة حين (أسمع بهم وأبصر) أى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبرنا انهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) أى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعنى انهم فى الدنيا فى خطأ بين وفى الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون فى الآخرة فى ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين ﴿قوله تعالى﴾ (وأنذرهم يوم الحسرة) يعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيح عيسى عليه السلام عمل والمحسن هلا زاد فى الاحسان يدل عليه ما روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يموت الاندم قالوا ما ندبه يا رسول الله قال ان كان محسناً دمه أن لا يكون ازداد وان كان مسيئاً ندّم أن لا يكون نزع أخرجه الترمذى قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشئ الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعنى يوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى مناد آخر يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خلود بلاموت ويا أهل النار خلود بلاموت ثم قرأوا نذرهم يوم الحسرة إذا قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد الترمذى فيه فلو أن أحد مات فرحاً مات أهل الجنة ولو أن أحد مات حزناً مات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح الأملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشئ اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بحسم فى صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى ربحى له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جىء بالموت حتى يجعل بين

والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أن أسمعهم وأبصارهم جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صاموا وعميان فى الدنيا قال قتادة ان عموا وصموا عن الحق فى الدنيا فأسمعهم وما أبصرهم باطدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على القاعلية كما كرم بز بدفعناه كرم زيد جدا (لكن الظالمون اليوم) أقيم الظاهر مقام المضر أى لكنهم اليوم فى الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ووضعوا العبادة فى غير موضعها (فى ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر وهو اعتقادهم عيسى الهام معبودا مع ظهور آثار الحدوث فيه اشعارا بان لا ظلم أشد من ظلمهم (وأنذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على ما فات وفى الحديث اذا رأوا منازلهم فى الجنة أن لو آمنوا

(اذ) بدل من يوم الحسرة وظرف للحسرة وهو مصدر (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر القر يقان الى الجنة والنار (وهم في غفلة) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون وهم وهم حالان أي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين (انا نحن نرت الارض ومن عليها) أي متفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك والقضاء واذ كر من لتغليب العقلا (والينابر جمعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أي يردون فيجازون جزاء وفاقا (واذ كر) لقومك (في الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزة نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال والصديق المستقيم في الاحوال فالصديق من أبنية المبالغة وتظيره الضحك والمراد قرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ما هو به (٢٣٦) لانه وهو (اذ قال) وجازان يتعلق اذ بكان أو بصديق نبيا أي كان جامعاً لخاصات الصديقين والانبياء حين

الجنة والنار فيسبح ثم ينادى منادى بأهل الجنة لا موت وبأهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخاري وقوله تعالى (اذ قضى الامر) أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وخرج الموت (وهم في غفلة) أي عما يراد بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون (انا نحن نرت الارض ومن عليها) أي نبت سكان الارض جميعاً ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرتهم (والينابر جمعون) فنجزيهم بأعمالهم وقوله عز وجل (واذ كر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً) أي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقاً وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالأوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبي اتقل من ذكر كونه صديقاً الى ذكر كونه نبياً والنبي العالي في الرتبة بارسال الله اياه وأي رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لا يه) يعني آزر وهو عبد الاصنام (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع) يعني صوتاً (ولا يبصر) ولا ينظر شيئاً (ولا يغني عنك) أي يكفيك (شيئاً) وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح في الاطمية وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا هو (ياأبت اني قد جاءني من العلم) يعني بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعني) أي على ديني (أهدك صراطاً سوياً) أي مستقيماً (ياأبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يزبن لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحمن عصياً) أي عاصياً (ياأبت اني أخاف) أي أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصّر على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقروناً بالتلطف والرفق فان قوله في مقدمة كلامه ياأبت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبهه أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره بالتباعد في الايمان ثم نبهه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في القول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني أخاف (أن يمسك) أي يصيبك (عذاب من الرحمن) أي ان أقت على الكفر (فتكون للشيطان ولياً) أي قريناً في النار وقيل صديقاً له في النار

خاطب أباه بتلك المخاطبات والمخاطبات بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله وانبل عليهم نبأ ابراهيم والافاللة عز وجل هو ذا كره ومورده في تنزيله (لا يه ياأبت) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال ياأبت للتلا جمع بين العوض والمعوض منه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) المفعول فيهما منسى غير منوى ويجوز أن يقدر أي لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً (ولا يغني عنك شيئاً) يحتمل أن يكون شيئاً موضع المصدر أي شيئاً من الاغناء وأن يكون مفعولاً به من قولك أغنى عني وجهك أي بعد (ياأبت اني قد جاءني من العلم)

الوحي أو معرفة الرب (مالم يأتك) مافي ما لا يسمع ومالم يأتك يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعني أهدك) أرشدك وانما (صراطاً سوياً) مستقيماً (ياأبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحمن عصياً) عاصياً (ياأبت اني أخاف) قيل أعلم (أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) قريناً في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى الجمال والرفق والخلق الحسن كما أمر في الحديث أوحى الى ابراهيم أنك خليلي حسن خلقك ولومع الكفارة تدخل مداخل الابرار فطلب منه أولاً العلفي خطئه طاب منبه على تماديهِ موقفاً لا فرطه وتناهيهِ لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوماً عليهم بالنبي فكيف بمن يعبد حجراً أو شجر لا يسمع ذكر عباده ولا يبرها آت عبادته ولا يرفع عنه بلاء ولا يقضي حاجة ثم تبي بدعوته الى الحق مترقباً متلطفاً لم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي شيئاً من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فهب اني وياك في مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعني

أنتجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جيع النعم منه وأوقعك في عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده في الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتذكير المشعر بالتقليل كأنه قال اني أخاف أن يصيبك نقيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جلة أشياعيه وأوليائه كبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدر كل نصيحة بقوله يا ابت توسلا اليه واستعظافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا فتم (قال) آزر تو يبخا (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) أي ترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل يا بني وقدم الخبر على المبتدأ لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لارجنك) لاقتلتك بالرجام أو لاضر بنك بها حتى تتباعدا ولا شتمتك (واهجرني) عطف على محذوف يدل عليه لارجنك تقديره فاحذرنى واهجرني (مليا) ظرف أي زمانا طويلا من الملاوة (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة (٢٣٧) أو تقرب وملاطفة ولذا وعده

بالاستغفار بقوله

(سأستغفر لك ربي)

سأل الله أن يجعلك من أهل

المغفرة بان يهديك للاسلام

(انه كان بي حفيا) ملطفا

بعموم النعم أو رحيا أو مكرما

والحفاوة الرأفة والرحمة

والكرامة (وأعزلكم)

أراد بالاعتزال المهاجرة من

أرض بابل الى الشام

(وما تدعون من دون

الله) أي ما تعبدون من

أصنامكم (وأدعو) واعبد

(ربي) ثم قال تواضعا

وهضما للنفس ومعرضا

بشقاوتهم بدعاء آلهتهم

(عسى أن لا كون بدعاء

ربي شقيا) أي كما شقيتم

أتم بعبادة الاصنام (فلما

اعتزلهم وما يعبدون من

دون الله) فلما اعتزل

وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لامورا أحدها الشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الابوة والرفق به وثانيها أن النبي الهادي الى الحق لا بد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصيحة لكل أحد فالاب أولى (قال) يعني أباه محبب اليه (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) أي أناركها أنت وتارك عبادتها (لئن لم تنته) أي ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك آياها (لارجنك) قال ابن عباس معناه لاضر بنك وقيل لاقتلتك بالحجارة وقيل لا شتمتك وقيل لا بعدنك عني بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرني) أي اجتنبني قال ابن عباس اعزلني سالما لا يصيبك مني معرة (مليا) أي دهر طويلا (قال) يعني ابراهيم (سلام عليك) أي سلمت مني لأصيبك بمكره وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر و لطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربي) قيل انه لما أعياه أمره وعده أن يرجع الله فيه فبأسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربي توبة تنال بها المغفرة (انه كان بي حفيا) أي بر الطيفاء والمراد انه يستجيب اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي (وأعزلكم وما تدعون من دون الله) أي أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة (وادعور بي) أي أعبد ربي الذي خلقتني وأنعم علي عسى أن لا كون بدعاء ربي شقيا) أي أرجو أن لا أشتق بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي ذهب مهاجرا (وهبناله) أي بعد الهجرة (اسحق ويعقوب) أي آسنا وحشتم من فراقهم باولاد كرم على الله من أبيه (وكلا جعلنا نبيا) أي أنعمنا عليهما بالنبوة (وهبناهم من رحمتنا) أي مع ما وهبناهم من النبوة وهبناهم المال والولد وذلك أنه بسطهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلناهم لسان صدق عليا) يعني ثناء حسنا رفيعا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويشنون عليهم قوله عز وجل (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام أي أخلص العباداة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح أي مختار اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس (وناديناه من جانب الطور الايمن) أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر

الكفار ومعبودهم (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أي لما ترك

الكفار الفجار لوجهه عوضه اولاداً مؤمنين أنبياء (وهبناهم من رحمتنا) هي المال والولد (وجعلناهم لسان صدق) ثناء حسنا وهو

الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية (عليا) رفيعا مشهورا (واذكر في الكتاب

موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه الله واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي أخلص هو العباداة لله تعالى فهو مخلص بما له من

السعادة باصل القطرة ومخلص فيما عليه من العباداة بصدق المهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبيء

عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع (وناديناه) دعوناؤه وكلناه ليلة الجمعة (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الايمن)

من اليمين أي من ناحية اليمين والجهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين أقبل من مدين يريد مصر

نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام

(وقر بناء) تقر ب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نجيا) حال اي مناجيا كنديم بمعنى منادم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وثرؤنا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أي ووهبنا له نبوة أخيه والافهرون كان أكبر سامته (واذكر في الكتاب اسمعيل) هو ابن ابراهيم الاصح (انه كان صادقا) (٢٣٨) الوعد) وافيه وعذر جلا أن يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظر سنة في مكانه حتى عاد وبناهيك انه وعد

ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فتودى يا موسى اني أنا الله رب العالمين (وقر بناء) قال ابن عباس قر به وكله ومعنى التقرب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومزاته أي وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أي مناجيا (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي فأجاب الله دعونه وأرسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون أكبر من موسى ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذكر في الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (انه كان صادقا الوعد) قيل انه لم يعد شيئا الا في به وقيل انه وعد رجلا أن يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل النبي عن الرجل يعد ميعادا الى أي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسمعيل بوادي مكة حين خلفها ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أي مخبرا عن الله تعالى (وكان يأمرا أهله) أي قومه وجميع أمته (بالصلاة والزكاة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الخيفة التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ بأهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عنده به مرضيا) أي قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة باعلى الدرجات ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذكر في الكتاب ادريس) هو جد أبي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وليس الخياط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظرفي علم الحساب (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وأزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هي الرفعة بعلى المرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني لحر الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبيدي ادريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فاجبتة قال يا رب فاجع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى أتى ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال اني أخبرتك انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر أجلي لعلي أزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وانا مكممه فرفعه الى السماء ووضعته عند مطالع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له اليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن ان أحببت أعلمته أجله فيقدم نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما أراه

من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد به موعدا الا أنجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشرى يقاله وكانه المشهور من خصاله (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) مخبرا مندرا (وكان يأمرا أهله) أمته لان النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على انه لم يداهن غيره (بالصلاة والزكاة) يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية (وكان عنده به مرضيا) قرئ مرضوا على الاصل (واذكر في الكتاب ادريس) هو اخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الاسباب واحد وهو العالمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة (انه كان صديقا نبيا) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والرفي عند الله وقيل معناه رفعة الملائكة يموت الى السماء الرابعة وقدره النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لاشئ أعلى من الجنة وذلك انه حجب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال ملك الموت أذقني الموت بهن على ففعل ذلك باذن الله خفي وقال أدخلني النار أزددرهية ففعل ثم قال أدخلني الجنة أزددر عية ثم قال أخرج فقال قد زفت الموت ووردت النار فانا أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذني فعل وباذني دخل فدعه

كان صديقا نبيا) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والرفي عند الله وقيل معناه رفعة الملائكة يموت الى السماء الرابعة وقدره النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لاشئ أعلى من الجنة وذلك انه حجب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال ملك الموت أذقني الموت بهن على ففعل ذلك باذن الله خفي وقال أدخلني النار أزددرهية ففعل ثم قال أدخلني الجنة أزددر عية ثم قال أخرج فقال قد زفت الموت ووردت النار فانا أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذني فعل وباذني دخل فدعه

أولئك) إشارة إلى المذكورين في السورة من ذكره إلى ادريس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من لبيان لان جميع الانبياء
 هم عليهم (من ذرية آدم) من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم (٢٣٩) لقر به منه لانه جد ابي نوح

(ومن حملنا مع نوح)

ابراهيم من ذرية من

حمل مع نوح لانه ولد سام

ابن نوح (ومن ذرية

ابراهيم) اسميعيل واسحق

ويعقوب (واسرائيل)

أي ومن ذرية اسرائيل

أي يعقوب وهم موسى

وهرون وزكريا ويحيى

وعيسى لان مريم من

ذريته (ومن) بحتمل

العطف على من الاولى

والثانية (هدين) لمحسن

الاسلام (واجتينا) من

الانام أو لشرح الشريعة

وكشف الحقيقة (اذ اتلى

عليهم آيات الرحمن) أي اذا

تليت عليهم كتب الله المنزل

وهو كلام مستأنف ان

جعلت الذين خبروا أولئك

وان جعلته صفة له كان

خبرا يتلى بالياء فتية

لوجود الفاصل مع أن

التأنيث غير حقيقي

(خروا سجدا) سقطوا

على وجوههم ساجدين

رغبة (وبكيا) باكين

رهبة جمع بك كسجود

وقعود في جمع ساجد

وقاعد في الحديث اتلوا

القرآن وابكوا وان لم

تبكوا فتبا كوا وعين

صالح المري قرأت القرآن

على رسول الله صلى الله

عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأتين بالبكاء ويقول في سجودك سورة سبحان ربّي الاعلى ثلاثا (خلف من بعدهم) فجاء من

عدهم لاء المفضلين (خلف) أولاد سوء وفتح اللام العقب الخبر عن ابن عباس هم السوء

لموت أبدا قال وكيف ذلك فقال لأجده يموت الا عند مطلع الشمس قال أتيتك وتركته هناك قال انطلق
 بلا أراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من عمر ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان برفع
 ادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه فحجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك
 لموت فاستأذن ربه في زيارته فاذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت
 فطاره دعاه إلى الطعام فإني أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة إني
 ريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربّي أن أصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال
 قبض روعي فأوحى الله اليه ان قبض روعي فقبض روعي وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما
 لفائدة في سؤالك قبض الروح قال لا ذوق كرب الموت وغمه فاكون أشدا استعدادا له ثم قال له ادريس لي
 ليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني إلى السماء لانظر إليها وإلى الجنة والارفاذن الله له فرفعه فلما قرب
 من النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال أريد أن أسأل مالكا أن يرفع أبوابها فاردّها ففعل قال فكما
 ريتني النار فإني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت
 خرج لتعود إلى مقرك فتعاق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما فقال له الملك
 مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها فانها وردها
 قال وما هم منها بخرجين فاستأخرج فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت باذني دخول الجنة وبأمرى لا
 يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعهنا مكانا غاليا واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت فقال قوم هو
 ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حي واستدل بهذا وقالوا أربعة من الانبياء أحياء اثنان في الارض وهما
 تخضر والياس واثنان في السماء وهما ادريس وعيسى عليه السلام قوله عز وجل (أولئك الذين أنعم الله عليهم من
 النبيين) أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرها ما تقدم وصفه (من
 ذرية آدم) يعني ادريس ونوحا (ومن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد
 ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يعني اسحق واسمعييل ويعقوب (واسرائيل) أي
 من ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم
 رتب الله تعالى أحوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا
 بالنسب ثم قال تعالى (ومن هدينا واجتينا) أي هؤلاء ممن أُرشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا إلى الاسلام
 اجتينا على الانام (اذ اتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع بك أخبر الله تعالى
 ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذ سمعوا آيات الله سجدا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا
 المراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزل عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد
 الوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

(فصل) وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه
 السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان
 قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم
 عليهم الساجدين الباكين لك عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من
 الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك (خلف) قوله تعالى (خلف
 من بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل

عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأتين بالبكاء ويقول في سجودك سورة سبحان ربّي الاعلى ثلاثا (خلف من بعدهم) فجاء من

عدهم لاء المفضلين (خلف) أولاد سوء وفتح اللام العقب الخبر عن ابن عباس هم السوء

(أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من نبي الشد يدور كالمشهور عن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الأمة (فسوف يلقون نيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربوا والعاق وشاهد الزور (الامن تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد إيمانه (فاولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الخاء مكى وبصرى وأبو بكر (ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعون به بل يضاعف لهم أولا يظلمون شيئا من الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس أو نصب على المدح (عدن) معرفة لانها علم لمعنى العدن وهو الإقامة أو علم لارض الجنة لكونها مقام إقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده (٢٤٠) التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو للاختصاص

هم في هذه الأمة (أضاعوا الصلاة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل آخروها عن وقتها وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان أودية جهنم تستعبد من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المد من له ولا كل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره حيث طعمه يسيل فيحاور دما وقيل هو واد في جهنم أبعدا قعرا وأشد حار فيه يترسمي الهم كمالا خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستمر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلا كالأعداء وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية ﴿ قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل صالحا) يعني الامن تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساكنة إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي انهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده مأثيا) أي آثيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأثيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا وخشا وهو فضول الكلام (الاسلاما) يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليما وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشى بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كما تدنهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارتفاع الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق التي يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك ﴿ وقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطي وتنزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباده ﴿ قوله عز وجل (وما ننزل الا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فقلت وما

وهؤلاء أهل الاختصاص (بالغيب) أي وعددها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (انه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (مأثيا) أي هم يأتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) خشا أو كذبا أو مال طائل تحت من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه مداره التي لا تكليف فيها (الاسلاما) أي لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أولا يسمعون فيها الاقولا يسمعون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما

كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الأكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ ليل ولا نهار ثم لانهم في النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارتفاع الحجب وقيل الرزق أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل أراد دوام الرزق كما قولنا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني نمرنها وعاقبتنا وقيل يرون المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكما (من كان تقيا) عن الشريك ٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فقلت وما

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أي له ما قد آمننا وما خلفنا من الأما كن وما نحن فيها فلا تمالك أن تنتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك ومشيئته وهو الحافظ للعالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فإني لنأني تتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أي هورب السموات والأرض ثم قال لرسوله لما عرفت أنه متصف بهذه الصفات (فاعبده) فأنبت على عبادته (واصطبر لعبادته) أي اصبر على مكافأة الخسود لعبادة المعبود واصر على المشاق لأجل عبادة الخلاق أي لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) شيها ومثلا أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق أي إذا صح أن لا معبود توجه إليه العباد للعبادة الا هو وحده لم يكن يد من عبادته والاصطبار على مشاقها فتهافت أبي بن خلف عظما وقال أنبعث بعد ما صرنا كذا فنزل (ويقول الانسان ان اذامت لسوف أخرج حيا) والعامل في اذا ما دل عليه الكلام وهو أبعث أي اذا مات أبعث واتصاه به باخرج ممتنع (٢٤١) لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما

قبلها فلا تقول اليوم لزبد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جاءت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد أيضا فكأنه قال أحقا انا سسخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكورة ومنه جاء إنكارهم (أولايذ كر الانسان) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والساير بتشديد الدال الكاف وأصله يتدكر كقراءة أبي فادغمت التاء

تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذو القرنين فقال أخيركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل واني كنت أشوق اليك ولكنني عيبت ما مور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما تنزل إلا بأمر ربك وأنزل الله تعالى والضحي والليل اذا سجي ما ودعك ربك وما قلى وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل كذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ماضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أي ما بين النفختين وهو مقدر أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ماضى منها وما بين ذلك أي مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) أي ناسيا أي مانسيك ربك وما تركك (رب السموات والأرض وما بينهما) أي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لأنه لا بد أن يدبر أحوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خاق الله لأنه حاصل بين السموات والأرض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) أي اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلاً وقيل هل تعلم أحد اسمي الله غير الله وقوله تعالى (ويقول الانسان) أي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو أبي بن خلف الجحى وكان منكر البعث (ان اذامت لسوف أخرج حيا) قاله استهزاء وتكديبا للبعث قال الله تعالى (أولايذ كر الانسان) أي يتدكر ويتفكر يعني منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً ثم أقسم بنفسه فقال تعالى (فور بك) وفيه تشریف للنبي صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) أي لنجهم منهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أي مع الشياطين وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس

(٣٨ - (خازن) - ثالث) في الدال أي أولايذ كر والواو عطفت لا يذ كر على يقول ووسط همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتدكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود وأما الثانية فليس فيها التأليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (أنا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه (ولم يك شيئا) هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشئ خلافاً للمعتزلة (فور بك لنحشرنهم) أي الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف ويعنى مع ٧ أوقع أي يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووههم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وفي اقسام الله باسمه مضاف الى رسوله تنفخيم لشأن رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) حال جمع جاث أي بارك على الركب ووزنه فعول لان أصله جنود وساجد أي يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم

(ثم لنزاع من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعت غاويها من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو جورا أي لنخرج من كل طائفة من طوائف التي أعتاهم فإذا اجتمعوا طر حناهم في النار على الترتيب تقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم وقيل المراد بأشد عتيا الرؤساء لصاعف جرمهم لكونهم ضللا ومضلين قال سيبويه أيهم مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو من هو أشد حتى لو جى به لا عرّب بالنصب وقيل أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصه فكأن حذف المضاف إليه في من قبل (٢٤٢) يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء وموضعها

نصب بنزع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لنزاع الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ويجوز أن يكون النزاع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لنزاع بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وعلى يتعلق بالفعل أي عتوهم أشد على الرحمن (ثم انحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تميز أي دخولا والباء تتعلق بأولى (وان منكم) أحد (الا واردها) داخلها والمراد النار والورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جهورا أهل السنة لقوله تعالى فأوردتهم النار لقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها ولقوله تعالى ثم تنجي الذين اتقوا إذا النجاة إنما

جماعات وقيل جاتين على الركب اضيق المكان وقيل ان البارك على ركبته صورته كصورة الدليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وتري كل أمة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقاتلات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يبدونهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لنزاع) أي لنخرج من (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جرأة وقيل جورا وتعدا وقيل قائدهم ورئيسهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في ادخال النار الاعنى فالاعنى بمن هو أكبر جرما وأشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الا كفرا لا كفر فكن كان أشد منهم ثم ردا في كفره خص بمذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز تخصيص بشدة العذاب لا تخصيص باصل العذاب فذلك قال في جميعهم (ثم انحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ولا يقال أولى الامع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بدخول النار قوله عز وجل (وان منكم الاواردها) أي وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمرا أي والله ما منكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورد ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والا كثرون معنى الورد ههنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها بدل عليه ما روي ان نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في الورد فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورد الدخول فقرا ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ادخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانما رجوا أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها تكذيبك فن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الا كبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يحمي النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لآبدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لآبدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكان الملاصقة الموكلين بها لا يجدون المها فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذادهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورد الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سبق لهم من الحسن أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسابا فعلى

تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورد الدخول لا يبق برولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك أطفأ طي وقيل الورد بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم ونحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورد الحضور لقوله تعالى ولما وردنا مدبرين وقوله أولئك عنها مبعدون وأجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورد والمرور على الصراط لان الصراط محدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقادف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو من الحى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحى حيا كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لا خرا يقت بالورد قال نعم قال وأيقت بالصدر قال لا قال فقيم الضحك وفيه التناقل

هذا يكون المراد من الورد الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور وقال
عكرمة الآية في الكفار فأنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال وإن منكم إلا وادها
يعني القيامة والكنية راجعة إليها والقول الأول أصح وعليه أهل السنة فأنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج
الله منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون بما
دخلت فيه يدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين
ثلاثة من الولد فتمسه النار الاتحمة القسم وفي رواية فيلج النار الاتحمة القسم أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم
قوله تعالى وإن منكم إلا وادها (م) عن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند
حفصة لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين يبيعون أنفسهم قالت بلى يا رسول الله
فأنتهرها فقالت حفصة وإن منكم إلا وادها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعد نار بنان نرد النار فيقال بلى
ولكنكم مررت بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للؤمن جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي وروى
عن مجاهد في قوله تعالى وإن منكم إلا وادها قال من حم من المسلمين فقد وردوا وفي الخبر الجي كبر من
جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجي من فيج جهنم فأوردوها
بالماء قوله فيج جهنم أي وهجها وحرقها وقوله تعالى (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورود جهنم قضاء
لازما قضاء الله تعالى عليكم وأوجبته (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جميعا
وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم في أن صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في
النار بدليل أن الله بين أن الكل يردونها ثم بين صفة من ينجونها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا
فبقي في النار أبدا وأجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقى الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد له ذلك أن من
آمن بالله ورسوله صح أن يقال أنه متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح أنه متق لأن
المتقي جزء من المتق من الشرك ومن صدق عليه المربك صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق
وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي توهموها
دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث
تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من
النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة
من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من إيمان (ق) عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر
ليس دونه سبحانه قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونه سبحانه قالوا لا يا رسول الله قال
فأنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس
ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتهم الله فيقول أنار بكم
فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا نارنا فاذا جاء بنا عرفناه فيأتهم الله فيقول أنار بكم فيقولون أنت ربنا
فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ إلا
الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان
قالوا نعم قال فأنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من
يؤبق بعمله ومنهم من ينجده ثم ينجو حتى إذا أراد الله رجعة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن
يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود ورحم الله على النار أن تأكل أعضاء

(كان على ربك حتما مقضيا) أي وكان ورودهم واجبا كائنات محتوما والحق مصادره حتم الامر اذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الامير (ثم ننجي) وعلى بالتخفيف (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون (ونذر الظالمين فيها جثيا) فيه دليل على دخول الكل لأنه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لاحاله وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لأن المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد

السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصوب عليهم ماء الحياة فينبتون كما نبت الحبة في حبل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قسيتني ربحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت أن أفعل ذلك بك إن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة رأى نكهتها وبهجتها سكت ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله ليس قد أعطيت المواريث والعهود أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما غدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له ممن فيقضي حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله ممن كذا وكذا أقبل يذكره حتى إذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لا بى هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضي الله تعالى عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول أنار بكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكانا حتى يأتينا ربنا فإذا آتانا عرفناهم فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول أنار بكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيامة وتسكلم ههنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هونبت ذو شوك معقف وهو من أجود مصراحي الابل وقوله فنههم من يوبق بعمله يقال أو بقتة الذنوب أي أهلكته والمنجدل المرمى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كالليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا أي احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجاد وتبدى العظم قوله كما نبت الحبة في حبل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزورات جميعا وحبل السيل هو الزبد وما يليه الماء على شاطئه قوله قسيتني ربحها أي أذاني والقشب السم فكانه قال قد سمنني ربحها قوله وأحرقني ذكاؤها أي اشتعلها وطهرها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى لا علم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا لا رجل يخرج من النار حيا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملائ فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائ فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملائ فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائ فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أنسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي اضراسه وأنيابه وقيل هي آخر الاسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا جمانا ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما نبت الحبة في حبل السيل أخرجه الترمذي اللحم والقمح والحالة كل ما جاء به السيل فدللت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون ﴿ قوله تعالى (واذا تلى عليهم آياتنا بينات) أي دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (الذين

(واذا تلى عليهم آياتنا)
أي القرآن (بينات)
ظاهرات الاعجاز أو حججا
وبراهين حال مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا
اذ آيات الله لا تكون الا
واضحة وحججا (قال الذين
كفروا) أي مشركو
قريش وقد رجعوا شعورهم
وتكفروا في زيمهم (الذين

(أمنوا) للفقراء ورؤسهم شعثة وبياهم خشنة (أي الفريقين) نحن أم أتم (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل (وأحسن نديا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاركة ومعنى الآية أن الله تعالى يقول إذا أنزلنا آية فيها دلالة وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبين لآبائهم أي كثير من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أثانا) هو متاع البيت أو ما جدم من الفرش (ورثيا) منظر أو هيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ور يا غير همزة مشددة نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام أو من الرى الذى هو النعمة (قل من كان في الضلالة) الكفر (فليمد له الرحمن مدا) جواب من لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر أى من كفر مد له الرحمن يعنى أهله وأهلى له فى العمر ليزاد طغيانا وضلالا كقوله تعالى إنما على لهم ليزدادوا ثمنا وإنما أخرج على لفظ الأمر إذا بنا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالماور به الممثل ليقطع معاذير الضلال (حتى إذا رأوا ما يوعدون) هى متصلة بقوله خير مقاما وأحسن نديا وما بينهما اعتراض أى لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعد ورأى عين (أما العذاب) فى الدنيا وهو تعذيب (٢٤٥) المسلمين إياهم بالقتل والأسر (وأما

الساعة) أى القيامة وما ينالهم من الخزي والتكال فهم ابداً لان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أعوانا وانصاراً أى حينئذ يعلمون ان الأمر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا الأخير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجزان متصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة مدود لهم فى ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصره الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى

أمنوا) يعنى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قسافة وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة وكان المشركون يربحون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون آخر ثيابهم (أى الفريقين خير مقاما) أى منزلا ومسكنا وهو موضع الإقامة (وأحسن نديا) أى مجلسا فاجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثانا) أى متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا (ورثيا) أى منظر من الرؤية (قل من كان فى الضلالة فليمد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه وبهله فى كفره (حتى إذا رأوا ما يوعدون أما العذاب) أى الأسر والقتل فى الدنيا (وأما الساعة) يعنى القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أى عند ذلك (من هو شر مكانا) أى منزلا (وأضعف جندا) أى أقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أنهم خير وهم فى النور أم المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قوله عز وجل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى إيماننا وإيقاننا على يقينهم (والباقيات الصالحات) أى الأذى كار والأعمال الصالحة التى تبقى لأصحابها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أى عاقبة ومرجعاً قوله تعالى (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فآتته ألقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفاً فجنته ألقاضاه فقال لأعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا كفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى ما لا أولاد فاقضيك فزلت أفرأيت الذى كفر بآياتنا (وقال لاوتين ما لا أولاد) الى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر فى اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو فى الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد إليه أنه يدخله الجنة

بعدها الجبل ألا ترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمد لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مداً ويمد له الرحمن ويزيد أى يزىد فى ضلال الضال بخلافه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثباتا على الهداء وأيقينا وبصيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يستخر به الكفار (وخير مردا) أى مرجعاً وعاقبة تهكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين ما لا أولاد) و بضم الواو وسكون اللام فى أربعة مواضع ههنا وفى الزخرف ونوح جزء على جمع ولد كاسدى أسداً وبمعنى الولد كالعرب فى العرب ولما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا رأيت فى معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كانه قال أخبراً أيضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لاوتين جواب قسم مضمرة (أطلع الغيب) من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى الى أعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل مخدوفة أى انظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) موثقاً بوثيقته ذلك أو العهد كلمة الشهادة وعن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة المشهور انها فى العاص بن وائل فقد روى ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حلياً فاقضاه الا بر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون

وان في الجنة ذهباً وفضة فانا قضيت ثم فاني اوتي مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع ونفيه على الخطأ هو محط فيما تصوره لنفسه فليردع عنه
 (سنكتب ما يقول) أي قوله والمراد سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
 رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انتسبت لم تاد في لئيمة أي علم وتبين بالانتساب أي لت باين لئيمة (وعنده من العذاب) نزيده من العذاب كما
 يزيد في الافتراء والاجترار من المديقال مده وأمه بمعنى (مدا) كد بالمصدر لفرط غضبه تعالى (ونرثه ما يقول) أي نرثي عنه ما زعم انه يناله
 في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد (ويأتينا فردا) حال أي بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدي عليه نفيه
 ونأليه (واتخذوا من دون الله آلهة) أي اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي ليعتزلوا بالهتهم ويكونوا لهم شفعا
 وأنصارا ينفذونهم من العذاب (كلا) (٢٤٦) ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) الضمير للا آلهة أي سيجمعحدون عبادتهم

ويسكرونها ويقولون
 والله ما عبدتموها وأنتم
 كاذبون أو للمشركين أي
 يسكرون ان يكونوا قد
 عبدوها كقوله والله ربنا
 ما كنا مشركين
 (ويكونون) أي المعبودون
 (عليهم) على المشركين
 (ضدا) خصما لان الله تعالى
 ينطقهم فتقول يا رب عذب
 هؤلاء الذين عبدوا من
 دونك والضديق على
 الواحد والجمع وهو في مقابلة
 لهم عزا والمراد ضد العز
 وهو الذل والظوان أي
 يكونون عليهم ضد الما
 قصده أي يكونون عليهم
 لا لهم عزا وان رجع الضمير
 في سيكفرون ويكونون
 الى المشركين فالعنى
 ويكونون عليهم أي أعداؤهم
 ضدا أي كفرة بهم بعد
 ان كانوا يعبدونها ثم عجب
 نبيه عليه السلام بقوله (الم

(كلا) ردع عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب ما يقول) أي سنحفظ عليه ما يقول فنجاز به به في الآخرة وقيل
 بأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (وعنده من العذاب مدا) أي نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نزيل مدة
 عذابه (ونرثه ما يقول) معناه أي ما عنده من المال والولد باهلا كذا ياه وابطال ملكه وقيل يزول عنه ما عنده
 من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فردا فذلك قوله (ويأتينا) يعني يوم القيامة
 (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث في الآخرة بمال وولد ﴿ قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة)
 يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكونوا شفعا بمنعونهم
 من العذاب (كلا) أي ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعني تجحدوا الاصنام والآلهة التي كانوا
 يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) أي أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم
 وقيل أعداء لهم وكانوا أولياءهم في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (الم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي
 ساطنهم عليهم (تؤزهم أزا) أي تزعمهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تختمهم وتخرضهم على المعاصي
 نحر يضاد ويدل على الآية دليل على ان الله تعالى مدبر جميع الكائنات (فلانجمل عليهم) أي لانهجمل بطلب
 عقوبتهم (انما نعد لهم عدا) يعني الالياء والايام والشهوز والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسونها في
 الدنيا الى الاجل الذي أجل لعذابهم ﴿ قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أي اذ كرمهم بالمحمد
 اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى جنته وفدا أي جماعات قال ابن عباس ركبانا قال أبو
 هريرة على الابل وقال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق
 رحاها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين)
 أي الكافرين (الى جهنم وردا) أي مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون
 الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نم عطاش نساق الى
 الماء (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم
 القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على
 بعير وتحشر معهم النار تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتسمى
 معهم حيث أمسوا قوله تقبل معهم حيث قالوا من القيولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صفاء مشاة وصفاء ساقا وصفاء ساقا على وجوههم قيل

ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خليناهم واياهم من أرسلت البعير أطلقته وسلطانهم عليهم بالاغواء (تؤزهم يارسول
 أزا) تفر بهم على المعاصي اغراء والازواطر اخوان ومعناهما التهييج وشدة الازعاج (فلانجمل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) أي
 اعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السكك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فأسرع ماتت (يوم
 نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحاها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام
 لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من يرد الماء لا يردده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء فيسمى به الواردون قالوا قد
 جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أي يوم نحشرون وسوق تفعل بالفر يقين مالا يوصف أي اذكر يوم نحشركم
 المتقون بأنهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بأنهم مساقون الى النار كأنهم نم

عطاش يساقون الى الماء استخفافهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواوان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى ابراهيم والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أى الشفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن فى الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلى الى نفسى تقر بنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أتنق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينى به يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمر به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا ادا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة (٢٤٧) وهو التغات وأمر نبيه عليه السلام

بأنه يقول لهم ذلك والاد العجب أو العظيم المنكر والادة اشد وأدنى الامر أثقل وعظم على ادا (تكاد السموات) تقرب وبالياء نافع وعلى (يتفطرن) وبانون بصرى وشامى وحزة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شقه (منه) من عظم هذا القول (وتنشق الارض) تنخسف وتنفسل أجزاءها (وتخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا أو قطعاً وهدما والهد صوت

يارسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك أخرجه الترمذى قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أى لا يشفع الا للمؤمنين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيئا ادا) قال ابن عباس منكر أو قيل معناه لقد قلتم قولاً عظيماً (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) أى تنخسف بهم (وتخر الجبال هدا) أى تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أى من أجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت مامعنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخروار الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً منى على من تفوه بها لولا حمى وانى لا أعجل بالعقوبة الثانية أن يكون اسم مظاما للكلمة وتهويلها من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعمرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولداً ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) أى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد أن يكون شبيهاً بالوالد ولا يشبهه الله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح فى الله تعالى من سرور به واستعانة وذ كرجيل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا) أى آتية يوم القيامة عبداً لى لا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى عدا أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شئ من

الصاعقة من السماء وهو مصدر أى تهداهم من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أى مهدودة (أن دعوا) لان سموا ومحل جريدل من الهاء فى منه أو نصب مفعول له لعل الخروار بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أى هدها دعاؤهم (لارحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) انبغى مطاوع بنى اذا طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد الحاجة ومجانسة وهو منزله عنهما وفى اختصاص الرحمن ونكر يره كرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصر ك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فن أضاف اليه ولداً فقد جعله كبعض خالقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (فى السموات والارض) وخبر كل (الاآت الرحمن) ورحداً آتى وآتية جلا على لفظ كل وهو اسم فاعل من آتى وهو مستقبل أى ياتيه (عبدا) حال أى خاضعا لى لا منقادا والمعنى ما كل من فى السموات والارض من الملائكة والناس الا هو ياتى الله يوم القيامة مقر بالعبودية والعبودية تنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يمتق عليه ونسبة الجميع اليه نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولداً والبعض عبداً وقرأ ابن مسعود آت الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى حصرهم بعلمه وأحاط بهم

(وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا بلامال ولاولدا ولامعين ولاناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (٢٤٨) مودة في قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحبهم الى الناس وفي الحديث يعطي المؤمن

مقعة في قلوب الابرار ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذر به قومالدا) شدداد في الخصومة بالباطل أي الذين يأخذون في كل ليدأى شق من المراء والجدال جمع ألد ير بد به أهل مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أي هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز أي لما أتاهم هذا بنالم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم ﴿سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي

أموارهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي وحيد ليس معه من أحوال الدنيا شيء ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحبهم الى عباد المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا عاجب يمل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا عاجب يمل فقال اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم ابن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداءها من الله عز وجل ينزل على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصدق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا ﴿قوله تعالى﴾ (فانما يسرناه) أي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذر به) أي بالقرآن (قومالدا) أي شدداد في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالذالظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وأيقنوا أنه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة طه﴾

﴿وهي مكية وهي مائة وأربعون آية وألف وستمئة واحد واربعون

كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنتان وأربعون حرفا﴾

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكرا الاول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فوائح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة نافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (طه) قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يارجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك ير بد به في التهجيد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة اطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهد في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لتشققك

فتزل

﴿بسم الله الرحمن الرحيم طه﴾ تخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء أبو عمرو وأما طها حزة وعلى وخلف

وأبو بكر ونخهما على الاصل غيرهم وماروى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يارجل فان صح فظاهر والا فالخ هو المذكور في سورة البقرة

(ما أنزلنا عليك القرآن) ان جعلت طه تعديد الاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع المضمرا لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم (لتشقى) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم ونحسرك على أن يؤمنوا أو بقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما نزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الاتذكرة) استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أحوال (لمن يخشى) لمن يخاف الله أو لمن يؤل أمره الى الخشية (تنزيلا) بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز أن ينتصب بنزل مضمرا أو على المدح أو يخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (عن خالق الارض والسموات) من يتعلق بتنزيلا صلا له (العلي) جمع العلياء تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلي دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها (الرحمن) (٢٤٩) رفع على المدح أي هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدأ

محذوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك ما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أي ملك وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك بد فلان مبسوطة أي جواد وان لم يكن له يد رأسا والمذهب قول على رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والایمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (له ما في السموات وما في الارض) خبر ومبتدأ ومعطوف (وما

فترلق) (ما أنزلنا عليك القرآن اتشقى) أي لتتغنى وتتعب (الاتذكرة لمن يخشى) أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيلا عن خلق الارض والسموات العلى) أي من الله الذي خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى (له ما في السموات وما في الارض وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الثرى) أي انه مالك لجميع ما في الاربع الاقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ماتحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست قوله تعالى (وان تجهر بالقول) أي تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما سر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما سر اليوم ولا تعلم ما سر غدا والله يعلم ما أسررت به اليوم وما أسر به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسر به الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر به في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبايح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والاختفاء على ما فيه ثواب أو عقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاختفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحده نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذي فضلت به أسماؤه في الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله عز وجل (وهل أتاك حديث موسى) أي وقد أتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة ونكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأي نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت أيام الشتاء

(٣٢ - (خازن - ثالث) بينهما) أي ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ماتحت سبع الاراضين أو هو الصخرة التي تحت

الارض السابعة (وان تجهر بالقول) ترفع صوتك (فانه يعلم السر) ما أسررت به الى غيرك (وأخفى) منه وهو ما لخطرته ببالك أو ما أسررت به في نفسك وما أسرته فيها (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) أي هو واحد بذاته وان افرقت عبارات صفاته رد لقولهم انك تدعوا آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل) أي وقد (أتاك حديث موسى) خبره فقاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى (اذ رأي) ظرف لمضمر أي حين رأي (نارا) كان كيت وكيت أو مفعول به لا ذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا في الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلحة وقد صل الصريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقد ح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا

(فقال لاهله امكنوا) اقيموا في مكانكم (اني آنت) ابصرت (بارا) والايناس رؤيته شئ يؤنس به (لعل آنيكم منها) نبي الامر على الرجا
 لتلا بعد ما ليس بمحققين الوفاء به (بقبس) نارهم قتبس في رأس عودا وفضيلة (أو أجد على النار هدى) ذوى هدى أو قوم ما يهدوننى الطريق
 ومعنى الاستعلاء في على النار ان أهل النار يستعملون المكان القريب منها (فلما آتاها) أى النار وجد ناراً بيضاء تتوقد في شجرة خضراء
 من أسفلها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحد اوروى انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه فم
 (نودى) موسى (ياموسى انى) بكسر (٢٥٠) الهزرة أى نودى فليل ياموسى انى أولان النداء ضرب من القول فعمل

فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامر أنه حامل في شهرها لا يدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية
 غير عارف بطريقها فاجأه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة متلجة شتية شديدة البرد
 لما أراد الله من كرامته فأخذ امرأته الطلق فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فأبصر ناراً من بعيد عن يسار
 الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكنوا) أى اقيموا (اني آنت ناراً) أى أبصرت ناراً (لعل آنيكم
 منها بقبس) أى شعلة من نار في طرف عود (أو أجد على النار هدى) أى أجد عند النار من يدلنى على
 الطريق (فلما آتاها) أى أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها أطافت بها نار بيضاء تتقد
 كضوءاً ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة
 نمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن
 ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لان موسى عليه
 الصلاة والسلام حسبه ناراً قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى إحدى
 حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن أبى موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجاب
 النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شياً
 من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت منه فوقف متحيراً وسمع تسبيح
 الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك (نودى ياموسى انى نار بك) قال وهب نودى من الشجرة فقيل
 ياموسى فأجاب سريراً وما يدري من دعاه فقال انى أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأبى أنت فقال أنا فوقك
 ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فابقن به وقيل انه سمعه بكل
 أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت أدناً وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود
 مرفوعاً في قوله فاخلع نعليك قال كاتما من جلد حار ميت ويروى غير مدبوغ وانما أمر بخلعها ماصية
 للوادي المقدس وقيل أمر بخلعها لياشر بقدسية تراب الارض المقدسة لتأله بركتها فانها قدس مرتين
 فخلعها موسى فاقامهما من وراء الوادي (انك بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) اسم للوادي الذى حصل
 فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى في استدارته (وأنا اخترتك) اصطفتك برسالتي وبكلامي
 (فاستمع لما يوحى) فيه نهاية الهيبة والجلال له كأنه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (اننى أنا الله لا اله الا
 أنا فاعبدنى) ولا تعبد غيرى (وأقم الصلاة لذكري) أى اذكري في فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر
 غيرى وقيل لا خلاص ذكري وطاب وجهى ولا ترائى فيها ولا تقصدها غرضاً آخر وقيل معناه اذا تركت
 صلاة ثم ذكرتها فاقها (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة
 فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا فتادة وأقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة

معاملته وبالمفتح مكى
 وأبو عمرو وأى نودى باني
 (أنا ربك) أنا مبتدأ أو
 تأكيد أو فصل وكرر
 الضمير لتحقيق المعرفة
 وإمالة الشبهة روى انه لما
 نودى ياموسى قال من
 التكلم فقال الله عز وجل
 أنا ربك فعرف انه كلام
 الله عز وجل بانه سمعه من
 جميع جهاته الست وسمعه
 بجميع أعضائه (فاخلع
 نعليك) أنزعهما لتصيب
 قدسيك بركة الوادي
 المقدس أولانها كانت من
 جلد حار ميت غير
 مدبوغ أولان الحفوة تواضع
 لله ومن ثم طاف السلف
 بالكعبة حافين والقرآن
 يدل على أن ذلك احترام
 للبقعة وتعظيم لها فخلعها
 وأقامها من وراء الوادي
 (انك بالواد المقدس)
 المطهر أو المبارك (طوى)
 حيث كان منون شامى
 وكوفى لانه اسم علم للوادي
 وهو يدل منه وغسيرهم

بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بالتثنية (وأنا اخترتك) اصطفتك للنسبة وأما اخترتك حمزة
 (فاستمع لما يوحى) اليك الذى يوحى أو لاوحى واللام يتعلق باستمع أو باخترتك (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) وحدنى وأطعنى (وأقم الصلاة
 لذكري) اذكري في فيها لا اشتغال الصلاة على الاذكار أو لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أولان أذكرك بالمدح والثناء أولان ذكرى خاصة لا
 تشوبه بذكر غيرى أولان يكون لى ذا كرا غير ناس أو لاوقات ذكرى وهى موافقة الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوراً
 وقد حل على ذكر الاله بعد نسبائها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أى لذكري صلاتي وهذا دليل على انه لا فرقة بعد التوحيد أعظم شأنها

(ان الساعة آتية) لا محالة (أ كاد) أريد عن الاخفش وقيل صلة (أخفيها) قيل هو من الاضداد أي أظهرها وأسترها عن العباد فلا أقول هي آتية لا راد في اخفاءها ولولا ما في الاخبار بانها مع نعمة وقتها من الحكمة وهو انهم اذ لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرت به (لجزي) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خيرا وشر (فلا يصدنك عنها) فلا يصرفك عن العمل للساعة أو عن قامة الصلاة وعن الايمان بالقيامة فالخطاب موسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدق بها (واتبع هواه) في مخالفة أمره (فتردى) فتهلك (وماتلك يمينك يا موسى) ما مبتدأ وتلك خبره وهي بمعنى هذه ويمينك حال عمل فيها معنى الإشارة أي قارة أو مأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلاته بيمينك والسؤال للتنبيه لتمعن المجزأة بها بعد التثبت أول التوطيئ للثلاث (٢٥١) بهول انقلاها حية أول الانسان

ورفع الهيبة للكاملة (قال) هي عصا أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعيت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وأهش بها على غنمي) اخبط ورق الشجر على غنمي لتأكل (ولي فيها) حفص (ما رب) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهي الحاجة (أخرى) والقياس آخر وإنما قال أخرى ردا إلى الجماعة أولسني الآي وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا أجل الباقي حياة من التطويل أو ايسال عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام والمآرب الاخر انها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصبر شاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتها دلويا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده وبركزها فتثمر ثمرة يشتهيها وبركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب

أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلاة لذكري (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لكم ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان للشئ يقولون كتمت سر في نفسي أي أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفي عليه شئ والمعنى في اخفاءها التهويل والتخويف لانهم اذ لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي الى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيستخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت وانه اذ لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت مخافة معاجلة الاجل ﴿قوله تعالى﴾ (لجزي كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خيرا وشر (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) أي فلا يصرفك عن الايمان بالساعة ومحبتها من لا يؤمن بها (واتبع هواه) أي مراده وخالف أمر الله (فتردى) أي فتهلك ﴿قوله عز وجل﴾ (وماتلك يمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصي حتى اذا قلها حية علم انها مجزأة عظيمة (قال هي عصا) قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (أتوكأ عليها) أي أعتمد عليها اذا مشيت واذا عيت وعند الوتة (وأهش بها على غنمي) أي أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها ما رب أخرى) أي حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحملها الزاد ويشدها الحبل ويستقي بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا انتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة ونورق وتثمر واذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها (فألقاها) أي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسمى) أي تسمى بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر كانها ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذ كروا لثني فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم ما يكون

وكانت تقيه الهوام والزياة على الجواب لتعداد النعم شكرا أولانها جواب سؤال آخر لانه لما قال هي عصا قيل له ما تصنع بها فاخذ بعدد منافعها (قال ألقها يا موسى) اطرح عصاك لتفرغ مما تسكني عليه فلا تسكن الابنا وترى فيها كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب (فألقاها) فطرحها (فاذا هي حية تسمى) تسمى سريرا قيل انقلب ثعبانا يتلع الصخر والشجرة فلما رآها ابتلع كل شئ خاف وانما وصف بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس يقع على الذ كروا لثني والصغير والكبير وجزاء ان تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فار يد بالجان أول حالها بالثعبان ما لها أولانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحيها أربعون ذراعا ولما

(قال) له رب (خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه ان أدخل يده في فيها وأخذ بلحبيها (سعيدها) سردها (سبرتها الاولى) ثابت الاول والسيرة الحالة التي يكون عاها الانسان غريزية كانت أو مكتسبة وهي في الاصل فملة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف أي سعيدها في طريقها الاولى أي في حالها كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت واري ذلك موسى عند المخاطبة لتلاي فرع منها اذا انقلب حية عند فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار (٢٥٢) منه جناحا الطائر رسميا جناحين لانه يجتمعها أي يميلها عند الطيران والمعنى ادخلها

تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يعني البصر (من غير سوء) برص (آية أخرى) لتبوتك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجازان ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به الامر (لنريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى والعظمى أو نريك بها ما الكبرى من آياتنا والمعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغي) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما امره بالذهاب الى فرعون الطاغى وعرف انه كاف امر اعظما يحتاج الى صدر فسيح (قال رب اشرح لي صدري) وسعه ليحتمل الوحي والمناق ووردي الاخلاق

من الحيات وصارت شعبتها شديقين لها والمخجن عنقا وعرقا هز كالنيزاك وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانباهاوا يسمع لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولي مدبرا وهرب ثم ذكر به فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى اقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) أي يمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما لقي آدم من الحية وقيل لما قال له رب لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان أدخل يده في فيها وأخذ بلحبيها (سعيدها سبرتها الاولى) أي الى هبتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خلها بعد فلما قال الله تعالى له خذها فطرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لم المدرعة على يده قال له ملك أرايت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا نوكا قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق ولتلاي فرع منها اذا ألقاها عند فرعون ﴿ قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) أي الى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) أي نيرة مشرقة (من غير سوء) أي من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أي دلالة أخرى على صدق سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته ﴿ قوله عز وجل (اذهب الى فرعون انه طغي) أي جاوز الحد العصىان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال زهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدي وبصرى وانى ألسنك حجة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمى وأمن مكرى حتى يجد حقى وأنكر ربى وبنى وأنى أقسم بعزى لولا الحجة التي وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عيني قبلته رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره تقمى وقل له قول لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يتنفس الا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك (قال) يعني موسى (رب اشرح لي صدري) أي وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كان من مقاومة فرعون وحده فسال الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان أحدا لا يقدر على مضرتة الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسرلى أمرى) أي سهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك

من فرعون وجنده (ويسرلى أمرى) وسهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واشرح لي صدري أكد ان من اشرح صدري لانه تكرر بالمعنى الواحد من طريق الاجال والتفصيل لانه بقول اشرح لي ويسرلى علم ان ثمة مشروحا ويسرلى رفع الابهام بذكر المصدر والامر (واحلل) افتح (عقدة من لساني) وكان في لسانه رنة للجمره التي وضعها على لسانه في صباه وذلك ان موسى اخذ حية فرعون ولطمه لطمه شديدا في صغره فارادقت له فقالت آسية ابها الملك انه صغير لا يعقل فجعلت في طشت نار وفي طشت بواقيت ووضعها ليدى موسى فقام اليواقيت فمال الملك يده الى النار فرفرم جرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكتنه منها وروى أن

احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا ولمادعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أرى يدي وقد عجزت عنها ومن اسأني صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد اسأني وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكاملها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولي) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي وزيرا) ظهيرا اعتمد عليه من الوزير الثقيل لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أو من الوزير الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجى اليه في أموره أو معيناً من الموازنة وهي المعاونة فوزير امفعول أول لاجعل والثاني (من أهلي) أولى وزير امفعولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزير اوقوله (أخي) بدل أو عطف بيان آخر وزير اوهرون مفعولاه وقدم ثانياً علياً أو لهما عناية بامر الوزارة (أشدد به أزرى) قوبه ظهري وقيل الأزر القوة (وأشركه في أمري) اجعله شريكاً في النبوة والرسالة واشددوا شركه على حكاية النفس شامى على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كي نسبحك) نصلي لك وننزهك نسبيها (كثيراً ونذكرك كثيراً) في الصلوات وخارجها (انك كنت بنا بصيراً) عالماً بأحوالنا فاجابه الله تعالى حيث (قال قدأوتيت سؤالك يا موسى) أعطيت

(٢٥٣)

تخبر بمعنى مخبوز سولك
بلاهزم أبو عمرو (لقد مننا)
أنعمنا (عليك مرة) كرة
(أخرى) قبل هذه ثم فسرهما
فقال (اذ أوحينا إلى
أمك ما يوحى) الهاماً أو مناماً
حين ولدت وكان فرعون
يقتل أمثالك واذ ظرف
لننم فسر ما يوحى بقوله
(ان اقدفيه) القيه (في
التابوت) وان مفسرة
لان الوحي بمعنى القول
(فاقدفيه في اليم) النيل
(قليله اليم بالساحل)
الجانب وسمى ساحلاً لان
الماء يسحله أي يقشره
والصيغة أمر ليناسب ما
تقدم ومعناه الاخبار أي
يلقيه اليم بالساحل (ياخذ
عدولي وعدوله) يعني
فرعون والضائر كلها
راجعة الى موسى ورجوع

ان موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمته وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرته
آسية ان هذا عدوي وأراد ان يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردت به الى فرعون
فدشأ في حجره وحجر امرأته يربيه واتخذاه ولداً فينما هو يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب اذ رفعه
فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية أمها الملك انه صبي لا يعقل جربه
ان شئت فجاءت بطشتين في أحدهما جروفي الآخر جوفه فوضعهما بين يدي موسى فاراد أن ياخذ الجوهر
فاخذ جبريل يد موسى فوضعهما على الجرف فاخذ جرة فوضعهما في فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا
قولي) أي احال العقدة كي يفهموا قولي (واجعل لي وزيراً من أهلي) معينا وظهيرا والوزير من يوازر
ويحقل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخي) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لساناً
وأجل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أفتى جعداً (أشدد به أزرى) أي قوبه ظهري (وأشركه
في أمري) أي في امر النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيراً أي نصلي لك كثيراً (ونذكرك كثيراً) أي
نحمدك ونثنى عليك بما أوليتنا من جيل نعمك (انك كنت بنا بصيراً) أي خبيراً علماً (قال) الله تعالى (قد
أوتيت سؤالك يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي قبل هذه المرة ثم بين
تلك المنة بقوله تعالى (اذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) أي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (أن
اقدفيه في التابوت) أي ألهمناها أن اجعله في التابوت (فاقدفيه في اليم) يعني نهر النيل (قليله اليم
بالساحل) يعني شاطئ البحر (ياخذ عدولي وعدوله) يعني فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطناً
ووضعت فيه موسى وقبرت رأسه وشقوقه ثم ألقت في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فيبينما
فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يحى به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه
فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبي من أصبح الناس وجهاً فامراه فرعون أحبه بحيث لم يتالك نفسه وعقله
فذلك قوله تعالى (والقيت عليك محبة مني) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه أحد الا أحبه
لملاحظة كانت في عيني موسى (ولتصنع على عيني) لتربي ويحسن اليك وانا امرأعيك ومراقبك كما راعى
الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (اذ تمشي أختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على

بعضها اليه و بعضها الى التابوت يفضي الى تنائر النظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى في جوف
التابوت روى أنها جعلت في التابوت قطناً محلوها فوضعت فيه وقبرته ثم ألقت في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فيبينما هو
جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا بصبي أصبح الناس وجهاً فاحبه فرعون حباً شديداً فذلك قوله
(والقيت عليك محبة مني) بتعلق مني بالقيت يعني اني احببتك ومن أحبه الله أحبه القلوب فارآه أحد الا أحبه قال قتادة كان في عيني
موسى ملاحظة ما رآه أحد الا أحبه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (على عيني) أي
بالتربي برأي مني وأصله من صنع الفرس أي احسن القيام عليه يعني انا امرأعيك ومراقبك كما راعى الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى
به ولتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على انه امر منه (اذ تمشي) بدل من اذا أوحينا لان مشى أخته كان منة عليه (أختك) فتقول هل
أدلكم على

من يكفله) روى ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادقهم بطلبون له مرضعة يقبل نديها وكان لا يقبل ندى امرأة فقالت هل أدلكم الى من يضمه الى نفسه فمريم به وأرادت بذلك المرضعة الام وتذكر كبر القتل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل نديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا ان ارادوه اليك (كي تقرر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقلت نفسا) قبطيا كافر (فنجيناك من الغم) من القود قيل الغم القتل بالغة فريش وقيل الغم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بايقاعك فى المحن وتخليصك منها (٢٥٤) والفتون مصدر كالقعود أوجع فتنة أى فتناك ضرربا من الفتن والفتنة المحنة وكل

من يكفله) أى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ندى امرأة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل نديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك كي تقرر عينها) أى بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أى وليذهب عنها الحزن (وقلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذذاك اثنتى عشرة سنة (فنجيناك من الغم) أى من غم القتل وكر به (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها ان أمه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ندى أمه ثم أخذته بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا (فلبثت) أى مكثت (سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر قال اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها يرمى الغنم مهر زوجته صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هارباً (ثم جئت على قدر يا موسى) أى جئت على القدر الذى قدرت أن تحبى فيه قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبياء فيه (واصطنعتك لنفسى) أى اخترتك واصطفيتك لوحى ورسالتى لتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبتة وقيل معناه اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقى كائى الذى أقت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام (ولا تنفيا) أى لاتضعفا وقيل لاتفترا ولا تقصرا (فى ذكركى) أى لاتقصرا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكركى النعمة شكرها (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولاه قولالينا) أى داريا وارفاقا به قال ابن عباس لاتعنفانى قولكما وقيل كنياه فقولاه يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى أن تزكى الآية وقيل انما أمرهما بالمطابقة لما له من حق تر بية موسى وقيل عداؤه على قبول الايمان شبابا لا يهرم ومملكا لا ينزع منه الا بالموت ونبي عليه لذة الطعام والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعدته بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرادون هاما وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هاما كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مريوبا وأنت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فقلبه على رأيه وكان هرون بمصر فامر الله موسى أن يأتى هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة وأخبره بما أوحى اليه (وقوله تعالى) (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر

ما يتلى الله به عباده فتنة ونبأكم بالشر والخير فتنة (فلبثت سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر اصفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد (ثم جئت على قدر يا موسى) أى موعدا ومقدار الرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) اخترتك واصطفيتك لوحى ورسالتى لتصرف على ارادتى ومحبتى قال الزجاج اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقى كائى الذى أقت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) بمجراتى (ولا تنفيا) تفتر من الونى وهو الفتور والتقصير (فى ذكركى) أى اتخذ اذكركى

جناحا تطيران به أو أريد بالذكري تبليغ الرسالة فالذكري يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهبا الى فرعون) وقد كرر لان الاول مطلق والثانى مقيد (انه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولاه قولالينا) الطفا له فى القول لما له من حق تر بية موسى أو كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وعداه شبابا لا يهرم بعده ومملكا لا ينزع عنه الا بالموت وهو قوله هل لك الى أن تزكى وأهدبك الى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أى يتعظ ويتأمل فيذعن للعق (أو يخشى) أى يخاف أن يكون الامر كما تصفان فيجبره انكاره الى الملكة وانما قال لعله يتذكر كرمع علمه انه لا يتذكر لان الترجى لهما أى اذهبا على رجائكما وطمعكما وبأشرا الامر مباشرة من بطمع أن يسمع عمله وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بأنه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه لعله

يتذ كرمته كراو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذ كروا لكن حين لم ينفعه التذ كر
وقيل تذ كرفرعون وخشى وأراد اتباع موسى فنعاه هاما وكان لا يقطع أمرا دونة وتليت عندي يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفكك بمن يقول
أنا له فكيف بمن قال أنت الإله وهذا رفكك بمن قال أثار بكم الأعلى فكيف بمن قال سبحانه ربى الأعلى (قالار بنا التناخاف أن يفرط علينا)
يجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه أى عجل (أو أن يطفى) يجاوز الحد فى الاساءة الينا (قال لاتخافا ننى معكما) أى حافظكما
وناصركما (أسمع) أقوالكم (وأرى) أفعالكم قال ابن عباس رضى الله عنهم ما أسمع دعاء كما فاجيبه وأرى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما
فلاتهما (فاتياه) أى فرعون (فقولا انار سولار بك) اليك (فارسل معنابى) (٢٥٥) اسرائيل) أى أطلقهم عن الاستعباد

والاسترقاق (ولاتعذبهم)
بتكليف المشاق (قد
جئناك بأية من ربك)
بحجة على صدق ما دعيناها
وهذه الجملة جارية من
الجملة الاولى وهى انا
رسولار بك مجرى البيان
والتفسير والتفصيل لان
دعوى الرسالة لا تثبت الا
ببينتها وهى الحجىء بالآى
فقال فرعون وماهى
فاخرج يده لها شعاع
كشعاع الشمس (والسلام
على من اتبع الهدى) أى
سلم من العذاب من أسلم
وليس بتحية وقيل وسلام
الملائكة الذين هم خزنة
الجنة على المهترين (انا قد
أوحى الينا أن العذاب
فى الدنيا والعقبى) (على من
كذب) بالرسول (وتولى)
أعرض عن الإيمان وهى
أرجى آى القرآن لانه

وقد سبق فى علمه انه لا يتذ كروا لاسلم قلت معناه اذهب على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمر كما وقيل
هو الزام الحجة وقطع المذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقلوبار بنا لولا أرسلنا الينا
رسولا فتتبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازة لعله يتذ كرمته كراو يخشى خاش اذا رأى
برى والطافى بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذ كرفرعون وخشى
حين لم تنفعه الله كرى والخشية وذلك حين ألجأه الفرق وقرأ رجل عندي يحيى بن معاذ الرازى فقولا له قولنا لينا
الآية فبكى يحيى وقال الهى هذا رفكك بمن يقول أنا الإله فكيف رفكك بمن يقول أنت الإله (قالا) يعنى موسى
وهرون (ر بنا التناخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس يجمل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطفى) أى
يجاوز الحد فى الاساءة الينا (قال) الله تعالى (لاتخافا ننى معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس اسمع دعاء كما
فاجيبه وأرى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهما (فاتياه فقولا انار سولار بك) أى أرسلنا اليك
ربك (فارسل معنابى اسرائيل) أى خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولاتعذبهم) أى لاتعذبهم فى العمل
وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الضحور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك
بأية من ربك) قال فرعون وماهى فاخرج موسى يده شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمجزة
وبرهان يدل على صدقنا على ما دعيناها من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام
التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم (انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أى انما
يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه (قال) يعنى فرعون (فن ربكما يا موسى) أى فن الحكماء الذى
أرسلكما (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل أعطى
كل شئ صلاحه وهدايه وقيل أعطى كل شئ صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين
للنظر والاذن للسمع ثم هداها الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة
والبعير الناقة والفرس الرمكة وهى الحجرة والجار الاثنان ثم هدى ألهمه كيف يأتى الذكر الانثى (قال) يعنى
فرعون (فبال القرون الاولى) أى فاحال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها
كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية حينئذ
قال فرعون فبال القرون الاولى (قال) يعنى موسى (علمها عند ربى) أى أعمالهم محفوظة عند الله يجازى
بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه

جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شئ فاتياه وأدبها الرسالة وقال الله ما أمر به (قال فن ربكما
يا موسى) خاطبهم ما ثم نادى أحدهما لان موسى هو الاصل فى النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه) خلقه أولى ونفعولى
أعطى أى أعطى خليفته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانیهما أى أعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما
أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة
بها وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أى أعطى كل شئ مخلوق عطاء (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة فى الدنيا
والسعادة فى العقبى (قال فبال القرون الاولى) فاحال الامم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقى
منهم وسعادة من سعد (قال) موسى مجيبا (علمها عند ربى) مبتدأ وخبر

(في كتاب) أي اللوح خبرنا أن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيئا يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم (ولا ينسى) نوابهم وعقباهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه (الذي) مرفوع صفة لرب أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على الماسح (جعل لكم الأرض مهذا) كوفي وغيرهم مهذا وهما الغتان لما يسطو ويقرش (وسلك) أي جعل (لكم فيها سبلا) طرقا (وأنازل من السماء ماء) أي مطرا (فاخرجنا به بالماء ثقل الكلام من الغيب إلى لفظ التكلم المطاع للافتتان وقيل تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فاخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أي فاخرجنا نحن بالخرانة والغرس (أزواجا) أصنافا (من نبات) هو مصدر سمي به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع (شئ) صفة للأزواج أول النباتات جمع شئ كمرض ومرضى أي أنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى أن أرزاقنا يحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا لا تقدر على أكله قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تاكلوا بعضها وتعلقوا ببعضها (ان في ذلك) في الذي ذكرت (آيات) لدلالات (لأولي الهي) (٢٥٦) لذوي العقول واحد هاتيه لأنها تنهى عن المحذور أو ينتهي إليها في الأمور (منها)

(في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء (ولا ينسى) أي فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذي جعل لكم الأرض مهذا) أي فرشا وقيل مهذا لكم (وسلك لكم فيها سبلا) أي أدخل في الأرض لاجلكم طرقا وسهلا لكم لتسلكوها (وأنازل من السماء ماء) يعني المطر ثم أخبر عن موسى ثم قال الله تعالى (فاخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي أصنافا (من نبات شئ) أي مختلف الألوان والطعوم والمنافع ففهمها هو للناس ومنها ما هو للدواب (كلوا وارعوا أنعامكم) أي أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي (ان في ذلك) أي الذي ذكر (لا آيات لأولي الهي) أي لذوي العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) أي من الأرض خلقنا آدم وقيل أن الملك ينطق فيأخذ من التراب الذي يدفن فيه فينثره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) أي عند الموت والدفن (ومننا نخرجكم ناراً أخرى) أي يوم القيامة للبعث والحساب قوله تعالى (واقدرنا ربنا) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني الآيات التسع التي أعطاه الله موسى (فكذب وأبى) يعني فرعون وزعم أنها سحر وأبى أن يسلم (قال) يعني فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) يعني مصر (بسحرك يا موسى) تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي اضرب أجلا وميقانا (لا تخلفه) لا تجاوزه (نحن ولأنت مكانا سوى) أي مكانا عدلا وقال ابن عباس أصفا تستوى مسافة الفرقين إليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعني موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويحجقون في كل سنة وقيل هو

من الأرض (خالقناكم) أي أبائكم آدم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا أو لأن النطفة من الأغذية وهي من الأرض (وفيها نعيدكم) إذا تم فدفنتم (ومننا نخرجكم) عند البعث (ناراً أخرى) مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر عدد

الله عليهم ماعلق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وآيات فيها أصناف النبات التي منها أوقانهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وأمههم التي منها ولدوا وهي كفائتهم إذا ماتوا (واقدرنا ربنا) أي فرعون (آياتنا كلها) وهي تسع آيات العصا واليد وفاق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والسم وبق الحبل (فكذب) (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك يا موسى) فيه دليل على أنه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والافأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) فلنعارضك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أي مكان موعد والضمير (لا تخلفه) للموعد فربما يجزم على جواب الأمر وغيره بالرفع على الوصف للموعد (نحن ولأنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا تخلفه واتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالكسر مجازي وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت مكانا أي منصعا بيننا وبينك وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وإنما استقام الجواب بالزمان وإن كان السؤال عن المكان على تأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فيذكر الزمان علم المكان وعلى الثاني تقديره وعدكم

النيروز

وعند يوم الزينة (وان يحشر الناس) أى تجمع في موضع رفع أو جوعظا على يوم أو الزينة (ضحى) أى وقت الضحوة لتكون أبعد عن
الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع في جميع أهل البر والمدر (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (لجمع كيده) مكره وسحرته وكانوا
اثنين وسبعين أو أربعين أو سبعين ألفا (ثم أتى) للموعود (قال لهم موسى) أى للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا)
لا تدعوا آياته ومجراته سحرا (فيسحركم) كوفي غير أبى بكر يهلككم وفتح الياء والخاء غيرهم والسحرة والسحرات
بمعنى الاعداد وانتصب على جواب النهى (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا)
اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أى لا تفتروا على الله كذبا الآية (أمرهم بينهم)
وأمرهم (النجوى) أى تشاوروا فى السر وقالوا ان كان ساحر افسد غلبه وان كان من السماء فله أمر والنجوى يكون مصدر أو اسما
لفقوا هذا الكلام يعنى (قالوا ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون قرأ أبو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه
مخالف للإمام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام
هى الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هى بمعنى ما واللام

(٢٥٧)

دليله قراءة أبى ان هذان
الساحران وغيرهم ان
هذان لساحران قيل هى
لغة بلحارث بن كعب وختم
ومراد وكذاتة فالتثنية فى
أمرهم بالالفأ بدأ فلم يقلبوها
ياء فى الجر والنصب كعصا
وسعدى قال ان أباه وأبا
أباه قد بلغ فى المجد غايتها
وقال الزجاج ان بمعنى نعم
قال الشاعر ويقلن شيب
قد علاك وقد كبرت
فقلت انه أى نعم والهاء
لا وقف وهذان مبتدأ
وساحران خبر مبتدأ
محذوف واللام داخل على
المبتدأ المحذوف تقديره

يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) أى وقت الضحوة نهرا جهارا ليكون
أبعد من الريبة (فتولى فرعون لجمع) يعنى فرعون (كيده) يعنى مكره وسحره وحيله (ثم أتى) يوم الميعاد
(قال لهم موسى) يعنى للسحرة التى جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل
كانوا أربعين أو ثمانين أو ثمانين ألفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحركم بعذاب) أى فيهلككم
ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) أى خسر من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله
تعالى قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظر واوتشاوروا يعنى السحرة فى أمر موسى سرا من
فرعون وقالوا ان غلبنا موسى انبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم
لبعض ما هذا بقول ساحر (وأمرهم بالنجوى) أى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان
لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان أن يخرجكما من أرضكم) يعنى من مصر (بسحرهما ويذهبا
بطريقتهما المثلى) قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم
وقيل أراد أهل طريقتهما المثلى وهم بنو اسرائيل يعنى يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما وقيل معناه يذهبا
بسننكم ودينكم الذى أتم عليه (فاجعوا كيدكم) أى لاتدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا
كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم (ثم اتوا صفا) أى جمعاً مصطفين ليكون أشد لهيبته
وقيل معناه ثم اتوا المكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة
(ياموسى اما أن تلقى) أى عصاك (واما أن تكون أول من ألقى) أى عصينا (قال) يعنى موسى (بل ألقوا)
يعنى أتم أولا (فاذا حباهم) فيه اضمار أى قالوا فاذا حباهم (وعصيتهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى)

(٣٣ - (خازن) - ثا) هذان هما ساحران فيكون دخولهما في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام فى الخبر
كما يدخل فى المبتدأ قال خاله قال فعرضته على المبرد فريضه وقد زيفه أبو على (يريدان أن يخرجكما من أرضكم)
مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتهما المثلى) بدنيكم وشريعتكم (المثلى) الفضلى تأنيث المثل وهو الافضل (فاجعوا) فاحكموا أى اجعلوا
جميعا عليه حتى لا تختلفوا فاجعوا أبو عمرو ويعضده جمع كيده (كيدكم) هو ما يكاد به (ثم اتوا صفا) مصطفين حال أمر وا بان يا تواسفا
لانه أهيب فى صدور الرائيين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أى السحرة (ياموسى اما أن تلقى)
عصاك أولا (واما أن تكون أول من ألقى) مامعنا وموضع أن مع مابعد فيه ما نصب بفعل مضمر أو رفع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر
أحد الأمرين أو الأمر القاروك أو القاروا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركتهم وعلم
موسى اختيار القائم أولا حتى (قال بل ألقوا) أتم أولا ليبرزوا مامعهم من مكاييد السحرة ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل
فيدهم ويسلط المجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة للمعتبرين قالوا (فاذا حباهم وعصيتهم) يقال فى اذا هذه
اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها ووجه تضاف اليها وخصت فى بعض المواضع بان يكون ناصبا فعلا مخصوصا
وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حباهم وعصيتهم والمعنى على مفاجأته حباهم وعصيتهم مخيلة

اليه السعي (بخييل) وبإتاء ابن ذ كوان (اليه) الى موسى (من سحرهم انها تسمى) رفع بدل اشتغال من الضمير في بخييل أي بخييل الملقى روى
 ائهم لطنخوا بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واضطربت فخلت ذلك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أضمر في نفسه خوفا ظنا
 منه أنها تقصده للجملة البشرية أو خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) الغالب القاهر وفي ذ كوان وأنت
 وسرف التعريف رلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (وألق ما في يمينك تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقف
 ابن ذ كوان الباقون تلقف (ما صنعوا) زورا وافتعلوا أي اطرح عصاك بتلغص عصيهم وحباهم ولم يقل عصاك تعظيما لانتخلف بما صنعوا فان
 ما في يمينك أعظم منها أو تخفيرا أي لا تبال بكثرة حباهم وعصيهم والى العو يد القرد الذي في يمينك فإنه بقدرتنا بتلقفها على وحدته وكثرتها
 (انما صنعوا كيد ساحر) كوفي غير عاصم سحر بمعنى ذي سحرا أو ذوى سحرا أو هم لتوغلهم في السحر كأنهم السحر وكيد بالرفع على
 القراءتين وما موصولة أو مصدرية واء واحد ساحر ولم يجمع لان القصدي في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخليل ان
 المقصود هو العدد لا ترى الى (٢٥٨) قوله (ولا يفلح الساحر) أي هذا الجنس (حيث أتى) أيما كان فأتى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا

فيل انهم لما ألقوا الحبال والعصى أخذوا عين الناس فرأى موسى كأن الارض امتلأت حيات وكانت قد
 أخذت ميلا في ميل من كل جانب ورأها كأنها تسمى (فأوجس) أضمر وقيل وجد في نفسه (خيفة موسى)
 قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في
 أمره فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) أي قال الله تعالى لموسى لا تخف (انك أنت الاعلى) أي الغالب عليهم ولك
 الغلبة عليهم والظفر (وألق ما في يمينك) أي عصاك والمعنى لا تخيفنك كثرة حباهم وعصيهم فان في يمينك شيا
 أعظم منها كلها (تلقف) أي تلتقم وتبتلع (ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر) أي حيلة ساحر (ولا يفلح
 الساحر حيث أتى) أي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فألق السحرة سجدا قالوا آمنا برب
 هرون وموسى) قال صاحب الكشف سبحانه ان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حباهم وعصيهم للكفر والجحود
 ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فاعظم الفرق بين الالتقاء وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى
 رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا وأراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة
 (قال) يعني فرعون (أمنتكم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم) أي لرئيسكم وعظيمكم يعني انه أسحركم وأعلامكم
 في صناعة السحر ومعلمكم (الذي علمكم السحر فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي أقطع اليد
 اليمنى والرجل اليسرى (ولا صلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل (ولتعلمن أيما أشد عذابا)
 أي على إيمانكم به أنا وأورب موسى على ترك الإيمان به (وأبقي) أي أدوم (قالوا) يعني السحرة (لن
 نؤثرك) أي لن نختارك (على ما جاءنا من البيئات) يعني الدلالات الواضحات قبل هي اليد البيضاء والعصا
 وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فإين حبانا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار
 ورأوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات (والذي فطرنا) قيل هو قسم وقيل
 معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا (فاقض ما أنت قاض) أي فاصنع ما أنت صانع (انما تقتضي هذه الحياة
 الدنيا) أي انما أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب (انا آمنابر بنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهنا

فلعظم ما رأوا من الآية وقعهوا
 الى السجود فذلك قوله
 (فألق السحرة سجدا) قال
 الاخفش من سرعة ما سجدوا
 كأنهم ألقوا فأعجب أمرهم
 قد ألقوا حباهم وعصيهم
 للكفر والجحود ثم ألقوا
 رؤسهم بعد ساعة للشكر
 والسجود فاعظم الفرق
 بين الالتقاء بن روى انهم رأوا
 الجنة ومنازلهم فيها في
 السجود فرفعوا رؤسهم
 ثم قالوا آمنا برب هرون
 وموسى وانما قدم هرون
 هنا وآخر في الشعراء
 محافظة للفاصلة ولان الواد
 لا توجب ترتيبا (قال آمنتكم)
 بغير مد حفص وبهمزة
 ممدودة بصرى وشامى
 وحجازى وبهمزتين غيرهم

(له قبل أن آذن لكم) أي لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) لعظيمكم أو لمعلمكم تقول أهل مكة عليه
 للعلم أمر في كبرى (فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من
 العضوين يخالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لا ابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وثاني من مخالفة العضو ومحل الجار
 والمجرور النصب على الحال يعني لا تقطعن مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع تمكن المظروف
 في الطرف فلهذا قال (ولا صلبنكم في جذوع النخل) وخص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن أيما أشد عذابا) انا على إيمانكم بي وأورب
 موسى على ترك الإيمان به رقيقا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتكم له واللام مع الإيمان في كتاب الله انبر الله
 كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وأبقي) أدوم (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا من البيئات) القاطعة الدالة على صدق موسى
 (والذي فطرنا) عطف على ما جاءنا أي لن نختارك على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا وقسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم (فاقض
 ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قاله وعليهما مسرودتان فضاهاه أي صنعهما وأحكم ما أنت حاكم (انما تقتضي هذه
 الحياة الدنيا) أي في هذه الحياة الدنيا فاتصّب على الطرف أي انما تحكم فينا مدة حياتنا (انا آمنابر بنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهنا

(عليه) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ماروى انهم قالوا لفرعون ارناموسى نائما ففعل فوجده تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذ انام بطل سحره فذكر هو اعمارضته خوف الفضيحة فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (والله خير) نوابلن اطاعه (وايقى) عقابلن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن اينأشد عذابا وابقى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيى) حياته ينتفع بها (ومن يأت مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها) الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو (٢٥٩) أظهر (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر

بعبادى) لما أراد الله تعالى
اهلاك فرعون وقومه
أمر موسى أن يخرجهم
من مصر ليلا ويأخذهم
طريق البحر (فاضرب لهم
طريقا فى البحر) اجعل
لهم من قولهم ضرب له فى
ماله سهما (يسا) أى يابسا
وهو مصدر وصف به يقال
يسا ويسا (لا تخاف)
حال من الضمير فى فاضرب
أى اضرب لهم طريقا
غير خائف لا تخف حزة
على الجواب (دركا) هو
اسم من الادراك أى لا
يدركك فرعون وجنوده
ولا يلحقونك (ولا تخشى)
الفرق وعلى قراءة حزة
ولا تخشى استئناف أى
وأنت لا تخشى أو يكون
الالف للاطلاق كما فى
وتظنون بالله الظنونا
خرجهم موسى من أول

عليه من السحر) فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون أكرههم فى
الابتداء على تعلمهم السحر لئلا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون
من بنى اسرائيل وكان فرعون أكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون
ارناموسى اذا هو نام فاراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذ انام بطل
سحره فأبى عليهم فاكرههم على أن يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأيقى)
أى خير منك نوابلن ابقى عقابا وقيل خير منك ان أطيع وأبقى عذابا ان صى وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينأ
أشد عذابا وابقى (انه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول
السحرة معناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن
يأت مؤمنا) أى من مات على الايمان (قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أى الرفيعة العلية
ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجرى من تحتها) الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) أى تطهر من
الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وان أبا بكر
وعمر منهم وانما أخرجه الترمذى قوله وانما يقال أحسن فلان الى فلان وانعم أى أفضل وزاد فى الاحسان
والعنى انهم امنهم وزاد اوتناهيا الى غايته قوله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أى أسر
هم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا) أى اجعل لهم طريقا (فى البحر) بالضرب بالعصا (يسا)
أى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيسس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل
معناه لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يفرقك البحر امامك (فاتبعهم) أى فلاحقهم
(فرعون بجنوده فغشيه) أى أصابهم (من اليم ما غشيه) وهو الفرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم
كنهه الا الله تعالى ففرق فرعون وجنوده ونجم موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) أى وما
أرشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما أهدىكم الا سبيل الرشاد قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل قد
أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكرهم الله النعمة فى
نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الألواح وانما قال

الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حلبيهم فركب فرعون فى ستمائة ألف من القبط فقصر أثرهم فذلك قوله (فاتبعهم فرعون بجنوده)
وهو حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيه من اليم) أصابهم من البحر (ما غشيه) هو من جوامع الكلم التى تستقل مع قلبها
بالمعنى الكثيرة أى غشيه ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما أرشدهم الى الحق
والسداد وهذا رد لقوله وما أهدىكم الا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله
(يا بنى اسرائيل) أى أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى وقلنا يا بنى اسرائيل (قد أنجيناكم من عدوكم) أى فرعون (وواعدناكم)
بآية الكتاب (جانب الطور الايمن) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول
التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لاسيما كانت لنبيهم وتقياهم واليه رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم والايمان نصب لانه صفة جانب
وقرى بالجزم على الجواب (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقلنا لكم

(كلوا من طيبات) حالات (مارزقناكم) أنجيتكم وواعدتكم ورزقكم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي أو لا يظلم بعضكم بعضا (فيجعل عليكم غصبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غصبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لا نهوض بعده وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف شرف الإيمان إلى حفرة من حفرة النيران قرأ على فيجعل ويحلل الباقيون بكسر عجم قال كسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداءه والمضموم في معنى النزول (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) وحمد الله تعالى وصدق فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى القرائض (ثم اهتدي) ثم استقام ونبت على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أي وأي شيء عجلك (عن قومك ياموسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد (٢٦٠) المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربهم وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي

وواعدناكم لأنها اتصلت بهم حيث كانت أنبيهم ورجعت منافعها إليهم وبها قوام دينهم ونور يعينهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأهزأه (كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تتقووا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا (فيجعل عليكم غصبي) أي يجب عليكم غصبي (ومن يحلل عليه غصبي فقد هوى) أي هلك وسقط في النار (واني لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) أي وحمد الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) أي أدى القرائض (ثم اهتدي) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الإسلام حتى مات عليه وقيل علم أن لذلك نوابا وقيل أقام على السنة قوله عز وجل (وما أعجلك) أي وما حلك على العجلة (عن قومك ياموسى) وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه إلى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا إلى ربهم وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك ياموسى فاجاب به (قل لهم أولاء على أثرى) أي هم بالقرب منى يأتون على أثرى من بعدى فإن قلت لم يطابق السؤال الجواب فإنه سأل عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولاء على أثرى قلت كان هم موسى بسط العندروته في نفسه ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منه الانتقدم سيرة ثم أعقبه بجواب السؤال فقال (وعجلك إليك رب لترضى) أي أتزاد رضا (قال فانا قد فتننا قومك) أي فانا ابتلينا الذين خافتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالهمل غير اثني عشر ألفا (من بعدك) أي من بعد انطلاقتك إلى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم إلى الضلال وهو عبادة الهمل وإنما أضاف الضلال إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه وقيل إن جميع المنشآت تضاف إلى منشئها في الظاهر وإن كان الموجد لها في الأصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا وأضلهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان علجاً من كرمانيين فاتخذ عجلاً واسمه موسى ابن ظفرو وكان منافقا

أي شيء أوجب عجلك استفهام انكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر (قال هم أولاء على أثرى) أي هم خافي بالحقون في وليس بيني وبينهم الامافة سيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلك إليك رب) أي إلى الموعد الذي وعدت (لترضى) لتزداد عني رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فانا قد فتننا قومك) ألقيناهم في فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (وأضلهم السامري) بدعائه إياهم إلى عبادة الهمل واجابتهم له وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجاً من كرمانيين فاتخذ عجلاً واسمه موسى ابن ظفرو وكان منافقا

(فرجع موسى) من مناجاة ربه (إلى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب أو حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جلا ولا وعد أحسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي إياكم والعهد الزمان يقال طال عهدى بك أي طال زمانى بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدى) وعدوه أن يقيموا على أمره وماتركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعدة باتخاذ الهمل (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بفتح الهم مدنى وعاصم وبضمها حزة وعلى وبكسر ها غديرهم أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو لم يكننا أمرنا وخلفنا موعدك بملكنا (أي بملك أمرنا) وقيل بالضم والفتح الحاء والهم مع التخفيف غيرهم (أوزار من زينة القوم)

أثقالا من حلي القبط أو أرادوا بالاوزار أنها آثام ونبتات لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعله ان لنا غدا عيدا فقال السامري
انما حبس موسى لشؤم حرمته لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم
لم تكن تحل حينئذ فاسرقوها خبأ في حفرة النار قالب عجل فانصغت عجلا بجوفها فخار بدخول الريح في مجار منه أشباه العروق وقيل نفخ فيه
ترابا من موضع قوام فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس (٢٦١) حياة في نغار ومالت طباعهم الى الذهب

فعبدوه (فقد فناها) في نار
السامري التي أوقدها في
الحفرة وأمرنا أن نطرح
فيها الحلي (فكذلك ألقى
السامري) مامعه من الحلي
في النار وأمامه من التراب
الذي أخذه من أثر حافر
فرس جبريل عليه السلام
(فأخرج لهم) السامري
من الحفرة (عجلا) خلقه الله
تعالى من الحلي التي سبكتها
النار ابتلاء (جسدا)
مجسدا (له خوار) صوت
وكان يخور كما يخور
المجاجيل (فقالوا) أي
السامري واتباعه (هذا
الهكم واله موسى) فاجاب
عامتهم الاثنى عشر الفا
(ففسى) أي ففسى موسى
ربه هنا وذهب يطلبه عند
الطور أو هو ابتداء كلام من
الله تعالى أي نسي السامري
ربه وترك ما كان عليه
من الايمان الظاهر ونسي
السامري الاستدلال على
ان العجل لا يكون الها
بدليل قوله (أفلا يرون ان
لا يرجع) أي انه لا يرجع
فان مخففة من الثقيلة (اليهم
قولا) أي لا يجيبهم (ولا يملك

أنفسنا ما كنا قد استعمرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت أوزار الكثرتها وثقلها وقيل الاوزار
الآثام أي حملنا آثاما وذلك أن بنى اسرائيل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين
خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حلبيهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة
ولم تكن الغنائم تحل لهم (فقد فناها) أي ألقيناها قيل ان السامري قال لهم احفر واحفيرة والقوها فيها
حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك ألقى السامري) أي
ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقد هرون ناراً وقال اقدفوا مامعكم فيها وقيل ان هرون مر على
السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون اللهم أعطه
ما سألك على ما في نفسه قال السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا
يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) اختلفوا هل كان
الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة
على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كهوت العجل الثاني انه
صار حيا وخارجا يخور العجل (فقالوا هذا الهكم واله موسى) يعني قال ذلك السامري ومن تابعه من افتتن
به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبالم يحبوا شيئا قط مثله (ففسى) قيل هو اخبار عن قول السامري أي
ان موسى نسي الله وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في
طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامري انه نسي الاستدلال
على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب
الاستدلال به فقال (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا) أي ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم
(ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان
العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل وقوله عز وجل (ولقد قال لهم هرون من قبل) أي من قبل
رجوع موسى (يا قوم انما فتنتم به) أي ابتليتكم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعوني) على ديني في عبادة الله
(وأطيعوا أمرى) أي في ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه
لانه زجرهم أولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم
الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه
لا بد من اقامة الاذى عن الطريق وهي ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة
وانما قال وان ربكم الرحمن نخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله نو بتهم
لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود (قالوا لن نبرح) أي لن نزال (عليه) أي على
عبادة العجل (عا كفين) أي مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كانوا قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل
الاقول موسى فاعتز لهم هرون ومعه اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح
والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شمع

لم ضرا ولا نفعا) أي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه الها وقيل انه ما خارا لامرة (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل
(هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم انما فتنتم به) ابتليتكم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعوني)
كونوا على ديني هو الحق (وأطيعوا أمرى) في ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عا كفين) أي لن نزال مقيمين على العجل
عبادته (حتى يرجع الينا موسى) فنظره هل يعبد كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا فلما رجع موسى

(قال ياهرون مامنك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة الجبل (الانبعني) بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو ووافع في الوصل وغيرهم بلاياء
 أي مادعك الى ان لا تنبعني لوجود التعاقب بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أي شيء منعك أن
 تنبعني حين لم يقبلوا قولك وانحق في وتخير في أو مامنك ان تنبعني في الغضب لله وهلاقاتك من كفر بمن آمن ومالك لم تنبأ بالامر كما كنت
 أبشره انك لو كنت شاهدا (أفصيت أمرى) أي الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه يمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا
 عليه لان الغيرة في الله ملكته (قال يا ابن أم) وخفض الميم شامى وكوفي غير حفص وكان لايه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استطافا
 وترقيقا (لأناخذ بلحيتي ولا رأسي) ثم ذكر عذره فقال (اني خشيت أن تقول) ان قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بني اسرائيل)
 أو خفت أن تقول ان فارقتهم (٢٦٢) واتبعك ولحقني فريقي ونبع السامري فريقي فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ

(قولي) اخلفني في قومي
 وأصلح وفيه دليل على جواز
 الاجتهاد ثم أقبل موسى
 على السامري منكرا
 عليه حيث (قال فما
 خطبك) ما أمرك الذي
 تخاطب عليه (يا سامري
 قال بصرت بما لم يبصروا
 به) وبالناء حزة وعلى قال
 الزجاج بصر علم وبصر نظر
 أي علمت ما لم يعلمه بنو
 اسرائيل قال موسى وما
 ذاك قال رأيت جبريل على
 فرس الحياة فالتقي في نفسي
 ان أقبض من أثره فما
 ألقيته على شيء الا صار له
 روح ولحم ودم (فقبضت
 قبضة) القبضة المرة من
 القبض واطلاقها على
 المقبوض من تسمية المفعول
 بالمصدر كضرب الأمير
 وقرئ فقبضت قبضة فالضاد
 بجميع الكف والصاد
 باطراف الاصابع (من أثر

رأسه يمينه ولحيته بشماله و (قال) له (ياهرون مامنك اذ رأيتهم ضلوا) أي اشركوا (الانبعني) أي
 تتبع أمرى ووصيتي وهلاقاتك اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه مامنك من
 اللحقوني واخباري بضلالهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما أتوه (أفصيت أمرى) أي خالفت
 أمرى (قال يا ابن أم) لا تأخذ بلحيتي ولا رأسي أي بشعر رأسي وكان قد أخذ بذؤابتيه (اني خشيت ان
 تقول) أي لو أنكرت عليهم لصاروا اخر بين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بني اسرائيل) أي خشيت
 ان فارقهم واتبعك ان يصيروا اخر ابا فيقتاتلون فتقول فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب قولي) أي لم تحفظ
 وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فما خطبك) أي فما
 أمرك وشانك وما الذي حملك على ما صنعت (يا سامري قال) يعني السامري (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت
 قبضة من أثر الرسول) أي من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) أي فقدفتها في فم الجمل فخار فان قلت
 كيف عرف السامري جبريل وراه من بين سائر الناس قلت ذكر وافي وجهين أحدهما ان أمه ولدته في
 السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعت في كهف حذر اعليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليريه لما قضى
 الله على يديه من الفتنة الوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامري من بين
 سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا الشأنا فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطنه فلما سأله موسى قال قبضت
 قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله
 ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سوت) أي زينت (لي نفسي) وقيل انه من السؤال والمعنى
 انه لم يدعني الى فعله غيري واتبعته فيه هواي (قال) يعني موسى للسامري (فاذهب فان لك في الحياة) أي
 ما دمت حيا (ان تقول لا مساس) أي لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد فعوقب في الدنيا بعقوبة ولا شيء
 أوحش منها ولا أعظم وذلك ان موسى امر بني اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته
 ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا مساس لك ولولدك فصار السامري بهم في البرية مع
 الوحش والسباع لا يمسه أحد ولا يمسه أحد ولا يمسه أحد فاجتمعوا ففتحوا الناس
 وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) أي يا سامري (موعدا) أي
 بعداك في الآخرة (ان تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم
 القيامة وقرئ بالفتح أي لن تكذبه ولم تخلفه الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهك) أي الذي تزعم

الرسول) أي من أثر فرس الرسول وقرئ بها (فنبذتها) فطرحتها في جوف الجمل (وكذلك سوت) الذي
 زينت (لي نفسي) ان أفعله ففعلته اتباعا لهواي وهو اعتراف بالخطأ واعتذار (قال) له موسى (فاذهب) من ينسأطر يدا (فان لك في الحياة)
 ما عشت (ان تقول) لمن أراد مخالطتك جاهلا بحالك (لا مساس) أي لا يمسه أحد ولا أمسه فنع من مخالطة الناس منعاً كلياً وحرم عليهم
 ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق أن يمسه أحد احم الناس والممسوس وكان بهم في البرية يصيح لا مساس ويقال ان ذلك موجود في أولاده
 الى الآن وقيل أراد موسى عليه السلام ان يقتله ففعله الله تعالى منه لسخائه (وان لك موعد ان تخلفه) أي لن يخلفك الله موعدة الذي وعدك
 على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا لن تخلفه مكي وأبو عمرو وهذا من أخلفت الموعدة اذا وجدته
 خلفا (وانظر الى الهك

الذي ظلت عليه) وأصله ظلت خدف اللام الأولى مخفيفا (ع كفا) مقبلا (لحرقته) بالنار (ثم لنسفه) لنذرينه (في اليم نسفا) خرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حباله فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (انما الحكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) تميزاى وسع علمه كل شيء وحل الكاف في (كذلك) نصب أى مثل ما اقتصنا عليك قصة موسى وفرعون (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الامم الماضية كثيرا ليدانك وزيادة في مجزائك (وقد آتيناك) أى أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرنا) قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشغل على الاقاصيص والاخبار الحقيقية بالتفكير والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكرو هو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحل الثقيل الذي ينقض ظهره ويلقى عليه بهرأ ولانها جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين) حال من الضمير في يحمل وانما جمع على المعنى ووحد في فانه جلا على لفظ من (فيه) في الوزر أى في جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة جلا) ساء في حكم بشس وفيه ضمير مبهم يفسره جلا وهو تميز واللام في لهم للبيان كافي هيت لك والخصوص بالذم محذوف لدلالة (٢٦٣) الوزر السابق عليه تقديره ساء لهم جلا وزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة تنفخ أبو عمرو (في الصور) القرن أو هو جمع صورة أى تنفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال أى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لان حدة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتخافتون (بينهم) أى يتساورون (الاعشرا) أى عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصر وامتد لبثهم ل هول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أى يتساورون فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى اوفاهم عقلا واعد لهم قولا (ان لبثتم الايوما) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل (ويستلونك عن الجبال فقل ينفهاري نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو

الذي ظلت عليه عا كفا) أى دمت عليه مقبلا تعبدته (لحرقته) بالنار (ثم لنسفه) أى لنذرينه (في اليم) أى في البحر (نسفا) روى أن موسى أخذ الجبل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقه أى لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب الجاود ما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار الجاود ما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر الجبل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل (انما الحكم الله) أى المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) أى وسع علمه كل شيء وقيل لهم من يعبدونه قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعنى من أخبار (ما قد سبق) يعنى الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أى عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أى جلا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) أى مقبطين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة جلا) أى بشس ما حلوا أنفسهم من الاثم (يوم ينفخ في الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) أى يتساورون (بينهم) ويتكلمون خفية (ان لبثتم) أى مكثتم في الدنيا (الاعشرا) أى عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصر وامتد لبثهم ل هول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أى يتساورون فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى اوفاهم عقلا واعد لهم قولا (ان لبثتم الايوما) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل (ويستلونك عن الجبال فقل ينفهاري نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو

جلا وزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة تنفخ أبو عمرو (في الصور) القرن أو هو جمع صورة أى تنفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) حال أى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لان حدة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافتون) يتخافتون (بينهم) أى يتساورون (الاعشرا) أى عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصر وامتد لبثهم ل هول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أى يتساورون فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى اوفاهم عقلا واعد لهم قولا (ان لبثتم الايوما) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل (ويستلونك عن الجبال فقل ينفهاري نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو

القبور أو في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكروهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونهم بالقصر لان أيام الله رور وقصار ولانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ولا استطالتهم الآخرة لانها أبد استقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالا منه بقوله (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة) أعد لهم قولا (ان لبثتم الايوما) وهو كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسال العادين (ويستلونك عن الجبال) سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقديره ان سألك (فقل) ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويستلونك عن المحيض قل هو أذى وقوله ويستلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير يستلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير يستلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى ويستلونك عن الروح قل الروح عن ذى القرنين قل سأتلوا الانها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء (ينسفهاري نسفا) أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام وقال الخليل يقلعها

(فيذرها) فيذرمقارها أو يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (فماصففا) مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمنا) ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعاني كما أن المقترح في الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن أن يوجد فيها عوجا ج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني (بومئذ) أضاف اليوم الى وقت نصف الجبال أي يوم اذ نفت وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) الى المحشر أي صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس أيها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمى الى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا يعدلون عنه (لا عوج له) أي لا عوج له مدعو بل (٢٦٤) يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات

للرحمن) هيبه واجللا (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيفا لتحريك الشفاه وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر (بومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن) محل من رفع على البديل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أي أذن للشافع في الشفاعة (ورضى له قولا) أي رضى قولا لاجله بان يكون المشفوع له مسلما أو نصب على المدح لانه مفعول تنفع (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) أي بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير الى

القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) أي يدع أما كن الجبال من الارض (فما صففا) أي أرضا ملساء مستوية لانيات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمنا) أي لا انخفاضا ولا ارتفاعا أي لا ترى وادي ولا رابية (بومئذ يتبعون الداعي) أي صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك أنه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) أي لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحمن) أي سكنت وذلك وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع (فلا تسمع الا همسا) وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (بومئذ لا تنفع الشفاعة) لاحد من الناس (الا من أذن له الرحمن) أي الا من أذن له أن يشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي أي يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن أن يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أي أيدي الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع الى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) أي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لان صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وقوله تعالى (للحي القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزداد على سيئاته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤخذ بذنوب لم يعملها ولا تبطل عنه حسنة عملها ﴿ قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أي كما ينشأ في هذه السورة وهذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرأنا عربيا) أي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) أي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان القرائن

ما ويرجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس بمحاط (وعنت) خضعت وذلت ومنه قيل للاسبرغان (الوجوه) والمحارم أي أصحابها (للحي) الذي لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقد خاب) يش من رحمة الله (من حمل ظلما) من حمل الى موقف القيامة شركا لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريكا من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات الطاعات (وهو مؤمن) معذوق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبوطها (فلا يخاف) أي فهو لا يخاف فلا يخف على النبي مكي (ظلما) أن يزداد في سيئاته (ولا هضما) ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد

لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذ كرا) عظة أو شرفا بآيائهم به وقيل أو بمعنى الواو (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام وتنزه عن مضاهاة الأنام ومشابهة الأجسام (الملك) الذي يحتاج إليه الملوك (الحق) الحق في الألوهية ولما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا وإذا فنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك (ولأنجل بالقرآن) بقرائه (من قبل أن يقضى إليك وحيه) من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ (وقل رب زدني علما) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم (ولقد عهدنا إلى آدم) أي أوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة يقال في أوامر الملوك ووصاياهم يقدم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم عليه وعهد إليه فعطف قصة آدم على وصرفنا فيه (٢٦٥) من الوعيد والمعنى وأقسم قسمي القدامرنا

أباهم آدم ووصيناها أن لا يقرب الشجرة (من قبل) من قبل وجودهم يخالف إلى مانهي عنه كما أنهم يخالفون يعني أن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرفهم راسخ فيه (ففسى) العهد أي النهي والأنبياء عليهم السلام يؤخذون بالنسيان الذي لو تكفوا لحفظوه (ولم نجد له عزما) قصد إلى الخلاف لا مره أو لم يكن آدم من أولى العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما أو بمعنى تقيض العدم أي وعدم ناله عزما وله متعلق بنجد (واذ قلنا) منصوب بأذكر (للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كاقبلة لضرب تعظيم له فيه (فسجدوا إلا إبليس) عن ابن عباس رضي الله عنهما إن إبليس كان ملكا من جنس

والمحارم لأن الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضي بيان الأحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذ كرا) أي إنما أنزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم القرآن ذكر إرغبتهم في الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الام السالفة بقوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أي جل الله وعظم عن الحاد للملحين وعمما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل إنما وصف نفسه بالملك الحق لأن ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولأنجل بالقرآن) أراد النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات أو النسيان فنهأه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولأنجل بالقرآن أي ولأنجل بقرائه (من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تله عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما إلى ما علمت فإن لك في كل شيء علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما وإيمانا ويقينا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولقد عهدنا إلى آدم) يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون (ففسى) أي فترك ما عهدنا إليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذي هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) أي صبرا عما نهى عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون إلى المدح أقرب ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) أن يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا) أي إبليس (عدوك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم حسده فصار عدوا له (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) أسند الخروج إليه وإن كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل أهبط إلى آدم ثورا حرا فكان يحرق عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم أسند الشقاء إلى آدم دون حواء قلت فيه وجهان أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني أنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو الساعى

(٣٤ - خازن - ثالث) المستثنى منهم وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون وإبليس من نار السموم وإنما صح استثناءه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وإن يكون معناه أظهر الأباء وتوقف (فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم يرفضك (فلا يخرجكما من الجنة) فلا يكون سببا لخراجكما (فتشقى) فتعيب في طلب القوت ولم يقل فتشقى مراعاة لرؤس الآي أو دخلت تبعا ولأن الرجل هو الكافل لنفسه والمرأة وروى انه أهبط إلى آدم ثورا حرا وكان يحرق عليه ويمسح العرق من جبينه

(ان لك الانجوع فيها) في الجنة (٢٦٦) (ولا تعري) عن الملابس لانها معدة أبدافها (وانك) بالكسر نافع وأبو بكر عطف على ان

الاولى وغيرهما بالفتح عطف على أن لانجوع وعمله نصب بان وجاز للفصل كالتقول ان في علمي انك جالس (لا نظاماً فيها) لاتعطش لوجود الامر به فيها (ولا تضحي) لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل عمود (فوسوس اليه الشيطان) أي أنهى اليه الوسوسة كسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) كسر اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى (فا كلا) أي آدم وحواء (منها فبذت لهما سوأتهما) عورتهما (وطفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو ككادفي وقوع الخبر فعلا مضارعاً لانه لا شروع في أول الامر وكاد للدنو منه (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان الورق بسوأتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم) ربه فغوى) ضل عن الرأي وعن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع الفعل على خلاف الامر والتهى وقد يكون عمداً فيكون ذنباً وقد لا يكون عمداً فيكون زلة ولما وصف فعله بالعصيان

على زوجته (ان لك الانجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعري وانك لا نظاماً فيها) أي تعطش (ولا تضحي) أي تبرز للشمس فيؤذيك حره لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل عمود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والسكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة وانه مكفى لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا (فوسوس اليه الشيطان) أي أنهى اليه الوسوسة كسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت مخلداً (وملك لا يبلى) أي لا يبلى ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبة ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وادام مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقهم وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه وأعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه ﴿وقوله تعالى﴾ (فا كلا منها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبذت لهما سوأتهما) أي عريهما من الثياب التي كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عورتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان بسوأتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أي باكل الشجرة (فغوى) أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل انما طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من الغزالي الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مراراً ويعتاده (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتؤمنني على أمر قد رده الله تعالى على قبل أن يخلقني باربعين عاماً فخرج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل تلومني على ان عملت عملاً كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى ﴿الكلام على معنى الحديث وشرحه﴾ قوله احتج آدم وموسى الحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أي جادلته فغلبيته قال أبو سليمان الخطابي قد يحب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فخرج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العبادوا كسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلقها خيراً وشرها والقدر اسم لما صدر مقدر عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وكسابهم ومباشرتهم الامور وما يستهم ايها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالجدة انما تلزمهم بها والائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الجنة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سبباً لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما أدلى آدم بالجدة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتؤمنني على أمر قد رده الله تعالى على من قبل أن يخلقني ﴿فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك﴾ قال الامام نضر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن

خرج فعله من أن يكون رشد افكان غيلاً ان الذي خلاف الرشد وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله الكذب وزل آدم من جرة بليغة وموعظة كافة للكافرين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعت على النبي المعصوم حبيب الله زلت به هذه القطة

الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والالاررفع الوثوق بالاداء وانفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على أنه لا يجوز خطوهم فيها على سبيل العمد وأجازه بعضهم على سبيل السهو والرابع ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبار الثاني قول من منع من الكبار وجوز الصغار على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائي الرابع أنه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا الخامس أنه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب الى أنهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى أن ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب أن لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز أيضا لان معنى النبوة والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وإضافته يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت بيديها العقل أنه لا شيء أقبح من رفع الله درجته وأتمنه على وحيه وجعله خليفة في عبادته وبلاده يسمع به وينادي به لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيح الغرض واجتمعت الامة على أن الانبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلا ولم يطيعوه لدخول تحت قوله أنا مرون الناس بالبروتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه الخامس قال الله تعالى أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ولم يظفوا للعموم في تناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الانبياء كانوا أفاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك يناقض صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصفيتك على الناس برسالي وبكلامي وقال تعالى واذا كرمنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصفاء والخيرة وذلك يناقض صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها أن تقول ان كلامهم انما يتم ان لو يدنو بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما أي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكامل الناصحين وتوهم ان أحد الا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصد للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهى عنها لانه تناول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تناول ان الله تعالى لم ينه عنها نهى تحريم فان قلت اذا

فلا تهاونوا بما يفرط
منكم من الصغار فضلا
عن الكبار

(ثم اجتبه ربه) قر به اليه واصطفاه وقرى به وأصل الكلمة الجمع يقال جى الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل ثوبته (وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعنى آدم وحواء (بعضكم) ياذر به آدم (لبعض عدو) بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين (فاما ياتينكم منى هدى) كتاب وشريعة (فن اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يثقى) فى العقبى قال ابن عباس رضى الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يثقى فى الآخرة يعنى ان الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين

(٢٦٨)

فمن اتبع كتاب الله وامثل أوامره واتهى عن نواهيته نجى من الضلال ومن عقابه (ومن أعرض عن ذكرى) عن القرآن (فان له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوى فى الوصف به المذكور والمؤث عن ابن جبير بسلب القناعة حتى لا يشبع فع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرس والشح فعبثه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحدكم عن ذكر ربه الا ظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجية عن ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) فى الدنيا (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر فقال (أتك آياتنا فنسيتها)

نفيت عنهم الذنوب والمعاصى فسامعنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما نكر فى القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وثوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكأنهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شئ عليه قلت ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته فى عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم فى تصرفهم بأمورهم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وأتوها على وجه التأويل او السهو ووزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم كما قيل حسنت الابرار سيئات المقربين أى يرونها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيئات وسند كفى كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (ثم اجتبه ربه) أى اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أى عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) أى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولا بليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتغال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فجعلنا كاهما البشر غوطبا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشیاطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما ياتينكم منى هدى) أى كتاب ورسول (فن اتبع هداى) أى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يثقى) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فن اتبع هداى فلا يضل أى فى الدنيا ولا يثقى أى فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضط فى القبر حتى تختلف أضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضرب والعساكين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معاشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجية (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) أى بصير العين أو بصير بالحجة (قال كذلك) أى كما (أتك آياتنا فنسيتها) أى فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أى تترك فى النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك نحزى من أسرف) أى كما نحزى من أسرف عن القرآن كذلك نحزى من أسرف أى أشرك (ولم يؤمن با آيات ربه) وعذاب الآخرة أشد أى بما عذبهم الله به فى الدنيا والقبر (وأبى) أى وأدوم ﴿ قوله تعالى

وكذلك اليوم تنسى) أى أنك آياتنا واضحة فلم تنظر اليها بين المعبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم تتركك على عمالك ولا تزال غطاء من عينيك (وكذلك نحزى من أسرف ولم يؤمن با آيات ربه) ولعذاب الآخرة أشد وأبقى لما نوعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أى للعشر على العمى الذى لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى

(أفلم يهد لهم) أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير المجزور في لهم (في مساكنهم) يريدان قريشاً يمشون في مساكن عاد ونموذوقوم لوط ويعاينون آثارها لاكنهم (ان في ذلك آيات لاولي النهي) لذوي العقول اذا تفكروا علموا ان استنصاهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاماً) لازماً فاللزام مصدر لازم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لازم القرون الماضية الكافرة (فأصبر على ما يقولون) فيك (وسبح) وصل (بمحمد ربك) في موضع الحال وأنت حامد لربك على أن (٢٦٩) وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل

طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أي وتعهداً آناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصاً بها بصلاتك وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلاة الوسطى عند البعض وانما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لامن الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الاوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك

(أفلم يهد لهم) أي أفلم يبين القرآن لكفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم عمود قريش قوم لوط (ان في ذلك آيات لاولي النهي) أي لذوي العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاماً وأجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لازم القرون الماضية الكافرة (فأصبر على ما يقولون) نستختها آية السيف (وسبح بمحمد ربك) أي صل بامر ربك (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) أي صلاة العصر (ومن آناء الليل) أي ومن ساعاته (فسبح) يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعني صلاة الظهر ^{سبح} وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) أي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف اليم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعاً لا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته وروى بتشديد اليم من الانضمام والازدحام أي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية للمرئي وهي فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون ﴿ قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيع ولا أسلفه الا برهن فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعني أو أسلفني لقضيتني وانى لامين في السماء وأمين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أي لا تنظر نظراً تكاد تردده استحسننا المنظور اليه واعجاباً به وتمنياله (الى ما متعنا به) أي أعطينا (أزواجاً) أي أصنافاً منهم زهرة الحياة الدنيا) أي زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أي لنجعل ذلك فتنة لهم بان يزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً

وترضى على وأبو بكر أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسننا المنظور اليه واعجاباً به وفيه أن النظر غير المدود معفو عنه وذلك أن يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقة همارج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها يحصل لغرضهم ومغرضهم على اتخاذها (الى ما متعنا به أزواجاً منهم) أصنافاً من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناساً منهم (زهرة الحياة الدنيا) زينتها وبهجتها وانتصب على الذم ابداله من محل به أو على ابداله من أزاجاً على تقدير ذوى زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفر ان منهم أولئك في الآخرة بسببه

تأتهم مدني وحفص
 وبصري (ينة مدني
 الصنف الاول) أي
 الكتب المتقدمة يعني أنهم
 اقترحوا على عادتهم في
 النعت آية على النبوة فقليل
 لهم أولم تأتكم آية هي أم
 الآيات وأعظمها في باب
 الإعجاز يعني القرآن من
 قبل ان القرآن برهان
 ما في سائر الكتب المنزلة
 ودليل صحة لأنه معجزة
 وتلك ليست بمعجزات
 فهي مفتقرة الى شهادته
 على صحة ما فيها (ولو أنا
 أهل كناهم بعذاب من
 قبله) من قبل الرسول أو
 القرآن (لقالوا ربنا لولا
 هلا) أرسلت الينا رسولا
 فننزع) بالنصب على
 جواب الاستفهام بالقاء
 (آياتك من قبل أن
 نذل) بنزل العذاب
 (ونخزي) في العقبي (قل
 كل) أي كل واحد منا ومنكم

(متريق) منتظر للعاقبة ولما
اذا جاءت القيامة (من أصحاب
الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة
عشرة آية مدني وبصري)
المراد بالناس المشركون لان ما
وصفه بالاقتراب لقلة ما بقي بالا

(متر بصر) منتظر للعاقبة ولما يؤل إليه أمرنا وأمركم (فتر بصوا) أنتم (فستعلمون) على
إذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحلها نصب (الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) إلى النعيم المقيم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الأسورة طه ويس والله أعلم بالصواب ﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثناعشرة آية كوفي واحد
عشرة آية مدني وبصري﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اقرب) دنا (للناس) اللام صلة لا قرب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن
المراد بالناس المشركون لأن ما يتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة وإنما
وصفه بالاقتراب لقلة ما بقي بالإضافة إلى ما مضى ولأن كل آت قريب

(وهم في غفلة) عن حسابهم وعميافعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكافئين قرب غافل عن حساب له لاستغراقه في دنياه واعراضه عن مولاه وبغافل عن حساب له لاستهلا كه في مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق البرؤية المولى والاول انما يفيق في عسكر الموتى فالواجب عليك ان تحاسب نفسك قبل ان تحاسب وتنبه للعرض قبل ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتستغل بذكر خالق الخلق اجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين (ماياتهم من ذكر) شيء من القرآن (من ربههم محدث) في التنزيل اتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثها (الاستمعوه) من النبي عليه السلام او غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون او وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير في استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلاهية وهي من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق القلب اللاهية المشغول بزينه الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهواها (وأسرؤا) وبالغوا في اخفاء (النجوى) وهي اسم من التناجي ثم أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسرؤا ايذا بانهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة (٢٧٨) أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا الا بشر مثلكم) أفتأتون السحروا تم تبصرون) هذا الكلام كله في محل نصب بدل من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضرا والمعنى انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحروا تم تشهدون وتعانيون انه

على بعضه (وهم في غفلة معرضون) أي عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسي ثم اذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ماياتهم من ذكر) من ربههم محدث) يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكركم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذي كره الحديث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (الاستمعوه وهم يلعبون) أي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية) قلوبهم) أي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (وأسرؤا النجوى الذين ظلموا) أي بالغوا في اخفاء التناجي وهم الذين اشركوا بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبر عنهم (هل هذا الا بشر مثلكم) يعني انهم أنكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من أشكاله أقرب (أفتأتون السحروا) أي اتحضرون السحروا وتقبلونه (وانتم تبصرون) أي تعلمون أنه سحر (قل) لهم يا محمد (ربي يعلم القول في السماء والارض) أي لا يخفى عليه شيء (وهو السميع) لا قوا لهم (العليم) بأفعالهم قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم (بل افتراء) أي اختلقه (بل هو شاعر) وذلك أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فريفة وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (بآية) أي بحجة ان كان صادقا (كما أرسل الاولون) أي من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي من أهل قرية أنتهم الآيات (أهل كنها) أي بالكذب (أفهم يؤمنون) أي ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما

سحر (قال ربي) حزة وعلى وحفص أي قال محمد وغيرهم قل ربي أي قل يا محمد لا الذين أسروا النجوى (يعلم القول في السماء والارض) أي يعلم قول كل قائل هو في السماء أو الارض سرا كان أو جهرا (وهو السميع) لا قوا لهم (العليم) بما في ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر) اضربوا عن قلوبهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام رآها في نومه فتوهمها وحيامن الله اليه ثم الى أنه كلام مفترى من عنده ثم الى أنه قول شاعر وهكذا الباطل للجلج والبطل رجاء غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وليس الامر كما يظن (فليأتنا بآية) بمعجزة (كما أرسل الاولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وبراء الكه واحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الاولون من حيث انه في معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للآيات ان لا ترى أنه لافرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهل كنها) صفة لقرية عند محبي الآيات المقترحة لانهم طلبوها نعمتنا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أنتهم أفئ من هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعنى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا

(وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (يوحى إليهم) نوحى حفص (فاستأخوا أهل الذكرك) العلماء
بالكتابين فأنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا بشرًا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (إن كنتم لاتعلمون)
ذلك ثم بين أنه مكن تقدمه من الأنبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحدا جسدا لإرادة الجنس (لا يأكلون الطعام) صفة لجسد يعنى
وما جعلنا الأنبياء قبله ذوى جسد غير طاهرين (وما كانوا خالدين) ثم صدقناهم الوعد (بأنجائهم والأصل فى الوعد مثل واختار موسى قومه أى من
قومه (فأنجيناهم) من أجل قومه (ومن نشاء) ثم المؤمنون (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الأخبار باهلاك المسرفين
على أن من نشاء غيرهم (نذر) (٢٧٢) أنزلنا إليكم) ياء مشرق قریش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم أن عملتم به أولانه بلسانكم

جاءهم أفيؤمن هؤلاء ﴿قوله تعالى﴾ (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم) هذا جواب قولهم هل هذا
الإبشر مثلكم والمعنى أن الرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالا نوحى إليهم مثلك (فاستأخوا أهل الذكرك)
يعنى أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فأنهم لا يتكروا أن الرسل كانوا بشرًا وأن أنكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لأن المشركين أقرب إلى تصديقهم من تصديق
من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لم وقيل أراد الله كسر القرآن أى فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن
(إن كنتم لاتعلمون) ﴿قوله عز وجل﴾ (وما جعلناهم) أى الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم
ما هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرًا يأكلون الطعام (وما كانوا
خالدين) أى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) أى الذى وعدناهم باهلاك أعدائهم
(فأنجيناهم ومن نشاء) أى من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) أى المشركين لأن المشرك
مصرف على نفسه ﴿قوله عز وجل﴾ (لقد أنزلنا إليكم) أى بامعشر قریش (كتابا فيه ذكركم) أى شرفكم
وغرركم وهو شرف أن آمن بدوقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل
فيه تذكرة لكم تحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بحث على التدبر لأن الخوف
من لوازم العقل ﴿قوله تعالى﴾ (وكم قصصنا) أى أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أى كافرة والمراد أهل
القرية (وأنشأنا بعدها) أى أحدثنا بعدها أهلها (قوما آخريين فلما أحصوا بأسنا) أى عذابنا
بحاسة البصر (ذاقم منها بر كضون) أى يسرعون هاربين من قريرتهم لما رأوا مقدمة العذاب (لا تركضوا)
أى قيل لهم لا تهربوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) أى تعتمتع فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسألون)
قال ابن عباس عن قيس بن زيد نزلت هذه الآية فى أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عر بافيت الله
إليهم نبيا يدعوه إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم مختصر فتاتهم وسباههم فلما استمر فبهم القتل
عر بوا فقات الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أى لا تهربوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم
تسألون شيئا من دنياكم فتعطون من شتم وتمنعون من شتم فأنكم أهل ثروة ونعمة فاتبهم بختصر
وأخذتهم السيوف ونادى منادى من جوار السماء بالنارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم
(قالوا يا ويلتنا ما كنا ظالمين) أى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك أنهم اعترفوا بالله نب حين عاينوا العذاب

أوفيه مواعظكم وفيه
ذكر دينكم ودنياكم والجنة
أى فيه ذكركم صفة كتابا
(أفلا تعقلون) ما فاضلكم
به على غيركم فتؤمنوا (وكم)
نعب بقوله (قصصنا) أى
أهلكنا (من قرية) أى
أهلها بدليل قوله (كانت
ظالمة) كافرة وحقى واردة
عن غضب شديد وسخط
عظيم لأن القسم أقطع
الكسر وهو الكسر الذى
يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف
القسم فانه كسر بلا بانه
(وأنشأنا) خلقنا (بعدها)
قوما آخرين) فسكنوا
مساكنهم (فلما أحصوا)
أى المهلكون (بأسنا)
عذابنا أى علموا علم حس
ومشاهدة (ذاقم منها)
من القرية واذلما مفاجأة
وهم مبتدأ والخبر (بركضون)
يهربون سريعين والركض

ضرب الدابة بالرجل فيه جواز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريرتهم لما أدركتهم مقدمة
العذاب أو شبهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم لما كذبوا الرسل كضين لدوابهم فقتلهم (لا تركضوا) والقاتل بعض الملائكة (وارجعوا إلى
ما أترفتم فيه) تعتمتع فيه من الدنيا وابن العيش قال الخليل المتوفى الموضع عليه عيش القليل فيه هم (ومساكنكم لعلكم تسألون) أى يقال
لهم استهزاء بهم ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم فتجيئوا السائل عن علم ومشاهدة
أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفع فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بتم تأمرون وكيف تأتى ونذر كعاد
المنعمين المخدومين أو يسألكم الناس فى أنديةكم المعاونة فى نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطامع ويستمطرون سحاب
الكفكم أو قال بعضهم بعض لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون ما لاوخر أجا فلا تقبلون فتودى من السماء
بالنارات الأنبياء وأخذتهم السيوف فثم (قالوا يا ويلتنا ما كنا ظالمين) اعترفوا بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف

(فما زالت تلك) هي إشارة إلى يا ويلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك صر فوع على أنه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أي الزرع المحصود ولم يجمع كالم يجمع المقدس (خامدين) ميتين خود النار وحصيد خامدين مفعول ثان لجعل أي جعلناهم جامعين لمائة الحصد والحد كقولك جعلته حلوا حامضاً أي جعلته جامعا للطعمين (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لا عين) اللعب فعل يروق أو له ولا ثبات له ولا عين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوى بنا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق لله واللعب وانما سوي بنا هذا السقف المرفوع ولنجازي المحسن والمسي على ما تقتضيه حكمتنا ثم زده ذاته عن سمات الحدوث بقوله (لو أردنا أن نتخذها) أي ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه وصريم صاحبه (لاتخذنا من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كنا فاعلين) أي ان كنا من يفعل ذلك ولنا من يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقولنا وان أدري أي ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضرب عن اتخاذ الله وتزيه منه لذاته كأنه قال سبحانه (٢٧٣) ان نتخذ الله بل من سنتنا نقذف أي

نرمي ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان أو بالاسلام على الشرك أو بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف ليراد الحق على الباطل والدمغ لذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكأنه قيل بل نوردا الحق الشبه بالجسم القوي على الباطل الشبه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي الضعيف (فاذا هو) أي الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل) تصفون) الله من الولد ونحوه

وقالوا ذلك على سبيل التدامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) أي بالسيوف كما يحصد الزرع ((خامدين) أي ميتين) قوله عز وجل (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لا عين) معناه ما سوى بنا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب والله وانما سوي بنا هذا السقف المرفوع ولنجازي المحسن والمسي على ما تقتضيه حكمتنا ثم زده ذاته عن سمات الحدوث بقوله (لو أردنا أن نتخذها) أي ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه وصريم صاحبه (لاتخذنا من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كنا فاعلين) أي ان كنا من يفعل ذلك ولنا من يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقولنا وان أدري أي ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضرب عن اتخاذ الله وتزيه منه لذاته كأنه قال سبحانه (٢٧٣) ان نتخذ الله بل من سنتنا نقذف أي نرمي ونسلط (بالحق) أي بالقرآن (على الباطل) أي على الكفر وقيل الحق قول الله أنه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيكسره (فاذا هو زاهق) أي ذاهب والمعنى اننا نبطل كذبهم بماتبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يوم عشرين الكفار (ماتصفون) الله بما لا يليق به من صاحبة والولد (وله من في السموات والأرض) أي عبيدا وملكاهو الخالق لهم والمنعم عليهم بأصناف النعم (ومن عنده) يعني الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا اذ اخبروا في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) أي لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتري في جميع أوقاتهم لاتخذ الله فترة بفرغ أو شغل آخر قال كعب الأخبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الأرض) يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الأرض (هم ينشرون) أي يحيمون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد

(٣٥ - (خازن) - ثات) (وله من في السموات والأرض) خلقا وملكا فاني يكون شيء منه ولد الله بينهما تناف ويوقف على الأرض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزل ولا مكانا يعني الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته ولا يستحسرون) ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسبحون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لاتخلله فترة بفرغ أو شغل آخر فتسبيحهم جار مجرى النفس منائم أضرب عن المشركين منكر اعليهم ومو تخافهم بام التي بمعنى بل والهمزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) يحيمون الموتى ومن الأرض صفة لآلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض كالذهب والفضة والحجر وتعبد في الأرض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أي مدني أو متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفي قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان أصنامهم تحي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموتى لانه يلزم من دعوى الالهية لها دعوى الانشار لان العاجز عنه لا يصح أن يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الياء وهما الغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحيها

(لو كان فيهما آلهة الا الله) أي غير الله وصفت آلهة بالآ كما وصفت بغيره لو قيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البديل لأن لو بمنزلة أن في أن الكلام معه موجب والبديل ولا يجوز نصبه استثناء لأن الجمع إذا كان منسكرا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمضني لو كان يدبر أمر السموات والأرض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما (افسدنا) تخر بنا لوجود المنافع وقد قررناه في أصول الكلام ثم زه ذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لا يسئل عما يفعل) لأنه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض صيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعدسفا فن هو مالك الملوكة ورب الأرباب وفعله صواب كله أولى بأن لا يعترض عليه (وهم يسئلون) لأنهم مملوكون خطأون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع إلى المسيح والملائكة أي هم مسؤولون فكيف يكونون آلهة والآلوهية تناقض الجنسية والمسؤولية (أم اتخذوا من دونه آلهة)

(٢٧٤)

من القدم والانهام بابلغ وجوه السم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) أي في السماء والأرض (آلهة الا الله) أي غير الله (افسدنا) أي تخر بنا وهلك من فيهما لوجود المنافع من الآلهة لأن كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجز على النظام وقال الامام غير الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي إلى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضي إلى المحال لا بالفرضنا وجود الهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زبد ونسكينة ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المراد أن وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المنافع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمنع مراده هذا الاعتد بوجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنع مع الوجود معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما أنه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة فإذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والآخر ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما أنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والمجزئ نقص وهو على الآلهة محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي إلى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لأن اسناد الفعل إلى الفاعل إنما كان لا مكانه فإذا كان كل واحد منهما مستقلا بالابحاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده إلى هذا الكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه نكتة تامة في مسألة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي إلى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما وإذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعاً ونقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فإن اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور طما ومرادهما فيلزم وقوعهما وهو محال وإن اختلفا فاما أن يقع المراد أن أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات واعلم أنك إذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدةانية فكثيرة في القرآن واعلم أن كل من طعن في دلالة المنافع ففسر الآية بأن المراد لو كان في السما والأرض آلهة يقول باطيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لأنها جادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لأنه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) أي لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه (وهم يسئلون) أي والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى أنه لا يسئل عما يحكم في عبادته من اعزاز واذلال وهدي واضلال واسعاد واشقاء لأنه الرب مالك الأعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى إيس فوقه أحد يقول له لشيء فعله لم فعلته ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما بطن الله تعالى أن تكون آلهة سواء بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا

هذا

الاعادة لزيادة الافادة فالاول لانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل

أي وصفتهم الله تعالى بأن يكون له شريك فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك وذاعقلى وهو بآباء كما مر أوتى لي وهو الوحي وهو أيضا ما فاتكم لا نجد في كتاب الله الكتب السماوية الاوهة تنزهه عن الانداد

(هذا) أى القرآن (ذ كرم من معي) يعنى أمته (وذ كرم من قبلى) يعنى أئمة الانبياء من قبلى وهو وارد فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه معى حفص فلم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أ كثرهم لا يعلمون الحق) أى القرآن وهو نصب يعلمون وقرئ الحق أى هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه) الا نوحى كوفى غير أنى بكر وجماد (أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وحدونى فهذه الآية مقررة لما سبقها من أى التوحيد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزلت فى خراعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فزده ذانه عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أى بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد اذا العبودية تنافى الولادة (لا يسبقونه بالقول) أى بقولهم فأنبت اللام مناب الاضافة والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم (وهم بأمره يعملون) أى كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبني على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما قدموا وأخروا من (أعمالهم) (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن رضى الله عنه وقال لا اله الا

الله (وهم من خشية مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) من الملائكة (انى اله من دونه) من دون الله انى مدنى وأبو عمرو (فذلك) مبتدأ أى فذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية فى غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتخييل لتحقيق عصمتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقناة والضحاك قد تحقق الوعيد فى ابليس فإنه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته (أولم ير الذين كفروا) ألم يرمكى (أن السموات والارض كانتا

(هذا) يعنى القرآن (ذ كرم من معي) أى فيه خبر من معى على دينى ومن يتبعنى الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذ كرم) أى خبر (من قبلى) أى من الامم السالفة وما فعل بهم فى الدنيا وما يفعل بهم فى الآخرة وقال ابن عباس ذ كرم من معى القرآن وذ كرم من قبلى التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا أو كان معه آلهة (بل أ كثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) بقوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) أى فوحدونى وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أ كثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون أى عن التأمل والتفكير وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو وقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت فى خراعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) زده نفسه عما قالوا (بل عباد) أى هم عباد يعنى الملائكة (مكرمون) أى أكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) أى لا يتقدمونه (بالقول) أى لا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) المعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضى الله تعالى عنه (وهم من خشية مشفقون) أى خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم انى اله من دونه) قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل انى اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أى الواضعين الالهية والعبادة فى غير موضعها بقوله عز وجل (أولم ير الذين كفروا) أى ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) أى فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً بوسطهما ففتقهما بها وقيل كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى وأحيينا بالماء الذى ينزل من السماء كل شئ من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب حياة كل شئ وقال المفسرون معناه ان كل شئ حى فهو مخلوق من الماء وقيل

اى جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن (رتقا) بمعنى المفعول أى كانتا متوقفتين وهو مصدر فلذا صلح أن يقع موقع من توقيتين (ففتقناهما) فشقناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد فى القرآن الذى هو مجزأة فقام مقام الرقى المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان فى الفصل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من محص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما أى فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كما نأخذ خلقنا من الماء لفرط احتياجه اليه ووجهه وقلة صيره عنه كقوله خلق الانسان من عجل

(أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) يصدقون بما يشاهدون (وجعلنا في الأرض رواسي) جبالاً ثوابت من رسالذات (أَنْ نَمِيدَ بِهِمْ) لئلا تضطرب بهم خدفاً للآلام وإنما جاز حذف الالف لئلا يفسد كثر ذلك في لئلا يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها أنجاء) أي طرقاً واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب عن الحال من (سبلاً) متقدمة فإن قلت أي فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلاً فاجاوب بين هذه قلت الأول لئلا عظم بأنه جعل فيها طرقاً واسعة والثاني لبيان أنه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم (ألهم يهتدون) ليبتدوا بها إلى البلاد المقصودة (وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) في موضعه عن السقوط كما قال وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بذنه أو محفوظاً بالذهب عن الشياطين كما قال وحفظناها

كذا الشمس والقمر
 والنجوم (معرضون)
 غير متفكرين فيها
 فيؤمنون (وهو الذي
 خلق الليل) لتكنوا فيه
 (والنهار) لتصرفوا فيه
 (والشمس) لتكون
 سراج النهار (واقمر)
 ليكون سراج الليل
 (كل) التنوين فيه
 عوض عن المضاف اليه
 أي كلهم والضمير للشمس
 والقمر والمراد بهما جنس
 الطوالع وجمع جمع العقلاء
 للوصف بفعلهم وهو
 السباحة (في فلك) عن
 ابن عباس رضي الله عنهما
 الفلك السماء والجمهور على
 أن الفلك موج مكفوف
 تحت السماء تجري فيه
 الشمس والقمر والنجوم
 وكل مبتدأ خبره
 (يسبحون) يسبحون أي
 يدورون والجملة في محل

الصب على الخيال من الشمس والقمر (وما جعلنا البشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم
(أفان مت) بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر (فهم الخالدون) والقاء الاول لعطف جملة على جملة والثاني لجزاء الشرط كانوا يقدرون
انه سيصير موت فني الله عنه النجاة به هذا أي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشر اقل من أنت أي بقي هؤلاء. (كل نفس ذائقة الموت ونبأكم)
ونخبركم سمي ابتلاء وان كان عالمًا بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير)
الغنى والنفع (فتنة) مصدر مؤن كدلتبؤكم من غير فظة (والينارجعون) فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن
ابن ذكوان ترجعون (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الاهزوا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت في أبي جهل مره
النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف

(أهذا الذي يدكر) يعيب (آهتكم) والدكر يكون بخبر وبخلافه فإن كان الذكركر صدقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فقدم (وهم يدكر الرحمن) أي يدكر الله وما يجب أن يدكر به من الواحدة أنية (هم كفرون) لا يصدقون به أصلاً فهم أحق أن يتخذوا هزواً منك فأنك محق وهم مبطلون وقيل يدكر الرحمن أي بما أنزل عليك من القرآن هم كفرون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزواً وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله تعالى وكرههم لآتائهم كيداً ولأن الصلة حالت بينهم وبين الخبر فاعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب والمجل والمجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه المجلة فكأنه خلق من المجمل ولأنه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولادهم الانسان على افراط المجلة وأنه مطبوع عليهما

(٢٧٧)

يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل المجمل الطين بلغة حير قال شاعرهم النخل ينبت بين الماء والمجل هو الماء منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لأنه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك المجلة ومن عجل حال أي عجل (سأريكم آياتي) نعماني (فلا تستعجلون) بالآيات بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) آيات العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهي استعجالهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن

قيل نزلت في أبي جهل صر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي يدكر آهتكم) أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آهتكم والدكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم يدكر الرحمن هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رحمة وهو مسيامة الكذاب قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه ان بنيته وخلقه من المجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجليه عجلاً الى ثمار الجنة فوقع ففعل خلق الانسان من عجل وأورث بنيه المجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله إياه لأن خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيى الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لأنهم خلقوا من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة أطواراً طورا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل أي من طين قال الشاعر وهو النخل ينبت بين الماء والمجل أي بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحارث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدى فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما طؤ لاء المستهزين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السياط (ولا هم ينصرون) أي لا يجمعون من العذاب والمعنى لو علموا ما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيمهم) يعني الساعة (بغثة) أي جفأة (فتبتهم) أي تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها ودفعها عنهم (ولا هم ينظرون) أي لا يعمهون للتوبة والمعذرة (ولقد استهزى برسل من قبلك) أي يا محمد كما استهزأ بك قومك (خاق) أي نزل وأحاط (بالذين سخر وامنهم ما كانوا يستهزؤن) أي عقوبة استهزأهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي فكذلك يحق بهؤلاء بالاستهزأهم قوله تعالى (قل من يكلوكم) أي يحفظكم (بالليل) اذا نتم (والنهار) اذا انصرفتم في معاشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم

وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) جواب لو محذوف وحين مفعول به يعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يتقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هو به عندهم (بل تأتيمهم) الساعة (بغثة) جفأة (فتبتهم) فتحيرهم أي لا يكفونها بل تفجأهم فتعلمهم (فلا يستطيعون ردها) فلا يتقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) ولقد استهزى برسل من قبلك خاق (بالذين سخر وامنهم) جزء (ما كانوا يستهزؤن) صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزأهم به بأن له في الانبياء أسوة وإن ما يفعلونه به يحق بهم كما حاق بالمستهزين بالانبياء ما فعلوا (قل من يكلوكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه انما لكم ليلاً ونهاراً

(بل هم عن ذكرهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطر ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاء منه عرفوا من الكالي وصاحوا بالسؤال عنه والمعنى أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالي ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لأعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما في أم من معنى بل فقال لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز معنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا يصحب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال (بل تمنعوا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منال من مانع بمنعهم من أهل كناؤهم وآباءهم الماضين الانتميعا لهم بالحياة الدنيا وأمهالهم كما تمنعنا غيرهم من الكفار وأمهالناهم حتى طال عليهم الأمد ففت قلوبهم (٢٧٨) وظنوا أنهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا أنافي الأرض ننقصها من

أطرافها) أي ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام وذكّر نافي بشير بان الله يجزيه على أيدي المسلمين وإن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها (أفهم الغالبون) أفكفار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرتنا (قل إنما أنذركم بالوحي) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندون) أي يخوفون (ولئن مسهم) أي أصابهم (نفحة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل (ليقولن يا ويلنا أنا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك وقوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) أي ذوات العدل وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حدة العدل ومعنى وضعها أحضارها (اليوم القيامة) أي لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا بالعكس ذل وخسر والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويرزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثرا لاقوال أنه ميزان واحد وإنما جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال الهى من الذي يقدر أن يلا كفته حسنات قال يا داود أنى إذا رصبت عن عبدى ملأتها بخرقة فعلى هذا ففي كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقان أحدهما أن توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة

إلى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون إذا ما يندرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسددهم وصحائف أصابعهم إذا ما أذكروا (ولئن مسهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفحة (ليقولن يا ويلنا أنا كنا ظالمين) أي ولئن مسهم من هذا الذي يندرون به أدنى شيء لدلو أو دعوا بالويل على أنفسهم وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بواغ حيث ذكر المس والنفحة لأن النفخ يدل على القوة يقال نفحه بعطية رضعه بهامع أن بناءها لليرة وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفخ في معنى القوة والازارة يقال نفخته الدابة وهو مرجلين ونفحه بعطية رضعه والبناء لليرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كفته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كفاي قوله يا أيها الرسل والوزن لصحائف الأعمال في قول (القسط) وهفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط (اليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أي لا جمل

(فلا تظلم نفس شيئا) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشيء مثقال حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتيناها) أحضرناها وأنت ضمير المثقال لضافته الى الحبة كقولهم ذهب بعض أصابعه (وكفي بنا حاسبين) عالين حافظين عن ابن عباس رضي الله عنهما لان من حفظ شيئا حسبه وعلمه (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة (٢٧٩) وذكري شرف أو وعظا وتنبية

أو ذكر ما يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودخات الواو على الصفات كافي قوله وسيدا وحسورا ونيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين) ومحل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (بخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) حال أي يخافونه في الخلاء (وهم من الساعة) القيامة وأهواها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكري مبارك) كثر الخير غزير النفع (أنزلناه) على محمد (أفاتم له منكرون)

استفهام توبيخ أي جاحدون أنه منزل من عند الله (ولقد آتينا إبراهيم رشده) هداه (من قبل) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وكنابه) إبراهيم أو برشده (عالين) أي علمنا أنه أهل لما آتينا (اذ) أما أن تتعاقب بآتينا أو رشده (قال لا يه) وقومه ما هذه النمايل

وصحائف السيات في كفة والثاني أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله وانضع الموازين القسط مع قوله فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه في حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر وقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيئا) أي لا تبخس عما لها وما عليها من خير وشر شيئا (وان كان مثقال حبة من خردل أتيناها) معناه أنه لا ينقص من احسان محسن ولا يزداد في اساءة مسيء وأراد بالحببة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتيناها أي أحضرناها لنجازي بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أأنكر من هذا شيئا أظلمك كتبني الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلاك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضروا سجلكم فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب فيها عنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هي التي توزن لان الاعمال تتجسد جواهر فتوزن والله أعلم وقوله تعالى (وكفي بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفي بنا عالين حافظين لان من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يجهز عن شيء تحقيق بالعاقل أن يكون باشد الخوف منه وروى عن الشبلي انه روى في المنام ف قيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبونا فذققوا ثم منوا فاعتقوا هكذا سجد الملك للمماليك يرفقوا

وقوله عز وجل (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصير على الاعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة وضياء (وذكري للمتقين) يعني يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها (الذين بخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن أعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون (وهذا) كرمبارك أنزلناه أي كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكري مبارك أي هو ذكري مبارك آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير (أفاتم) يا أهل مكة (له منكرون) أي جاحدون وقوله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده) أي صلاحه وهداه (من قبل) أي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير (وكنابه عالين) أي أنه من أهل الهداية والنبوة (اذ قال لا يه وقومه ما هذه النمايل) يعني الصور والاصنام (التي أتم لها كفون) أي مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أي فاقند بنا بهم (قال) يعني إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خطابين بعبادتكم إياها (قالوا جئتنا بالحق) أي

أي الاصنام المصورة على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (التي أتم لها كفون) أي لاجل عبادتها مقيمون فمما عجزوا عن الايمان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم (قال) إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أراد ان المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عامل وأكذبتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل متمنع (قالوا جئتنا بالحق) بالجد

(أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) أَيُ أَجَادَاتٍ فَيَا قَوْلَ أَمْ لَأَعْبَ اسْتَظْهَامَهُمْ انْكَارَهُ عَلَيْهِمْ وَاسْتِعْجَالُ الْإِنِّ بِكَوْنِ مَا هُمْ عَلَيْهِ ضَلَالَتُهُمْ أَضْرَبَ عَنْهُمْ
مُخْبِرًا بِأَنَّهُ جَادٌ فَيَا قَوْلَ غَيْرَ لَأَعْبَ مِنْتَالِ بَوِيَّةِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ وَحُدُوثِ الْأَصْنَامِ بِقَوْلِهِ (قَالَ بِلُرْ بِكُمْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) أَيُ
الْحَمَائِلِ فَأَيُّ يَعْبُدُ الْمُخْلُوقَ وَيَتْرَكَ الْخَالِقَ (وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ) الْمَذْكُورِ مِنَ التَّوْحِيدِ شَاهِدٌ (مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَالَهُ) أَصْلُهُ وَاللَّهُ فِي النَّاسِ مَعْنَى
التَّعَجُّبِ مِنْ تَسْهِيلِ الْكَيْدِ عَلَى يَدِهِمْ مَعَ صَوْنِهِ وَتَعْدَرِهِ أَقْوَمَ سُلْطَانَةً مُرَوِّدًا (لَا كَيْدَنَ أَصْنَامَكُمْ) لَا كَسْرَ نَهَا (بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ) يَعْنِي
ذَهَابَكُمْ عَنْهَا إِلَى عِيدِكُمْ قَالَ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ قَوْمِهِ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَهَرَضَ بِقَوْلِهِ أَنِّي سَقِيمٌ أَيُ سَأْسَقُمُ لِيَتَخَلَّفَ فَرَجِعَ إِلَى بَيْتِ الْأَصْنَامِ (فَجَعَلَهُمْ
جُذَاذَا) قَطْعًا مِنَ الْجَنْدَرِ هُوَ الْقَطْعُ (٢٨٠) جَمْعُ جُذَاذَةٍ كَزَجَاجَةٍ وَزَجَاجٌ جُذَاذٌ بِالْكَسْرِ عَلَى جَمْعٍ جَذِبْدَ أَيُ مَجْدُودٌ خَفِيفٌ وَخَفَافٌ

(الْأَكْبَرُ لَهُمْ) لِلْأَصْنَامِ
أَوَّلًا لِكِفَارِ أَيُ فَكْسَرَهَا
كَأَنَّهَا فُاسٌّ فِي يَدِهِ لَا كِبَرَهَا
فَعَلَقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ
(لَعَلَّهُمْ إِلَهُ) إِلَى الْكَبِيرِ
(يَرْجِعُونَ) فَيَسْأَلُونَهُ
عَنْ كَسْرِهَا فَيَتَبَيَّنُ لَهُمْ
عَجْزُهُ أَوَّلًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ لِيُصْغَرَ
عَلَيْهِمْ أَوَّلًا إِلَى اللَّهِ لِمَا رَأَوْا
عِزَّ آلِهِمْ (قَالُوا) أَيُ الْكِفَارِ
حِينَ رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ
وَرَأَوْا ذَلِكَ (مَنْ فَعَلَ هَذَا
بِآلِهَتِنَا لِمَنْ الظَّالِمِينَ)
أَيُ أَنْ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْكِسْرَ
لِلشَّدِيدِ الظُّلْمِ لِرِجَالِهِ عَلَى
الْآلِهَةِ الْحَقِيقَةِ عِنْدَهُمْ
بِالتَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ (قَالُوا)
سَمِعْنَا قَتْلَ بَذْ كَرَهُمْ يَقَالُ
لَهُ إِبْرَاهِيمُ (الْجَلَّتَانِ صَفَتَانِ
لَقِيَ الْأَنْ أَوَّلَ وَهُوَ
بَذْ كَرَهُمْ أَيُ بَعِيْبِهِمْ لَا يَدُ
مَنْهُ لَلْإِسْمَاعِيلِيِّينَ لَا تَقُولُ
سَمِعْتُ زَيْدًا وَنَسِيتُ حَتَّى
تَذْكُرَ شَيْئًا مِمَّا يَسْمَعُ خِلَافَ
الثَّانِي وَارْتِفَاعِ إِبْرَاهِيمَ
بِأَنَّهُ فَاعِلٌ يَقَالُ فَلَمَّا رَأَى

بِالْإِسْمَاعِيلِيِّينَ (أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) يَعْنُونَ أَجَادَاتٍ فَيَا قَوْلَ أَمْ أَنْتَ لَأَعْبَ (قَالَ بِلُرْ بِكُمْ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) أَيُ خَلْقَهُنَّ (وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ) أَيُ عَلَى أَنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ
وَقِيلَ شَاعِدٌ عَلَى أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (وَتَالَهُ لَا كَيْدَنَ أَصْنَامَكُمْ) أَيُ لَا مَكْرَنَ بِهَا (بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا
مَدْبِرِينَ) أَيُ مِنْطَلِقِينَ إِلَى عِيدِكُمْ قِيلَ أَيْضًا قَالَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا الْقَوْلُ سِرًّا فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا
مِنْ قَوْمِهِ فَأَنْشَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقَائِلُ أَنَا سَمِعْتُ مَعْنَا قَتْلَ بَذْ كَرَهُمْ وَقِيلَ كَانَ لَهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَجْمَعٌ وَعِيدٌ فَكَانُوا إِذَا
رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ دَخَلُوا عَلَى الْأَصْنَامِ فَسَجَدُوا لَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْعِيدُ قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ
يَا إِبْرَاهِيمُ لَوْ خَرَجْتَ مَعْنَا إِلَى عِيدِنَا أُعْجِبَكَ دِينُنَا فَخَرَجَ مَعَهُمْ إِبْرَاهِيمُ فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ أَتَى نَفْسَهُ إِلَى
الْأَرْضِ وَقَالَ أَنِّي سَقِيمٌ أَشْتَكِي رَجُلِي فَتَرَكُوهُ وَوَضَعُوهُ أَفْنَادِي فِي آخِرِهِمْ وَقَدِ بَقِيَ نِسْفَاءُ النَّاسِ تَالَهُ لَا كَيْدَنَ
أَصْنَامَكُمْ فَسَمِعَهُ وَهَمَّ أَنْ يَرْجِعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى بَيْتِ الْآلِهَةِ وَهَمَّ فِي يَهُوَ عَظِيمٌ وَمُسْتَقْبَلُ بَابِ الْيَهُودِ عَظِيمٌ إِلَى
جَنْبِهِ صَنَمٌ أَصْغَرُ مِنْهُ وَالْأَصْنَامُ جَنْبُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضِ قُلُوبِ صَنَمِ الَّذِي يَلِيهِ أَصْغَرُ مِنْهُ وَهَكَذَا إِلَى بَابِ الْيَهُودِ وَإِذَا هُمْ
قَدْ جَعَلُوا أَطْعَامًا بَيْنَ يَدَيْ الْآلِهَةِ وَقَالُوا إِذَا رَجَعْنَا وَقَدِ بَرَكَتِ الْآلِهَةُ عَلَيْهِ أَكَلْنَا مِنْهُ فَلَمَّا نَظَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَيْهِمْ
وَالَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِهْزَاءِ أَلَا نَأْكُلُونَ فَلَمَّا لَمْ يَجِيبُوهُ قَالَ مَا لَكُمْ
لَا تَنْطَقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْحِجِينَ وَجَعَلَ يَكْسِرُهُمْ فِي يَدِهِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الصَّنَمُ الْعَظِيمُ عَلَقَ
الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ وَقِيلَ فِي يَدِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذَا) أَيُ كَسْرًا وَقَطْعًا (الْأَكْبَرُ لَهُمْ) أَيُ
تَرَكَهُ وَلَمْ يَكْسِرْهُ وَوَضَعَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَقِيلَ رُبَّمَا عَلَى يَدِهِ وَكَانَتْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَنَمًا بَعْضُهُمْ
ذَهَبٌ وَبَعْضُهُمْ مِنْ فَضَّةٍ وَبَعْضُهُمْ مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهُمْ مِنْ نَحَاسٍ وَرِصَاصٍ وَحَجَرٍ وَخَشَبٍ وَكَانَ الصَّنَمُ الْكَبِيرُ
مِنَ الذَّهَبِ مَكْلًا بِالْجَوَاهِرِ فِي عَيْنَيْهِ يَأْقُوتَانِ تَقْدِرَانِ وَقَوْلُهُ (لَعَلَّهُمْ إِلَهُ يَرْجِعُونَ) قِيلَ مَعْنَاهُ يَرْجِعُونَ
إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَالْإِلَهُ وَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ إِذَا عَمِلُوا صُفْهُ الْآلِهَةِ وَعِزُّهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى الصَّنَمِ
فَيَسْأَلُونَهُ مَا هُوَ لَا تَكْسِرُوا وَأَنْتَ صَحِيحٌ وَالْفَأْسُ فِي عُنُقِكَ فَلَمَّا رَجَعَ الْقَوْمُ مِنْ عِيدِهِمْ إِلَى بَيْتِ آلِهِمْ
رَأَوْا أَصْنَامَهُمْ مَكْسُورَةً (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا لِمَنْ الظَّالِمِينَ) أَيُ فِي تَكْسِيرِهَا وَاجْتِرَافِهَا (قَالُوا)
سَمِعْنَا قَتْلَ بَذْ كَرَهُمْ (أَيُ يَسْأَلُهُمْ وَيُعِيْبُهُمْ) (يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) أَيُ هُوَ الَّذِي نَظُنُّ أَنَّهُ صَنَعَ هَذَا فَبَلَغَ ذَلِكَ نَمْرُودَ
الْجَبَّارَ وَأَشْرَفَ قَوْمَهُ (قَالُوا فَأَتَوْاهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) أَيُ جِيئُوا بِهِ ظَاهِرًا بِمَرَأَى مِنَ النَّاسِ وَبِمَا قَالَ نَمْرُودُ
(لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) أَيُ عَلَيْهِ بَأَنَّهُ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ كَرَهُوا أَنْ يَأْخُذُوهُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَعَلَّهُمْ يَحْضُرُونَ
عَذَابَهُ وَمَا يَصْنَعُ بِهِ فَلَمَّا أَتَوْاهُ (قَالُوا) لَهُ (أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ) يَعْنِي إِبْرَاهِيمُ (بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَذَا) غَضَبَ أَتَعْبُدُونَ مَعَهُ هَذِهِ الصُّفَارُ وَهُوَ كَبِيرُهَا فَكَسَرَهُنَّ وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ بِذَلِكَ أَقَامَةَ الْحُجَّةِ

الْأَمْرَ لَا الْمَسْمُوعِ أَيُ الَّذِي يَقَالُ لَهُ هَذَا الْأَمْرُ (قَالُوا) أَيُ نَمْرُودُ وَأَشْرَفَ قَوْمَهُ (فَأَتَوْاهُ) أَحْضَرُوا إِبْرَاهِيمَ (عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) عَلَيْهِمْ
فِي حُلِّ الْحَالِ بِعَيْنِي مَعَانِيًا شَاهِدًا أَيُ بِمَرَأَى مِنْهُمْ وَمَنْظَرٍ (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عَلَيْهِ بِمَا سَمِعَ مِنْهُ أَوْ بِمَا فَعَلَهُ كَانَهُمْ كَرَهُوا عِقَابَهُ بِلَا بَيِّنَةٍ أَوْ بِحَضْرَتِهِ
عَقُوبَتُهُ فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ (قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ) إِبْرَاهِيمُ (بَلْ فَعَلَهُ) عَنِ الْكِبَرِ أَنَّهُ يَقِفُ عَلَيْهِ أَيُ فَعَلَهُ مِنْ فَعْلِهِ وَفِيهِ
حَذَقُ الْفَاعِلِ وَأَنَّهُ لَا يَحْجُوزُ وَجَارَ أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ مِنْهُ إِلَى الْفَتَى الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ سَمِعْنَا قَتْلَ بَذْ كَرَهُمْ أَوَّلًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ يَا إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ
قَالَ (كَبِيرُهُمْ هَذَا) وَهُوَ مَبْتَدَأُ خَبَرٍ وَالْأَكْثَرُ أَنَّهُ لَا وَقِفُ الْفَاعِلِ كَبِيرُهُمْ وَهَذَا وَصَفٌ أَوْ بَدَلٌ وَنَسَبُ الْفَعْلِ إِلَى كَبِيرِهِمْ وَقَصْدُهُ تَقْرِيرُهُ
لِنَفْسِهِ وَأَنبَاءَهُ عَلَى أَسْأَلٍ تَعْرِيفِي تَبْكِيَّتَهُمْ وَالرَّامَا لِحُجَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ عَلِمُوا عِزَّ كَبِيرِهِمْ وَأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهُمَا
وَهَذَا كَالْوَقَالِ لَكَ صَاحِبُكَ وَقَدْ كَتَبْتَ كِتَابًا يَخْطُرُ شَيْئٌ أَتَيْتُ أَنْتَ كَتَبْتَ هَذَا وَصَاحِبُكَ أَيْ فَقُلْتَ لَهُ بَلْ كَتَبْتَهُ أَنْتَ كَانَ قَصْدُكَ بِهَذَا الْجَوَابِ

تقربره لك مع الاستهزاء به لان فيه عنك وابانة للامى لان ابانة للعاجز منك والامر كأن ينس كما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن أن يقال غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد ما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبه كما قال طه مائسكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على هذا ويحكى أنه قال غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسره من أو هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفي الخبر عنه أى بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسألوههم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه وانما أضاف نفسه اليهم لاشتراكهم في الحضور (فاسألوههم) عن حالهم (ان كانوا) ينطقون (وأنتم تعلمون عجزهم عنه)

(فرجعوا الى أنفسهم)

فرجعوا الى عقولهم

وتفكروا بقلوبهم لما أخذ

بمخائيلهم (فقالوا انكم أنتم

الظالمون) على الحقيقة

بعبادة ما لا ينطق لا من

ظلمه قوه حين قلتم من فعل

هذا بالهتنا انه لمن الظالمين

فان من لا يدفع عن رأسه

الفس كيف يدفع عن

عابديه الباس (ثم نكسوا

على رؤسهم) قال أهل

التفسير أجرى الله تعالى

الحق على لسانهم في القول

الاول ثم أدركتهم الشقاوة

أى ردوا الى الكفر بعد

ان أقروا على أنفسهم بالظلم

يقال نكسته قلبته فجعلت

أسفله أعلاه أى استقاموا

حين رجعوا الى أنفسهم

وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم

انقلبوا عن تلك الحالة

فاخذوا في المجادلة بالباطل

والمكابرة وقالوا (لقد

علمت ما هؤلاء ينطقون)

عليهم فذلك قوله (فاسألوههم ان كانوا ينطقون) أى حتى يخبروا عن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أنا فعلت ذلك (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختى لفظ الترمذى قيل في قوله انى سقيم أى سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضالاتكم وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختى أى في الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقاً في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها وعاخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات لنفي الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز أن يكون الله أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيتهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوסף حين أمر مناديه فقال أيتها العيرانكم لسارقون ولم يكونوا سارقوا قال الامام غفر الدين الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرايع ويطرق التهمة الى كل ما والحديث محمول على المعارض فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله (فرجعوا الى أنفسهم) أى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما أراد الا كما قال (انكم أنتم الظالمون) يعنى بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أى ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً) أى ان عبدوه (ولا يضركم) أى ان تركتم عبادته (أف لكم) أى تبالكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) أى أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لم ينفعهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا) حرقوه وانصروا آلهتكم (يعنى انكم لا تنصرونها) لا تحرق ابراهيم لانه يعيها ويظعن فيها (ان كنتم فاعلين) أى ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيرين خفف الله به الارض فهو يتجملجل فيها الى يوم

(٣٦ - (خازن) - ثالث) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم

عن النطق فكيف تسألهم (قال) محتجاً عليهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً) هو في موضع المصدر أى نفعا (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم أن صاحبه متعجب من رأي من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان التأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف أف مدنى وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لا يجوز أن يكون الها فلما لم ينفعهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا) حرقوه (بالنار لانها أهول ما يعاقب به) وأنصروا آلهتكم (ان كنتم فاعلين)

أى ان كنتم ناصرين
 آلهتكم بصرا مؤزرا
 فاحذروا اله الأهل المعاقبات
 وهو الاحراق بالنار والا
 قرطم في نصرتها والذي
 أشار باحراقه نمرود أو
 رجس من أكراد فارس
 وقيل انهم حين هموا
 باحراقه حسوه ثم بنوا
 بيتا يكونون وجمعوا شهرا
 أصناف الخشب ثم أشعلوا
 نارا عظيمة كادت الطير
 تحترق في الجو من وهجها
 ثم وضعوه في المنجنيق
 مفيدا مغولا فرموا به فيها
 وهو يقول حسبى الله ونعم
 الوكيل وقال له جبريل هل
 لك حاجة فقال اما اليك
 فلا قال فسل ربك قال
 حسبى من سؤالي علمه
 بحالى وما أحرق النار الا
 وثاقه وعن ابن عباس انما نجا
 بقوله حسبى الله ونعم الوكيل
 (قلنا يا نارك كوني بردا
 وسلاما) أى ذات برد
 وسلام فبولغ في ذلك كان
 ذاتها برد وسلام (على
 ابراهيم) أراد ابردى فيسلم
 منك ابراهيم وعسن ابن
 عباس رضى الله عنهما لم
 يقل ذلك لانه لم يرددها
 والمعنى ان الله تعالى نزع
 عنها طبعها الذى طبعها
 عليه من الحرق والاحراق
 وأبقاها على الاضاءة
 والاشراق كما كانت وهو
 على كل شئ قدير

القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجار بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح
 ذكر القصة في ذلك

فما اجتمع نمرود وقومه للاحراق ابراهيم حسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم
 جمعوا له صلاب الخشب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجعن خطبا
 لا ابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابت لتعطين في نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري
 الخشب بعزلها احسابا في دينها وكان الرجل يوصى بشراء الخشب من ماله لا ابراهيم فلما جمعوا ما أرادوا
 وأشعلوا في كل ناحية من الخشب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير لجر بها فيحترق من شدة وهجها
 وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقل ان ابليس جاء وعلمهم
 عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيده وورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا
 مغولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا
 ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأنذرت لى نصرته فقال الله تعالى انه خليل
 ليس لى خليل غيره وأنا اله ليس له اله غيره فان استغاث بأحد منكم أودعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك
 وان لم يدع غيره فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه وقال ان أردت
 أخذت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله
 ونعم الوكيل وروى عن أبى بن كعب أن ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد
 ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الملك حاجة فقال اما
 اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالي علمه بحالى (خ) عن ابن عباس في قوله
 تعالى وقالوا احبنا الله ونعم الوكيل قال قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار وقال الحمد صلى الله
 عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفى عنه النار الا الوزغ
 فانه كان ينفع في النار (ق) عن أم شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ زاد البخارى
 وقال كان ينفع على ابراهيم (قلنا) أى قال الله عز وجل (يا نارك كوني بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لو
 لم يقل سلاما مات ابراهيم من بردها وفي بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينفع في ذلك
 اليوم نار في العالم ولولم يقل على ابراهيم بقيت ذات بردا أو قيل أخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه
 على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرق النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان
 ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو وقال ابراهيم ما كنت أيا ما قط أنعم منى من الأيام التى كنت
 في النار قيل وبعث الله تعالى ملكا الظل في صورة ابراهيم فقعده الى جنب ابراهيم يؤنس قالوا وبعث الله عز
 وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطفقة فالبه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال
 جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحيائي ثم نظر نمرود وانصرف على ابراهيم من صرح
 له قرأه جالساً في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الخشب فناداه يا ابراهيم كبراهمك الذى بلغت
 قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقتل
 نصرتك قال لا قال فقم فخرج منها فقام ابراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من
 الرجل الذى رأيته معك منك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها
 فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الاعبادته
 ونوحيدته وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك مادمت على دينك حتى تفارقه

(وأرادوا به كيدا) أخذا (فجعلناهم الاخسرين) فأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضته في دماغ نمرود فاهلكته (ونجيناها) أي إبراهيم (ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) أي أرض الشام وبركتها إن أكثر الأنبياء منها فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية وهي (٢٨٣) أرض خصب يطيب فيها عيش الغني والفقر

وقيل ما من ماء عذب في الأرض الا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة نخيل الناس إلى مهاجر إبراهيم (وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أي وهبنا له هبة وقيل هي ولد الولد وقد سأل ولدا فاعطيه وأعطى يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من يعقوب (وكلا) أي إبراهيم واسحق ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله (جعلنا) والثاني (الصالحين) في الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في الدين (يهدون) الناس (بامرنا) بوحينا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) وهي جميع الاعمال الصالحة وأصله ان تفعل الخيرات ثم فعل الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (واقام الصلاة وإيتاء الزكاة) والأصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء

وترجع إلى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها نمرود وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه ﴿قوله عز وجل﴾ (وأرادوا به كيدا) أي أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضته فاهلكته ﴿قوله تعالى﴾ (ونجيناها ولوطا) يعني من نمرود وقومه (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) يعني إلى أرض الشام بآثار الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبي بن كعب بآثار الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي بيت المقدس وقيل لان أكثر الأنبياء منها (ق) عن أبي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لكعب الان تحول إلى المدينة فيهما مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة نخيل أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم أخرجه أبو داود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لأهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي عن يهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله أين تأمرني قال ههنا ونحايده نحو الشام أخرجه الترمذي قال محمد بن اسحق استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الا كبر عم إبراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج إبراهيم من كوثي من أرض العراق مهاجرا إلى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فكثبها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا إلى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناها ولوطا إلى الأرض الذي باركنا فيها للعالمين ﴿قوله تعالى﴾ (وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) أي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى أعطى إبراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني إبراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم أئمة) أي قدوة بهتدى بهم في الخير (يهدون بامرنا) أي يدعون الناس إلى ديننا بامرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي العمل بالشرائع (واقام الصلاة) أي المحافظة عليها (وإيتاء الزكاة) أي الواجبة وخصهما لان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) أي موحدين ﴿قوله عز وجل﴾ (ولوطا آتيناها حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلمنا ونجيناها من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث اتيان الذكور في أديارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناهم في رحمتنا) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب (انه من الصالحين) يعني

(وكانوا لنا عابدين) لا للافنام فاتهم يا معشر العرب أولاد إبراهيم فاتبعوه في ذلك (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناها حكما) وهي ما يجب فعله من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلمنا) فقها (ونجيناها من القرية) من أهلها وهي سدوم (التي كانت تعمل الخبائث) اللواط والضرط وحذف المارة بالخصي وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وأدخلناهم في رحمتنا) أي في الجنة (انه من الصالحين) أي من أهلها على صلاحه كما أهلكنا قومهم عقابا على فساده

(ونوحاً) أي واذ كرنوحاً (اذنادي) أي دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أي دعاه (فنجيناه وأهله) أي المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أي من أذاهم (أنهم كانوا قوم سوء فآغر قناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم ذكرهم واتاهم (وداود وسليمان) أي واذ كرمهما (اذ) بدل منهما (٢٨٤) (يحكمان في الحرث) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفت)

دخلت (فيه غنم القوم) ليلاً
فأكلته وأفسدته والنفس
اتشار الغنم بلأراع (وكن
الحكمهم) أرادهما
والمتحاكين اليهما
(شاهدین) أي كان ذلك
بعيننا وصرأي منا
(فقهناهما) أي الحكومة
أو الفتوى (سليمان) وفيه
دليل على أن الصواب كان
مع سليمان صلوات الله
عليه وقصته أن الغنم رعت
الحرث وأفسدته بلأراع
ليلاً فتعا كمالى داود فحكم
بالغنم لأهل الحرث وقد
استوت قيمتهما أي قيمة
الغنم كانت على قدر
التقصان من الحرث فقال
سليمان وهو ابن إحدى
عشرة سنة غير هذا أرفق
بالفر يقين فعزم عليه
ليحكم فقال أرى أن
تدفع الغنم إلى أهل الحرث
ينتفعون بالبنها وأولادها
وأصوافها والحرث إلى
رب الغنم حتى يصلح
الحرث ويعود كهيشته يوم
أفسد ثم يتراد أن فقال
القضاء ما قضيت وأمضى
الحكم بذلك وكان ذلك

الأنبياء قوله تعالى (ونوحاً اذ نادى من قبل) أي من قبل إبراهيم ولوط (فاستجبنا له) أي أجابناه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الفرق وتكذيب قومه له وقيل أنه كان أطول الأنبياء عمراً وأشدهم بلاءاً والكرب أشد الغم (ونصرناه) أي منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا إليه بسوء وقيل من بمعنى على (أنهم كانوا قوم سوء فآغر قناهم أجمعين) قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرم ما قد تددت عناقيده وقيل كان زرعاً وهو أشبه بالعرف (اذ نفت فيه غنم القوم) أي رعت ليلاً فأفسدته وكانت بلأراع (وكن الحكمهم شاهدین) أي كان ذلك بعيننا وصرأي منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان أقل الجمع اثنان لقوله وكن الحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلاً فوقعت فيه فأفسدته فلم يبق منه شيئاً فأعطاهم قارب الغنم بالزرع فخر جافراً على سليمان فقال كيف قضى بينكما فآخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفر يقين فآخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى وبروى أنه قال له بحق النبوة والابوة الأما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفر يقين قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بذرهما ونسلها وأصوافها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيشته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان سليمان يوم حكم بذلك من العمر إحدى عشرة سنة وحكم الإسلام في هذه المسئلة أن ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربه ما أفسدته بالليل ضمنه ربه لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشى تسرح بالنهار وتزد بالليل إلى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محينة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط الرجل من الأنصار فأفسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشى حفظها بالليل زاد في رواية وإن على أهل الماشية ما أصاب ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود ومرسل وذهب أصحاب الرأي أن المالك إذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما تلفت ليلاً كان أو نهاراً فذلك قوله تعالى (فقهناهما سليمان) أي علمناه وأهملناه حكم القضية (وكلاً) يعني داود وسليمان (آتيناهما حكماً وعلماً) أي بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الأحكام قد هلكوا ولكن الله جده هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهادهم واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكماً بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء هم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطوا فلا ندم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد قال قوم إن داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عنه بالوحي واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية والحديث حيث وعد

باجتهاد منهما وهذا كان في شر يعظم فإما في شر يعنى فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه
رضي الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها ونسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا أصلاً وما قبله داود كان حكماً والصلح خير (وكلاً) من داود وسليمان (آتيناهما حكماً) نبوة (وعلماً) معرفة بموجب الحكم

قال يسبحن (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز لانها جادروى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (وكننا فاعلين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع (لحصنكم) شامى وحفص أى الصنعة وبالنسبة أبو بكر وجاد أى الله عز وجل وبالبناء غيرهم أى اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم (فهل أتم شاكرون) استفهام بمعنى الامر أى فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح (عاصفة) حال أى شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لانها تجرى باختياره فكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجبرى بأمره) بأمر سليمان (الى الارض التى باركنا فيها) بكثرة الانهار وقد أحاط علمنا بكل شئ

الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى أنه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهد المجتهدون في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهدا في طلب الحق لان اجتهدا عبادة والاثم في الخطأ عنه موضوع اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده أن الواجب في ذلك الضرر في الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى الجنى عليه وأما سليمان فان اجتهدا أدى الى أنه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فأما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احدهما فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجا على سليمان بن داود فاخبرناه فقال اتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشاقى اليه (وكننا فاعلين) يعنى ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله ألان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لحصنكم) أى تمنعكم (من بأسكم) أى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به (فهل أتم شاكرون) أى يقول ذلك لداود وأهل بيته قوله عز وجل (ولسليمان الريح) أى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف متمنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه (عاصفة) أى شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة قلت كانت الريح تحت أمره ان أراد ان تشتد اشتدت وان أراد ان تلين تلت (تجربى بأمره الى الارض التى باركنا فيها) يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكننا بكل شئ عالمين) أى بصحة التدبير فيه وعلمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه خلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاة فلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا انه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضر به خشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والذباب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحمته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فرت به شهرافى روحته وشهرا فى غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالزراعة فساخر كهاولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكركم ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس أو من الجن نحن نزلناه وما بنينا وما بنينا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راغبون منه ان شاء الله فزالون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخوا فى فرسخ ذهب فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وقضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحوطهم الناس وحول الناس

والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزلهما وتحمله الريح من نواحي الارض اليها (وكننا بكل شئ عالمين) فتجربى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا

الجن والشیاطین وتظله الطیر بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ریح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبی الله سلیمان الخیل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الخیل فأبدله الله مكانها خیرا منها وأصرع الريح تجری بأمره كيف شاء فكان یغدو من ایلیم فیقبل باصطخ ثم یروح منها فیكون رواحیه یابل وروی أن سلیمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين یغدو على مسيرة شهر وروح على مثل ذلك ثم عطف بمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مکران وکرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فزطها أياما وغدا منها فقال بکسر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشیاطین قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفرو الابيض وفي ذلك يقول النابغة

الاسلیمان اذ قال الملیک له ۞ قم فی البریة فاحدد هاعن القند

وجیش الجن انی قد أذنت لهم ۞ ینون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل (ومن الشیاطین) أى وسخرنا له من الشیاطین (من یعصون له) أى یدخلون تحت الماء فیخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أى دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما شاء من محارب وثمانیل الآیة ویتم جاوزون فی ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقواریر والصابون وغير ذلك (وكناهم حافظین) أى حتى لا یخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن یفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا فی النهار وفرغ قبل الیل أفسدوه وخر به قیل ان سلیمان كان اذا بعث شیطانا مع انسان لیعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الیل أشغله بعمل آخر لا یفسد ما عمل وبخر به ۞ قوله تعالى (وأیوب اذ نادى ربه) أى دعاه به

۞ ذکر قصة أبوب علیه السلام ۞

قال وهب بن منبه كان أبوب رجلا من الروم وهو أبوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عیص بن اسحق بن ابراهیم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه بسطة له الدنيا وكانت له البشنة من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخیل والحیر ما لا یكون لرجل أفضل منه فی العدد والکثرة وكان له خمسة فدان یتبعها خمسة عبدة كل عبدة امرأة وولد ومال ویحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان بر اتقار حیا بالمساکین یطعمهم ویکفل الایتام والارامل ویکرّم الضیف ویبلغ ابن السبیل وكان شاكر الانعم الله مؤدیا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابلیس أن یصیب منه ما یصیب من أهل الفنی من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فیهِ من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل الیمین یقال له النفر وقيل نفیر ورجلان من أهل بلده یقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهما مال وكان ابلیس لا یحجب عن شی من السموات وكان یقف فیهن حیثما أراد حتى رفع الله عیسی فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلی الله علیه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابلیس نجواب الملائكة بالصلاة على أبوب وذلك حین ذکره الله وأثنى علیه فأدرك ابلیس الحسد والبغی فصعد سر یعا حتى وقف من السماء حیث كان یقف وقال الهی نظرت فی أمر عبدك أبوب فوجدته عبدا أنعمت علیه فشکرت وعافیته فحمدك ولو ابتلیته بنزع ما أعطیته لخال عما هو علیه من شکرت وعبادتک وخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتک على ماله فانقض عدو الله ابلیس حتى وقع على الارض فجمع عفاریت الجن ومردة الشیاطین وقال لهم ماذا عندکم من القوة فقد سلطت على مال أبوب وهی المصیبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر علیها

(ومن الشیاطین) أى
وسخرنا منهم (من
یعصون له) فی البحار
بأمره لا یستخرج
السرور ما یكون فیها
(ويعملون عملا دون
ذلك) أى دون الغوص
وهو بناء المحارب
والثمانیل والقصور
والقدور والجفان (وكناهم
حافظین) أن یزفوا
عن أمره أو یبدلوا أو
یوجد منهم فساد فیها
مسخرون فیهِ (وأبوب)
أى واذکر أبوب (اذ
نادى ربه

الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء أتى
عليه قال ابليس اذهب فأت الابل ورعائها فأتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى نار من
تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعائها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قبيح من
كانوا عليها على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت اباك وأحرقتها ومن
فيها غيري فقال أيوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو
أولى بها إذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهورين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما
كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان الله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا يمنع وليه ومنهم من يقول بل هو
الذي فعل ما فعل ليثبت به عدوه ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا
خرجت من بطن أمي وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين
أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع
تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فأكرك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم
من القوة فأتى لمأكلهم قلبه قال عفريت من الجن عندي من القوة ما إذا شئت صحت صبيحة لا يسمعها ذور روح
الا خرجت روحه قال ابليس فأت النعم ورعائها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صبيحة فتجشمت أمواتا من عند
آخرها ومات رعائها فجاء ابليس متحلا بقهر مان الرعاة الى أيوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد
عليه أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فأتى لمأكلهم قلبه قال
عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحا عاصفة تنسف كل شيء تأتي عليه قال فأت الفدادين في
الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعر واحد حتى هبت ريح
عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متحلا بقهر مانهم الى أيوب وهو قائم يصلي
فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره
كل ما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر
والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينجح منه شيء صعد سريرا حتى وقف في الموقف
الذي يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما تمتعه بولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلط على ولده
فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى
أتى بنى أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها
بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثله رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسرين وانطلق الى
أيوب متحلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رأيت
بنيك كيف عذبوا وكيف اتقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت
بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب وبكى وقبض قبضة من
التراب فوضعهما على رأسه وقال يا ليت أمي لم تلدني فاعتنم ابليس ذلك فصعد سريرا بالذي كان من جزع أيوب
مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء وأبصر واستغفر فصعد قراؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله
وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هو ن على أيوب المال والولد انه يرى انك ما تمتعه بنفسه
فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلط على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده
ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب
ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فأنقص عدو
الله ابليس سريرا اليه فوجد أيوب ساجدا فبجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخر به

نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثاكيل مثل أليات الغنم ووقفت فيه حكة فلك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها باللسوح الخشن حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشن فلم يزل يحك حتى فرح لحمه وتقطع وتغير وأتى فخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا المعريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه ويلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به انهم ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه فيكتوه ولا موه وقالوا تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم حتى حدث السن قد آمن به وصدقته فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأتم الحق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجل من الذي أنتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عيبتم وانهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الارض الى يومكم هذا لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيئا من أمره منذ آناه الله ما آناه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبوه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضع في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لا ذلك دليلا على سخطه عليهم ولا طوائفهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا أنه أخ أحبيب قوه على وجه الصحة لكان لا يحمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبيكي ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مرشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا قاله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكركم الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان الله عباده أسكتهم الخشية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفحصاء البلغاء الألباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطع ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لما امر الله واجلا لا فاذا اشتاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخطائين وانهم لا يرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لا كياس أقوياء قال أيوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا انبت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصيام تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتوني غضا بارهتتم قبل أن تسترهبوا وبكيتتم قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني أو قر بواعني قربانا لعل الله أن يقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرت فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيو باقدسترها الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم فيما خلانوقر وتي وأنا مسموع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فاتم كنتم أشد على من مصيبتى ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغينا به متضرعا اليه فقال يا رب لا شيء خلقتني ليني اذ كرهتني لم تخلفني باليتي عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتي فالحقني بأبائي فالموت كان أجلى في ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيا الهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فيبدك عقوبي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقد وقع على من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي أسقمني وانحل جسمي ولوان ربي نزع

الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بل في قاذلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي
لرجوت أن يعافيني عند ذلك عما بي ولكنك القاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعي ولا أسمع فلما قال
ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي يا أيوب إن الله يقول ها أنا قد دنوت
منك ولم أزل منك قريباً فادل بعذرِكَ وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد أزارك وقم مقام جبار
يخاصم جباراً إن استطعت فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي لقد مننتك نفسك يا أيوب أم ما يبلغ مثله
مثلك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تدب بطرافها هل علمت بأي مقدار
قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء
أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها داعم من تحتها هل يبلغ من
حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلاً ونهارها أين كنت مني يوم أنبت الأنهار
وسكبت البحار ألساطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فقضت الأرحام حين بلغت مدتها
أين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال
وزنها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من
أي شيء أنشأت السحاب أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة
النهار بالليل وأين خزانة الريح وبأي لغة تتكلم الأشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال وشق
الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة للملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير
يدل على آثار قدرته ذكرها لا يوب فقال أيوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيت وضعفت قوتي عن هذا
الامر الذي يعرض على الهى قد علمت أن كل الذي قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك
وأعجب لو شئت عملت ولا يهزك شيء ولا تخفى عليك خافية الهى أو تقنى البلاء فتكلمت ولم أملك نفسي
فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الأرض انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخطك ربي وليتني مت
بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكت لترجني كلمة زلت مني فلن
أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعود بك اليوم منك واستعجب
بك من جهد البلاء فاجزني واستغيت بك من عقابك فاغثني واستعينك على أمري فاعني وأتوكل عليك
فا كفى وأعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني قال الله تعالى يا أيوب نفذ
فيك علمي وسبقت رجتي غضي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك
آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فنه تناول وقرب
عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن أنس يرفعه أن أيوب لبث ببلائه ثمانين
عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوماً وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحاً على
كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهر يختلف فيه الدود لا يقر به أحد غير رجعة صبرت معه بصدق وكانت
تأتيه بالطعام ونحمد الله معه إذا جدواً أيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ
ابليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض فلما اجتمعوا إليه قالوا ما أحرزك قال أعياني هذا العبد الذي
لم أدع له مالاً ولا ولداً ولم يزد إلا صبراً ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقر به إلا امرأته
فاستعنت بكم فتعينوني عليه فقالوا له فإين مكرك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب
فاشيروا علي قالوا من أين أتيت آدم حين أخرجه من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فإشأنتك يا أيوب من قبل
امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيا وليس يقر به أحد غيرها قال أصبتم فانطلق ابليس حتى أتى رجلة امرأة

(اني) أي دعائي (مسي)
 الضر) الضر بالفتح الضرر
 في كل شيء وبالضم الضرر
 في النفس من مرض أو
 هزال (وأنت أرحم
 الراحمين) ألطف في السؤال
 حيث ذكر نفسه بما يوجب
 الرحمة وذكر به بغاية
 الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
 فكانه قال أنت أهل ان
 ترحم وأيوب أهل ان يرحم
 فأرحمه واكشف عنه الضر
 الذي مسه عن أنس رضي
 الله عنه أخبر عن ضعفه
 حين لم يقدر على النهوض
 الى الصلاة ولم يشترك وكيف
 يشكون قيل له انا وجدناه
 صابرا نعم العبد وقيل انما
 شكاليه تلذذا بالنجوى
 لانه تضررا بالشكوى
 والشكابة اليه غاية القرب
 كما أن الشكابة منه غاية
 البعد

أيوب وهي تصدق فتتمثل لها في صورة رجل وقال لها أين بعالك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك فروجه ويتردد
 الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكروا ما كانت فيه من النعم
 والمال وذكروا جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصبرحت ففعل انها قد
 جزعت فانها هابت سحلة وقال ليذبح لي هذه أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال
 أين الولد أين الصديق أين لوتك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السحلة واسترح قال أيوب أناك عدو
 الله فتفزع فيك ويلك أرايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت
 ثمانين سنة قال فخذ كما ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما انصفت ربك ألا صبرت في البلاء
 ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شغاني الله لاجلدتك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله
 طعامك وشربك الذي تأتيني به على حرام ان اذوق منه شيئا عزبي دعيني فلا اراك فطردها فذهبت فلما
 نظرا أيوب وليس عنده طعام ولا شرب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (اني مسني الضر وأنت أرحم
 الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل
 منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شي ظاهر الا سقط وعاد شبابيه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت
 عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئا ما كان
 عليه وما كان له من أهل ومال الا وقد ضعفه الله له وذكروا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا
 من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال خرج
 حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرايت ان كان طردني الى من أكله ادعه بموت جوعا ويضيع
 فناكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد
 تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني أيوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه ففسأله
 عن أيوب فدعاها وقال ما تريد يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة
 لا أدري أضاع أم ما فعل به فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلی فقال هل تعرفينه اذا رأتها قالت وهل
 يخفى على أحدر آه ثم جعلت تنظر اليه وهي تنهيه ثم قالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني انما
 أيوب الذي أمرتني أن اذبح سحلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما تريد
 وقال وهب لي أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة
 ليست كههيئة بنى آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ابليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال
 لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت
 بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولوسجدي سجدة واحدة رددت عليك وعليه
 كل ما كان لك من مال وولد فانه عندي ثم اراها اياه يبطن الوادي الذي اقيمها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس
 قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد واعاني زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما
 قال لها وما اراها قال لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضرب بها مائة جلدة وقال عند
 ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمته له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة
 امرأته أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عاها واراد ان يبرئها فامر ان يأخذ ضعفا يشغل على مائة
 عود صغير فيضرب بها ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر
 عن الله كروا الفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها ما قيل في حقه لو كان لك
 عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعته ذوائبها فاته بطعام

(فاستجبناله) أجنادعاء

(فكشفنا ما به من ضر)

فكشفنا ضره انعاما

عليه (وآتيناه أهله ومثلهم

معهم) روى ان أيوب عليه

السلام كان روميا من ولد

اسحق بن ابراهيم عليه

السلام وله سبعة بنين وسبع

بنات وثلاثة آلاف بعير

وسبعة آلاف شاة

وخمسة فدان يتبعها

خمسة عبد لكل عبد

امراة وولد ونخيل فابتلاه

الله تعالى بذهاب ولده وماله

ومرض في بدنه ثمانين

عشرة سنة وثلاث عشرة

سنة أو ثلاث سنين وقالت

له امرأته يوما لودعوت

الله عز وجل فقال كم كانت

مدة الرخاء فقالت ثمانين

سنة فقال أنا أستحي من

الله أن أدعوه وما بلغت

مدة بلائي مدة رخائي فلما

كشف الله عنه أحياءه

باعيائهم ورزقه مثلهم معهم

(رحمة من عندنا) هو

مفعول له (وذكري

للعابدين) يعني رحمة لا يوب

وتذكره لغيره من العابدين

ليصبروا كصبره فينبأوا

كثوابه (واسماعيل) بن

ابراهيم (وادر يس) بن

شيث بن آدم (وذا الكفل)

أي اذ كرههم وهو الياس

أذكر يا أيوشع نون

وسمى به لانه ذوالحظ من

والثالث قول ابليس اني أداويه على أن يقول أنت شفيتني وقيل مسني الضرأي من شماته الاعداء حتى ردى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماته الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع لقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنه ب وعذاب قلت ليس هذا شكوى وإنما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبناله والشكرى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما أشكوا بنى وحزنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدني مغموما وأجدني مكروبا وقال اعائشة حين قالت واراأساه بل أنا واراأساه ﴿قوله تعالى (فاستجبناله) أي اجبنادعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهرة ثم مشى أربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس وأكثرا المفسرين رد الله اليه أهله وأولاده باعياهم أحياءهم الله وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبعة بنين وسبع بنات وعن أنس رفعه انه كان له أندران أندرا للقمح وأندرا للشعير فبعث الله سحابتين فأفرغت احدهما على أندرا للقمح والذهب وأفرغت الاخرى على أندرا للشعير الورق حتى فاضا وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى أندرك فخرج اليه فارس الله عليه جراد من ذهب فذهبت واحدة فاتبها وردها الى أندره فقال له الملك ما يكفيك ما في أندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا أيوب يغتسل عريانا خرا عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحني في ثوبه فناداه به يا أيوب ألم أكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكني لا غنى لي عن بركتك وقيل آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا وقال عكرمة قيل لا يوب ان أهلك في الآخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) أي نعمة (وذكري للعابدين) أي عظة وعبرة لهم ﴿قوله عز وجل (واسماعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم (وادر يس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذلك كره لاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد الى الذبح وأما ادر يس فقد تقدمت قصته وأما ذوالكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من بنى اسرائيل وكان ملكا وأوحى الله اليه اني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فمن تكفل انه يصلي الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال اني أستخلف رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي انظر كيف يعمل قال جمع الناس وقال من يتقبل مني ثلاثا أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل تزدربه العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلا وفعلا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذارحت فائتني حتى آخذ حقك فانطلق وراح

الله والكفل الحظ (كل من الصابر بن) أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر

(وأدخلناهم في رحمتنا) نبوتنا أو النعمة (٢٩٢) في الآخرة (انهم من الصالحين) أي ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد (وذا النون)

أي اذ ذكر صاحب الحوت والنون الحوت قاضيف اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال أي مراغما لقومه ومعنى مغاضبه لقومه انه أغضبهم بمغافقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى انه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الاغصبا لله و بغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر و ينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى بطن الحوت (فظن أن لن نقدر) نصيق (عليه) وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل بوما على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة ففرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ الآية فقال أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة (فنادى في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات أو ظلمة الليل والبحر و بطن الحوت (أن) أي بانه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أي (سبحانك

فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يستغيبه فلم يجده فلما كان العبد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال وأخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل اذا قدمت فأنتي قال انهم أخبرت قوم اذا عرفوا أنك قاعد قال نحن نعطيك حقتك واذا قدمت جددوني قال فانطلق فاذا جلست فأنتي وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أنام والخصوم بيابك فنظر اليه فعرفه فقال عدو الله قال نعم أعيتني وفعلت ما فعلت لا غضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هوز كر يا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما أنعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) قوله عز وجل (وذا النون) أي واذا ذكر صاحب الحوت أضيف الى الحوت لا ابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقى منهم سبطان ونصف فأوحى الله الى شعيب النبي أن سر الى خزير الملك وقل له بوجه نبيا فو يا فاني ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك باخراجي قال لا قال فهل سماني الله لك قال لا قال فهنا غيري أنبياء أقوياء فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا ليهما كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جر بوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحياء منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذا بالا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جر بوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه ما لم ياتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فانذرهم فقال النمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حل أنقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولى العزم من الرسل وقال لنبية محمد صلى الله عليه وسلم قاصبر كقاصبر أولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله (فظن أن ان تقدر عليه) أي ان لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن أن لن نصيق عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يعجزر به فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا ليهما واستزله الشيطان حتى ظن أن لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبي الله أن يذعه للشيطان فقفه في بطن الحوت فكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتأب الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت (فنادى في الظلمات) أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) أي حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك فانخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذ ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما

اني كنت من الظالمين) لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تاذن لي في الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء فاخذه الاستجيب له وعن الحسن ما عجاها والله الا افراره على نفسه

بالظلم (فاستجبناله ونجيناها من النعم) غم الزلّة والوحشة والوحدة (وكذلك تنجي المؤمنين) اذا دعونا واستغاثوا بنا نجى شامى وأبو بكر بادغام النون فى الجيم عند البعض لان النون لاتدغم فى الجيم وقيل تقديره نجى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل الى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز (٢٩٣) وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات

وقيل أصله نجي من التنجية
خذفت النون الثانية
لاجتماع النونين كما حذف
احدى التاءين فى تنزل
الملائكة (وزكريا اذ نادى
ربه رب لا تدركنى فردا)
سأل ربه أن يرزقه ولدا
يرثه ولا يبدعه وحيدا بلا
وارث ثم رد أمره الى الله
مستسلما فقال (وأنت
خير الوارثين) أى فان لم
ترزقنى من يرثنى فلا أبالى
فانك خير وارث أى باق
(فاستجبناله ووهبنا له
يحيى) ولدا (وأصلحناله
زوجه) جعلناها صالحة
للولادة بعد العقار أى بعد
عقرها أو حسنة وكانت
سبئة الخلق (انهم) أى
الانبياء المذكورين (كانوا
يسارعون فى الخيرات)
أى انهم انما استحقوا
الاجابة الى طلباتهم لمباردتهم
أبواب الخير ومساارعهم
فى تحصيلها (وبدعوتنا
رغباء ورهبا) أى طمعا
وخوفا كقوله يحذر الآخرة
ويرجو رحمة ربه وهما
مصدران فى موضع الحال
أو المفعول له أى للرغبة
فينا والرغبة منا (وكانوا

فأخذه ثم أهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا
فلوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا
نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصائى
خبيسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم
فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقتله فى الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبناله ونجيناها من النعم) أى من
تلك الظلمات (وكذلك تنجي المؤمنين) أى من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك
بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا و منها فظن أن لن نقدر
عليه ومنها قوله انى كنت من الظالمين قلت أما الجواب الكلى فقد اختلفوا فى هذه الواقعة هل كانت قبل
الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات
بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز
بعضهم عليهم الصغار قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب التفصيلى لقوله اذ ذهب مغاضبا
فعله على انه لقومه أو للملائكة أولى بحال الانبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أى لن تضيق
عليه وذلك أن يونس ظن انه مخير ان شاء أقام وان شاء أخرج وان الله تعالى لا يضيق عليه فى اختياره وقيل
هو من القدر لا من القدرة وأما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه وهذا اعتراف
عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون خروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما مثله أو لدعائه بالعذاب على
قومه وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظما وقيل كانت رسالته قبل هذه
الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أتى الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه
الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وزكريا اذ نادى ربه) أى دعاه به فقال (رب
لا تدركنى فردا) أى وحيدا الاولدى يساعدى وارزقنى وارثا (وأنت خير الوارثين) هو ثناء على الله بأنه الباقي
بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبناله
وهبنا له يحيى) أى ولدا (وأصلحناله زوجه) أى جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سبئة الخلق
فاصلحها الله تعالى له بان رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) يعنى الانبياء المذكورين فى
هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمساوعة فى الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص
عظيم فى طاعة الله عز وجل (وبدعوتنا رغباء ورهبا) يعنى انهم ضموا الى فعل الطاعة أمرين أحدهما الفرع
الى الله لكان الرغبة فى ثوابه والرغبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين)
الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لا يبتسط فى الامور خوفا من الوقوع فى
الاثم وقوله تعالى (والتي أحصنت فرجها) أى احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسنى بشرو لم أك
بغيا وهى مريم بنت عمران (ففنفخنا فيها من روحنا) أمرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا بذلك
النفخ المسيح فى بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله (وجعلناها وابنها آية) أى دلالة
(للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام

لنا خاشعين متواضعين خائفين (والتي) أى واذا ذكرنا (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (ففنفخنا فيها من روحنا) أجرنا
فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها فحدثنا بذلك النفخ عيسى فى بطنها وإضافة الروح اليه تعالى لتشريف عيسى عليه
السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلناها الليل والنهار آيتين لان حالهما مجتموعهما آية واحدة وهى
ولادتهما اياه من غير فحل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتكم

أمة واحدة) الأمة الملة وهذه إشارة الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الانبياء وأمة واحدة حال أي متوحد غير متفرقة والعامل مادل عليه اسم الإشارة أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تهرقون عنها إشارا اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أي ريتكم اختيارا فاعبدوني شكرا (٢٩٤) واقتضارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم

وجعلنا شأنهم وأمرهم آية واحدة أي ولادتها آية من غير آية ﴿ قوله تعالى (ان هذه أمتكم) أي ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أي دينا واحدا وهو الاسلام ماسوي الاسلام من الاديان والأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد وجعلت الشريعة أمة لا اجتماع أهلها على مقصد واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا وأحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض (كل الذين ارجعون) فنجزيهم بأعمالهم (فن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي لا يمحوا ولا يبطل سعيه بل يشكر ويناب عليه (واناله كاتبون) أي لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ﴿ قوله عز وجل (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهلكناها أن يرجعوا بعد اهلاكهم وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بها لا أنهم أن تقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون ﴿ قوله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتح ما أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بني آدم (وهم من كل حدب ينسلون) أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الكناية وجهان أحدهما أن المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الأصح بدليل ما روى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه في طائفة النخل فلما رحننا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعته حتى ظننا انه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فاما يحجبكم دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ يحجب نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طائفة كافي أشبهه بعبد العزى بن قطن فن أدركه منكم فليقرأ عليه فوانح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعات يميناً وعات شمالاً يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما البث في الأرض قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفي في صلاة يوم قال لا أقدر والله قدره قلنا يا رسول الله وما أسرع في الأرض قال كالغيث استدرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمرهم بالسما فمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دروا وأسبغه ضرعاً وأمد خواصرهم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصحبون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتنبعه كنوزها كيما سيب النخل ثم يدعور رجلاً ممثلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزأين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتהל وجهه ويضحك فيبينها هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جان كاللولؤ فلا يحل لكافر يجدرج نفسه الامات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينها هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادي لا يدين لاحد ان يقاتلهم فخرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر

الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وصاروا فرقا وأحزاباً ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة (كل الذين ارجعون) فنجزيهم على أعمالهم (فن يعمل من الصالحات) شيئاً (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسعيه) أي فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ (واناله) للسعي أي الحفظة بامرنا (كاتبون) في صحيفة عمله فتشبه به (وحرام) وحرم كوفي غير حفص وخلف وهما الغتان كحل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) والمعنى ويمتنع على مهلك غير يمكن أن لا يرجع الى الله بالبعث أو حرام على قرية أهلكناها أي قدرنا اهلاكهم أو حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية للتقدمة من العمل الصالح

والسعي المشكور غير المكفور انهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام (حتى) هي التي يحكي بعدها الكلام والكلام اوائلهم المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني (اذا) وما في خبرها (فتحت يأجوج ومأجوج) أي فتح سددهما حذف المضاف كما حذف المضاف الى قرية فتحت شامى وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج حين يفتح السد (من كل حدب) نشر من الأرض أي ارتفاع (ينسلون) يسرعون

القيامة وجواب اذا (فاذا هي) وهي اذا لمفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاوتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهي شاخصة أو اذا هي شاخصة كان سديدا وهي ضميرهم بوضعه الابصار وفسره (شاخصة ابصار الذين كفروا) أي مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها (انكم وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطوانهم في حكم عبدتهم (حصب) حطب وقرى حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ماوردوها) ما دخلوا النار (وكل) أي العابد والمعبود (فيها) في النار (خالدون لهم) للكفار (فيها زفير) أنين وبكاء وعويل

أوائلهم على بحيرة طبرية فيسربون ما فيها ويرأخهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحضرني الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله فيهم النصف في رقابهم فيصبحون فرسي كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر الا ملأه زهمهم وننهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض انبتى ثمرتك ودرى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها وبارك في الرسل حتى ان الله حة من الابل لتكفي القمام من الناس واللحمة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللحمة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فينبأهم كذلك اذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارجا الحرف عليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم (شرح غريب ألفاظ الحديث) قوله حتى ظنناه في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله خفض فيه ورفع أي خفض صوته ورفع من شدة ما تكلم به في أمره وقيل انه خفض من أمره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره قوله انه شاب قطط أي جعد الشعر وقوله طائفة أي خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة أي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتدخل الدخول في الشيء قوله فعات أي أفد قوله أقدر والقدرة أي قدره وأقدر يوم من أيامكم المعهودة وصالوا فيه بقدر أوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي مواشيهم وقوله فيصبحون محلين أي مقحطين قدأجدت أرضهم وغلت أسعارهم قوله كي عاسب النحل جمع يعسوب وهو غل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين رويت بالبدال المهملة والمججمة أي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم أي لا قدرة ولا قوة لاحد بقتالهم والنصف دوديكون في أنوف الابل والغنم فرسي جمع فريس وهو القليل وقوله زهمهم أي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة أي كالمرآة وجهها زلف ويرى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصابة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء الالبين واللحمة الناقة ذات الالبين والقمام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون أي يختلفون والتهارج الاختلاف وأصله القتل (الوجه الثاني) في تفسير قوله تعالى وهم من كل حذب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننذاكر فقال ما نذاكرون قالوا نذاكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وأجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم (قوله عز وجل) (واقرب الوعد الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا فتنى فلو ابعده خروج بأجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلالمهر (فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) أي في وضعنا العبادة في غير موضعها (قوله عز وجل) (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) أي حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم في النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمي (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ماوردوها) أي ما دخل الاصنام النار وعابدوها (وكل فيها

(وهم فيها لا يسمعون) شيئا ما لانهم صاروا صما وفي السماع نوع اثنان فلم يعطوه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة المفصلة في الحسن تأييد الحسن وهي السعادة أو البشري بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبير عن تلامذه عليه السلام على صناديد قريش انكم وما تعبدون من دون الله الى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا عزرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يقناوهم لان ما لا يعقل الا انهم أهل عناد فزيد في البيان (أولئك) يعني عزرا والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المؤمنين لما روى ان عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر (٢٩٦) وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم منا العنابة في

البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية (لا يسمعون حسيها) صوتها الذي يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة في الابعاد عنها أي لا يقربونها حتى لا يسمعوها صوتها وصوت من فيها (وهم فيما انتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لا يحزنهم الفرع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتلقاهم الملائكة أي تستقبلهم الملائكة مهئين على أبواب الجنة يقولون) هذا يومكم الذي كنتم توعدون (أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا) العامل في (يوم تطوى السماء) لا يحزنهم أو تلقاهم تطوى السماء يزبدون طيها تكو برنجومها ومحور سومها أو هو ضد النسر نجمها وتطويها (كطي السجل) أي الصحيفة (للكتب) حزة

خالدون) يعني العابدون والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو أن يثقل الرجل صدره غمما ثم ينفس وقيل هو شدة ما يناظم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توايت من نار ثم جعلت تلك التوايت في توايت أخرى ثم تلك التوايت في توايت أخرى عليها ما يمر من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان في النار أحد يا عذاب غيره في قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان هنا معنى الأي الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجيدة بالجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عن ذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع وعبادة من عبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الخطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخفهم ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حص جهنم الآيات الثلاثة ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبير السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حص جهنم قال نعم قال أليس اليهود تعبد عزرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزرا والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبير ما ضرب به لك الاجد لا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولولا راد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لم يعقل وما لا يعقل (لا يسمعون حسيها) يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما انتهت أنفسهم) أي من النعيم والكرامة (خالدون) أي مقيمون في قوله تعالى (لا يحزنهم الفرع الاكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي بأهل النار خلود بلاموت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجهم (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي في الدنيا في قوله عز وجل (يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطنى هو الدرج الذي هو ضد النسر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى تطوى السماء كما تطوى السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفرع الاكبر في ذلك اليوم (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله

وعلى وحفص أي للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وغيرهم للكتاب أي كما يطوى الطومار للكتابة أي حفاة لما يكتب فيه لان الكتاب أصله الصدر كالبناء ثم يرفع المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطنى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كما بدأنا أول خلق نعيده) اتصت الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيده مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول السابق من اللفظ الثابت في المعنى وأول الخلق إيجاد أي فكما أوجده أولا يعيده نانيا تسميها عادة بالابداء في تناول القدرة لجماع على السواء والتشكيك في خلق مثله في قولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجالا رجلا فذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلق لان الخلق مصدر لا يجمع

(وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة (علينا) أى وعدا كائن لا محالة (انا كنا فاعلين) ذلك أى محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقد موا صلح الاعمال للخلاص من هذه الالهوال (ولقد كتبنا فى الزبور) كتب داود عليه السلام (من بعد الذ كر) التوراة (ان الارض) أى الشام (يرثها عبادى) سا كنة الياء حمزة غير مفتحة الياء (الصالحون) أى أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور أى المكتوب يعنى ما أنزل على الانبياء من الكتب والذ كرام الكتاب يعنى به اللوح لان الكل اخذوا منه دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاى على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض ارض الجنة (ان فى هذا) اى (٢٩٧) القرآن وفى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعود والوعيد

والمواعظ (لبلاغاً) لكفاية واصـله ما يبلغ به البغية (لقوم عابدين) موحدين وهم أمة محمد عليه السلام (وما أرسلناك الا رحمة) وقال عليه السلام انما أنا رحمة مهداة (للعالمين) لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فأنما آتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين وللـكافرين فى الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين فى الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسح والخسف ورحمة مفعول له أو حال أى ذارحة (قل انما) انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قام وانما يقوم زيد وفاعل (يوحى الى انما) الحكم الواحد) والتقدير يوحى الى وحدانية الهى ويجوز أن يكون المعنى ان

حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أى قلفاً وقوله تعالى (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعنى الاعادة والبعث بعد الموت وقوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذ كر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذ كر هو أم الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذ كر أى بعدما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذ كر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذ كر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل (أن الارض يرثها عبادى الصالحون) يعنى ارض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب فى المحفوظ فى كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان أراضى الكفار بفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان فى هذا) أى فى القرآن (لبلاغاً) أى وصولاً الى البغية يعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أى مؤمنين لا يعبدون أحدا من دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون وقوله عز وجل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا فى حيرة من أمر دينهم اطول مدتهم وانقطاع توأثرهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسح والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة (قل انما يوحى الى انما الحكم اله واحد فهل أتم مسلمون) أى منقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامرأى أساموا (فان تولوا) أى أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذتكم) أى أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أى انذارا بيننا نستوى فى علمه لا أستبدأ بابه دونكم لتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذتكم على وجه نستوى نحن وأتم فى العلم به وقيل معناه تستووا فى الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدري) أى وما أعلم (أقرب أم بعيد ما توعدون) يعنى يوم القيامة لا يعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أى لا يغيب عن علمه شئ منكم فى علمه فى علمكم (وسركم) (وان أدري لعله فتنة لكم) أى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صديعكم وهو أعلم بكم

(٣٨ - (خازن) - ثالث) الذى يوحى الى فتكون ما موصوله (فهل أتم مسلمون) استفهام بمعنى الامرأى أساموا (فان تولوا) عن الاسلام (فقل آذتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أى مستويين فى الاعلام به ولم أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وان أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) أى لا أدري متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى لم يطلعنى عليه ولا كنى اعلم بانه كائن لا محالة ولا أدري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أى انه عالم بكل شئ يعلم ما تجاهروا به من الطعن فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو مجاز يكلم عليه (وان أدري لعله فتنة لكم) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون

(ومتاع الى حين) ومنتجع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واحد وها أنتك على مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم زبدي احكم زبدي عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطوب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أي الكفار وهو المستعان على ما تصفون ﴿سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها الناس اتقوا ربكم (أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهل صفته بقوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) لينظروا (٢٩٨) الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرجعوها

من شدائد ذلك اليوم بامثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الافزاع والزلازل شدة التحريك والازعاج وازافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هي التي تزلزل الارض على المجاز الحكمي أو الى الظرف لانها تكون فيها كقولها بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعزلة في تسمية المعلوم شيئا فان هذا اسم لها حال وجودها واتصاف (يوم ترونها) أي الزلزلة الساعة بقوله (تذهل) تغفل والدهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن أرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك

(ومتاع الى حين) أي تمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أي افصل بيني وبين من كذبتني (بالحق) أي بالعذاب كأنه استجمل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرفي عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أي من الشرك والكفر والكذب والباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعي الى رب احكم بالحق وقل متوعد الكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الحج﴾

وهي مكية غيرست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية وألف ومائتان واحد وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) الزلزلة شدة الحركة على الحال الماثلة ووصفها بالعظم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) أي الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حمل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وهو يله لا على حقيقته كما تقول أصابنا امر يشيب فيه الوليد تريد به شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وما هم بسكارى) على التحقيق ولكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) ﴿ق﴾ عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يدك فينادي بصوت ان الله تعالى يأمر لك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فينفذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى

الحوامل اذا حدث وقد ألفت الرضيع نديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة اذا المرضعة هي التي في حال الارضاع ولم يكن ملقمة نديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به (وتضع كل ذات حمل) أي حبل (حملها) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير تمام (وترى الناس) أي الناظر (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبى نفسى نفسى (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) (خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتميزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكارى فيهما بالامالة حمزة وعلى وهو كعطشى في عطشان روى أنه نزلت الآيتان لبلال في غزوة بني المطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم يقرأ كثيرا كثر با كيان تلك الليلة

(ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزلت في النضر بن الحرث وكان جد لا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى أو هي عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى (ويتبع) في ذلك (كل شيطان مرید) عاب مستقر في الشر ولا وقف على مرید لان ما بعده صفته (كتب عليه) (٢٩٩) قضى على الشيطان (أنه) ان

الامر والشأن وهو فاعل كتب (من تولاه) تبعه أي تبع الشيطان (فانه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه الى عذاب السعير) النار قال الزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة للتأكيـد ورد عليه أبو علي وقال ان من ان كان للشرط فالفاء دخل الجزاء الشرط وان كان بمعنى الذي فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير فالامر أنه يضله قال والعطف والتأكيـد يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهدايته الى النار ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث) يعني ان ارتبتم في البعث فزبل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو ضرورة الخلق ترابا وماء (فانا خلقناكم) أي أباكم (من تراب ثم) خلقتم (من نطفة ثم من علقة) أي قطعة دم

ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقعة في ذراع الجارواني لارجوان تكون نار بع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلافنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم يقرأ أكثر باكيامن تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس خزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذ كرنحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث وحياء من صارت ربا (ويتبع) أي في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مرید) أي المقرد المستقر في الشر وفيه وجهان أحدهما أنهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني أنه ابليس وجنوده (كتب عليه) أي وقضى على الشيطان (أنه من تولاه) أي اتبعه (فانه) يعني الشيطان (يضله) أي يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفي الآية زجوع عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو في ضلال ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب) أي شك (من البعث) أي بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعني اباكم آدم الذي هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذريته من المنى وأصلها الماء القليل (ثم من علقة) أي من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا (ثم من مضغة) وهي لجة قليلة قدر ما يعضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قد دفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب أذكرا أم أنثى أشقى أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع

جامدة (ثم من مضغة) أي لجة صغيرة قدر ما يعضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة للمساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضع متفاوتة منها ما هو كامل الخلقه أمليس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم ونعماتهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقه الى خلقه

(لتبين لكم) بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب أو لا ثم نقطة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وفسر أن يجعل النطفة علقه والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما بدأه (وتقرر) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف أي نحن ثبت (في الارحام ما نشاء) نبوته (الى أجل مسمى) أي وقت الولادة وما لم نشأ نبوته أسقطته الارحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نربكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقولكم وقوتكم وهو من ألقاظ الجوع التي لا يستعمل طبا واحد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخيه يعني الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي لكيلا يعلم شيئا من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالمه به ثم ذكر دليلا آخر على (٣٠٠) البعث فقال (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت)

و بينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلوها وقوله تعالى (لتبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصرف خلقكم واستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لتبين لكم ما تأتون وما تذكرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لتبين لكم أن تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فإن القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (وتقرر في الارحام ما نشاء) أي لا تسقطه ولا تمنجه (الى أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية سخييف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى الارض هامدة) أي يابسة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات (وربت) أي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات (وأنبت) هو محاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نصير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجليل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذكرنا ذلك لتعلموا (بأن الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أي انه اذا لم يستبعد منه إيجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه إعادة الاموات (وانه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لاشك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق وقوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحرث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله نور (ثاني عطفه) أي لاوى جنبه وعنقه متبخر التكبيرة مغرضا عما يدعي اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهو ان وهو أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) أي يقال له ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد يتصرف في عبده بحكمه عدل وهو غير ظالم وقوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم

تحركت بالنبات (وربت) وارتفعت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وأنبت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار للناظرين اليه (ذلك) مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وأنه يحيي الموتى) كما أحيا الارض (وأنه على كل شيء قدير) قادر (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد (ومن الناس من يجادل في الله) في

صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في أبي جهل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لانه يهدي الى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحى والعلم للانسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لاوى باعنته عن طاعة الله كبرا وخيلاء وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أن مانع نعطفه الى غيره (ليضل) تمليل للمجادلة ليضل مكي وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) (ذلك بما قدمت يداك) أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكفى عنها باليد لان اليد آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أي وبأن الله وذكرا الظلام بلفظ المبالغة لا فقرانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبضه واستغفائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لاني وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة وهو حال أي مضطربا

(فان أصابه خير) صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن) سكن واستقر (به) بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) جهته أي ارتد ورجع الى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فان أحسن بظفر وغنيمة قروا طمأن والافروطار على وجهه قالوا نزلت في أعراب قد قداموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم اذا صاح بدنه وتحت فرسه مهراسو يا وولدت امرأته غلاما سو يا وكثر ماله وما شئته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة (٣٠١) روح وزيد خسر الدنيا والآخرة

والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على أحد (يدعو من دون الله) يعني الضم فانه بعد الردة يفعل كذلك (مالا يضره) ان لم يعبد (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعولن ضره أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفي الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبتها هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سقه الكافر بانه يعبد جادا لا بملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى لها اثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه

من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصاح بها جسمه ونجت بها فرسه مهراسو وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي غير مستقر فحقيل للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكونية وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه (فان أصابه خير) أي صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن به) أي رضى به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) أي بلاء في جسمه وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر في الدنيا والعز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود في النار (ذلك هو الخسران المبين) أي الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) ان عصاه ولم يعبد (وما لا ينفعه) أي ان أطاعه وعبد (ذلك هو الضلال البعيد) أي عن الحق والرشد (يدعولن ضره أقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى في الآية الاولى يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه وقال في هذه الآية يدعو لمن ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الآية الاولى مالا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أي ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سقه الكافر حيث عبد جادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفرعون اليهم لانه يصح منهم أن يضر او ينفعوا وحجة هذا القول ان الله تعالى بين في الآية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعافلو كان المذكور في هذه الاوثان لزم التناقض فثبت أنهم الرؤساء بدليل قوله (لبشس المولى ولبشس العشير) أي الناصر والمصاحب المعاصر ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) أي باوليائه وأهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان ﴿قوله تعالى﴾ (من كان يظن أن لن ينصره الله) يعني نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (في الدنيا) أي بأعلاء كلمته واظهار دينه (والآخرة) أي وفي الآخرة بأعلاء درجته والانتقام ممن كذبه (فليمدد بسبب) أي بجبل (الى السماء) أي بسقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أي

(لبشس المولى) أي الناصر صاحب (ولبشس العشير) المصاحب وكرر يدعو كما أنه قال يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شافيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لمن عبد الله على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديته غير ذلك (فليمدد بسبب) بجبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطع الان المحتنة . نقطه نفسه بحبس حجار به وبكسر اللام نصرى وشامى

(فلينظر هل يذهب كيد ما يغبط) أي الذي يغبطه أو ما صدوره أي غبطه والمعنى فليصور في نفسه أنه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغبطه وسمى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكذب بحسود إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بذهب لما يغبط (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الأنزال أنزل (٣٠٢) القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدي من يريد) أي ولان الله يهدي به الذين

الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهب كيد) أي ضيقه وحيلته (ما يغبط) أي فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الختم لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسما السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن ان ينصره الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فإن أصله في السماء فليطلب سببا يصل به إلى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول إلى السماء بحيلة وهو بقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فإذا كان ذلك ممتمعا كان غيظه عديم الفائدة وفي الآية زجر للكفار عن الغبط فيما لا فائدة فيه روى أن الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود مخالفة فقالوا لا يمكن أن نسلم لأننا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتقطع المخالفة بيننا وبين اليهود فلا يعبرونا ولا يؤونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليبلغ غايه الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطى أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعني عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخسة للشياطين وهو ما عدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) أي يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاما كن جازيهم جزء واحد ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيد ان أباه قائم (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (المنز) ألم تعلم (المنز) ألم تعلم يا محمد عما يقوم مقام العيان (ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجال والشجر والدواب) قيل ان الكل يسجد له ولكن لا تنف عليه كما لا تنف على تسيبها قال الله تعالى وان من شيء الا يسجد بحمده ولكن لا تفقهون تسيبهم وقيل سعى

يعلم انهم مؤمنون أو ثبت الذين آمنوا ويريدهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الاديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) في الاحوال والاما كن جازيهم جزء واحد ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيد ان أباه قائم (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (المنز) ألم تعلم (المنز) ألم تعلم يا محمد عما يقوم مقام العيان (ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجال والشجر والدواب) قيل ان الكل يسجد له ولكن لا تنف عليه كما لا تنف على تسيبها قال الله تعالى وان من شيء الا يسجد بحمده ولكن لا تفقهون تسيبهم وقيل سعى

مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخير له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل خضوع دونه مكرم (وكثير من الناس) أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفته والخبر محذوف وهو منابو بدل عليه قوله (وكثير من الناس) أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وإبائه السجود (ومن بين الله) بالشقاوة (فاله من

(مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والالهانة وغير ذلك وظاهر (٣٠٣) هذه الآية والتي قبلها ينقض على

المعتزلة قولهم لانهم يقولون
شاء أشياء ولم يفعل وهو
يقول يفعل ما يشاء
(هذان خصمان) أى
فريقان مختصمان فالخصم
صفة وصف بها الفريق
وقوله (اختصموا) للمعنى
وهذان للفظ والمراد
المؤمنون والكافرون
وقال ابن عباس رضى الله
عنهما رجع الى أهل الأديان
المذكورة فالمؤمنون خصم
وسائر الخسة خصم (في
رهم) فى دينه وصفاته
ثم بين جزاء كل خصم بقوله
(فالذين كفروا) وهو
فصل الخصومة المعنى بقوله
ان الله يفصل بينهم يوم
القيامة (قطعت لهم ثياب
من نار) كان الله يقدر
لهم نيرانا على مقادير جثثهم
تشتعل عليهم كما تقطع
الثياب الملبوسة واختير
لفظ الماضى لانه كان
لا محالة فهو كالثابت المتحقق
(يصب من فوق رؤسهم)
بكسر الهاء والميم بصرى
ويضمهما حزة وعلى وخلف
وبكسر الهاء وضم الميم
غيرهم (الحميم) الماء
الحار عن ابن عباس رضى
الله عنهما الوسخ سقطت منه
نقطة على جبال الدنيا
لا ذابتها (بصهر) يذاب
(به) بالحميم (مافى بطونهم
والجلود) أى يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن

(مكرم) أى من بذله الله فلا يكرمه أحد (ان الله يفعل ما يشاء) أى يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين
بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذى يصح منه الاكرام والهلوان يوم القيامة بالثواب والعقاب
﴿فصل﴾ هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوتها أو سماع
تلاوتها ﴿قوله عز وجل﴾ (هذان خصمان اختصموا فى رهم) أى جادلوا فى دينه وأمره واختلفوا فى هذين
الخصمين فروى عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا
فى رهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حزة وعلى وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن
عتبة أخرجاه فى الصحيحين (خ) عن على بن أبى طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن
يوم القيامة قال قيس بن عباد فىهم نزلت هذان خصمان اختصموا فى رهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر
على وحزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق
خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فئة
من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهم عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أتم قالوا رهط من
الانصار فقالوا حين انتسبوا كفاء كرام ثم نادى مناد بهم يا محمد اخرج الينا كفاءنا من قومنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث ويا حزة بن عبد المطلب ويا على بن أبى طالب فلما دنوا
منهم قالوا من أتم فذكروا أنفسهم قالوا نعم كفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حزة
شيبة وبارز على الوليد بن عتبة فاما حزة فلم يهل أن قتل شيبة وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما
ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكرر حزة وعلى باسيافهما على عتبة فدفعا عليه واحتملا عبيدة الى أصحابه
وقد قطعت رجلاه ونحما يسيل فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أأنت شهيد يا رسول الله قال
بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم أنا حق بما قال منه حيث يقول

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية فى المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا
ونينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم بما أنزل الله من كتاب
وأتم تعرفون نينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصم متهم فى رهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أى
ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبى هريرة قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقلت النار أوثرت بالمكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فالى لا يدخلنى
الاضعفاء الناس وسقطهم زادنى رواية وغزاتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من
عبادى وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ماؤها فاما النار فلا
تمتلى حتى يضع الله تبارك وتعالى رجلاه فتقول قط قط فهناك تمتلى ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم بك من
خلقه أحدا وأما الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا واللبخارى اختصمت الجنة والنار وهذا القول
ضعيف والاقوال الاولى أولى بالصحة لان حل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم
ذكره وهو أهل الأديان الستة وأيضا فانه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر ما لخصمين فقال
تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبيرة ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية
شئ اذا حى أشد حرمانه وسمى باسم الثياب لانها تحيط بهم كحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات
من نار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أى الماء الحار الذى انتهت حرارته (يصهر به) أى يذاب بالحميم الذى
يصب من فوق رؤسهم (مافى بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن أبى هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسلت مافى جوفه حتى

والجلود) أى يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن

(ولهم مقامع) سباط مختصة بهم (من حديد) يضربون بها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتغال من منها باعادة الجار أو الاولى لا ابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يضي كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعبدوا فيها) بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضرب بهم بلهبها فتلقى بهم إلى أعلاها فاضربوا بالمقامع فهو وافيا سبعين خريفا والمراد اعادتهم إلى معظم النار لأنهم ينقلون عنها بالكلية ثم (٣٠٤) يهودون إليها (وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من

النار المنتشر العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور) جمع أسور جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) بالنصب مدني وعاصم وعلى ويوتون لؤلؤا وبالجر غيرهم عطف على من ذهب وبترك المسمزة الاولى في كل القرآن أبو بكر وحامد (ولباسهم فيها حرير) ابريسم (وهودوا إلى الطيب من القول وهودوا إلى صراط الحميد) أي أرشد هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد وإلى صراط الحميد أي الإسلام أو هداهم الله في الآخرة وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهدانا إلى طريق الجنة والحمد لله الحمود بكل لسان (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أي بمنعون عن الدخول

يمرق من قدميه وهو الدهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) أي سباط من حديد وهي الجرزم من الحديد وفي الخبر لو وقع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقبلوه من الأرض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم (أعبدوا فيها) أي ردوا إليها بالمقامع قيل ان جهنم أبغش بهم فتلقى بهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهودون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أي تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق وهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الأبريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جديز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر اللبن وبحر الخمر تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما جنة عدن عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهما التيجان أدنى لؤلؤة منها التضيء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قوله تعالى (وهودوا) من الهداية أي أرشدوا (إلى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل إلى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهودوا إلى صراط الحميد) أي إلى دين الله وهو الإسلام والحمد لله والله الحمود في أفعاله قوله عز وجل (ان الذين كفروا) أي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أي بالنع من الهجرة والجهاد والإسلام (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً ومتعبداً (سواء العاكف أي المقيم فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاؤوا وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) أي الطارئ المتأهب إليه من غيرته واختلافوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمة وقضاء النسك به وإلى ذهب مجاهد والحسن وجاعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحد طواف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزول من الآخر غير أنه لا يزعم أحداً إذا كان قد سبق إلى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان

الحجاج في الإسلام ويصدون حال من فاعل كفروا أي وهم يصدون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن إلى الفقراء فإنه يراد به استمرار وجود الاحسان منه في الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذي جعلناه للناس) مطلقاً من غير فرق بين حاضر وباد فان أراد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لا تباع دور مكة وان أراد به البيت فالمعنى أنه قبلة لجميع الناس (سواء) بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وغير المقيم بالياء مكى وافقه أبو عمرو في الوصل وغيره بالرفع على أنه خبر والمبتدأ مؤخر أي العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان للناس حال

(ومن يرد فيه) في المسجد الحرام (بالحد بظلم) حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراداً
إما عادلاً عن القصد ظاهراً لا لحد العُدول عن القصد (نذقه من عذاب (٣٠٥) أليم) في الآخرة وخبر أن محذوف لدلالة جواب

الشرط عليه تقديره أن
الذين كفروا ويصدون
عن المسجد الحرام نذقهم
من عذاب أليم وكل من
ارتكب فيه ذنباً فهو
كذلك (واذبوأنا لإبراهيم
مكان البيت) واذكر
يا محمد حين جعلنا لإبراهيم
مكان البيت مباءة أي
مرجعاً يرجع إليه للعبادة
والعبادة وقد رفع البيت إلى
السماء أيام الطوفان وكان من
ياقوتة جرافة علم الله إبراهيم
مكانه يرجع أرسلها فكنت
مكان البيت فبناه على أسسه
القديم (أن) هي المفسرة
للقول المقدر أي قائلين له
(لا تشرك بي شيئاً وطهر
بيتي) من الأصنام والأقدار
وبفتح الياء مدني وحفص
(للطائفين) لمن يطوف به
(والقائمين) والمقيمين بمكة
(والركع السجود) المصلين
جعاراً كع وماسجداً (وأذن
في الناس بالحج) نادفهم
والحج هو القصد بالبيع إلى
مقصد منيع وروى أنه
صعد أباقيس فقال يا أيها
الناس حجوا بيت ربكم
فاجاب من قدر له أن يحج
من الأصلاب والأرحام
بلييك اللهم لبيك وعن
الحسن أنه خطاب لرسول

الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحدهم من أهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا
أبوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وأجارتها قالوا إن أرض مكة لا تملك لأنها لو ملكتم
يستوالها كف فيها والبادي فلما استو يثبت أن سبيلها سبيل المساجد وإلى ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد
بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الأول الأقرب إلى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة وأجارتها وهو
قول طاووس وعمر بن دينار وإلى ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من
ديارهم بغير حق أضاف الديار إلى ما لك بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق باباً فهو آمن
ومن دخل داراً فهي آمنة فنسب الديار إليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجدة
بأربعة آلاف درهم فدلّت هذه النصوص على جواز بيعها ﴿ وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أي في
المسجد الحرام (بالحد بظلم) أي يميل إلى الظلم قيل الحد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء
كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من
محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من
لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيآت بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى
يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن احتكار الطعام في الحرم الحد فيه أخرجه أبو داود
وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لوان رجلاً لهم بخطيئة
لم تكتب عليه ما لم يعملها ولوان رجلاً لهم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو بيلد آخر أذاه الله من عذاب
أليم قال السدي إلا أن يتوب وروى عن عبد الله بن عمرو أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في
الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الحد فيه أن يقول
الرجل كلا والله وبلى والله ﴿ قوله تعالى (واذبوأنا لإبراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا
وقيل بينا وإنما ذكر مكان البيت لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم
عليه السلام ببناء البيت لم يدرك أي جهة يبني فبعث الله تعالى رجاخجوا فكنست له ما حول البيت عن
الأساس وقيل بعث الله سبحانه بجبرائيل إلى إبراهيم عليه السلام فبشّرته بالبيت وقيل بعث الله تعالى
قديراً فبشّرته (أن لا تشرك بي شيئاً) أي عهدنا إلى إبراهيم وقلنا لا تشرك بي شيئاً (وطهر بيتي) أي
من الشرك والأوثان والأقدار (للطائفين) أي الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أي المقيمين فيه
(والركع السجود) أي المصلين ﴿ قوله عز وجل (وأذن) أي أعلم ونادوا الأذان في اللغة الإعلام (في الناس)
قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (بالحج) فقال إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك
الأذان وعلينا البلاغ فقام إبراهيم على المقام حتى صار كأطول الجبال وأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل
بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس الآن ربكم قد نبى يتأوكتب عليكم الحج إلى البيت
فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فأول
من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً وروى أن إبراهيم صعد أباقيس ونادى وزعم الحسن أن المأمور
بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (ياتوك رجالاً) أي مشاة على
أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أي ركبنا على الأبل المهزولة من كثرة السير وبدأ بكر المشاة

(٣٩ - (خازن) - ثالث) الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والأول أظهر وجواب الأمر (ياتوك رجالاً)

مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كأنه قال رجالاً وركبنا والضاير البعير المهزول قدم الرجال على
الركبان أظهار الفضيلة المشاة كما ورد في الحديث

(ياتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله ياتون صفة للرجال والركبان (من كل فج عميق) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فانتهم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكنت قلت والله هذه الطاعة الجيلة والمحبة الصادقة فقال زرع هويت وان شئت بك الدار هـ وحال من دونه عجب وأستار لا يمنعك بعد عن زيارته هـ ان المحب لمن يهواه زوار واللام في (ابشهادوا) ليحضر وامتعلق بأذن أو بياتوك (منافع لهم) نكرها لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليها مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الأهوال وخلق الاسباب وقطيعة الأسحاب وهجر البلاد والوطن وفرقة الاولاد والخلان والتنبية على ما يستمر عليه اذا اتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالخارج اذا دخل البادية لا يتسكل فيها لا على عتاده ولا يابا كل الامن زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحده (٣٠٦) الاماسي في معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يانس به من

تشرى فاهم (ياتين) أي جماعة الابل (من كل فج عميق) أي من كل طريق بعيد فن أتى مكة حاجا فكانه قد أتى ابراهيم لانه محبب نداهه قوله تعالى (ابشهادوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكر اسم الله في أيام معلومات) يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليهما من أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام (فكلوا منها) أمر اباحة ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم شيئا فامر الله بمخالفتهم وانفق العلماء على أن الهدى اذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن ياكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم على يدين من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ما غبر وأشركه في بدنة ثم أمر من كل بدنة بيضة فجعلت في قدر وطبخت فا كل من لحما وشرب من مرقها أخرجه مسلم قوله ما غبر أي ما بقي قوله بيضة أي بقطعة واختلف العلماء في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن ياكل منه شيئا قال الشافعي لا ياكل منه شيئا وكذلك ما أوجب على نفسه بالذبح وقال ابن عمر لا ياكل من جزاء الصيد والنذر ويا كل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك يا كل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الامن فدبة الاذى وجزاء الصيد والمذود وعند أصحاب الرأي انه يا كل من دم التمتع والقران ولا ياكل من واجب سواهما وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الذي لا شيء له وقوله تعالى (ثم ليقتضوا نفهم) أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحق وقص الشارب وتنفي الابط

أوراده وغسل من يحرم وناهيه وليس غير الخيط ونظيفه مرآة لماسياتي عليه من وضعه على سريره لنفسه وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا في كفن غير محيط سم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لطفان ووقوف الحجج بعرفات آمين وغبارها سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كوقوف العرصات لانكم نفس الابدان فتمس شتى وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومثي هو موقف المني للمذنبين الى شفاعته الشافعين وحلق الرأس

والتنظيف كالخروج من السيئات بالرجة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال نموذج لدار السلام التي هي من زلها بقى سالما من القضاء والزوال غير ان الجنة حفت بكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية فرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التلادى (ويذكر اسم الله) عند التلج (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤبد قولها والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فينبى بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والماعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الا كل من هدى التطوع والتمتع والقران لانه دم نساك فاشبه الاضحية ولا يجوز الا كل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقر) الذي أضعفه الاعصار (ثم ليقتضوا نفهم) ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نطفويه قيل قضاء التفت قص الشارب والافطار وتنفي الابط والاستعداد والتفت الوسخ والمراد قضاء ازالة التفت وقال ابن ٤ رواه ابن عباس رضي الله عنهما قضاء التفت مناسك الحج كلها

(وليوفوا نذرهم) مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفي نذره وان لم ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل الثلاث ساكنة عند غير ابن عباس وأبي عمر (باليث العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس بناء آدم ثم جده إبراهيم والكريم ومنه عتاق الخليل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية إلى كرم الحرية أولانه أعتق من الفرق لأنه رفع زمن الطوفان أو من أيدي الجبابرة كم من جبار سار إليه لهدمه فنهه الله أو من أيدي الملاك فلم

(٣٠٧)

كأن العرش مطاف أهل السماء فإن الطالب إذا حاجته معية الطرب وجذبه جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الأرض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فإذا عاب البيت لم يزد التسلية إلا اشتياقا ولم يفده القسوة باستلام الحجر الاحترقا فيرده الأسفل طفاً ويرده اللهف حوله في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كما ان عقد الاسلام لا ينحل بازدياد الآثام وترتفع ألف حوبة بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهاال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن

وقلم الاظفار والاستعداد لبس الثياب والحاج أشعث أغبر إذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذرهم) أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج أي ليقوها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره أو لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمي ثلاثاً من الحجر الاسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أو بعاد هذا الطواف سنة لا شيء على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضع طواف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف الطواف الأول خب ثلاثاً ومشى أو بعاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أو بعاد ثم يصلي سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أراني الا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانقرى قوله عقرى حلقى معناها عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناها مشومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شيء يجري عن السنة العرب كقولهم لأأم لك وترت بيمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر الثالث طواف الوداع لارخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعاً فمن تركه فعليه دم المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه لا حديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمي سنة تختص بطواف القدوم ولا رمي في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقاً لان الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الفرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابسها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكها وقيل الحرمات ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرماتها (فهو خير له عند ربّه) أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي ان تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر

دفع الاتكال على مراتب الاعمال وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أي الامر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمات ما لا يحل انتهاكها جميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصاً بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربّه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها

(الاماتلى عليكم) آية تحريره وذلك قوله حرمت عليكم الميتة والآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الا ما بين في كتابه فافظوا على حدوده ولا تحرر مواشياً عاماً أحل كتحريم البعض البعيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم كاحلاظهم كل الموقوذة والميتة وغيرهما ولاحت على تعظيم حرمانه أتبعه الامر باجتنب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) لان ذلك من أعظم الحرمات وأسبغها حظراً ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وسمى الاوثان رجساً على طريقة (٣٠٨) التشبيهة بمعنى انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع

والفهم (الاماتلى عليكم) أى تحريره وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أى اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجساً لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) أى الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال أيها الناس عدت شهادة الزور الاشرار بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا تعرف لا أيمن سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو نوداد عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تليينهم ليلك لاشرى لك لاشرى لك عولك تملكه وما ملك قوله تعالى (حفاء لله) أى مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على ان المكلف ينوي بما ياتيه من العبادة الا خلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حفاءً فزلت حفاء لله غير مشركين به أى نخجوا الله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفاً (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أى سقط (من السماء) الى الارض (فتخططه الطير) أى تسلبه وتذهب به (أوتهى به الريح) أى تميل وتذهب به (في مكان سحيق) أى بعيد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الطير من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لجه أو بسقوطه في المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاً كأيس وراءه اهلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزائه في حواصلها وأعصفت به الريح حتى هوت به في بعض الممالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلال بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهادى المتلفة قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعراً الله فانها من تقوى القلوب) أى تعظيم شعراً الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعراً الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها الهادى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعراً الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أى في البدن (منافع) قيل هي درها ونسلها وصفها وورثها وركوب ظهرها (الى أجل مسمى) أى الى أن يسميها ويرجها هدايا فاذ فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بان تركوها وتشرى بها من ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعنى الى أن تنصرفها وهو قول عطاء واختلاف العلماء في ركوب الهدى فقال مالك والشافعي وأحمد واسحق يجوز ركوبها والجل عليها

بين الشرك وقول الزور أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الاشرار لان الشرك من باب الزور اذا لم يشرك زاعماً ان الوثن يحق له العبادة (حفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كحفاء (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الارض (فتخططه الطير) أى تسلبه بسرعة فتخطفه أى تسقطه مدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه والهووى السقوط (في مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيهاً مركباً ويجوز أن يكون مفرداً فان كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاً كما ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها وأعصفت به الريح حتى هوت به في بعض الممالك

البيد وان كان مفرداً فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذى هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهادى المتلفة (ذلك) أى الامر ذلك (ومن يعظم شعراً الله) تعظيم الشعار وهى الهدايا لانها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسناً غالية الايمان (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فهدفت هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مرا كرات تقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) الى أن تنصرف

(ثم محلها) أي وقت وجوب نحرها منبهة (إلى البيت العتيق) والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت إذا حرم حريم البيت ومثله في الاتساع قولك بلغت البلد وإنما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعظيمها تمامها ومحلها إلى البيت العتيق بإياه (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحزة أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي أراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي عند نحرها وذبحها (فألهكم الله واحد) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن الهكم الله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله (٣٠٩) شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع

لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة بأشراك (وبشر المحبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أي (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبة (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب (والمقيمي الصلاة) في أوقاتها (ومما رزقناهم - م ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الأبل والبقر وقرى برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله وأضافها إلى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثاني مفعولي

من غير ضرر بهما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال أركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال أركبها وملك في الثانية أو الثالثة أخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن ربي ولدها وقال أصحاب الرأي لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعار المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أي بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى أي إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أي بالاجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي من نحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرته ههنا ومنى كلها منحر فأنحروا في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها أي محل الناس من أحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة ﴿قوله تعالى﴾ (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أي مذبحا وهو موضع قربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو أراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي عند ذبحها ونحرها ما بها بهيمة لأنها لا تنسكهم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جازاً كله ﴿قوله عز وجل﴾ (فألهكم الله واحد) أي سموا على الذبح اسم الله وحده فإن الهكم الله واحد (فله أساموا) أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر المحبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) أي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه (والمقيمي الصلاة) أي في أوقاتها بحافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون ﴿قوله تعالى﴾ (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الأبل الصحاح الأجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من أعلام دينه قيل لأنها تشعروها وإن يطعن بحديث في سننها فيعلم بذلك أنها هدى (لكم فيها خير) أي نفع في الدنيا وثواب في العقبى (فأذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها ويدها اليمنى والأخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبيرة قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال أبعثا قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فإذا وجبت جنوبها) أي سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الأرض (فكلوا منها) أمر بإباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يحجي إلى القوم فيتعرض لهم لاجل

جعلنا (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والاجر في العقبى (فأذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) حال من الهاء أي قائمات قد صفن أيديهن وأرجلهن (فإذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط أي إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها (فكلوا منها) إن شئتم (وأطعموا القانع) السائل من قنعت إذا خضعت له وسأله فنوعا (والمعتر) الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضى بما عنده وما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال

(كذلك سخرناها لكم) أى كما أمرناكم بنحرها سخرناها لكم أو هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أى ذللناها لكم مع قوتها وعظم اجراءها لتفكروا من نحرها (لعلمكم تشكرون) لئلا تشكروا النعم الله عليكم (ان ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أولن يصيب رضا الله للحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقبة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم إلا بعراة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحرروا الأبل نضحوا الدماء حول البيت واطبخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت (كذلك سخرها لكم) أى البدن (لتكبروا الله) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (على ما هداناكم) على ما أرشدكم اليه (وبشر المحسنين) المتمثلين بأوامره بالشواب (ان الله يدافع) مكي وبصرى وغيرهما يدافع أى يبالغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه ان النصر رسلنا (٣٩٥) والذين آمنوا ثم عل ذلك بقوله (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانة الله (كفور) لنعمة الله

لهم (كذلك) أى مثل ما وصفنا من نحرها قايما (سخرناها لكم) أى لتتمكنوا من نحرها (لعلمكم تشكرون) أى انعم الله عليكم (ان ينال الله لحومها ولادماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحرروا البدن اطبخوا الكعبة بدماؤها يزعمون ان ذلك قربا الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولادماؤها أى لن ترفع الى الله لحومها ولادماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) أى ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) يعنى البدن (لتكبروا الله على ما هداناكم) وأرشدكم لعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم (ان الله لا يحب كل خوان كفور) أى خوان فى أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فعملوا معه شريكا وكفروا بنعمته وقيل من تقرب الى الاصنام بذيبحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أى أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاقى لم أوامر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية فى قوم باعياهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلموا أى بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإبذاء (وان الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) يعنى انهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى بالجهاد واقامة الحدود (لهدمت صوامع) هى معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء (وبيع) هى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع للصائين والبيع للنصارى (وصلوات) هى كنائس اليهود وسمونها بالعبرانية صلوات (ومساجد) يعنى مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعنى فى المساجد

أى لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويعطونها (اذن) مدنى وبصرى وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدنى وشامى وحفص وللبنى أذن لهم فى القتال خفف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومن بين مشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاقى لم أوامر بالقتال حتى هاجر فانزلت

هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم) على نصر المؤمنين ومعنى (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا (الذين) فى محل جر بدل من الذين أو نصب باعنى أو رفع باضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب الاخراج ومثله هل تقسمون منا إلا ان آمننا بالله ومحل ان يقولوا جرد لا من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم (ولولا دفع الله) دفاع مدنى ويعقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أى لولا اظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا النصارى يبيعوا ولا الرهبانهم صوامع ولا لليهود وصلوات أى كنائس وسميت الكنيسة صلاة لانها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجدا ولعل المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى زمنهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا ولقر بها من التهديم (يذكر فيها اسم الله كثيرا)

في المساجد وفي جميع ما تقدم (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه وأوليائه (ان الله لقوى) على نصر أوليائه (عزيز) على انتقام أعدائه (الذين) محله نصب بدل من من ينصره وأجر تابع للذين أخرجوا (ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذا لامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) هذه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة اياه أي لست بأوحد في (٣١١) التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك

(قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وثمود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه أو كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وظهور مجزاته فما ظنك بغيره (فامليت للكافرين) أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم (فكيف كان نكير) أي انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه ﴿قوله عز وجل﴾ (فكأن من قرية أهلكناها) (على السقف) (وهي ظلمة) أي أهلها ظالمون (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي على سقوفها (وثرمة معلقة) أي وكم من ثمر معلقة أي متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل عال وقيل محصن وقيل ان البئر المعلقة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قمة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقى البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضر موت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أنوا الى حضر موت ومعهم صالح فلما حضر ومات صالح فسمى المكان حضر موت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمر واعليهم رجلا منهم فاقاموا دهرًا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فأرسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم ﴿قوله تعالى﴾ (أفلم يسروا في الارض) يعني كفار مكة فينظروا الى

ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه ونبيه (ان الله لقوى) أي على نصر من ينصر دينه (عزيز) أي لا يضام ولا يمنع مما يريد ﴿قوله عز وجل﴾ (الذين ان مكناهم في الارض) أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الامور) أي آخر أمور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع ﴿قوله تعالى﴾ (وان يكذبوك) فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبت قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذب قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم مجزاته فما ظنك بغيره (فامليت للكافرين) أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم (فكيف كان نكير) أي انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه ﴿قوله عز وجل﴾ (فكأن من قرية أهلكناها) (على السقف) (وهي ظلمة) أي أهلها ظالمون (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي على سقوفها (وثرمة معلقة) أي وكم من ثمر معلقة أي متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل عال وقيل محصن وقيل ان البئر المعلقة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قمة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقى البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضر موت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أنوا الى حضر موت ومعهم صالح فلما حضر ومات صالح فسمى المكان حضر موت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمر واعليهم رجلا منهم فاقاموا دهرًا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فأرسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم ﴿قوله تعالى﴾ (أفلم يسروا في الارض) يعني كفار مكة فينظروا الى

أي وأهلها مشركون (فهي خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقط (على عروشها) يتعلق بخاوية والماضي انها ساقطة على سقوفها أي خربت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهي خاوية من الاعراب لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كائن منصوب المحل على تقدير كثير من القرى أهلكناها (وثرمة معلقة) أي متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها وهي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء لأنها عطلت أي ركت لا يستقي منها هلاك أهلها (وقصر مشيد) محصن من السيد الجص أو من فروع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقائها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أو أهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها ولا تظهر ان البئر والقصر على العموم (أفلم يسروا في الارض) هذا حدث على السفر ليرى مصارع من أهلكهم الله بكفروا وشاهدوا آثارهم فيعتبروا

(فتكون لهم قلوب يعقلون بها وأذان يسمعون بها) أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه و يسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فإنها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور) الضمير في فإنها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الابصار أي فاعلمت ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل إنسان أربع أعين عيان في رأسه وعينان في قلبه فإذا أبصر ما في القلب وعي ما في الرأس لم يضره وإن أبصر ما في الرأس وعي ما في القلب لم يضره وذلك كصدور لبيان أن محل العلم القلب ولا يقال إن القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب أب كل شئ (ويستجولونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كأنه قال ولم يستجولونك به كأنهم يجوزون القوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) تعدون مكى وكوفى غير عاصم أي كيف يستجولون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنينكم لأن أيام السدائد طوال (وكأين من قرية) (٣١٢) أمليت لها وهي ظالمة) أي وكمن أهل قرية كانوا منك ظالمين قد أنظرهم

مصارع المكذبين من الأمم الحالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أي يعلمون بها (أو أذان يسمعون بها) أي ما يذ كر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فإنها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور) المعنى أن عي القلب هو الضار في أمر الدين لا عي البصر لأن البصر الظاهر بلفظ ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع (ويستجولونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث (ولن يخلف الله وعده) أي أنه أنجز ذلك يوم بدر (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعني يوما من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض وقيل يوما من أيام الآخرة بدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستجولونك بالعذاب وإن يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة وقيل إن يوما من أيام العذاب في النقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستجولونه وقيل معناه إن يوما عند وألف سنة في الأمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شئ بالتأخير فيستوى في قدرته وقوع ما يستجولونه من العذاب وتأخيره وهذا معني قول ابن عباس (وكأين من قرية أمليت لها) أي أمهلتها (وهي ظالمة) أي مع استقرار أهلها على الظلم (ثم أخذتها) أي أنزلت بهم العذاب (والى المصير) يعني مصيرهم إلى الآخرة ففيه وعيد وتهديد بقوله عز وجل (قل يا أيها الناس إنما أنا نذير مبين) أمر الله رسوله أن يديم لهم التحذير والإنذار وأن يقول لهم إنما بعثت لكم منذرا (فالدن آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول إنما أنا نذير مبين أردف ذلك بأن أمره بوعده من آمن ووعيد من عصى فقال فالدن آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستراصغائر ذنوبهم وقيل للكبراء أيضا مع التوبة ورزق كريم أي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي عملوا في إبطال آياتنا (معجزين) أي متبطين الناس عن الإيمان وقرئ معاجزين أي معاندين مشاقين وقيل معناه ظالمين ومقدرين أنهم يحجزوننا ويفوتوننا فلا تقدر عليهم بزعمهم أن لا يفت ولا نشور ولاجنة ولا نار (أولئك أصحاب الجحيم) قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا مبين) وبشر فبشر أو لا فقال (فالدن آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) إذا

حينئذ (ثم أخذتها) بالعذاب (والى المصير) أي المرجع إلى فلا يفوتني شئ وإنما كانت الأولى أي فكأين معطوفة بالفاء وهذه أي وكأين بل وأولان الأولى وقعت بدلا عن فكيف كان تكبر وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجنتين المعطوفتين بالواو ومما ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك (قل) يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) وإنما لم يقل بشروا نذير لذكر الفرقين بعده لأن الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أقلم يسروا ووصفوا بالاستعجال وإنما أقحم المؤمنين ونوابهم ليغاثوا أو تقديره نذير

مبين وبشر فبشر أو لا فقال (فالدن آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) إذا أي حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) سعى في أمر فلان إذا أفسد بسعيه (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث كان مكى وأبو عمرو عاجزه سابقه كأن كل واحد منهما في طلب العجاز الآخر عن المحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معانها بالقساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وسعرا أو أساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم (أولئك أصحاب الجحيم) أي النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك) من لا بد له العاية (من رسول) من زائدة لتأكيد النفي (ولا نبى) هذا دليل على ثبوت التباين بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض أنهم واحد ومثل النبي صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكيف الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهما أن الرسول من جمع إلى المعجزة أن كتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره (الا

اذا نعى) قرأ قال * تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل (ألقى الشيطان في أمنيه) تلاوته قالوا انه عليه السلام كان في نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومائة الثالثة الاخرى جرى (٣١٣) على لسانه تلك العرائق العلى وان

شفاعتهم لترجي ولم يعطن
له حتى أدركته العصمة
فتدبه عليه وقيل نبه
جبريل عليه السلام
فاخبرهم ان ذلك كان من
الشیطان وهذا القول غير
مريض لانه لا يخلو اما ان
يتكلم النبي عليه السلام بها
عمدا وانه لا يجوز لانه كفر
لانه بعث طاعنا للاصنام
لامادحا لها أو أجرى
الشیطان ذلك على لسان
النبي عليه السلام جبرابحيث
لا يقدر على الامتناع منه
وهو ممتنع لان الشيطان
لا يقدر على ذلك في حق
غيره لقوله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان في
حقه أولى أو جرى ذلك على
لسانه سهوا وغفلة وهو
مردود أيضا لانه لا يجوز
مثل هذه الغفلة عليه في
حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك
لبطل الاعتماد على قوله
ولانه تعالى قال في صفة المنزل
عليه لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وقال
انا نحن نزلنا الذکر وانا له
الحافظون فلما بطلت هذه
الوجوه لم يبق الا وجه واحد
وهو انه عليه السلام سكت
عند قوله ومناة الثالثة
الاخرى فتكلم الشيطان

١٥
 (أَتَمَنَى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ لِمَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 تَوَلَّى قَوْمَهُ عَنْهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا رَأَى مِنْ مَبَاعِدَتِهِمْ عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَمَنَّى فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنَ اللَّهِ
 مَا يَقَارِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ لِحَرْصِهِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ فَكَانَ يَوْمَافِي مَجْلِسِ اقْرَئِشَ فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةَ وَالنَّجْمِ
 فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمِنَاةَ الثَّالِثَةِ الْآخَرَى أَلْقَى الشَّيْطَانَ
 عَلَى لِسَانِهِ مَا كَانَ يَحْدُثُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَتَمَنَّاؤُا تِلْكَ الْغَرَائِيقَ الْعُلَى وَإِنْ شَفَاعَتُهُمْ لَتَرْجَبِي فَلَمَّا سَمِعْتَ اقْرَئِشَ ذَلِكَ
 فَرَخَّوَابَهُ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِرَاءَتِهِ فَقَرَأَ السُّورَةَ كُلَّهَا وَسَجَدَ فِي آخِرِهَا وَسَجَدَ الْمَسَامُونَ
 لِسُجُودِهِ وَسَجَدَ جَمِيعٌ مِنْ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا سَجَدَ غَيْرَ الْوَلِيدِ بْنِ
 الْمَغِيرَةِ وَأَبِي أُحْيَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَانْهَمَا أَخَذَا حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ وَرَفَعَاهَا إِلَى جِهَتَيْهِمَا وَسَجَدَا عَلَيْهَا
 لِأَنَّهُمَا كَانَا شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَلَمْ يَسْتَطِيعَا السُّجُودَ وَتَفَرَّقَتْ قُرَيْشٌ وَقَدَّسَهُمْ مَسْمَعُهُمَا مِنْ ذِكْرِ آلِهِمْ
 وَيَقُولُونَ قَدْ ذَكَرْنَا هَذَا بَابَ حَسَنِ الذِّكْرِ وَقَالُوا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَيَرْزُقُ وَلَكِنْ آهَلْتُنَا هَذِهِ
 تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ فَإِنْ جَعَلَ لَهَا مُحَمَّدٌ نَصِيبًا فَنَحْنُ مَعَهُ فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ
 يَا مُحَمَّدُ مَاذَا صَنَعْتَ لَقَدْ تَلَوْتَ عَلَى النَّاسِ مَا لَمْ آتِكَ بِهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى خَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَزَنًا
 شَدِيدًا وَخَافَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى خَوْفًا كَبِيرًا فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يُعْزِيهِ وَكَانَ بِهِ رَحِيمًا وَسَمِعَ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ
 بَارِضَ الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَلَغَهُمْ سُجُودُ قُرَيْشٍ وَقِيلَ قَدْ أُسْمِعْتَ قُرَيْشَ وَأَهْلَ مَكَّةَ
 فَرَجِعْ أَكْثَرَهُمْ إِلَى عَشَائِرِهِمْ وَقَالَ هُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا حَتَّى إِذَا دَنَوْنَا مِنْ مَكَّةَ بَلَغَهُمْ أَنَّ الَّذِي كَانُوا أَحَدُثُوا بِهِ مِنْ
 إِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ بَاطِلًا فَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِجَوَارِأَ وَمُسْتَخْفِيًا فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتْ قُرَيْشٌ نَدِمَ مُحَمَّدٌ
 عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ مَنَزَلَةِ آهَلْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَعَبَّرَ ذَلِكَ وَكَانَ الْحَرْفُ أَنَّ أَلْقَى الشَّيْطَانَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ وَقَعَ فِي فَمِ كُلِّ مُشْرِكٍ فَازْدَادُوا شَرًّا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَشَدَّةٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَقَرَأَهُ وَمَا رَسَلْنَا مِنْ
 قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا هُوَ الَّذِي يَأْتِيهِ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ عِيَانًا وَلَا نَبِيَّ هُوَ الَّذِي تَكُونُ نُبُوتهُ إِهْلَامًا
 أَوْ مَنَامًا فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٍّ وَإِسْكَالُ كُلِّ نَبِيٍّ رَسُولًا إِلَّا أَتَمَنَى أَيْ أَحَبَّ شَيْئًا وَاشْتَهَاهُ وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ عَمَّا يَوْمَرُ بِهِ
 أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ أَيْ فِي مَرَادِهِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا حَدَّثَ أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي حَدِيثِهِ وَوَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
 وَالْمَعْنَى مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا تَمَنَّى أَنْ يُؤْمِنَ قَوْمُهُ وَلَمْ يَتَمَنَّ ذَلِكَ نَبِيٌّ إِلَّا أَلْقَى الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ مَا يَرْضَى قَوْمُهُ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا
 يَلْقَى الشَّيْطَانَ وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ مَعْنَى تَمَنَّى قَرَأْتُ وَلَا كِتَابَ اللَّهِ أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ أَيْ فِي تِلَاوَتِهِ قَالَ
 حَسَنٌ فِي عُمَانَ حِينَ قَتَلَ

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها الاقى حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة أحدها توهمين أصل هذه القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب روايتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة

(٤٠ - (خازن) - ثالث) هذه الكلمات متصلة بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عندهم انه عليه السلام هو الذي تكلم بها فيكون هذا القاء قراءة في النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم أحد ألا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم

(فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أي (٣١٤) يذهب به ويبطله ويخبرانه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها ويحفظها من حقوق

وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها
خبري ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله
عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأئك الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذي جاء في الصحيح
من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان
شيخا من قريش أخذ كفاه من حصي أو تراب فرفعه الى جهته قال عبد الله فلقدر أيته بعد قتل كافر أخرجه
البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله
عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي
وهو ضعيف جدا فهذا توهمين هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو ان الحجة قد قامت بالدليل
الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تنبيه أن ينزل عليه
مدح اله غير الله أو ان ينسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى نبه جبريل
عن ذلك فهذا كله ممتنع في حق صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولونقول علينا بعض الاوقاويل لاخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ برتل القرآن ترتيلا ويفصل الآية تفصيلا كماصح عنه في قراءته فيحتمل ان
الشيطان ترصد لتلك السكتات فدرس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبي صلى الله عليه وسلم
فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجد وامعه لسجوده فاما المسلمون
فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيها وانهم كانوا يحفظون
السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث
النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد
انه اذا قوى التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة
فيكون معنى قوله الا اذا تمنى أي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية أو آيات
أو كلمة او نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كماصح في الحديث لقد
أذكرني كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء
والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حاطم في ذلك كحال سائر
انبياء الله تعالى أعلم قوله عز وجل (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أي يبطله ويذهب به (ثم يحكم الله آياته)
أي يثبتها (والله عليم حكيم) قوله عز وجل (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) أي محنة وبلية والله تعالى يمتحن
عباده بما يشاء (للذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أي الجافية قلوبهم عن قبول
الحق وهم المشركون (وان الظالمين اني شقاق بعيد) أي في خلاف شديد (وليعلم الذين آمنوا والعلم) أي
التوحيد والقرآن والتصديق ينسخ الله ما يشاء (انه الحق من ربك) أي الذي احكم الله من آيات القرآن هو
الحق من ربك (فيؤمنوا به) أي يعتدوا به والله عز وجل (فتخبت له قلوبهم) أي تسكن اليه (وان الله
لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) أي الى طريق قويم وهو الاسلام قوله عز وجل (ولا يزال الذين
كفروا في صرية منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة
بغتة) أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة
وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم لكفار خير كل رج العقيم لان في بخبر وقيل لانه لا مثل له

الزيادة من الشيطان) والله
عليم) بما أوحى الى نبيه
و بقصد الشيطان (حكيم)
لا يدعه حتى يكشفه ويزيله
ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله
تعالى به قوما بقوله (ليجعل
ما يلقى الشيطان فتنة) محنة
وابتلاء (للذين في قلوبهم
مرض) شك ونفاق
(والقاسية قلوبهم) هم
المشركون المكذبون
فيردادوا به بشكا وظلمة
(وان الظالمين) أي
النافقين والمشركين وأصله
وانهم فوضع الظاهر موضع
الضمير قضاء عليهم بالظلم (ان
شقاق) خلاف (بعيد)
عن الحق (وليعلم الذين
أوتوا العلم) بالله ودينه
و بالآيات (انه) أي القرآن
(الحق من ربك فيؤمنوا
به) بالقرآن (فتخبت)
فتطمئن (له قلوبهم وان
الله لهادي الذين آمنوا الى
صراط مستقيم) فيتأولون
ما يشابه في الدين بالتأويلات
الصحيحة ويطلبون لما
أشكك منه المحمل الذي
تقتضيه الاصول المحكمة
حتى لا تلحقهم حيرة
ولا تعثرهم شبهة (ولا يزال
الذين كفروا في صرية)
شك (منه) من القرآن أو
من الصراط المستقيم
(حتى تأتيهم الساعة بغتة)

فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كل رج
العقيم لان في بخبر أو شديد لا راحة فيه أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدما

(الملك يومئذ) أى يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أى يوم تؤمنون أو يوم تزول صريتهم لله فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أى يقضى ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال (والذين هاجروا فى سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا) فى الجهاد قتلوا شامى (أو ماتوا) حتف أنفهم (ليرزقهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذى لا ينقطع أبدا (وان الله لهو خير الرازقين) لانه المخترع للخلق بلامثال المتكفل للرزق بلاملال (ليدخلهم مدخلا) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (يرضونه) لان فيها ما تشتهى الانفس وتلد الاعين (وان الله لعليم) باحوال من قضى نجه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر معاها (حليم) بامهال من قائلهم معاندا روى ان طواقم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فإنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين (ذلك) أى الامر ذلك وما بعده مستأنف (ومن عاقب بمنزل (٣١٥) ما عوقب به) سعى الابتداء بالجزء

في عظم أمره لقتال الملاذكة فيه (الملك يومئذ) يعني يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم) أي يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالدّين آمنوا و عملوا الصالحات في جنّات النعيم والذين كفروا و كذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) ﴿قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذذ الاعين (وان الله هو خير الرازقين) فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله هو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجندي أي أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعنى الجنة يكرمون به ولا يناههم فيه مكروء (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالعفو عنهم ﴿قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعنى قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بنى عليه) أي ظلم باخراجه من منزله يعنى ما أناء المشر ككون من البنى على المسلمين حتى أحوجهم الى مفارقة أوطانهم نزات في قوم من المشركين أتوا قوم من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيتهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله ان الله لعفو) أي عن مساوى المؤمنين (غفور) يعنى لذنوبهم (ذلك) أي ذلك النصر (بان الله) القادر على ما يشاء فن قدرته انه (يوجّل الليل في النهار ويوجّل النهار في الليل) في معنى هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطولع الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى (وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق) أي ذوالحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان ما يدعون) يعنى المشركين (من دونه هو الباطل) يعنى الاصنام التي ليس عند هاضر ولا نفع (وان الله هو العلى) أي العالى على كل شئ (الكبير) أي العظيم في قدرته وسلطانه ﴿قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح

الارض مخضرة) بالنسبة بعد ما كانت مسودة يابسة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم على فلان فاروح واغدوشا كراهه ولو قلت فرحت وغدت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا للاستفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا الان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نبي الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم ترأني أنعمت عليك فتذكر ان نصبت تقيت شكره وشكوت من تفر يطه فيه وان رفعته أثبت شكره (ان الله لطيف) واصل عمله وأفضله الى كل شيء (خير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكاً (وان الله هو الغني) المستغنى بكامل قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الارض (الحمد) الحمد وبنعمته قبل ثناء من في السموات ومن في الارض (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض) من البهائم مثلاً للركوب في البر (والفلك تجري في البحر بأمره) أي ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفاً على ما وتجرى حال طأ أي وسخر لكم الفلك في حال جريها (وبمسك السماء أن تقع على الارض) أي بحفظها من أن تقع (الاباذنه) بأمره أو بمشيئته (ان الله بالناس لرؤوف) بتسخير ما في الارض (رحيم) بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد آياته مقرونة باسمائه يشكروه (٣١٦) على آلائه ويذكروه باسمائه وعن أبي حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الآيات الثمانية يستجاب

لقرارها البتة (وهو الذي أحياكم) في أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لا يصل جزائكم (ان الانسان لكفور) لجود لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم أو لا يعرف نعمة الانشاء المبدي للوجود ولا الافناء المقدر الى الموءود ولا الاحياء الموصل الى المقصود (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكا) مريانه وهورد لقول من يقول ان الذبح ليس بشر يذبحه الله اذ هو شريعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعك) فلا يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعك في الامر) أي في أمر الذبايح نزلت في بديل بن ورقاء و بشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولانا كلون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت في قوله تعالى (وادع الى ربك) أي الى الإيمان به والى دينه (انك لعلى هدى مستقيم) أي على دين واضح قويم (وان جادلوك) أي خاصموك في أمر الذبح وغيره (فقل الله أعلم بما تعملون) أي من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) أي فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنة ونواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن ردوا في قوله عز وجل (ألم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب) أي في اللوح المحفوظ (ان ذلك) أي علمه بجميعه (على الله يسير) أي هين

الى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك (في الامر) أمر الذبايح والدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين مالكم تأكلون وقيل ماقتلتم ولانا كلون ما قتله الله يعني الميتة (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك لعلى هدى مستقيم) طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل أمة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر النساءك فغطت على أخواتها وهذه وقعت مع أبا عبد عن معاذ فلم نجد معظما (وان جادلوك) مرأ وتعتنا كما يفعله السفهاء بعد اجتهدك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل الله أعلم بما تعملون) أي فلا يجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن يرفق ولين ونأديب يحاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفضل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض) أي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض (ان ذلك) الموجود فيهما (في كتاب) في اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أي علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم اشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله

ويعبدون من دون الله مالم ينزل به) ينزل مكي وبصري (سلطانا) حجة وبرهانا (وما ليس لهم به علم) أي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حجة عليهم عليها دليل عقلي (وما للظالمين من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الإنكار بالعبروس والكراهة والمنكر مصدر (يكادون يسطون) يبطشون والسطو الوثب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم (ومما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم) النار (خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار أي هو النار) (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن الله تعالى شر يكاريه في الغرابة والشهرة مجرى الأمثال المسيرة قال الله تعالى (يأيها الناس) (٣١٧) (ضرب) بين (مثل فاستمعوا له)

لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل ويعقوب (من دون الله) آلهة باطلة (لن يخلقوا ذبابا) لن لتأ كيد نفى المستقبل وتأ كيده هذا للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال أن يخلقوا وتخصيص الذباب لمهاتته وضعفه واستقذاره وسمى ذبابا لأنه ككاذب لاستقذاره أب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) الخلق الذباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقهم وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي

وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) أي حجة ظاهرة من دليل سمعي (وما ليس لهم به علم) أي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لاعن علم ولا دليل عقلي (وما للظالمين) أي المشركين (من نصير) أي مانع يمنعهم من العذاب (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) أي الإنكار والكراهة يتبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) أي يقعون ويسطون اليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ (قل) أي قل لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أي بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون (النار) أي هي النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) قوله تعالى (يأيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً قلت لما كان المثل في الأكثر نكتة عجيبية غريبة جاز أن يسمى كل كلام كان كذلك مثلاً وقال في الكشف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقة بالاستحسان والاستغراب مثلاً تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) أي تدبروه حتى تدبروه فان الاستماع بالتدبر وتعليل لا ينفع والمعنى جعل لي شبه وشبه في الاوثان أي جعل المشركون الاصنام شركائهم يعبدونها بين حالها وصفها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام (لن يخلقوا ذبابا) أي واحد في صغره وضعفه وقتله لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أي لخلقته والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له (وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمتهم وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يتنعم من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز) أي غالب لا يقهر ﴿قوله عز وجل﴾ (الله يصطفى من الملائكة) أي يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل

الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك (وان يسلبهم الذباب شيئا) شيئا ثانياً مفعولي يسلبهم (لا يستنقذوه منه) أي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدر واعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أي الصنم يطلب ما سلب منه (المطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فان الذباب حيوان وهو جاد وهو غالب وذاك مغلوب (ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكاً له (ان الله لقوى عزيز) أي ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به أو لقوى بنصر أوليائه عزير ينتقم من أعدائه (الله يصطفى) يختار (من الملائكة رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم

(ومن الناس) رسلا كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن
 رسل الله على ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أنزل عليه الذكرك من بيننا (إن الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته أو
 سميع لأقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير بأحوال الأمم في الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) ماضى (وما خلفهم) مالم يأت أو ما عملوا وما
 سيعملوه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة (والى الله ترجع الأمور) أى إليه مرجع الأمور كلها والذي هو بهذه الصفات (٣١٨)

لا يستل عما يفعل وليس
 لاحدا أن يعترض عليه في
 حكمه وتدابيره واختيار
 رسله ترجع شأى وحزرة
 وعلى (يا أيها الذين آمنوا
 اركعوا واسجدوا) في
 صلاتكم وكان أول ما أسلموا
 يصلون بآركوع وسجود
 فأمر وأن تكون صلاتهم
 بركوع وسجود وفيه
 دليل على أن الأعمال
 ليست من الإيمان وإن
 هذه السجدة للصلاة لا
 للتلاوة (واعبدوا ربكم)
 واقصدوا بركوعكم
 وسجودكم وجه الله لا الصنم
 (وافعلوا الخير) قيل لما
 كان للذكرك من ربه على غيره
 من الطاعات دعا المؤمنين
 أولا إلى الصلاة التي هي
 ذكر خالص لقوله تعالى
 وأقم الصلاة لذكري ثم إلى
 العبادة بغير الصلاة كالصوم
 والحج وغيرهما ثم عم
 بالحث على سائر الخيرات
 وقيل أريد به صلة الأرحام
 ومكارم الأخلاق (لعلكم
 تفلحون) أى كي تفوزوا
 وافعلوا هذا كله وأنتم
 راجون للإصلاح غير

وإسرائيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) أى ويختار الله من الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى
 ومحمد وغيرهم من الأنبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أنزل عليه الذكرك من
 بيننا فاختار الله تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (إن الله سميع) أى لا قوا لهم
 (بصير) أى لا قوا لهم لا تخفى عليه خافية ﴿قوله تعالى﴾ (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا
 (وما خلفهم) أى ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن
 يخلقهم و علم ما هو كائن بعد فناءهم (والى الله ترجع الأمور) أى في الآخرة ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا
 اركعوا واسجدوا) أى صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أى وحدوه
 وقيل أخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وقيل فعل الخير
 ينقسم إلى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله تعالى وإلى الإحسان الذي هو عبارة عن
 الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلكم
 تفلحون) أى لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة

﴿فصل في حكم سجود التلاوة هنا﴾ لم يختلف العلماء في السجدة الأولى من هذه السورة واختلفوا في
 السجدة الثانية فروى عن عمرو بن عثمان بن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى أنهم قالوا
 في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد واسحق بن حنبل وعليه ما روى عن عقبة بن عامر قال قلت
 يا رسول الله أى الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجد عما فلا يقرأهما أخرجه الترمذي وأبو داود وعن عمر بن
 الخطاب أنه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال إن هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك في
 الموطأ وذهب قوم إلى أن في الحج سجدتان واحدة وهي الأولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد
 ابن المسيب وسعيد بن جبيرة وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بدليل أنه قرن السجود بالركوع فدل ذلك
 أنها سجدتان صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدة سجود التلاوة فذهب الشافعي وأحمد وأبو حنبل
 العلم إلى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة في
 الحج سجدتان وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد في إحدى الروايتين عنه فعنده أن السجدات خمس عشرة
 سجدة وذهب قوم إلى أن المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى
 هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة بدل عليه ما روى عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال في القرآن إحدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال أسنده واه ودليل من قال في القرآن خمس عشرة
 سجدة ما روى عن عمرو بن العاص قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة
 منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال
 سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرأ وإذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقاري
 والمسقع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب ﴿قوله عز وجل﴾ (وجاهدوا في الله حق جهاده) أى
 جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استغراق الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال

مستيقنين ولا تتكلموا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغزاة ومجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر وهو كماله
 حق عند أمير جائر (في الله) أى في ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو أن لا يخاف في الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا
 وجداً ومنه حق جهاده مو كان القياس حق الجهاد فيه أوحق جهادكم فيه لكن الإضافة تكون بادنى ملازمة واختصاص فلما كان الجهاد
 مختصاً بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله • ويوم شهدناه سلباً وعامراً •

(هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتميم وبالإيماء وبالقصير والافطار لعذر السفر والمرض وعدم (٣١٩) الزاد والراحلة (ملة أبيكم إبراهيم)

أي اتبعوا ملة أبيكم أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم وسماه أبوان لم يكن أباً للامة كلها لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أباً لأمته لان أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام إنما أنا لكم مثل الوالد (هو سماكم المسلمين) أي الله بدليل قراءة أبي الله سماكم (من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي في القرآن أي فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الا كرم (ليكون الرسول شهيداً عليكم) أنه قد بلغكم رسالة بكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وانما خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فاقيموا الصلاة) بواجباتها (وآتوا الزكاة) بشرائطها (واعتصموا بالله) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أي مالكم وباصركم ومتولى أموركم (فتم المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أي الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد

لاتخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا الله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الا كبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الا صغراً الى الجهاد الا كبراً كره البغوى بغير سند قيل أراد بالا صغراً جهاد الكفار وبالا كبر جهاد النفس (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمة وعبادته وطاعته فاي رتبة أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وهو ان المؤمن لا يتلى بشئ من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجاً بعضها بالتوبة وبعضها بالمظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلاً الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصص الصلاة والفطر في السفر والتميم عند عدم الماء أو كل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعداً والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده قيل أعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما أحد غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة أبيكم إبراهيم) لانها داخلية في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن إبراهيم أباً للامة كلها فكيف سماه أباً في قوله ملة أبيكم إبراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وأزواجه امهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم كالوالد في قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولاً واحداً ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثاني ان الكناية راجعة الى إبراهيم يعني ان إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءنا فينا (وفي هذا) أي وفي القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيداً عليكم) يعني يوم القيامة ان قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) يعني تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) أي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم أن يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم (فتم المولى ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة المؤمنين وهي مكية﴾

وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمان مائة وأربعون كلمة وأربع مائة حرف وحرفان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه

أفلم من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب ﴿سورة المؤمنين مكية وهي مائة وثمان عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلم المؤمنون) قد تقيضت لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الاخبار بنبات الفلاح لم يخطبوا بما يدل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المهروب أي فازوا بما طلبوه ونجوا مما هربوا من الإيمان في اللغة

التصديق والمؤمن المصدق لغة وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين موافقا لقلبه لانه فهو مؤمن قال عليه السلام خلق الله الجنة فقال لها
تسكمني فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا أنا حرام على كل بخيل مرء لانه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية (الذين هم في
صلواتهم خاشعون) خاشعون بالقلب ما كنون بالجوارح وقيل الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وأن لا يجاوز
بصره مصلاه وان لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن أبي الدرداء هو اخلاص القلب واعظام
المقام واليقين التام وجمع الاهتمام (٣٢٥) وأضيفت الصلاة الى المصلين لالي المصلي له لا تتفاد المصلي بها وحده وهي عدته

دوى كدوى التحل فانزل الله عليه يوما فكث ساعة ثم سري عنه فقرا قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات من
أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي قوله
عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح
البقاء والنجاة (الذين هم في صلواتهم خاشعون) قال ابن عباس يحبون أذلاء خاضعون وقيل خاشعون وقيل
متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرغبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون
 وترك الالتفات وغض البصر وقيل لابد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الاول فالخاشع في
صلاته لابد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخشوع
والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون
ما كنا مظرقا ناظر الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق)
عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه
الشیطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله
مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود
والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتمن عن
ذلك أولن خطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى
السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع
هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلبسته في
الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسه الحصى فان الرجعة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي
وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة
والذكر قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي
وقيل هو كل باطل وهو وما لا يحمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب (والذين هم
للمزكوة فاعلون) أي الزكاة الواجبة مؤدون فقبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا هي
العمل الصالح والاول أولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوء الرجل والمرأة وحفظه التعفف
عن الحرام (الاعلى أزواجهم) على بمعنى من (أو ما ملكت أيمانهم) يعني الاماء والجواري والآية

وذخيرته وأما المصلي له فعنى
عنهم (والذين هم عن اللغو
معرضون) اللغو كل كلام
ساقط حقه أن يلغى
كالكذب والشتم والهزل
يمنى أن لهم من الجسد
ما شغلهم عن الهزل ولما
وصفهم بالخشوع في
الصلاة أتبعه الوصف
بالاعراض عن اللغو ليجمع
لهم الفعل والترك الشافين
على الانفس الذين هما
قاعدا بناء التكليف
(والذين هم للمزكوة
فاعلون) مؤدون ولفظ
فاعلون يدل على المداومة
بخلاف مؤدون وقيل
الزكاة اسم مشترك يطلق
على العين وهو القدر الذي
يخرج الزكاة من النصاب
الى الفقير وعلى المعنى وهو
فعل المزكي الذي هو
الزكاة وهو المراد هنا
فجعل المزكين فاعلين له
لان لفظ الفعل يعم جميع
الأفعال كالضرب والقتل
ونحوهما تقول للضارب

والقاتل والمزكي فعل الضرب والقتل والزكاة ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل
اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب زيد ولان الضرب لزيد (والذين هم لفروجهم حافظون)
الفرج يشمل سوء الرجل والمرأة (الاعلى أزواجهم) في موضع الحال أي الاولين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كلن زيد على
البصرة أي واليا عليهما والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسرب بهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير
ما لمين كانه قيل يلامون الاعلى أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة الاعلى ما أطلق لهم فانهم غير ما لمين عليه وقال الفراء الامن أزواجهم
أي زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي امائهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا ساء كناية العائنه

لما قدر ما يصنع (خلقنا المصغرة عظاما) فصيرناها عظاما (فكسونا العظام لحما) فانبثنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظام العظم شامى وأبو بكر عظاما العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن أبى زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذا الانسان ذو عظام كثيرة (ثم انشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى الله كور (خلقنا آخر) أى خلقنا مابيننا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جادا وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بهذه الصفات ولهذا قلنا اذا غضب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى (٣٢٢) أمره في قدرته وعلمه (أحسن) بدل او خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه

نكرة وان أضيف لان المضاف اليه عوض من من (الخالقين) المقدرين أى أحسن المقدرين تقديره افتك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فنطلق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الى فارندو لخلق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما (ثم انكم بعد ذلك) بعد ما ذكرنا من أمركم (لميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) تخيرون للجزاء (ولقد خلقنا

لحم صغير (خلقنا المصغرة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم انشأناه خلقا آخر) أى مابيننا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جادا وناطقا بعدما كان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعته وغرائب فطرته وعن ابن عباس قال ان ذلك تصرف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشى الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها (فتبارك الله) أى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) أى المصورين والمقدرين ^{فإن} قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر ولانت تفرى ما خلقت وبمـشـض القوم يخلق ثم لا يفرى

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) أى بعدما ذكر من تمام الخلق (لميتون) أى عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أى للحساب والجزاء وقوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة فى الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) أى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أى عن أعمالهم وأقوالهم وضمايرهم لانحنى علينا خافية (وأنا انزلنا من السماء ماء بقدر) أى يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل يقدر ما يكفيهم لمعايشهم فى الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة (فأسكناه فى الارض) يعنى ما يبقى فى الغدران والمستنقعات مما يتفجع به الناس فى الصيف عند انقطاع المطر قيل أسكناه فى الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء فى الارض من السماء (وأنا على ذهابه لقادرون) وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والقرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والقرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها الجبال وأجرها فى الارض وجعل فيها ما نفع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم

فوقكم سبع طرائق) جمع طريقه وهى السموات لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم (وما كنا عن الخلق غافلين) أراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها وأراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعميا صلحهم (وأنا انزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) بتقدير يساهون معه من المصرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم (فأسكناه فى الارض) كقوله فأسكناه فى الارض فناء الارض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وأنا على ذهابه لقادرون) أى كما قدرنا على انزاله تقدر على اذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر

(فأنشأنا لكم) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) سوى النخيل والأعناب (ومنها ثمار كلون) أي من الجنات أي من ثمارها ويجوز أن هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلبها أي أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها ترزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخلو ما إن يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وأما أن يكون اسم الجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كما مر في القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأبو عمر وللتعريف والجملة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الالف التأنيث كصحراء (تنبت بالدهن) قال الزجاج (٣٢٣) الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن تنبت مكي وأبو عمر

وأما أن أنبت بمعنى نبت كقوله حتى إذا أنبت البقل أولان مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الدهن (وصبغ للآكلين) أي أدام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى هذه أداماً ودهناً فالأدام الزيتون والدهن والزيت وقيل هو أول شجرة نبتت بعد الطوفان وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجرة وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم في الأنعام) جمع نعم وهي الأبل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وبفتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (مما في بطونها) أي نخرج لكم مما في بطونها لبناً سائناً (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الألبان وهي منافع الأصواف والأوبار

كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان ابن عثمان ابن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسعدة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ؓ ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى (فأنشأنا لكم به) أي بالماء (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) إنما أفرد ههنا بالدهن كركثرة منافعها فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه وطباويبا (لكم فيها) أي في الجنات (فواكه كثيرة ومنها ثمار كلون) أي شتاء وصيفاً (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحديثة وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالأشجار وقيل كل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وأيلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عند قيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) أي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت ثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الأدام الذي يكون مع الخبز يصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة أداماً وهو الزيتون ودهناً وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لأنه منه نشأ وقيل إن أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل أنها تبقى في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة قوله عز وجل (وان لكم في الأنعام لعبرة) أي آية تعبرون بها (نسقيكم مما في بطونها) أي ألبانها ووجه الاعتبار فيه أن اللبن يخلص إلى الضرع من بين فرت ودم باذن الله تعالى ليس فيه شيء منها فيستحيل إلى الطهارة وإلى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها ثمار كلون) يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للآكل (وعليها) أي وعلى الأبل (وعلى الفلك تحملون) أي على الأبل في البر وعلى السفن في البحر قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الغيرة) أي ما لكم معبود سواه (أفلاتتقون) أي أفلاتتخافون عقابه إذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الأمور (يريد أن يتفضل عليكم) أي أنه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعاً وأتم له تبع (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) يعني ببلاغ الوحي (ما سمعنا بهذا) أي الذي يدعونا إليه نوح (في آياتنا الأولى) إن

والأشعار (ومنها ثمار كلون) أي لحومها (وعليها) وعلى الأنعام في البر (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) في أسفاركم وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الأبل لأنها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفائن البر قال ذوا الرملة سفينته بر تحت خدي زمامها يريد ناقته (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من الغيرة) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل لا أمر بالعبادة (أفلاتتقون) أفلاتتخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أي أشرا فمهم لعوامهم (ما هذا إلا بشر مثلكم) يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أي يطلب الفضل عليكم ويتأس (ولو شاء الله) أرسل رسولاً (لأنزل ملائكة) لارسل ملائكة (ما سمعنا بهذا) أي بارسال بشر رسولاً أو بما أمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم أنهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (في آياتنا الأولى) إن

هو الأرجل به جنة) جنون (فتر بصوابه حتى حين) فانتظروا واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي أمره فان افاق من جنونه والاقتلتموه (قال رب انصرني بما كذبون) فلما أيس من ايمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي اذ في نصرتي اهلاكم أو انصرني بدل ما كذبون كقولك هذا بذاك أي بدل ذاك والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم (فأوحينا اليه) أي أجبنا دعاءه فأوحينا اليه (أن اصنع الفلك بأعيننا) أي تصنعه وأنت واتق بحفظ الله لك ورؤيته اياك أو بحفظنا وكلاءنا كان معك من الله حفاظا يكلؤنك بعيونهم لئلا تعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عمالك ومنه قوطم عليه من الله عين كالثقة (ووحينا) أمرنا وتعليمنا اياك صنعتها روي أنه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جوجو الطائر (فاذا جاء أمرنا) أي عذابنا بأمرنا (وفار التنور) أي فار الماء من تنور الخبز أي أخرج سبب الفرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الانذار والاعتبار روي أنه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فارك أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته أمر أنه فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فأسلك فيها) فادخل في السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة الذكور وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن (٣٢٤) والرماء (انثين) واحد من زوجين كالجمال والناقة والحصان والرمكة روي أنه لم يحمل

هو الأرجل به جنة) أي جنون (فتر بصوابه حتى حين) أي الى الموت فتستر بحوامته (قال رب انصرني بما كذبون) أي أعني باهلاكم بـ تكذيبهم اياي (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أي بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا تعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (فاذا جاء أمرنا) أي عذابنا (وفار التنور) قيل هو التنور الذي يخبر فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور (فأسلك فيها) أي فادخل في السفينة (من كل زوجين انثين) أي من كل حيوان ذكر وأنثى (وأهلك) أي وسائر من آمن بك (الامن سبق عليه القول) أي وجب عليه العذاب (منهم) يعني الكفار وقيل أراد باهله أهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفرقون) قوله عز وجل (فاذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) أي في السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أي الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من انغرق وكثرة النسل بعد الانجاء (وأنت خير المنزلين) معناه أنه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن أن يقول وأنت خير المنزلين لانه يحفظ من أنزله ويكلؤه في سائر أحواله ويدفع عنه المكروه بخلاف منزل الضيف فإنه لا يقدر على ذلك (ان في ذلك) أي الذي ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله (آيات) أي دلالات على قدرتنا (وان كننا) أي وما كنا (لمبتلين) أي المختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم (وقوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعدهم) (قرنا آخرين) يعني عادا (فارسلنا فيهم رسولا منهم) يعني

الانبياء ويبيض من كل حقص والفضل أي من كل أمة زوجين انثين وانثين تأكيد وزيادة بيان (أهلك) ونسائه وأولادك (الامن سبق عليه القول) من الله باهلاكم وهو ابنه واحد زوجيه غيى بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع في قوله ولقد سبقت لكتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفرقون) ولا تسألني نجاة الذين كفروا فاني أعرفهم (فاذا استويت

أنت ومن معك على الفلك) فاذا تمكنتم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت أنت ومن معك في معنى اذا استويتهم لانه نبههم وامامهم فكان قوله قوطم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة (وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رب أنزلني منزلا) أي أنزل أو موضع أنزال منزلا أو بذكر أي مكانا (مباركا) أنت خير المنزلين) والبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخبرات (ان في ذلك) فيها فعل نوح وقومه (آيات) لعباد ومواعظ (وان) هي المحققة من المثقلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كالمبتلين) مصيبين قوم نوح بلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وبجيء قصة هود على أثر قصة نوح في الاعراف وهو ذو الشراة (فارسلنا فيهم) الارسل يعدي بالي ولم يعدي هنا في قوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قبيلة ولكن الأمة والقربة جعلت موضعا لارسال كقول ربوة أرسلنا فيها مصعبا اذا اقام (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم

(أن اعبدوا الله ما لكم من الغيرة أفلاتتقون) أن مفسرة لا رسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملا من قومه) ذكره مقالة قوم هود في جوابه في الاعراف وهو دبير واولا له على تقدير سؤال سائل قال فما قال قوم فقيل له قالوا كيت وكيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاء وجي عبالفاء في قصة نوح لانه جواب لقوله واقع عقبيه (الذين كفروا) صفة للملا أو لقومه (وكذبوا بقاء الآخرة) أي بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحياة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ما هذا) أي النبي (الابشر مثلكم يا كل عاتنا) كلون منه ويشرب مما تشربون (أي منه خذف لدلالة ما قبله عليه أي من أين يدعي رسالة الله من يذكركم وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أي فيما يأمركم به وينهاكم عنه (انكم اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوا لهم من قومهم (الخاسرون) بالانقياد لثلكم ومن حقهم انهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أي بعدكم انكم اذامتم) بالكسر نافع وحزة وعلى وحفص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثني انكم للتأكيده وحسن ذلك للفصل بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير أي بعدكم انكم مخرجون (٣٢٥) اذامتم وكنتم ترابا وعظاما (هيهات

هيهات) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضر أي بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث (ان هي) هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياء الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها وبينها والمعنى لا حياة الا هذه

هودا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثم دوا الرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله ما لكم من الغيرة أفلاتتقون) أي هذه الطريقة التي أتم عليها مخافة العذاب (وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة) أي بالمصير اليها (وأترفناهم) أي نعمناهم ووسعنا عليهم (في الحياة الدنيا ما هذا الابشر مثلكم يا كل عاتنا) كلون منه ويشرب مما تشربون (أي من مشربكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) أي لمغبونون (أي بعدكم انكم اذامتم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) أي من قبوركم أحياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس أي بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفلا منهم للتفكير في بدء أمرهم وقدره الله على ايجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون أبدا (ان هي الاحياء الدنيا نموت ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (وما نحن بمبعوثين) أي بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم (الارجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) أي بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) أي ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعني صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة اهلاك (جعلناهم غشاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيسوا ويس الغشاء من نبات الارض (فبعدا) أي أزمان بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) قوله عز وجل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) أي أقواما آخرين (ما سبق من أمة أجلها) أي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمانا طويلا

الحياة التي نحن فيها ودنت منا وهذا لان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي لنفي الجنس (نموت ونحيا) أي يموت بعض ويولد بعض بنقرض قرن فيأتي قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وهو قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الارجل افترى على الله كذبا) أي ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يبعدنا من البعث (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني بما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قليل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قدما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقيل بدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) اذا عاينوا ما يحل بهم (فاخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أي بالعدل (جعلناهم غشاء) شبههم في دمارهم بالغشاء وهو حيل السيل مما يلي واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلاكها يقال بعد بعدا أو بعد أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما سبق من أمة) من صلة أي ما سبق أمة (أجلها) المكتوب لها والوقت الذي حد لها كها وكتب (وما يستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) فعلى والالف للتأنيث كسكري لان

الرسول جماعة ولذا لا ينون لأنه غير منصرف تترى بالتسوية من مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الالف لا الحاق كارطى وهو نصب على الحال في القراءتين أى متتابعين واحدا بعد واحد وناؤه فافهم ما يدل من الواو والاصل وتترى من الوتر وهو القرد فقلبت الواو ناء كثرات (كلما جاء أمة رسوله كذبوه) الرسول يابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملازمة فتصح اضافته اليهما (فاتبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) اخبار ايسمع بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وتكون جعل اللام حذوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتجباه وهو المراد هنا (فبعد القوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) يدل من أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا أنؤمن لبشر ين مثلنا) البشر يكون واحدا وجعا ومثلا وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكور والمؤنث (وقومهما) (۳۲۶) أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان

لملك فهو عابده عند العرب (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالفرق (ولقد آتينا موسى أى قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) يدل على قدرتنا على ما نشاء لأنه خالق من غير نطفة وحدا لان العجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الاولى للدلالة الثانية عليها (وآوينا هما) جعلنا ما واهما أى منزلهما (الى ربوة) شامى وعاصم ربوة غيرهما أى أرض مترفعة وهى بيت المقدس أو

(كلما جاء أمة رسوله كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) أى بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) أى سمر او قصصا يتحدث من بعدهم بامرهم وشأنهم (فبعد القوم لا يؤمنون) قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) أى بحجة بينة كالعصا والسيد وغيرهما (الى فرعون وملئه فاستكبروا) أى تعظموا عن الايمان (وكانوا قوما عالين) أى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (أنؤمن لبشر ين مثلنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما) عابدون (أى مطيعون متذللون) (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) أى بالفرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلهم يهتدون) أى لىكى يهتدى به قومه قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى دلالة على قدرتنا لأنه خلقه من غير ذكروا نطقه فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكروا كذلك مريم ولدت من غير ذكروا فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة (وآوينا هما الى ربوة) أى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بن مالك بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بنائية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الابواء انها فرت بابنها اليها وقوله (ذات قرار) أى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) أى استقيموا على ما يوجب الشرع (انى بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلان يكون تحذير الغيرهم أولى لما روى عن أنى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يابى يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم قوله

دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية عز منبسطة أو ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وماء ظاهر جار على وجه الارض أو انه مفعول أى مدرك بالعين بظهوره من عانه اذا ذكره بعينه أو فاعيل لانه نفاع بظهوره وجريه من المساعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليس على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين فى ازمئة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان امرأ نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه وهو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل فى زمانه وكان يأكل من الغنائم ولعيسى عليه السلام لانصال الآية بذكروه وكان يأكل من غزل أمه وهو طيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف أو ما يستطاب ويستند والامر للترفيه والاباحة (واعملوا صالحا) موافقا للشرعية (انى بما تعملون عليم) فاجاز بكم على أعمالكم

(وان هذه) كوفي على الاستئناف وان عجازي و بصرى بمعنى ولان أى فائقون لان هذه أو معطوف على ما قبله أى بما تعملون عليهم وبان هذه أو تقديره واعلموا أن هذه (أمتكم) أى ملتكم وشر يعتكم التى أتم عليها (أمة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام واتصاب أمة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وأنا ربكم) وحدي (فائقون) خافوا عقابى فى مخالفتكم أمرى (فتقطعوا أمرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع أى قطعوا أمر دينهم (زبرا) جمع زبر أى كتباً مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وقيل تفرقوا فى دينهم فراق كل فرقة تفتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعوا حرفه وقرئ زبرا جمع زبرة أى قطعاً (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المقطعين دينهم (بما لديهم) من الكتاب أو الدين أو من الهوى والرأى (فرحون) مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) جهالتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى أن (٣٢٧) يقتلوا أو يموتوا (أبحسبون اننا نمدهم

به من مال وبنين) ما يعنى الذى وخبران (نسارع لهم فى الخيرات) والعائد من خبر ان الى اسمها محذوف أى نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات ومعالجة بالثواب جزاء على حسن صديعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسألة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو أصح له فى الدين وقد أخبر ان ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا أصح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله أبحسبون أى انهم اشباه الالهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا فى ذلك انه استدراج أو مسارعة فى الخير ثم بين ذكر أولياته

عز وجل (وان هذه أمتكم) أى ملتكم وشر يعتكم التى أتم عليها (أمة واحدة) أى ملة واحدة وهى الاسلام (وأنا ربكم فائقون) أى فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وأنا ربكم فائقون (فتقطعوا) أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (أمرهم) أى دينهم (بينهم زبرا) أى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أى كتباً والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أى مسرورون محبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلاتهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى أن يموتوا (أبحسبون اننا نمدهم به من مال وبنين) أى مانعطيهم ونجعل لهم مدادا من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) أى نجعل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لأعمالهم لمرضاة عنهم (بل لا يشعرون) أى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن نجح احسانا وخشية والمنافق جع اساءة وأمنا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم رجلة) أى خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم الى ربهم راجعون) أى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم رجلة أى هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون فى الخيرات أخرجه الترمذى ٢٢٢٢ وقوله (أولئك يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات ٢٢٢٣ قوله عز وجل (ولا تكاف نفسا الاوسعها) أى طاقتهما من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقتض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أى يبين الصدق والامنى قد أثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به و بينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التى تكتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من حسناتهم ولا

فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يكتب الله كلها لا يفرقون بين كتب كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (والذين هم بربهم لا يشركون) كمشركى العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يؤتون ما آتوا بالقصر أى يفعلون ما فعلوا (وقلوبهم رجلة) خائفة أن لا تقبل منهم لتقصيرهم (أنهم الى ربهم راجعون) الجمهور على أن التقدير لانهم وخبران الذين (أولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات أو لاجلها سبقوا الناس (ولا تكاف نفسا الاوسعها) أى طاقتهما يعنى ان الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقه وكذلك كل ما كافه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق (ولدينا كتاب) أى اللوح أو صحيفة الاعمال (ينطق بالحق وهم لا يظلمون) لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم

أحد بزادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها ما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مقيمون لا يظلمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى إذا أخذنا مترفيهم) متعميهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعاهم النبي عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يتبدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية (إذا هم يجأرون) يصرخون استغاثة والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لا تجأروا اليوم) فإن الجوار غير نافع لكم (انكم منا لا تنصرون) أي من جهتنا لا يلحقكم نصر أو معونة (فكانت آياتي تتلى عليكم) أي القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون الفهري والنكوص أن يرجع (٣٢٨) الفهري وهو أقبح مشية لأنه لا يرى ما وراءه (متكبرين) متكبرين على

المسلمين حال من تنكصون (به) بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون لا يظهر علينا أحد لأننا أهل الحرم والذي سوغ هذا الاضرار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بآياتي لأنها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن متكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سامرا) سمرون بذكر القرآن وبالظعن فيسه وكانوا مجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسعرا والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان

يزاد على سياهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) أي غفلة وجهالة (من هذا) أي القرآن (ولهم أعمال) أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك) يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعني الكفار (طبا) أي لتلك الأعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الازل من الشقاوة (حتى إذا أخذنا مترفيهم) أي رؤساءهم وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلهم نحيبا كنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف (إذا هم يجأرون) أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لا تجأروا اليوم) أي لا تجزعوا ولا تضجوا اليوم (انكم منا لا تنصرون) أي لا تمنعون منا ولا ينفعكم نصر عكم (فكانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي ترجعون الفهري وتأخرون عن الإيمان (متكبرين به) قال ابن عباس أي بالبيت الحرم كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحد أفيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل متكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الأول أظهر (سامرا) يعني أنهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الاهجار وهو الاخفاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تهدون وتقولون ما لا تعلمون (أفلم تدبروا القول) يعني أفلم تدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) يعني فأنكروا بريدا نافدا بعثنا من قبلهم رسلا إلى قومهم فكذلك بعثنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسول الله وهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمد صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نبيه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وأيس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) أي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو

تهجرون نافع من أهجر في منطقهم إذا خش (أفلم تدبروا القول) أفلم تدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به ومن جاء به (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) بل جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسول الله وهم له منكرون) محمد بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق أي عرفوا بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وأيس كذلك لأنهم يعلمون أنه أوجههم عقلا وأثقبهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الابليغ والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له من دأول مدفع فلذلك نسبوه إلى جنون (وأكثرهم للحق كارهون) وفيه دليل على أن أقلمهم ما كان كارهيا للحق بل كان تاركا للإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومهم وان يقولوا صبا وترك دين آباءه كافي طالب (ولو اتبع الحق) أي الله (أهواءهم) فبما يعتقدون من الآلهة

(لفسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذ كر لان غيرهم تبع (بل أتيناهم بذر كرمهم) بالكتاب الذي هو ذ كرمهم أي وعظهم أو شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذ كر الذي كانوا يمتنون ويقولون لو أن عندنا ذ كرامن الاولين الآية (فهم عن ذ كرمهم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسألهم خراجا راجر بك خير) حجازي وبصري وعاصم خراجا راج على وحزة شامي خراجا راج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فز يادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق قال كثير من الخلق خير (وهو خير الرازيين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام تحقيق أن يستجيبوا لك (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رجناهم وكشفنا ما بهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألت تزعم انك بعثت رجة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذي أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب (للجوا) أي لتنادوا (في طغيانهم)

يعمهمون) يترددون يعنى لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التلق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) استشهد على ذلك بأننا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسروهم فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أي خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أي

أتبع الله صراطهم فيما يفعل وقيل لوسمى لنفسه شر يكاوولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أي لفسد العالم (بل أتيناهم بذر كرمهم) قال ابن عباس بما فيه شرفهم وخرمهم وهو القرآن (فهم عن ذ كرمهم) أي شرفهم (معرضون) أم تسألهم أي على ما جئتهم به (خرجا) أي أجرا وجعلا (خراج راجر بك خير) أي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازيين) تقدم تفسيره (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) أي الى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لنا كبون) أي لعادلون عنه وما تلون (ولو رجناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي قحط وجدوبة (للجوا) أي لتنادوا (في طغيانهم يعمهمون) أي لم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل الله عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألت تزعم انك بعثت رجة للعالمين فقال بلى فقال انهم قدأ كوا القذ والعظام وشكا اليه الضرفادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا وما ذلوا لربهم (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى اذا فتحنا عليهم بابا دا عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) أي آيسون من كل خير قوله عز وجل (وهو الذي أنشأكم السمع والابصار والافتدة) أي لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم (واليه تحشرون) أي تبغثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبر الليل والنهار

(٤٢ - (خازن) - ثالث)

وهم على ذلك بعد ولذالم يقل وما تضرعوا ووزن استكان

استفعل من الكون أي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا يزيد (عليهم بابا دا عذاب شديد) أي باب الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد ايسر عطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فاروى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم حينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وهو الذي أنشأكم السمع والابصار والافتدة) خصها بالذ كر لانها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأ كيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعت موها غير مواضعها فلم تعملوا بأبصاركم وأسماعكم في آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيئا (وهو الذي ذرأكم) خلقكم وبشكم بالتناسل (في الارض واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذي يحيي ويميت) أي يحيي النسم بالانشاء ويميت بالافناء (وله اختلاف الليل والنهار) أي يحيي وأحد هما عقيب الآخر واختلافهما في الظلة والنور وفي الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصرفهما غيره

(أفلا تعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أي أهل مكة (مثل ما قال الأولون) أي الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا أنذامتنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون) متنا نافع وحزة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أي البعث (من قبل) محيى محمد (ان هذا الأساطير الأولين) جمع أساطير جمع سطر وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورا وفق ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحججة على المشركين بقوله (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به من خلقه في الربوبية أفلا تذكرون بال تخفيف حزة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون في مخوذكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من يده ملكوت كل شيء) الملكوت الملك والواد والتاء للمبالغة فتنبى عن عظم الملك (وهو

في الزيادة والنقصان وقيل جعلها مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض (أفلا تعقلون) أي ما نرون من صنعه فتعجبوا (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أي كذبوا كما كذب الأولون وقيل معناه أنكروا البعث مثل ما أنكروا الأولون مع وضوح الأدلة (قالوا أنذامتنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون) أي لمحشورون قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب (لقد وعدنا نحن) أي هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) أي وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نزله حقيقة (ان هذا الأساطير الأولين) أي أكاذيب الأولين قوله تعالى (قل) أي يا محمد لا هل مكة (لمن الأرض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) أي خالقهم وأموالهم (سيقولون لله) أي لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله (قل) أي قل لهم يا محمد اذا أقروا بذلك (أفلا تذكرون) أي فتعلموا ان من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أي عبادة غيره وقيل معناه أفلا تخدرون عقابه (قل من يده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء (وهو مجبر) أي يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أي لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمنع منه من أراد به سوء (ان كنتم تعلمون) أي فاجيبوا (سيقولون لله قل فاني تسحرون) أي فاني تخدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناكم بالحق) أي بالصدق (وانهم لكاذبون) أي فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) أي من شريك (اذ ذهب كل اله بما خلق) أي لا نفر دكل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو (ولعل بعضهم على بعض) أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد يده ملكوت كل شيء ويقدر على كل شيء ثم نزه نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) أي من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أي تعظم من أن يوصف بما لا يليق به قوله عز وجل (قل رب) أي يارب (اماتر بني ما يوعدون) أي

بجبر ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أجرت فلانا على فلان اذا أغنته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (سيقولون لله قل فاني تسحرون) تخدعون عن الحق أو عن توحيد وطاعته والحادع هو الشيطان والهو الأول لله بالاجماع اذا السؤال لمن وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فعناه لمن هذا فيجيب لفلان كقول الشاعر اذا قيل من رب المزالق والقرى ورب الجياد الجردة قيل خالد أي لمن

المزالف ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا جوابه فلان (بل أتيناكم بالحق) بان نسبة الولد اليه ما وعدتهم محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) في قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الألوهية (اذ ذهب كل اله بما خلق) لا نفر دكل واحد من الآلهة الذي خلقه فاستبد به ولحقه ملك كل واحد منهم عن الآخر (ولعل بعضهم على بعض) ولعل بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا مالكم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه اله واحد يده ملكوت كل شيء ولا يقل اذا لا تدخل الاعلى كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة ما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالجر صفة لله وبالرفع مدنى وكوفى غير حذف خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اماتر بني ما يوعدون) ما والنون مؤكدان أي ان كان لابد من ان ترين ما تعدهم من العذاب في الدنيا وفي الآخرة

(رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي فلا تجعلني قريناً لهم ولا تعذبني بعد ابهم عن الحسن رضي الله عنه أخبره الله أن له في أمته نعمة ولم يخبره منى وقتها فأمر أن يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المصوم صلى الله عليه وسلم به ما علم أنه يفعله وأن يستعذبه بما علم أنه لا يفعله اظهار العبودية وتواضعه له واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء في فلا جواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقبل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فواجه هذا الانكار (ادفع بالتي) بالخصلة التي (هي أحسن السيئة) هو أبلغ من أي يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنة السيئة والمعنى اصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضي الله عنه هي شهادة أن لا اله الا الله (٣٣١) والسيئة الشرك أو الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هي

ما وعدتهم من العذاب (رب) أي يارب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي لا تهلكني بهلاكهم (وانا على أن نريك ما نعدهم) أي من العذاب (لقادرون ادفع بالتي هي أحسن) أي بالخصلة التي هي أحسن وهي الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعني أذا هم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أي يكذبون ويقولون من الشرك ﴿قوله عز وجل﴾ (وقل رب أعوذ بك) أي امتنع واعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وسوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي في شيء من أموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له فحين جبر بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيراً ثلاثاً والحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموت أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه اللفاظ في متن الحديث ونزیده ايضاً قوله نفثه الشعر أي لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينثف الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان التكبر ينتفخ ويتعظم ويجمع نفسه فيحتاج الى أن ينفخ وقوله وهمزه الموت الموت الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولاً ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكانه قال عند المعاينة بحق الله ارجعوني (لعلني أصالح فيما تركت) أي ضيقت وقيل تركت أي منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ماتني ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا يرجع مع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تنهاه الكافر اذ رأى العذاب (كلاً) كلمة ردع وزجر أي لا يرجع اليها (انها) يعني مسأله الرجعة (كلمة هو قائلها) أي لا ينالها (ومن وراءهم برزخ) أي من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز (الي يوم يبعثون) معناه ان بينهم وبين الرجعة حجاباً وما نعاين الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ﴿قوله تعالى﴾ (فاذا نفخ في

المنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة اذ المداواة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك أو يوصفهم لك وسوء ذكركهم فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وسوسهم ونخساتهم والهمزة النخس والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرأض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما همز الرأض الدواب حثها على المشي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخساتهم يلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضره أصلاً وعند تلاوة القرآن وعند النزاع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق يصفون أي لا يزالون

يشركون الى وقت مجيء الموت أو لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيدهم للاغضاء عنهم مستغنياً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم (قال رب ارجعوني) أي ردوني الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلني أصالح فيما تركت) وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ماتني أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلني ساكنة الباء كوفي وسهل ويعقوب (كلاً) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعوني لعلني أصالح فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخيلها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (ومن وراءهم) أي امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الي يوم يبعثون) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم أن لا رجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفخ في

(الصور) قيل انها النفخة الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) وبلا دغام أبو عمرو ولا اجتماع المثليين وان كانا من فئتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه وإنما يكون بالأعمال (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لان كلام مشغول عن صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فالقيامة مواطن في موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفي موطن يفتقون فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهي الموزونات من (الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) (٣٣٢)

(فأولئك هم المفلحون) ومن خفت موازينه (بالسيئات والمراد الكفار) (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لا أولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) أي تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) وتزعمون انها ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا) ملكتنا (شقوتنا) شقاوتنا حزة وعلى وكلاما مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه إنما يكتب ما يفكر العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب

الصور فلا أنساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ في الصور فصعد من في السموات ومن في الارض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وهم وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي لا يتفخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامة أحوالا ومواطن في موطن يشتد عليهم الخوف فيشتغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفتقون افاقة فيتساءلون ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا) أي غبنوا (أنفسهم في جهنم خالدون) أي تسفع وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ﴿ قوله تعالى ﴾ (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي التي كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قومًا ضالين) أي عن الهدى (ربنا أخرجنامنها) أي من النار (فان عدنا) أي لما تكبره (فانا ظالمون قالوا خسوا فيها) أي ابعدا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) أي في رفع العذاب فإني لأرفعهم عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يملك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ما كنون ثم ينادون ربهم أخرجنامننا فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسوا فيها ولا تكلمون فايئس القوم بعد ذلك بكامة ان كان الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء قوله فايئس القوم بعد ذلك بكامة أي سكتوا ولم يتكلموا بكامة وقيل اذا قال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم يفسح في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم (انه كان فريق من عبادي) يعني المؤمنين (يقولون ربنا آمنا

غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلو باو مضطرا في الفعل وهذا لانهم انما يقولون

ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفریط في أمره فلا يجعل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيها كان منهم (وكنا قومًا ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنامننا) أي من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قالوا خسوا فيها) اسكتوا سكوت ذلة وهوان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير ان يحضروني ارجعوني بالياء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلاياء (انه) ان الامر والشأن (كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا

فاغفر

فاغفر لنا وارحنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخر يا) مفعول ثان وبالضم مدني وجزرة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا ان في بابه
النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضي الله عنهم وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم سخرين (حتى أنسوكم) بتشاكلهم
بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتر كنموه أي كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (اني جزيتهم
اليوم بماصبروا) بصبرهم (أنهم) أي لانهم (هم الفائزون) ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا أي جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى
اثنين وجزاهم بماصبروا جنة انهم جزرة وعلى على الاستئناف أي انهم هم الفائزون لأنتم (قال) أي الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة قل
مكي وجزرة وعلى أمر الملك أن يسألهم (كم لبثتم في الارض) في الدنيا (عدد سنين) أي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعددهم
(قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم (٣٣٣) ولما هم فيه من عذابها لان

المتن يستطيل أيام محنته
ويستصر ما مر عليه من
أيام الدعة (فاسئل
العادين) أي الحساب
أو الملائكة الذين يعدون
أعمار العباد وأعمالهم
فسئل بلاهزم مكي وعلى
(قال ان لبثتم الا قليلا)
أي ما لبثتم الا زمنا قليلا
أو لبثا قليلا (لو أنكم كنتم
تعلمون) صدقهم الله تعالى
في تقاضهم لسني لبثهم في
الدنيا وبنحهم على غفلتهم
التي كانوا عليها قل ان
جزرة وعلى (أنفسهم إنما
خلقناكم عبثا) حال أي
عابثين أو مفعول له أي
للعبث (وانكم اليانا
لا ترجعون) وبفتح التاء
وكسر الجيم جزرة وعلى
ويعقوب وهو معطوف
على إنما خلقناكم أو على
عبثا أي للعبث ولنترككم

فاغفر لنا وارحنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخر يا) أي تسخرون منهم وتستهزؤن بهم (حتى
أنسوكم ذكرى) أي أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) نزل في كفار
قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب
ثم قال الله (اني جزيتهم اليوم بماصبروا) أي على إذا كنتم واستهزأتم في الدنيا (انهم هم الفائزون) أي
جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعني ان الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم في الارض) أي في
الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) معناه انهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا العظم ما هم
بصدده من العذاب (فاسئل العادين) يعني الملائكة الذين يحفظون عمل بني آدم ويحصونه عليهم (قال
ان لبثتم) أي ما لبثتم في الدنيا (الا قليلا) سباه قليلا لان المرء وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في
جنب ما يلبث في الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أي قدر لبثكم في الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أنفسهم
أنما خلقناكم عبثا) أي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل اللعب معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا نواب
لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة أوامر الله عز وجل (وأنكم اليانا لا ترجعون) أي في دار
الآخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرفاه في أذنه أنفسهم
أنما خلقناكم عبثا وأنكم اليانا لا ترجعون حتى ختم السورة فقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
ذارقيت في أذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على
الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أي هو
التام الملك الجامع لاصناف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) أي الحسن وقيل الرفيع
المرتفع وانما خص العرش بالذكور لانه أعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) أي
لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على اهلية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك (فانما
حسابه) أي جزاؤه (عند ربه) أي هو محاز به بعمله (انه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعد من يجد وكذب
(وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين)

﴿ تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فنصيب المحسن ونعاقب المسيء (فتعالى الله) عن أن
يخلق عبثا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم)
وصف العرش بالكريم لان الرحمة تنزل منه أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها
آخر لا برهان) أي لا حجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان منه فان الله مثيبه أو صفة لازمة
جئ بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لأن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان (فانما حسابه) أي جزاؤه وهذا جزء الشرط (عند
ربه) أي فهو يجازيه لا محالة (انه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فستان ما بين
الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وانت خير الراحمين) لان رحمة اذا أدركت أحدا أغنته
عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغني عن رحمة ﴿ سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

• سورة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة (أنزلناها) صفة لها وقرأ طلحة سورة على زيد اضربه أو على أنل سورة والسورة الجامعة لآيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أي فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض القطع أي جعلناها مقطوعة بها وبالشد يد مكي وأبو عمر وللإبافة في الإيجاب وتوكيدها ولأن فيها فرائض شتى أول كثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي دلائل واضحة (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا وتخفف الدال حزة وعلى وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدتهما والخبر فاجلدا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدا وهما كما تقول من زنى فاجلده وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدهم وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر (فاجلداوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه إشارة إلى أنه لا يبلغ ليصل الالم إلى اللحم والخطاب للإثمة لأن إقامة الحد من الدين وهي على السكل الا أنهم (٣٣٤) لا يمكنهم الاجتماع فينبوب الامام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ حكم

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الاحكام والزنا كم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي واضحات (لعلكم تذكرون) أي تتعظون ﴿قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلداوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ وبشرط الاحسان في الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتصف بقوله فاجلداوا أي فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ للحم كل واحد منهما أي الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة بمائة وجلد تغريب عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب إلى رأى الامام وقال مالك بجلد الرجل مائة جلدة وتغريب وتجلد المرأة ولا تغرب وان كان الزاني محصناً فعليه الرجم (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحة ورقة فتعطوا الحدود ولا تقسموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرافة أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية أي القذف وتخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا وتخفف دون ذلك في حد القرية وتخفف دون ذلك في حد الشرب (في دين الله) أي في حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال لاجلاد اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال يابني ان الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه ان المؤمن لا تأخذه الرافة اذا جاء أمر الله وقيل هو من باب التهيج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود (وليشهد) أي وليحضر (عذابهما) أي حدهما اذا أقيم عليهما (طائفة) أي نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعداً وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا ﴿قوله عز وجل (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركه والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك

المحصن الرجم وشرايط احسان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافي والتغريب المروى منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والاذى في قوله نامسكوهن في البيوت وقوله فاكذوها بهذه الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحة والفتح لغة وهي قراءة مكي وقيل الرافة في دفع المكروء والرحمة في إيصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا

في دين الله ولا يأخذهم الدين في استيفاء حدوده فيعطوا الحدود أو يخففوا الضرب (في دين الله) وحرم أي في طاعة الله وأحكامه (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهيج والتهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمراً أي فاجلداوا ولا تعطوا الحد (وليشهد عذابهما) وليحضر موضع حدهما وتسميته عذاباً دليل على انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجروا أقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كانت الجماعة الخافعة حول شيء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة إلى أربعين رجلاً (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركه والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصالح من النساء وانما يرغب في خبيثة من شكها أو في مشركه والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصالح من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكها من الفسقة أو المشركين فالآية تهديد في نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك في القبح والايمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرماً في أول الاسلام ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامي منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزاني يستقدر الزانية ولا يشتهى

وهو صحيح لكنه يقتضي اذا قولك الزاني لا يزني الا برزانية والزانية لا يزني بها الا زان وسئل صلى الله عليه وسلم عن زنى باسرة ثم تزوجها فقال
أوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في القواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير
مرغوب فيها للاعفاء ولكن لا زناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزاني اولاً ثم قدم عليها ثانياً لان تلك الآية سقت لعقوبتهما
على ما جنى والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم (٣٣٥) تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم تمكن

فلما كانت أصلاً في ذلك
بدى بد كرهاً وأما الثانية
فسوقة لذ كز النكاح
والرجل أصل فيه لانه
الخطاب ومنه بدا الطلب
وقرى لا ينكح بالجزم
على النهي وفي المرفوع
أيضاً معنى النهي ولكن
أبلغ وأكد ويجوز أن
يكون خبراً محضاً على معنى
ان عاداتها جارية على ذلك
وعلى المؤمن ان لا يدخل
نفسه تحت هذه العادة
ويتصون عنها (وحرم ذلك
على المؤمنين) أي الزناؤ
نكاح البغاة بقصد التكسب
بالزنا أو لما فيه من التشبه
بالفساق وحضور مواقع
التهمة والتسبب لسوء
المقالة فيه والغيبة ومحالة
الخطأتين كم فيها من
التعرض لاقتراف الآثام
فكيف بمزاوجة الزواني
والقحاب (والذين يرمون
المحصنات) وبكسر الصاد
على أي يقدفون بالزنا
الحرار والعفائف المسلمات
المكلفات والقذف يكون
بالزنا وبغيره والمراد هنا

وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم
فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي المدينة نساء بغاياهن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في
نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين
ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبي ورواية عن
ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة هن رايات يعرفن بهامنهن أم مهزول جارية السائب
ابن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على
تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فانزل
الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد
الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بنى يقال لها عناق وكانت صديقة له
في الجاهلية فلما أتى مكة دعتة عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقاً فامسك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئاً فزات الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك
فدعاني فقراها على وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود والفاظ متقاربة المعنى فعلى قول
هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية
الزاني لا يزني الا برزانية أو مشركة والزانية لا تزني الا بزناً أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبيرة والضحاك ورواية
عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها هو محرم فهو زان وكان
ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان
حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حرام بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم
فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لا تمنع يد لاس فقال طلقها قال اني أحبها وهي جيلة قال استمتع بها وفي
رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة
الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأة
في زنا وحرض على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الآية أن الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة
من النساء وانما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصالحاء من
الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلاً أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي صرف الرغبة بالكافة
الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفائف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج
بالزانية ﴿قوله تعالى﴾ (والذين يرمون المحصنات) أي يقدفون بالزنا (المحصنات) يعني المسلمات الحرار والعفائف (ثم
لم يأتوا باربعة شهداء) أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية ان من قذف محصناً
ومحصنة بالزنا فقال له يا زاني أو يا زانية أوزيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حراً وان كان عبداً

قدفهن بالزنا بان يقول يا زانية لا كرم المحصنات عقيب الزواني ولا شرائط اربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أي ثم لم يأتوا باربعة
شهود يشهدون على الزنا لان القذف بغير الزنا بان يقول يا فاسق يا فاسقة لا يثبت فيه شهادة اربعة شهود وشروط احصان القذف
الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة في وجوب حد القذف (فاجلدوهم ثمانين جلدة) ان كان القاذف حراً
ونصب ثمانين نصب المصادر كما نصب مائة جلدة وجلدة نصب على التمييز

الحد أو بعضه على ما عرف
وعند الشافعي رحمه الله
تعالى يتعلق رد شهادة
بنفس القذف فعندنا
جزاء الشرط الذي هو الرمي
الجادور رد الشهادة على
التأييد وهو مدة حياتهم
(وأولئك هم الفاسقون)
كلام مستأنف غير داخل
في حيز جزاء الشرط كأنه
حكاية حال الرامين عند الله
تعالى بعد انقضاء الجلسة
الشرطية وقوله (الا الذين
تابوا من بعد ذلك) أي
القذف (وأصلحوا)
أحوالهم استثناء من الفاسقين
وبدل عليه (فان الله
غفور رحيم) أي يغفر
ذنوبهم ويرحمهم وحق
الاستثناء أن يكون منصوبا
عندنا لأنه عن موجب
وعند من جعل الاستثناء
متعلقا بالجلسة الثانية أن
يكون مجرورا بدلا من هم
في لهم ولماذا كركم قذف
الاجنبيات بين حكم قذف
الزوجات فقال (والذين
يرمون أزواجهم) أي
يقذفون زوجاتهم بالزنا
(ولم يكن لهم شهداء) أي
لم يكن لهم على تصديق
قولهم من يشهد لهم به (الا
أنفسهم) يرتفع على البطل
من شهداء (فشهادة أحدهم
أربع) بالرفع كوفي غير أبي

بجلد أربعين وان كان المقدوف غير محصن فعلى القاذف التعزيز وشروط الاحصان خمسة الاسلام والعقل
والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسن ثوبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف
فلا حد عليه فان أقر المقدوف على نفسه بالزنا وأقام القاذف أربعة شهدون عليه بالزنا سقط الحد عن
القاذف لان الحد انما واجب عليه لاجل الحرية وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر
أو يا خبيث أو يا... وأجر أو قال امرأتى لا ترد يد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا لأن يريد بذلك وأما التعريض
مثل أن يقول أما أنا فإزيت أو ليست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة وقال مالك يجب
فيه الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) أولئك
هم الفاسقون) فيه دليل على أن القذف من الكبائر لأن اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة (الا
الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة
وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال
وحسن حاله بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى (الا الذين تابوا وقالوا
هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك
عن عمرو بن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار
والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى أن شهادة المحدث في
القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشرج
وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته مالم يحذف قال الشافعي هو قبل أن يحذف منه حين يحذف
الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاله وتقبلونها في شر حاله وذهب الشافعي الى أن حد القذف
يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة الا أن يعفو عنه
المقدوف فيسقط كالتصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فبما معنى
قوله أبدا قلت معنى أبدا مادام مصر على القذف لان أبدا كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة
الكافر لا تقبل أبدا يراد بذلك مادام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته وقوله عز وجل (والذين يرمون)
أي يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أي يشهدون على صحة ما قالوا (الأنفسهم) أي غير أنفسهم
(فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد
الساعدي ان عويمر الجملاني جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا
أبقتله فقتلونه أم كيف يفعل سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التي سألت عنها فقال عويمر
والله لا أتهدى حتى أسأله عنها فجاءه عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرايت
رجلا وجد مع امرأته رجلا أبقتله فقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله
فيك وفي صاحبك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنامع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فرغامن تلاعنا قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه في الصحيحين زادا في رواية ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به أسحيم أديم العينين عظيم الاليتين خدج الساقين فلا

يكره على ان يبرأ جسد افتشاده أحدهم وغيرهم بالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذي احسب
هو شهادة أحدهم وعلى هذا خبره محدوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله انه لمن الصادقين) فبما ماها به من الزنا

أحسب عويمر الاقد صدق عليها وان جاءت به أحيمر كأنه وحره فلا أحسب عويمر الاقد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى أمه قوله أسحم أي أسود والادعج الشديد سود العين مع سعتها وقوله خدج الساقين أي تمتلئ الساقين غليظهما وقوله كأنه وحره الوحره بفتح الحاء دويبة كالعظاء تلصق بالارض وأراد بها في الحديث المبالغة في قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذارأي أحد على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والاحد في ظهرك فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يرى ظهري من الحد فتزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فامسك فقام هلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منك تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجهة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به أحكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي وطاشان وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكام وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان أهيجمه حتى آتي باربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا نعلمه فانه رجل غيور ماتزوج امرأة قط الابكر او لا طلق امرأته واجترأ رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله باني أنت وأمي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله باني الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عمه له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله اني جئت الى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنابه وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا وانى لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد بجحد هلال وتبطل شهادته فيينا هم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه اذنزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منك تائب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهما فليل هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله اشد من عذاب الآخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجهة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يحذبني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين

(والخامسة) لا خلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير والتسهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه) فهي مبتدأ وخبر (ان كان من الكاذبين) فيأمر ماها به من الزنا

(الكاذبين) فيأرماني به
من الزنا (والخامسة ان
غضب الله عابها ان كان)
أى الزوج (من الصادقين)
فيأرماني به من الزنا ونصب
حفص الخامسة عطفاً
على أربع شهادات وغيره
رفعها بالابتداء وان غضب
الله خبره وخفف نافع ان
لعنة الله وان غضب الله
بكر الضاد ومما في حكم
الثقل وان غضب الله سهل
و يعقوب وحفص وجعل
الغضب في جانبها لان النساء
يستعملن اللعن كثيراً كما
ورد به الحديث فربما
يجترئن على الاقدام لكثرة
جري اللعن على السنن
وسقوط وقوعه عن
قلوبهن قد كرا الغضب في
جانبهن ليكون رادعاً لمن
والاصل ان اللعان عندنا
شهادات مؤكدة
بالإيمان مقرونة باللعن
قائمة مقام حد القذف في
حقه ومقام حد الزنا في
حقها لان الله تعالى سماه
شهادة فاذا قذف الزوج
زوجته بالزنا وهما من أهل
الشهادة صح اللعان بينهما
واذا التعن كما بين في التمهيد
لاصح العرفه حتى يفرق
القاضي بينهما وعند زفر
رحمه الله تعالى تقع

فقال لها عند الخامسة ووقفها اتق الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكات
ساعة وعمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفصح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت
به غلاماً كأنه جل أورق على الشبه المكروه وكان أميراً بمصر لا يدري من أبوه الا ورق هو الابيض وروى
ابن عباس ان عويمراً المالا عن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة صلى
العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله انى
رأيت شريكاً على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها حبلى من غيرى وانى لمن الصادقين
ثم قال في الرابعة أشهد بالله انى ما قرنتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على
عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالتعود ففعل ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد
بالله ما أنا بزانية وان عويمراً من الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله انه ما رأى شريكاً على بطنى وانه لم يلق
الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه ما رأى
قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تمنى نفسها ان كان من الصادقين
ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لى فى أمرهما رأى ثم قال تحينوا
الولادة فان جاءت به أصيب أنيخ يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به أورق جعد اجاليا
خدج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق بشريك هـ بيان حكم الآية ان
الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التمزير ان
كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف أجنبياً أو أجنبية يقام عليه الحد الا ان يأتى بأربعة
يشهدون بالزنا أو يقر المذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد أحدهم ذين أو لاعن سقط عنه
الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البيعة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلاً بما لا يمكنه اقامة البيعة ولا
يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن
الصادقين واذا أقام الزوج بيعة على زناها واعترفت هى بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولد
يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان
فيقول قل أشهد بالله انى لمن الصادقين فيأرميت به زوجتى فلانة من الزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سماه
فى اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولداً وحل يريده نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الحبل لمن الزنا ما هو
منى ويقول فى الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيأرميت به فلانة واذا أتى بكلمة من كلمات
اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت
عليه على التأيد واتقى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فلهذه خمسة أحكام تتعلق
بلعان الزوج ﴿ قوله عز وجل (ويدرأ) أى يدفع (عنها العذاب) أى الحد (ان تشهد أربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عابها من الصادقين) حكم الآية ان الزوج اذا لاعن
وحصل له امرأته حد الزنا فان أرادت اسقاطه عن نفسه ما فاتها نلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم
أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيأرماني به وتقول فى الخامسة على غضب الله ان كان زوجى من
الصادقين فيأرماني به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولوا قام الزوج بيعة لم
يسقط الحد عنها بللعان وعند أصحاب الرأى لا حد على من قذف زوجته بل موجه اللعان فان لم يلاعن

بتلاعنها والفرقة تطليقة بآية وعند ابى يوسف وزفر والشافعى تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان فى هلال
ابن أمية أو عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولاً لشريك بن سحماء فكذبت فلاعن الله صلى الله عليه وسلم بينهما

أولعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد مأفك به على عائشة رضي الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا في غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خالو الهودج خلفتي فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أناهم بعدما نزلوا فهلك في من هلك فاعتلت شهر او كان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفاً كنت أراه حتى عثرت خالة أبي أم مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرني بالافك فلما سمعت ازدادت مرضاوت عند أبي لا ير قالى دمع وما ا كتهل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالى كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام ابشري يا حبيراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك (عصبة) جماعة من العشرة الى الاربعين واعصو صبروا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي راس النفاق وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح

حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخر من اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحمد كقاذف الاجنبى اذا قعد عن اقامة البينة وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفى النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متبادلة حتى لو أ كذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لافيماله فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأييد التحريم وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أ كذب نفسه جازله أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة اذا أتى بكلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح بمينه صح لعانه حرا كان أو عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأ كثر أهل العلم وقال الزهري والاوزاعي وأصحاب الرأي لا يجري اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا في قدف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وأن يكون بمحض رجاعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشئ منها وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الاماكن فان كان بمكة فيبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلولا عن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان ﴿قوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أى لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وان الله ثواب أى يعود على من يرجع على العاصي بالرحمة (حكيم) أى فيما فرضه من الحدود ﴿قوله عز وجل (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الآيات سبب نزولها ما روى عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضها قالوا قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أفرع بين أزواجه فأياها خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمنا حين آذنوا بالرحيل فشببت حتى جاوزت الجيش فمسا قضيت من شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدلى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتفت عقدي فبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفا فلم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ورحلوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استقر الجيش فحسنت منازلهم وليس بهاداع ولا محيب فتيمنت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى فيينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عيني فتمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادخل فأتى فأتى سوادا انسان نام فأتاني فعرفنى حين رأتى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كامنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير

بن ائانة وحنة بنت جحش ومن ساعدهم (منكم) من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين

استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فأنطلق يقودني الراحلة حتى أتينا الجيش بعد
 ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر القاهرة قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد
 الله بن أبي سلول فقد من المدينة فاشتكت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب
 الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريني في وجعي اني لأرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي
 كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريني منه ولا أشعر
 بالشر حتى نقيت نخرجت أنا وأم مسطح قبل المناسع وهي متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل
 أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه وكنا تأذي بالكنف أن نتخذها
 عند بيوتنا فأنطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمه ابنت صخر بن عامر
 خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا عشي فعمرت أم مسطح
 في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بش ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت يا هنتاه ولم تسمعي ما
 قال قلت وما قال فاخبرني بقول أهل الافك فازدت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتي فدخل على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وسلم ثم قال كيف تيكم قلت له أنا ذنبي أن أتى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن
 الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي فقلت لامي يا أمته ماذا يحدث الناس به
 فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضية عند رجل يحبها ولها ضرا لا كثر
 عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا
 أكحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين
 استلبث الوحى يستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من راءة أهله والذي يعلم لهم في
 نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعم والله الا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم
 يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
 فقال أي بريرة هل رأيت من شئ يريبك من عائشة قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا
 قط أغمضه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عيبي أهلها فيأتي الداجن فيأكله قالت فقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو على المنبر من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ما علمت على
 أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلي الا معي قالت فقام سعد بن
 مساذ أحد بني عبد الاشهل فقال أنا أعذرک منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضر بنا عنقه وان كان من
 اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت
 عمه من نخذه وكان رجلا صالحا لو كن احتملته الحية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر
 على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لا تقتله
 فانك منافق تجادل عن المنافقين فتشاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله
 عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومى
 ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم فاصبح عندي أبوي
 وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء قالني كبدي قالت فيينا هما جالسان عندي وأنا أبكي
 اذا ستأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فيينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فلم يجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهر الا يوحى اليه في شأني
 بشئ قالت فتنهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان

كنت بريئة فسيرتك الله وان كنت ألمت بذنب فاستغفرني الله وتوبني اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمي حتى ما أحس منه قطرة وقلت لا بى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لا بى أجيب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن انى والله لقد علمت انكم سمعتم ما يحدث به الناس حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لاتصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه بريئة لاتصدقونى فوالله ما أجلى ولكم مثلاً الا يا يوسف اذا قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا والله حينئذ أعلم انى بريئة وان الله مبرئى براءتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله فى شأنى وحياتى لى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى أمري يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤى يبرئنى الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحداً من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاق من ثقل القول الذى أنزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لى يا عائشة احدى الله فى رواية قال أبشرى يا عائشة اما الله فقد برأك فقالت لى أمى قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحد الا الله هو الذى أنزل براءتى قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الايات فانزل الله عز وجل هذه الايات فى براءتى قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثالة لقربته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة فانزل الله ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله بغفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح الذى كان يجرى عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يازينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامىنى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فصمعه الله بالورع وطفقت أختها حنة تخارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرهط زادنى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فى الذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعدنى سبيل الله شهيداً هذا حديث متفق على صحته أخرجاه فى الصحيحين زاد البخارى فى رواية عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى بن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقررره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لى من أهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثالة وحنة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان يشدها شعر ابنت من أبنائه فقال

حصان رزان ما نزن بريئة * وتصبح غرني من لحوم الغوافل

فقلت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها ان اذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأى عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح أورهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * حل غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثنى طائفة أى قطعة من حديثها قوله كان او عى اى احفظ له قولاً أى اءلم بالرحيل قولها فاذا عقد لى من جزع اظفار هو نوع من الخرز

وهو الحجر المسمى المعروف قوطا لم يهبلن أي يكثر لجهن من السمن فيشقلن قوطا انما يا كلن العلقه من الطعام هو بضم العين أي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمكك لرمق قوطا وليس بها منهم داع ولا يحجب أي ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قوطا فتيمت أي قصدت قوطا قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سيرا آخر الليل وبالتخفيف سيرا الليل كله قوطا باسترجاعه هو قوله انا لله وانا اليه راجعون قوطا غمرت أي غطيت وجهي بجلبابي أي ازارى قوطا موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أي أوطا قوطا والناس يفيضون أي يخوضون ويتعدون قوطا وهو ير بنى يقال رابى الشيء ير بنى أي شككت فيه قوطا ولا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف أي الرفق بها واللطف في الأفعال الرفق وفي الأقوال لين الكلام قوطا حتى نقيت أي أقيت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف أو خز قوطا تعس مسطح أي عثرو هو من الدعاء على الإنسان أي سقط لوجهه قوطا ياهنتاه أي بلهاه كأنها تنسبها إلى البله وقلة المعرفة قوطا لا يرقألى دمع أي لا ينقطع وقول بريرة أن رأيت بمعنى النفي أي ما رأيت منها أمرا أنعمه بالصاد المهملة أي أعيبه والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني أي من يقوم بعذري أن أنا كافأته على سوء صنيعه أن عانت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك قوطا وكانت أم حسان بنت عمه من غفده أي من قبيلته قوطا ولكن أحفلته الجية أي حمله الغضب والافتة والتعصب على الجهل للقراءة قوطا فتشاور الحيان أي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قوطا فلم يزل يخفضهم أي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم أن كنت ألمت قيل هو من اللم وهو صغار الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل قوطا قلص دمي أي انقطع جريانه قوطا مارام أي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجعها جان فسرى عنه أي كشف عنه وقول زينب أحي سمي وبصرى أي أمتعها من أن أخبر بما لم أسمع ولم أبصر قوطا وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أي من ستر أتي قوله ويستوشيه أي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عائشة حسان بفتح الحاء يقال امرأة حسان أي متعففة رزان أي ثابتة ما تزن أي ترمى ولا تهم بريئة أي بأمرير يب الناس حيية وتصبح غرقي أي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى أنها لا تعقاب أحدا من هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان أنه كان ينافع أي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل أن الذين جاؤا بالافك أي بالكذب والافك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصبه أي جماعة منكم أي عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن أبي بن سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب إلى الإيمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الأغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحنة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شرالكم) يعني الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولأبويها وللنبي صلى الله عليه وسلم وصفوان (بل هو خير لكم) يعني أن الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبه وأوجب لهم التدم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) أي من العصبه الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وأقام باشاعته وهو عبد الله بن أبي بن سلول (منهم) من العصبه (له عذاب عظيم) يعني عذاب النار في الآخرة روى أن النبي صلى الله عليه

(لا تحسبوه) أي الافك
(شرالكم) عند الله (بل هو خير لكم) لأن الله أنابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثمانى عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساء ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي على كل امرئ من العصبه جزاء اثم على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (والذي تولى كبره) أي عظمه عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصبه (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكى أن صفوان من يهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها ثم رجع الخاضعين فقال

(لولا) هلا (اذسمعتموه) أى الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) بالذين منهم قائلون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا أنفسكم (خيرا) عفا فاصلا وذلك نحو ما يروى ان عمر رضى الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام أيا قاطع بكذب المنافقين لان الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك لانه يقع على الجاسات فيتلطخ بها فلعصمك الله من ذلك القدر من القدر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان ان الله ما وقع ظلك على الارض لتلاضع انسان قدمه على ذلك الظل فلمالم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجته وكذا قال على رضى الله عنه ان جبريل أخبرك ان على نعليك قدرا وأمر بك باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القدر فكيف لا يأمر بك باخراجهما بتقدير أن تكون متلطخة بشئ من الفواحش وروى أن أبا أيوب الانصارى قال لامرأته ألا ترى ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أ كنت تظن بحرم رسول الله سوا وقال لا قالت ولو كنت أبادل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير منى وصفوان خير منك وإنما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم لي بالغ في التوبيخ بطريق الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على أن الاشتراك فيه يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الادب (٣٤٣) الحسن الذى قل القائم به والحافظ له

وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوانه (قالوا هذا افك مبین) كذب ظاهر لا يليق بهما (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء (فأذلم يأتوا بالشهداء) فالشهداء (الأربعة) (فاللثك عند الله) أى فى حكمه وشر بعته (هم الكاذبون) أى القاذفون لان الله تعالى جعل التفصيلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة واتفاؤها والذين رموا عائشة رضى

وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا والحد جميعا ثمانين ثمانين قوله عز وجل (لولا اذسمعتموه) أى الحديث الكذب وهو قول أهل الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم وأهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذا سمعوا قول أهل الافك أن يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة وقول الزور فمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين (وقالوا هذا افك مبین) أى كذب بين لا حقيقة له (لولا) أى هلا (جاؤا عليه) أى على ما زعموا (بأربعة شهداء) أى يشهدون بذلك (فأذلم يأتوا بالشهداء) فاللثك عند الله (أى فى حكم الله) (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواج فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت قلت قيل هذا فى حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فاللثك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى وقيل معناه فاللثك عند الله فى حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يأت بالشهود يجب زجره قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا انى قضيت أن أنفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جلتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة عن تاب (اذ تلقونه بالسننكم) أى يرويه بعضهم عن بعض وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقى به بعضهم على بعض (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى من غير أن تعلموا انه حق (وتحسبونه هينا) أى وتظنون انه سهل لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) أى فى الوزر (ولولا اذسمعتموه قلتم ما يكون لنا أن تتكلم بهذا سبحانه) قيل هو للتعجب

الله عنهم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا هذه الامتناع الشئ لوجود غيره بخلاف ما تقدم أى ولولا انى قضيت ان أنفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جلتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحديث وخاض وان دفع (اذ) ظرف لمسكم أو لافضتم (تلقونه) يأخذ به بعضهم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه (بالسننكم) أى ان بعضهم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) انما قيدوا بالفواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قول لا يدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم (وتحسبونه هينا) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها (هينا) صغيرة (وهو عند الله عظيم) كبيرة جزع بعضهم عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلا (اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن تتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شأنها وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها الوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها وقائدة تقديم الظرف انه كان الواجب عليهم أن يتفادوا ولما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهتم قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك ما يصح لنا أن تتكلم بهذا (سبحانك)

للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله عند رؤيته العجيب من صنائه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أولئك من الله من ان تكون حرمته نبيه فاجرة وانما جاز ان تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولو لم يجز ان تكون فاجرة لان النبي مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب ان لا يكون معه ما يفرهم عنه والكفر غير منفرد عندهم وأما الكشخنة فن أعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يهت من يسمع (عظيم) وذ كرفيات قدم هذا الفك مبین ويجوز ان يكونوا امرأهم مبالغ في التبري (يعظمكم الله ان تعودوا) في ان تعودوا (لمثله) لمثل هذا الحديث من القذف واستماع حديثه (أبدا) مادمت احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهيج لهم ليتعطوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصادق عن كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والاداب الجميلة (والله عليم) بكم وباعمالكم (حكيم) يجزي على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم براءتها (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) أي ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد

(٣٤٤)

الاشاعة ومحبة لها (لهم عذاب أليم في الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور ومراثر الصدور (وأتم لا تعلمون) أي انه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لجعل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعالجة بالعقاب مع حذف الجواب بمبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم (وان الله رؤف) حيث أظهر براءة المقدوف وأتاب (رحيم) بغفرانه جنابة القاذف اذا تاب (يا أيها الذين آمنوا)

وقيل هو للتنزيه (هذا بهتان عظيم) أي كذب عظيم يهت ويحير من عظمه روى ان أم أيوب الانصاري قالت لابي أيوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال سبحانه هذا بهتان عظيم فترات الآية على وفق قوله (يعظمكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل إنها كم الله (ان تعودوا والمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) أي في الامر والنهي (والله عليم) أي بأمر عائشة وصفوان (حكيم) أي حكم براءتهما ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا ويذيع (في الذين آمنوا) قيل الآية مخصوصة عن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من أحب ان تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (لهم عذاب أليم في الدنيا) يعني الحد والذم على فعله (والآخرة) أي وفي الآخرة لهم النار (والله يعلم) أي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وأتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازه على ذلك وأتم لا تعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يزيد مسطحا وحسان بن ثابت وحنة (وان الله رؤف رحيم) ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ومساكنه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) أي بالقبايح من الأقوال والأفعال وكل ما يكره الله عز وجل والآية عامة في حق كل أحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا) أي ما طهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يزكي) أي يظهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أي لا قوالكم (عليم) أي بما في قلوبكم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولا يأتل) أي ولا يحلف من الآلية وهي القسم (أولوا الفضل منكم والسعة) يعني الغني يعني أبا بكر الصديق (ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدر يا ابن خالة أبي بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينطق عليه فانزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) أي عن خوض مسطح في

لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ووساوسه بالاصغاء الى الافك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) فان الشيطان (يأمر بالفحشاء) ما أفرط قبحه (والمنكر) ما تنكره النفوس فتتفر عنه ولا ترضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة المعصية لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك (ولكن الله يزكي من يشاء) يظهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمايرهم واخلاصهم (ولا يحلف من أتلى اذا حلف افتعال من الآلية ولا يقصر من الالو) (أولوا الفضل منكم) في الدين (والسعة) في الدنيا (ان يؤتوا) أي لا يؤتوا ان كان من الآلية (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شعناء لجناية اقترفوها (وليعفوا وليصفحوا) العفو الستر والصفح الاعراض أي وليستجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة

(ألتحبون ان يغفر الله لكم) فليفعلاوبهم ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بادب الله واغفروا وارحوا نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح ابن خاتمه لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدر يامهاجر اولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) السليبات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنه هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع للمؤمنات اذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من (٣٤٥) نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكانه قذفهن (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والعامل في (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبالياء حمزة وعلى (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي بما أفكوا أو بهتوا والعامل في (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبي يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بان ينتصب على المدح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) لارتفاع

أمر عائشة (ألتحبون) يخاطب أبا بكر (أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بن نفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها عنه أبدا وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولو الفضل وقوله ألتحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومربته منها انه احتل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر وليعفووا وليصفحوا فدل ان أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ﴿قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) أي العفائف (الغافلات) أي عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي في الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وروى عن خفيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأوا الذين يرمون المحصنات الى قوله نابوا فجعل طولاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا الآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل ان يختم على أفواههم (وأيديهم وأرجلهم) بروى انه يختم على الأفواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) أي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن أبي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين ﴿قوله عز وجل (الخبينات للخبين)﴾ قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبين من الناس ومثله (والخبثون) أي من الناس (للخبثات) من القول (والطيبات) أي من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب

(٤٤ - (خازن) - ثالث) الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغفل الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في أفك عائشة رضي الله عنها فوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكد وكرر وما ذاك الا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بشو به ومريم رضي الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآي العظام في كتابه المعجز المتلوعلى وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أوائك وما ذلك الا لظهار علو منزلة رسوله والتفنيه على اناقة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبثات) من القول تقال (للخبين) من الرجال والنساء (والخبثون) منهم يتعرضون (للخبثات) من القول وكذلك (والطيبات

للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون) أي فيهم وأولئك إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلام وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها ومارسيت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الأفك وإن يراد بالخبيثات والنساء الخبيثات يتزوجن الخبيثات وتتزوج الخبيثات وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) (٣٤٦) مستأنف وأخبر بعد خبر (ورزق كريم) في الجنة ودخل ابن عباس رضي الله

عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافي لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم وثلا الآية فغشي عليها فرجاء مئلا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أعطيت تسعاً أعطيتن امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام أن يتزوجني وتزوجني بكر أو مات تزوج بكر أو غيري وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجرى وقبري في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وينزل عليه الوحي وأنا في لحافه ولنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذري من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريمًا وقال حسان معتذرا في حقها حصان رزان مازن بريته • ونصح غرني من لحوم العوافل حليلة خير الناس ديناً ومنصبا • نبي

من القول لا يليق إلا بالطيب من الناس وعائشة لا يليق بها الخبيث من القول لأنها طيبة فيضاف إليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث إلا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قد فوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول إلا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برؤوا بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء والخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤن) يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزّهون (مما يقولون) يعني أصحاب الأفك (لهم مغفرة) أي عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة روي أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطيها امرأة غيرها منها أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقه حرى وقال هذه زوجتك وروى أنه أتى بصورتها في راحته ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرًا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت راءتها من السماء وأنها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريمًا وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذنه أني داخل وقيل هو من آنت أي أبصرت وقيل هو أن يتكلم بتسبيحة أو يتنحجح حتى يعرف أهل البيت (وتسلموا على أهلها) بيان حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد الاستئذان والسلام واختلّفوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم كافي الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال لا كثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروى عن كند بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرجع فقل السلام عليكم أدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربيع بن خراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال أجلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أخرج إلى هذا فاعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أدخل فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي موسى قال أبو سعيد كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على

الهدى والمكرمات الفواضل عقيلة محي من لؤي بن غالب • كرام المساعي مجدها غير زائل مهديّة قد طيب الله خيمها • وطرهها من كل شين وباطل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم) أي بيوتكم تملكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قرأ به والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرًا مكشوفًا أي حتى تستعلموا أطلاق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبير أو بتحميدة أو بتنهج (وتسلموا على أهلها) والتسليم أن يقول السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فإن أذن له والأرجح وقيل إن تلاقيًا يقدم التسليم والأفلاستئذان

(ذلكم) أي الاستئذان والتسليم (خير لكم) من نحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حينئذ صباحا وحينئذ مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في الخاف واحد (اعلمكم تذكرون) أي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتعظوا وتعملوا ما أمرتم به في باب الاستئذان (فإن لم تجدوا فيها) (٣٤٧) في البيوت (أحدا) من الآذنين

(فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من ياذن لكم أو فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بآذن أهلها لأن التصرف في ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه (وان قيل لكم ارجعوا) أي إذا كان فيها قوم فقلوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلجوا في إطلاق الأذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تنفقوا على الأبواب لأن هذا مما يجلب الكراهة فإذا نهى عن ذلك لادائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من فرع الباب بعنف والتصحيح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط (هو أذكي لكم) أي الرجوع أطيب وأظهر لمخافيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأمن خيرا (والله بما تعملون عليم) وعيد للمخاطبين بأنه عالم بما ياتون وما يذرون عما خطبوا به فوقف جزاء عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا) في

عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله اتقي من عليه ينة منكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقامت معي فأخبرت عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الأول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع * عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستورا أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فإن ذلك له أذن أخرجه أبو داود وقيل إذا وقع بصره على إنسان قدم السلام والاقدم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم بدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن علي أمي قال نعم فقال الرجل اني معي في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أنتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ مراسلا * وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير إذن (اعلمكم تذكرون) أي هذه الآداب فتملأوا بها * قوله عز وجل (فإن لم تجدوا فيها) أي في البيوت (أحدا) أي ياذن لكم في دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أي في الدخول (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعني إذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقلوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أذكي لكم) أي الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فإن للناس أحوال وأحوال يكرهون الدخول عليهم في تلك الأحوال وإذا حضر إلى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتي دور الانصار اطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج إليه الرجل فإذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني بمكانك فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم وإذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه إذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من بنجر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرري يرجل وفي رواية يحك برأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطغت به في عينك إنما جعل الأذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن ينفقوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن خذفته ففقت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح (والله بما تعملون عليم) أي من الدخول بالأذن ولما نزلت آية الاستئذان قلوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكنة قال تعالى (ليس عليكم جناح) أي اثم (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أي بغير استئذان (فيها متاع لكم) أي منفعة لكم قيل إن هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤروا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وإيواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحواليهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لأن الاستئذان إنما جعل لئلا يطالع على عورة فإن لم يخف ذلك جازله الدخول

أن تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على دخولها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوالي التجار (فيها متاع لكم) أي منفعة كالاستئذان من الحر والبرد وإيواء الرجال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات بجزء فيها والمتاع التبرز

(والله يعلم ما تبدون وما كنتم صامتون) وعيد للذين يدخلون المحرمات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من التبعض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر إلى وجهه الأجنبية وكفها وقدمها في رواية وإلى رأس المحارم والصدر والساقين والعصدين (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أي أظهر من دنس (٣٤٨) اللهم (إن الله خير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب يعني أنه خير بأحوالهم

وأفعالهم وكيف يحلون أبصارهم يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا متقويين على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بغض الأبصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبية إلى ما تحت سرته إلى ركبتيه وإن اشتت غضت بصرها رأسا ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغض بصرها من الجانب أصلا أولى بها وإنما قدم غض الأبصار على حفظ الفروج لأن النظر يريد الزنا ورأى الفجور فبذر الهوى طموح العين (ولا يبدن زينتهن) الزينة ما تزينت به المرأة من حل أو كحل أو خضاب والمعنى لا يظهرن مواضع الزينة وهي الحلى ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها لاظهارها ومواضعها لاظهار أعيانها ومواضعها الرأس والأذن والعنق

بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما كنتم صامتون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أي عمالا يحل النظر إليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنا للتبعض لأنه لا يجب الغض عما يحل إليه النظر وإنما أمروا أن يغضوا عما لا يحل النظر إليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال أصرف بصرك عن بريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وأنت لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل إلى عورة المرأة ولا المرأة إلى عورة الرجل ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد (وقوله تعالى) (ويحفظوا فروجهم) أي عمالا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا لا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فإن قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على أن أمر النظر أوسع الأثرى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وذيبيهن وأعضادهن وأقدمهن وكذلك الجوارى المستعرضات في البيع والأجنبية يجوز النظر إلى وجهها وكفها للحاجة إلى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكفاك أن أبيع النظر إلا ما استثنى منه وحظر الجماع إلا ما استثنى منه فإن قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لأن النظر يريد الزنا ورأى الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراز منه (ذلك أزكى لهم) أي غض البصر وحفظ الفرج (إن الله خير بما يصنعون) أي أنه خير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يحلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم (وقوله عز وجل) (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي عمالا يحل لمن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث إذا قبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعشى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وإن أنما ألتما تبصرنا ما أخرجه الترمذي وأبو داود (وقوله تعالى) (ولا يبدن) أي لا يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلادة في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة النظر إلى مواضعها من البدن (الماظهر منها) أي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الأجنبي النظر إليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات إذا لم يخف فتنة وشهوة فإن خاف شيئا من ذلك غض البصر وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضر بن نخمرهن) أي ليلقبن بمقانعهن (على جيوهن) أي موضع الجيب وهو النحر والصدر أي ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم

والصدر والعقدان والذراع والساق فهى للأكليل والقرط والقلادة والوشاح والسوار والدمليج والخلخال (الماظهر منها) الله الاماجرت العادة والجليلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان في سترها خرج بين فان المرأة لا تجدد بدنها من مزاوله الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن (وليضر بن) وليضربن من قولك ضربت يدي على الحائط اذا وضعتها عليه (نخمرهن) جمع نخار (على جيوهن) بضم الجيم مدني وبصري وعاصم كانت جيوهن واسعة تبد منها صدورهن وما حو إليها كن يسدن الخمر من ورائها فتبقى مكشوفة فامر ان يسدنها

قدامهن حتى تغطيهن (ولا يبدن زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (الابعولتهن) لازواجهن جمع
بعول (أو آبائهن) ويدخل فيه الاجداد (أو آباء بعولتهن) فقد صاروا محارم (٣٤٩) (أو آبائهن) ويدخل فيهم النوافل

(أو أبناء بعولتهن) فقد صاروا محارم أيضا (أو اخوانهن أو بنى اخواتهن) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوان وغيرهم دلالة (أو نسائهن) أي الحرائر لان مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (أو ماملكت أيمانهن) أي امائهن ولا يحل لعبدها أن ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان أو عنيئا أو غلاما وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر اليها لعبدها (أو التابعين غير بالنصب شامي ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية (أولى الاربة) الحاجة الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم به لا يعرفون شيئا من أمرهن أو شيوخ صلحاء أو العنين أو الخصى أو الخنثى وفي الاثر انه المحبوب والاول الوجه (من الرجال)

الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضر بن بخمرهن على جيوبهن شققن سروطنهن فاخترن بهما المرط كساء من صوف أو خردكتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع (ولا يبدن زينتهن) يعني الخفية التي لم يبح لمن كشفها في الصلاة وللأجانب وهي ماعد الوجه والكفين (الابعولتهن) قال ابن عباس لا يضمن الجلباب والخمار الا لازواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو آبائهن أو بنى اخواتهن أو بنى اخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر الى فرجها (أو نسائهن) أي المؤمنات من أهل دينهن أراد به أنه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الاما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولانها أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الاجنبي كتب عمر ابن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز أن تكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء (أو ماملكت أيمانهن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاه الاما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدن زينتهن للتابعين الا اذا الاربة منهم فانهم لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لاهمة لهم الا ذلك فلا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الاحق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المحبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهب شهوته وقيل هو الخنثى (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نساءه وهو نعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت ثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليك فاحجبوه زاد أبو داود في رواية وأخرجوه الى البيت ايدخل كل جعة فيستطم قوله أقبلت باربع أي ان طاف في بطنها ربع عكن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن (أو الطفل الذين لم يظهر واعي عورات النساء) أي لم يكشفوا عن عورات النساء لاجتماع فيطلع عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرهما من الصغرو قيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يغفلوا احد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبي الممحتلم (ولا يضر بن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها لسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال و يصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى

حال (أو الطفل الذين) هو جنس فصلح أن يراد الجمع به (لم يظهر واعي عورات النساء) أي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه أو لم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه (ولا يضر بن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقة خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ سمع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمي

وغيره على فتح الهاء ولان
بعدها ألفا في التقدير
(لعلكم تفلحون) العبد لا
يخلو عن سهو وتقصير في
أوامره ونواهيه وان
اجتهد فلذا وصى المؤمنين
جميعا بالتوبة وتأميل
الفلاح اذا تابوا وقيل
احوج الناس الى التوبة
من توهم انه ليس له حاجة
الى التوبة وظاهر الآية
بدل على ان العصيان لا
ينافي الايمان (وانكحوا
الاياى منكم) الاياى جمع
ابم وهو من لا زوج له رجلا
كان أو امرأة بكرة كان
أو ثيبا وأصله اياىم فقلت
(والصالحين) أى الخيرين
أو المؤمنين والمعنى زوجوا
من تأيم منكم من الاحرار
والحرار ومن كان فيه
صلاح (من عبادكم
وامانكم) أى من غلمانكم
وجوارىكم والامر للندب
اذا النكاح مندوب اليه
(ان يكونوا فقراء) من
المال (يفهم الله من فضله)
بالكفاية والقناعة أو
باجتماع الرزقين بالنكاح
وعن عمر رضى الله عنه
روى مثله (والله واسع)
غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء
الحلائق (عليم) يسط
الرزق لمن يشاء وقيل في
الآية دليل على ان تزويج

ليعلم ما يخفين من زينت فنبه به على ان الذى لاجله نهى عنه ان يعلم به ما علم من الحلى وغيره (وتوبوا
الى الله جميعا) أى من التقصير الواقع في أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب
المدكورة في هذه السورة قيل ان أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان
ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعده بالفلاح
اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الاغراغر مزينة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لا توب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة في
اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لندرس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفرلى وتب على انك
أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حيد الكشى (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد اضله في أرض فلاة (م) عن أبى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه في قوله عز
وجل (وانكحوا الاياى منكم) جمع الايام يطلق على الذكروالانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم
(والصالحين من عبادكم) أى من عبيدكم (وامانكم) بيان حكم الآية الامر المذكور في الآية أمر نذوب
واستحباب لا جاع السلف عليه فيستحب لمن تافت نفسه الى النكاح ووجد اهله ان يتزوج وان لم يجد
اهله يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من
استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء
الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو رضى الانثيين وهو نوع من الخصاصه الصوم في
قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل عن مقعل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تزوجوا الودود الولود فاني مكاثركم الامم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (م) عن عبد الله بن عمرو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة مامن لا تتوق نفسه الى النكاح
وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعى وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال
الشافعى قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحسورا وهو الذى لا يأتى النساء وذكر القواعد من
النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الآية دليل على ان تزويج الاياى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان
تزوج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر
وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح
وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعى وأحمد
واسحاق وجوزأصحاب الرأى للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها
وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روى عن أبى موسى الاشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال إنما امرأة تكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فليها المهر بما استحل
من فرجها فان تشاحوا فالسلطان ولي من لاولى له وقوله تعالى (ان يكونوا فقراء يفهم الله من فضله)
قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجب لمن يبتغى
الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يفهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد
الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يفهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يفهم
الله كلا من سعة (والله واسع) أى انه ذو الافضل والجود (عليم) أى بما يصلح خلقه من

(وليستعفف الذين) وليجتهدوا في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يجدون نكاحا) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولها بما يصم من الفتنه ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غرض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغني عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند المجز عن النكاح الى أن تقدر عليه (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت

(٣٥١)

الرزق ﴿ قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) أي يوسع عليهم من رزقه (والذين يبتغون الكتاب) أي يطلبون المكاتبه (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية أن غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكانت حويطب على مائة دينار وذهب له منها عشر بن دينار فأداهما وقتل يوم حنين في الحرب * بيان حكم الآية وكيفية المكاتبه وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدي ذلك في نجمين أو في نجوم معلومة في كل نجم كذا فإذا أدت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحرى بمكاسبه بعد الكتابة وإذا عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيدته لا روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم أخرجه أبوداود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر إيجاب يجب على السيد أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا إذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وإن سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لا روى أن سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فأنطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضر به بالدرية وتلاف فكاتبوهم (ان علمتم فيهم خيرا) فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى أنه أمر ندب واستحب ولا يجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوزار فاقا بالعبد ومن تهاه الأرفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل لا روى أن عبد السلام الفارسي قال له كاتبتك قال لك مال قال لا قال تريد أن تطعمني أو ساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الا كتساب مع الأمانة فاحب أن لا يمنع من المكاتبه اذا كان هكذا وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والنكاح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلا بالغافا بالصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق ﴿ وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو خطاب للوالى فيجب على السيد أن يحط عن مكاتبه

الكتاب فالذين مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للتدب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبه كالعتاب والمكاتبه وهو أن يقول لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداه عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجما لاطلاقه الامر (ان علمتم فيهم خيرا) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندبية معلقة بهذا الشرط (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله

تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حظوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه التدب والاول الوجه لان الايتاء هو التملك فلا يقع على الخط سأل صبيح مولاه حويطب أن يكاتبه فأبى فترت واعلم ان العبيد أربعة فثلاثة من مقتني للخدمة وما ذون في التجارة ومكاتب وأبق فثالث الاول والى العزلة الذي حصل العزلة بإيثار الخلوة وترك العشرة والثاني والى العشرة فهو نجى الحضرة يخاط الناس بالخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ بالله ويعطى في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدين اسوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومنجاءه والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن في الناس بطواهره بائن منهم بسرايره فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطنانهم وصاهم فيما لهم عليه الله ظاهرا

وما هو منهم بالعيش فيهم • ولكن معدن الذهب الرغام
 السماوات والأرض قائمات بأمره وكأنه قيل فيه
 أصنى وأحلى وحال ولي العشرة أوفى وأعلى ونزل الأول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان أما النبي عليه الصلاة
 والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشكرين وتجمع الحالين ومنبع الزلازل فباطن أحواله مهتدى ولي العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولي
 العشرة والثالث المجاهد المحاسب (٣٥٢) العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه في اليوم والليلة خمس وفي

المائتين درهما خمسة وفي
 السنة شهر وفي العمر زورة
 فكانه اشترى نفسه من
 ربه بهذه النجوم المربنة
 فيسقى في فكاه رقبته
 خوفاً من البقاء في ربة
 العبودية وطمعاً في فتح
 باب الحرية ليسرح في
 رياض الجنة فيتمتع بمباه
 ويفعل ما يشاؤه ويهواه
 والرابع الأباقي فأن أكثرهم
 فهم القاضي الجائر والعالم
 غير العامل والعامل المرائي
 والواعظ الذي لا يفعل
 ما يقول ويكون أكثر
 أقواله الفضول وعلى كل
 ما لا ينفعه صول فضلاء
 السارق والزاني والغاصب
 ففهم أخبر النبي عليه
 الصلاة والسلام أن الله
 لينصر هذا الدين بقوم
 لا أخلاق لهم في الآخرة
 (ولا تكرر هو أفتياتكم
 على البغاء) كان لابن أبي
 ست جوار معاذة ومسيكة
 وأميمة وعمرة وأروى

من مال الكتابة شيئاً وهو قول عثمان وعلي والزبير وجاعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل
 يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعاً وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل
 عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلامه على خمسة وثلاثين ألف درهم
 فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبيرة كان ابن عمر إذا كاتب
 مكاتبه لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يهجز فيرجع إليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب
 وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله
 الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم
 وقيل هو حث لجميع الناس على مؤتسم واختلاف العلماء فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب
 كثير منهم إلى أنه يموت رقيقاً وترفع الكتابة سواء ترك مالاً أو لم يترك وهو قول عمرو بن عمرو وزيد بن
 ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم إن ترك وفاء ما بقي
 عليه من مال الكتابة كان حراً وإن فضل له مال كان لولاده الأحرار وهو قول عطاء وطاوس والنعوى
 والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه
 معلق بالأداء وقد وجد وتبعه أولاده وأكسبه كافي الكتابة الصحيحة لأن الكتابة الصحيحة لا يملك
 المولى فسخها مالاً يهجز المكاتب عن أداء النجوم وقوله تعالى (ولا تكرر هو أفتياتكم) أي أماءكم (على
 البغاء) أي الزنا (إن أردن تحصناً) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجاريته
 أذهبي فابغينا شيئاً قال فأزل الله ولا تكرر هو أفتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً وفي رواية أخرى إن
 جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك إلى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله ولا تكرر هو أفتياتكم على البغاء إلى قوله غفور رحيم وقال المفسرون أنزلت
 في عبد الله بن أبي بن سلول المناقق كانت له جارتان يقال لهما أمسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا
 لضرية يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون أماءهم فلما جاء الإسلام قالت معاذة
 لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن بك خبر أفقد استكثرتا منه وإن بك شرا فقد أن لنا
 أن ندعه فأزل الله هذه الآية وروى أن أحدي الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما
 أرجعا فإنيا أفقتا والله لا نفعل قد جاء الإسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا إليه
 فأزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله إن أردن تحصناً على أقوال أحدها أن الكلام ورد على
 سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الآية فخرج النهي على صفة السبب وإن لم يكن شرطاً فيه الثاني أنما شرط
 إرادة التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن فاما إذا لم ترد المرأة التحصن فأنها تبغى بالطبع
 طوعاً والثالث أن إن بمعنى أي إذا أردن وأيس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردن

وقتيلاً يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب
 فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو
 مصدر لبغت (إن أردن تحصناً) تعففاً عن الزنا وانما يفيد هذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن فأمر المطيعة للبغاء
 لا يسمي مكرهاً ولا أمراً إكراهاً ولا نهياً نزلت على سبب فوق وقع النهي على تلك الصفة وفيه توخي للموالى أي إذا رغبت في التحصن فاقم
 أحق بذلك

(لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتبتغوا باكرههن على الزنا أجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فإن الله من بعدا كراههن غفور رحيم) أي لمن وفي مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لمن والله لمن والله ولعل الا كراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذي يخاف منه التلف فكانت آثمة أولهم اذا تابوا (واقدا نزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء مجازي وبصري وأبو بكر وحجاد والمراد الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الاحكام والحدود وجاز أن يكون الاصل ميينا فيها فانسع في الظرف أي أجرى مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسر هاء غيرهم أي بينت هي الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لدى عيني * (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) ومثلا من أمثال من قبلكم (٣٥٣) أي قصة عجيبة من قصصهم

كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذنهم بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعود والمثل أبدا (للمتقين) أي هم المتفهمون بها وان كانت موعظة لكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعمش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشواضائه حتى تضيء له السموات والارض

تحصنا كقوله وأتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أي اذ كنتم مؤمنين القول الرابع ان في هذه الآية تقديم وتأخير تقديره وانكحوا الايامي منكم ان أردن تحصنا ولا تكرر هو اقيتاكم على البغاء (لتبتغوا) أي لتطلبوا (عرض الحياة الدنيا) أي من أموال الدنيا يريد كسبها وبيع أولادهن (ومن يكرههن) يعني على الزنا (فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم) يعني بالكرهات والوزر على المذكور وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لمن والله لمن والله قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) أي من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أي شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلاهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) أي المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر قوله عز وجل (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون ويهتدي به من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء باللائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه من زين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكّر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مرويلة * فقد سار عن نورها وجالها

(مثل نوره) أي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمي طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا (كشكوة) هي الكوة التي لا منفذ لها قيل هي بلغة الحبشة (فيها مصباح) أي سراج وأصله من الضوء (المصباح في زجاجة) يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب دري) من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري أي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوا من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدر أي أحد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد قيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (توقد) أي اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادم وهو

(٤٥ - (خازن) - ثالث) وجاز ان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة (كشكوة) كصفة شكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج ضخم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج شامى بكسر الزاي (الزجاجة كأنها كوكب دري) مضى بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلى كأنه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبو بكر وحزة شبه في زهرته باحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما (توقد) يات تخفيف حزة وعلى وأبو بكر الزجاجة يوقد بالتخفيف شامى وناقم وحفص ويوقد بالتشديد مكي وبصري أي هذا المصباح (من شجرة) أي ابتداء تقويه من زيت شجرة الزيتون يعني رويت ذبالبته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع

بدل من شجرة نعمها
(لأشرفية ولاغربية)
أي منبتها الشام يعني ليست
من المشرق ولا من المغرب
بل في الوسط منها وهو الشام
وأجود الزيتون زيتون
الشام وقيل ليست مما تطلع
عليه الشمس في وقت
شروقها أو غروبها فقط بل
تصيرها بالغداة والعشي جميعا
فهى شرقية وغربية
(يكاد زيتونها) (يضيء
ولولم تمسه نار) وصف الزيت
بالصفاء والوميض وأنه
لثلاث لونه يكاد يضيء من غير
نار (نور على نور) أي هذا
النور الذي شبه به الحق
نور متضاعف قد تناصر
فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت حتى
لم يبق بقية مما يقوى النور
وهذا لأن المصباح إذا
كان في مكان متضائق
كالمشكاة كان أجمع لنوره
بخلاف المكان الواسع فإن
الضوء ينتشر فيه والتعديل
أعوان شئ على زيادة الأنارة
وكذلك الزيت وصفه فأنه
وضرب المثل بكون يدي
محسوس معهود لا يعلى غير
معين ولا مشهود فابو تمام
لما قال في المأمون أقام عمرو
في سباحة حاتم في حلم
أحنف في ذكاء أياس قيل
له أن الخليفة فرق من مثله
بهم فقال من نجل لا تذكروا

أصنى الأدهان وأضوؤها وقيل أنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لأنها
الأرض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن ثابت وأنى أسيد الأنصاري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة أخرجه الترمذى **❦** وقوله (لأشرفية
ولاغربية) أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس
بالغداة إذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية
غربية تأخذ حظا من الأمرين فيكون زيتها أضوا وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه أنها ليست في
مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضجعة لا يصيبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه أنها معتدلة
ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لأن الشام وسط الأرض لأشرف
ولاغربى وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لأنها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما
هو مثل ضرب به الله لنوره (يكاد زيتها يضيء) أي من صفاته (ولولم تمسه نار) أي قبل أن تمسه النار (نور
على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة

❦ فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه
أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلال إلى أقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة
صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء والرقه والبياض فإذا كان كذلك كان
كاملا في صفاته وصلح أن يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس لكعب الأحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضرب به الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توفد من شجرة مباركة هي شجرة
النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء
ولولم تمسه النار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه
والمصباح النور الذي جعله الله فيه لأشرفية ولاغربية لا يهودى ولا نصرانى توفد من شجرة مباركة إبراهيم
نور على نور نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة والزجاجة
اممعيلى والمصباح محمد على الله عليه وسلم وعالمهم أجمعين سمى الله محمدا مصباحا لهما من أشجار الدنيا والشجرة
المباركة إبراهيم عليه السلام لأن أكثر الأنبياء من صلبه لأشرفية ولاغربية يعني إبراهيم لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لأن اليهود على الغرب والنصارى على الشرق يكاد زيتونها
يضيء ولولم تمسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور نبي من
نسل نبي نور محمد على نور إبراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبى بن كعب هذا مثل المؤمن
فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الإيمان والقرآن توفد من شجرة مباركة هي
شجرة الإخلاص لله وحده فثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس
إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن قد احتس من الله شئ من الفتن فهو بين أربع خلال أن أعطى
شكروا أن ابتلى صبروا أن حكم عدل وأن قال صدق يكاد زيتونها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل
أن يقين له لموافقة إياه نور على نور قال أبى أي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله
نور ومخرجه نور ومصيره إلى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن
كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا تمته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك يكاد قلب
المؤمن يعمل بالهدى قبل أن ياتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال الكلبي
نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله وقيل نور الإيمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح
هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك بهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة نفسه ولسانه

نوره مثل من المشكاة والنيراس (يهدي الله لنوره) أي هذا النور الثابت (من يشاء) من عباده أي يوفق لأصابه الحق من يشاء من عباده
 باهام من الله أو بنظره في الدليل (ويضرب الله الامثال للناس) تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شيء عليم) فيبين كل شيء
 بما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس رضي الله عنه مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره في قلب المؤمن
 كشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) يتعلق بكشكاة أي كشكاة في (٣٥٥) بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه

قيل مثل نوره كما يرى في
 المسجد نور المشكاة التي
 من صفتها كيت وكيت أو
 بتوقد أي توقد في بيوت
 أو يسبح أي يسبح له رجال
 في بيوت وفيها تكرر فيه
 توكيد نحو زيد في الدار جالس
 فيها أو يحذف أي سبوا
 في بيوت (أذن الله) أي
 أمر (ان ترفع) بنى كقوله
 بناها ورفع سمكها فسواها
 واذرفع ابراهيم القواعد
 أو تعظم من الرفعة وعن
 الحسن ما أمر الله أن ترفع
 بالبناء ولكن بالتعظيم
 (ويذكر فيها اسمه) يتلى
 فيها كتابه أو هو عام في
 كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو
 والاصال) أي يصلى له فيها
 بالغداة صلاة الظهر
 وبالآصال صلاة الظهر
 والعصر والعشاء بن وانما
 وحد الغدو لان صلاته
 واحدة وفي الآصال صلوات
 والآصال جمع أصل جمع
 أصيل وهو العشي (رجال)
 فاعل يسبح يسبح شامي
 وأبو بكر وسند الى أحد
 لظروف الثلاثة أعني له فيها
 بالغدو ورجال مرفوع بمادل

والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكادزيتها يضيء أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولولم تسمه
 النار وقيل تكاد حجة القرآن تنضح وان لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله خلقة مع ما أقام لهم من
 الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نوراً على نور وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء)
 قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) أي يبين الله الاشياء للناس
 تقريبا الى الافهام وتسهيلا للسبيل الادراك (والله بكل شيء عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أي ذلك
 المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء
 لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها الانبياء الكعبة بناها
 ابراهيم واسماعيل فجعلها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (أذن الله أن ترفع) أي بنى
 وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخبي من القول وتطهر عن الانجاس والافذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس
 يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أي يصلى له فيها (بالغدو والاصال) أي بالغداة والعشي قال أهل
 التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدي بالغداة صلاة الفجر والى تؤدي بالآصال صلاة الظهر والعصر
 والعشاء بن لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الأشعري
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال
 ابن عباس التسبيح بالغدو وصلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى
 تسبيح الضحى لا يعنيه الا اذا كان أجره كاجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين
 أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور
 المساجد لجمعة ولا جماعة (لاتلهم) أي لاتشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لانها أعظم
 ما يشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع
 والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا بيع) أي
 ولا يشغلهم بيع (عن ذكر الله) أي حضور المساجد لأقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعني إقامة الصلاة
 في وقتها لان من آخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيم الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق
 فاقامت الصلاة فقام الناس وأغلغوا وحوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فهم نزلت هذه الآية رجال
 لاتلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة (وايتاء الزكاة) يعني المفروضة قال ابن عباس اذا
 حضر وقت أداء الزكاة لا يحبسونها (يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والابصار) يعني ان هؤلاء الرجال
 وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ماعبدوا الله حق عبادته
 قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفرع وتشخص الابصار وقيل تنقلب القلوب عما كانت عليه
 في الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تنقلب القلوب بين الخوف والرجاء

عليه يسبح أي يسبح له (لاتلهم) لاتشغلهم (تجارة) في السفر (ولا بيع) في الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقاً لاسم الجنس على النوع أو
 خص البيع بعدماعم لانه أوغل في الاطعام من الشراء لان الربح في البيعة الراجعة متيقن وفي الشراء مظنون (عن ذكر الله) باللسان والقلب
 (واقام الصلوة) أي وعن إقامة الصلاة التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع ألفان فحذفت
 احدهما لاتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضاً عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت (وايتاء الزكاة) أي
 وعن ايتاء الزكاة والمعنى لاتجارة لهم حتى تلهم كاولياء العزلة أو يبيعون ويشتررون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا

اليها غير متشاكلين كالرياء العشرة (يخافون يوماً) أي يوم القيامة ويخافون حال من الضمير في نيلهم أوصفة أخرى لرجال (تقلب فيه القلوب) يبلوغها إلى الخناجر (والابصار) بالشغوص والزرقعة أو تقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران والابصار إلى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) أي يصحون ويخافون ليجزئهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزئهم ثوابهم مضاعفاً ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلاً (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي ينيب من يشاء ثواباً لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فالذين ضلوا عنه فالله كورون في قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى في (٣٥٦) القلابة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري (بقية)

بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار (بحسبه الظمان) يظنه العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أي جاء إلى ما توههم أنه ماء (لم يجد به شيئاً) كما ظنه (ووجد الله) أي جزاء الله كذوله يجد الله غفورا رجباً أي يجد مغفرته ورجته (عنده) عند الكافر (فوفاه حسابه) أي أعطاه جزاء عمله وأقيا كاملاً وحيده بعد تقدم الجمع حلاً على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لأنه لا يحتاج إلى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لأن ما هو آت قريب شبه ما يعمل من لا يعتد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي بحسبها تنفعه عند الله وتسجيته من عذابه ثم

فتخشي الهلاك وتطمع في النجاة وتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب في الجوف فيرتفع إلى الخنجر فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر في شخص من هول الأمر وشدة (ليجزئهم الله أحسن ما عملوا) يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وأقام الصلاة وآتوا الزكاة ليجزئهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكراً للاحسن تنبيهاً على أنه لا يجازيهم على مساوي أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل أنه سبحانه وتعالى يجزئهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة إلى سبع مائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعني أنه سبحانه وتعالى يجزئهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة إحسانه وفضله ﴿قوله تعالى﴾ (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلاً لحال المؤمن وأنه في الدنيا والآخرة في نور وانه قاتر بالنعيم المقيم أتبعه بضرب مثل لأعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فإذا قرب منه لم ير شيئاً والقيعة القاع وهو المنبسط من الأرض وفيه يكون السراب (بحسبه) أي يتوهمه (الظمان) أي العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أي جاء ما قدر أنه ماء وقيل جاء إلى موضع السراب (لم يجد به شيئاً) أي لم يجد على ما قدر وظنه ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر يعتقد أن له ثواباً عند الله وليس كذلك فإذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته ونهاه غمه فشبه حاله بحال الظمان الذي اشتدت حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فإذا جاءه لم يجد شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافع فإذا احتاج إلى عمله لم يجد له شيئاً ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه أنه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلاً آخر فقال تعالى (أو ظلمات) اعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وإن كانت قبيحة فهي ظلمات وقيل معناه أن مثل أعمالهم في فسادها وجهاتهم فيها ظلمات (في بحر لحي) أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (يفشاء) أي يعلوه (موج من فوقه موج) أي مترام (من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه أن البحر لا يجي يكون قعره مظلماً جداً بسبب غمورة الماء فإذا ازدادت الظلمة فإذا كان فوق الأمواج سحب بلغت الظلمة النهاية القصوى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها إلا بعد الجهد

ينجيب في العاقبة أمه ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش وقيل

يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد رابية الله عنده يأخذونه فيقتلونهم فيسقونهم الحميم والنفاق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتصقاً بالدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر (أو ظلمات في بحر) أو هنا كلوف أو كصيب (لحي) عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر (يفشاء) يغشى البحر أو من فيه أي يعلوه ويقطيه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) أي من فوق الموج وج آخر (من فوقه سحب) من فوق الموج الأعلى سحب (ظلمات) أي هذه ظلمات السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج (إذا أخرج يده) أي الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة في لم يرها أي

لم يقرب ان يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم اولا في فوات نفعا وحضور ضررها بسراب لم يجد من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور) من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام البيان في الايقان (أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير) (٣٥٧) عطف على من (صافات) حال من الطير

أي يصفن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم صلاته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أوله وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها (والله عليم بما يفعلون) لا يعزب عن علمه شيء (ولله ملك السموات والارض) لانه خالقهما ومن ملك شيئا فبتمليكها (والى الله المصير) مرجع الكل (ألم تر أن الله يزيح) يسوق الى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤولف بينه) وتذ كبره للفظ أى يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال الى جبل (وينزل) وينزل مكي ومدني وبصري (من السماء) لا ابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لان ما ينزل البرد من السماء من جبال

وقيل لما كانت اليد من أقرب شيء يراه الانسان قال لم يكدر اها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجى قلبه و بالموج ما يتغشى قلبه من الجهل والشك والخيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال أبى بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هدى له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) أى باسطات أجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذ كرم من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قيل الصلاة لى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب أجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون والله ملك السموات والارض) أى ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجب الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه (والى الله المصير) أى والى الله مرجع العباد بعد الموت ﴿ قوله تعالى ﴾ (الم تر أن الله يزيح) أى يسوق (سحابا) بامر الله الى حيث يشاء من أرضه وبلاده (ثم يؤولف بينه) أى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) أى مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من وسطه وهو مخارج القطر (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لا ابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أى البرد (من يشاء) فيها كنه وأمواله (ويصرفه عمن يشاء) أى فلا يضره (يكاد سنابرقه) أى ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أى من شدة ضوئه وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) أى يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما في الليل والنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذموناه في أشعارهم ف قيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصروف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ان في ذلك) أى الذي ذكر من هذه

ينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من بر) للبيان أو الاولى لان لا ابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال أى بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أى يصيب الانسان وزرعه (ويصرفه عمن يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه (يكاد سنابرقه) ضوئه (يذهب بالابصار) يحطفها يذهب يزيد على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان في ذلك) في ازجاء السحاب وانزاله

الودق والبرد وتقلب الليل والنهار (لعبرة لاولى الابصار) لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبية حيث ذكر تبيين من في السموات والارض وما يطير بينهما وادعاهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكره في براهين لا تحصى على وجوده دلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خالق كل شئ) خالق كل حزة وعلى (دابة) كل حيوان يدب على وجه الارض (من ماء) أى من نوع من الماء يختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فيها هوام ومنها بهائم ومنها ناسى وهو كقوله يسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الاكل وهذا دليل على ان طباخا لقاوم دبر او الالم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حتى لان المقصود ثم ان اجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخلت بينه وبينها وسائط قالوا ان اول ما خلق الله الماء خلق من النار (٣٥٨) والريح والطين لخلق من النار والجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض

ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غالب المميز فاعطى ما وراء حكمه كان الدواب كلهم يميزون فمن ثم قيل (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال فى الامر المستمر قد مشى هذا الامر او على طرائق المشاكلة كذا الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم وقدم ما هو أعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (بخلق الله ما يشاء) كيف يشاء (ان الله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه شئ (لقد أنزلنا آيات

الانبياء) (لعبرة لاولى الابصار) أى دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده **قوله عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أى من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد فى الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لاننا لانشهدهم وقيل ان اصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ربحا ونورا لخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا لخلق منه الجن وجعل بعضه طينا لخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) أى كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعنى مثل نبي آدم والطير (ومنهم من يمشى على أربع) يعنى كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات تتولد من غير نطفة قلت ذلك المخلق من غير نطفة لا بد أن يتكون من شئ وذلك الشئ أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم استعمل فى غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللاتىق بمن يعقل لان جعل الشر يف أصلا والخسيس تبعاً ولى فان قلت لم قدم ما يمشى على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرق فى القدرة وهو الماشى بغير آلة المشى وهى الارجل والاقوائم ثم ذكر ما يمشى على رجلين ثم ما يمشى على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفى الحيوانات ما يمشى على أكثر من أربع كالغناكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالتأديف فكان ملحقا بالاعلى وقيل ان هذه الحيوانات اعتمدها على أربع فى المشى والباقي تبع لها (بخلق الله ما يشاء) أى ما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل شئ قدير) أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطالع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع (لقد أنزلنا آيات مبينات) يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته **قوله تعالى (ويقولون) يعنى المنافقين (آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا) أى يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمنّا وبدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بال مؤمنين) نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى أرض فقال اليهودى تتعاضدكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل تتعاضدكم الى كعب بن الاشرف فان محمد يحيف فانزل الله هذه الآية (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى الرسول يحكم بحكم الله بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعنى عن الحكم****

مبينات والله يهدي من يشاء) بلطفه ومشيئته (الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذى يوصل الى جنته والآيات لازم وقيل مجته لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنّا بالله وبالرسول) بالسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد قولهم آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا) (وما أولئك بال مؤمنين) أى المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنّا وأطعنا لا الى الفريق المتولى وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم متنافين عنهم الايمان لا اعتقادهم ما يعتقدونه ولا موالاتهم بالاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه زيد وكرم زيد (ليحكم) الرسول (بينهم اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما فى أرض فجعل اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول

ان محمد يحيف علينا (وان يكن لهم الحق) أى اذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا اليه) الى الرسول (مذعنين) حال أى مسرعين فى الطاعة طلبا لحقهم لارضابحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المروا العدل البحت يمتنعون عن المحاكاة اليك اذاركهم الحق لثلاثة نزع من أحد اقمهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ماوجب لهم فى ذمة الخصم (أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الامر فى صدورهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الحيف فى قضائه ثم ابطال خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يابون المحاكاة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسمالكان أو غلها فى التعريف وان يقولوا أو غل بخلاف قول المؤمنين (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) النبى عليه الصلاة والسلام ليحكم أى ليفعل الحكم (بينهم) بحكم الله الذى أنزل (٣٥٩) عليه (ان يقولوا سمعنا) قوله

(وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سنته (ويخش الله) على ماضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) وعن بعض الملوكة انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لاسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلصة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين

وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أى مطيعين منقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا (أفى قلوبهم مرض) أى كفرو ونفاق (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أى يظلم (بل أولئك هم الظالمون) أى لانفسهم باعراضهم عن الحق ﴿ قوله عز وجل (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) أى الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا انما علم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو (ان يقولوا سمعنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالاجابة (وأولئك) أى من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أى ما عمل من الذنوب (ويتقه) أى فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) أى الناجون ﴿ قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنت نكنا معك لئن خرجت خرجنا ولئن أمت أمتنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لم (لا تقسموا) أى لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) أى هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهى معروفة أى أمر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تنفون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من عين باللسان لا يوافقها الفعل (ان الله خير بما تعملون) أى من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعنى بقلوبكم وصدق نياتكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) أى على الرسول (ما حل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حلتكم) أى ما كلفتم من

لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها وكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهد الحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضررب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهد يمينهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لانه معصية (طاعة معروفة) أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر وأخبر مبتدأ محذوف أى الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخاص من المؤمنين لا ايمان تقسموه بها فواهاكم وقلوبكم على خلافها (ان الله خير بما تعملون) يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجاز يكمل على نفاقكم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو أبغ فى نبيكيتهم (فان تولوا فانما عليه ما حل وعليكم ما حلتكم) يريد فان تولوا فاضررتهم وانما ضررتهم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما أنتم فعليكم ما كلفتم من التقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتهم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه

(وان تطيعوه تهتدوا) أي وان أطعتموه فبما أمركم وبنهاكم فقد أحزنتم نصيبكم من الهدى فالضرر في توليكم والنفع عائدان اليكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وما على الرسول الا أن يبلغ ماله نفع في قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمجربات ثم ذكر المخلصين فقال (وعداة الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعض (ليستخلفنهم في الارض) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام (٣٦٠) لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخان هذا الدين على ما دخل عليه

الليل (كما استخلف) الاجابة والطاعة (وان تطيعوه تهتدوا) أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي التبليغ الواضح المبين ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وعداة الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والحجم فجعلهم ملوكا واسماها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بنى اسرائيل وأهلك الجبارة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى) أي اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان (وليدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني) آمنين (لا يشركون بي شيئا) فانجز الله وعده وظهر دينه ونصر أوليائه وأبد لهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الأرض (خ) عن عدي بن حاتم قال يئنا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا نادى رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحد الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعا رطبي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترى الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فيقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمره فن لم يجد شق تمره فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترن ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتكسين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلى ستا قال على قلت لحماة القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل

الليل (كما استخلف) استخلف أبو بكر (الذين من قبلهم) ولهم دينهم الذي ارتضى لهم وليدلهم (وليدلهم) بالتخفيف مكي وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكافر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل بنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبارة وان يميز الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيتته وتفضيده وان يؤمن سرهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فترأت فقال عليه الصلاة

والسلام لا تغفرون الا بى را حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتديا ليس معه حديد فانهجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومن قواملك الا كاسرة وملكوا خرائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم مخدوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أنزل وعداة الله في تحقيقه منزلة القسم فلتقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدونني) ان جعلته امتنا فالا محل له كأنه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني موحدون ويجوز أن يكون حالا بدل من الحال الاولى وان جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فحله النصب (لا يشركون بي شيئا) حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني موحدون ويجوز أن يكون حالا بدل من الحال الاولى

(ومن كفر بعد ذلك) أي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله (فأولئك هم الفاسقون) هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه فاقتلوا بعد ما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وإن طال (٣٦١)

(وأتوا الزكوة وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم إليه وكررت طاعة الرسول تأكيد الوجوبها (لعلكم ترجون) أي لكي ترجوا فأنها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض) أي فأتين الله بان لا يقدر عليهم فيم أفتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين وبالباء شامى وحيزة والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقديم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومعجزين (ومأواهم النار) معطوف على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (ولبس المصير) أي المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا) يستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمر بان يستأذن

وفيه اجمال وتفصيله أن خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الأربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وثلثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) أي العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة ومحمد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال لما أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرك قال أخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خير لي منك داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس إن الله سيفه مغمودا وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله الله في هذا الرجل إن تقتلوه فوالله أن تقتلوه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسكن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فاقتل نبي قط الاقتل به سبعون ألفا وخليفة الاقتل به خمسة وثلاثون ألفا قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وأتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترجون) أي أفعلا هذه الأشياء على رجاء الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أي فأتين عنا (في الأرض) وماواهم النار ولبس المصير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) يستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدحج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمننا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرها فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الأمر وفيه قولان أحدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الأول الذي ملكت أيمانكم يعني العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهر واعلى عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولاكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما وانفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة لا يكون بالغ حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد في الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجري عليه الاحكام وإن لم يحتلم (ثلاث مرات) أي يستأذنوا في ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وقت المقييل (ومن بعد صلاة العشاء) وإنما خص هذه الثلاثة الاوقات لأنها ساعات الخلوات ووضع الثياب فرمى يده ومن الانسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن في جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات

(٤٦ - (خازن) - ثالث) العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أي الاطفال الذين لم يحتلموا ومن الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا (ثلاث مرات) في اليوم والليلة وهي (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهي نصف النهار في القيظ لأنها وقت وضع الثياب للقيولة (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والاتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أي هي أوقات ثلاث عورات مخدفة لمبتدأ والمضاف بالنصب كوفي غير حفص بدلا من ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة

لان الانسان يختل نستره فيها والعورة الخلخل ومنها الاغور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلين عمر وعلى عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذروهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أى لا اثم عليكم ولا على المدكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أى هم طوافون بمحواج البيت (بعضكم) مبتداً خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض خذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التي قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم لخدمته ويطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم (٢٦٢) الامر بالاستئذان في كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع في الشرع

لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعنى العبيد والخدم والصبيان (جناح) أى حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أى بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أى العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أى يطوف بعضكم على بعض (كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة ان نفا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا استأذنوا من الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حلیم رحيم بالمؤمنين يحب المستر وكان الناس ليس لبيوتهم مستور ولا حجاب فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فامرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالاستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى ابن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية استأذنكم الذين ملكت أيمانكم أم منسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبیر في هذه الآية ان ناسية قولون نسخت والله ما نسخت ولكنهم غلبوا بها ومن الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم يتأوا اذا حضر القسمة أولوا القربى الآية وقوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أى الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أى يستأذنوا في جميع الاوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الاحرار الكبار (كذلك بين الله لكم آياته) أى دلالة وقيل أحكامه (والله عليم) أى بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فأنما أنزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة استأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره قوله (والقواعد من النساء) يعنى اللاتي قعدن عن الحيض والولم من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أى لا يردن الا زواج لكبرهن وقيل هن المجاز اللواتي اذا رآهن الرجال استقדרوهن فاما من كانت فيها بنية جلال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب

بالنص (كذلك بين الله لكم الآيات) أى كما بين حكم الاستئذان بين لكم غيره من الآيات التي احفظتم الى بيانها (والله عليم) بمصالح عبادته (حكيم) في بيان مراده (واذا بلغ الاطفال منكم) أى الاحرار دون المماليك (الحلم) أى الاحتلام أى اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم

بلغوا بالاحتلام أو بالنسب وجب أن يفظموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات يحجدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبیر يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله (كذلك بين الله لكم آياته والله عليم) فيما بين من الاحكام (حكيم) بمصالح الانام (والقواعد) جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والخائض أى اللاتي قعدن عن الحيض والولم لكبرهن (من النساء) حال (اللاتي لا يرجون نكاحا) يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتداه هي القواعد والخبر (فليس عليهن جناح) اتم ودخلت القاء لما في المبتداه من معنى الشرط بسبب الالف واللام (أن يضعن) في أن يضعن (ثيابهن) أى الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار

(غير) حال (متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يرد الزينة الخفية كالشعر والنحو والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه (وأن يستعففن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره (خيرطن والله سميع) لما يعلن (عليه) بما يقصدن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد ابن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم (٣٦٣) وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند

الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره (وأن يستعففن) أي فلا يلقين الجلباب والرداء (خيرطن والله سميع عليه) قوله عز وجل (ليس على الاعمى حرج) اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تخرج المسلمون عن مؤاكلة الرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الاموال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاوجة على الطعام والمريض يضعف عن تناول فلا يستوفى من الطعام حقه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على معنى في أي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمريض يتزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يقدرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول بما آكل أكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى رءىأأجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصاً لولا في الاكل من بيوت من ساهم الله في باقي الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم الى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمي الله تعالى فكان أهل الزمالة يتخرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لولا في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام مستأنف قيل لما نزل ولانا كلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فانزل الله تعالى ولا على أنفسكم (أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الاباء لما جاء في الحديث أنت ومالك لبيتك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتيحه) قال ابن عباس عن ذلك وكيل الرجل وقيمته في ضيعته وما شئته لا بأس عليه أن يأكل من ثمره ضيعته ويشرب من لبن ما شئته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعني بيوت عبيدكم وما لي بكم وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفتاح الخزان ويجوز أن يكون المفتاح الذي يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يأكل كل الشيء اليسير وقيل ما ملكتكم مفاتيحه أي ما خزتموه عندكم وما ملكتكموه (أو صديقتكم) الصديق هو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث ابن عمرو وخرج غازي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجدته مجهوداً

والمرضى والاعرج وعند أقاربهم وياذنونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون نخشى أن نكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أي حرج (أن تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الاولاد في الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لبيتك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صاروا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت خالاتكم) لان

الاذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو ما ملكتكم مفاتيحه) جمع مفتاح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضى الله عنه هو وكيل الرجل وقيمته في ضيعته وما شئته وأريد بملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وقيل أريد به بيت عبده لان العبد وما في يده ملولاه (أو صديقتكم) يعني أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحداً وجعاً وهو من يصدقك في مودته وتصدق به في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيفه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاهما فاخبرته أعتقها سروراً بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل الا باذن

(ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا) مجتمعين (أو اشتاتا) متفرقين جمع شت نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده فرمى بقاعد منتظرانها إلى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة أو في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الامع ضيفهم أو يخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أي فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة أو بيوتاً فارغة أو مسجداً فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلاموا (٣٦٤) لانها في معنى تسليماً نحو فعدت جلوساً (من عند الله) أي ثابتة بأمره

فسأله عن حاله فقال تخرجت ان أكل من طعامك بغير إذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير أن تزودوا وتحملوا (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو اشتاتا) نزلت في بني ليث بن عمرو هم حي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفاً كل معه فرمى بقاعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يأتي من يشار به فاذا أمسى ولم يجد أحداً أكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لا جنح أي أخرج ان أكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤوا جميعا أي مجتمعين أو اشتاتا أي متفرقين (فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم) أي ليسم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أي عن الله أمره ونهيه وآدابه ﴿قوله عز وجل﴾ (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معاً) أي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب او صلاة حضرت أو جعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل (لم يذهبوا) أي لم يفرقوه عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنوه) قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قال ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد وأذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكونوا في المسجد فتحبس امرأته منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فاذن لمن شئت منهم) أي في الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله) أي ان رأيت لهم عذراً في الخروج عن

مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكي تعقلوا وتفهموا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معاً على أمر جامع) أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيد (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معاً على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه نكالا لإيمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالنسيب له

والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بأمرها وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمان ثم عقبه بما يزيد به توكيدها وتشديدها حيث عاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمنه شيئاً آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمان وعرض بحال المنافقين وتسللهم الواد (فاذا استأذنوك) في الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فاذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (واستغفر لهم الله)

ان الله غفور رحيم) وذ كرا الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يستأذن قالوا وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظهر ونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعائكم فلا تنفروا منه الا باذنه ولا تنقبضوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغیر اذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لو اذا) حال أي ملاوذين اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذلك وذلك بهذا أي يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واسقوا بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير في أمره لله سبحانه (٣٦٥) أول رسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر (أن تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ النعم استدرجا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والآية تدل على أن الامر للإيجاب (ألا ان الله مافي السموات والارض) أي ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أي من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعني يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة الفرقان وهي مكية وسبعون آية وثمائة واثنان وتسعون

كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم (الذي نزل الفرقان) أي القرآن سباه فرقا نالا لأنه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لأنه نزل مفرقا في

والارض مختص به خلقا وما كوا علماف كيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجهدون في سترها (ويوم يرجعون اليه) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب أي ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه خافية وروى أن ابن عباس رضي الله عنه قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لاسحت والله أعلم (سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخيروز يادته ومعنى تبارك الله تزايد خبره وتكاثر وتزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا الله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو مصدر فرق بين الشئين اذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أولانه لم ينزل جملة ولكن مفرقا فصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا

طاعته ودينه ومفعول يحذر (أن تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ النعم استدرجا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والآية تدل على أن الامر للإيجاب (ألا ان الله مافي السموات والارض) أي ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أي من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعني يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

(على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيرا) من رأى مخوفاً أو نادراً كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على أنه خير مبتدأ محذوف أو على الأبدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البديل والمبدل منه بقوله ليكون لأن المبدل منه صلتته نزل وليكون تعليله فكان المبدل منه لم يتم الإبه أو نصب على المدح (له ملك السموات والارض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى في عز بر والمسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعمت الثنوية (وخلق كل شيء) أي أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان وأهرمن ولا شبهة فيه لمن يقول ان الله شيء ويقول بخلق القرآن لأن الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على أن لفظ شيء اختص بما يصح أن يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعزلة في خلق أفعال العباد (فقدرة تقدير) فهذه أمما يصلح له بلا خال فيه كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذي تراه فقدرة للتسكايف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا أو قدره للبقاء إلى أمم معلوم (٣٦٦) (وانخذوا) الضمير للكافرين لأن دراجهم تحت العالمين أولدلالة نذير اعليهم لانهم

المنذرون (من دونه آفة) أي الاصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) أي أنهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزه لا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون (ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) أمانة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها (وقال الذين كفروا ان هذا ما هذا القرآن (الافك) كذب (افتراه) اختلقه واخترعه

أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لكثير التفريق (على عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أي للانس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات والارض) أي هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام (وخلق كل شيء) مما تطلق عليه صفة المخلوق (فقدرة تقدير) أي سواه وهيا أمما يصلح له لا خال فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شيء تقدير من الاجل والرزق فخرت المقادير على ما خلق (وقوله تعالى) (وانخذوا) يعني عبدة الاوثان (من دونه آفة) يعني الاصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا) أي دفع ضرر ولا جرف نفع (ولا يملكون موتا) أي امانة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) أي بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وأصحابه (ان هذا) أي ما هذا القرآن (الافك) أي كذب (افتراه) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد ابن الخضر الحبشي السكاهن وقيل جبر و يسار وعداس بن عبيد كانوا يعمد من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعني قاتلي هذه المقالة (ظلموا وزورا) أي بظلم وزور وهون - مينيهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتبها) يعني النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتبها انت نسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر و يسار وعداس وطلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب (فهى تلى عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها لانه لا يكتب (بكرة وأصيلا) يعني غدوة وغشية قال الله تعالى رداعليهم (قل) يا محمد (أنزل) يعني القرآن (الذي يعلم السر) أي الغيب (في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) أي لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يا كل الطعام) أي كائنا كل نحن نعيش في الاسواق) أي يلقس المعاش كما نمشي

محمد من عند نفسه (وأعانه عليه قوم آخرون) أي اليهود وعداس و يسار وأبو فكيهة الرومي قاله النضر بن الحرث (فقد جاؤا) نحن ظلموا وزورا) هذا الخبر من الله رد لكفرة فيرجع الضمير إلى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدي تعديتها أو حذف الجار وأوصل الفعل أي بظلم وزور وظلمهم ان جعلوا العرب يتلقن من الحمى الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزوران بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أي هو أحاديث المتقدمين وما سطره كرسنم وغيره جمع اسطار وأسطورة كاحدوتة (اكتبها) كتبها لنفسه (فهى تلى عليه) أي تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره فيحفظ ما على عليه ثم يتلوه علينا (قل) يا محمد (أنزل) أي القرآن (الذي يعلم السر في السموات والارض) أي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوا عكابرهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم اياه بالرسول سنخربة منهم كانوا أي شيء لهذا الزاعم انه رسول (يا كل الطعام) يمشي في الاسواق حاله العامل فيها هذا

(لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أي ان صح انه رسول الله فبالله يأكل الطعام كما يأكل كل
ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما تتردد يعنون انه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى أن
يكون انسانا معه ملك حتى يتسند في الانذار والتخويف ثم نزلوا الى أن يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج
الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى أن يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو أن كل نحن كقراءة على وحزة وحسن عطف المضارع
وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما واتصبا فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا
بمعنى هلاكه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين في قوله (وقال الظالمون) أي اياهم

(٣٦٧)

موضع المضمرة جبالا
عليهم باظم فيما قالوا وهم
كهارقريش (ان تتبعون
الا رجلا مسحورا)
سجرجن أو داسجر
وهو الرقة عنوا انه
بشر لملك (انظر كيف
ضربوا) يبنوا (لك
الامثال) الاشياء أي قالوا
فيك تلك الاقوال
واخترعوا لك تلك الصفات
والاحوال من المفترى
والمملى عليه والمسحور
(فضلوا) عن الحق (فلا
يستطيعون سبيلا) فلا
يجدون طريقا اليه
(نبارك الذي ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك
جنت تجري من تحتها
الانهار ويجعل لك قصورا)
أي تكاثر خير الذي ان
شاء وهب لك في الدنيا
خيرا مما قالوا وهو أن يجعل
لك مثل ما وعدك في
الآخرة من الجنت والقصور
وجنت بدل من خيرا

نحن واذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له است بملك لانك
بشر مثلنا والمالك لا يأكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبتذل وما قالوه فاسد لان أكله الطعام
لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة في التوراة ولم يكن سخابا
في الاسواق وليس شيء من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك (لولا أنزل اليه ملك) أي يصدق
ويشهد له (فيكون معه نذيرا) أي داعيا (أو يلقى اليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى
التصرف في طلب المعاش (أو تكون له جنة) أي بستان (يأكل منها) أي هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له
كنز (وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أي تخدوعا وقيل مصر وقاع الحق انظر يا محمد
(كيف ضربوا لك الامثال) أي الاشياء التي لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج (فضلوا) أي عن الحق (فلا
يستطيعون سبيلا) الى الهدى ومخرجا عن الضلالة قوله تعالى (نبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من
ذلك) أي من الذي قالوا أفضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق
والتمس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنت تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أي بيوتا مشيدة
عن أبي امامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي لي يجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يارب ولكن
أشبع يوماً جوع يوماً وقال ثلاثاً أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرك واذا شبعت حمدتك
وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهباً جاءني ملك
ان يحجزه لتساوي الكعبة فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبياعبدا وان شئت نبيا
ملكاً فظنرت الى جبريل فاشار الى ان ضع نفسك فقلت نبياعبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك لا يأكل متكثراً يقول أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكره ابن خلدون
البغوي بسنده قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أي القيامة (وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) أي نارا
مسعرة (اذا رأيتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف تتصور
الرؤية من النار وهو قوله اذا رأيتهم قلت يجوز أن يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه أنهم زبانيته
(سمعوا لها نغيظا) أي غليانا كالغضب ان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) أي صوتا فان قلت كيف
يسمع التغيط قلت معناه رأوا وعلموا لها نغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر
ورأيت زوجك في الوغي * متقلدا سيفاورمحا

أي وحاملارمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيط من التاهب والتوقد وقال عبيد بن عمير ترزفر جهنم يوم القيامة
نؤرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس تضيق

ويجعل بالرفع مكى وشامى وأبو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول
بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو مصطل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف
يصدقون بتجويل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها (وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وهيئنا للمكذبين بها ناراً شديدة في
الاستعار (اذا رأيتهم) أي النار أي قابلتهم (من مكان بعيد) أي اذا كانت منهم يرى الناظرين في البعد (سمعوا لها نغيظا وزفيرا) أي سمعوا
صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر اذا رأيتهم زبانيته تغيطوا وزفروا غصبا على الكفار (واذا ألقوا منها) من النار
(مكانا ضيقا) ضيقا مكى فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السموات والارض وعن ابن
عباس رضي الله عنه انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرح

(مقرنين) أي وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد (دعوا ههنا لك) حينئذ (نبورا) هلا كما أي قالوا وانبورا أي تعال يا نبور فهذا حينك فيقال لهم (لا تدعوا اليوم نبورا واحدا وادعوا نبورا كثيرا) أي انكم وقعتم فيما ليس نبوركم فيه واحدا انما هو نبور كثير (قل أذلك خير) أي المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعد ههنا فالراجع إلى الموصول محذوف وانما قال أذلك خبر ولا خير في النار تو بيغها للكفار (كانت لهم جزاء) نوابا (ومصيرا) مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعد الله كأنه كان لتحقيقه أو كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها ما يشاؤون) أي ما يشاؤنه (خالدين) حال من الضمير في يشاؤون والضمير في (كان) لما يشاؤون (على ربك وعدا) أي موعودا (مسؤلا) مطلوبوا وحقيقيا أن يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

(٣٦٨)

عليهم كما يضيق الزج في الرح (مقرنين) أي مصنفين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعوا ههنا لك نبورا) قال ابن عباس ويلا وقيل هلا كما في الحديث ان أول من يكسى حلة من النار ابايس فيض بها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا نبورا وهم ينادون يا نبورا هم حتى يقفوا على النار فينادي يا نبورا وهم ينادون يا نبورا هم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم نبورا واحدا وادعوا نبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلا لكم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعيه كثيرة قوله عز وجل (قل أذلك خير) أي الذي ذكرت من صفة النار وأهلها (أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) أي ثوابا ومرجعاهم قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤون) أي ان جميع المرادات لا تحصل الا في الجنة لاني غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان شيئا وهو لا يحصل في الجنة كان يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشغول بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات إلى غيره (خالدين) أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى أشد الغم عندى في سرور • تيقن عنه صاحبه اتقالا

(كان على ربك وعدا مسؤلا) أي مطلوبوا بذلك ان المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان إعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومثلهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله تعالى (وبوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعني من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعني الاصنام ثم مخاطبتهم (فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أي أخطوا الطريق (قالوا) يعني المعبودين (سبحانك) زهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك

عند الجمهور وبالباء كي ويزيد ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي يعني الاصنام بنطتها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانهم أربده الوصف كأنه قيل ومعبودهم (فيقول) و بالنسب شامى (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل لانهم تركوا الجار كما تركوه في هذا الطريق والاصل إلى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بادخال

ولكن

الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما يقال أضللتم عبادي هؤلاء أم هم

ضلوا السبيل وزيد أأنتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لا وجود له لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكرهم وايلا انه حرف الاستفهام ليعلم انه المسؤول عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالسؤال عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبيدكم بتكذيبهم اياه فزيد حشرهم (قالوا سبحانك) تعجب منهم بما قيل لهم وفصدوا به لتزبيبه عن الانداد وان يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندائم قالوا (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان تتولى أحدادونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا ونكون نتخذ من دونك نتخذ من دونك يتعدى إلى مفعول واحد نحو اتخذوا ليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا ليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا قال القراء من الاولى من المتعدى لواحد وهو من أولياء والاصل أن تتخذ أولياء وزيدت لنا كيد معنى النبي والقراءة الثانية من متعدى إلى المفعولين فالفهمول الاول ما يزاره الفعل والثاني من أولياء ومن التبعية أي لا تتخذ بعض أولياء لان من لا زاد في المفعول الثاني بل في الاول نقول ما اتخذت من أحد ليا ولا نقول ما اتخذت أحد من ليا

(ولكن متعهم وآباءهم) بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكرا الله والايمان به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أي هلكي جمع بائر كعائد وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الاتفات وحذف القول ونظيرها يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشيرو نذير وقول القائل قالوا اخراسان أقصى ما يراد بنا ثم القبول فقد جئنا خراسانا (بما تقولون) بقولكم فيهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فيا يستطيعون صرفا ولا نصرا) أي فيا يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالله

(٣٦٩)

حفص أي فاستطيعون أتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصرا أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أي يشرك لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريكا خالفه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشريك اظلم عظيم (نذقه عذابا كبيرا) فسر بالخلود في النار وهو يليق بالشرك دون الفاسق الاعلى قول المعتزلة والخوارج (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) كسرت ان لاجل اللام في الخبر والجملة بعد الاصفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين

(ولكن متعهم وآباءهم) أي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكره وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) معناه هلكي أي غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون (بما تقولون) أي انهم آلهة (فيا يستطيعون) أي الآلهة (صُرُفا) أي صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) أي ولا نصرا أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أي العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) أي يشرك (نذقه عذابا كبيرا) قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) أي يا محمد (من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) قال ابن عباس لما عبر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما هذا الرسول يا كل الطعام ويمشي في الاسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي يا كلون الطعام ويمشون في الاسواق (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) أي بليّة قال ابن عباس أي جعلنا بعضهم بلاء بعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتنبهوا أتم اهدى قيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضع وذلك ان الشريف اذا أراد أن يسلم رأى الوضع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في أبي جهل والوليد بن عتبة والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث وذلك انهم رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلا لا وصهيبا وعاصم بن فهيرة وذوهم قد أسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستعزّين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالي بنا وأرادنا فقال الله تعالى هؤلاء المؤمنين (أتصبرون) أي على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضع (وكان ربك بصيرا) أي لمن صبر ولم يجزع (ق) عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (ولولا

(٤٧ - (خازن) - ثالث)

وماشين وانما حذف استقاء بالجار والمجرور أي من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا أحد قيل هو احتجاج على من قال ما هذا الرسول يا كل الطعام ويمشي في الاسواق وتسليّة للنبي عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشي في الاسواق يعني انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه الفتنة فتوجروا أم لا تصبرون فبزداد غمكم وحكي أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فرأى خصيا في مواكب ومراكب فخطر بباله شيء فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصرار بنا أي وجعلتك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لك كانت طاعتهم لك لادنيا أو بمزوجة بالدنيا فإنا بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيما يتلى به أو بمن يصبر ويجزع (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون بالبعث ولا يخافون عقابنا ما لان الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف في لغة تهامة الخوف (ولولا) هلا

(أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ودعوى رسالته (أو نرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لقد استكبروا في أنفسهم) أي أضروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فبالغ في إفراطه أي أنهم لم يحسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام في لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أي يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بما دل عليه (لابشري) أي يوم يرون الملائكة بمنعون البشري وقوله (يومئذ) مؤكدا ليوم يرون أو بإظهاره كراهي إذ ذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لابشري بالجنة يومئذ ولا ينتصب يرون لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا يبشرى لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولأن المنى بلا لا يعمل فيما قبل لا (للمجرمين) ظاهر في موضع ضمير أو عام يفتا ولم يعمومه وهم (٣٧٠) الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لأن مطلق الاسماء يتناول كمل

المسميات (ويقولون) أي الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشري أي جعل الله ذلك حراما عليكم إنما البشري للمؤمنين والمجرم مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره إذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروكة أظهارها وحجورا تأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثل حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صفة لهم وافتان ملهوف وقرئ ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصده إلى ما تحت يديه فأفندها ومزقها كل ممزق

أنزل علينا الملائكة فتخبرنا أن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) أي طغوا وقيل عتوا في القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لابشري يومئذ للمجرمين) وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون لا كفار لابشري لكم وقيل لإشارة لهم بالجنة كما بشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة إلا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن تكون لكم البشري وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك أن العرب كانت إذا نزلت بهم شدة ورا وأما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يزلون ذلك إذا عابوا الملائكة قوله عز وجل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي بطلان لا ثواب له لأنهم لم يعملوا لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو مردوا الهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار إذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تنفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسقط من حواف الدواب عند السير من الغبار قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أي موضع القائلة وذلك أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدس من أول النهار إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقيولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله ويروي أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضباب ولم يكن إلا بني إسرائيل في نبيهم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من في الأرض من الأنس والجن ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر من في السماء الدنيا ومن الجن والأنس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزبدون على أهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي

ولم يترك لها أثر أو الهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بغبار المنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تميزوا المستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم تجالسون ويتحدثون (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون إليه للاستراحة إلى أزواجهم ولا نوم في الجنة وإسنه سمي مكان استراحتهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي لفظ الأحسن نهمهم (ويوم) وإذا كرى يوم (تشقق السماء) والاصل تشق خذف التاء كوفي وأبو عمرو وغيرهم أدغمها في الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشق به السماء كما تقول شقت السنام بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) وتنزل الملائكة مكي وتنزل على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى أن السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها في الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعته ومعناه الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه (للرحمن)

خبره (وكان) ذلك اليوم (يوم ا على الكافرين عسيرا) شديد ا يقال عسر عليه فهو عسير وعسرو يفهم منه يسره على المؤمنين في الحديث
يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا (ويوم بعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية
عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتدكر الرادفة ويدل بها على المردوف (٣٧١) فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة

ويجهد السامع عنده في
نفسه من الروعة ما لا يجده
عند لفظ المكى عنه واللام
في الظالم للعهد وأريد به
عقبة لما بين أول الجنس
فيتناول عقبة وغيره من
الكفار (يقول ياليتني
اتخذت) في الدنيا (مع
الرسول) محمد عليه الصلاة
والسلام (سبيلا) طريقا
الى النجاة والجنسة وهو
الايمن (ياويلنا) وقرئ
ياويلني بالياء وهو الاصل
لان الرجل ينادى ويلته
وهي هلكته يقول طاعتا
فهذا أو انك وانما قلبت
الياء ألفا كما في صحاري
ومداري (ليتني لم اتخذ فلانا
خليل) فلان كناية عن
الاعلام فان أريد بالظالم
عقبة لما روى انه اتخذ ضيافة
فدعا اليها رسول الله عليه
الصلاة والسلام فأبى أن
يأكل من طعامه حتى
ينطق بالشهادتين ففعل
فقال له أبى بن خلف وهو
خليله وجهى من وجهك
حرام الآن ترجع فارتد
فالمعنى ياليتني لم اتخذ أيا
خليل فكنى عن اسمه وان
أريد به الجنس فكل من
اتخذ من المضلين خيلا كان

هو الملك حق الملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره (وكان يوم ا على
الكافرين عسيرا) أى شديد ا وفيه دليل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون
يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويوم بعض
الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبى معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه أشرف
قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يقرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد
أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما أخبر أبى بن خلف قال له يا عقبة صابأت
قال لا والله ما صابأت ولكن دخل على رجل فابى أن يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من
بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا بالذى أَرْضَى عَنْكَ أبدا الا أن تأتيه فتبزيق في وجهه ففعل ذلك عقبة
فقال عليه الصلاة والسلام لأراك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما
أبى بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لما بزيق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم
عادرزاقه في وجهه فأحترق خداه فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبى معيط خليل
أمية بن خلف فاسلم عقبة فقال له أمية وجهى من وجهك حرام ان تابعت محمد افكفروا رتد فانزل الله فيه
ويوم بعض الظالم يعنى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أى ندماء وأسفا
على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء
يأكل بيده حتى يبلغ مر فقيه ثم يبتنان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده أكلها على ما فعل تحسرا وندامة
(يقول ياليتني اتخذت) أى في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أى ليتني اتبعت محمد صلى الله عليه وسلم واتخذت
معه طريقا الى الهداية (ياويلنا) دعاء على نفسه بالويل (ليتني لم اتخذ فلانا خيلا) قيل يعنى أبى بن خلف (لقد
أضلنى عن الذكر) أى عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءنى) يعنى الذكركم مع الرسول صلى الله عليه
وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمردات صده عن سبيل الله من الجن والانس (للا انسان خذولا) أى
كثير الخذلان يتركه ويترأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل خليلين ومتحابين اجتماعا
على معصية الله (ق) عن أبى موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس
السوء كحامل المسك ونافخ الكبر فامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبا
ونافخ الكبر اما أن تحترق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن أبى سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وقال
الرسول) يعنى ويقول الرسول في ذلك اليوم (يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى متروكا
واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه سحر
وشعر والمعنى أن محمد صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن

لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلنى عن الذكر) أى عن ذكر الله والقرآن والايمن (بعد اذ
جاءنى) من الله (وكان الشيطان) أى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضله الشيطان أو ابليس لانه الذى حله على محالة المضل ومخالفة الرسول
للانسان المطيع له (خذولا) هو مبالغته من الخذلان أى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وقال الرسول)
أى محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا (يا رب ان قومى) فريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران

وهو مفعول ثان لا تخذوا في هذا تعظيما للشكاية وتخوف القوم لان الانبياء اذا شكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسلما ووعده النصر عليهم فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ومن المجرمين وكفى برك هاديا ونصيرا) أي كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعد ادة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصر لك عليهم والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا والباء زائدة أي وكفى برك هاديا وهو تمييز (وقال الذين كفروا) أي قريش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جملة) حال من القرآن أي مجتمعا (واحدة) يعني هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفريق وهو فضول من القول ومباراة بما لا طائل تحته لان أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا ونزل هنا بمعنى أنزل والالكان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدوا بالانبيان بسورة واحدة من أصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى لا ذوا بالنصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج ومالوا الى الخللج (كذلك) جواب ثم أي كذلك أنزل مفرقا في عشرين سنة وفي ثلاث وعشرين وذلك في كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا ٧ فاعلم ان ذلك (لثبت به) بتفريقه (فؤادك) حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو أتى عليه جملة واحدة لم يجز عن حفظه ولثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتابع الرسول لان قلب المحب (٣٧٢) يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به

كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه أي قدرناه آية بعد آية ووقفه بعد وقفة أو امرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت أو ينهنا بتيبنا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت (ولا يأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالانهم الباطلة كانه مثل في البطلان (الا جئناك بالحق) الا أنيناك بالجواب الحق الذي لا يحيد عنه

مهجور افتراه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدوا ومن المجرمين) أي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا وافصروا أنت كما صبروا فأتى ناصر ك هاديك وهو قوله تعالى (وكفى برك هاديا ونصيرا) قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لثبت به فؤادك) أي أنزلناه مفرقا لنقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون وأنزلنا القرآن على نبي أي لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور تحدث في أوقات مختلفة ففرقناه ليكون أدعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس وينهنا بياننا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفرقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يعني يا محمد هؤلاء المشركون (بمثل) أي يضربونه لك في إبطال أمرك (الا جئناك بالحق) أي بما رده ما جاؤا به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا (وأحسن تفسيراً) أي أحسن بياننا وتفصيلاً ثم ذكر ما ل هؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) أي يساقون ويحجرون (على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا) أي منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) أي أخطأ طريقا ﴿ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً) أي معينا وظهرنا (فقلنا

اذها

(وأحسن تفسيراً) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أي من سؤالهم

وانما حذف من مثلهم لان في الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمران كان عمرو أحسن وجهافيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التفسير عما يبدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة الا عطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا أن نعطا ما هو أحسن فكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحة يعني ان تنزيله مفرقا وتحدبهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز من أن ينزل كله جملة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر) الذين مبتدأ أولئك مبتدأ ثان وشر خيرا أولئك وأولئك مع وشر خيرا الذين أو التقدير هم الذين أو أعني الذين وأولئك مستأنف (مكانا) أي مكانة ومنزلة أو مسكنا ومنزلا (وأضل سبيلا) أي واخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازي والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضلون سبيله وتحشرون مكانه ومنزله ولونظرتهم بعين الانصاف وأنهم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمهم ان مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشرون الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنّف على الدواب وصنّف على أرجلهم وصنّف على وجوههم قبل يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشاكم على أقدامكم يحشرون على وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن (وجعلنا معه أخاه هرون) بدلا أو عطف بيان (وزيرا)

هو في اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمنون بأن يوازر بعضهم بعضا (فقلنا اذهبوا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقديره فذهب اليهم وانذراهم فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة أعني الزام الحجّة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح) أي ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعني نوحا وادريس وشيثا وكان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقناهم) بالطوفان (وجه لناهم) وجعلنا غرقهم أو قصتهم (لناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعتدنا) وهياطنا (لظالمين) لقوم نوح وأصله وأعدناهم لانه أراد تظليمهم فظاهره وهو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه (عذابا أليما) أي النار (وعادا) دمرنا عادا (وثمود) حمزة وحفص على تاويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تاويل الحى أو لانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فينابهم حول الرس وهي البئر غير مطوية انهارت بهم فحسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا وهم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أئمتنا (بين ذلك) المذكور (كثيرا) (٣٧٣) لا يعلمها الا الله أرسل اليهم الرسل

فكذبوهم فاهلكوا (وكلا
ضربنا له الامثال) بيناه
القصص العجيبة من قصص
الاولين (وكلا تترنا تثيرا)
أى أهلكنا اهلا كاو كلا
الاول منصوب بمادل عليه
ضربنا له الامثال وهو أنذرنا
أو حذرنا والثاني تترنا لانه
فارغ له (واقدا أتوا) يعنى
أهل مكة (على القرية) سدوم
وهى أعظم قرى قوم لوط
وكانت خسا أهلك الله
أربعا مع أهلها و بقيت
واحدة (التي أمطرت مطر
السوء) أى أمطرت الله عليها
الحجارة يعنى ان قرشا
مروا مرارا كثيرة فى
متاجرهم الى الشام على
تلك القرية التى أهلكت
بالحجارة من السماء ومطر

اذهب الى القوم الذين كذبوا باياتنا) يعنى القبط (قدمناهم) فيه اضمار أى فكذبوهما فدمرناهم
(ندميرا) أى أهلكناهم اهلا كا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد
كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع (أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أى عبرة لمن بعدهم
(وأعتدنا للظالمين) فى الآخرة (عذابا أليما) أى غير ما حبل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا (وعاد أو غود)
أى أهلكنا عاد أو غود (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا أصحاب مواش
يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وآذوا شعيبا فبيناهم
حول البئر فى منازلهم انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم وورباعهم وقيسك الرس بتر فبلغ العجامة قتلوا نبيهم
فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله وقيل الرس
بانطا كية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس
الاخدود (وقرونا بين ذلك كثيرا) أى وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وغود وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له
الامثال) أى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم يهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا نيرا) أى أهلكناهم
اهلا كآ قوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطرا سوء) يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى
خمس قرى أهلك الله منها أربعاً ونجيت واحدة وهى أصغرهما وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (أفلم
يكنوا يرونها) يعنى اذا مررنا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى
مرهم الى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) أى لا يخافون بعثنا قوله تعالى (واذأرأوك ان يتخذونك الا
هزوا) نزلت فى أبى جهل كان اذا مر مع أصحابه قال مستهزنا (أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد يضلنا)
أى قد قارب ان يضلنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) أى على عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها
لصرفنا عنها (وسوف يعامون حين يرون العذاب) أى فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا
(أرأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه

السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أي امطارا السوء (أفلم يكونوا يرونها) أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكرون وافيؤمنوا (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون أو لا ياملون نشورا كما يامله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم (وإذا رأك ان يتخذونك) ان نافية (الاهزوا) اتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزوا ومهزوا به (أهذا الذي) محكي بعد القول المضمر وهذا الاستصغار واستهزاء أي قائلين أهذا الذي (بعث الله رسولا) والمحدوف حال والعائد إلى الذي محذوف أي بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المحجزات عليهم حتى شارفوا برغمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الاسلام لولا فرط لجأهم واستمسكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعيد ودلالة على أنهم لا يفترونه وان طال مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلالة اذ لا يضل غيره الامن هو ضال في نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أي من أطاع هواه فيما يأتي ويذر فهو عابده هواه وجاعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه إلى الهدى يروي ان الواحد من أهل الجاهلية كان

يعبد الحجر فاذا امر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني وعن الحسن هوى كل متبع هواه (أفانت تكون عليه وكيلاً) أى حفيظاً تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما هو أهواه أفانت تكون عليه موكلات تصرفه عن الهوى إلى الهدى عرفه أن إليه التبليغ فقط (أم نحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً) أم منقطعة معناه بل انحسب كان هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبى السمع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذناً ولا إلى تدبره عقلاً ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها لأن الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطاع من علفها وتعرف من يحسن إليها من يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا يتقادون لربهم ولا يعرفون احسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروى وقالوا الملائكة نكسة روح وعقل والبهايم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل ابتلاء فإن غلبته النفس والهوى فضلته الانعام وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكرنا أكثر لأن فيهم من لم يصد عنه الاسلام الاحب الياسة وكفى (٣٧٤) بهداء عضالاً ولان فيهم من آمن (ألم تر إلى ربك) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته (كيف مد

وأخذ الحسن منه وعبدته وقال ابن عباس رأيت من ترك عبادة الله خالفه ثم هوى شجر افعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد (أفانت تكون عليه وكيلاً) أى حافظاً تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما هو أهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال (أم نحسب أن أكثرهم يسمعون) أى ما نقول سماع طالب الافهام (أو يعقلون) أى ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لأنهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول وإذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكانهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (إن هم) أى ما هم (إلا كالانعام) أى في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكير ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلاً) لأن البهايم تهتدى لمراعيها ومشاربها وتتقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك ﴿قوله تعالى﴾ (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدوداً لأنه ظل لشمس معه (ولو شاء لجعله ساكناً) أى دائماً لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) أى بالشمس التي تاتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ جزأ قبضاً خفيفاً (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) أى ستر استترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شئ كاللباس الذي يشتمل على لابس (والنوم سباتاً) أى راحة لا بد أنكم وقطعاً لأعمالكم (وجعل النهار نشوراً) أى نقطة وزماناً تنتشرون فيه لا بتقاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بخرابين يدي رحمته) يعنى المطر (وأنزله من السماء ماءً طهوراً) الطهور هو

الظل) أى بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لانه ظل ممدود لشمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة الجنة وظل ممدود إذا لا شمس معه ولا ظلمة (ولو شاء لجعله ساكناً) أى دائماً لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلاً) لأنه ما الشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى أخذنا ذلك الظل

الممدود (الينا) إلى حيث أردنا (قبضاً يسيراً)

سهلاً غير عسير أو قليلاً قليلاً أى جزأ جزأ بالشمس التي تاتي عليه وجاء ثم تفاضل ما بين الامور فكان الثاني أعظم من الاول والثالث أعظم من الثاني شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سباتاً) راحة لا بد أنكم وقطعاً لأعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه لا تقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعنده ذكر النشور في مقابلته (وجعل النهار نشوراً) إذا النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار نعمته على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودينية وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشور (وهو الذي أرسل الرياح) الريح مكي والمراد به الجنس (بشر) تخفيف يشرح زشور (بين يدي رحته) أى قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وأزلنا من السماء ماءً) مطراً (طهوراً) بليغاً في طهارته والظهور صفة كقولك ماء طاهر واءم كقولك ماء طهور أى ينظهر به طهور كالوضوء والوقوف لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى

الطاهر

التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور أى بطهارة وما حكي عن ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهر الغيرة وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعل بالمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعدوان كان

(٣٧٥)

لازم (لنحيي به)

بالمطر (بلدة ميتا) ذكر ميتا على ارادة البلد أو المكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) أى ونسقي الماء البهائم والناس وما خلقنا حال من أنعاما وأناسي أى أنعاما وأناسي مما خلقنا وسقي وأسقي اقتان وقرأ المفضل والبرجي ونسقيه والاناسي جمع النسي على القياس ككرسي وكراسي وانسان وأصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وأدغمت وقدم احياء الارض على سقي الانعام والاناسي لان حياتهم سبب لحياتهم وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس من يخون بالتعرب من الاودية والانهار فيهم

الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يطهر به بدليل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالماءات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى أن الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيئا يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما نزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير بأحد أو صافه نظر ان كان الواقع شيئا طاهر الا يزيل طهوريته بجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيئا نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر بجوز الوضوء به والقلتان خمسائة رطل بالبغدادى يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد واسحق وجاعة من أهل الحديث أن الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير بأحد أو صافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير بطعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقي لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء وفي رواية قال قلت يا رسول الله أتبوضأ من بئر بضاعة وهي بئر تطرح فيها خرقة الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء وقوله تعالى (لنحيي به) أى بالمطر (بلدة ميتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) أى نسقي من ذلك الماء (أنعاما وأناسي كثيرا) أى بشرا كثيرا والاناسي جمع النسي وقيل جمع انسان ﴿قوله عز وجل﴾ (واقصد صرفناه بينهم) يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بالمطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بالمطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جيا صرف الله ذلك المطر الى القياقي والبحار وقيل المراد من تصرف المطر تصرفه وبلاوطشاور اذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليد كروا) أى ليتذكروا

غنية عن سقي السماء واعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمة وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقي الاناسي من جملة ما أنزل له الماء وصرفه بالطهورا كراما لهم وبيان ان من حقهم ان يؤثروا بالطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط الاحياء (واقصد صرفناه بينهم ليد كروا) ليد كروا حزة وعلى يريد ولقد صرفناه هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السمحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا

(قَابِيُ كَثْرَ النَّاسِ الْكَفُورِ) قَابِيُ كَثْرِهِمْ الْكَفْرَانَ النِّعْمَةَ وَجُودَهَا وَقَوْلُهُ لَا كَثْرَانَ لَهَا أَوْ صَرْفَ الْمَطَرِ بَيْنَهُمْ فِي الْبِلَادِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَوَاقَاتِ الْمُتَغَايِرَةِ وَعَلَى الصِّفَاتِ الْمُتَفَاوِتَةِ مِنْ وَابِلٍ وَطَلٍّ وَجُودٍ وَرِذَاذٍ وَدِيمَةٍ قَابِيَا الْإِلَافِ الْكَفُورِ وَأَنْ يَقُولُوا مَطَرُنَا بَنُو كَذَا وَلَا يَذْكُرُوا صَنْعَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتَهُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا مِنْ عَامٍ أَقَلَّ مَطَرٌ مِنْ عَامٍ وَلَكِنْ اللَّهُ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَعْرِفُونَ عَدَدَ الْمَطَرِ وَمَقْدَارَهُ فِي كُلِّ عَامٍ لِأَنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَكِنْ يَخْتَلِفُ فِيهِ الْبِلَادُ وَيَنْزِعُ مِنْ هُنَا جَوَابٌ فِي تَكْثِيرِ الْبِلَادَةِ وَالْإِنْعَامِ وَالْإِنْسَانِي وَمِنْ نَسَبِ الْأَمْطَارِ إِلَى الْأَنْوَاءِ وَتَجَدُّدِهَا تَكُونُ هِيَ وَالْأَنْوَاءُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى كَفَرُوا أَنْ رَأَوْا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُهَا وَقَدْ نَسَبَ الْأَنْوَاءُ أُمَارَاتٍ وَدَلَالَاتٍ عَلَيْهِمْ يَكْفُرُ (وَلَوْ شَاءَ لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطْعَمُ السَّكَافِرِينَ) أَيْ لَوْ شَاءَ لَخَفَفْنَا عَنْكَ أَعْيَاءَ نَذَارَةِ جَمِيعِ الْقُرَى وَلَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَبِيًّا يَنْذِرُهَا وَلَكِنْ شِئْنَا أَنْ نَجْمَعَ لَكَ فُضَائِلَ جَمِيعِ الرُّسُلِينَ بِالرَّسَالَةِ إِلَى كَافَّةِ الْعَالَمِينَ فَقَصَرْنَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ وَعَظَمْنَاكَ بِهِ فَتَكُونُ وَحْدَكَ كَكُلِّهِمْ وَلَنْدَا خُوطِبَ بِأَيُّهَا الرُّسُلُ فَقَابِلْ ذَلِكَ بِالشُّكْرِ وَالصَّبْرِ وَالتَّسَدُّدِ وَلَا تُطْعَمُ السَّكَافِرِينَ فَيَا بَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ وَمَدَاهِنَتِهِمْ وَكَمَا

(٣٧٦)

وَيَتَفَكَّرُوا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى (قَابِيُ كَثْرَ النَّاسِ الْكَفُورِ) أَيْ يَجُودُوا وَكَفَرَهُمْ هُوَأْنَهُمْ إِذَا مَطَرُوا قَالُوا مَطَرُنَا بَنُو كَذَا (ق) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى بِنَارِ سَوْدَةَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيدِيَّةِ فِي أَثَرِ سَمَاءٍ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنِي وَكَافِرًا مِمَّنْ قَالَ مَطَرُنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنِي وَكَافِرِي بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مَطَرُنَا بَنُو كَذَا وَكَذَلِكَ كَافِرِي مُؤْمِنِي بِالْكَوَاكِبِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) أَيْ رَسُولًا لَا يَنْذِرُهُمْ وَلَكِنْ بَعَثْنَاكَ إِلَى الْقُرَى كُلِّهَا وَجَلْنَاكَ ثَقُلَ النَّذَارَةُ لَتَشُجِبَ بِصَبْرِكَ مَا عَدَدْنَا لَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالدرَجَةِ الرَّفِيعَةِ (فَلَا تُطْعَمُ السَّكَافِرِينَ) فَيَا بَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ وَمَدَاهِنَتِهِمْ (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أَيْ بِالْقُرْآنِ (جِهَادًا كَبِيرًا) أَيْ شَدِيدًا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أَيْ خَلَطَهُمَا وَأَفَاضَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ وَقِيلَ أَرْسَلَهُمَا فِي مَجَارِيهِمَا (هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ) أَيْ شَدِيدٌ الْعَذَابُ وَبِهِ يَمِيلُ إِلَى الْخِلَافَةِ (وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ) أَيْ شَدِيدٌ الْمَلُوحَةُ وَقِيلَ مَرٌّ (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا رِزْخًا) أَيْ حَاجِزًا بِقُدْرَتِهِ فَلَا يَخْتَلِطُ الْعَذَابُ بِالْمَلْحِ وَلَا الْمَلْحُ بِالْعَذَابِ (وَنَجْرًا مَحْجُورًا) أَيْ سِتْرًا مَنُوعًا فَلَا يَبْنِي أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ وَلَا يَفْسُدُ الْمَلْحُ الْعَذَابَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ) أَيْ مِنَ النُّطْقَةِ (بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) أَيْ جَعَلَهُذَا نَسَبًا وَصِهْرًا وَقِيلَ النُّسْبُ مَا يَحِلُّ نِكَاحُهُ وَالصِّهْرُ مَا يَحِلُّ نِكَاحُهُ وَالنَّسَبُ مَا يَوْجِبُ الْحَرَمَةَ وَالصِّهْرُ مَا لَا يَوْجِبُهَا وَقِيلَ النُّسْبُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالصِّهْرُ الْخِلَافَةُ الَّتِي تُشَبِّهُ الْقَرَابَةَ وَهُوَ النُّسْبُ الْحَرَمُ لِلنِّكَاحِ وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ بِالنُّسْبِ سَبْعًا وَبِالسَّبَبِ سَبْعًا وَيَجْمَعُهَا قَوْلُهُ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتِكُمْ الْآيَةُ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَبَيَانُهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّسَاءِ (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) عَلَى مَا أَرَادَ حَيْثُ خَلَقَ مِنَ النُّطْقَةِ الْوَاحِدَةَ نَوْعَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ (مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) أَيْ أَنْ عِبَدُوهُ (وَلَا يَضُرُّهُمْ) أَيْ أَنْ تَرْكُوهُ (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) أَيْ مَعِينًا عَنِ الشَّيْطَانِ عَلَى رَبِّهِ بِالْمَعَاصِي لِأَنَّ عِبَادَتَهُمْ الْأَصْنَامَ

وَنَهَى الْمُؤْمِنِينَ وَتَحَرَّيْكُمْ بِهِ (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أَيْ بِاللَّهِ يَعْنِي بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ أَوْ بِالْقُرْآنِ أَيْ جَاهِدْهُمْ بِهِ وَفَرِّعْهُمْ بِالْجِهَادِ عَنْهُ (جِهَادًا كَبِيرًا) عَظِيمًا مَوْقِعُهُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَحْتَمِلُ فِيهِ مِنَ الْمَشَاقِّ وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ فِيهِ إِلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا مِنْ كَوْنِهِ نَذِيرَ كَافَّةِ الْقُرَى لِأَنَّهُ لَوْ بَعَثَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا لَوَجِبَ عَلَى كُلِّ نَذِيرٍ مَجَاهِدَةُ قَرْيَتِهِ فَاجْتَمَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى تِلْكَ الْمَجَاهِدَاتُ فَكَبُرَ جِهَادُهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَظُمَ فَقَالَ لَهُ وَجَاهِدْهُمْ بِسَبَبِ كَوْنِكَ نَذِيرَ كَافَّةِ

الْقُرَى جِهَادًا كَبِيرًا جَامِعًا كُلَّ مَجَاهِدَةٍ (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) خَلَا هُمَا مُتَجَاوِرَيْنِ مُتَلَاصِقَيْنِ يَقُولُ مَرَجَتْ الدَّابَّةُ إِذَا خَلِطَتْهُمَا تَرَعَى وَاسْمُ الْمَاءِ مِنَ الْكَثِيرِ مِنَ الْوَاسِعِينَ بِحَرِّينِ (هَذَا) أَيْ أَحَدُهُمَا (عَذَابٌ فَرَاتٌ) صِفَةُ الْعَذَابِ أَيْ شَدِيدٌ الْعَذَابُ حَتَّى يَقْرَبَ إِلَى الْخِلَافَةِ (وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ) صِفَةُ الْمَلْحِ أَيْ شَدِيدٌ الْمَلُوحَةُ (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا رِزْخًا) حَاجِزًا مِنْ قُدْرَتِهِ يَفْصَلُ بَيْنَهُمَا وَيَنْعِيهِمَا التَّخَازُجَ فَهَمَا فِي الظَّاهِرِ مُخْتَلِطَانِ وَفِي الْحَقِيقَةِ مُنْفَصِلَانِ (وَنَجْرًا مَحْجُورًا) وَسِتْرًا مَنُوعًا عَنِ الْأَعْيُنِ كَقَوْلِهِ حُجَابًا مَسْتُورًا (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ) أَيْ النُّطْقَةَ (بَشَرًا) إِنْسَانًا (جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) أَرَادَ تَقْسِيمَ الْبَشَرِ قِسْمَيْنِ ذَوِي نَسَبٍ أَيْ ذِي كَوْرٍ يَنْسَبُ إِلَيْهِمْ فَيُقَالُ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ وَفُلَانَةُ بِنْتُ فَلَانٍ وَذَوَاتُ صِهْرٍ أَيْ أُمَّاتُ بَاصْهَرٍ بِهِنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) حَيْثُ خَلَقَ مِنَ النُّطْقَةِ الْوَاحِدَةِ بَشَرًا نَوْعَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى وَقِيلَ جَعَلَهُ نَسَبًا أَيْ قَرَابَةً وَصِهْرًا مَصَاهِرَةً يَعْنِي الْوَصْلَةَ بِالنِّكَاحِ مِنْ بَابِ الْأَنْسَابِ لِأَنَّ التَّوَاصِلَ يَقَعُ بِهَا بِالْمَصَاهِرَةِ لِأَنَّ التَّوَالِدَ يَكُونُ بِهِمَا (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) أَنْ عِبَدُوهُ (وَلَا يَضُرُّهُمْ) أَنْ تَرْكُوهُ (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) مَعِينًا وَمُظَاهِرًا وَفَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفَاعَلٌ غَيْرُ عَزِيزٍ وَالظَّهِيرُ الْمُظَاهِرُ كَالْعَوَيْنِ وَالْمَعَاوِنِ وَالْمُظَاهِرَةُ الْمَعَاوَنَةُ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْكَافِرَ بِعِبَادَةِ الصُّمِّ يَتَابِعُ الشَّيْطَانَ وَيَعَاوَنُهُ عَلَى مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ

(وما أرسلناك إلا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذر الكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على التبليغ (من أجر) جعل (الامن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) والمراد الافعل من شاء واستثناه من الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سمعت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته بصورة الثواب كأنه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرضا المصاب بالثواب ولعمري انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدود معنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقر بهم إليه بالإيمان والطاعة وبالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالانفاق إلى رضاه به سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجزا الاتخاذ المدعو سبيلا إلى ربه بطاعته فذلك أجرى لان الله يأجرني عليه (وتوكل على الحي الذي لا يموت) اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك إلى من يموت ذليلا يعني ثق به وأسند أمرك إليه في استكفاء شرورهم ولا تشكك على حي يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لدى عقل ان يثق بعدها بخلق والتوكل الاعتماد عليه في كل أمر (وسبح) من ان يكل إلى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذي يوجب الحمد أو قل سبحانه الله وبحمده (٣٧٧) أنزله عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا)

أي كفى الله خيرا بذنوب عباده يعني انه خير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) أي في مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ دليل ونهار روى عن مجاهد وأهل يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وانما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعلما لخلق الرفق والتثبت ثم استوى على العرش الرحمن أي هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير في استوى أو الذي خلق مبتدأ والرحمن خبر (فاسأل)

معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهره ولم تلتفت إليه وقيل أراد بالكافر أبا جهل والاصح انه عام في كل كافر ﴿وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا مبشرا) أي بالثواب على الإيمان والطاعة (ونذيرا) منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد (ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الوحي (من أجر) فنقولوا انما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه فلا نقبعه (الامن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناه لكن من شاء أن يتخذ بانفاق ماله سبيلا إلى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسى أجر اولكن أمنع من انفاق المال الا في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته ﴿وقوله عز وجل (وتوكل على الحي الذي لا يموت) معناه انه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب منهم أجزا البتة أمره أن يتوكل عليه في جميع أموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فإنه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضع البتة (وسبح بحمده) أي صل له شكري اعلى نعمه وقيل معناه قل سبحانه الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه إلى غيره لانه خير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كأنه قال اذا قدمت على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة ﴿وقوله عز وجل (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) أي فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أي ما نعرف الرحمن الارحمان اليمامة يعنون مسيامة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (أنسجد لما تأمرنا) أنت يا محمد (وزادهم) أي قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) أي عن الإيمان والسجود

(٤٨ - (خازن) - ثالث) بلاهزمة مكى وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل به ذاب واقع كما تكون عن صلة في قوله تعالى ثم لنسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلة (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أي فاسأل عنه رجلا عارفا بخبرك برجته أو فاسأل رجلا خبيرا به ورجته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيامة وكان يقال له رحمان اليمامة (واذا قيل لهم) أي اذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن) صلو الله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا اسؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أو عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحم (أنسجد لما تأمرنا) الذي تأمرنا بالسجود له أو لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منابه يا صرنا على وجزة كان بعضهم قال لبعض أنسجد لما يامرنا يا محمد أو يا صرنا بالمسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد عاندوا لان معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بقدها في الرحمة لان فعلا من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان في نهاية العطش (وزادهم) قوله اسجدوا للرحمن (نفورا) تباعدا عن الإيمان

(انها ساءت مستقرا ومقاما) أي ان جهنم وساءت في حكم بثت وفيها ضمير مبهم بفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها أو بمعنى أخزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز ويصح أن يكون التعليان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد في النفقة أو لم ياكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم ينفقوا في المعاصي فالاسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف (ولم يفتروا) بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامي وبفتح الياء وكسر التاء مكّي وبصري والفتروا الاقتار والتفتير التضيق الذي هو نقيض الاسراف (وكان) اتفاقهم (بين ذلك) أي الاسراف والاقتار (قواما) أي عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشئتين والمنصوبان أي بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير بمثله أمر عليه الصلاة (٣٧٩) والسلام ولا تجعل يدك مغلولة إلى

عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسن بن السيستاني فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر والقرو قال عمر رضي الله عنه كفي سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئا إلا أكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أي لا يشركون (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أي حرمها يعني حرم قتلها (الا بالحق) بقود أو رجم أو

وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (انها) يعني جهنم (ساءت) بثت (مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يفتروا) قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الاتفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو أن لا يجمع عياله ولا يعبر بهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) أي قيدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية في صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترهم به العورة ويبقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفي سرفا أن لا يشتهي شيئا الا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) (ق) عن ابن عباس ان ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا قاتلا كثيرا وافتوا كثيرا فقالوا ان الذي تقول وتدعونا إليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فترل والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال ان تدعوه نداه وهو خلقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حيلة جارك فانزل الله تعالى نصديقه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أي ومن يفعل شيئا من ذلك يلق أثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاتام وادى في جهنم وروى في الحديث ان الغي والاتام بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويجذبه فيها) أي ذليلا قوله تعالى (الامن تاب) أي عن ذنبه (وآمن) أي بربه (وعمل عملا صالحا) أي فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر

ردة أو شرك أو سعى في الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) ونفي هذه الكبائر عن عبادة الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قرىش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما أثم عليه (من يفعل ذلك) أي المذكور (يلقى أثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلقى لانهما في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقاء الاتام كقوله متى تأتانا نعلم بنافي ديارنا نجد خطبا جزلا ونارا تأججا فجزم تلهم لانه بمعنى تأتانا اذا اتيان هو الاتام يضاعف مكّي ويزيدو يعقوب يضاعف شامي يضاعف أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف (له العذاب يوم القيامة) أي يعذب على مرور الايام في الآخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (ويجذبه) جزمه مجازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه (فيه) في العذاب فهي مكّي وحفص بالاشباع وانما خص حفص الاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال اي ذليلا (الامن تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع نصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته

(فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يوافقهم للمحاسن بعد القباح أو يحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات بالإيمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل مخففاً للرجي (وكان الله غفورا) يكفر السيئات (رحيماً) يبدلها بالحسنات (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب (٣٨٠)

بذلك إلى الله تعالى متاباً
مرضياً عنده مكفراً
للمخطايا محصلاً للأثواب
(والذين لا يشهدون الزور)
أي الكذب يعني ينفرون
عن محاضر الكذابين
ومجالس الخطائين فلا
يقربونها تنزهاً عن مخالطة
الشروا أهلها أذ مشاهدة
الباطل شركه فيه وكذلك
النظارة إلى ما لم تسوغه
الشريعة هم شركاء فاعليه
في الآثام لأن حضورهم
ونظرهم دليل الرضا وسبب
وجود الزيادة فيه وفي
مواعظ عيسى عليه السلام
أي أياكم ومجالسة الخطائين
أولاً يشهدون شهادة الزور
على حذف المضاف وعن
قتادة المراد مجالس الباطل
وعن ابن الحنفية لا
يشهدون الله والله الغناء
(واذا مروا بالغو)
بالفحش وكل ما ينبغي أن
يلقى ويطرح والمعنى وإذا
مروا بأهل الغو والمشتغلين
به (مروا كراماً) معرضين
مكرمين أنفسهم عن
الثلوث به كقوله وإذا
سمعوا اللغو أعرضوا عنه

الآية ثم نزلت الأمن تاب فأرأت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء قط مثل ما فرح بها وفرح به بانقضاء
لك فتحميها يبدل الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿١﴾ وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وكان الله غفوراً رحيماً) قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام
فيبدلهم بالشرك إيماناً وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحساناً وقيل يبدل الله سيئاتهم التي
عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني لأعلم آخر أهل
الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صفار ذنوبه
وأرغموا عنه كبارها فتعرض عليه صفارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا
كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكروا وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له إن لك مكان
كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لأراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه وقيل إن الله تعالى يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن
تاب وعمل صالحاً) قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب
من الشرك وعمل صالحاً يعني أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب إلى الله) أي يعود إليه بعد الموت
(متاباً) أي حسناً يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الأولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية
رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة وقيل هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات ومعناه من أراد التوبة
وعزم عليها فليتب إلى الله فقوله يتوب إلى الله خبر بمعنى الأمر أي تب إلى الله وقيل معناه فليعلم أن توبته
ومصيره إلى الله تعالى ﴿٢﴾ قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن
أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نبشكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرار بالله
وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت
وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الأسواق وقيل لا يشهدون
الزور يعني أعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو
واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة
تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق (واذا مروا بالغو) هو كل ما يجب
أن يلقي ويترك (مروا كراماً) يعني إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصدفوا فقل هذا
التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى إذا مروا بمجالس اللهو والباطل
مروا كراماً أي معرضين معرضين وهو أن ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة (والذين
إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً) قيل معناه أنه ليس فيه نفي الخروا وإنما هو إثبات له
ونفي الصمم والعمى والمعنى إذا ذكروا بآياتها كبوا على استماعها بآذان واعية وأقبلوا على المذكريها
بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعمياناً كأنهم بآذانهم صم
وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه ﴿٣﴾ قوله عز وجل (والذين

وعن الباقر رضي الله عنه إذا ذكروا الفروج كنوا عنها) (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) يقولون
أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعمياناً) هذا ليس بنفي الخروا بل هو إثبات له ونفي الصمم والعمى ونحوه لا
يلتقي زيد مسلماً هو نفي للسلام لا للقاء انهم إذا ذكروا بآياتها خروا وسجدوا بكياً سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به
ونحوه عنه لا كالتافقين وأشباههم دليله قوله تعالى ومن هدىنا واجتبتنا إذا اتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدوا بكياً (والذين

يقولون ر بناهب لنا من أزواجنا) من البيان كأنه قيل هب لناقرة أعين ثم بينت القرعة وفسرت بقوله من أزواجنا (وذريانا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرعة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد أولادك على معنى هب لنا من جهنم ما تقر به عيوننا من طاعة وصالح وذريتنا أبو عمرو وكوفي غير حفص لا رادة الجنس وغيرهم ذريانا (قرة أعين) وإنما كسر لاجل تشكير القرعة لأن المضاف لا سبيل إلى تشكيره لا بتشكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم سرور أو فرحا أو ما قيل أعين على القلة دون عيون لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تشكير أعين أنها أعين خاصة وهي أعين المتقين والمعنى أنهم سألوهم أن يرزقهم أزواجاً وعقباً بعمل الله تعالى يسرون بمكاهم (٣٨١) وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شيء

أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون بنا في الدين فاكتفى بالواحد دلالة على الجنس وعدم اللبس أو جعل كل واحد منا إماما قيل في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة) أي الغرفات وهي العلالى في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون (بما صبروا) أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفي غير حفص (نجية) دعاء بالتعير (وسلاما) ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة

يقولون ر بناهب لنا من أزواجنا وذريتناقرة أعين) أي أبرار أتقياء صالحين فيقرون أعيننا بذلك قيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل أن العرب تذكّر قرعة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرعة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه تقتدى بالمتقين وتقتدى بنا المتقنون وقال ابن عباس جعلنا أئمة هدى وقيل معناه أنهم سألو الله أن يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار إليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على أن الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مقتدين مؤتمنين بهم (أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يراد بدخول الدرواز برجد واللؤلؤ والياقوت في الجنة (بما صبروا) أي على طاعة الله وأمره وعلى أذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات (ويلقون فيها نجية) أي ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل إليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات قوله تعالى (خالدین فیہا حسنت مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة قوله تعالى (قل ما يعابكم ربي) أي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) أيه قيل معناه لولا عبادتكم أيه وقيل لولا إيمانكم وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى الإيمان فإذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعابكم بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى أنه خلقكم لاطاعتكم وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعابكم أي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ما خلقتكم ولما كان لا حاجة إلا أن تسألوني فأعطيتكم وتستغفروني فأغفرتكم (فقد كذبتم) أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني أن الله دعاكم إلى توحيد الله وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه إلى الإيمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبهم لزما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفسيا يلحق بعضهم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قدمضين الدخان والزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم والزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

وهي مكة الآر بع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون وهي مائتان وسبع

يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه (خالدین فیہا) حال (حسنت) أي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قل ما يعابكم ربي لولا دعاؤكم) مامتضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام أو لولا عبادتكم له أي أنه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون أي الاعتبار عند ربكم لعبادتهم أو ما يصنع بعدا بكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم (فقد كذبتم) رسولى يا أهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزما) أي ذا لازم أو ملازم مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعابكم أي بالمغفرتكم لولا دعاؤكم معه

الها آخر (سورة الشعراء مكية) وهي مائتان وعشرون وسبع آيات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم) طس ويس وحم عمالة كوفي غير الاعشى والبرجي وحفص و يظهر النون عند الميم ز بدوحزة وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة والقرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لعلك باخع) قاتل واهل للاشفاق (نفسك) من الحزن يعني أشفق على نفسك ان تقتلها حسرة وخزاعاً على ما فاك من اسلام قومك (أن لا يكونوا مؤمنين) لا يؤمنوا ولا امتناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم (نزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أي فظلل لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول ان زرتني أكرمك أي أكرمك كذا قاله الزجاج (۳۸۲) (أعناقهم) رؤسائهم ومقدموهم أو جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لقوج

منهم (لما خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت فينا وفي بني أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزه (وما يأتيهم من ذكركم من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيراً لاجددوا اعراضاً عنه وكفرا به (فقد كذبوا) محمد صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتهم) فسيعلمون (نبأ) اخبار (ما كانوا به يستهزؤن) وهذا وعيد لهم وانذار بأنهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم يدرأو يوم القيامة ما الشئ الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتهم انبأؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم (أو ليردوا الى الارض كما أنبتنا)

وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخسمائة وأربعون حرفاً روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه ومذكه (تلك آيات) أي هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام (لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك (أن لا يكونوا مؤمنين) أي ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحصر على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوي أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح محي خاضعين خبراً عن الاعناق قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء وقيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤسائهم ومقدموهم أي فظلت كبرائهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أي جماعة ﴿قوله تعالى﴾ (وما يأتيهم من ذكركم من الرحمن) أي وعظ وتذكير (محدث) أي محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكما نزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) أي عن الايمان به (فقد كذبوا فسيأتهم) أي فسوف يأتيهم (أنباء) أي أخبار وعواقب (ما كانوا يستهزؤن أولم يروا الى الارض) يعني المشركين (كم أنبتنا فيها) أي بعد ان لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأتى كل الناس والانعام وقال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لثيم (ان في ذلك) أي الذي ذكر (آية) تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدها كما قيل

وفي كل شئ له آية تدل على انه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق علمي فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون (وان ربك هو العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لاوليائه ﴿قوله تعالى﴾ (واذ نادى) أي

كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام واذكر كالجمل الكريم الذي نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكل تدل على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبي على كمال قدرته (ان في ذلك آية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى ايمانهم (وان ربك هو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم ۴ وآية مع الاخبار بكثرتها لان ذلك مشار به الى مصدر انبتنا والمراد ان في كل واحد من تلك الأزواج لآية أي آية (واذ) مفعول به أي اذ كراذ (نادى) دعاء قوله وآية هكذا بالاصل ولعله سقط منه واقرأوا ونحو ذلك اه مصححه

(ربك موسى أن انت) أن بمعنى أي (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر و بني اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجته قوم فرعون وكانهم ما عاينوا تعقبان على مؤدى واحد (الآيتقون) أي اتهم زاجر فقد أن لهم أن يتقوا وهي كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (قال رب اني أخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقيم (أن يكذبون ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياي مستأنف أو عطف على أخاف (ولا ينطلق لساني) بان تغلبني الحجة على ما أرى من الحال واسمع من الجدال و بنصهم ما يعقوب عطف على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع (فارسل الى هرون) أي أرسل اليه جبريل واجعله نبيا يعينني على الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتباس من موسى عليه السلام (٣٨٣) توقفا في الامتثال بل الالتباس عون

في تبليغ الرسالة وتهديد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لاعلى التعلل (ولهم على ذنب) أي تبعة ذنب بقتل القبطي خذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سبقة (فاخاف أن يقتلون) أي يقتلوني به قصاصا وليس هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعدده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجعل له الاستجابتين معاني قوله (قال كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع برده عن الخوف والتمس

واذكر يا محمد اذ نادى (ربك موسى) أي حين رأى الشجرة والنار (أن انت القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون) يعني القبط (الآيتقون) أي يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى) أي بتكذيبهم اياي (ولا ينطلق لساني) أي للعقدة التي كانت على لسانه (فارسل الى هرون) ليوازي ويعينني على تبليغ الرسالة (ولهم على ذنب) أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي (فاخاف أن يقتلون) أي به (قال) الله تعالى (كلا) أي لن يقتلوك (فاذهبا يا أياتنا انامعكم مستمعون) أي سامعون ما تقولون وما يقل لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان قلت أجراهما مجرى الجماعة وهو جائز في لغة العرب (فانتيا فرعون فقولا انارسل رب العالمين) فان قلت هلاثنى الرسول كما في قوله فانتيا فقولا انارسل ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى اناذروا رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم بشئ ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة وقيل انهما اتفقا فهما في الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كأنهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بني اسرائيل) أي خلهم وأطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربع مائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى برسالة قربته الى مصر وهرون بها فاخبره بذلك وفي القصة أن موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكتل معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل دار تتسه وأخبر هرون ان الله قد أرسلني الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهم ما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمنع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدعا الباب ففرع البوابون وقالوا من الباب فقال اناموسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاها ما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا

منه رسالة أخيه فأجابه بقوله اذهبا أي جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما نظن فاذهب أنت وهرون (باياتنا) مع آياتنا وهي اليد والعصا وغير ذلك (انامعكم) أي معكم بالعون والنصرة ومع من أرسلنا اليه بالعالم والقدرة (مستمعون) خبر لان ومعكم اغواؤا وهما خبران أي سامعون والاستماع في غير هذا الاصغاء للسمع يقل استمع فلان حديثه أي أصغى اليه ولا يجوز حله ههنا على ذلك فحمل على السماع (فانتيا فرعون فقولا انارسل رب العالمين) لم يثن الرسول كما في قوله انارسل ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى في الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولانهما اتفقا فهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد وأريد ان كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (معنا بني اسرائيل) يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فانتيا بابا فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال اسن له لعلنا نضحك منه فاذا باليه الرسالة فعرف فرعون موسى

فَعِنْدَ ذَلِكَ (قَالَ أَلَمْ تَرَ بَكَ فِينَا وَلِيدًا) وَأَمَّا حَذْفُ فَأْتِيَا فَرْعُونَ فَقَالَ اخْتَصَارًا وَالْوَلِيدُ الصَّبِيُّ لِقَرَبِ عَهْدِهِ مِنَ الْوَلَادَةِ أَيْ أَلَمْ تَكُنْ صَغِيرًا
فَرِينَاكَ (وَلَبِثْتُ فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سَنِينَ) قِيلَ ثَلَاثِينَ سَنَةً (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ) يَعْنِي قَتَلَ الْقَبْطِيَّ فَعَرَضَ إِذَا كَانَ مَلِكًا (وَأَنْتَ مِنَ
السَّكَافِرِينَ) نَعْنِي حَيْثُ قُتِلَتْ خَبَازِي أَوْ كُنْتُ عَلَى دِينِنَا الَّذِي أَسْمِيَهُ كُفْرًا وَهَذَا افْتِرَاءٌ مِنْهُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الْكُفْرِ وَكَانَ يَعِيشُ بِهِمْ
بِالنَّفِيقَةِ (قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا) أَيْ إِذَا ذَاكَ (وَأَمَّا مِنَ الضَّالِّينَ) الْجَاهِلِينَ بِأَنَّهُمَا تَبْلُغُ الْقَتْلَ وَالضَّالُّ عَنِ الشَّيْءِ هُوَ الذَّاهِبُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ أَوِ النَّاسِ مِنْ قَوْلِهِ
أَنْ تَضِلَّ أَحَدُهُمَا فَتَذْكُرَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَى فَيُدْفَعُ وَصَفُ الْكُفْرِ عَنْ نَفْسِهِ وَوَضَعَ الضَّالِّينَ مَوْضِعَ الْكَافِرِينَ وَإِذَا جَوَابٌ وَجَزَاءٌ مَعَاوَهُ هَذَا
الْكَلَامِ وَقَعَ جَوَابًا لِفَرْعُونَ وَجَزَاءٌ لَهُ لِأَنَّهُ قَوْلُ فَرْعُونَ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ مَعْنَاهُ أَنْكَ جَازَيْتَ نَعْمَتِي بِمَا فَعَلْتَ فَقَالَ لَهُ مُوسَى نَعَمْ فَعَلْتَهَا عَجَازًا يَالِكَ
تَسْلِيًا لِقَوْلِهِ لِأَنَّهُ نَعْمَةٌ كَانَتْ جَدِيرَةً بِأَنْ

(٣٨٤)

تَجَازَى بِتَحْوِذِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ) إِلَى مَدِينِ (لَمَّا خَفْتُمْ) أَنْ

تَقْتُلُونِي وَذَلِكَ حِينَ قَالَ لَهُ
مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فَرْعُونَ إِنَّ
الْمَلَائِكَةَ يَأْتُمُّونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ
فَإَخْرَجَ الْآيَةَ (فَوَهَبَ لِي
رَبِّي حِكْمًا) نَبُوَّةً وَعِلْمًا
فَزَالَ عَنِّي الْجَهْلُ وَالضَّلَالَةُ
(وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ)
مِنْ جِلَّةِ رُسُلِهِ (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَنْهَى عَلَى أَنْ عِبَدْتُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ) كَرَّرَ عَلَى امْتِنَانِهِ
عَلَيْهِ بِالْغَرَبِ فَابْطَلَهُ مِنْ
أَصْلِهِ وَأَيْ أَنْ تَسْمِيَ نِعْمَةً
لِأَنَّهُ نِقْمَةٌ حَيْثُ بَيْنَ أَنْ
حَقِيقَةُ أَنْعَامِهِ عَلَيْهِ تَعْبِيدُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ تَعْبِيدُهُمْ
وَقَصْدُهُمْ بِذَنْجِ آبَائِهِمْ هُوَ
السَّبَبُ فِي حَصُولِهِ عِنْدَهُ
وَتَرَبُّتِهِ وَلَوْ تَرَكَهُمْ لَرَبَاهُ
أَبَوَاهُ فَكَانَ فَرْعُونَ أَمْتًا
عَلَى مُوسَى بِتَعْبِيدِ قَوْمِهِ
وَإِخْرَاجِهِ مِنْ شَجَرِ أَبُوبِهِ
إِذَا حَقَّقْتَ وَتَعْبِيدَهُمْ
تَذْلِيلَهُمْ وَاتِّخَاذَهُمْ عِبِيدًا

تَضَحَّكَ مِنْهُ فَدَخَلَ عَلَى فَرْعُونَ وَأَدْيَارَ سَالَةَ اللَّهُ تَعَالَى فَعَرَفَ فَرْعُونَ مُوسَى لِأَنَّهُ نَشَأَ فِي بَيْتِهِ (فَقَالَ) لَهُ (أَلَمْ
تَرَ بَكَ فِينَا وَلِيدًا) أَيْ صَبِيًّا (وَلَبِثْتُ فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سَنِينَ) أَيْ ثَلَاثِينَ سَنَةً (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ) يَعْنِي
قَتَلَ الْقَبْطِيَّ (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْجَاهِلِينَ لِنَعْمَتِي وَحَقِّي تَرَبُّتِي يَقُولُ
رَبِينَاكَ فِينَا فَكَأَنَّا أَنْ قَتَلْتُمَا نَفْسَا وَكُفَرْتُمَا نَعْمَتَنَا وَهِيَ رَوَايَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنْ فَرْعُونَ لَمْ يَكُنْ
يَعْلَمُ الْكُفْرَ بِالرَّبِّ يُبَيِّنُ وَلَا نَ الْكُفْرَ غَيْرَ جَائِزٍ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَا قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَلَا بَعْدَهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَأَنْتَ مِنَ
الْكَافِرِينَ بِفَرْعُونَ وَاهْلِيَّتِهِ (قَالَ) يَعْنِي مُوسَى (فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَمَّا مِنَ الضَّالِّينَ) أَيْ مِنَ الْجَاهِلِينَ بِأَنَّهُ ذَلِكَ
يُؤَدِّي إِلَى قَتْلِهِ لِأَنَّهُ فَعَلَ الْوَكْزَةَ عَلَى وَجْهِ التَّأْدِيبِ لَا عَلَى وَجْهِ الْقَتْلِ وَقِيلَ مِنَ الضَّالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ
وَقِيلَ مِنَ الْخَطِئِينَ (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ) أَيْ إِلَى مَدِينِ (لَمَّا خَفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حِكْمًا) يَعْنِي النَّبُوَّةَ وَقِيلَ الْعِلْمُ
وَالْفَهْمُ (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنْهَى عَلَى أَنْ عِبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (أَيْ اتَّخَذْتُهُمْ عِبِيدًا) قِيلَ عِنْدَهَا
مُوسَى نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْهِ حَيْثُ رَبَاهُ وَلَمْ يَقْتُلْهُ كَمَا قَتَلَ وَلَدَانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَسْتَعْبِدْهُ كَمَا اسْتَعْبَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنْهَى عَلَى أَنْ عِبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَرَكَتَنِي فَلَمْ يَسْتَعْبِدْنِي وَقِيلَ هُوَ عَلَى طَرِيقِ
الْإِنْكَارِ وَمَعْنَى الْآيَةِ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِفْهَامِ حَذْفُ الْآلِفِ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَيْعَةَ

لَمْ أُنْسَ يَوْمَ الرِّحْلِ وَقَفْتَهَا * وَطَرَفَهَا مِنْ دُمُوعِهَا غَرِقَ
وَقَوْهَا وَالرَّكَبَ وَاقِفَةً * تَرَكْنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

أَيْ أَتَرَكَنِي وَالْمَعْنَى أَتَمَّنَّ عَلَى أَنْ رَبِّيتَنِي وَتَنَسَّى جَنَابَتَكَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْإِسْتِعْبَادِ وَالْمَعَامَلَاتِ الْقَبِيحَةِ أَوْ
بِرَيْدِ كَيْفَ تَمَّنَّ عَلَى الْغَرَبِ وَقَدْ اسْتَعْبَدْتَ قَوْمِي وَمِنْ أَهْلِهِمْ قَوْمَهُ فَقَدْ ذَلَّ فَتَعْبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَحْبَبْتُ
حَسَنَاتِكَ إِلَيَّ وَلَوْلَمْ تَسْتَعْبِدْهُمْ وَلَمْ تَقْتُلْ أَوْلَادَهُمْ لَمْ أُرْفَعْ إِلَيْكَ حَتَّى تَرَبُّتَنِي وَتَكْفُلَنِي وَكَانَ لِي مِنْ أَهْلِي مَنْ
يَرَبُّتَنِي وَلَمْ يَلْقُونِي فِي الْيَمِّ (قَالَ فَرْعُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) يَقُولُ أَيْ شَيْءُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ أَيْ
يُسْتَوْصَفُ بِالْهِمَّةِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ سُؤَالٌ عَنِ جِنْسِ الشَّيْءِ وَاللَّهُ تَعَالَى مَنَزَعٌ عَنِ الْجِنْسِيَّةِ وَالْمَاهِيَةِ فَهَذَا عَدِلَ
مُوسَى عَنْ جَوَابِهِ وَأَجَابَهُ بِذِكْرِ أَفْعَالِهِ وَأَنَّهُ قَدْرَتُهُ الَّتِي تَجْزِي الْخَلَائِقَ عَنِ الْإِنْيَانِ بِمِثْلِهَا (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) أَنَّهُ خَافَهُمَا فَاعْرِفُوا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَعْرِيفُهُ إِلَّا بِمَا ذَكَرْتُمْ لَكُمْ فَإِنْ أَقْبَلْتُمْ
بِذَلِكَ لَزِمَكُمْ أَنْ تَقْطَعُوا أَنَّهُ لَا جَوَابَ لَكُمْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْجَوَابِ وَقَالَ أَهْلُ الْعَالَمِينَ أَيْ كَمَا
تُوقِنُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَعَابُونَهَا فَيَقْنُوا أَنَّ اللَّهَ الْخَلِيقَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهَا وَأَوْجَدَهَا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ

وَوَحْدَ الضَّمِيرِ فِي تَنْهَى وَعِبَدْتُ وَجَعْتُ فِي مِنْكُمْ وَخَفْتُمْ لَأَنَّ الْخُوفَ وَالْفَرَارَ لَمْ يَكُونَا مِنْهُ وَحْدَهُ وَلَكِنْ مِنْهُ
وَمِنْ مِلَّتِهِ الْمُؤْتَمِرِينَ بِقَتْلِهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتُمُّونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ وَأَمَّا الْإِمْتِنَانُ فَهُوَ وَحْدَهُ وَكَذَا التَّعْبِيدُ وَتِلْكَ إِشَارَةٌ إِلَى خَصْلَةِ شَتَاءٍ مَبْهَمَةٍ
لَا يَدْرِي مَا هِيَ إِلَّا بِتَفْسِيرِهَا وَمَحَلُّ أَنْ عِبَدْتُ الرُّفْعَ عَطْفٌ بَيَانٌ لِتِلْكَ أَيْ تَعْبِيدُكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ نِعْمَةً تَنْهَى عَلَى (قَالَ فَرْعُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)
أَيْ أَنَّكَ تَدْعِي أَنَّكَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَمَا صَفْتَهُ لَأَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ السُّؤَالَ عَنْ صِفَةٍ زِيدْتَ قَوْلَ مَا زِيدْتَ تَعْنِي أَطْوِيلُ أَمْ قَصِيرُ أَفْقِيهِ أَمْ طَيِّبُ نَصِ
عَالِمِهِ صَاحِبُ الْكُشَافِ وَغَيْرِهِ (قَالَ) مُوسَى مَحْيِيَالَهُ عَلَى وَفْقِ سَوْأِهِ (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أَيْ وَمَا بَيْنَ الْجَنَسَيْنِ (إِنْ كُنْتُمْ
مُوقِنِينَ) أَيْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْأَشْيَاءَ بِالْإِدْلِيلِ فَكُنِّي خَلْقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ دَلِيلًا أَنَّ كَانِ يَرْجِي مِنْكُمْ الْإِيقَانُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَيْهِ النَّظَرُ الصَّحِيحُ
تَفْعَلُكُمْ هَذَا الْجَوَابَ وَالْإِلَامُ يَنْفَعُ وَالْإِيقَانُ الْعِلْمُ الَّذِي يَسْتَفَادُ مَالَا سَدَلًا وَلِذَا لَا يَقَالُ اللَّهُ مُوقِنٌ

(قال) أي فرعون (لن حوله) من أشرف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة (ألاستمعون) محبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان طمار بافاحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهد واحدونه وفداءه فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أي هو خالقكم وخالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وانما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أي فرعون (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون) حيث يزعم ان في الوجود الها غيري وكان فرعون ينكر الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فستدلون بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم أولا بخلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها ومن ولدته وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدلل به وظهوره اتقيل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاموات على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن (٣٨٥) الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما

أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبية وآثار صنعه فقال محبا لهم من جواب موسى ألاستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجئنه فرعون زاعما أنه حاد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول مبينا أن الفرد الحقيق إنما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة في قوله تعالى ان كنتم تعقلون أي ان كان لكم عقل علمكم أنه لا يمكن معرفته لا بهذا الطريق فلما تحير فرعون

موسى تحير فرعون في جواب موسى (قال لن حوله) أي من أشرف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة (ألاستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني اني انما أطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى في البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعني ان موسى ذكر ما هو أقرب اليهم فقال ربكم يعني أنه خالقكم وخالق آبائكم الاولين (قال) يعني فرعون (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون) يعني المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه ويتكلم بكلام لا نقبله ولا نعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثاني ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت (قال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان بهوى فيه الى الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين توعدده بالسجن (أولوجئتكم بشئ مبين) أي بآية بينة والمعنى أنفعل ذلك ولوجئتكم بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان (قال) يعني فرعون (فأت به) أي انال نسجنك حينئذ (ان كنت من الصادقين فأتني عصاه فاذا هي ثعبان مبين) قيل انها الماصرات حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي أرسلاك الا أخذتها فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (لما حوله

(٤٩ - (خازن) - ثالث) ولم ينهيه الى أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت الها غيري) أي غيري الها (لا جعلنك من المسجونين) أي لا جعلنك واحدا من عرف حاطم في سجنوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد ولو قيل لا سجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان أخصر (قال) أولو جئتكم (الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أي أنفعل بي ذلك ولوجئتكم) (بشئ مبين) أي جائيا بالمعجزة (قال فأت به) بالذي بين صدقك (ان كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب الشرط مقدار أي فأحضره (فأتني عصاه فاذا هي ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لاشئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر روي ان العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلاك الا أخذتها فاخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فيه دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نورا يروى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فخرج يده فقال لفرعون ما هذا قال فرعون يدك فادخلها في ابطن ثوبه ثم نزعها وها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال) أي فرعون (لما حوله) هو منصوب نصيبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال

من الملائكة كائن حوله والعامل فيه قال (ان هذا الساحر عليم) بالسحر ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا) منصوب لأنه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرون) تشيرون في أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزال عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفاً طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبده وهو الهلهم أو جعلهم آمريين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما ولا تباعث قتلهم ما خوفهم من الفتنه (وابعث في المداين حاشرين) شرطاً يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحر عليم) جفاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه (جمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقفه لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه موافيت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استجبالهم (لعلنا نفع السحرة) في (۳۸۶) دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أي غلبوا موسى ولا تتبع موسى في دينه وليس

غرضهم اتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فاسقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم) وبكسر العين على وهما لغتان (وانكم اذا المن المقربين) أي قال فرعون نعم لكم أجر عندي وتكونون مع ذلك من المقربين عندي في المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا اجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله

ان هذا) يعني موسى (الساحر عليم) وكان زمان السحر فلما دارج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى (فإذا تأمرون) يعني ما رأيكم فيه وما الذي أعمله فعند ذلك (قالوا أرجه وأخاه) أي أخره وأخاه (وابعث في المداين حاشرين يأتوك بكل سحر عليم) قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة في أمره ولكن أخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك نجة (قوله تعالى) (جمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي لتنظروا ما يفعل الفريقان ولئن نكون الغلبة (لعلنا نفع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأتى به بقوله (قال نعم وانكم اذا المن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أحباهم وعصبيهم وقالوا بعزة فرعون) أي بعظمة فرعون (اننا نحن الغالبون فآلحق موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون) أي ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل مارموه من حباهم وعصبيهم ثم أخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة (فآلحق السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا ما جاوز حد السحر عاموا انه ليس بسحر ثم لم يتماكوا ان خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين قالوا لاضيرنا إلى ربنا منقلبون) أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لانا نالنا قلب ونصير إلى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم (انا

انكم اذا المن المقربين معطوفاً عليه دخلت اذا فارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء (قال لهم موسى) نطمع ألقوا ما أتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته (فألقوا حباهم) سبعين ألف جبل (وعصبيهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصا (وقالوا بعزة فرعون اننا نحن الغالبون) اقساموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية (فآلحق موسى عصاه فاذا هي تلقف) تبتلع (ما يأفكون) ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون في حباهم وعصبيهم أنها حيات تسعى (فآلحق السحرة ساجدين) عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لأنه ذكر مع الالتفات ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قالوا آمنا برب العالمين) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا أن يعزله وقيل ان فرعون لما سمع منهم آمنا برب العالمين قال إياي عنيتم قالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) بذلك (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقد تواطأتم على أمر ومكر (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم ثم صرح فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من أجل خلاف ظهر منكم (ولا صلبنكم أجمعين) كانه أراد به ترهيب العامة لئلا يتبعوهم في الإيمان (قالوا لاضير) لا ضرر وخبر لا محذور في أي في ذلك أو علينا (انا إلى ربنا منقلبون انا

نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (أول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أرادوا الأضرر علينا في ذلك بل لنا اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا ولاضير علينا فيما تنوع دنا به انه لا بد لنا من الانقلاب الى ر بنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها ولاضير علينا في قتلك انك ان قبلتنا انقلابنا الى ر بنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمة لما رزقنا من سبق الى الايمان (وأوحينا الى موسى أن أسر) وبوصل الهمة حجازي (بعبادي) بني اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بقبية أي سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه على الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعني اني بنيت تدابير أمرهم وأمرهم على أن تتقدموا وتتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتهم حتى خرج موسى بقومه وروى (٣٨٧) ان الله تعالى أوحى الى موسى

أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة ايات في بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سأم الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابهم بدم وسأمهم بقتل أبكار القبط واخبروا خيرا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمرى (فارسل فرعون في المدن حاشرين) أي جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشر ذمة قليلون) والشر ذمة الطائفة القليلة ذكركم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة أو أراد بالقلة الذلة لاقلة العدد أي انهم لقلتهم لا يبالى بهم

نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أي الكفر والسحر (أن) أي لان (كنا أول المؤمنين) أي من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل أوحى الله الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أهل أربعة ايات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضر بوابدماها على أبوابكم فاني سأم الملائكة فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأمرهم أن لا يدخلوا بيتا على بابهم ثم اخبروا خيرا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لفرعون ان لنا في هذه الليلة عيد فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا (فارسل فرعون في المدن حاشرين) يعني الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدن ألف مدينة واثنى عشر ألف قرية فارسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسة آلاف وخرج فرعون في الكرسي العظيم في مائتي ألف ملك مسورين مع كل ألف ملك فلذلك قال (ان هؤلاء لشر ذمة قليلون) قال أهل التفسير كانت الشر ذمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعد وادون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عددا أصحاب فرعون (وانهم لنا غناظون) الغيظ الغضب يعني انهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبكارنا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا (وانا لجميع حذرون) أي خائفون من شرهم وقرئ حاذرون أي ذوو قوة واداءة ككون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذر الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذي لاتلقاه الا خائفا (فاخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافتي النيل فيها عيون وأنهار جارية (وكنوز) يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانية آلاف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أي مجلس حسن قيل أراد مجالس الامراء والرؤساء التي كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشرف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مخصصة بالذهب والمعنى انا أخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) أي كما وصفنا (وأورثناها بني اسرائيل) وذلك ان الله

ولا توقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من معه فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف (وانهم لنا لغناظون) أي انهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهي خروجهم من مصرنا وحبسهم حليتنا وقتلهم أبكارنا (وانا لجميع حذرون) شامى وكوفي وغيرهم حذرون فالخذر المتيقظ والخذر الذي يجد حذره وقيل المؤدى في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياط لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقظ والخذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سار عنا الى حسم فساد هذه معاذيرها الى أهل المدن لتلايظن به العجز والفتور (فاخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وأنهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) بهي بهيج وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي الامر كذلك (وأورثناها بني اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعا واخذوا ديارهم وأموالهم

(فأتبعوهم) فلهحقوهم فأتبعوهم يزيد (مشرقين) حال أي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها أي ادرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلم تراءى الجمعان) أي تقابل بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو إسرائيل والقيبط (قال أصحاب موسى ان لمدركون) أي قرب أن يلحقنا عدونا وامامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعده الله إياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن بدركونكم (ان معي) معي حفص (ربي سيهدين) أي سيهديني طريق النجاة واضرارهم سيهديني بالياء يعقوب (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) أي القلزم أو النيل (فانطلق) أي فضرب فانطلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أي جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المنطاد في السماء (وأزلفناهم) حيث انشلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قر بناهم من بني إسرائيل (٣٨٨) أو من البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا

(الآخرين) فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكوكب في الآجال وغيرها من الخواص فافهم اجتماعوا في الهلاك مع اختلاف طوعا لهم وروى ان جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رو بكم يلحق آخركم بأولكم فلما انتهى موسى إلى البحر قال بوشع لموسى ابن أمرت فهذا البحر امامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا نخاض بوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل

عز وجل رددني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فلم تراءى الجمعان) أي تقابل بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى ان لمدركون) أي سيدر كنف فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) يعني موسى لثقة بوعده الله تعالى إياه (كلا) أي لن بدركونا (ان معي ربي سيهدين) أي يدلني على طريق النجاة (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانطلق) أي فضربه فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمى بموج كالجبال قال بوشع يا كلهم الله أين أمرت فقد غشنا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا نخاض بوشع الماء لا يوارى حافداً ابته وقال الذي يكتم إيمانه يا كلهم الله أين أمرت قال ههنا فكبج فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أخفمه البحر فار تسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانلقا فاذا الرجل واقف على فرسه لم يتزل سرجه ولا لبدته (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قر بنا فرعون وجنوده إلى البحر وقد مناهم إلى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويقول للقبط رو بكم يلحق آخركم بأولكم فكان بنو إسرائيل يقولون مارأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارأينا أحسن دعة من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) يعني انه تعالى جعل البحر ينسحق حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فأغرقهم (ان في ذلك لآية) يعني ما حدث في البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومجزة لموسى عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) يعني أهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم ابنة ماري التي دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر (وان ربك هو العزيز الرحيم) قوله تعالى (واتل عليهم نبأ إبراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون وانما قال إبراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة الاصنام ليريههم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء (قالوا تعبدوا صنما فنظروا لها عافا كفين) أي تقيم على عبادتها وانما قالوا نظروا لانهم كانوا

كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء (ان في ذلك) أي فيها فعلنا بموسى وفرعون (لآية) لعبرة عجيبه لا يعبدونها توصف (وما كان أكثرهم مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك هو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على أوليائه (واتل عليهم) على مشركي قريش (نبأ إبراهيم) خبره (اذ قال لأبيه وقومه) قوم إبراهيم أو قوم الاب (ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون وإبراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليريههم ان ما يعبدونه ليس يستحق للعبادة (قالوا تعبدوا صنما) وجواب ما تعبدون أصناما كيستلوا لك ماذا ينفعون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا تعبد في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على تعبد (فنظروا لها عافا كفين) فنقيم على عبادتها طول النهار وانما قالوا فنظروا لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام

(قال) أي إبراهيم (هل يسمعونكم) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف للدلالة (اذتدعون) عليه (أو ينفعونكم) ان عبدعوها (أو يضرون) أي ان تركتم عبادتها (قالوا بل) اضرب أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضرو ولا تعبدوا الشيء من ذلك ولكن (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقلدناهم (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أتم وآبأؤكم الاقدمون) الاولون (فانهم) أي الاصنام (عدولي) العدو والصديق يجيآن في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا أعداء لي في يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أي فاني عدوهم وفي قوله عدولي دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدولكم لم يكن بتلك المثابة (الارب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين (الذي خلقتني) بالتكوين في القرار المكين (فهو يهديني) لما هيج الدنيا والمصالح الدين والاستقبال في يهديني مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهديني للاهم الافضل والاتم الاكل والذي خلقتني لاسباب خدمته فهو يهديني الى آداب خلته (والذي (٣٨٩) هو يطعمني) أضاف الاطعام الى ولي الانعام لان الركون

الى الاسباب عادة الانعام (ويسقين) قال ابن عطاء هو الذي يحيني بطعامه ويرييني بشرابه (واذا مرضت) وانما لم يقل أمرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضاف اليه ما يقتضي الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق (فهو مرضت) أصابني مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للدب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) أي يبرئني ويعافيني من المرض (والذي يميتني ثم يحييني) أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة (والذي أطعم) أي أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين كان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه أنه لا يصلح للدهلية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (والحقني بالصالحين) أي بمن سلف قبلي من الانبياء في المنزلة والدرجة العالية (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذرا جيلنا وقبولاً عامافي الامم التي تجيء بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويشنون عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي بمن تعطي جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابي انه كان من

يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) أي يسمعون دعاءكم (اذتدعون أو ينفعونكم) يعني بالرزق (أو يضرون) أي ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما ألزمهم الحجة القاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انها لا تسمع قولنا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أتم وآبأؤكم الاقدمون) أي الاولون (فانهم عدولي) أي أعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل قلت معناه فانهم عدولي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فاني عدوهم لان من عاديته فقد عاداك (الارب العالمين) أي ولكن رب العالمين فانه ربي وولي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال إبراهيم كل ما تعبدون أعداء لي الارب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال (الذي خلقتني فهو يهديني) الى طريق النجاة (والذي هو يطعمني ويسقين) أي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب (واذا مرضت) أصابني مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للدب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) أي يبرئني ويعافيني من المرض (والذي يميتني ثم يحييني) أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة (والذي أطعم) أي أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين كان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه أنه لا يصلح للدهلية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (والحقني بالصالحين) أي بمن سلف قبلي من الانبياء في المنزلة والدرجة العالية (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذرا جيلنا وقبولاً عامافي الامم التي تجيء بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويشنون عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي بمن تعطي جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابي انه كان من

عن الافناء وأدخل الفناء في الهداية والشفاء لانهم ما يعقبان الخلق والمرض لامعاما (والذي أطعم) طمع العبيد في الموالى بالافضل لاعلى الاستحقاق بالسؤال (ان يغفر لي خطيئتي) قيل هو قوله اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربي للبازغ هي أختي لسارة وما هي الامعاريص جائزة وليست بخطايا يطلب لها استغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة (يوم الدين) يوم الجزاء (رب هب لي حكما) حكمة أو حكما بين الناس بالحق أو نبوة لان النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (والحقني بالصالحين) أي الانبياء ولقد أجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذرا جيلنا في الامم التي تجيء بعدي فاعطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويشنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلني من) يتعلق بمحذوف أي وارثا من (ورثة جنة النعيم) أي من الباقيين فيها (واغفر لابي) اجعله أهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه (انه كان من

(الضالين) الكافرين (ولا تخزني) الاخرى وهو الهوان اومن الخزية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما ينسب (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لانه معلوم اول للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لايه أي ولا تخزني في يوم يبعث الضالون وأبي فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول (ولا ينون) أحد (الامن أتى الله بقلب سليم) عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض أي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الامن أتى الله بقلب سليم من فطنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكرامه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته ابراهيم اذ جاء به بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلام من كلامه مع المشركين حيث سأطهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلتهم فابطل أمرها بانها لا تنصر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليد هم آباءهم الاقدمين فانخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمة ثم اتبع ذلك ان (٣٩٠) دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهاال الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة

ونواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال ونمى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (وأزلفت الجنة للمتقين) أي قربت عطف جملة أي تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها (وبرزت الجحيم) أي أظهرت حتى يكاد يأخذهم طهبها (لغاوين) للكافرين (وقيل لهم) أيما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو يتصرون (فككبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قد فواو طرحوا بعضهم على بعض وقيل القوا على رؤسهم (فيها) أي في جهنم (هم والغاؤون) يعني الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس أجمعون) يعني أتباع ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعني العابدين والمعبودين (تالله ان كنا في ضلال مبين اذنسوكم) أي نعدكم (رب العالمين) فنعبدكم (وما أضلنا) يعني دعانا الى الضلال (الاجرمون) يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتديناهم وقيل يعني ابليس وابن آدم الاول وهو قاييل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فألانا من شافعين) يعني من يشفع لنا كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولا صديق جيم) أي قريب يشفع لنا بقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق في المودة مع

على انشراحهم فيقال لهم أين آلتكم هل ينفعونكم ينصرونكم لكم أو هل ينفعون أنفسهم باتصايرهم لانهم وآلتهم وفود النار (فككبوا) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) في الجحيم (هم) أي الآلهة (والغاؤون) وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكية تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا ألقى في جهنم ينكب مرة ثم مرة حتى يستقر في قعرها نحو ذبالة منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين (تالله ان كنا في ضلال مبين اذنسوكم) نعدكم أيما الاصنام (رب العالمين) في العبادة (وما أضلنا الاجرمون) أي رؤساؤهم الذين أضلوهم وأبليس وجنوده ومن سن الشرك (فألانا من شافعين) كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة (ولا صديق جيم) كما نرى لهم أصدقاء اذ لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فينتهم التعادي الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فالتا من شافعين ولا صديق جيم من الذين كنا نعدهم شفعا أو أصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في أصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والجيم من الاحتمام وهو الاهتمام الذي يهيمه ما يهيمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهيمه ما يهيمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع

(فلو أن لنا كرة) رجعة إلى الدنيا (فنكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أولو في مثل هذا يعني التثني كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي (ان في ذلك) فما ذكر من الانباء (لاية) أي لعلنا لم نعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقا منهم آمنوا (وان ربك هو العزيز) المنتقم من كذب ابراهيم بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذي قلب سليم إلى الجنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذ كرو يؤث قيل ولد نوح في زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الادابة أو بردا وكانوا ينكرون بعث الرسل أصلا فلذا جمع أولان من كذب واحد منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة (اذ قال لهم أخوهم) نسبا لا ديننا (نوح ألا تتقون) خالق الانام فتركوا عبادة الاصنام (اني لكم رسول أمين) كان مشهورا

(٣٩١)

بالامانة فيهم كحمد عليه

الصلاة والسلام في قريش

(فاتقوا الله وأطيعون)

فيما أمركم به وأدعواكم اليه

من الحق (وما أسئلكم

عليه) على هذا الامر (من

أجر) جزاء (ان أجرى)

بالفتح مدني وشامي وأبو

عمرو وحفص (الاعلى رب

العالمين) فذلك أريده

(فاتقوا الله وأطيعون)

كره ليقرره في نفوسهم

مع تعليق كل واحد منهما

بعلة فعلة الاول كونه أمينا

فيما بينهم وعلة الثاني حسم

طمعه منهم كانه قال اذا

عرفتم رسالتي وأما تقي فاتقوا

ثم اذا عرفتم احترازي من

الآجر فاتقوا الله (قالوا أنؤمن

لك واتبعك) الواو للحال

وقدم مضمرة بعدها دليله

قراءة يعقوب وأنباءك

موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي فمالنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي بإسناد الثعلبي وقال الحسن استكثرنا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة إلى الدنيا (فنكون من المؤمنين) أي أنهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك هو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم ﴿قوله عز وجل﴾ (كذبت قوم نوح المرسلين) أي كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قومئة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي أخوهم في النسب لافي الدين (ألا تتقون) أي ألا تخافون فتركوا الكفر والمعاصي (اني لكم رسول أمين) أي على الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أي بطاعته وعبادته (وأطيعون) أي فيما أمرتكم به من الإيمان والتوحيد (وما أسئلكم عليه من أجر) أي من جعل وجزاء (ان أجرى) أي ثوابي (الاعلى رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) قيل كره ليو كده عليهم ويقررهم في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنار رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون الله في مخالفتي واني لست آخذ منكم أجرا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) أي السفلة قال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الخاكة والاسا كفة (قال) يعني نوحا (وما علمي بما كانوا يعملون) أي وما أعلم أعمالهم وصناعاتهم وليس على من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيئا إنما كلفت ان أدعوهم إلى الله تعالى وإلى الاطوار أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم أعلم ان الله يهديهم ويضلهم وبوقفهم ويخذلهم (ان حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون) أي لو تعلمون ذلك ما غيرتموهم بصناعاتهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أي عنى وقد آمنوا (ان أنا لا نذير مبين) معناه أخوف من كذبي فمن آمن فهو القريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى (قالوا لن ننته يانوح) أي عما تقول (لكن من المرجومين) أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من

جمع تابع كشاهد وأشهد وأتبع كبطل وأبطال (الارذلون) السفلة والردلة الخسة والدناءة وانما اسـ ترذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لا تزرى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسباً وما زالت أتباع الانبياء كذلك (قال وما علمي) وأي شيء أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات إنما أطلب منهم الإيمان وقيل أنهم طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يظهرونه فقال ما على الاعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على ما في قلوبهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أي ليس من شأنى ان أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في إيمانكم (ان أنا لا نذير مبين) ما على الآن أنذركم انذاراينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أتم أعلم بشأنكم (قالوا لن ننته يانوح) عما تقول (لكن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة

(قال رب ان قومي كذبون) ليس هذا اخبار بالكذب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كذبوني في وحيك ورسالتك (فاقع بني وبينهم قححا) أي فاحكم بني وبينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (ونجني ومن معي) معي حفص (من المؤمنين) من عذاب عملهم (فانجيناه ومن معه في الفلك) الفلك السفينة وجعه فلك قالوا أحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد (المشحون) المملوء ومنه شحنة البلد أي الذي يملؤه كفاية (ثم أغرقنا بعد) أي بعد انجاء نوح ومن آمن (الباقين) من قومه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز) المنتقم باهانة من جحد وأصر (الرحيم) المنعم باعانة من وحد وأقر (كذبت عاد المرسلين) هي قبيلة وفي الأصل اسم رجل هو أبو القبيصة (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله) في تكذيب (الرسول الأمين) وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الأعلى (٣٩٢)

المشتومين (قال رب ان قومي كذبون فاقع) أي احكم (بني وبينهم قححا) ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) أي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم أغرقنا بعد الباقين) أي بعد انجاء نوح ومن معه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين) أي أمين على الرسالة فكيف تهملوني اليوم (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الأعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع) قال ابن عباس أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع (آية) أي علامة وهي العلم (تعبثون) أي بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخر وامتهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا برج الحمام فانكر عليهم هود باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس أبنية وقيل قصور امشيدة وحصونا ممانعة وقيل ما أخذ الماء يعني الحياض (اعلمكم تخلدون) أي كأنكم تبغون فيها خالدن لا تموتون (واذا بطشتم) أي واذا أخذتم وسطوتم (بطشتم جبارين) أي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر (فاتقوا الله وأطيعون) فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر (واتقوا الذي أمركم بما تعملون) أي أعطاكم من الخير ما تعملون ثم ذكر ما أعطاهم فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (انني أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتوني (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم أن (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي انهم أظهروا قلة أكثر انهم بكلامه واستخفافهم بما أورد من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد (ان هذا الاخلق الاولين) قرئ بفتح الخاء أي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم (وما نحن بمعذبين) أي انهم أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد (فكذبوه فاهلكناسم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الأعلى رب العالمين أنتركون فيها ههنا آمنين) أي في

رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) لبرج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يستخرون بمن مر بهم (تعبثون) تلعبون (وتتخذون مصانع) ما أخذ الماء أو قصور امشيدة أو حصونا (اعلمكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا (واذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) في البطش (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه (واتقوا الذي أمركم بما تعملون) من النعم ثم عددها عليهم فقال (أمدكم بأنعام وبنين) قرن البنين بالانعام لانهم

يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان الدنيا عصيتوني (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا تقبل كلامك ودعوتك وعظمت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآي (ان هذا الاخلق الاولين) ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابقاء الاعادة الاولين أو ما نحن عليه دين الاولين الا خلق الاولين مكي وبصري ويزيد وعلى أي ما جئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبيين قبلك كقولهم أساطير الاولين أو خلقنا نخلق الاولين نموت ونحيا كما حيوا (وما نحن بمعذبين) في الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أي هودا (فاهلكناسم) يرج صرصر عاتية (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الأعلى رب العالمين أنتركون فيها ههنا آمنين) انكار لان يتركوا خالدن في نعمهم لا يزالون عنه (فبما ههنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسر بقوله

(في جنات وعيون) وهذا أيضا جبال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنات مع ان الجنة تناول النخل أول شيء تفضيلا للنخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يخرج من النخل كنصل السيف (هضم) لين نضيج كانه قال ونخل قد اربط ثمره (وتنحتون) تنقبون (من الجبال بيوتا فارحين) شامى وكوفي حاذقين حال وغيرهم فرحين أشربين والقراءة الكيس والنشاط (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكيم والمراد الأمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المقاديبها عن موضعه في العقل لضرب من التأول كقولهم انبت الربيع البقل (الذين يفسدون في الارض) بالظلم والكفر (ولا يصلحون) بالايمان والعدل والمعنى أن فسادهم مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا إنما أنت من المسحرين) المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرثة وانه بشر (مأنت الابشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) في دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء فلا تراها جوهافيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تراها هي فيمروى انهم قالوا ان يدناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وتجت سقبا مثلها في العظم وصدرها ستون ذراعا واذا (٣٩٣) كان يوم شربها شربت بماءهم كله واذا كان يوم شربهم

لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهاباة لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهاباة (ولا تمسوها بسوء) بضرب أو عقرا أو غير ذلك (فياخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فعقروها) عقروها قدار ولكنهم راضون به فاضيف اليهم روى ان عاقرها قال لأعقروها حتى رضوا

الذي من العذاب (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) أي ثمرها الذي يطلع منها (هضم) قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو الين الرخو وقيل منه شم يتفتت اذا مضى وقيل الهضم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج أو النعومة وقيل هو المدرك (وتنحتون من الجبال بيوتا فارحين) وقرى فارحين قيل الفاره الحاذق بنحته والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين مجبين بضعكم (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أي المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا إنما أنت من المسحرين) أي من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعالين بالطعام والشراب (مأنت الابشر مثلنا) والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك (فات بآية) يعنى على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) يعنى انك رسول الينا (قال هذه ناقة لها شرب) أي حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) أي بعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين) أي على عقروها الماروا بالعذاب (فاخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أنأتون الذكر ان من العالمين) يعنى نكاح الرجال من بنى آدم (وتذرون ما خلق لكم من أنفسكم من أنفسكم) يعنى أنتركوا كون العضو المباح من النساء ويميلون الى ادبار الرجال (بل أنتم قوم عادون) أي معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكون من المخرجين) أي من قريتنا (قال اني لعلمكم من

(٥٠ - خازن) - ثالث) أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فاصبحوا نادمين) على عقروها خوفا من نزول العذاب بهم لا تدم توبة أو ندم مواحين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فاخذهم العذاب) المقدم ذكره (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أنأتون الذكر ان من العالمين) أراد بالعالمين الناس أتطون الذكور من الناس مع كثرة الاناث أو أنطون انتم من بين من عدكم من العالمين الذكر ان أي أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان (وتذرون ما خلق لكم من أنفسكم من أنفسكم) من تبين لما خلق أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المباح منهم وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن أجازها فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد أي بل أنتم قوم أحق بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن انكارك علينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من اخرجناه من بين أظهرنا وطردهناه من بلدنا واعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال اني لعلمكم من العالمين) هو أبلغ أن يقول قال فتقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم في العلم والقليل البغض يلقى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاه من حيث الدين

(رب نجني وأهلي مما يعملون) من عقوبة عملهم (فنجيناها وأهلها أجمعين) يعني بناته ومن آمن معه (الاعجوزا) هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم العاصي واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وإن لم تشاركهم في الإيمان (في الغابرين) صفة طمأني في الباقيين في العذاب فلم تنج منه والغابري اللغة الباقية قيل الاعجوزا غيرة أي مقدر اغيورها إذا الغيور لم يكن صفها وقت نجيتهم (ثم دمرنا الآخرين) والمراد بتدميرهم الاتفك بهم (وأمرنا عليهم مطرا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالاتفك حتى أتبعه مطر من حجارة (فساء) فاعله (مطر المندرين) والنصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالندرين قوما بآبائهم بل المراد جنس الكافرين (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة) بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي وشامي وكذا في ص علم لبلد قيل أصحاب الأيكة هم أهل مدين التبعوا إلى غيضة إذا لح عليهم الوهج والاصح أنهم غيرهم زلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لأنه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين ففي الحديث إن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة (المرسلين) إذا قال لهم شعيب ألا تتقون أني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى الأعلى رب العالمين أو فوا (الكيل) أتموه (ولا تكونوا من الخسرين) (٣٩٤) ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو ما مور به وطفيف وهو

منهى عنه وزائد وهو مكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وإن لم يفعل فلا شئ عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهي الميزان أو القبان فإن كان من القسط وهو العدل جعلت العين مكررة فوزنه فعسلان والاف هو رباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولا تعثوا في

القالين أي من التاركين للبغضين (رب نجني وأهلي مما يعملون) أي من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناها وأهلها أجمعين الاعجوزا) أي امرأته (في الغابرين) أي بقيت في المهلكين (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكتناهم (وأمرنا عليهم مطرا) يعني الكبريت والنار (فساء مطر المندرين) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم قوله عز وجل (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) أي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد (إذا قال لهم شعيب) لم يقل لهم أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل إليهم (ألا تتقون أني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى الأعلى رب العالمين) إنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاحلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة (أو فوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أي بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجليلة الأولى) يعني الخليفة والامم المتقدمة (قالوا نعم أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كففا) أي قطعاً (من السماء إن كنت من الصادقين قال ربني أعلم بما تعملون) أي من نقصان الكيل والوزن وهو محجاز يكتم بأعمالكم وليس العذاب إلى وما على إلا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة أنه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فآظمتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا

الأرض مفسدين) ولا تبغوا فيها في الفساد نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون جميعاً ذلك فهو أعنف عذاب في الأرض لا إذا أفسد وعنى في الأرض لغة في عثا (واتقوا الله الذي خلقكم والجليلة عطف على كم أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الجليلة) الأولى (الماضين) (قالوا نعم أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا) ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف الرسالة عندهم التسحير والبشرية وتركها في قصة نموذجي فريد معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً منهم (وإن نظنك لمن الكاذبين) إن مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وانما تفرق على فعل الظن وثاني مفعوليه لأن أصلهما ان تفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيد المنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فعمل ان كان زيد المنطلقا وان ظنته لمنطقاً (فاسقط علينا كففا) كسفا حفص وهما جمع كسفة وهي القطعة وكسفه قطعه (من السماء) أي السحاب أو الظلة إن كنت من الصادقين) أي إن كنت صادقاً فأنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفاً من السماء أي قطعاً من السماء عقوبة (قال ربني) بفتح الياء حجازي وأبو عمرو وبكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أي إن الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فإن أراد أن يعاقبكم بأسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقاباً آخر قاله الحكم والمشيئة (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هي سحابة أظلمت بعد ما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا (إنه كان عذاب يوم عظيم

ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) وقد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريراً
لما فيها في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجر ولان كل قصة منها كتبت برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بان
تفتح بما افتتحت به صاحبها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) أي القرآن (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به) مخفف والفاعل
(الروح الامين) أي جبريل لانه أمين على الوحي الذي فيه الحياة حجازي وأبو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح
والفاعل هو الله تعالى أي جعل الله الروح نازلاً به والباء على القراءتين للتعدية (على قلبك) أي حفظك وفهمك اياه وأثبتته في قلبك
اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربي) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما
صحفته العامة والباء اما ان يتعلق بالمنذرين أي لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام
أو ينزل أي نزل بلسان عربي لتندرب به لانه لو نزل بلسان أعجمي لتجافوا عنه أصلاً ولقالوا ما نضع بما

(٣٩٥)

أعجمي لتجافوا

لا تفهمه فيتعذر الانذار
به وفي هذا الوجه ان تنزله
بالعربية التي هي لسانك
ولسان قومك تنزيله
على قلبك لانك تفهمه
وتفهمه قومك ولو كان
أعجمياً لكان نازلاً على
سمعك دون قلبك لانك
تسمع أجراس حروف
لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد
يكون الرجل عارفاً بعدة
لغات فاذا كالم بلغته التي
نشأ عليها لم يكن قلبه
ناظراً الا الى معاني
الكلام وان كالم بغيرها
كان نظرها ولا في ألفاظها
ثم في معانيها وان كان
ماهرًا عرفتها فهذا تقرير
انه نزل على قلبه لنزوله

جميعاً (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه
القصص في سورة الاعراف وهو دفاغني عن الاعادة هنا والله أعلم بمراده ﴿قوله عز وجل (وانه) يعني
القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعني ان فيه من أخبار الامم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين (نزل به
الروح الامين) يعني جبريل عليه السلام سماه روحاً لانه خالق من الروح وسماه آميناً لانه مؤتمن على وحيه
لأنبيائه (على قلبك) يعني على قلبك حتى تعيها وتفهمها ولا تنساها وانما خص القلب لانه هو المحاطب في
الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
الاوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجاه في
الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والنعم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أفرح من القولين فاذا
حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا
ثبت ذلك كان القلب هو الامر المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم ﴿قوله تعالى
(لتكون من المنذرين) أي المخوفين (بلسان عربي مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه
(وانه) يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته (لنفي زبر الاولين) أي كتب الاولين
(أولم يكن لهم آية) يعني أولم يكن لهم آية المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه)
يعني يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (علموا بني اسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة
يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا زمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على
صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد ﴿قوله تعالى (ولو
نزلناه) يعني القرآن (على بعض الاعجميين) جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان
عربياً في النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان (فقرأه عليهم) يعني القرآن

بلسان عربي مبين (وانه) وان القرآن (لنفي زبر الاولين) يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على
ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلاً على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة (أولم تكن لهم آية) شامى جعلت آية
اسم كان وخبره (ان يعلمه) أي القرآن لوجود ذكره في التوراة وقيل في يكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان
وقيل كان نامة والفاعل آية وان يعلمه بدل منها وخبر مبتدأ محذوف أي أولم تحصل لهم آية وغيره يكن بالتدكير وآية بالنصب على انها خبره وان
يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آية (علموا بني اسرائيل) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم
قالوا آمنابه انه الحق من ربنا انما كنا من قبله مسلمين وخط في المصحف علموا بنوا قبل الالف (ولو نزلناه على بعض الاعجميين) جمع أعجم
وهو الذي لا يفصح وكذلك الأعجمي الا أن فيه زيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا
له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين والعجمي الذي من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجميين
تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون أي الاشعر نون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يحزان يجمع جمع السلامة لان مؤثته عجماء
لا فقد أه علمه

ما كانوا به مؤمنين) والمعنى انا انزل القرآن على رجل عربي مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه ووصح بذلك انها من عند الله وليست بأساطير كازعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسعيرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولولنا انه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأ عليهم هكذا معجزا الكفر وابه كما كفروا ولتعملوا الجحودهم غترا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أي أدخلنا التكذيب والكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (في قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيارا الكفر والاصرار عليه يعني مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولولنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحار مبین وهو حجتنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لا يؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقع الموضع والملاءم لانه مسوق لثبات كونه مكذبا بحجودا في قلوبهم فاتباع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وبحجوده حتى يعانوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به (حتى يروا العذاب الاليم) المراد معاناة الموت عند الموت ويكون ذلك إيمان يأس فلا ينفعهم (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بآتيانه (فيقولوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والامهال طرفة عين (٣٩٦) فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستعجلون) تويع لهم وانكار عليهم قولهم فامطر

علينا حجارة من السماء أو اتقوا عذاب اليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتدبر ادائه وسكن الى ما لوفاته والله تعالى يقول (أفأرأيت ان متعناهم سنين) قيل هي سنوذة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى ان استعجلهم

(ما كانوا به مؤمنين) أي لقالوا لانفقة قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) أي القرآن (حتى يروا العذاب الاليم) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أي لنؤمن ونصدق ونؤمنوا الرجعة ولا رجعة لهم (أفبعذابنا يستعجلون) قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفبعذابنا يستعجلون (أفأرأيت ان متعناهم سنين) أي كفار مكة في الدنيا ولم يهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعني العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكونوا كاهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكنا من قرية الا الهامندرون) أي رسل ينذرونهم (ذكرى) أي تذكرة (وما كنا ظالمين) أي في تعذيبهم حيث قد مننا الحجة عليهم (وما ننزل به الشياطين) يعني ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أي ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (انهم عن السمع لغزولون) أي محجوبون بالرعي بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع (فلا تدع مع الله

بالعذاب انما كان لا اعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم يمتعون باعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أمروا بطرا واستهزاء وانكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يمتقدون من تمتعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معاشهم وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يمتني لقاءه فقال له عظمي فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظمت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا الهامندرون) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما في وما أهلكنا من قرية الا وطأ كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذا الجملة صفة لقرية واذا زيدت قلنا كيد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة لان أنذروا ذكر متقاربان فكانه قيل منذ كرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوى تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوى ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلا كهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فهالك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقى القرآن على محمد أنزل (وما ننزل به) أي القرآن (الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) وما يسهل لهم ولا يقدر عليهم (انهم عن السمع لغزولون) لمتنعون بالشهب (فلا تدع مع الله

الها آخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولواتخذت الها غيري لعذبتك ﴿قوله تعالى﴾ (وأنذر عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم مأكروها فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تؤمر به عذبتك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجلا شاة زاملا لنا عسا من لبن ثم اجعل لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وكان يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فبهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فحسنت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقه باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليا كل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فحسنتهم بذلك العس فشر بواحي رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغديا على فان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فاعدت ذلك من الطعام مثل ما صنعت ثم اجعهم ففعلت ثم جعته ثم دعاني بالطعام فقر به ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخبري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل ان أدعوك اليه فايكم يوزرني على أمرى هذا ويكون أخي ووصي وخليفتي فيكم فاجم القوم عنها جميعا وأنا أحد منهم سنا فقلت أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لا يا طالب قد أمرك أن تسمع لعل وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فاجاء أبو لهب وقر يش فقال أرايتكم لو اخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جعنا فترلت تب يد أبي لهب وب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد نب وفي رواية للبخاري لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فتهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى روضة جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير لكم انما مني ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولا وبالاقرب فالاقرب من أهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع (وأخضع) أي ألن (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فان قلت ما معنى التبعية في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم وألسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون (فان عصوك)

الها آخر فتكون من المعذبين) مورد النهي لغيره على التعريض والتحريك له على زيادة الاخلاص (وأنذر عشيرتك الاقربين) خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لا يغني عنهم من الله شيئا وان النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لأملك لكم من الله شيئا (وأخضع جناحك) وألن جانبك وتواضع وأصله ان الطائر اذا أراد أن يتخطى الوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشيرتك وغيرهم (فان عصوك)

فقل اني برى مما تعملون) يعنى اذ قد قومتك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تقوى يض الرجل أمره الى من يملك أمره و يقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذاده أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقل الجيد رضى الله عنه التوكل ان تقبل بالسكينة عما دونك فان حاجتك اليه فى الدارين فتوكل مدنى وشامى عطش على فقل أو فلا تدع (الذى يراك حين تقوم) متهجدا (وتقلبك) أى ويرى تقلبك (فى الساجدين) فى المصلين اتبع كونه رحبا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكرا ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتجهدين من أصحابه ليطمع عليهم من حيث لا يشعرون ويا علم انهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة فى القرآن فقال لا يحضر فى قتاله هذه الآية (انه هو السميع) لما نقوله (العليم) بما شئ به وتعمله هون عليه معانات مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له اذ لا مشقة على من يعلم انه يعمل بما رأى مولاه (٣٩٨) وهو كقوله يعنى ما يتحمل المتحملون من أجله ونزل جواب القول المشركين

ان الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أنبئكم) أى هل أخبركم أبها المشركون (على من تنزل الشياطين) ثم نبأ فقال (تنزل على كل أفاك أثيم) مر تكب للآثام وهم الكهنة والمنفعة كسطيح وطلبة ومسيلمة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملائكة الاعلى فيحفظون بعض

أى فيما تأمرهم به (فقل اني برى مما تعملون) أى من الكفر والخالفه (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تقوى يض الرجل أمره الى من يملك أمره و يقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذى ينصرك عليهم برحمته (الذى يراك حين تقوم) الى صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك (وتقلبك فى الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلبك بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدمه عن أى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لأراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقلبك فى أصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى اخرجك فى هذه الامة (انه هو السميع) أى لقولك ودعائك (العليم) أى بنيتك وعملك (قل) يا محمد (هل أنبئكم) أى أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل أفاك) أى كذاب (أثيم) أى فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسرقون السمع ثم يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) أى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبير السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عمر بن عبد الله الجمحي وأميمة بن أبى الصلت

ما يتكلمون به مما اطاعوا عليه من القيوب ثم يوحون به الى أوليائهم ويلقون حال أى تنزل ملقين السمع أوصفا لكل أفاك لانه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجزاء واستئناف فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقل يفعلون كبت وكبت (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وفيه ليل يلقون الى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة قيل والافاكين كون يلقون السمع الى الشياطين ويلقون وحبهم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثرا لافاكين كاذبون يغترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافاك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافاك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفرغ عليه وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزل به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وهن أخوات لانه اذا فرق بينهما بآيات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا حدث حديثا فى صدرك اهتمام بشئ فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم (والشعراء) مبدأ خبره (يتبعهم الغاؤون) أى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاؤون أى السفهاء أو الراؤون أو الشياطين أو المشركون قال الزجاج اذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحسب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاؤون يتبعهم نافع

التقنى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية إن رجلين أحدهما من الأنصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (ألم تر أنهم في كل واد من أودية الكلام (يهيمون) يعني حائر بن وعن طريق الحق حائدين والهامم الذهاب على وجهه لا مقصده وقال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل بمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم بمدحون الشيء ثم يذمون به لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والغوص في المعاني والقوافي (وانهم يقولون ما لا يفعلون) أي انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم بمدحون الجود والكرم ويحتنون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شيء صدر منهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلي جوف أحدكم فيه حاجتي ربه خير له من أن يمتلي شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويهجون وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل في الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل * عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلا بني الكفار عن سبيله * اليوم نصر بكم على تغزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل أخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي وقد روى في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجو اقرى شافانه أشد عليهم من رشق النبل فarsل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فرى الا ديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وان لي فيهم نسباً حتى ياخص لك نسبي فانه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد خلص لي نسبك والذي بعثك بالحق نبيا لاسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما ناخفت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشتي واشتني فقال حسان

هجوت محمداً فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزاء * هجوت محمداً برا تقيا

(ألم تر أنهم في كل واد من الكلام (يهيمون) خبر أن أي في كل فن من الكذب يتحدثون أو في كل لغو باطل يخوضون والهامم الذهاب على وجهه لا مقصده وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عنقرة وأبخلهم على حاتم عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجاني مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله (وانهم يقولون ما لا يفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضى الله عنهم

(وذكروا الله كثيرا) أي كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرًا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والادب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك، ما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد بدالذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور (واتصروا) وهجوا (من بعد ما ظلموا) هجوا أي ردوا هجاء من هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٠٠)

صلى الله عليه وسلم قاله
 اهجم فوالذي نفسي
 بيده هو أشد عليهم من
 النبل وكان يقول لحسان
 قل وروح القدس معك
 وختم السورة بما يقطع
 أكباد التدبرين وهو
 قوله (وسيعلم) وما فيه
 من الوعيد البليغ وقوله
 (الذين ظلموا) وإطلاق
 وقوله (أي منقلب ينقلبون)
 وإبهامه وقد تلاها أبو بكر
 لعمر رضي الله تعالى عنه
 حين عهد إليه وكان السلف
 يتواعظون بها قال ابن
 عطاء سيعلم المعرض عنا
 ما الذي فاتهم منا وأي منصوب
 ينقلبون على المصدر
 لا يعلم لأن أسماء الاستفهام
 لا يعمل فيها ما قبلها أي
 ينقلبون أي الانقلاب
 سورة النمل مكية وهي
 ثلاث وتسعون آية
 (بسم الله الرحمن الرحيم)
 (طس تلك آيات القرآن
 وكتاب مبين) أي وآيات
 كتاب مبين وتلك إشارة
 إلى آيات السورة والكتاب
 المبين اللوح وآياته أنه قد خط
 فيه كل ما هو كائن فهو بين

رسول الله شيمته الوفاء * فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وفاء
 نككت بنيتي ان لم تزوها * تثير النقع من طرفي كداء * يبارين الاعنة مصعدات
 على أكتافها الاسل الظماء * تظل جياتنا تمطرات * تلطمهن بالخر النساء
 فان أعرضنم عنا عتسنا * وكان الفتح وانكشف العطاء * والا فاصبر والضراب يوم
 يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
 وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضها اللقاء * لنا في كل يوم من معد
 سباب أو قتال أو هجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
 وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

(فصل في مدح الشعر) (خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر
 لحكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال
 ان من البيان سحرا وان من الشعر حكمة أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت
 وراء النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فأنشدته
 بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا قال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم في شعره عن جابر بن
 سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون
 أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ور بما تبسم معهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت
 عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فقدمه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول
 الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهما وروى عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشه
 في المسجد فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشه القصيدة التي قالها فقال

أمن آل نعمي أنت غاد فبكر * غداة غدا م رايح فهجرج
 فأنشده القصيدة إلى آخرها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها
 بمررة واحدة قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (واتصروا من بعد
 ما ظلموا) أي اتصروا من المشركين لانهم بدوا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم
 الذين ظلموا) أي أنشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجاء (أي منقلب
 ينقلبون) أي أي مرجع يرجعون إليه بعد الموت قال ابن عباس إلى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده
 وأمرار كتابه

(تفسير سورة النمل وهي ٢ مائتان وثلاثون وست آيات وألف وثلثمائة وسبع
 عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبع مائة وتسعة وتسعون حرفا)
 (بسم الله الرحمن الرحيم)
 قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين

لناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته انه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف احدي
 الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخى والجراد ونكر الكتاب ليكون ألغى له وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه في الجرو وعرف
 القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علما للمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لانه يقرأ ويكتب حيث جاء بلفظ
 التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف
 ٢ قوله وهي مائتان الخ كذا بالاصول التي بأيدينا وهو مخالف لما في الكشاف والخطيب والنسفي اه

(هدى و بشرى) في محل نصب على الحال من آيات أي هداية و بشارة فالعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة أو الجرح على أنه بدل من كتاب أو صفته أو الرفع على هي هدى و بشرى أو على البدل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر تلك أي تلك آيات و هداية من الضلالة و مبشرة بالجنة و قيل هدى لجميع الخلق و بشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلاة) يديعون على فرائضها و سنها (و يؤتون الزكاة) يؤدون زكاة أموالهم (و هم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول و يحتمل أن تتم الصلاة عنده و هو استئناف كأنه قيل و هؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات من إقامة الصلاة و آيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة و يدل عليه أنه عقد جملة اسمية و كرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها و ما يوقن بالآخرة حق الايقان الأهواء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أغن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فهم يعمهون) يترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل و الاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الأعمال (و هم في الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا بالشهداء (٤٠١) على جميع الامم خسر و اذلك مع

خسران النجاة و ثواب الله (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه و تلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أي حكيم و أي عليم و هذا معنى تنكيرهما بهذه الآية بساط و تمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص و ما في ذلك من لطائف حكمته و دقائق علمه (اذ) منصوب باذ كر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته و علمه قصة موسى عليه السلام قال (موسى لأهله) لزوجه و من معه عند مسيره من مدين الى مصر (امكثوا اني آنست) أبصرت (بارا ساآتكم منها بخبر) عن

(هدى و بشرى للمؤمنين) أي هو هدى من الضلالة و بشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) أي الخس بشرانها (و يؤتون الزكاة) اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم (و هم بالآخرة هم يوقنون) يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم) أي القبيحة حتى رأوها حسنة و قيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم في القلب بما فيه المنافع و اللذات و لا يخلق العلم بما فيه المضار و الآفات (فهم يعمهون) أي يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي أشده و هو القتل و الاسر (و هم في الآخرة هم الاخسرون) أي انهم خسروا أنفسهم و أهلهم و ساروا الى النار ﴿قوله تعالى (وانك لتلقى القرآن) أي تؤتاه و تلقنه و حيا﴾ (من لدن حكيم عليم) أي حكيم عليم بما أنزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة و العلم قلت الحكمة هي العلم بالامور العلمية فقط و العلم أعم منه لان العلم قد يكون ٧ علما و قد يكون نظرا و العلوم النظرية أشرف (اذ قال) أي اذ ذكر يا محمد اذ قال (موسى لأهله) أي في مسيره بأهله من مدين الى مصر (انني آنست) أي أبصرت (بارا ساآتكم منها بخبر) أي امكثوا مكانكم ساآتكم بخبر عن الطريق و قد كان ضل عن الطريق (أو آتاكم بشهاب قبس) الشهاب شعلة النار و القبس النار المقبوسة منها و قيل القبس هو العود الذي في أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون من البرد و كان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) أي بورك على من في النار و قيل البركة راجعة الى موسى و الملائكة و المعنى من في طلب النار و هو موسى (ومن حولها) و هم الملائكة الذين حول النار و هذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة و قيل المراد من النار النور و ذكر بلفظ النار لان موسى حسب نار و من في النار هم الملائكة و ذلك ان النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح و التقديس و من حولها موسى لانه كان بالقرب منها و قيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركك النار و المعنى بورك من في النار و من حولها و هم الملائكة و موسى و روى عن ابن

(٥١ - (خازن) - ثالث)

حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتاكم بشهاب) بالثنوين كوفي أي شعلة مضيئة (قبس) نار مقبوسة بدل أو صفة و غيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا و غير قبس و لا تدافع بين قوله آتاكم هنا و لعلكم تصطلون في القصص مع ان أحد هاتين و الآخر يتقن لان الراجي اذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا و يكون كذا مع تجويزه الخيبة و محيية بسين التسوية عدة لأهله انه يأتيهم به و ان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة و بأولانه بني الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق و اما اقتباس النار و لم يدركه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين و هما عز الدنيا و الآخرة و اختلاف الالفاظ في هاتين السورتين و القصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى و جواز النكاح بغير لفظ التزوج (لعلكم تصطلون) تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم و الطاء بدل من تاء افتعل لأجل الصاد (فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودي) موسى (أن بورك) مخففة من الثقيلة و تقديره نودي بأنه بورك و الضمير ضمير الشأن و جاز ذلك من غير عوض و ان منعه الخشعي لان قوله بورك دعاء و الدعاء يخاف غيره في أحكام كثيرة أو مفسرة لان في النداء معنى القول أي قيل له بورك أي قدس أو جعل فيه البركة و الخير (من في النار و من حولها) أي بورك من في مكان النار و هم الملائكة و من حول مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني فيها و هو تكليم الله موسى و استنباؤه و اظهار المعجزات عليه

(وسبحان الله رب العالمين) هو من جملة ما نودي فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) الضمير في انه للشان والشان انا الله مبتدأ وخبر والعزير الحكيم صفتان للخبر أو يرجع الى ما دل عليه ما قبله أى ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزير الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما اراد الله ان يظهر على يده من المعجزات (والقى عصاك) لتعلم معجزتك فتانس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودي ان بورك (٤٠٢) من في النار وان ألقى عصاك كلاً عما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك

من في النار وقيل له ألقى عصاك وبدل عليه ما ذكر في سورة القصص وان ألقى عصاك بعد قوله ان ياموسى انا انا الله على تكبر بر حرف التفسير (فلما رآها تهتز) تتحرك حال من الهاء في رآها (كانها جان) حية صغيرة حال من الضمير في تهتز (ولى) موسى (مدبراً) أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفاً من ونوب الحية عليه (ولم يعقب) ولم يلتفت أولم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودي (ياموسى لا تخف انا لا يخاف لدى الرسولون) أى لا يخاف عندى الرسولون خطابي اياهم أو لا يخاف لدى الرسولون من غيرى (الامن ظلم) أى لكن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من الرسولين فجاء غير ما أذنت له مما يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام (لم

عباس في قوله بورك من في النار يعنى قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من جهها كما روى انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعير بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى عجب الله عز وجل كما صح في الحديث تخجابه النار لو كشفها لاحت سبعات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله (ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) قيل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يده من المعجزات والمعنى انا القوي القارى على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (والقى عصاك) تقديره فالتقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كانها جان) وهى الحية الصغيرة لئى يكثر اضطرابها (ولى مدبراً) أى هرب من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالى (ياموسى لا تخف انا لا يخاف لدى الرسولون) يريد اذا امتهم لا يخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا أخشاكم لله (الامن ظلم) ثم بدل حسنا به دسوء فأتى غفور رحيم) قيل هو ما صدر من الانبياء من ترك الفضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظمناً لقول موسى انا ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انا ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جرير قال الله تعالى لموسى انما أخفكت لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحاً وتناهى الخبر عن الرسل ع. قوله الامن ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حاله من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره ٢ الامن ظلم ثم بدل حسنا به دسوء فأتى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فآبه بخاف فان تاب وبدل حسنا به دسوء فأتى غفور رحيم أى اغفر له وأزىل خوفه وقيل الالهنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا به دسوء يعنى تاب من ظلمه فأتى غفور رحيم ثم ان الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها وأخرجها فاذا هى تخرج مثل شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) أى من غير برص (في تسع آيات) أى آية مع تسع آيات أنت مرسل بهم فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفاق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في معنى من أى من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوماً فاسقين) أى خارجين عن الطاعة (فلما

بدل حسناً) أى اتبع توبة (بعد سوء) زلة (فأتى غفور رحيم) أقبل توبته واغفر زلته راحه فأحق أميته وكأنه نمر يض بما قال موسى حين قتل القبطى رب انا ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له (وأدخل يدك في جيبك) جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص وبيضاء ومن غير سوء حالان (في تسع آيات) كلام مستأنف وفيه يتعلق بمحذوف أى اذهب في تسع آيات أو ألقى عصاك وأدخل يدك في جملة تسع آيات (الى فرعون وقومه) الى بتعاقب محذوف أى مرسل الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوماً فاسقين) خارجين عن أمر الله كافر بن (فلما

جاءتهم آياتنا) أي مجهزة لنا (مبصرة) حال أي ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لتأملها الملاستهم أياها بالظر والتفكر فيها
أوجعلت كأنها تبصر فتهدى لأن الاعمي لا يقدر على الاهتداء فضلا أن يهدي غيره ومنه قولهم كلمة عينا وعوراء لان الكلمة الحسنة
ترشد والسيئة تغوي (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر لمن تأمله وقد قبل بين المبصرة والمبين (وتجندوا بها) قيل الجحود لا يكون الا من علم من الجاحد
وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشئ للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر في شرح التأويلات
وذكري الديوان يقال مجد حقه وبحقه بمعنى والواو في (واستيقنتها) للحال وقد بعد هلم مضرة والاستيقان أبلغ من الايقان (أنفسهم)
أي تجندوها بالسنتهم واستيقنتوها في قلوبهم وضماثرهم (ظلمنا) حال من الضمير في مجد واو أي ظلم أخش من ظلم من استيقن انها آيات من
عند الله ثم سماها سحر ايننا (وعلاوا) ترفع عن الايمان بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق هنا والا حراق ثمة
(ولقد آتينا) أعطينا (داود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا (٤٠٣) والمراد علم الدين والحكم (وقالا

الحمد لله الذي فضلنا على كثير
من عباده المؤمنين)
والآيات حجة لنا على المعتزلة
في ترك الاصطلاح وهنا
مخدوف ليصح عطف الوار
عليه ولولا تقدير المخدوف
لكان الوجه الفاء كقولك
أعطيته فشكروا وتقديره
آتيناهما علما فعملابه
وعلماء وعرفا حق النعمة
فيه وقال الحمد لله الذي فضلنا
والكثير المفضل عليه من
لم يؤت علما أو من لم يؤت
مثل علمهما وفيه انهما
فضلا على كثير وفضلا
عليهما كثير وفي الآية دليل
على شرف العلم وتقديم
جلته وأهله وان نعمة العلم
من أجل النعم وان من أوتيها
فقد أوتي فضلا على كثير
من عباده وما سماهم رسول

جاءتهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أي الذي نراه (سحر مبين) أي ظاهر (وتجندوا
بها) أي أنكروا والآيات ولم يقرروا انها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا انها من عند الله والمعنى
أنهم تجندوا بها بالسنتهم واستيقنتوا بها بقلوبهم وضماثرهم (ظلمنا وعلاوا) أي شركا وكبرا عن ان يؤمنوا بما
جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني الفرق قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما)
أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجمال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله
الذي فضلنا) أي بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير
الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما ولم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل
انهم لم يفضلوا أنفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى (ورث سليمان داود) يعني
نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود وزيد له تسخير
الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا
من سليمان وكان سليمان شاكر النعم الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمي
صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما
يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال
انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدن تدان وصاح
هدد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول
هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها
تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا
تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى مل سمائه وأرضه وصاح
قرى قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربى الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول
كل شئ هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والبيغا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول

الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الامد انانهم لم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم هذه النعمة الفاضلة ان
يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من
عمر رضي الله عنه (ورث سليمان داود) ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا وتي النبوة مثل أيه فكانه ورثه
والا فالنبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهير النعمة الله تعالى واعترافا بكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المجزة التي
هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضهم بعض
روى أنه صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدن تدان وصاح هدد فقال يقول استغفروا الله
يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رجة فقال تقول سبحان ربى الاعلى مل سمائه وأرضه وصاح قرى فاخبر انه
يقول سبحان ربى الاعلى وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والفسر
يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس

(وأوتينا من كل شيء) المراد به كثرة ما أوتي كما تقول فلان يعلم كل شيء ومثله وأوتيت من كل شيء (ان هذا هو الفضل المبين) قوله وارِد على سبيل الشكر كقوله أناس يدولوا آدم ولا خير أي أقول هذا القول شكرًا ولا أقوله غيرًا والنون في علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلهم أهل طاعته على الحال (٤٠٤) التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (سليمان)

جنوده من الجن والانس والطير) روى ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعة مائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابرسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعده وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح العاصف فتسير به مسيرة شهر وروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الريح تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح في

سبحان ربي القدوس والباري يقول سبحان ربي وبحمده والصفحة تقول سبحان الله كور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مرسلان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا والله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس اناسا ثلوك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقهها لا تغتها قالوا أخبرنا ما تقول القبرة في صفيها والديك في صفيقه والصفدع في تقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرور والدراج قال نعم اما القبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الصفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم روى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهى العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخفاف قال الحمد لله رب العالمين وبمد العالمين كما بعد القاري وقوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) أي عما أوتي الانبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملوك وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا هو الفضل المبين) أي الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى ان سليمان أعطى مشارق الارض ومغار بها فلك ذلك أربعين سنة فلك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أي جمع (سليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن المختلفة في مسيرله (فهم يوزعون) أي يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء تردأولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها لانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعده وحوله كراسي الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعني حرة وسبع مائة سرية فيأمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الريح تسيره به وأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح وأخبرتك به قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادي النمل) أي شرفوا على وادي النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها ثنائير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء

سمعتك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال اني جئت اليك لثلاث مني ما لا تقدر عليه ثم قال لتسيح واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما بزغ السلطان أكثر مما بزغ القرآن (حتى اذا أتوا على وادي النمل) أي ساروا حتى اذا بلغوا وادي

النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدي بعل لان أنبياءهم كان من فوق فاني بحرف الاستعلاء (قالت غلة) عرجاء تسمى طاخية ومنذرة وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فساله أبو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن غلة سليمان أ كانت ذكرا أم أنثى فاجم فقال أبو حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت غلة ولو كانت ذكرا لقال قال غلة وذلك ان الغلة مثل الحمامة في وقوعها على الذكرا والانتى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكرا وحمامة أنثى (٤٠٥) وهو وهى (يا أيها النمل ادخلوا

مسكنكم) ولم يقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل مقول لهم كما يكون في أولى العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر وهونهم مستأنف وهو في الظاهر نهى لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهى لهم عن البروز والوقوف على طريقة لار ينك ههنا أى لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيده من ضرورات الشعر (سليمان وجنوده) قيل أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وهم لا يشعرون) لا يعلمون بمكانكم أى لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذروا صفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا من حذرها واهتدائها المصالحها ونصيحتها للنمل أوفرا لظهور عدله

والارض واتخذ ميادين للدواب فتجربى بين يديه والريح تهوى به فصار من اصطخر يريد الجن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولم يصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد بخاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب أ بكاني هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فاني سوف أملاؤك رجوها سجدوا ونزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي الى وأجعل فيك عمارا من خاقي يعبدونني وأفرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسرا الى وكرهاو يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فأتى على واد النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مرأى بهم وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير (قالت غلة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين فخطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أى لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير علمت الغلة أن سليمان نبي ليس فيه جبر وتية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا وطوكم ولم تشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشئ الا حلت له الرجى حتى تلقى به الى مسامع سليمان فلما بلغ واد النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الرجى قلت كانوا هم أرادوا النزول عند منقطع الوادى فلذلك قالت غلة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم مادامت الرجى تحملهم لا يخاف حطهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل أكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه طواه انما كان يتبسم * عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيئا أحدهما ما دل من قولها على ظهور رجته ورجة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعنى انهم لو شعروا بما يفعلون الثاني سروره بما آناه الله عالم بوث أحد من ادراك سمعه ما قالته الغلة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع مالا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حذر به على ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) أى أدخلنى فى جلتهم وأثبت اسمى مع أسمائهم واحشرنى فى زمريهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلنى الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل (ونفقد الطير) أى طلبها وبحث عنها

وضاحكا حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك وأكثر ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعنى) ألهمنى وحقيقته كفى عن الاشياء الاعن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدى) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وان أعمل صالحا ترضاه) فى بقية عمرى (وأدخلنى برحمتك) وأدخلنى الجنة برحمتك لا بصالح عملى اذ لا يدخل الجنة أحد الا برحمة كما جاء فى الحديث (فى عبادك الصالحين) أى فى زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى أن الغلة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم فى الهواء فامر سليمان الرجى فوقفت لتلايد عن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالسعوة (ونفقد الطير

فقال مالي) مكى وعلى وعاصم وغيرهم يكون الياء والتفقد طلب ما غاب عنك (لأرى الهدد أم كان من الغائبين) أم بمعنى بل ومعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدد فقال مالي لأرا على معنى انه لا يراه وهو حاضر لسائر ستمه أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدد قنافة وكان يرى الماء من تحت (٤٠٦)

والمعنى انه طلب ما فقد من الطير (فقال مالي لأرى الهدد) وكان سبب تفقده الهدد وسؤاله عنه اخلاؤه بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنوده الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدد فنظر فرآه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قرنه من بعده فينقر الارض فتجىء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبيل لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الأزرق يا واصل انظر ما تقول ان الصبي منا يضع القنخ ويحشو عليه التراب فيجىء الهدد وهو لا يبصر القنخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدد ليدله على الماء فقال مالي لأرى الهدد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أى كان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال (لا عذبه عذابا شديدا) قيل هو أن ينتفربشه وذنبه ويلقيه في الشمس معطالا يمنع من النمل ولا من غيره وقيل لا ودعنه القفص ولا حبسه مع ضده وقيل لا فرق بينه وبين الفه (أولا ذبحه أوليا تبنى بسلطان مبین) أى بحجة يئنه على غيبته وكان سبب غيبة الهدد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الرمح فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقيم وكان في كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشرف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصره على جميع من ناواه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأى دين يتدين يا نبي الله قال بدين الخفيفة فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار ألف سنة فليباغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالا أى وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تره هو خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فيسها هو ينظر بمينا وشمالا رأى يستأنا بلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدده آخر وكان اسم هدده سليمان بعفور واسم هدده اليمن بعفير فقال بعفير لعفور من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحب سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فن أبن أنت يا بعفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربع مائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت

لذلك وذكر انه وقعت تفقده من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدد خال فدعا عريف الطير وهو القدر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصدته فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرحهما على الارض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فأرعد سليمان وعفا عنه (لا عذبه عذابا شديدا) ينتفربشه والقائه في الشمس أو بالتفريق بينه وبين الفه أو بالزامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع اصداده وعن بعضهم أضيق السجون معاصرة الاضداد أو بإيداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل لئلا كله وحل له تعذيب الهدد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره

من المنافع واذا سخره الطير لم يتم التسخير الا بالتأديب والسياسة (أولا ذبحه أوليا تبنى) بالنون الثقيلة ليشا كل قوله لا عذبه وحذف نون العماد للتخفيف ليا تبنى بنون مكى الاولى للتأكيد والثانية للعماد (بسلطان مبین) بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدد وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتى بسلطان حتى قال والله ليا تبنى بسلطان وجوابه أن معنى كلامه ليكون أحد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية

مكثا غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة على اسرعه للدلالة خوفا من سليمان فلما رجع سأل عمه في غيبته (فقال أحطت) علمت شيئا من جميع جهاته (بالم تحط به) ألهم الله الهدد فكافح سليمان بهذا الكلام مع مأثوق من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وفيه دليل بطلان قول الرافضة أن الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه (وجئتكم من سبأ) غير متصرف أبو عمرو وجعله اسما للقبلة أو المدينة وغيره بالتشوين جعله اسما للحي أو الاب الأكبر (بنبا يقين) النبا الخبر الذي له شأن وقوله من سبأ بنبا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى ههنا لا ترى أنه لو وضع مكان بنبا بنجر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في لبنا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال (اني وجدت امرأة) هي بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها

الصلاة إذا احتاج إلى الماء قال الهدد الهيماني إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدد فقال أصح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته إلى مكان فغضب سليمان وقال لا عذبة الآيات ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له على بالهدد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب بريده فلم الهدد أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك وأقدرك على الأمار حتى ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حاف أن يعذبك أو أن يذبحك ثم طار متوجها بين نحو سليمان فلما انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك أين غبت في يومك هذا فقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدد أوما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال أوليا تبنى بسلطان مبین قال نجوت إذا فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا سليمان فلما دام منه أخذ برأسه فده إليه وقال له أين كنت لا عذبة لك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعقاعنه ثم قال ما الذي أبطاك عني فقال الهدد ما أخيرا لله عنه بقوله تعالى (فكث غير بعيد) معناه أي غير طويل (فقال أحطت بالم تحط به) أي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيهه على أن أدنى خالق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفاله في ترك الإعجاب والاحاطة بالشئ علما أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (وجئتكم من سبأ) قيل هو اسم للبلد وهي مارب والأصح أنه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين نيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (بنبا) أي بنجر (يقين) فقال سليمان وما ذاك فقال (اني) أي الهدد (وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما الشأن قد ولده أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الأطراف ليس أحد منهم كفؤا لي وأبي أن يتزوج منهم فخطب إلى الجن فزوجوه منهم ثم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فرمى بالصناد الجن وهم على صورة الأطباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذ صديقا فخطب ابنته فزوجها إياها وقيل أنه خرج متصيذا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافقت وأطلقها فلما رجع إلى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل يخاف منه قال لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحببتني والاسود الذي قتلته هو عبدنا ثم رد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن إن كان لك بنت فزوجنيها فزوجها ابنته فولدت له بلقيس وجاء في الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبي آخرون وملكوا وعليهم رجلا آخر يقال أنه ابن أخي الملك وكان خبيثا سيئ السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حريم رعيتيه ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدر وأعليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة ف أرسلت إليه فعرضت نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني أن ابتدئك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لأنك كفؤ كريم فاجمع رجال أهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى إنها قد رغبت في قد كروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في ملا كثير من خدمها فقلبت على الملك وكانت هي وقومها يحوسوا بعدون الشمس والضمر في (تملكهم) راجع إلى سبأ على تأويل القوم وأهل المدينة

(وأوتيت) حال وقد مقدره (من كل شيء) من أسباب الدنيا ما يليق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانون ذراعاً وكان من ذهب وفضة وكان مرصعاً بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عاينها السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) إلى الحق ولا يبعدون الهدى إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمته السجود للشمس الها من الله كما (٤٠٨) اللهم وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء

الرجاح العقول يهتدون لها (الأي سجدوا) بالتشديد أي فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لحذف الجار مع أن أو أدغم التون في اللام ويجوز أن نكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيدو على وتقديره لا يهولوا اسجدوا قالاً للتنبية ويكون بالنداء ومناداه محذوف فن شد لم يقف الأعلى العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الأيا اسجدوا أو وقف على الأيا ثم ابتداء اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً بخلاف ما يقوله الزجاج أنه لا يجب السجود مع التشديد لأن واضع السجدة إما أمر بها ومدح للآتي بها أو ذم لتاركها واحدى القراءتين

وحشمها فلم ادخل به سقته الخرحى سكرتم قتلته وحزت رأسه وانصرفت إلى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت إلى وزرائه وأحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من يأخذ لكرمتي أو كرامتي عشيرته ثم ارثهم إياه قتيلاً وقالت اختاروا رجلاً تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فلكوها وعلموا أن ذلك السكاح كان مكرًا وخديعة منها (خ) عن أبي بكر قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال إن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ﴿ قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) ﴾ يعني ما تحتاج إليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم عال فإن قلت كيف استعظم الهدى عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل أنه استعظم ذلك بالنسبة إليها ويحتمل أنه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللاً بالبر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين وعلاه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعاً ﴿ قوله عز وجل اخبرنا عن الهدى (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لأنه الفعل لما يريد وأنما ذكر الشيطان لأنه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الإسلام (فهم لا يهتدون) أي إلى الصواب (الأي سجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الأيا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا (لله الذي يخرج الخبء) يعني الخفي الخبأ (في السموات والارض) قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارىء والمسئع أن يسجد عند قراءتها فإن قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فالفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة إليها وإلى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدى من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدق) أي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم إن الهدى هداهم على الماء فاحتفروا الركيا وروى الناس والدواب ثم إن سليمان

كتب

أمر والآخرى ذم للترك (لله الذي يخرج الخبء) سمي الخبأ بالمصدر (في السموات والارض)

فتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) وبإتاء فيهما على وحقق (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وصف الهدى عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك إلى ههنا كلام الهدى فلما فرغ من كلامه (قال) سليمان للهدى (سننظر) من النظر الذي هو التأمل (أصدق) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لأنه إذا كان معروفاً بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذباً بالاحالة وإذا كان كاذباً بهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتاباً صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بم الله

الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعالوا على وأتوني مسلمين وطبعة بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدد (أذهب بكتابي هذا قاله) بسكون الهاء تخفيفاً أبو عمرو وعاصم وحزرة ويختاسها كسر التمدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيدون ويعقوب قاله في بابات الياء غيرهم (اليهم) إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله وجدت ها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم إلى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه يسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذي يردونه من الجواب فاخذ الهدد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتواري في الكوة فانتهت فزعاً وأثاها والجنود حو اليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب (٤٠٩) في حجرها وكانت قارئة فلما رأت

الخاتم (قالت) لقومها خاضعة خائفة (يا أيها الملاء) (اني) وبفتح الياء مدني (ألقى إلى كتاب كريم) حسن مضمونه وما فيه أو مختوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر يسم الله الرحمن الرحيم أولانه من عند ملك كريم (انه من سليمان) وانه بسم الله الرحمن الرحيم (هو تبين لما ألقى إليها كأنها لما قالت اني ألقى إلى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وأن في (ألا تعالوا) لا ترفعوا (علي) ولا تكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملاء منهم ان امشوا يعني أي امشوا (واتوني مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الانبياء

كتب كتاباً من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعالوا على وأتوني مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جلا لا يطيلون ولا يكثران فلما كتب سليمان الكتاب طبعة بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدد (أذهب بكتابي هذا قاله اليهم) انما قال اليهم بلفظ الجمع لأنه جعله جواباً لقول الهدد وجدت ها وقومها يسجدون للشمس فقال قاله إلى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) أي تنح عنهم فقف قريباً منهم (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقيل تقدير الآية قاله اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف إلى فاخذ الهدد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بارض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فألقى الهدد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حل الهدد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فالتقى الكتاب في حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة مستقبله الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت إليها وجدت لها خاتماً الهدد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجعت الملاء من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل ملك دون الملك الأعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا وأخذوا بحالهم (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملاء) اني ألقى إلى كتاب كريم (قيل سمته كريم) لأنه كان مختوماً روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أي شريف اشرف صاحبه ثم بينت عن الكتاب فقالت (انه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان بسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكر بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعالوا على) قال ابن عباس لا تكبروا على والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (واتوني مسلمين) أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملاء) افتوني في أمري (أي أشيروا علي فيما عرض لي) (ما كنت قاطعة أمراً) أي قاضية وفاصلة (حتى تشهدون) أي تحضرون (قالوا) يعني الملاء محبين لها (نحن أولوا قوة) أي في الجسم

(٥٢ - (خازن) - ثالث) مبنية على الإيجاز والاختصار (قالت يا أيها الملاء) افتوني في أمري (أشيروا علي في الأمر الذي نزل

في والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد هنا بالفتوى الإشارة عليها بما عدهم من الرأي وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطيب أنفسهم ليمثلوها ويقوموا معها (ما كنت قاطعة أمراً) فاصلة أو بمعنى حكماً (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح في موضع الرفع وهذا في موضع النصب واصلته تشهد ونى حذف النون الأولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها والياء في الوصل والوقف يعقوب أي تحضروني أو تشيرونني أو تشهدوا انه صواب أي لا أت الأمر إلا بحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) محبين لها (نحن أولوا قوة

باب أس شديد أراد بالثقة قوة الاجساد والآلات والباس النجدة والبلاء في الحرب (والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) أي موكل اليك ونحن مطيعون لك فمننا بامرنا نطعمك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا تأمرين تتبع رأيك فلما أحست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب فزيقت أولاما ذكره وأمرتهم الخطافية حيث (٤١٠) قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية (عنوة وقهرا) (أفسدوها) خربوها (وجعلوا

أعزة أهلها أذلة) أذلوا أعزتها وأهانوا أشرفها وقتلوا وأسرؤا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعي في الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (واني رسالة اليهم بهدية) أي رسالة رسالة بهدية (فناظرة) فنظرة (بم) أي بمالان الالف تحذف مع حرف الجرف الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها ثم ردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان

على القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب وقيل أراد بالثقة كثرة العدد والباس والشجاعة وهذا تعرض منهم بالقتال أي ان أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيها الملكة أي في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) أي نجدنا مطيعين لامرك (قالت) بلقيس بحسبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول اليه أمره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرفها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر تخذروهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي بفعلون وقيل هو من قولها وهولتنا كي لما قالت ثم قالت (واني رسالة اليهم بهدية) أي الى سليمان وقومه أصانعه بها على ما كنى وأخبره بها ملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم ير ضه منا الا ان نبعه في دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك أن بلقيس كانت امرأة ليلية عاقلة قد ساست الامور وجر بها فاهدت وصفاة ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراطه وسنوفهم رصعات بانواع الجواهر وحلت الجوارى على خمسمائة ركبة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالملك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة بقيمة ثمانية غير منقوبة وخزرة خزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجلا من قومها أصحاب عقل ورأي وكتبت مع المنذر كتابا ذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيما بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحق قبل أن تفتحه واثقب الدررة تقبام مستويا ودخل في الخزرة خيطا من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظرك اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولك أمره ومنظره فانا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبي فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدى مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضرر بوالبنان الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار ثمانية فراسخ وان يفرشوا البن الذهب والفضة وان يحلوا مقدار تلك اللبنات التي معهم وأن يعملوا حائطاً شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أي دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبي الله ما رأينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فاتوا بها قال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف

كرسي

كان نبياردها ولم ير ضه منا الا ان نبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام

عليهم ثياب الجوارى وحلبهن را كى خيل مفضاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زى الغلمان وألف لبنات من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحفافيه درة عذراء وخزرة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو وبلقيس قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فيز بين الوصفاء والوصائف

وأخبر بما في الحق وانقلب الدرة ثقباً واسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملأني فلا يهولك منظره وان رأيته بشاشاً لطيفاً فهو نبي فاقبل الهدى وأخبر سليمان الخبر كله فأمر سليمان الجن فحضر بوالبنات الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب في البر والبحر فر بطوها عن بين الميدان ويساره على البنات وأمر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقبضوا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطقت الشياطين صفوفاً فراسخ والانس صفوفاً فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على الابن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها (٤١١) ونفذت فيها ودعا بالماء فكانت الجارية

تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أتمدوني بمال) بنونين واثبات الياه في الوقف مكي وسهل واقفهما مدني وأبو عمرو في الوصل أتمدوني حزة ويعقوب في الخالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسول (فما آتاني الله) من النبوة والملك والنعمة وافتح الياه مدني وأبو عمرو وحفص (خبر بما آتاكم) من زخارف الدنيا (بل أتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدي له تقول هذه هدية فلان تريد هدي

كرسي على بين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحوش والطيور والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان رأوا أول الامر الدواب التي لا يرى مثلها تروث في لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تنصرت أنفسهم وخبوا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً خافوا ان ينهوا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم ماراً واوفرعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمررون على كراديس الانس والجن والوحش والطيور حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقياً حسناً وسألهم عن حالهم فأخبرهم رتبس القوم بما جاؤا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأتى به فخره فجاءه جبريل فأخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير منقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فانتقب الدرة وأدخل الخيط في الجزء فقال سليمان من لي بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت نصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها ياني الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيده ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فيز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال أتمدوني بمال فما آتاني الله) أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك (خبر) أي أفضل (مما آتاكم بل أتم بهديتكم تفرحون) معناه أتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى بعض وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد أعطاني منها ما لم يعط أحداً ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو وأمر الوفاء (ارجع اليهم) أي بالهدية (فلنا نينهم بجنود لا قبل) أي لطاقه (لهم بها ولنخرجهم منها) أي من أرض سبأ (أذلة وهم صاغرون) أي ان لم يأتوني

التي أهداها أو أهديت اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرزى مثلي بان يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون الا ظاهراً من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزدون ويهدي اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشئ ولا أفرح به الا بالايمن وترك المجوسية والفرق بين قولك أتمدوني بمال وأنا أغني منكم وبين ان تقول له بالفاء اني اذا قلته بالواو جعلت مخاطبي علماً بزيادتي في الغنى وهو مع ذلك بمدني بمال واذا قلته بالغاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كافي أقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد فما آتاني الله ووجه الاضراب انه لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي جعلهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدي اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول أو الهدى محلاً كما آخراً اليهم انت بلقيس وقومها (فلنا نينهم بجنود لا قبل لهم بها) لاطاقه لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقهرون ان يقابلوه (ولنخرجهم منها) من سبأ (وهي صاغرون

الذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقفوا في أسروا استعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي وبالنسبة طاعة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة أيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك لا نظرم الا الذي تدعوا اليه وشخصت اليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملك أياكم يأتي بعرشها قيل أن

(٤١٢)

يأتوني مسلمين)

أراد أن يريها بذلك بهض ما خصه الله تعالى به من اجراء

العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنسوة سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم له لئلا يناله إذا أسلمت لم يحل له أخذ ما لها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد أن يؤتي به فينكر ويغير ثم ينظر أثبته أم تنكره اختبارا لعقلها (قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (واني عليه) على حمله (أقوى أمين) آتى به كما هو لا أخدمه شيئا ولا أبدله فقال سليمان عليه السلام أريد أن عمل من هذا الذي عنده علم من الكتاب) أي ملك بيده كتاب التمام يرأسه الله تعالى عند قول العفريت أوجبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو أخضر أو آصف ابن برخيا كاتب سليمان

مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها أي من عند سليمان وياخوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا بملك وبالنسبة من طاعة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعوا اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة أيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا نادى في أهل ملكتها تؤذونهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يتدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما مجلس على سريره فسمع رهج جافر بيانه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت مناهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملك أياكم يأتي بعرشها قيل أن يأتوني مسلمين) قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان في احضار عرشها ليرىها قدرة الله تعالى واظهار معجزة الله على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل أن سليمان علم انها ان أسلمت يحرم عليه ما لها فآراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوى وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أي مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له في الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه (واني عليه) أي على حمله (أقوى أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك أبدأ الله به سليمان وقيل هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بنبي اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آناه علما وفهما فاعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذي دعا به اذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الهنا واحدا لا اله الا انت ائتني بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فدس سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير مجردن به تحت الارض حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أو جهة منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجاء بالعرش في الوقت (فلما رآه) يعني رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) أي محولا اليه من مأرب الى الشام

وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب وهو يا حي يا يوم يا ذا الجلال والاكرام أو يا الهنا واله كل شيء الهنا واحدا لا اله الا انت وقيل كان له علم بمجاري الغيوب الهاما (أنا آتيك به) بالعرش وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شيء فتقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك وروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فدع عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغاب العرش في مكانه ثم سمع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه (فلما رآه) أي العرش (مستقرا عنده) ثابتا له غير مضطرب

(قال هذا) أي حصول مرادى وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف (من فضل ربي) على وإحسانه إلى بلا استحقاق منى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (ليبالي أن أشكر) ليمتحنني أشكر انعامه (أم أ كفو ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) لأنه عطا به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد ويرتبط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعضهم أن كفران النعمة بوار وفلما أفضت نافرة فرجعت في نصاها فاستدع شاردها بالشكر واستدم رايها بكرم الجوار واعلم أن سبوح ستر الله تعالى متعاص عمار قريب إذا أنت لم ترج لله وقار أي لم (٤١٣) تشكر لله نعمته (ومن كفر) بترك

الشكر على النعمة (فإن ربي غني) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطي ما كان منا من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو الينا وله النعمة والفضل علينا (قال نكروا لها عرشها) غيروا أي اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلىه أسفله (تنظر) بالجزم على الجواب (أنتهى) إلى معرفة عرشها والجواب الصواب إذا ست عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) بلقيس (قيل أهكذا عرشك) هاللتنبية والكاف للتنبية وهذا اسم إشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لتلا يكون تلقينا (قال كأنه هو) فاجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من راحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للامرئ

في قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربي ليبالي) يعني يتمكن من حصول المراد (أ أشكر) أي نعمته على (أم أ كفو) فلا أشكرها (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة (ومن كفران ربي غني) أي عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) أي بالافضل عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال نكروا لها عرشها) يعني غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رآته قيل هو أن يزداد فيه أو ينقص منه وقيل إنما يجعل أسفله أعلاه ويجعل مكان الجوهر الآخر أخضر ومكان الآخر أحمر (تنظر أنتهدي) إلى معرفة عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) إلى معرفته وانما جعل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى إليه أسرار الجن لأن أمها كانت جنية وإذا ولدت ولد لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئا وإن رجلا كحافر الجمار وانها شعراء الساقين فإراد سليمان أن يختبر عقلها بتكبير عرشها وينظر إلى قدميها ببناء الصرح (فلما جاءت قيل لها) أهكذا عرشك قالت كأنه هو (قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشبه عليها أمر العرش لأنها تركته في بيت عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فأغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت (وأوتينا العلم من قبلها) أي من قبل الآية في العرش (وكننا مسلمين) أي منقادين منطاعين خاضعين لأمر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدد والرسول من قبلها أي من قبل الآية في العرش وكننا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكننا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومحبتها طاعة من قبل محبتها طاعة وكننا مسلمين لله ﷻ قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (انها كانت من قوم كافرين) أخبر الله أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك أن سليمان لما اختبر عقلها بتكبير العرش وأراد أن ينظر إلى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفها لما أخبرته الجن أن رجلا كحافر جمار وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها قصر من الزجاج الأبيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه السمك والضفادع وغيرها من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل إنما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء والوصائف فلما جلس

أولما شبهوا عليه بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كأنه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أي وأوتينا العلم بقدرته الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدد والرسول من قبل هذه المجزة أي احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكننا مسلمين) منقادين لك مطيعين لأمرك أو من كلام سليمان وملتة عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبتمدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها وأوتينا العلم باسلامها ومحبتها طاعة من قبل محبتها وكننا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أي وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم إلى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (انها كانت من قوم كافرين) أو كلام مبتدأ أي قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن

سواء السليل أو صدها لله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل (قيل لها ادخلي الصرح) أي الفصر أو صحن الدار (فلما رآته حبت له ماء عظيما) (وكشفت عن ساقها) ساقها بالهمزة كي روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيد ما استقاما لامره وتحقيق النبوة وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه بأسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد (٤١٤) يجمع فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد فقاواله ان في عقلها

شيا وهي شعراء الساقين ورجلها كحفر الجار فاختر عقلا بتسكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدا ما الا انها شعراء فصرفت بصره (قال) لها (انه صرح مرد) فجلس مستو ومنه الامرد (من قوارير) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شعرا فعمات لها الشياطين النورة فازالت به فكسحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادة الشمس (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر الى ساقها وهي أجنبية فلا يصح القول بمثله (ولقد أرسلنا الى نوح وأخاهم) في

على السرير ردعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رآته حبت له ماء عظيما) (وكشفت عن ساقها) لتخوض الماء الى سليمان فاذا هي أحسن النساء ساقا وقد ما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال انه صرح مرد) أي مجلس (من قوارير) زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنت لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يعرفني وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي بذلك الظن واختلفوا في أمر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا المومي فقالت المرأة اني لم بمسنى حديد قط فكره سليمان المومي وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين فقالوا احتمل لك حتى تكون كالفضة البيضاء فأتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنادى سليمان ويسنون وعمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة وقيم عندها ثلاثة أيام يكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولداً ذكراً وقال وهب زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان احتاري رجلا من قومك حتى أزوجهك اياه فقالت ومثلي يابني الله يسبح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله قالت فان كان ولا بد فزوجني ذاتبع ملك همذان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذاتبع على اليمن ودعا زوجه ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذي تبع وملك بلقيس وبنى الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة (وقوله عز وجل) (ولقد أرسلنا الى نوح وأخاهم صالحاً أن اعبدوا الله) أي وحدوه لا تشركوا به شيأ (فاذا هم فريقان) أي مؤمن وكافر (بختصمون) أي في الدين كل فريق يقول الحق معنا (قال) يعني صالحا لفريق المكذب (يا قوم لم تستجلبون بالسبوة) أي بالبلاء والعقوبة (قبل الحنة) أي العاقبة والرحمة (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) أي بالتوبة اليمن الكفر

النسب (صالحا) بدل (أن اعبدوا الله) بكسر النون في الوصل عاصم وحزة وبصري لعلمكم وضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله وحدوه (فاذا) للمفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (بختصمون) مفعول في اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله قال الملا الذين استكبروا من قومه لاني استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انابا أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كفرون وقال الفريق الكافر يا صالح اتقنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستجلبون بالسبوة) بالعباد الذي توعدون (قبل الحنة) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم

(لعلكم ترجون) بالاجابة (قالوا اطيرنا بك) تشاء منابك لانهم فخطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء (وبمن معك) من المؤمنين (قال طائر كم عند الله) أي سببكم الذي يحيى عنه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله فأنزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه وكل انسان الزمان طائر في عنقه وأصله ان المسافر اذا مر بطائر فبرزه فان مر سائحاً تيامن واذا مر بارحاً تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهم ما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون وتعذبون بدينكم (وكان في المدينة) مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) هوجع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة الى العشرة وعن أبي ذؤاد رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا أبناء أشرفهم (يفسدون في الارض ولا يصلحون) يعني ان شأنهم الا فساد البحث لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندرم منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معائب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا خبر في محل الحال باضمار قد أي قالوا متقاسمين أو امرأى أمر بعضهم بعضاً بالقسم (لنبينه) لنقتله ببيان أي (٤١٥) ليلا (وأهله) ولده وتبعه (ثم لنقولن لوليه) لنقولن لوليه

لعلكم ترجون) أي لا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) أي تشاء منا (بك وبمن معك) قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (قال طائر كم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمي طائر لأنه لا شئ أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أنا كم من عند الله بكفركم وقيل طائر كم أي عملكم عند الله سمي طائر السرعة صعوده الى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون ﴿ قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) يعني من أبناء أشرفهم (يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم (لنبينه) أي لنقتله ليلا (وأهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لنقولن لوليه) أي لولى دمه (ما شهدنا) أي ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندري من قتله ولا هلاك أهله (وانا لصادقون) أي في قولنا ما شهدنا ذلك (ومكروا مكرا) أي غدروا غدرا حين قصدوا تبيت صالح وأهله (ومكروا مكرا) أي جازيناهم على مكروهم بتججيل العذاب (وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكروهم أنادى مناهم) أي أهلكتناهم أي التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فانت التسعة دار صالح شاهر بن سلاحهم وسيوفهم فرمهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة (وقومهم أجمعين) أي بظلمهم وكفرهم (ان في ذلك لآية) أي لعبرة (لقوم يعلمون) أي قدرتنا (وانجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف ﴿ قوله تعالى (ولو طأذ قال لقومه أنأتون الفاحشة) أي الفعل القبيحة (وأنتم

لنقولن لوليه) لولى دمه لتبينه بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لنقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلى (ما شهدنا) ما حضرنا (مهلك أهله) حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثاني المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان الاهلاك أي لم تعرض لاهله فكيف تعرض لاهله أو ما حضرنا موضع اهلاكه فكيف توليناه (وانا لصادقون) فيما ذكرنا (ومكروا مكرا ومكروا مكرا وهم لا يشعرون)

مكروهم ما أحضروه من تدبير القتل لصالح وأهله ومكر الله أهلا كهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد في الحجر فيصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ من اى ثلاث فتحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حياهم فبادروا فطقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدركوهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلاً منهم في مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكروهم أنادى مناهم) بفتح الالف كوفي وسهل وبكسرهما غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خير مبتدا محذوف تقديره هي تدبيرهم أو نصبه على معنى لانا وعلى أنه خبر كان أي فكان عاقبة مكروهم الدمار (وقومهم أجمعين) بالصيحة (قتلك بيوتهم خاوية) ساقطة متهدمة من خوى النجم اذا سقط أو خالية من الخواء وهي حال عمل فيها ما دل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان في ذلك) فيما فعل ثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيعتظون (وانجيننا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) تركوا امره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب (ولو طأذ قال) واذا كروا طأوا واذبدل من لانا أي واذا كروا قول لوط (لقومه أنأتون الفاحشة) أي اتيان الذكور (وأنتم

تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها في ناديتهم معالنين بها لا يستتر بعضهم من بعض بحجة وانهما كافي المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أنكم) بهمذين كوفي وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الله كركلاذ كركلاذ الانثى للأنثى فهو مضادة لله في حكمته (بل أتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السناهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل أتم قوم تجهلون وبل أتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى اذا اصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فخر كان جواب واسمه أن قالوا (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يتزهدون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله انك لاهل الحليم الرشيد (فانجينا) نخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهلكه الامم امرأته قدرناها) بالتشديد سوى حادوا بى بكرأى قدرنا كونها (من الغابرين) من (المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلو من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر دى بالبان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آله خيرأما يشركون) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه

تبصرون) أى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضهم بعضا وكانوا لا يستترون عتوانهم (أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أتم قوم تجهلون) فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يعنى من أدبار الرجال (فانجينا وأهلكه الامم امرأته قدرناها من الغابرين) أى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أى الحجارة (فساء) أى فيئس (مطر المنذرين) قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمد على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آله خيرأما يشركون) فيه تبيكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آله خير لمن عبده أم الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لا غناؤه عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته ﴿ فالنوع الاول قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض) ذكر أعظم الاشياء المشاهدة كالدالة على عظيم قدرته والمعنى آله خير أم الاصنام خير أم الذى خلق السموات والارض ﴿ ثم ذكر نعمه فقال (وأنازل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فانبتنا به حدائق) أى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أى ذات منظر حسن والبهجة الحسن ينتهج به من براه (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) يعنى ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بان أغرسها وأسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزرع تسقى ماء

المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلو من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر دى بالبان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آله خيرأما يشركون) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه

أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم ونهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله واحد تعالى ولا يؤثر عاقل شئ على شئ الا لداع بدعوه الى ايشاره من زيادة خير ومنفعة فليلهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثره لزيادة الخير ولكن هوى وعيال يذهبوا على الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايتار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم فى أمأ يشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة بالمعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال الله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقر بالهم بان من قدر على خلق العالم خير من جاد لا يقدر على شئ (وأنازل لكم من السماء ماء) (فانبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيد المعنى اختصاص الفعل بذاته وايدان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسن ما عواحد لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالياء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر ينتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكبرونة الانبعاث اراد ان تاتى ذلك محال من غيره

(أله مع الله) أغبره يقرب به ويجعل شريكاً له (بل هم قوم يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ في تحطته رأيهم (أمن جعل الأرض) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قراراً) دحاها وسواها للاستقرار عليها (وجعل خلاطاً) ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والاول (أنهاراً) وبين البحرين مثله (وجعل لها) للأرض (رواسي) جبالاً تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزاً) مانعاً أن يختلطاً (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى اللجاء يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوج به مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله أو المذنب إذا استغفر أو المظلوم إذا دعا أو من روع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضرر والجور (ويجعلكم خلفاء الأرض) أي فيها وذلك نوارثهم سكنها والتصرف فيها قرن بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط (أله مع الله) (٤١٧) قليلاً ما تذكرون) وبالبياء أبو عمرو وبالتخفيف حزة

وعلى وحفص وما من زيادة
أي تذكرون تذكراً قليلاً
(أمن يهديكم) يرشدكم
بالنجوم (في ظلمات البر
والبحر) ليلا وبعلامات
في الأرض نهاراً (ومن يرسل
الرياح) الریح مكي وحزة
وعلى (بشراً) من البشارة
وقد مر في الاعراف (بين
يدي رحته) قدام المطر
(أله مع الله تعالى الله عما
يشركون أمن يبدأ الخلق)
ينشأ الخلق (ثم يعيده)
وإنما قيل لهم ثم يعيده وهم
منكرون للأعادة لأنه أزيحت
عنتهم بالتمكين من المعرفة
والاقرار فلم يبق لهم عذر
في الإنكار (ومن يرزقكم
من السماء) أي المطر
(والأرض) أي ومن
الأرض النبات (أله مع

واحد لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يتأني لاحد وأن تأني ذلك لغيره محال (أله مع الله) يعني هل معه معبود
أعانه على صنعه (بل) يعني ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعني كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل
يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل ﴿ النوع الثاني قوله عز وجل (أمن جعل الأرض قراراً) أي
دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لانميتها باهلها (وجعل خلاطاً أنهاراً) أي وسطها بأنهاراً تطرد بالمياه
(وجعل لها رواسي) أي جبالاً ثوابت (وجعل بين البحرين) يعني العذب والمالح (حاجزاً) أي مانعاً لا يختلط
أحدهما بالآخر (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) أي توحيد ربهم وقدرته وسلطانه ﴿ النوع الثالث
قوله تعالى (أمن يجيب المضطر) أي المكروب المجهد وقيل المضطرور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من
نوازل الدهر يعني إذا نزلت بأحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب إذا استغفر (إذا
دعاه) يعني فيكشف ضرره (ويكشف السوء) أي الضرر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض
الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لا يجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع (ويجعلكم خلفاء الأرض)
أي سكانها وذلك انه ورثهم سكنها والتصرف فيها قرن بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم
خلفاء الجن في الأرض (أله مع الله قليلاً ما تذكرون) أي تتعظون ﴿ النوع الرابع قوله عز وجل (أمن
يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر
(ومن يرسل الرياح بشرابن يدي رحته) أي قدام المطر (أله مع الله تعالى الله عما يشركون) ﴿ النوع
الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أي نطقاً في الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء
والأرض) أي من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات (أله مع الله قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم قل قولكم
ان مع الله الها آخر (ان كنتم صادقين) ﴿ قوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله)
نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي يعلم
الغيب وحده يعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أيان يبعثون) يعني ان من في السموات وهم الملائكة
ومن في الأرض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادراك علمهم) أي بلغ
ولحق علمهم (في الآخرة) هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها

(٥٣ - (خازن) - ثالث) الله قل هاتوا برهانكم) حجتكم على اشراككم (ان كنتم صادقين) في دعواكم ان مع الله
الها آخر (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطاع عليه مخلوق مفعول والله
بدل من من والمعنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى على أن يكون من في السموات والأرض واسكنه جاء على لغة بني تميم حيث
يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار أحد الا جار وقالت عائشة
رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وقيل
نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) أيان (متى) يبعثون ينشرون
بل ادراك (مكي وبصرى) يزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجها بل ادرك عن الاعشى افتعل بل ادراك
غيرهم استحكم وأصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد ألف الوصل لم تكن التكلم بها (علمهم في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها

والمعنى ان اسباب استحكام العلم ونكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) والاضربات الثلاث تغزى لاجوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم اولابانهم لايشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يحيطون في شك ومرة فلايزالونه والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماسهم ومنشأ فلذا عداه من دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملامة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتفكير من المعرفة بمقابلته وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشئ منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بياناً للجزءهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزاً يبلغ منه وهو انهم يقولون للكان الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز ان يكون وصفهم باستحكام العلم ونكامله تكاملاً كما بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الطريق الى الذي علمه مسلكه فضلاً ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون أدرك بمعنى انتهى وفي من قولك أدركت النمرة لان تلك غائبة التي عندها تعدم وقد فسرنا الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بشفلان اذا تابعتوا في الهلاك (وقال الذين كفروا ان هذا كنار ابوابنا نناخرجون) من قبورنا احياء وتكرير حرف الاستفهام في اذا وانما في قراءة عاصم وجزء وخلف انكار بعد انكار وجود عقيب بخود دليل (٤١٨) على كفر مؤكدم بالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لخرجون وهو مخرج

ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوى علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي مشركو امكة (ان هذا كنار ابوابنا نناخرجون) أي من قبورنا احياء (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشئ (ان هذا) أي ما هذا (الأساطير الاولى) أي احاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولاتكن في ضيق مما يمكرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل معناه رد فكم (بعض الذي تستعجلون) أي من العذاب خل بهم ذلك يوم بدر في قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يجعل لهم بالعذاب (واكن أكرههم لا يشكرون) أي ذلك (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي تخفي (وما يعلنون) أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي جلة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر من قبل من قبل محمد

لان اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو ان أولام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير في انهم ولا بانهم لان كونهم ترايا قد تناوهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد (لقد وعدنا هذا) أي البعث (نحن وآباؤنا من قبل من قبل محمد

صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنين نحن وآباؤنا على هذا يدل على أن المقصود بالذكر هو البعث هنا وتمت المبعوثون (ان هذا الأساطير الاولى) ما هذا الا احاديثهم وأكاذيبهم (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أي آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى قدم عليهم ربهم بذنبيهم وقوله مما خطبائهم (أغرقوا ولا تحزن عليهم) لاجل أنهم لم يتبعوك ولم يساموا فسلموا (ولاتكن في ضيق) في حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقاً بالفتح وهو قراءه غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالكذب (قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) استعجلوا العذاب الموعود فقل لهم عسى ان يكون ردف لكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام لتأكيدهم كيداً لئلا يلقوا ايديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم معناه تبعكم ولحقكم وعسى واعل وسوف في وعد الملوك ووعدهم يدل على صدق الامر ووجه فعل ذلك جرى وعد الله ووعدهم (وان ربك لذو فضل) أي افضال (على الناس) بترك المعاجلة بالعذاب (ولكن أكرههم لا يشكرون) أي أكرههم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون تخفي) صدورهم وما يعلنون يظهر من القول فليس تأخير العذاب عنهم لحفاء حاطم ولكن له وقت مقدراً وانه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كنفت الشئ وأكنفته اذا نه صرراً خفسته (وما من غائبة

في السماء والارض الا في كتاب مبين) سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية والثاء فيهما كالتاء في العاقبة والعافية ونظائرهما الزمية والديعة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتأوهما للمبالغة كالراوية كانه قال وما من شيء شديد الغيموبة الا وقد عامه الله وأحاط به وأثبتته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) فانهم اختلفوا في المسيح فحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لولا أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدي ورحمة للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أي من بني اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (ان ربك يقضى بينهم) (٤١٩) بين من آمن بالقرآن ومن كفر

به (بحكمه) بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما وبحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له ومن يقضى عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العلم بالفضل بينهم وبين المحقين (فتوكل على الله) أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين (انك على الحق المبين) وعلى التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وينصرته (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) وما أنت بهادي عما أنت برشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) الامن يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أي مخلصون ﴿ قوله تعالى ﴾ (واذا وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخرجناهم دابة من الارض) (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأم العامرية (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجاول وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق يجتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي بإسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقضى اليمن فيفشوذ كرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خروجا أخرى قريبا من مكة فيفشوذ كرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم يئد الناس يوما في أعظم المساجد على الله سمرمة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن عيينة الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس بالموتى وهم أحياء صحاح الخواس وبالصم الذين ينطق بهم فلا يسمعون وبالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد ان يزرع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم كد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تابعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا في الروم وما أنت تهدي العمى وكذا في الروم حمزة (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) أي ما يجدي أسماعك الاعلى الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له (واذا وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمرامش لرفقة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (أخرجناهم دابة من الارض

وشي غائب (في السماء والارض الا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا طعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعني القرآن (لهدي ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم) أي يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) أي الحق (وهو العزيز) الممتنع الذي لا يرد له أمر (العليم) أي باحوالهم فلا يخفى عليه شيء منها (فتوكل على الله) أي فتق به (انك على الحق المبين) أي البين (انك لا تسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أي معرضين فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر قلت هونا كيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالإشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية أنهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كليت الذي لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم) معناه ما أنت برشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) الامن يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أي مخلصون ﴿ قوله تعالى ﴾ (واذا وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخرجناهم دابة من الارض) (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأم العامرية (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجاول وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق يجتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي بإسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقضى اليمن فيفشوذ كرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خروجا أخرى قريبا من مكة فيفشوذ كرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم يئد الناس يوما في أعظم المساجد على الله سمرمة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن عيينة الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس بالموتى وهم أحياء صحاح الخواس وبالصم الذين ينطق بهم فلا يسمعون وبالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد ان يزرع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم كد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تابعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا في الروم وما أنت تهدي العمى وكذا في الروم حمزة (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) أي ما يجدي أسماعك الاعلى الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له (واذا وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمرامش لرفقة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (أخرجناهم دابة من الارض

بالموتى وهم أحياء صحاح الخواس وبالصم الذين ينطق بهم فلا يسمعون وبالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد ان يزرع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم كد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تابعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا في الروم وما أنت تهدي العمى وكذا في الروم حمزة (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) أي ما يجدي أسماعك الاعلى الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له (واذا وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمرامش لرفقة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (أخرجناهم دابة من الارض

نكلمهم) هي الجساسة في الحديث طوطهاستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان وقيل لها رأس نور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصة هرة وذناب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يوقنون بخروجي لان خروجي من الآيات وتقول ألالهنة الله على الظالمين أو (٤٢٠) نكلمهم بيطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر

عنها وثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فرت بهم فلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يجزها هارب حتى ان الرجل يقوم فيعود منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاوز الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يامؤمن وللكافر يا كافر وبإسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمه على الله فيينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الأرض وينشق الصفاء إلى المسمى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملعقة ذات وبر وریش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب نسمة الناس مؤمننا وكافرا فاما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتسكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قال قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسرون إلى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشب الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعه من بين الخفافين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس نور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخصرها خاصرة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمر وقال تخرج الدابة من شعب أجياد فتسب رأسها أصحاب ورجلاها في الأرض وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها حية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير فتضرب من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون (نكلمهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة أنهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ نكلمهم بتخفيف اللام من الكلام وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس عن هذه الآية نكلمهم ونكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا أي فوجا أي نحشر من كل قرن جماعة) (من يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكبيرة) حتى اذا جاؤا حضروا موقف الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أكذبتم بآياتي) (المنزلة على رسل) (ولم تحيطوا بها علما) (الواو للحال كأنه قال أكذبتم بآياتي بادئ

الرائ من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ورفع الذول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا اننا جعلنا الليل يسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الالبصار للنهار وهو لا هلك والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليصروا فيه طرق القلب في المكاسب (ان في ذلك لآيات

لقوم

الرائ من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب

(أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ورفع الذول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا اننا جعلنا الليل يسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الالبصار للنهار وهو لا هلك والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليصروا فيه طرق القلب في المكاسب (ان في ذلك لآيات

لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه لم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب والعقاب (وبوم) واذ كرم يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام (ففرع من في السموات ومن في الارض) اختير فرع على يفرع للشعار بتحقيق الفرع وثبوته وانه كائن لا محالة والمراد فرعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الامن شاء الله) الامن ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت (٤٢١) عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل

الحور وخزنة النار ورجلة العرش وعن جابر رضى الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعد مرة ومثله ونفخ في الصور فصعد من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله (وكل آتوه) حزة وحفص وخلف آتوه غيرهم وأصله آتوه (داخرين) حال أى صاغرین ومعنى الاتيان حضورهم الموقوف ورجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين شامى وحزة ويزيد وعاصم وبكسرهما غيرهم حال من المخاطب (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة من جد في مكانه اذا لم يرح (وهي تمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أى مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة طنتها

لقوم يؤمنون) أى يصدقون فيعتبرون ﴿قوله تعالى﴾ (وبوم ينفخ في الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الاجساد فتحيا بها الاجساد (ففرع) أى فصعق (من في السموات ومن في الارض) أى ماتوا والمعنى انه يلقي عليهم الفرع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفرع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (الامن شاء الله) روى أبوهريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الامن شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيا فهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل اليهم الفرع وقيل يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة وروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقى يملك الموت فيقول سبحانه ربى تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقى جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقى من خلقي فيقول سبحانه ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت يملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقى وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفانى فيقول الله يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب وروى انه يلقى مع هؤلاء الاربعة حلة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ارواح حلة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطوى السجل للكتاب ثم يقول الله انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فاكون أول من رفع رأسه فاذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلى ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رصوان والحور ومالك والزابانية ﴿وقوله تعالى﴾ (وكل الذين أحيوا بعد الموت) (آتوه) أى جاؤهم (داخرين) أى صاغرین قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) أى قائمة واقفة (وهي تمر مر السحاب) أى تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتسوى بها وذلك ان كل شئ عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرة وعظمه وبعده ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذى أتقن كل شئ) يعنى انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التى لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التى أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب (انه خير بما يفعلون) ﴿قوله تعالى﴾

ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي تسير سير اسريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بار عن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج (صنع الله) مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكرا اسم الله لانه لم يذ كر قبل (الذى أتقن كل شئ) أى أحكم خلقه (انه خير بما يفعلون) مكى وبصرى غير سهل وأبو بكر وغير محي وغيرهم بالناء أى انه عالم بما يفعل العباد فيكافهم على حسب ذلك بقوله

(من جاء بالحسنة) أي بقول لا اله الا الله عند الجهور (فله خير منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى افضل ويكون منها في موضع رفع صفة خيرا أي بسببها (وهم من فزع) كوفي أي من فزع شديدا مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (آمنون) آمن بعدى بالجارو بنفسه كقوله أقاموا مكر الله (ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) القيت (وجوههم في النار) يقال كبت الرجل ألقته على وجهه أي ألقوا على رؤسهم في النار أو عبر عن الجملة بالوجه كما عبر بالرأس والرقبة عنها أي ألقوا في النار ويقال لهم تكبكتا عند الكعب (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك (٤٢٢) والمعاصي (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرمها) جعلها

(من جاء بالحسنة) أي بكامة الاخلاص وهي شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها الله عز وجل (فله خير منها) قال ابن عباس فيها يصل الى الخير بمعنى انه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه لا شيء خير من لا اله الا الله وقيل جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف أعطاه الله بالواحدة عشرة أضعاف لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فان قلت كيف نفي الفزع هذا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر اليه فاما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه وأما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاله والافلاك فلا ينفك منه أحد (ومن جاء بالسيئة) يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كأنه قال كبوا وطرحو اجميعهم في النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) أي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك وقوله تعالى (انما أمرت) يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني أمرت أن أخص بعبادتي وتوحيدى الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذلة لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها إشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه (الذي حرمها) أي جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يبخلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان شحرت بمها من الله لامن الاصنام (وله كل شيء) أي خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) به المطيعين له (وأن أتلو القرآن) أي أمرت أن أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به اقام قياما على ما أمر به (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أي تقع اهتدائه يرجع اليه (ومن ضل) أي عن الايمان وأخطأ طريق الهدى (فقل انما أنا نذير) أي من المخوفين وما على الا البلاغ نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) أي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام بآداء الرسالة والانهاد (سيركم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قبل هو يوم بدر وهو ما أراه من القتل والسي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والارض وفي أنفسكم (فتعرفونها) أي فتعرفون الآيات والدلالات (ومار بك بغافل

حرما آمنا من فيها لللاجئ البها ولا يبخلى خلاها ولا يعضد شوكتها ولا ينظر صيدها (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المتقدين له (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت فر يش وأن أكون من الخفاء الثابتين على ملة الاسلام وأن أتلو القرآن لأعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد بمضافة اسمه اليها لانها أحب بلاد الله وأعظمها عنده وأشار اليها بقوله هذه إشارة تعظيم لها وتقريب دالا

على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربه وملكوته كالتابع لدخول طاعتها (فمن اهتدى) باتباعه اياي فيما أبصده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في الملة الخفيفة واتباع ما أنزل على من الوحي (فانما يهتدى لنفسه) فنفقة اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل فقل انما أنا نذير) أي ومن ضل ولم يقبض فلا على وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين (وقل الحمد لله سبىكم آياته فتعرفونها) ثم أمرهم ان يحمد الله على ما خوله من نعمه النبوة التي لا توارى بها نعمته وان يهدوا أعداءه بما سبى بهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو اشتقاق القمر والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (ومار بك بغافل

عما تعملون) بالتأمد في وشامي وحفص ويعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء غيرهم أي كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه قاله الله
والسهو لا يجوز ان عليه ﴿سورة القصص ثمانون وثمان آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم تلك آيات الكتاب المبين)
يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خبره وبركته أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص
والتوحيد (تلاوا عليك) نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بامرنا ومفعول تلاو (من نبأ موسى وفرعون) أي تلاوا عليك بعض خبر عما
(بالحق) حال أي محقين (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا أنه مؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة
كالتفسير للجمل كان قائلاً قال وكيف كان نبؤ عما فقال ان فرعون (علا) طفا وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية
(في الارض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريدو يطيعونه لا

(٤٢٣)

يملك أحد منهم أن يلوي
عنقه أو فرقا مختلفة بكرم
طائفة ويهين أخرى فآكرم
القبطي وأهان الاسرائيلي
(يستضعف طائفة منهم)
هم بنو اسرائيل (يذبح
أبناءهم ويستحي
نساءهم) أي يترك البنات
أحياء للخدمة وسبب ذبح
الأبناء أن كاهنا قال له بولد
مولود في بني اسرائيل
يذهب ملكك على يده
وفيه دليل على حق
فرعون فانه ان صدق
الكاهن لم ينفعه القتل
وان كذب فما معنى القتل
ويستضعف حال من
الضمير في وجعل أوصفة
لشيعا أو كلام مستأنف
ويذبح بدل من يستضعف
(انه كان من المفسدين)

عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة القصص﴾

وهي مكة الا قوله تعالى الذين أتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة
وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معادوهي ثمان وثمانون آية وأر بعامة واحد
وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (طسم تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح المحفوظ وقيل
هو الكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود
والاحكام (تلاوا عليك من نبأ) أي خبر (موسى وفرعون بالحق) أي بالصدق (لقوم يؤمنون) أي
يصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) أي تجبر وتكبر (في الارض) أي أرض مصر (وجعل أهلها شيعا)
أي فرقا في أنواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعني بني اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحي
نساءهم) سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين) أي
بالقتل والتجبر في الارض (وزيد أن نحن) أي نعم (على الذين استضعفوا في الارض) يعني بني اسرائيل
(ونجعلهم أمم) أي قادة في الخير يقتدي بهم وقيل ولادة ملوكا (ونجعلهم الوارثين) يعني أملاك فرعون
وقومه بان نجعلهم في مساكنهم (ونمكن لهم في الارض) أي نوطن لهم أرض مصر والشام ونجعلهم لهم
سكنا (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي يخافون وذلك أنهم أخبروا أن
هلا بهم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون ﴿قوله تعالى
(وأوحينا الى أم موسى) هو وحى الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوحى ندم من نسل لاوى بن يعقوب
(أن أرضيه) قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل أربعة وثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في
حجرها (فاذا خفت عليه) أي الذبح (فألقيه في اليم) أي في البحر وأراد به نيل مصر (ولا تخافي) أي عليه

أي ان القتل ظلم انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (وزيد أن نحن) تتفضل وهو دليل لنا في مسألة الاصلح
وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسير النبأ موسى وفرعون واقتصاصه أو حال من يستضعف
أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نحن عليهم وإرادة الله تعالى كائنة في ملت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم أمم) قادة يقتدي بهم في الخير أو قادة الى الخير أو لادة ملوكا (ونجعلهم الوارثين) أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم
ونمكن مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم في الارض) أي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبؤ بهم
ويسلطهم وينفذ أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده على
وحدة أي يرون منهم ما حذروهم من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كترعاء النون أو رفع
على الاستئناف (منهم) من بني اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقي من
الضرر (وأوحينا الى أم موسى) بالالهام أو بالرؤيا أو باخبار ملك كما كان لمريم وإيس هذا وحى رسالة ولا تكون رسولا هي (أن أرضيه) ان
بمعنى أي أو مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فألقيه في اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولا تخافي)

بفراقه (انارادوه اليك) بوجه لطيف لتريته (وجاعلوه من المرسلين) وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاختار به فنهيت عنهما وبشرت برده اليها وجعله من المرسلين وروى انه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوايل الموكلات بحبالي بن اسرائيل مصافية لها فعا لجنتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جئتك الا لاقبل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاءت عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلاها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولد ان أوحى اليها بالقاءه في اليم بعد ان أرضعته ثلاثة أشهر

من الفرق وقيل الضيعة (ولا تحزني) أي على فراقه (انارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوه الى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام وذكر القصة في ذلك قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بحبالي بن اسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضرب بها الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفني حبك اياي اليوم فعا لجنت قبا لها فلما أن وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفعول فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتني الا مرادى قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت حب شي مثله حبه فاحفظي ابنك فاني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أخته يا أماء هذا الحرم بالباب فلفته بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلاها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلاها فقالت لاخته فآين الصبي فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتلمت قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولد ان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي أخبؤه في التابوت وكهت الكذب قال ولم نقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى النباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدرك الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضر بوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضر بوه وأخرجوه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لا يبدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حينما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب داني على هذا العبد الصالح فدل عليه فاما من به وصدقه وقال وهب لما جلت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوايل وتقدم الامين ففتش النساء فتفتشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوايل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعها فاذا خفت عليه فالتقيه في اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم ألقته في اليم وهو البحر لئلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيره وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على نيفر النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواربها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذا قبل النيل بالتابوت تضر به الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر اتوفى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعا لجوا ففتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا

(فالتقطه آل فرعون) أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أي ليصير الأمر إلى ذلك لأنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلده الوالدة وهي لم تلد لأن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون إن هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتكم لتكرموني ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطع له شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو ألا كرام الذي هو نتيجة المحي (وخزنا) وخزنا على وحزة وهما الغتان كالعدم والعدم (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطئين تخفيف خاطئين أبو جعفر أي كانوا مذنبين فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شيء فليس خطوهم في تربية عدوهم بيدع منهم (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك) روى أنهم حين التقطوا (٤٢٥) التابوت عالجوا فتحة فلم يقدر وأعليه

فما لجوا كسره فاعياهم فذنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً فاعالجته ففتحته فإذا بصي نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومهم هو الذي نخذل منه فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لالي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة ولي ولك صفتان لقرة (لا تقتلوه) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فإن فيه محابيل اليمن ودلائل النفع

كسره فلم يقدر وأعليه فذنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فاعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصي صغير في التابوت واذ نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمض منه لبنا فالتقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما خرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته إلى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك أنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمي به في البحر فزعمت أنك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي فنصيب منه خيراً أو نتخذه ولداً وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سمية قالت سميت موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان مو هو الماء وساهو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا وخزنا) أي عاقبة أمرهم إلى ذلك لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وخزنا (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أي آئمين وقيل هو من الخطا ومعناه أنهم لم يشعروا أنه الذي يذهب بملكهم (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا) أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون (قال وهب لما نظر إليه فرعون قال عبراني من الأعداء فغاضه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أمًا للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح ولدك هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل إنها قالت أنه أنا أنا من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفقه الله ولكنه أي للشقاء الذي كتبه الله عليه ﴿قوله تعالى﴾ (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) أي خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسياً للوحي الذي أوحى الله عز وجل إليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد إليها أن يرده إليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولداً فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بان فرعون أصابه في النيل قالت أنه قد وقع في يد عدوه الذي فررت منه فانساه عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها (إن كادت لتبدي به) أي لتصرح بأنه ابنها من شدة وجلها قال ابن عباس

(٥٤ - (خازن) - ثالث) وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء (أو نتخذه ولداً) أو تبناه فإنه أهل لان يكون ولداً للملوك (وهم لا يشعرون) حال وذو حال آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وخزناً وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله إن فرعون الآية جلة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصار (فؤاد أم موسى فارغاً) صفر من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (إن كادت لتبدي به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامرء وقصته وأنه ولدها قبل لما رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول والبناء وقيل لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم أشك أنه يقتله فكادت تقول والبناء شفقة عليه وإن تخففة من الثقيلة أي أنها كادت (لولا أن ربطنا على قلبها) لولار ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته عليهم الصبر

(تكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدنا وهو ان ارادوه اليك وجواب لولا محذوف أي لا بد منه أو فارغ من ألم حين سمعت ان فرعون تبناه ان كادت تبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحاً وسروراً بما سمعت لولا ان نظامها قلبها وسكنها قلبه الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواقفين بوعد الله لا يقيني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت بشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياتهما فر بط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعني أثره لتعلمي خبره (فبصرت به) أي أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت (وهم لا يشعرون) انها اخته (وحرمانا عليه المراضع) تحريم منع لانحرهم شرع أي منعاً ما أن يرضع ندياً غير ندي أمه وكان لا يقبل ندي مريض حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مريض وهي المرأة التي ترضع أو جمع مريض وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصصها أثره أو من قبل أن نرده على أمه (فقات) اخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ندياً (هل) أدلكم (أرشدكم) (على أهل بيت يكفلونه) أي موسى (لكم وهم له ناصحون)

(٤٢٦)

(هل)

كادت تقولوا ابنا موقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتخطه أخرى خشيت عليه العرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحى الذي أوحى الله اليها أن يرده عليها (لولا أن ربطنا على قلبها) أي بالعصمة والصبر والتثبيت (تكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله ايها (وقالت لاخته) أي لريم أخت موسى (قصيه) أي اتبعني أثره حتى تعطى خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل كانت تمشي جانباً وتظفره اختلاسات ترى انها لا تنظره (وهم لا يشعرون) انها اخته وانها ترقبه (وحرمانا عليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ندياً قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضة لم ياخذ نديها وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي قبل محبي أم موسى وذلك لما رآته أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلب ذلك (فقات) يعني أخت موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قتل ولدها فاحب ما دعى اليه أن تجد صغيراً ترضعه (وهم له ناصحون) أي لا يمنعونه ما ينفعه من زينة وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام قد ليناعلى أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة في سرور الملك واتصاله وقيل قالوا من هم قالت أي قالوا أولامك ولما قالت نعم هرون وكان هرون ولياً في السنة التي لا يقتل فيها قالوا صدقت فأتيناها فانطلقت اليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي رجع أمه قبل نديها وجعل يصه حتى امتلأ جنباهم ياقيل كانوا يعطونها كل يوم ديناراً فذلك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) أي يرد موسى اليها (ولا تحزن) أي ولا تلتحنزن (ولتعلم ان وعد الله حق) أي يرده اليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها أن يرده اليها (ولما بلغ أشده) قيل الأشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الأشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أي بلغ أر بعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكماً وعلماً) أي عقلاً وفهماً في الدين فعلم وحكم موسى قبل أن يبعث نبياً (وكذلك نجزي المحسنين) قوله تعالى (ودخل المدينة) يعني موسى والمدينة قيل هي

النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد روى انها لما قالت وهم له ناصحون قالوا ما انما نعرفه ونعرف أهله فقتلناها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى أمها بابا مرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعالاه شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم نديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أي كل ندي الا نديك فقالت اني امرأة طيبة الرج طيبة الابن لا أوفى بصبي الا قبلي فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأتجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها انه سيكون نبياً وذلك قوله (فرددناه الى

أمه كي تقر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم ان وعد الله حق) أي وليست علمها

منف

مشاهدة كما علمت خبراً وقوله ولا تحزن معطوف الى تقر وانما حمل لها ما تأخذه من الدينار كل يوم كما قال السدي لانه مال حربي لانه أجرة على ارضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أي لتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه حق فيربون ويشبه الثمر يض بمافرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى نهاية القوة وتتمام العقل وهو جمع شدة كنعمته وأنعم عند سيبويه (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وهو ار بعون سنة وروي انه لم يبعث نبياً الا على رأس ار بعين سنة (آتيناه حكماً) نبوة (وعلماً) فقهاً وعلماء صالح الدارين (وكذلك نجزي المحسنين) أي كما فعلنا بموسى وأمه تفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله تعالى آتاء العلم والحكمة مجازاة على الاحسان لانهم ما يؤديان الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال وليس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جها لا اذ لم يعملوا بالعلم (ودخل المدينة)

أى مصر (على حين غفلة من أهلها) حال من الفاعل أى محتفيا وهو ما بين العشاء من أو وقت القائلة يعنى اتصاف النهار وقيل لما شب وعقل أخذتكم بالحق وبسكر عليهم فأنافوه فلا يدخل المدينة الأعلى تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) ممن شايعة على دينه من بنى إسرائيل قيل هو السامرى وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره (وهذا من عدوه) من مخالفه من (٤٢٧)

القبط وهو قاتون وقيل فيهما هذا وهذا وإن كانا غائبين على جهة الحكاية أى إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه (فاستغاثه) فاستنصره (الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو باطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربى المستأمن أولانه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل ما لم يؤمر (أنه عدو مظل مبین) ظاهر العداوة (قال رب) يارب (انى ظلمت نفسى) بفعل صار قتلا (فاغفرلى) زلتى (فغفرله) زلته (انه هو الغفور) باقالة الزلل (الرحيم) بازالة الخجل (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا) معينا

منفس من أعمال مصر وقيل هى قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هى نصف النهار واشتغال الناس بالقيام وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب فى سراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فادركه المقييل بأرض منف فدخلها وليس فى أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بنى إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه مخالفهم فى دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر بأخراجه من مدينته فأخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعده عهدهم به وعن على أنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتخاصمان ويتنازعا (هذا من شيعته) أى من بنى إسرائيل (وهذا من عدوه) أى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدوه هو طباطخ فرعون واسمه قاتون وكان القبطى يريد أن يأخذ الاسرائيلى بحمله الخطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل قد عزوا بامكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى إسرائيل والآخر من القبط (فاستغاثه الذى من شيعته) يعنى الاسرائيلى (على الذى من عدوه) يعنى الفرعونى والاستغاثه طلب العوث والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما أخذه ليحمل الخطب الى مبلغ أريك فنارعه فقال الفرعونى لقد هممت أن أحله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فوكزه موسى) أى ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) أى قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل (قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مظل مبین) أى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا إشارة الى عمل المقتول لالى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا إشارة الى المقتول يعنى انه من جند الشيطان وخزيه (قال رب انى ظلمت نفسى) أى بقتل القبطى من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله (فاغفرلى) أى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفرلى أى فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون (فغفرله) أى فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أى بالمغفرة والستر الذى (أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) معناه فانا لا أكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على أن الاسرائيلى الذى أعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن قاتلى فى اليوم الثانى أى لم يقل فلم

(للمجرمين) للكافرين وبما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك على بالمغفرة لاثوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطف كأنه قال رب اعصمنى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون ان عصمتنى ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين محبة فرعون

(فأصبح في المدينة خائفاً) على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به (يترقب) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستفاد من مناساته والأخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفاً على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يسوغ الخوف من دون الله (فإذا الذي) إذا لما جاء وما بعدهما مبتدأ (استنصره) أي موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى إن الأسرائيلي الذي خلصه موسى استغاث به ثانياً من قبطي آخر (قال له موسى) أي للأسرائيلي (انك لغوي مبین) أي ضال عن الرشده ظاهر التي فقد قالت بالامس رجلاً فقتلته بسببك والرشد في التدبير أن لا يفعل فعلاً يفضي إلى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته (فلما إن أراد) موسى (أن يبطش بالذي) بالقبطي الذي هو (٤٢٨) عدو لها) لموسى والأسرائيلي لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء

بنی اسرائیل (قال) الأسرائيلي لموسى عليه السلام وقد نوههم أنه أراد أخذه لا أخذ القبطي إذ قال له انك لغوي مبین (يا موسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً) يعني القبطي (بالامس إن تريد) ما تريد (الآن تكون جباراً) أي قتلاً بالغضب (في الأرض) أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطي أن قاتله موسى فأخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسى) صفة لرجل أوحال من رجل لأنه وصف بقوله أقصى المدينة (قال يا موسى

أكن إن شاء الله ظهيرا للمجرمين) (فأصبح في المدينة) أي التي قتل فيها القبطي (خائفاً يترقب) أي ينتظر سواً والترب والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فإذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) أي يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقبل له أن بنى إسرائيل قتلوا منا رجلاً فقلنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فيبناهم بطوفون لا يجدون بينة أذمر موسى من الغد فرأى ذلك الأسرائيلي يقتل فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندّم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي (قال له موسى) للأسرائيلي (انك لغوي مبین) أي ظاهر الغواية قالت رجلاً بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه (فلما إن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لها) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقّة للأسرائيلي فديده ليبطش بالقبطي فظن الأسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبین (قال يا موسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالامس) معناه أنه لم يكن علم أحد من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الأسرائيلي ذلك فسمعه القبطي فأتى فرعون فأخبره بذلك (إن تريد الآن تكون جباراً في الأرض) أي بالقتل ظمناً وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاضد ولا يتواضع لامر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما فشا أن موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال أنه مؤمن آل فرعون واسمه خزّيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسى) أي يسرع في منبه وأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى وأخبره وأذره بما سمع (قال يا موسى إن الملائمة بكم) أي يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك (فأخرج) أي من المدينة (إني لك من الناصحين) أي في الأمر بالخروج (نخرج منها) يعني موسى (خائفاً) على نفسه من آل فرعون (يترقب) أي ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ إلى الله تعالى لعلمه أنه لا ملجأ إلا إليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي الكافرين ﴿قوله تعالى﴾ (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد نحوها ماضياً إليها قيل لأنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأن أهل مدين من ولد إبراهيم وموسى من ولد إبراهيم ومدين هو مدين بن إبراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام قيل خرج موسى خائفاً لا يظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الأرض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعني موسى (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق إلى مدين وذلك لأنه لم يكن يعرف

ان الملائمة بكم ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضاً بقتلك أو يتشاورون بسببك والافتقار للتشاور يقال الرجلان يتأمران ويتشاوران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر (فأخرج) من المدينة (إني لك من الناصحين) لك بيان وليس بصلّة الناصحين لأن الصلة لا تتقدم على الوصول كأنه قال إني من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيالك ومرحبا لك (نخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفاً يترقب) التعرض له في الطريق أو أن يلحقه من يقتله (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي قوم فرعون (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها والتوجه الاقبال على الشئ ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن الظن بربه (قال) عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي وسطه معظمه نحوه فإياه ملك فأنطلق به إلى مدين

ولما ورد وصل (ماء مدين) ماءهم الذي يسقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من
 من مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تزدودان) تطردان غنمهما عن الماء لان على
 ماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقي أو لا تختلط أغنامهما باغنامهم والدود الطرد والدفع (قال ما خطبكما) ما شأنكما وحقيقته
 مخطوب بكما أي ما مطلوب بكما من الزيادة فسمى المخطوب خطبا (قالتا لانسقي) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدر شامي ويريدوا
 روي أي يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لا يمكنه سقي الاغنام (كبير) في حال أو في السن لا يقدر على رعي الغنم أبدا
 به عذرهما في توليها السقي بانفسهما (فسقي لهما) فسقي غنمهما لاجلهم رغبة في المعروف واغاثة للملهوف روي انه نحي القوم عن رأس
 بئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا السقي بها وكانت لا ينزعها الا أربعون فاستقي (٤٢٩) بها وصباها في الخوض ودعا

بالبركة وترك المفعول في
 يسقون وتزدودان ولا
 نسقي وفسقي لان الغرض
 هو الفعل لا المفعول ألا ترى
 انه انما رجعها لانهما
 كانتا على الذياد وهم على
 السقي ولم يرجعها لان
 مذودهما غنم ومسقيهم
 ابل مثلا وكذا في لانسقي
 وفسقي فالقصود هو السقي
 لا المسقي ووجه مطابقة
 جوابهما سؤاله انه سألهما
 عن سبب الذود فقالتا
 السبب في ذلك اننا امرأتان
 مستورتان ضعيفتان
 لا نقدر على مزاحمة الرجال
 ونستحي من الاختلاط
 بهم فلا بد لنا من تأخير
 السقي الى ان يفرغوا وانما
 رضى شعيب عليه السلام
 لا يفتيه بسقي الماشية لان
 هذا الامر في نفسه ليس

اطريق اليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولما ورد ماء
 مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) أي على الماء (أمة) أي جماعة (من الناس
 يسقون) أي مواشيهم (ووجد من دونهم) أي سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تزدودان) أي
 يحسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط
 باغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تند وتذهب والقول الاول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعني
 موسى للمرأتين (ما خطبكما) أي ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس (قالتا لانسقي) أي أغنامنا (حتى
 يصدر الرعاء) أي حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى اننا امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا
 سقينا نحن مواشينا من فضل ما بقي منهم في الخوض (وأبونا شيخ كبير) أي لا يقدر أن يسقي مواشيه فلذلك
 احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل أبوهم ما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يرون ابن أخي شعيب
 وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل من آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رقى لهما
 ورجهما فاقتلع ضحرة من على رأس بئر أخرى كانت بقر بهما لا يطيق رفعها لاجتماع من الناس وقيل
 زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقي لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجر
 لا يرفعه الا عشرة نفر جاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلو واحد ودعا فيه بالبركة وسقي الغنم فرويت
 فذلك قوله تعالى (فسقي لهما ثم تولى الى الظل) أي عدل الى أصل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو
 جائع (فقال رب اني لما أنزلت الى من خير فقير) معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس
 ان موسى سأل الله فلقه خبز يقيم به صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني لما أنزلت الى من خير
 فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمره وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعا الى أيهما سرى يعاقبل
 الناس وأغنامهما حفل بطن قال لهما ما أعجبكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رجلا فاسقا لنا أغنامنا فقال
 لاحداهما اذهبي فادعيه الى قال الله تعالى (جاءته احدهما تمشي على استحياء) قيل هي الكبرى واسمها
 صفورا وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من
 النساء خراجه ولا جة ولكن جاءت مسترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحييت منه لانها
 دعت له لكافته وقيل لانها رسول أيها (قالت ان أبي يدعوك ليجز بك أجر ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى

بمحظور والدين لا ياباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البد وفيه غير
 مذهب أهل الحضرة خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف
 ما يقوله بعض المتشقة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى اذ لا نقص في الشكوى الى المولى (فقال رب اني لما) لا شيء (أنزلت الى من
 خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق
 بظهره بطنه ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك
 وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرح به وشكره وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من
 الانوار (جاءته احدهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجز بك أجر ما سقيت لنا) على استحياء في موضع الحال أي مستحية

وهذا دليل كمال إيمانها وشرف عنصرها لأنها كانت تدعو إلى ضيافتها ولم تعلم أبجيتها لم لا فاته مستحبة فداسترت بكبرياءها وما في
 ما سقيت مصدرية أي جزاء سقيك روى أنها لما رجعت إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا
 رحنا فبقينا لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فقبهها موسى عليه السلام فالزقت الرمح ثم بها يجدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعني
 لي الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) أي قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص (قال) له (لا تخف
 نجوت من القوم الظالمين) إذا سلطان فرعون بارئنا وفيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أثنى والمشي مع الأجنبية مع ذلك
 الاحتياط والتورع وأما أخذ الأجر على البر والمعروف ففيل أنه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على أنه روى أنها لما قالت
 لي عزبك كره ذلك وإنما أجابها للتأنيب قصد هالان للقاصد حرمته ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألسنت جاثقا قال
 بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا عما سقيت لهما وأنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدين ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه
 عادةنا مع كل من ينزل بنا (٤٣٠) فكل (قالت احداهما يا ابت استأجره) اتخذها أجيرا لري الغنم روى أن

ذلك كرهه أن يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فشت المرأة ومشي موسى خلفها فكانت
 الرمح تضرب ثوبها فتصفرد فها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق إذا
 أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب إذا هو بالعشاء مهيا فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى
 أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألسنت بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وأنا أهل
 بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكننا عادة
 آباءنا نقرى الضيف ونطعم الطعام نجاس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه
 القصص) أي أخبره بامرء أجمع من خبر ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من
 القوم الظالمين) يعني من فرعون وقومه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت
 احداهما يا ابت استأجره) أي اتخذها أجيرا لري أغنامنا (ان خير من استأجرت القوى الأمين) يعني ان
 خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الأمانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت أمانته
 فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته فانه قال لي امشي خلفي
 حتى لا تصف الرمح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (اني أريد أن أنكحك) أي أزوجهك (احدى ابنتي
 هاتين) قيل زوجه الكبرى وقال الا كثرون انه زوجه الصغرى منها واسمها صفورا وهي التي ذهبت في
 طلب موسى (على أن تأجرني ثمانى حجج) أي تكون لي أجيرا ثمان سنين (فان أتممت عشرا فمن
 عندك) أي فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق
 عليك) أي ألزمك تمام العشر إلا أن تبرع (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) أي في حسن الصحبة
 والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصالح حسن المعاملة ولين الجانب وإنما قال ان شاء الله لا لتكامل على توفيقه

أ كبرها كانت تسمى
 صفراء والصفري صفراء
 وصفراء هي التي ذهبت
 به وطلبت الى أبيها أن
 يستأجره وهي التي تزوجها
 (ان خير من استأجرت
 القوى الأمين) فقال
 وما علمك بقوته وأمانته
 قد ذكرت نزع اللو
 وأمرها بالمشي خلفه وورد
 الفعل بلفظ الماضي
 للدلالة على أن أمانته
 وقوته أمران متحققان
 وقولها ان خير من
 استأجرت القوى الأمين
 كلام جامع لانه اذا اجتمعت
 هاتان الخصلتان الكفاية
 والامانة في القائم بامرك

فقد فرغ بالك ونم مرادك وقيل القوى في دينه الأمين في جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجارى ومعوته
 مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما فرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله
 عنه أن ينفعنا وأبو بكر في عمر (قال اني أريد أن أنكحك) أزوجهك (احدى ابنتي هاتين) قوله هاتين يدل على أنه كان له غيرها
 وإعادة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقد القال قد أنكحك (على أن تأجرني) نكون أجيرا لي من أجرته اذا كنت له
 (ثمانى حجج) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامر الزوجية فلا منافاة
 بينه والتزوج على الخمسة (فان أتممت عشرا) أي عمل عشر حجج (فمن عندك) فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو تمامه من
 عندك ولا أحقه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين وحقيقة قولهم شققت
 عليك وشق عليه الأمر ان الأمر اذا تعاطمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه (ستجدني ان شاء الله من
 الصالحين) في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد بشرطه مشيئة الله فيها
 وعدم من الصالحين الاتكال على توفيقه فيه ومعوته لانه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ذلك

(قال موسى) مبتدأ وهو إشارة إلى ما عاهد عليه شعيب والخبر (بنى وبينك) يعنى ذلك الذى قتله وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلاً ناعنه لأننا فيما شرطت على ولا أنت فيما شرطت على نفسك ثم قال (أيما الاجلين قضيت) أى أى أجل قضيت من الاجلين يعنى العشرة أو الثمانية وأى نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لابهام أى وهى شرطية وجوابها (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه فى أيهما ولكن جعله على الأقل كالانتم فى الوفاء وكان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل (والله على ما نقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعدى (٤٣١) بعل لانه استعمل فى موضع الشاهد

والرقيب روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فقد عصا من تلك العصى فاخذ عصاه بطبها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب ففسها وكان مكفوا فافضن بها فقال خذ غيرها فاوقع فى يده الالهى سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على بينك فان الكلا وان كان بها أكثر الا ان فيها تائينا أخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات الحيين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب ورى فلم ير مثله فنام فاذا التنين قد أقبل فخاربه العصى حتى قتله وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب من الغنم

ومعوتته (قال) يعنى موسى (ذلك بينى وبينك) أى ما شرطت على فلك وما شرطت من تزوج احداهما فى الامر بيننا على ذلك (أيما الاجلين قضيت) أى أى الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان على) أى لا ظلم على بان أطالب باكثر منه (والله على ما نقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بينى وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألني يهودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى قلت لأدرى حتى أقدم على خبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيهما لأن رسول الله اذا قال فعل وروى عن أبى ذر مر فوعا اذا سئلت أى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما واذا سئلت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج صغراهما وقضى أوقاهما وقال وهب أنكحه الكبرى وروى شداد بن أوس مر فوعا بكى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوق الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب ولكن شوقا الى لقائك فإوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيأ لك لقائى يا شعيب لذلك أخذ منك كليمى موسى ولما تعاقد هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة جلها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير بنى الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أهلك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيبا أراد ان يجازى موسى على حسن رعيه كراماله وصلة لابنته فقال له انى قد وهبت لك من ولدا غنماى كل أبلق وبلقاء فى هذه السنة فإوحى الله تعالى الى موسى فى النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسقى الاغنام منه ففعل ذلك فإخطأت واحدة الا وضعت جلها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) أى أتمه وفرغ منه (وسار باهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشرين سنين أخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر فأذن له فسار باهله أى بزوجه فاصد الى مصر (آنس) أى أبصر (من جانب الطور تاراً) وذلك انه كان فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لاهله) مكثوا الى أنست نار العلى آتيكم منها بخبر) أى عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق (أوجدوة من النار) أى قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذى اشتعل بعضه (لعلكم تصطلون) أى تستدفئون (فلما أتاهانودى من شاطئ الوادى الايمن) يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى (فى البقعة المباركة) جعلها الله المباركة لأن الله تعالى كام موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) أى من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء ترف

فوجد هاملاي البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فارحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الاجل) قال عليه السلام قضى أوقاهما وتزوج صغراهما وهذا بخلاف الرواية التى مرت (وسار باهله) بامرأته نحو مصر قال ابن عطاء عم أبل الحنة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة سار باهله ليستركوا معه فى لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور ناراً قال لاهله) مكثوا الى أنست نار العلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل فى الطريق (أوجدوة من النار لعلكم تصطلون) فلما أتاهانودى من شاطئ الوادى الايمن) بالنسبة الى موسى (فى البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أو العوسج

(أن ياموسى) أن مسفرة أو مخففة من الثقيلة (أنى أنا الله رب العالمين) قال جعفر أبصر ناراً دلته على الأنوار لانه رأى النور في هيئة النار فلما دنا منها شملت أنوار القدس وأحاطت به جلايب الانس فغوطب بالطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلماً شريفاً أعطى ما سأل وأمن مما خاف والحدوة باللغات الثلاث وقرئ يهن فعاصم بفتح الجيم وحزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرهما العود والغليظ كانت في رأسه ناراً ولم تكن ومن الأولى والثانية لا بداء الغاية أى أنه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادى بدل الاشتغال لأن الشجرة كانت ثابتة على الشاطئ أى الجانب (وأن ألقى عصاك) ونودى أن ألقى عصاك فالتقاها فقبلها الله ثباتاً (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية في سعيها وهي تعبان في جنبها (ولى مدبراً ولم يعقب) يرجع فقيل له (ياموسى أقبل ولا تخف أنك من الآمنين) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسلك) أدخل (بدك في جيبك) جيب قيصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم إليك جناحك من الرهب) سحازى بفتح حين وبصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف والمعنى (٤٣٢) واضمم يدك إلى صدرك بذهب ما بك من فرق أى لاجل الحية عن ابن عباس رضى الله

وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس أنها العناب (أن ياموسى أنى أنا الله رب العالمين) قيل إن موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم أنه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة إلا الله تعالى فعلم بذلك أن المتكلم هو الله تعالى وقيل إن الله تعالى خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بان المتكلم هو الله تعالى وإن ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل أنه قيل لموسى كيف عرفت أنه نداء الله قال أنى سمعته بجميع أجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الأجزاء علم بذلك أنه لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى (وأن ألقى عصاك) أى فالتقاها (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) هي الحية الصغيرة والمعنى أنها في سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة (ولى مدبراً) أى هار بامنها (ولم يعقب) أى ولم يرجع قال وهب أنها لم تدع شجره ولا صخرة إلا بلغت حتى إن موسى سمع صريراً أسنانها وقطعة الشجر والصخر في جوفها حينئذ ولى مدبراً ولم يعقب فنودى عند ذلك (ياموسى أقبل ولا تخف أنك من الآمنين) قوله عز وجل (اسلك يدك) أى أدخل يدك (في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أى برص والمعنى أنه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس (واضمم إليك جناحك من الرهب) أى من الخوف والمعنى إذا هالك أمر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون أى سكن روعك واخفض عليك جناحك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب السكم بلفظ جبر ومعناه اضمم إليك يدك وأخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده في كمه (فدانتك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) أى آيتان (من ربك إلى فرعون وملئه أنهم كانوا قومًا فسقين) أى خارجين عن الحق (قال رب انى قتلت منهم نفساً) يعنى القبطى (فأخاف أن يقتلون) أى به (وأخى هرون هو أفصح منى لساناً) أى بيانا وأما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجرة في فيه (فأرسله معي رداً) أى عونا (يصدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو أن يلخص ضم جناحه إليه أو أريد

عنهما كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح أن الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه أو أريد

بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر الدلائل لانه إذا خاف نشر جناحيه وأرغاموا والاجتاحتاه مضمومان إليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سبباً وعلّة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى اضمم إليك جناحك واسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين إذا الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب ومعنى اضمم يدك إلى جناحك في طه أدخل يمينك تحت يسارك (فدانتك) محققاً مثني ذاك ومشهد مكي وأبو عمرو مثني ذلك فأحدى التوئين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) سحجان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهاناً لانه نارها من قولهم للمرأة البيضاء برهقة (من ربك إلى فرعون وملئه) أى أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين (لهم كانوا قومًا فسقين) كافرين (قال رب انى قتلت منهم نفساً) فأنف أن يقتلون (به بغير ياء وبالياء يعقوب) وأخى هرون هو أفصح منى لساناً فأرسله معي حفص (رداً) جال أى عونا يقال ردأه أعنته وبلاهمز مدنى (يصدقنى) عاصم وحزة صفة أى ردأه صدقاً وغيرهما بالجزم جواب لأرسله

ومعنى تصديقه موسى اعادته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لان يقول له صدقت الا ترى الى قوله هو افصح منى لسانا فارساه وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان (انى اخاف ان يكذبون) يكذبونى فى الحالين يعقوب (قال سنشد عضدك باخيك) سنقويك به اذا ليد تشدد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاوله الامور (ونجعل لكما سلطانا) غلبة وتسلط او هيبة فى قلوب الاعداء (فلا يصلون اليكما باياتنا) الباء تتعلق بوصول أى لا يصلون اليكما بسبب آياتنا وتم الكلام او فنجعل لكما سلطانا أى نسلط لكما باياتنا او نحدف أى اذهب باياتنا وهو بيان للغالبون لاصلة اوقسم جوابه لا يصلون مقدم عليه (اتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا الاسحر مفترى) أى سحر عمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (وما سمعنا بهذا فى آياتنا الاولين) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم يعنى ما حدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح (٤٣٣) الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعدده

حسن العقبي يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفترى بالما أهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبي الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يحتم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير وادومكى وهو حسن لان الموضوع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحر مفترى ووجه

الدلائل ويحجب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المقيد (انى اخاف ان يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك باخيك) أى سنقويك به وكان هرون بمصر (ونجعل لكما سلطانا) أى حجة وبرهانا (فلا يصلون اليكما) أى يقتل ولا سوء (باياتنا) قيل معناه نعطيكم من المعجزات فلا يصلون اليكما (اتما ومن اتبعكما الغالبون) أى لكما ولا تباعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى باياتنا بينات) أى واضحات (قالوا ما هذا الاسحر مفترى) أى مخترق (وما سمعنا بهذا) أى بالذى تدعوننا اليه (فى آياتنا الاولين) وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده (أى انه يعلم الحق من المبطل) (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العقبي المحموده فى الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) أى الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيرى) فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فاوقدلى يا هامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجر ابني به (فاجعل لى صرحا) أى قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بانيان أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد مراكب على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضر به بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر ووقعت فى المغرب فلم يبق أحد عمل شيأ فيه الا هلك فذلك قوله (لعلى أطلع الى اله موسى) أى أنظر اليه واقف على حاله (وانى لاظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) أى فى زعمه ان الارض والخلق الها غيرى وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا أنهم البنا

(٥٥ - (خازن) - ثالث) الاخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوافق الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر ربى أعلم بحجazy وأبو عمرو ومن يكون حجة وعلى (وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيرى) قصد بنى علمه باله غيره نفي وجوده أى مالكم من اله غيرى أو هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده (فاوقدلى يا هامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر واتخذوه وانما لم يقل مكان طين هذا لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة لانه أفصح وأشبه بكلام الجبارة اذا أمر هامان وهو وزيره بالانقاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دلائل التعظيم والتجبر (فاجعل لى صرحا) قصر عاليا (لعلى أطلع) أى أصدع والاطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب أنه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان (وانى لاظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه ان له الها وانه أرسله اينار سولا وقد تناقض الخدول فانه قال ما علمت لكم من اله غيرى ثم أظهر حاجته الى هامان وأثبت لموسى الها وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكأنه تحصن من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلى أطلع الى اله موسى روى ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت فى البحر ووقعت فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (فى الارض) أرض مصر (بغير الحق)

أى بالباطل فلاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أى المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبير يا مردائي والعظمة
ازارى فن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (وظنوا أنهم البنا لا يرجعون) يرجعون نافع وحزة
وعلى وخلف يعقوب (فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه شبههم استقلال العددهم وان
كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن أخذ بكفه فطرهن في البحر (فاظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور
عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون الى النار) أى عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم في ظلمات
نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وأبعناهم في هذه الدنيا لعنة)
الزمانهم طردوا أو إبعاد عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين
أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه (٤٣٤) وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين (واقدا آتينا موسى الكتاب)

التوراة (من بعدما أهلكنا
القرون الأولى) قوم نوح
وهود وصالح ولوط عليهم
السلام (بصار للناس)
حال من الكتاب والبصرة
نور القلب الذي يبصر به
الرشد والسعادة كأن
البصر نور العين الذي
يبصر به الانسان ير بد
آتياء التوراة أنوارا
للألبوب لأنها كانت عميا
لا تبصر ولا تعرف حقا
من باطل (وهدي)
وارشاد الأنهم كانوا
مخبطون في ضلال
(ورحة) لمن اتبعها الأنهم
إذا عملوا بها وصلوا الى
نيل الرحمة (لعلهم
يتدكرون) يتعظون
(وما كنت) يا محمد
(بجانب الجبل) (الغربي)
وهو المكان الواقع في

لا يرجعون) أى للحساب والجزاء (فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أى فالتيناهم في البحر وهو القلزم
(فاظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعنى حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم أئمة) أى قادة ورؤساء (يدعون
الى النار) أى الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة
لا ينصرون) أى لا يمنعون من العذاب (وأبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أى خربوا بعدا وعذابا (ويوم
القيامة هم من المقبوحين) أى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه وزرقة
العيون وقوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الأولى)
يعنى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصار للناس) أى ليبصروا ذلك فيهدوا به
(وهدي) أى من الضلالة لمن عمل به (ورحة) أى لمن آمن به (لعلهم يتدكرون) أى بما فيه من الموعظ
(وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى وما كنت يا محمد (بجانب الغربي) أى بجانب الجبل
الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) أى عهدنا اليه واحكمنا الامر
معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) أى الحاضرين ذلك المقام الذي أوجينا الى موسى
فيه فتدكره من ذات نفسك (ولكننا أنشأنا قرونا) أى خلقنا بعد موسى أمما (فتناول عليهم العمر) أى
طالت عليهم المدة فتدوا وعهد الله وتركوأمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهدا في محمد والايمن
به فطال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهد وتركوأ الوفاء بها (وما كنت
ناويا) أى مقبلا (في أهل مدين) أى كقمام موسى وشعيب فيهم (تتلوا عليهم آياتنا) أى تذكروهم بالوعد
والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكننا كنا مرسلين) يعنى أرسلناك
رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها (وما كنت
بجانب الطور) أى بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (اذ نادينا) يعنى موسى خذ الكتاب بقوة
وقال وهب قال موسى يارب أرني محمدا وأمته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت أمتك
وأسمعتك صونهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله
تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والارحام أى أرحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة

شق العرب وهو الذي وقع فيه ميثقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أى ظمناه وقرر بناه نجيا (وما كنت
من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميثاقه (واكننا أنشأنا) بعد
موسى (قرونا فتناول عليهم العمر) أى طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير
منها فأرسلناك محمدا لتلك الاخبار مبيها ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهد موسى
وما جرى عليه ولكننا أوجينا اليك فقد كرسب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبه
الاستدراكين بعده (وما كنت ناويا) مقبلا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرأوها عليهم تعلمانهم تريد
الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه وتتلو في موضع نصب خبرنا أو حال من الضمير في ناويا (ولكننا كنا مرسلين) ولكننا أرسلناك
وأخبرناك بها وعلينا كما (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة

(ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتندرقومأأناهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي نسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغلب بالأيدي (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الأمر إذا لم يبعث على الفعل والباعث والمحضض من واحد والفاء تدخل في جواب الأمر والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فإن قلت كيف استقام هذا المعنى

(٤٣٥)

وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية علمها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للإرسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال فدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابهم مصيبة لما أرسلنا (فلم يأتهم الحق من عندنا) أي القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المجز (قالوا) أي كفار مكة (لولا أوتي) هلا أعطى (مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا)

للك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم قبل أن تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمتك رحمة بارئك والوحي إليك وإطلائك على الأخبار الغائبة عنك (لتندرقوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى فلم يرد بقوله إذ قضينا إلى موسى الأمر هو أنزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت تأوي إلى أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله إذ نادينا ليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الأحوال حاضر ابن الله أنه بعثه وعرفه هذه الأحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومجيزته كأنه قال في أخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك ﷺ قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) يعني من الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا لولا) أي هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك إليهم رسولا ولا كنا بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلم يأتهم الحق من عندنا) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) أي هلا (أوتي) محمد (مثل ما أوتي موسى) يعني من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل أوتي كتابا جملة واحدة كما أوتي موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) قيل إن اليهود أرسلوا إلى قريش أن يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهروا) يعني التوراة والقرآن بقوى كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعني محمد وموسى وقيل إن مشركي مكة بعثوا إلى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أن نعتهم في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهروا (وقالوا أنا بكل كافرون) يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعني من التوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله (إن

يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوتي موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) في موسى وهارون (ساحران تظاهروا) تعاونا سحران كوفي أي ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر (وقالوا أنا بكل) بكل واحد منهما (كافرون) وقيل إن أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهروا وفي التوراة والقرآن سحران تظاهروا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهروا (قل) فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل على (أتبعه) جواب فأتوا (إن

كنتم صادقين) في أنهما سحران (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الالهدي فاعلم أنهم قد أزموا ولم تبقى لهم حجة الا اتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لأحد أضل ممن اتبع في الدين هواه وبغير هدى حال أي مخد ولا يغفل عنه وبينه وبين هواه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ولقد وصلناهم القول لعلمهم يتذكرون) التوصيل نكثير الوصل وتكريره يعني ان اقرآن أنهما متابعات واصلوا وعدا وعدا وعيدا وقصصا وعبرا ومواعظا ليتذكروا فيفلحوا (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الدين (٤٣٦) (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب (واذا تبلى)

القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انما كنا من قبله) من قبل القرآن (مسلمين) كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيقة بان يؤمن به وقوله ابايان لقوله آمنا لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعبارة فاحبروا بان ايمانهم به متقادم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرون بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الذي (ومما رزقناهم ينفقون) يزكرون (واذا سمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين

كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) يعني ان ماركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) قوله عز وجل (ولقد وصلناهم القول) قال ابن عباس ينشأ وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل ينال كفار مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلناهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كانوا عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلمهم يتذكرون) أي يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فصاروا ائمة بالمسلمين من الحاجة والخاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فحسابنا وما لنا نقول اننا مسلمين فانصرفنا فواتوا بما هم فواسوا بها المسلمون فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذا تبلى عليهم) يعني القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) أي من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) يعني بآياتهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (بما صبروا) أي على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبىه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأفادها فأحسن تأديتها وعلفها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) أي في الطاعة (واذا سمعوا اللغو) أي القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبنا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لاننا عرضكم بالشتم (لا يفتى الجاهلين) يعني لا يحب دينكم الذي أتم عليه وقيل لا تريد أن تكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى (انك لاتهدى من أحبت) أي هدايته وقيل أحبته لقربته (ولكن الله يهدي من يشاء) وذلك أن الله تعالى يقذف في القلب نورا هداية فينشرح الصدر للايمان (وهو أعلم بالمهتدين) أي بمن قدر له الهدى

(أعرضوا عنه وقالوا) للاعتين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منكم بأن تعاقب لغوكم عنكم (لا يفتى الجاهلين) لا تريد مخالطتهم وصحبهم (انك لاتهدى من أحبت) لاتقدر أن تدخل في الاسلام كل من أحبت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدي من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ باللائل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمد اتفلحوا فقال عليه السلام يا معشرهم بالصيحة لا تضلهم وتدهنها لنفسك قال قتادة يا ابن أخي قال أرى بلسنك ان تقول لا اله الا الله

(م)

أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي أنا قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت وإن كانت الصيغة منه والآية حجة على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل أن وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا إن تبع الهدى معك تتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً) قالت قریش نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نحاف أن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطفونا من أرضنا فالتقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمته البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات تجني إليه من كل أوب وهم كفرة فأني يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموها إلى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز (يجب إليه) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أي تجلب وتجمع (ثمرات كل شيء) معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء (٤٣٧) (رزقاً من لدنا) هو مصدر لان

معنى يجب إليه يرزق أو مفعول له أحوال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن التكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمن لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهلكننا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بخذف الجار وإصال الفعل أي في

(م) عن أبي هريرة قال انك لا تهدي من أحببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود عنه أبا طالب على الاسلام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعبرني قریش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لا قررت بها عينك ثم أنشد

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية ديننا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحاً بذلك مينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية (وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا) يعني مكة نزلت في الحرب بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اننا نعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرماً آمناً) وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا حرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحداة (يجب إليه) أي يجلب ويجمع إليه ويحمل إلى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ان أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك ﴿ قوله عز وجل (وكم أهلكننا من قرية) أي من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي أثرت وطغت وقيل عاشوا في البطرفا كلوا رزق الله وعبدوا الاصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون سكوناً قليلاً وقيل لم يعمر منها الا قليلاً وأكثرها خراب (وكننا نحن الوارثين) يعني لم يخلفهم فيها أحد بعدهم ولا صار أمرها إلى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعني الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمهم رسولاً) أي في أكبرها وأعظمها رسولاً يذريهم وخص الام ببعثة لرسول لانه يبعث إلى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولاً يعني محمد صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعني انه يؤدى اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي مشركون ﴿ قوله عز وجل (وما أوتيتهم من شيء فتنازع الحية الدنيا وزينتها) أي تنتمعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى) لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة

معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قليلاً) من السكنى أي لم يسكنها الا المسافرون والطارقون وماؤ ساعة (وكننا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) في كل وقت (حتى يبعث في أمهم) بكسر الهمزة حمزة على أي في القرية التي هي أمها أي أصلها ومعظمها (رسولاً) لازام الحجة وقطع المذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لان الارض دحيث من تحتها رسولاً يعني محمد عليه السلام (يتلوا عليهم آياتنا) أي القرآن (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي وما أهلكناهم الا لتقام الاوأهلها مستحقون العذاب نظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم (وما أوتيتهم من شيء فتنازع الحية الدنيا وزينتها) وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فها هو الا تمتع وزينة أياماً قلائل وهي مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو نوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لانه دائم

(أفلا تعقلون) ان الباقي خير من الفاني وخيرا بوعمر و بين اليا والياء والياقون بالياء لا غير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خالق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمنين والمنافقين والكافرين فالؤمن يتزود بالمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أى الجنة فلا شيء أحسن منها إلا نهاده ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لاقية) أى رائيته ومدركه ومصيبه (كمن تمتعنا متاع الحياة الدنيا) هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحصروا النار ونحوه فكذبوه فأنهم لم يحضروا نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل لعنه الله أوفى على وحزرة وأبى جهل أوفى المؤمن والكافر ومعنى الفاء الأولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أى أبعد هذا التفاوت الجلى يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد ثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كفايل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادى الله الكفار ينادى تو يبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذ كر (فيقول أين شركائى) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أى الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين) (٤٣٨) أغويانا) أى دعوناهم الى الشرك وسولناهم الفى صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر

بالقياس الى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أى ان الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعى من أوصى بثلاث ماله لا عقل الناس صرف ذلك الثالث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان عقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعنى الجنة (فهو لاقية) أى مصيبه وصائر اليه (كمن تمتعنا متاع الحياة الدنيا) أى وتزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أى فى النار قيل هذا فى المؤمن والكافر وقيل نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وقيل فى على وحزرة وأبى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى فى الدنيا أنهم شركائى (قال الذين حق عليهم القول) أى وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغويانا) أى دعوناهم الى الفى وهم الاتباع (أغويانا هم كما غويانا) أى أضللناهم كما ضللتنا (نبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعنى للكفار (ادعوا شركاءكم) أى الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوه فلم يستجيبوا لهم) أى لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) معناه لو أنهم كانوا يهتدون فى الدنيا مارأوا العذاب فى الآخرة (ويوم يناديهم) أى يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبت المرسلين) أى ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم) أى خفيت واشتبهت عليهم (الانبياء) يعنى الاخبار والاعذار والحجج (بومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا ينسألون) أى لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكنون فلا يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المقلحين) أى من العداة الناجين وعسى من الله واجب وقوله تعالى (وربك

(أغوياناهم) والكاف فى (كما غويانا) صفة مصدر محذوف تقديره أغوياناهم فهو واغيا مثل ما غويانا يعنون انهم نغوا لا باختيارنا فهو لاء كذلك غيوا باختيارهم لان اغواءناهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذا بين غيوا وغيبهم وان كان تسويلا دعايا لهم الى الكفر فقد كان فى مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله

وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا أنفسكم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر بخلق (ما كانوا ايانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجلتين من العاقل لكونهما مقررين لمعنى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أى الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوه فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أى لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبت المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حتى أولا ما يبرغهم به من اتخاذهم لشركاءهم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند تو يبيخهم لانهم اذا وجوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغفروهم ما يشبه الشبهة لهم لاستغاثتهم اهلهم ومجرعهم عن نصه تهم ثم ما يكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل واذا راحة العطل (فعميت عليهم الانبياء بومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الاخبار وقيل خفى عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون اذ لم يكن عندهم جواب (فهم لا ينسألون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة جاء أن يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون فى الجزع عن الجواب (فأما من تاب من الشرك (وآمن) بر به وبما جاء من عنده (وعمل صالحا فعسى أن يكون من المقلحين) أى فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وزغب للكافرين على الايمان ونزل جوابا بقول الوليد بن المغيرة لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى نفسه أو أبا سعود (وربك

يخلق ما يشاء) وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على (ويختار) أي ويربك يخلق ما يشاء ويربك يختار ما يشاء (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم ان يختاروا على الله شيئا ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف في ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذا المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة في أفعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لنفي اختيار الخلق تقرير لاختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو ما تل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى التخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي الله يرى من اشراكهم وهو منزّه عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ما تكن) تصبر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلاختيار عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها (لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة لا قبله الا هي (له الحمد في الاولى) الدنيا (والآخرة) (٤٣٩) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب

عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على وجه اللذة لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عباد الله (واليه ترجعون) بالبعث والنشور وافتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرايتم) أرايتم محذوف الهمزة على (ان جعل الله عليكم اللباس سريدا) هر مفعول ثان لجعل أي دائما من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرود واحد فرد والميم مزبدة ووزنه فعمل (الى يوم القيامة من اله غير الله يأتكم بضياء أفلا تسمعون) والمعنى أخبروني من يصد على هذا (قل أرايتم ان جعل

يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقة في أخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن) أي تخف (صدورهم وما يعلنون) أي يظهرون (وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة) أي بحمده أو اياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة (وله الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولا لاهل المصية بالشقاوة (واليه ترجعون) قوله عز وجل (قل) أي قل يا محمد لاهل مكة (أرايتم) أي أخبروني (ان جعل الله عليكم اللباس سريدا) أي دائما (الى يوم القيامة) لانها فيه (من اله غير الله يأتكم بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وتقبل (قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سريدا الى يوم القيامة) أي لاليل فيه (من اله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولا جله يحصل الاجتماع فتتمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم الا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فبين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رجه جعل لكم الليل والنهار) أي يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي بالنهار (ولعلكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقرير والتوبيخ (ونزعنا) أي أخرجنا وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعني رسو لهم يشهد عليهم بانه بلغهم سائرهم ونصح لهم (فقلنا) أي للامم المكذبة لرسولهم (ها توبوا ربهانكم) أي تخجتمكم بان معي شريكا (فعلموا أن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل

الله عليكم النهار سريدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعاقب به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك الميزة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعهم ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رجه جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب الف والشر (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما أو يكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليوذن أن لا شيء أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيد (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعني نبيهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم بشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (ها توبوا ربهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلموا) حيثئذ (ان الحق لله) التوحيد (وضل

عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الوهية غير الله والشفاعة لهم (ان قارون) لا ينصرف للجمعة والتعريف ولو كان فاعولا من قريته الشئ لا ينصرف (كان من قوم موسى) كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهت وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرب ابني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبني عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم أو من البغي الكبير تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أوزاد عليهم في الثياب شبرا (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتيحه) ما بمعنى الذي في موضع نصب بآتيناه وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفتاح جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به (١١٠) أو مفتاح بالفتح وهو الخزانة والاصوب أنها المقاليد (لتنوء بالعصبة) لتثقل العصبة

قاله للتعدية يقال نأه به الجمل اذا أنقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة (اذ قال له قومه) أي المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بتنوء (لا تفرح) لا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدين الا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى أبواب الخير (ولا تنفس

عنهم ما كانوا يفترون) أي يخلقون في الدنيا من الكذب على الله ﷻ قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهت وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل أقرب منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبني عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبني عليهم وقيل بني عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جريابه خيلاء أخرجاه في الصحابين وقيل بني عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتيحه) جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتيحه يعني خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتثقل بهم اذا حملوها لتثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أنما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فنقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على أر بعين بغلا (اذ قال له قومه) أي لا تبظروا ما نرى ولا تفرح (ان الله لا يحب الفرحين) أي الأنسرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدين الا من رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

أشد الغم عندى في سرور * تيقن عنه صاحبه اتفالا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله (ولا تنفس نصيبك من الدنيا) أي لا تترك أن تعمل في الدنيا لآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنفس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة عن عمرو بن ميمون الاودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل وهو يعظه اغتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس (ولا تبغ) أي ولا تطلب (الفساد في الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعني قارون (انما أوتيته على علم عندى) أي على فضل وخبر علمه

نصيبك من الدنيا) وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذاك حظ المؤمن منها (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن شكرك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد في الارض) بالظلم والبغي (ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته) أي المال (على علم عندى) أي على استحقاق لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التوراة وعلم الكهنة وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلها ذهبا والعلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة علم قال سهل ما نظر أحد الى نفسه فأفزع والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل روية مئة الله تعالى عليه في جميع الافعال والاقوال والشئ من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل رؤيته مئة الله فافتخر بها وادعاه لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خفف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا

(أولم يعلم) قارون (أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته أو نفي لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى بقي به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعاً) للمال أو أكثر جماعة وعدداً (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعرفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلا يستلون أو لا يستلون لتعلم من جهتهم بل يستلون سؤال توبيخ أو لا يستل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة (فخرج على قومه في زينته) في الحررة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربع آلاف على زينة وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزيناً (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وإنما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفاراً (يأليت لنا مثل ما أوتي قارون) قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن نزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له (٤٤١) دونه وهو كقوله تعالى ولا تمنوا

ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا إلا كما يضر العضاء الخطأ (أنه لدوحظ عظيم) الحظ الجدد وهو البخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغايطي قارون (ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفي التبيان في أعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أي ألزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن

الله عندي فرآني أهلاً لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فغداً قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهباً وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل (ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) أي الأموال (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه أن الله تعالى إذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به إلى سؤالهم لأنه عالم بحالهم وقيل لا يستلون سؤال استعلام وإنما يستلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم قوله عز وجل (فخرج على قومه في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفاً عليهم الثياب الحر والصفرة والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربع آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلى والثياب الحر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) يآليت لنا مثل ما أوتي قارون أنه لدوحظ عظيم (أي من المال) (وقال الذين أوتوا العلم) أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الأحبار من بني إسرائيل الذين تمنوا مثل ما أوتي قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن) أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحاً) أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها إلا الصابرون) أي لا يؤتي الأعمال الصالحة إلا الصابرون وقيل لا يؤتي هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى (نفسنا به وبداره الأرض)

(٥٦ - (خازن) - ثالث) آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها) أي لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير (إلا الصابرون)

على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (نفسنا به وبداره الأرض) كان قارون يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربما شئت قال نبرطل فلانة البني حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف ديناراً وطستاً من ذهب وأحكمهما فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك جرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذي فلق البحر وأزل التوراة إن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجداً يبكي وقال يا رب إن كنت رسولاك فاغضب لي فأوحى الله إليه أن من الأرض بما شئت فأنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليزِم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فاخذيهم إلى الركب ثم قال خذيهم فاخذيهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فاخذيهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى

﴿ذكر قصة قارون﴾

قال أهل العلم بالأخبار والسيركان قارون أعلم بني إسرائيل بعدموسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجلهم وأغناهم وكان حسن الصوت قبي وطفي وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أردبتهم خيوطاً ربعية في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكرون به إذا انظروا إلى السماء ويعلمون أني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أردبتهم كلها خضراً فان بني إسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربهم يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم أن تعلقوا في أردبتكم خيوطاً خضراً كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطمعه وقال انما فعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى بني إسرائيل البحر جعلت الحبورة طرون وهي رأسه المذبح فكان بنو إسرائيل ياتون بقربانهم إلى هرون فيضعها على المذبح فتزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى إلى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة وطرون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لأصبر على هذا فقال أما أنا ما جعلتها طرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى ترى بيني وبينه جمع موسى رؤساء بني إسرائيل فقال هاتوا عصيكم فخرمها وألقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصاهرون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يدار به للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزد إلا اعتوا وتنجروا ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل لها باباً من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملا من بني إسرائيل يغدون إليه وروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنهما دينار وعلى كل ألف درهم عنهما درهم وكل ألف شاة عنهما شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فخبى فوجده شيئاً كثيراً فلم تسمع نفسه بذلك فجمع بني إسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربما عاشت قال أمركم أن تحيوا أفلا تبالين وتنجعلوا عليكم لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل فرفضوه فدعوا فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستاً من ذهب وقيل قال لها قارون أنزلك وأخلطك بنائي على أن تقذف في موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو إسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم ونهاتهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى ولبست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجناه إلى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني إسرائيل يزعمون انك بغرت بفلاة البني قال ادعوه فلما جاءت قال لها موسى بالذي فاق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها حدثتوبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلاً على أن أقذفك بنفسى فخرم موسى ساجداً بيكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فإوحى الله إليه اني أمرت الارض أن تطيعك فرها بما شئت فقال موسى يا بني إسرائيل ان الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم إلى الركب ثم قال يا أرض

استغاث بك مراراً فلم
ترحمه فوعزني لو استرحني
مرارة رحته فقال بعض
بني إسرائيل انما أهلكه
ليرث ماله فدعا الله حتى
خسف بداره وكنوزه

(فما كان له من فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) بمنعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المتقين من موسى أو من المنتصرين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه) منزله من الدنيا (بالأحسن) ظرف لتمكنوا ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون وي) كأن الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر (وي منفصلة عن كان عند البصريين قال سيبويه وي كلمة تنبه على الخطا وتندم يستعملها التادم باظهار ندامته يعني ان القوم قد تذبذبا على خطئهم في تمنيمهم وقولهم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون وتندموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا تمناه بالأحسن (لخسف بنا) وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى (وي كأنه لا يفلح الكافرون) أي تندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لسانها يعني تلك التي سمعت بذكركها وبلغك وصفها وقوله (تجعلها) خبر تلك والدار نعنها (للتين) لا يريدون علوا في الأرض) بغيا ابن جبير وظلما الضحاك أو كبرا (ولافسادا) عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليحبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال

خديهم فاخذتهم إلى الأوساط ثم قال يا أرض خديهم فاخذتهم إلى الأعناق وأصحابه في ذلك يتضرعون إلى موسى وينادونه قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خديهم فاطبقت عليهم الأرض فاحس الله إلى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لا غثته وفي بعض الآثار لا أجعل الأرض بعدك مطوئا لاحد قال قتادة خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قائمة رجل لا يبلغ قرارها إلى يوم القيامة وأصبح بنو إسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعاء موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي بمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من المتقين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) أي صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من الأموال والزينة يندمون على ذلك التمني (يقولون ويكأن الله) لم تعلم وقيل لم ترو وقيل هي كلمة تقر بمعناها ما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويك اعلم أن الله وروى ان وي مفصولة من كأن والمعنى ان القوم ندموا فقلوا امتندمين على ما سلف منهم وي وكان معناها ظن وأقدران الله (يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن عباس أي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا أن من الله علينا) أي بالإيمان (لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض) أي استكبارا عن الإيمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتمها ونابهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدر (ولافسادا) قيل الذين يدعون إلى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بآداء أو امره واجتناب نواهيهِ وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره قوله تعالى (ان الذي فرض عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن (لرأدك إلى معاد) قال ابن عباس إلى مكة أخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود إلى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا إلى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع إلى الطريق ونزل بالحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فأتاه جبريل عليه السلام وقال له أنت شاق إلى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرأدك إلى معاد وهذه

بعضهم حقيقة التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبها بقوله ان فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض (والعاقبة) المحمودة (للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مر في المل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فقل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين (الاما كانوا يعملون) الامثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمئة (ان الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرأدك) بعد الموت (إلى معاد) أي معاد إلى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد به اليوم الفتح لانها كانت في ذلك اليوم معاد له شان ومرجع له اعتداده لعل رسول الله وفهره لاهلها ولظهر وعز الاسلام وأهله وذل الشرك وخز به والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق إلى ولده ومولده آياته

وما وعد رسول الله الرادى الى معاد قال (قل) للمشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وماله من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم من فى محل نصب بفعل مضمرا أى يعلم (وما كنت ترجوا أن يلقى يوحى (اليك الكتاب) القرآن (الارحة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما ألقى اليك الكتاب الارحة من ربك أو الابعنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أى لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعدا أنزل اليك) الآيات أى بعد وقت أنزاله وإضافته اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيد وعبادته (ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولأن العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار (لأله الا هو) صفة لألها آخر وفيه من الفساد ما فيه (٤٤٤) (كل شئ هالك الا وجهه) أى الاياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء

إذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء فى خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم (سورة العنكبوت) مكية وهى تسع وستون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعنى المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيا حتى تقول حسبت زيدا علما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيدا عالم والفرس جواد كلام دال على

الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربى أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالفر يقين قوله عز وجل (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) أى يوحى اليك القرآن (الارحة من ربك) فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوهم الى دين آباءه قد كره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعدا أنزل اليك وادع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل لأنه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فافائدة هذا النهى قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكلاء على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (لأله الا هو كل شئ هالك) أى فان (الاوجه) أى الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الاما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أى تردون فى الآخرة فيجزىكم بأعمالكم والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة العنكبوت﴾
وهى مكية وآياتها تسع وستون آية وكلما تها تسعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفا
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (ألم أحسب الناس أن يتركوا) أى بغير اختبار وابتلاء (أن) أى بأن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى لا يبتلون فى أموالهم وأنفسهم كلا لتختبرهم انبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية فى أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا تخرجوا عامدين الى المدينة

مضمون فاذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطرى الجملة فاتبعهم فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب وقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتسمية الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصير كقول عنزة فتركته جزر السباع بنفسه ألا ترى انك قبل الجىء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقديره حاصل ومستقر قبل الملام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدة التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفسق والقحط وأنواع المصائب فى النفس والاموال ومصاراة الكفار على أذاهم وكيدهم ورؤى انها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين أو فى عمار بن ياسر وكان يعذب الله فى

لان ذلك بقدر انه لا يتمتع
 لا بمانه وهذا يظن انه
 لا يجازى بمساويه وقالوا
 الاول في المؤمنين وهذا
 في الكافرين (ساء
 ما يحكمون) ما في موضع
 رفع على معنى ساء الحكم
 حكمهم أو نصب على معنى
 ساء حكما يحكمون والمخصوص
 بالذم محذوف أي بش
 حكما يحكمونه حكمهم
 (من كان يرجو لقاء الله)
 أي يؤمل ثوابه أو يخاف حسابه
 فالرجاء يحتملها (فان
 جل الله) المضروب للثواب
 والعقاب (لا آت) لا محاله
 فليبادر للعمل الصالح الذي
 يصدق رجاءه ويحقق أماله
 (وهو السميع) لما يقوله
 عباده (العليم) بما يفعلونه
 فلا يفوته شيء ما وقال
 الزجاج من للشرط ويرتفع

بالابتداء وجواب الشرط فان أجل الله لا ت كقولك ان كان زيد في الدار فقد صدق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعة ذلك ترجع اليها (ان الله اغنى عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أى الشرك والمعاصي بالايمان والتوبة (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أى أحسن جزاء أعمالهم فى الاسلام (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصى حكمه حكم أمر فى معناه وتصرفه يقال وصيت زيد ابان يفعل خيرا كما تقول أمرته بان يفعل ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه أى وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمر ومناه وصيته بتعهد عمر ورواياته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناها بآباء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا أى فعلا ذا حسن أو ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيت متبها للضرب فتنصبه باضمار أو لمأ أو فعل بهما لان التوسعية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كما نه قال قلنا أو لمأ

معروفًا ولا تطعمهما في الشرك إذا جلا عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابندى حسنا حسن الوقف وعلى الله خير الأول لا بد من اضرار القول معناه وقتنا (وان جاهدك) أيها الانسان (لتشرك في ما ليس لك به علم) أي لا علم لك بالهبة والمراد بنبي العلم نبي المعلوم كأنه قال لتشرك في شيئا لا يصح ان يكون الها (فلا تطعمهما) في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فانبتكم بما كنتم تعملون) فاجازيكم حق جزائكم وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهم على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين روى ان سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه ان لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في (٤٤٦) الاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ والخبر (لندخلهم في الصالحين)

في جلتهم والصالح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متعنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما وألحقني بالصالحين أوفى مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله) أي إذا مسه أذى من الكفار (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم) أي واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بباتكم فاعطونا نصيبنا من المغنم (أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أي هو

نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهري وأمه حنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان بارا بآبائه قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه وأموت فتعبر بذلك أبد الدهر ويقال يا قاتل أمه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها فقال يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلني ان شئت وان شئت فلانا كلي فلما أيست منه أكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وأمره بالبر والديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهدك لتشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعمهما) وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم أوعد بالمصير اليه فقال تعالى (الى مرجعكم فانبتكم) أي فاخبركم (بما كنتم تعملون) أي بصالح أعمالكم وسيأتها أي فاجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلهم في الصالحين) أي في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى) يعني أصابه بلاء من الناس افتتن (في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا أؤذى في الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أي فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) أي على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا كذبهم الله تعالى فقال (أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أي من الايمان والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) أي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) أي بترك الاسلام عند البلاء قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بالسنن فاذأ أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية وبقى السورة مكي (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان (للذين آمنوا) أي من قريش (اتبعوا سبيلنا) يعني ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعه من الله تصيبكم فذلك قوله (ولنعلم خطاياكم) أي أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاذ كذبهم الله عز وجل بقوله (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) في قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقاهم) أي أوزار أعمالهم

أعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدور المؤمنين من الاخلاص ثم وعده المؤمنين وأوعده المنافقين بقوله (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) أي حالها ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما (وقال الذين كفروا والذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أمر وهم باتباع سبيلهم وهي طريقهم التي كانوا عليها في دينهم وأمرهم بأنفسهم يحمل خطاياهم فحفظ الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أي ان تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذه أقول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا تبعن نحن ولا أتم فان كان ذلك فإنا نحمل عنكم الأثم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) لا هم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقاهم) أي أثقال أنفسهم يعني أوزارهم بسبب كفرهم

١ (وَأَتَقَالَمَعَ أَتَقَالَهُمْ) أَي أَتَقَالَا أُخْرَ غَيْرَ الْخَطَايَا الَّتِي ضَمِنُوا الْمُؤْمِنِينَ جَهْلَهَا وَهِيَ أَتَقَالُ الَّذِينَ كَانُوا سَبِيحًا فِي ضَلَالِهِمْ وَهُوَ كَمَا قَالَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضْلِلُونَهُمْ بَغِيرَ عِلْمٍ (وَلَيْسَتْ لَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْكَاذِبِ وَالْإِبْطِيلِ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) كَانَ عَمْرُهُ أَلْفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً بَعَثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ وَبِثَ فِي قَوْمِهِ تِسْعَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِينَ وَعَن وَهَبٍ أَنَّهُ عَاشَ أَلْفًا وَارْبَعِينَ سَنَةً فَقَالَ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ يَا أَطُولَ الْأَنْبِيَاءِ عَمْرًا كَيْفَ وَجَدْتَ الدُّنْيَا قَالَ كَدَارَ لَهَا بَابَانِ دَخَلْتُ وَخَرَجْتُ وَلَمْ يَقْبَلْ تِسْعَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً لِأَنَّهُ لَوْ قِيلَ كُنْ ذَلِكَ لَجَازَ أَنْ يَتَوَهَّمُ أَتَقَالُ هَذَا الْعَدَدُ عَلَى أَكْثَرِهِ وَهَذَا التَّوَهُّمُ زَائِلٌ هُنَا فَكَانَ قِيلَ تِسْعَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً كَامِلَةً وَافِيَةً الْعَدَدِ الْأَنْ ذَلِكَ أَخْصَرُ وَأَعْدَبُ لَفْظًا وَأَمَّا بِالْفَائِدَةِ وَلَانِ الْقِصَّةَ سَيَقْتَلِمُ الْبَتْلَى بِه نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُمَّتِهِ وَمَا كَابَدَهُ مِنْ طَوْلِ الْمَصَابِرَةِ تَسْلِيَةً لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤٤٧) فَكَانَ ذِكْرُ الْأَلْفِ أَخْفَمَ وَأَوْصَلَ إِلَى الْغَرَضِ وَجِيءَ بِالْمَبْزُورِ وَلَا بِالسَّنَةِ ثُمَّ بِالْعَامِ لِأَن تَكَرَّرَ لَفْظُ وَاحِدٍ فِي كَلَامٍ وَاحِدٍ حَقِيقٌ بِالاجْتِنَابِ فِي الْبَلَاغَةِ (فَاخْذَهُمُ الطُّوفَانُ) هُوَ مَا أَطَافَ وَأَحَاطَ بِكَثْرَةٍ وَغَلَبَةِ مِنْ سَبِيلٍ أَوْ ظَلَامٍ لَيْلٍ أَوْ نَحْوِهَا (وَهُمْ ظَالِمُونَ) أَنْفُسُهُمْ بِالْكَفْرِ (فَانْجَيْنَاهُ) أَيِ نُوحًا (وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ) وَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَسَبْعِينَ نَفْسًا نَصَفَهُمْ ذِكْرُ وَنَصَفَهُمْ أَنْثَاهُمْ أَوْلَادُ نُوحٍ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثٌ وَنِسَاؤُهُمْ (وَجَعَلْنَاهَا) أَيِ السَّفِينَةَ أَوَ الْخَادِتَةَ أَوَ الْقِصَّةَ (آيَةُ) عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ (لِلْعَالَمِينَ) يَتَعَذَّبُونَ بِهَا (وَإِبْرَاهِيمَ) نَصَبَ بَاضِمًا إِذْ كَرَّ بِدَلِّ عَنْهُ (إِذْ قَالَ) بِدَلِّ اشْتِمَالٌ لِأَنَّ الْأَحْيَانَ تَشْتَمِلُ عَلَى مَا فِيهَا أَوْ مَعْطُوفٍ عَلَى

الَّتِي عَمِلُوهَا بِأَنْفُسِهِمْ (وَأَتَقَالَمَعَ أَتَقَالَهُمْ) أَيِ أَوْزَارٍ مِنْ أَضْلَافٍ وَصُدُوعٍ سَبِيلَ اللَّهِ مَعَ أَوْزَارِ أَنْفُسِهِمْ فَإِنْ قُلْتُ قَدْ قَالَ أَوْلَا وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَقَالَ هَهُنَا وَابْحَمَلِينَ أَتَقَالَهُمْ وَأَتَقَالَمَعَ أَتَقَالَهُمْ فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا قُلْتُ مَعْنَاهُ إِنَّهُمْ لَا يَرْفَعُونَ عَنْهُمْ خَطِيئَةً بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَحْمِلُ خَطِيئَةَ نَفْسِهِ وَرُؤْسَاءُ الضَّلَالِ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ وَيَحْمِلُونَ أَوْزَارَ سَبَبِ اضْطِلَالِ غَيْرِهِمْ فَهُوَ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَنٍ فِي الْأَسْلَافِ سَنَةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ وَزَرَ مِنْ عَمَلٍ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (وَيُسْتَلَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أَيِ سُؤَالِ تَوْيِجٍ وَتَقْرِيعٍ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِأَعْمَالِهِمْ وَافْتَرَاءِهِمْ ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ) أَيِ أَقَامَ (فِيهِمْ) يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ (أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) فَإِنْ قُلْتُ مَا فَائِدَةُ هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ وَهَلَا قَالَ تِسْعَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً قُلْتُ فِيهِ فَائِدَتَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْحَقِيقِ وَتَرْكُهُ قَدْ يَظُنُّ بِهِ التَّقْرِيبَ فَهُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ عَاشَ فُلَانٌ مِائَةَ سَنَةٍ فَقَدْ يَتَوَهَّمُ السَّائِلُ أَنَّهُ يَقُولُ مِائَةَ سَنَةٍ تَقْرِيْبًا لِحَقِيقَتِهَا فَإِنْ قَالَ مِائَةَ سَنَةٍ الْأَشْهُرَ أَوَ الْأَسَنَةَ زَالَ ذَلِكَ التَّوَهُّمُ وَفَهُمْ مِنْهُ الْحَقِيقُ الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ إِبْيَانُ أَنَّ نُوحًا صَبَرَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ صَبْرًا كَثِيرًا وَأَعْلَى مَرَاتِبِ الْعَدَدِ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ الْمُرَادُ التَّكْثِيرَ فَلِذَلِكَ أَتَى بِعَدَدِ الْأَلْفِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ وَأَخْفَمُ وَهَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ أَعْلَمَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ ابْتَلَوْا قَبْلَهُ وَأَنَّ نُوحًا لَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ فَصَبَرَ فِي الدَّعَاءِ وَلَمْ يُؤْمِنْ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا قَلِيلٌ فَأَنْتَ أَوْلَى بِالصَّبْرِ لِمُدَّةِ ابْنِكَ وَكَثْرَةِ مَنْ آمَنَ بِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَعَثَ نُوحٌ لَارْبَعِينَ سَنَةً وَبَقِيَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِينَ سَنَةً حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ فَكَانَ عَمْرُهُ أَلْفًا وَخَمْسِينَ عَامًا وَقِيلَ فِي عَمْرِهِ غَيْرَ ذَلِكَ ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾ (فَاخْذَهُمُ الطُّوفَانُ) أَيِ فَاغْرَقَهُمْ (وَهُمْ ظَالِمُونَ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مُشْرِكُونَ (فَانْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ) يَعْنِي مِنَ الْغَرَقِ (وَجَعَلْنَاهَا) يَعْنِي السَّفِينَةَ (آيَةُ) أَيِ عِبْرَةٍ (لِلْعَالَمِينَ) قِيلَ إِنَّهَا بَقِيَتْ عَلَى الْجُودَى مِدَّةً مَدِيدَةً وَقِيلَ جَعَلْنَاهَا عِبْرَةً ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾ (وَإِبْرَاهِيمَ) أَيِ وَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ) أَيِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَخَافُوهُ (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أَيِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ بِمَا هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَلَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ) أَيِ تَقُولُونَ كَذِبًا وَقِيلَ تَصْنَعُونَ أَصْنَامًا بِأَيْدِيكُمْ وَتَسْمُونَهَا آلِهَةً (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) أَيِ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرْزُقُوكُمْ (فَاتَّبِعُوا) أَيِ فَاطْلُبُوا (عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) فَإِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ (وَاعْبُدُوهُ) أَيِ وَاحْدُوهُ (وَاشْكُرُوا لَهُ) لِأَنَّهُ الْمُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِالرِّزْقِ (إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ) أَيِ فِي

نُوحٍ أَيِ وَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ أَوْ ظَرَفَ لَارْسَلْنَا يَعْنِي أَرْسَلْنَاهُ حِينَ بَلَغَ مِنَ السَّنِ أَوَ الْعِلْمِ مَبْلَغًا صَالِحَ فِيهِ لِأَنَّهُ يَعْظُمُ قَوْمَهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْعِبَادَةِ وَالتَّقْوَى وَقَرَأَ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِي وَأَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَابْرَاهِيمَ بِالرَّفْعِ عَلَى مَعْنَى وَمِنْ الْمُرْسَلِينَ إِبْرَاهِيمَ (لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ) مِنَ الْكَفْرِ (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) إِنْ كَانَ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ بِمَا هُوَ شَرٌّ لَكُمْ (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) أَصْنَامًا (وَتَخْلُقُونَ) وَتَكْذِبُونَ أَوْ تَصْنَعُونَ وَقَرَأَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالسَّامِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَتَخْلُقُونَ مِنْ خَلْقٍ بِمَعْنَى التَّكْثِيرِ فِي خَلْقِ (أَفْكَاءَ) وَقَرَأَ أَفْكَاءَ وَهُوَ مُصَدَّرٌ نَحْوُ كَذِبٍ وَلَعِبٍ وَالْأَفْكَاءُ مَخْفَفٌ مِنْهُ كَالْكَذِبِ وَاللَّعِبِ مِنْ أَصْلِهِمَا وَاخْتِلَافُهُمُ الْإِفْكَاءُ تَسْمِيَتُهُمُ الْإَوْثَانُ آلِهَةٌ وَشُرَكَاءُ اللَّهِ (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرْزُقُوكُمْ شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ (فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) كَلَهُ فَإِنَّهُ هُوَ الرَّاغِقُ وَحْدَهُ لَا يَرْزُقُ غَيْرَهُ (وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ) فَاسْتَعْدُوا لِلْقَائَةِ بِعِبَادَتِهِ وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَى أَنْعَمِهِ وَبَفَتْحِ النَّعْمِ وَكُسْرِ الْجِيمِ يَعْقُوبُ

(وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي وان تكذبوني فلا تنصروني بتكذيبكم فان الرسل قبل قد كذبهم أممهم وما ضرهم وانما ضرروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالام قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت فالجلل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه ان اراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس الارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة بان أباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى نحو ما بتلى به من شرك قومه وعبادتهم الا وان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم بامعشر قريش ان تكذبوا لمحمد افقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها باطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجة وبرهانه (أولم يروا) (٤٤٨) وباللهاء كوفي غير حفص (كيف يبدى الله الخلق) أي قدرا وأذلك وعلموه

وقوله (ثم بعيد) ليس بمعطوف على يبدى وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدى الله الخلق (ان ذلك) أي الاعادة (على الله يسير) سهل (قل) يا محمد وان كان من الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي مثل قوم نوح وعاد وود وغيرهم فاهلكهم الله (وما على الرسول الا البلاغ المبين) قوله تعالى (أولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه محتمل أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في تذ كبر أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدى الله الخلق) أي يخلقهم نطفة ثم علقه ثم مضغة (ثم بعيد) أي في الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) أي الخلق الاول والخلق الثاني (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكالم يتعذر عليه احداثهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدين بعد الموت ثانيا (ان الله على كل شيء قدير) أي من البدء والاعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (وبرحم من يشاء) تفضلا (واليه تعلقبون) أي تردون (وما أتمم بحجزين في الارض ولا في السماء) قيل معناه ولا من في السماء بحجز والمعنى انه لا يجزئه أهل الارض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء أي لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) أي بمنعكم مني (ولانصبر) أي ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (وأولئك يشوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات في تذ كبر أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال

كلام ابراهيم فتدبره وأوحينا اليه أن قل (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على رؤساء كثيرهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة وبدأ وأبدأ بمعنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي البعث والمحدث كان مبكى وأبو عمرو وهذا دليل على انهما نشانان وان كل واحدة منهما انشاء أي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والقياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما قرروهم في الابداء بانه من الله أحق عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يجزئه الابداء وجب أن لا يجزئه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فالتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (ان الله على كل شيء قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (وبرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبإلزامه السنة (واليه تعلقبون) تردون وترجعون (وما أتمم بحجزين) وبكم أي لا تفوتونه ان هر بتم من حكمه وقضائه (في الارض) القبيحة (ولا في السماء) التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم (ولانصبر) ولاناصر بمنعكم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومجزاته (ولقائه) أولئك يشوا من رحمتي (جنتي) (وأولئك لهم عذاب أليم) فاما كان جواب قومه (قوم ابراهيم حين دعاهم الى الايمان) (الا ان قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فساكنوا جميعا في حكم القائلين فانفقوا على تحريقه

(فما كان جواب قومه إلا أن قالوا انتاب عذاب الله أن كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب أنكم أنتم شامى وحفص وهو الموجود في الامام وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص أنكم أيكم همزة مدودة بعد هاء مكسورة أبو عمرو وأنكم أيكم همزة مقصورة بعد هاء مكسورة مكى ويا فم غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) بالشارة لإبراهيم بالولد والنافلة يعني اسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) إضافة مهلكوا لم تعد تعرب فإلأنها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم وهذه القرية تشعربانها قرية من موضع إبراهيم عليه السلام قالوا أنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام (ان) (٤٥٠) أهلها كانوا ظالمين) أى الظلم قد استقر منهم في الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم

ونأثون في ناديتكم المنكر قال كانوا يحذقون أهل الأرض ويسخرون منهم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب الحذف هورمى الحصى بين الأصابع قيل أنهم كانوا يجاسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذوه فأيهم أصابه قال أنا وأولى به وقيل أنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل أنهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يمزق بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الأزار والصفير والحذف والرمى بالجلاهي واللوطية (فما كان جواب قومه) أى لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبايح (الأن قالوا) يعني استهزاء (انتاب عذاب الله أن كنت من الصادقين) أى أن العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال رب انصرني على القوم المفسدين) أى بتحقيق قولي أن العذاب نازل بهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) يعني من الله بأسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) يعني قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين قال) يعني إبراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله (ان فيها لوطا قالوا) أى قالت الملائكة (نحن أعلم عن فيها النجينة وأهلها إلا امرأته كانت من الغابرين) أى من الباقيين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا ساء لهم) أى ظنهم من الانس خاف عليهم ومعناه أنه جاءه مأساءه (وضاق بهم ذرعا) أى عجز عن تدير أمرهم فخرن لذلك (وقالوا لا تخف) أى من قومك (ولا تحزن) علينا (انما نجوك وأهلك) أى انا مهلكوهم ومنجوك وأهلك (الامرأته كانت من الغابرين انما نزلون على أهل هذه القرية رجلا) أى عذابا (من السماء) قيل هو الحسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) أى من قريبات لوط (آية بينة) أى عبرة ظاهرة (للقوم يعقلون) يعني أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية بينة آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أولاد هذه الأمة وقيل هي ظهور الماء الاسود على وجه الأرض ﴿قوله تعالى﴾ (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثانى وأرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أى افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعشوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الأرض رجفة

كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) إبراهيم (ان فيها لوطا) أى أنه لكونهم وفيهم من هو برى ومن الظلم وهو لوط (قالوا) أى الملائكة (نحن أعلم منك) (بن فيها النجينة) لتنجينه ويعقوب وكوفي غير عاصم (وأهلها إلا امرأته كانت من الغابرين) الباقيين في العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم إبراهيم بقوله (ولما أن جاءت رسلنا لوطا ساء لهم) ساء محبتهم وان صلة كدت وجود الفعلين من نيا أحد هما على الآخر كأنهما وجدوا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحسن محبتهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه أن يقتلوههم بالفجور سىء

بهم مدنى وشامى وعلى (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع (فأصبوا والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا ربح الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القمير الذراع فضرِب ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وقالوا لا تخف ولا تحزن انما نجوك) وبالتخفيف مكى وكوفي غير حفص (وأهلك) الكاف في محل الجر ونصب اهلك بفعل محذوف أى وتنجى أهلك (الامرأته كانت من الغابرين انما نزلون) منزلون شامى (على أهل هذه القرية رجلا) عذابا (من السماء) كانوا يفسقون (بفسقهم وخر وجههم عن طاعة الله ورسوله) (ولقد تركنا منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجه الأرض (للقوم) يتعلق بتركنا أو بينة (يعقلون والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة وأخافوه (ولا تعشوا في الأرض مفسدين) قام دين الفساد (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وأصيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها

(فأصبحوا في دارهم) في بلادهم وأرضهم (جائمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهل كنانة قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الهلاك (وثمود) جزء وحفص وسهل ويعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصفه من أهلاكهم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يرون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السبيل الذي أمر وأبى له هو الإيمان بالله ورسوله (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) فأتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا أخذنا بذنبه) فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ریح عاصف فيها حصباء وهي قوم لوط (ومنهم من أخذناه الصيحة) هي لمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم (٤٥١) بغير ذنب ولكن كانوا أنفسهم

يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أي كمثل العنكبوت فيما تتخذ لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع عنها الجر والبرد ولا يقي ماتي البيوت كالأوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة جعل الله اتخذت مالا (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لايت أوهن من يتباعن على رضى الله عنه طهرا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه

(فأصبحوا في دارهم جائمين) أي باركين على الركب ميتين (وعادا وثمود) أي وأهلكنا عادا وثمود (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) أي من منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي عبادتهم لغير الله (فصدهم عن السبيل) أي عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أي أهلكنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالدلالات الواضحات (فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) أي فأتين من عذابنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار (ومنهم من أخذناه الصيحة) يعني ثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) أي بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بالاشراك قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان يدها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حر او برد او حزن او مرض لا تدفع لعابدها نفعا ولا ضررا وقيل معنى هذا المثل أن المشرک الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا باجر وجص أو نحتته من صخر فكما ان أوهن البيوت اذا استقرت يتايتايت العنكبوت فكذلك أضعف الاديان اذا استقرت يتها دينا دينا عبادة الاوثان لانها لا تضرو ولا تنفع (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) أشار الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه أولسه لا مس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صرح ان أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم أوهن الاديان (لو كانوا يعلمون) أي ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذي يدعون من دونه ليس بشئ (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل أن يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويستغل بعبادة من ليس بشئ أصلا (وتلك الامثال) أي الاشياء يعني امثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار من هذه الامة باحوال كفار الامم السابقة (نضربها) أي نبينها (للناس) أي لكفار مكة (وما يعقلها الا العالمون) يعني

الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرک الذي يعبد الاوثان بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بنى بيتا باجر وجص أو نحتته من صخر وكما ان أوهن البيوت اذا استقرت يتهايتايتايت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقرت يتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جملة تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (ان الله يعلم ما يدعون) بالياء بصرى وعاصم وبالتاء غيرهما غير الاعشى والبرجى وما يعنى الذي وهو مفعول يعلم ومفعول يدعون مضمرة أي يدعون به يعني يعبدونه (من دونه من شيء) من في من شيء للتبيين (وهو العزيز) الغالب الذي لا شريك له (الحكيم) في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تهييل لهم حيث عبدوا جادا لا علم له ولا قدرة وتركوها عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدير (وتلك الامثال) الامثال نعت والخبر (نضربها) نبينها (للناس) كان سفهاء قريش وجهلهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) به وباسمائيه وصفاته أي لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها الا هم

لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال
الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ودلت الآية على فضل العلم
على العقل (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي محققا يعني لم يخلقهما باطلا بل لحكمة وهي أن تكونا مآكنا لعباده وعبادة للمعتبرين منهم
ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين) وخصصهم بالذكر لا تنفعهم (اتل ما أوحى إليك من الكتاب) تقرأ
إلى الله تعالى بقراءة كلامه وانتقف على (٤٥٣) ما أمر به ونهى عنه (وأقم الصلاة) أي دم على إقامة الصلاة (إن الصلاة تنهى عن

(الفحشاء) الفعلية لقميحة
 كالزنا مثلاً (والمسكر) هو
 ما ينكره الشرع والعقل
 قيل من كان مراعيًا
 للصلاة حره ذلك إلى أن
 ينتهي عن البيئات يوما
 ما فقد روى أنه قيل يوما
 لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم إن فلانا يصلي بالنهار
 ويسرق بالليل فقال إن
 صلاته تردعه وروى أن
 فتى من الأنصار كان يصلي
 معه الصلوات ولا يدع شيئا
 من الفواحش الأركبة
 فوصف له فقال إن الله
 عز وجل لم يلبث أن ناب
 وقال ابن عوف إن الصلاة
 تنهى إذا كنت فيها فانت
 في معروف وطاعة وقد
 خرجت عن الفحشاء
 والمسكر وعن الحسن من
 لم تنه صلاته عن الفحشاء
 والمسكر فليست صلاته
 بصلاة وهي وبال عليه
 (ولذ كبر الله كبر) أي
 والصلاة كبر من غيرها
 من الطاعات وإنما قال

ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل وروى البغوي باسناد التعلبي عن جابر بن عبد الله
أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضر بها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من
عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) أي للحق واطهار الحق
(ان في ذلك آية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده ﴿وقوله تعالى﴾ (انل ما أوحى اليك من
الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلاة) فان قلت لم أمر بهذين الشيتين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط
قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهو الذكرا الحسن وبدنية وهي
العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه أن يعتقده مرة أخرى بل ذلك بدوم
مستمر فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما يمكننا التكرار فلذلك أمر بهما (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) أي
ما قبح من الاعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومرجع
عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالعرف ولم تنهه عن المنكر لم تزد صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن
وقناعة من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك
المعاصي والسيئات كما روى عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم لم يدع من الفواحش شيئا الا ركبته فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستناه يوم اقيم
اليوم في الصلاة لا تسبها ودين معنى الآية انه مادام في صلاته فانها تنهيه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان
في الصلاة لشغلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن
ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن
الليل كله فاذا أصبح مرقى قال ستناه قراءته وفي رواية أنه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق
بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المرامي للصلاة لا بد وان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر من
لا يراعيها (ولد كرامة كبر) أي انه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا نبشكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعتها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق
وخير لكم من ان تلقوا عداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكرا كرامة
أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة
عند الله يوم القيامة قال اذا كرون الله كثير قال يا رسول الله والغايزي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه
الكفار والمشركين حتى ينكسرو ويختضب في سبيل الله دما كان الله كرون الله كثيرا أفضل منه درجة
(م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال
الذا كرون الله كثيرا والذا كرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرد الرجل

وإذ كره الله ليستقل بالتعليل كانه قال والعلاء كبر لانها ذ كره الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولد كره الله

ایا کبر من ذ کرم یاہ بطاعته وقال ابن عطاء ذ کرا لله کمأ کبر من ذ کرم کم له لان ذ کره بلا علة وذ کرم مشوب بالعلل والامانی
ولان ذ کره لا ینفی وذ کرم لا ینقی وقال سلمان ذ کرا لله کبر من کل شیء وافضل فقد قال علیه السلام الا انبشکم خیراً عما لکم وازکاها عند
ملیککم وارفعها فی درجاتکم وخیر من اعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوکم فتضربوا أعناقهم و یضربوا أعناقکم قالوا وما ذک یا رسول
الله قال ذ کرا لله وسئل أی الاعمال افضل قال ان تفارق الدنیا والسنک رطب بذ کرا لله أو ذ کرا لله کبر من أن تحویه أفهامکم وعقولکم
أو ذ کرا لله کبر من ان تلقی معه معصية أو ذ کرا لله کبر فی النهی عن الفحشاء والمنکر من غیره

له مسامون) من جنس
المجادلة بالاحسن وقال عليه
السلام ما حدثكم أهل
الكتاب فلا تصدقوهم
ولا تكذبوهم وقولوا آمنا
بالله وكتبه ورسله فان كان
باطلا لم تصدقوهم وان كان
حقا لم تكذبوهم
(وكذلك) ومثل ذلك
الانزال (أنزلنا اليك
الكتاب) أى أنزلناه
مصداقا لسائر الكتب
السموية أو كما أنزلنا الكتب
الى من قبلك أنزلنا اليك
الكتاب (فالذين آتيناهم
الكتاب يؤمنون به)
هم عبد الله بن سلام ومن
معه (ومن هؤلاء) أى من
أهل مكة (من يؤمن به)
أو أراد بالذين أتوا الكتاب
الذين تقدموا عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
أهل الكتاب ومن هؤلاء

الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها (الالكافرون) (المتوغلون في الكفر المممون عليه ككعب بن الأشرف وأضرابه) (وما كنت تتلون من قبله) من قبل القرآن (من كتاب ولا تحطه يمينك) خص اليمين لأن الكتابة غالباً تكون باليمين أى ما كنت قرأت كتاباً من الكتب ولا كنت كاتباً (إذا) لو كان شيء من ذلك أى من التلا ومن الخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجد نفعه فى كتبنا أى لا يكتب ولا يقرأ وليس به أولاً رتاب مشرك كما قالوا لعلمه تعالى أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لأنكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وهو رابل هو) أى انقرن (آيات بينات فى صدور الذين أتوا العلم) أى فى صدور العلماء به وحفاظهم هم من خصائص القرآن آيات بينات الإعجاز وكونه محفوظاً فى الصدور بخلاف سائر الكتب فأنهم لم تكن مجزأت ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف

(وما يجحد بآياتنا) الواضحة (الظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا لا نزل عليه آيات من ربه) آية بغير ألف مكي وكوفي غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الذاقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) ينزلها يشاء وليست أملك شيئاً منها (وإنما أنا نذير مبين) كلفت الإنذار والابتداء بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا سمع على أن المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (ألم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات أن كانوا طالبيين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان (ان في ذلك) أي في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المتعنتين (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) أي شاهد اصدق ما أدعيه من الرسالة وأنزل القرآن على وبتكذيبكم (٤٥٤) (يعلم ما في السموات والأرض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحق وباطلكم

(والذين آمنوا بالباطل) منكم وخوفاً يعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالآيات (ان الان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وأنا وأياكم لعل هدى أو في ضلال مبين وروى ان كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهدك بأنك رسول الله فزلت (ويستجلبونك بالعذاب) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء الآية (ولولا أجل مسمى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فناءهم بأجالتهم والمعنى ولولا أجل قد سماه الله وبينه في الألواح لعذبهم والحكمة تقتضي تأخيرهم إلى ذلك الأجل المسمى

أتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نفعه وصفته في كتبهم (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آيات من ربه) أي كما أنزل على الانبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) أي هو القادر على أنزلها ان شاء أنزلها (وإنما أنا نذير مبين) أي إنما كلفت الإنذار وليس أنزل الآيات بيدي (أولم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة أنهم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على عمر الدهور والزمان ثابتة لا تضيحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكرة وعظة لمن آمن به وعمل صالحاً (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) قال ابن عباس معناه يشهد لي أني رسول الله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بأنزل الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والأرض) أي هو المطلع على أمرى وأمركم ويعلم حقى وباطلكم لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل (وكفروا بالله) فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدة انه ذكر الثاني لبيان قبس الاول فهو كقول القائل أقول الباطل وترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالآيات بقوله عز وجل (ويستجلبونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحارث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتك اني لأعذب قومك ولا أستأصلهم وأخرج عذابهم إلى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا إلى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعني العذاب وقيل الاجل (بغته وهم لا يشعرون) بآياته (يستجلبونك بالعذاب) أعاده تأكيداً وان جهنم لمحيطه بالكافرين أي جامعة لهم لا يبقى منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ونقول ذو قواما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون قوله تعالى (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم

(لجاءهم العذاب) عاجلاً (وليأتينهم) العذاب عاجلاً وليأتينهم العذاب في الاجل المسمى (بغته) فجأة (وهم لا يشعرون) في بوقت محيئه (يستجلبونك بالعذاب) وان جهنم لمحيطه بالكافرين أي يستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) من فوقهم ومن تحت أرجلهم (له تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلال ولا وقف على الكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم) (ويقولون) بالياء كوفي نافع وقوله (دو اما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم (يا عبادي) وبسكون الياء بصرية وكوفي غير عاصم (الذين آمنوا ان أرضي واسعة) وفتح الياء أي يعني ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدر انه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر عبادة والبعير متفاوت في ذلك تفاوتاً كثيراً وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الضمور أو بطلان الدين من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فخرجوا منها إلى أرض الطيبين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قر بدينه من أرض إلى أرض وان كان شبراً من الأرض استوجب الجنة (فإياي فاعبدون)

وبالباء يعقوب وتقديره فاي اي فاعبد و افاعبد وفي وجيء بالفاء في فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاختصاص ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكرهه كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها (ثم اليانترجعون) بعد الموت للشواب والعقاب يرجعون يحجي ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفا) لنزلهم من الجنة علالي لنبوئهم كوفي غير عاصم (٤٥٥) من الشواء وهو النزول للقامة

و نهى غير متعدد فاذا تعدى بزيادة الهمزة لم يجاوز ففعولا واحدا والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما جراؤه مجرى لنزائهم أولئذينهم أو حذف الجار وإصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) وبوقف على العاملين على ان (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي والوصول أجود ليكون الذين نعتا للعاملين (وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فترلت (وكان من دابة) أى

في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخر جوامنها الى ارض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجر وافيهما أى فهاجدوا فيها وقال سعيد بن جبيرة اذا عملوا في الارض بالمعاصي فاهربوا منها فان ارضى واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد تنهيه فيها العبادة وقيل معنى ان ارضى واسعة أى رزقي لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أى كل أحد ميت خوفاً فهم بالموت لنهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت (ثم اليانترجعون) فنجزيكم بأعمالكم قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفا) أى علالي جمع غرفة وهي العلية (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أى لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتقدون على الله في جميع أمورهم قوله عز وجل (وكان من دابة لاتحمل رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بهادر ولا مال فمن بطعننا بها ويسقيننا فانزل الله وكان من دابة لاتحمل رزقها أى لا ترفع رزقها معها الضعفاء ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهائم والطيور (الله برزقها واياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أى لا قوالكم (العليم) بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وتروح بطاناً أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب أول النهار جيا عاضمة البطون وتروح آخر النهار الى أوكرها شباعاً تمتلئ البطون ولا تدخر شيئاً قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والتملة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيها الناس ليس من شئ يقار بكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفث في روعي الروح بضم الراء والعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروح أى الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله عز وجل (ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر أمرين أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثاني اشارة الى اتحاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر (ليقولن الله فاني يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف

وكم من دابة وكان بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس ديت على وجه الارض عقلت أم لم تعقل (لاتحمل رزقها) لاتطيق أن تحمله اضعفها عن حمله (الله يرزقها واياكم) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضاً الا قويا الهو وان كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لاتحمل وعن الحسن لاتحمل رزقها لاتدخره انما تصبح في رزقها الله وقيل لا بد خشي من الحيوان قوتنا الابن آدم والفأرة والتملة (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والعياء (العليم) بما في ضمائركم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) أى ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض على كبرهما وسعتهما ومن الذي سخر الشمس والقمر (ليقولن الله فاني يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله

(الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدره) أي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما
 مثله قدر الرزق وقدره بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم في الحديث ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا
 الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيي به
 الارض بعد موتها ليقولن الله) أي هم مقرون بذلك (قل الحمد لله) على انزاله الماء لحياء الارض أو على أنه من أقر بنحو ما أقروا به ثم
 نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كقرار المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول
 فيما نريهم من الآيات وتقيم عليهم من الدلالات ولا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) أي وما هي لسرعة
 زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كالمسح باليد والبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغيرها لا يصغرها وهي لاتزن عنده
 جناح بعوضة والله وما يتلذذ به (٤٥٦) الانسان فياهيه ساعة ثم ينقضى (وان الدار الآخرة طهي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها

الحياة مسخرة دائمة
 لاموت فيها فكان في ذاتها
 حياة والحيوان مصدر حي
 وقياسه حيوان فقلبت
 الياء الثانية واو ولم يقل
 طهي الحياة لما في بناء فعلا
 من معنى الحركة والاضطراب
 والحياة حركة والموت
 سكون فجيئته على بناء
 دال على معنى الحركة مبالغة
 في معنى الحياة ووقوف
 على الحيوان لان التقدير
 (لو كانوا يعلمون) حقيقة
 الدارين لما اختاروا الله
 القاني على الحيوان الباقي
 ولو وصل لصار وصف
 الحيوان معلقا بشرط علمهم
 ذلك وليس كذلك (فاذا
 ركبو في الفلك) هو متصل
 بمحذوف دل عليه ما
 وصفهم به ونرح من

يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم أنه خلق السموات والارض (الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده)
 لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على
 الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (و يقدره) أي يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شيء عليم)
 أي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الرزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيي به الارض من بعد
 موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أي
 على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بأنه خالق لهم (بل
 أكثرهم لا يعقلون) أي انهم يشكرون التوحيد مع اقرارهم بأنه خالق هذه الاشياء قوله تعالى (وما هذه
 الحياة الدنيا الا لهو ولعب) الله هو الاستمتاع ببلدات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا بهمه واللعب
 هو العبث وفي هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم
 عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم يصرفون (وان الدار الآخرة طهي الحيوان) أي الحياة الدائمة الخالدة التي
 لاموت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا القاني على الباقي قوله عز وجل
 (فاذا ركبو في الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبو في الفلك وخافوا الغرق
 (دعوا الله مخلصين له الدين) أي تركوا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم الى البر اذا هم
 يشركون) أي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبو البحر حملوا
 الاصنام فاذا اشتد الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب (ليكفروا بما آتيناهم) أي ليحججوا بنعمة الله
 في اجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لافائدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون
 به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) يعني عاقبة أمرهم ففيه تهديد ووعيد قوله
 عز وجل (أولم يروا انا جعلنا حرمات آمنة ويخطف الناس من حوهم) يعني العرب يسبي بعضهم بعضا وأهل
 مكة آمنون (أفبالباطل) يعني الشيطان والاصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد صلى الله عليه
 وسلم والاسلام يكفرون (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي فزعم أن له شريكا فانه منزله عن الشركاء

أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبو في الفلك (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة او
 من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معها آخرا (فلما نجاهم الى البر) وأمنوا (اذا هم يشركون) عادوا
 الى حال الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة قيل هي لام كي وكذا في (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكر أي لكي يكفروا ويكفروا
 والمعنى يعودون الى شركهم ليكنوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة فاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين
 المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله اذا أنجاهم ويجمعون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التلذذ والتمتع وعلى هذا
 لا وقف على شرك كون ومن جعل له لام الامر مثبتا بقراءه اذ ين كثير وحزة وعلى وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء
 فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه في أصول الفقه يقف عليه (فسوف يعلمون) سوء تدبيرهم عند تدبيرهم (أولم يروا) أي أهل مكة (انا
 جعلنا) بلدكم (حرمات) ممنوعا موصونا (آمنة) بامن داخله (ويخطف الناس من حوهم) يستلبون قتل وسبيا (أفبالباطل يؤمنون) أي
 بالشيطان والاصنام (وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد عليه السلام والاسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)

بان جعل له شريكاً (أو كذب بالحق) بنبوته محمد عليه السلام والكتاب (لما جاءه) أي تلغتموا في تكذيبه حين سمعوه (أليس في جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثبوتهم في جهنم لان هزيمة الانكار اذا ادخلت على النفي صار ايجاباً يعني ألا يشعرون فيها وقد افتر وأمثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حين اجترأوا مثل هذه الجراءة وذكروا المثوى في مقابلة لنبوتهم يؤيد قراءة الثاني (والذين جاهدوا) أطلق (٤٥٧) المجاهدة ولم يقيدوها بمفعول ليفنل كل

ما يجب مجاهدته من النفس والشیطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً (لنهديهم سبلنا) سبلنا أبو عمر وأي لنزيدهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً وعن الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهديهم إلى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعمل انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهديهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا في رضانا لنهديهم إلى الوصول إلى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا في طاعتنا لنهديهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا في التوبة لنهديهم سبل الاخلاص أو جاهدوا في خدمتنا لنفخن عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا أو جاهدوا في طلبنا بحر الرضا لنهديهم سبل الوصول إلينا (وان

(أو كذب بالحق) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) معناه أما هذا الكافر المكذب مأوى في جهنم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا المشركين لنصر ديننا (لنهديهم سبلنا) لنثيبهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدهم هدى وقيل لنوفقهم لاصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل إلى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا باقامة السنة لنهديهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهديهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسنين) أي بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة في الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم ﴿ تفسير سورة الروم وهي مكية ﴾

وستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قوله عز وجل ﴾ (الم غلبت الروم في أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوساً أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً يقال له شهرمان وبعث قيصر رجلاً وجيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى نجين فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والغجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تقرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام إليه أبي بن خلف الجحشي فقال كذبت فقال أنت كاذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلاً أنا حبيبك عليه والمناجبة بالحاء المهملة القار والمراهنة أي أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فاذا ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة إلى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فخرج أبو بكر فلقى أياً فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال أزيدك في الخطر وأمددك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشى أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال اني أخاف أن تخرج من مكة فاقم لي ضامناً كفيلاً فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لأدعك حتى تعطيني كفيلاً فاعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد قال ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه

(٥٨) - (خازن) - ثالث (الله لمع المحسنين) بالنصرة والمعونة في الدنيا والثواب والمغفرة في العقبى ﴿ سورة الروم مكية وهي ستون أو تسع وخسون آية ﴾ والاختلاف في بضع سنين (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ (الم غلبت الروم) أي غلبت فارس الروم ﴾ (في أدنى الارض) أي في أقرب أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على انابة الامم مناب المصاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم

(وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي غلبة فارس إياهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر إلى المفعول (سيفلبون) فارس ولا وقف عليه لتعلق (في بضع سنين) به وهو ما بين الثلاث إلى العشرة قيل احتربت فارس والروم بين أذرع وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى أبرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشتموا وقالوا أنهم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر أخواننا على أخوانكم ولنظهرن نحن عليكم (٤٥٨) فغزت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال

له أبي بن خلف كذبت فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد في الخطر وأبعد في الاجل فجعلها مائة قلووس إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بنى على صحة نبوته وإن القرآن من عند الله لأنها أنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب أبي حنيفة ومحمدان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتج على صحة ذلك بهذه القصة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء أوحين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناجبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيوطهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر أبو بكر أيأوا أخذ مال الخطر من وريثه وجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره أن شهرمان لما غلب الروم لم يزل يطوهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخراج فيينا أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لأصحابه لقد رأيت كافي جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهرمان إذا أتاك كتابي فابعث إلى رأس أخيك فرحان فكتب إليه أيها الملك انك لم تجد مثل فرحان إن له لنسكابة وصول في العدو فلا تفعل فكتب إليه إن في رجال فارس خلفا عنه فجعل إلى رأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث يريد إلى أهل فارس أني قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان وقال إذا ولي فرحان الملك واتقاده أخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد إلى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعوا طاعة ونزل عن سرير الملك وأجاس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة إلى فرحان فلما قرأها استدعى بأخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تجعل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففخه وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرحان الملك إلى أخيه شهرمان فكتب إلى قيصر ملك الروم أما بعد إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالتفتي في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يريد أن يكرهه حتى أتاه عيون فآخبره وأنه ليس معه إلا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهم قبة فيها دبابج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجان يترجم بينهما فقال شهرمان إن الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشرنا واعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأبى عليه ثم أمر أخي بقتلي فأبى عليه وقد خلعه ناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد أصبتا وأشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوزهما فشاقتلا الترجان معا بسكينهما فادبى الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوه ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في أدنى الأرض يعني قرب أرض الشام إلى فارس وقيل هي أذرع وقيل الأردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) أي فارس لهم (سيفلبون) أي الروم لفارس (في بضع سنين) البضع ما بين الثلاثة إلى السبع وقيل ما دون العشرة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعد هافن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصر من يشاء) أي ييده النصر

ينصر وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخر ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغياظ من شتمهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهر صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والبلاء يتصل بفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر من يشاء)

وهو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) العاطف على أوليائه (وعد الله) مصدر مؤكّد لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (يعلمون) بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله (ظاهر من الحياة الدنيا) يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها ما يحازل الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة وبالاعمال الصالحة وتنكير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (وهم عن الآخرة هم غافلون) هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (أولم يتفكروا في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يثبتوا التفكير في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكير لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير للحال المتفكرين كقوله اعتقده في قلبك وأن يكون صلة للتفكير نحو تفكر في الامر أو جال فيه ففكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم باحوالها منهم باحوال ماء اها فتدبر واما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من الانتهاء الى وقت تجازي فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ما خلق الله

(٤٥٩)

السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه (الابالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا تلبقى خالدة انما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب

ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أي بالمؤمنين ﴿قوله تعالى (وعد الله) أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى (يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها قوله عز وجل (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاقامة الحق (وأجل مسمى) أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه ففيت وهو يوم القيامة (وان كثير من الناس بلفاعرهم لكافرون أولم يسيرا في الارض) أي يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض) أي حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعني الامم الخالية (أكثر ما عمروها) يعني أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أي بنقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يبخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أي أساؤا العمل فاستحقوا (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار (أن كذبوا) أي لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان حلتهم

ألا ترى الى قوله أخسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم اليينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا (وان كثير من الناس بلفاعرهم لكافرون) لجاهدون وقال الزجاج أي لكافرون بلفاعرهم (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم وصف حالهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض) وحرثوها (وعمروها) أي المدمرون (أكثر) صفة مصدر محذوف وما مصدرية في (عمروها) أي من عمارة أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) وتقف عليها الحق الحذف أي فلم يؤمنوا فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فما كان تدميره اياهم ظلما لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكنهم ظلّموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامى وكوفى (الذين أساؤا السوأى) تأنيث الاسواء وهو الاقبح كما أن الحسن تأنيث الاحسن ومحلها رفع على أنها اسم كان عنده من نصب عاقبة على الخبر ونصب عنده من رفعها والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر وهو الذين أساؤا موضع المضمرة أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي أعدت للكافرين (أن كذبوا) لان كذبوا أو بان وهو يدل على ان معنى أساؤا كفروا

(بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يحييهم بعد الموت (ثم اليه ترجعون) وبالآباء أبو عمرو وسهل (ويوم تقوم الساعة يبلس) يباس وينحسر يقال ناظرته قابلس اذا لم ينبس ويش من أن يحج (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله وكتب (شفعوا) في المصحف بواو قبل الالف كما كتب على نبي اسرائيل (٢٦٠) وكذلك كتبت السواى بالالف قبل الياء اثباتا للهزة على صورة الحرف

الذى منه حركتها (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بآلهتهم ويحجدونها أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الضعيف يتفرقون للساكنين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أى بستان وهي الجنة والتعظيم لآلهام أمرها وتفخيمه (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهل وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المدار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع في الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى البعث (فاولئك في العذاب محضرون) مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقولهم وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد

تلك الآيات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أى خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم اليه يرجعون) أى فيجزئهم بأعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه أنهم يباسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعنى أصنامهم التي عبدوها (شفعوا) أى يشفعون لهم (وكانوا بشركائهم كافرين) أى جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أى يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار فلا يجتمعون ابدا فهو قوله تعالى (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أى في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غابة النضارة (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون وقيل ينتعمون ويسرون والخبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم ونسبهم وقيل اذا اخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الاوردته وسأل أبا هريرة رجل هل لأهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وغارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله في جوارب بعضها بعضا فيسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى البعث يوم القيامة (فاولئك في العذاب محضرون) قوله تعالى (فسبحان الله) يعنى فسبحوا الله ومعناه صلوا الله (حين تمسون) أى تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أى تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والارض) قال ابن عباس يحمدوه أهل السموات والارض ويصلون له (وعشيا) أى وصلوا الله عشيا يعنى صلاة العصر (وحين تظهرون) أى تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الأزرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأها تين الايتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقينها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الأعمال أدومها والانسان لا يقدر أن يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من مأكل ومشروب وغير ذلك خفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وأمره بها في أول النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سج قدر ستين وكذلك باقى الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في أوقاتها فكانما سجد الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة (فصل في فضل التسبيح) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده ٣ في كل يوم مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه أخرجهما الترمذي وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله

فقال (فسبحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما صلى يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى تزيهه عما لا يليق به أو صلوا الله (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد في السموات والارض) اعترض ومعناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه وفي السموات حال من الحمد (وعشيا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون (وحين تظهرون) صلاة الظهر أظهر أى دخل في وقت الظهيرة والقول الآخر ان الصلوات الخمس فرضت مكة في كل يوم ساقط من نسخة الطبع من الترمذي وفي بعض النسخ التي بأيدينا من الخازن بدون كل

(يخرج الحي من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحي) أي البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما مكي وشامي وأبو عمرو وأبو بكر وجاد بالتشديد غيرهم (ويحي الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك تخرجون) تخرجون حمزة وعلى وخلف أي ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم والكاف في محل النصب بتخرجون والمعنى أن الابداء والاعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحي وعكسه روى ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون الى الثلاث وآخر سورة والصفات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر اندمطار وورق الاشجار وتراب الارض فاذا مات أجرى له بكل (٤٦١) حرف عشر حسنة في قبره قال عليه السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته (ومن آياته) ومن علامات ربو بيته وقدرته (ان خلقكم) أي أباكم (من تراب ثم اذا أنتم بشر) أي آدم وذريته (تنتشرون) تتصرفون فيما فيه معاشكم واذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) أي لتكملوا الزواج وتأنفوه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ أحب الى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق واشكاله خالف بينهما حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونعمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر (والوانكم) أي أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أي ليعرف كل واحد بشكله وحميته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور ونشأت كل مكانت ضربا واحد لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان

صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث آخر صحيح البخاري (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجددها فرجع بعدما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث ممرار لو وزنت بكل ما نك لو زنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكتب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا ﴿ قوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحي الارض بعد موتها) أي بالمطر واخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) أي مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته ان خلقكم من تراب) أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أي تنبسطون في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي جنسكم من نبي آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا اليها) أي لتكملوا الزواج وتأنفوه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ أحب الى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق واشكاله خالف بينهما حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونعمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر (والوانكم) أي أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أي ليعرف كل واحد بشكله وحميته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور ونشأت كل مكانت ضربا واحد لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان

والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر يقال سكن اليه اذا مال اليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد وقيل المودة للمشابة والرحمة لا يجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أي بعض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان قوام الدنيا بوجود التناسل (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أي اللغات وأجناس النطق واشكاله (والوانكم) كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع التعارف والافلو نشأت كل واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون

(ان في ذلك لايات للعالمين) جمع عالم وبسر اللام حذف جمع عالم ويشهد لكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغوا من فضلها) هذا من باب اللف وترتبه أي ومن آياته منامكم وابتغواكم من فضلها بالليل والنهار الا انه فصل بين القرنين الاولين بالقرنين الآخرين والمراد منامكم في الزمان وابتغواكم فيهما والجمهور على الاول لتكرره في القرآن وأسد المعاني مادل عليه القرآن (ان في ذلك لايات لقوم يسمعون) أي يسمعون سماع تدبر باذان واعية (ومن آياته يريكم البرق في يريكم وجهان اضمار ان كافي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما ف والمثل تسمع بالمعدي خير من ان تراه أي ان تسمع أو سماعك قوله (خوفا) من الصاعقة ومن الاخلاق (وطمعا) في الغيث أو خوفا للسافر وطمعا للحاضر وهم منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أي ارادة خوف و ارادة طمع أو على الحال أي خائفين وطامعين (وينزل من السماء) وبالتخفيف مكي وبصري (ماء) مطرا (فيحيي به الارض بعد موتها) ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) يتفكرون بعقولهم (ومن آياته ان تقوم) تثبت بلا عمد (السماء والارض بامر) أي باقامته وتديره وحكمته (ثم اذاعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا اتم تخرجون) من قبوركم هذا كقوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد (٤٦٢) على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض واستقسا كما بغير عمد ثم خروج الموفى

من القبور اذاعاكم دعوة واحدة يأهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض ثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يأهل القبور قوموا فلا تنسى من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفتح فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تناوب مناب الفاء في جواب الشرط ومن الارض متعلق

من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد في ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (ان في ذلك لايات للعالمين) أي اعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضلها) أي منامكم بالليل للراحة وابتغواكم من فضلها وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار (ان في ذلك لايات لقوم يسمعون) أي سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) أي للسافر ليستعد للمطر (وطمعا) أي للمقيم ليستعد المحتاج اليه من أجل الزرع وتسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها) ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) أي قدرة الله تعالى وانه القادر عليه (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامر) قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل بدوم قيامهما بامر (ثم اذاعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا اتم تخرجون) أي منها وقيل معنى الآية ثم اذاعاكم دعوة من الارض اذا اتم تخرجون من الارض (وله من في السموات والارض كل له قانتون) أي مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العباداة (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي يحلثهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أي هو هين عليه وما من شيء عليه يعزير وقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل هو أهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاتم علقاتم مضغالى أن يصيروا رجالا ونساء وهور رواية عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أي الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثل شيء وقيل هو الذي لا اله الا هو (في السموات والارض وهو) أي في ملكه (العزير الحكيم) أي في خلقه قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) أي بين لكم شيا بحالكم ذلك المثل (من أنقستم

بالفعل لا بالمصدر وقوله دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك (وله من في السموات والارض كل له قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وهو الذي يبدؤ الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيده) للبعث (وهو) أي البعث (أهون) أيسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخوت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو على هين لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الأهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر أي كبريا والاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء أو هو أهون على الخلق من الانشاء لان قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نطفاتم علقاتم مضغالى تكميل خلقهم (وله المثل الاعلى في السموات والارض) أي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره وقد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلاق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يهجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات وبدل عليه قوله (وهو العزيز) أي القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذي يجري كل فعل على قضايه حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الرفع الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله (ضرب لكم مثلا من أنقستم)

فهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكاً من خلقه ومن لا بداء كانه قال أخذ مثلاً واتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم (هل لكم) معاشراً الأحرار (مما ملكتم أيمانكم) عبيدكم ومن للتبعض (من شركاء) من مزبذبة أئمة كيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد إن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها (فاتم) معاشراً الأحرار والعبيد (فيه) في ذلك الرزق (سواء) من غير تفصيلة بين حر وعبد يحكم ممالككم في أموالكم تحكمكم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل في سواء أي متساوون خائفون بعضكم بعضاً مشاركتهم في المال والمعنى تخافون معاشراً السادة عبيدكم فيها فلا تخشون فيها حكماً دون أذنهم خوفاً من لائمة تلحقكم من جهتهم (كخيفتكم أنفسكم) يعني كما يخاف بعض الأحرار بعضاً فيما هو مشترك بينهم فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيدكم شركاء (كذلك) (٤٦٣)

موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نقصل الآيات) نبيها لأن التمثيل ما يكشف المعاني ويوضحها (لقوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الأمثال فلمالم ينزجوا أضرب عنم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم (أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين (فن يهدي من أضل الله) أي أضله الله تعالى (وما لهم من ناصرين) من العذاب (فاقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعد له غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالاً وهو غشيل لاقباله على الدين واستقامته عليه واختامه بأسبابه فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه ومدد إليه نظره وقوم له وجهه (حنيفاً) حال من

ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكتم أيمانكم) أي عبيدكم وأمائكم (من شركاء فيما رزقناكم) أي من المال (فاتم فيه سواء) أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن يشارككم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمر دون شريكه ويخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب أن ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً فإذا لم تخافوا هذا من ممالككم ولا ترضوه لأنفسكم فكيف ترضون أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائهم وهم عبيد (كذلك نقص الآيات) أي الدلالات والبراهين والأمثال (لقوم يعقلون) أي ينظرون في هذه الدلائل والأمثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعني أشركوا بالله (أهواءهم) أي في الشرك (بغير علم) جهلاً بما يجب عليهم (فن يهدي من أضل الله) أي عن طريق الهدى (وما لهم من ناصرين) أي مانعين يمنعونهم من عذاب الله ﷻ قوله تعالى (فاقم وجهك للدين) يعني أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه إلى الله تعالى به الإنسان ودينه وعمله مما يتوجه إليه ليسدد ﷻ قوله تعالى (حنيفاً) أي مائلاً إليه مستقيماً عليه (فطرت الله) أي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التي فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس عليها وللرأد بالفطرة الدين وهو الإسلام (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا يولد على الفطرة ثم قال أقرؤا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخاري فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كانتنج البهيمية بهيمة جماع هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرؤا فطرت الله الآية ولهما في رواية قالوا يا رسول الله أفرايت من يموت صغيراً قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود إلا يولد على الفطرة يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله أأستبرأ لكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الأقرار وهي الحنيفية التي وضعت الخلقة عليها وإن عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالآيمان الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر بالآيمان الشرعي المأمور به المكسب بالإرادة والفعل لا ترى إلى قوله فأبواه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الآيمان الفطري فإنه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل أني خلقت عبادة حنفاً فاجتاتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه قال في معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أي خلقته التي

المأموراً ومن الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة لا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله فالمعنى أنه خلقهم قائلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوباً للعقل مساوياً للنظر الصحيح حتى لو تركوا ما اختاروا عليه ديناً آخر ومن غري منهم فباغواء شياطين الجن والانس ومنه قوله عليه السلام كل عبادة خلقت حنفاً فاجتاتهم الشياطين عن دينهم وأمرهم أن يشركوا بي خبري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقال الزجاج معناه إن الله تعالى فطر الخلق على الآيمان به على ما جاء في الحديث إن الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالدروأ شهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم فقال وإذا أخذ ربك إلى قوله قالوا بلى وكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت بأن الله تعالى خالقها فعسى فطرة الله دين الله (التي فطر الناس عليها) أي خلق

(لا تبدل خلق الله) أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير وقال الزجاج معناه لا تبدل لدين الله وبذل عليه ما بعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) حقيقة ذلك (منيبين إليه) راجعين إليه وهو حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا الضمير أو من قوله فاقم وجهك لأن الأمر له عليه السلام أمر لامت فكأنه قال فاقموا وجوهكم منيبين إليه والتقدير كونوا منيبين دليلاً لقوله ولا تكونوا (واتقوه وأقيموا الصلاة) أي أدوها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره في العبادة (من الذين) بدل من المشركين بإعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوه دأباً مختلفاً لا اختلاف أهوائهم فرقوا حجة وعلى وهي قراءة على رضى الله عنه أي تركوا (٤٦٤) دين الإسلام (وكانوا شيعاً) فرقاً كل واحدة تشايح إمامها الذي أضلها (كل

خلقه الله عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليه وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن إمارات الشقاوة للأطفال أن يولد ديناً يهودياً أو نصرانياً فيحملونه على اعتقاد دينهما وقيل معناه أن كل مولود في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المهيأ لقبول الدين فلو ترك عليها الاستمرار على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول السليمة وإنما يعدل عنه من عدل إلى غيره لأنه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لأولاد اليهود والنصارى واتباعهم لا بأههم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاً أي كالتلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شيء وقوله هل تحسبون فيها من جدعاء يعني هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الأذن أو الأنف ﴿قوله عز وجل (لا تبدل خلق الله) أي لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبدل خلق الله هو ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً وقيل الآية في تحريم إحصاء البهائم (ذلك الدين القيم) أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ﴿قوله عز وجل (منيبين إليه) أي فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بدخل فيه الأمة والمعنى راجعين إلى الله تعالى بالتوبة ومقبلين إليه بالطاعة (واتقوه) أي ومع ذلك خافوه (وأقيموا الصلاة) أي داوموا على أدائها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً أي صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الأمة (كل حزب بما لديهم فرحون) أي راضون بما عندهم ﴿قوله تعالى (وإذا مس الناس ضر) أي فحطوا شدة (دعوا ربهم منيبين إليه) أي مقبلين إليه بالدعاء (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) أي خصوا بنعمة (إذا فریق منهم برهم) يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أي ليجمعوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أي حالكم في هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطاناً) قال ابن عباس حجة وعذراً وقيل كلاً (فهو يتكلم) أي ينطق (بما كانوا يشركون) أي بشركهم وبأصنامهم به (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي الحصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أي فرحوا وبطروا (وان تصبهم سيئة) أي جذب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (إذا هم يقنطون) أي يياسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر به عند النعمة ويرجو عند الشدة (أولم يروا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره ﴿قوله عز وجل (فأت ذا القرنين) أي من البر والصلة

حزب) منهم (بما لديهم فرحون) فرح بذهبهم مسرور بحسب باطله حقا (وإذا مس الناس ضر) شدة من هزال أو مرض أو فحط أو غير ذلك (دعوا ربهم منيبين إليه) ثم إذا أذاقهم منه رحمة أي خلاصاً من الشدة (إذا فریق منهم برهم) يشركون في العبادة (ليكفروا) هذه لام كي وقيل لام الأمر للوعيد (بما آتيناهم) من النعم فتمتعوا بكفركم قليلاً أمر وعيد (فسوف تعلمون) وبالاعتكاف (أم أنزلنا عليهم سلطاناً) حجة (فهو يتكلم) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ما طق بكذا وهذا ما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته (بما كانوا به يشركون) ما مصدرية أي يكونهم بالله يشركون أو موصولة

ويرجع الضمير إليها أي فهو يتكلم بالأمر الذي به يشركون أو معنى الآية أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أي ملكاً معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي به يشركون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) أي بلاء من جذب أو مضيق أو مرض (بما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (إذا هم يقنطون) من الرحمة وإذا المفاجأة جواب الشرطيات عن الفاء لتأخيرها في التعقيب (أولم يروا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أن في ذلك لقوم يؤمنون) أنكر عليهم بأنهم قد علموا بانه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمة وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمة ولما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال (فأت ذا القرنين) أعط قرينك (حقه) من البر والصلة

(والمسكين وابن السبيل) نصيبهم مما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا (ذلك) أي ابتداء حقوقهم (خير للذين يريدون وجه الله) أي ذاته أي يقصدون بعرفهم إياه خالصا (وأولئك هم المفلحون وما آتيتهم من رباليربوفى أموال الناس) يريد وما أعطيتهم أكلة الربا من رباليربوفى أموالهم (فلايربوعند الله) فلايزكوا عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال أي وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلايربوعند الله لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله (وما آتيتهم من زكوة) صدقة (تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الأضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار آتيتهم من رباليربوفى أموالهم وقوله فأولئك هم المضعفون التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل من فعل هذا فسيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به (٤٦٥) لأنه لا بد له من ضمير يرجع إلى ما

الموصولة وقال الزجاج في قوله فأولئك هم المضعفون أي فاهلها هم المضعفون أي هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عسراً مثلاً ثم أشار إلى عجز آلهتهم فقال (الله الذي خلقكم) مبتدأ وخبر (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) أي هو المختص بالخلق والرزق والامانة والاحياء (هل من شركائكم) أي أصنامكم التي زعمتم أنهم شركاء الله (من يفعل من ذلك) أي من الخلق والرزق والامانة والاحياء (من شيء) أي شيئاً من تلك الأفعال فلم يحسبوا عجزاً فقال استبعدة (سبحانه وتعالى عما يشركون) ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدهم (ظهر الفساد في البر والبحر) ونحو القحط وقلة الأ

(والمسكين) أي حقه وهو التصديق عليه (وإن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) قوله عز وجل (وما أنتم) أي أعطيتهم (من رباليربوفى أموال الناس) أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطى غيره لعطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلايربوعند الله) وكان هذا حراماً على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطى صدقة أو قرية ليه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لا لتماس عونه لا لوجه الله تعالى فلايربوعند الله لأنه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتهم من زكوة) أي أعطيتهم من صدقة (تريدون وجه الله) أي بتلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عسراً مثلاً فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات ﴿قوله تعالى﴾ (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره ﴿قوله تعالى﴾ (ظهر الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والدرب تسمى المصر بحراً تقول أجذب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلاف الأصداف من الأولو وذلك لأن الصدف إذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فوقع فيه المطر صار أولو (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الأرض خضرة موفقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عند بابو كان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحاً زاعقاً وقصد الحيوان بعضها بعضاً وقيل إن الأرض امتلأت ظمأ وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي اتروا منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) أي فاهلكوا بكفرهم ﴿قوله عز وجل﴾ (فأقم وجهك للدين القيم) أي للدين الاسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد

(٥٩ - (خازن) - ثالث) مطار والربع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب بكثرة الحرق والفرق ومحق البركات من كل شيء (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة وبالانون عن قبل (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي ثم أكد بسبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فأقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق بيأتي المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يردده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها ويرد على معنى لا يردده هو بعد أن يحجب به ولا يردده من جهته

(يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون ثم أشار إلى غناء عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلنافسهم يهدون) أي يسودون لانفسهم ما يسويه انفسه الذي يهد لنفسه فراشه وبوطنه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينقض عليه سر قدومه من تنوء وغيره والمعنى انه يهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فأضيف اليهم وتقديم الطرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تجوز (ليجزى) متعلق بيهدون تعليل له وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح لتقدير انه لا يفلح عنده الا المؤمن (من فضله) أي عطائه وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (ومن آياته) أي ومن آيات قدرته (أن يرسل الرياح) هي الجنوب والشمال والصابا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الفوائد في ارساطها فقال (مبشرات) أي أرسلها للبشارة بالغيث (وليديقمكم من رحته) ولا ذاقه الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك وليد يقمكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليدشركم وليد يقمكم (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها (بامرهم) أي بتدبيره أو بتكويته كقوله انما أمره اذا أراد شيئا الآية (٤٦٦) (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر (واعلمكم تشكرون) أي واتشكروا نعمة الله

فها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءهم بالبينات) أي فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم وبدل على هذا الاضمار قوله (فاتة منا من الذين أجمعوا) أي كفروا بالاهلاك في الدنيا (وكان حق علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد وقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم ابتدئ علينا نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذي يرسل الرياح) الريح مكي (فتسير سحابا فيسطه) أي السحاب (في السماء) أي في سميت السماء وشققها

على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلنافسهم يهدون) أي يوطئون المضجع ويسوونها في القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس لينبيهم الله ثوابا أكثر من أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) فيه تهديد ووعيد لهم قوله تعالى (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أي تبشر بالمطر (وليديقمكم من رحته) أي بالمطر وهو الخصب (ولتجري الفلك) أي بهذه الرياح (بأمرهم) ولتبتغوا من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر (واعلمكم تشكرون) أي هذه النعم قوله تعالى (واقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءهم بالبينات) أي بالدلالات والوضحات على صدقهم (فاتقمننا من الذين أجمعوا) يعني انا عذبا الذين كذبوهم (وكان حق علينا نصر المؤمنين) أي مع انجائهم من العذاب ففيه نبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم برد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي وألفظه من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن قوله عز وجل (الله الذي يرسل الرياح فتسير سحابا) أي تنشره (فيبسطه في السماء كيف يشاء) يعني مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) أي قطعام متفرقة (فتري الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه (فاذا أصاب به) أي بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) أي يفرحون بالمطر (وان كانوا) أي وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبشرين) أي آيسين (فانظر الى آثار رحمة الله) أي المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره في الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لحكي الموتي) يعني ان الذي أحيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتي (وهو على كل شيء قدير) أي أرسلنا ريحا فإرأوه مصفرا) أي الزرع بعد الخضرة

كقوله وفرعها في السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال والجنوب أو الدبور والصابا (ويجعله كسفا) قطعاما لظاوا جمع كسفة أي يجعله منبسطا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعام متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يزبدوا بن ذكوان (فتري الودق) المطر (يخرج) في التارين جميعا (من خلاله) وسطه (فاذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده) يريد اصابة بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) يفرحون (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر لنا كيد كقوله فكان عاقبتهمما أنهما في النار خالد بن فيها ومعنى التوكيد فيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تناول فاستحكم بأسهم فكان الاستبشار على قدر اقامتهم بذلك (لمبشرين) آيسين (فانظر الى آثار) شامى وكوفي غير آني بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أي المطر (كيف يحيي الارض) بالنبات وأنواع الثمار (بعد موتها ان ذلك) أي الله (لحكي الموتي) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات (وهو على كل شيء قدير) أي وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدمات بدليل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحا) أي الدبور (فأرأوه) أي أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سم به ما نبت (مصفا) بعد اخضاره وقال مصفا الان تلك

صفرة حادثة وقيل فرا أو السحاب مصفر الان السحاب الاصفر لا يطر واللام في ثن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط فسد مسد جوابي القسم والشرط (لظاوا) ومعناه ليظن (من بعده يكفرون) أي من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بأنه اذا حبس عنهم المطر فخطوا من رحمة وضر بواذقاتهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا أرسل ريحا فضر بزرورهم بالصغار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فخطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففروا وان يصبروا على بلائه فكفروا (فانك لاتسمع الموتى) أي موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك (ولا تسمع الصم الدعاء) ولا يسمع الصم مكى (اذا ولو امدر بن) فان قلت الا صم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فافائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولي لا يسمع ولا يفهم بالاشارة (وما أنت بهادي العمى) أي عمى القلوب وما أنت تهدي العمى حمزة (عن ضلاتهم) أي لا يمكنك ان تهدي العمى الى طريق قدضل عنه باشارة منك له اليه (ان تسمع) ما تسمع (الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) منقادون لاوامر الله تعالى (الله الذي (٤٦٧) خلقكم من ضعف) من النطف كقوله

من ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعني حال الشباب وبلوغ الاشد (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يعني حال الشيخوخة والهرم (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبة (وهو العليم) باحوالهم (القدير) على تغييرهم وهذا التردد في الاحوال ابين دليل على الصانع العليم القدير فتح الضاد في الكل عاصم وحمزة وضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما الغتان والضم أقوى في القراءة لما روى عن ابن عمر قال قرأناها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف (و يوم تقوم الساعة) أي

(لظاوا من بعده) أي من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) أي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم لم يجدوا سلفا نعمتي (فانك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولو امدر بن وما أنت بهادي العمى عن ضلاتهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) تقدم تفسيره قوله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) أي بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومقطوما فهذه احوال غاية الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أي من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) أي هراما (وشيبة) وهو تمام النقصان (يخلق ما يشاء) أي من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء قوله تعالى (و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أي يحلف المشركون (مالبثوا) أي في الدنيا (غير ساعة) معناه أنهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه مالبثوا في قبورهم غير ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) أي يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك أنهم كذبوا في قلوبهم مالبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا يبعثوا والمعنى ان الله أراد أن يفضحهم فخلقوا على شيء تبين لاهل الجمع أنهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين أتوا العلم والابمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث) أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الآية وقال الذين أتوا العلم في كتاب الله والابمان يعني الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث أي في قبوركم (فهذا يوم البعث) أي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لاتعلمون) أي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون) أي لاتطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة وقيل لاتطلب منهم التوبة التي تزيل الجرم لانهما لاتقبل منهم قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاثيان بما

القيامة سميت بذلك لانهما تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ولا نهاتقع بغتة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علمها كالنجم لا ثريا (يقسم المجرمون) يحلف الكافرون ولا وقف عليه لان (مالبثوا) في القبور أو في الدنيا (غير ساعة) جواب القسم استقلوا مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا هول يوم القيامة وطول مقامهم في شدائد هاء أو ينسون أو يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب في الدنيا ويقولون ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (وقال الذين أتوا العلم والابمان) هم الانبياء والملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم في كتاب الله) في علم الله المثبت في اللوح أو في حكم الله وقضائه (الي يوم البعث) ردوا ما قالوه وحلفوا عليه أطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريرهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم) في الدنيا (لاتعلمون) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه والفناء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه (فيومئذ لاتنفع) بالياء كوفي (الذين ظلموا) كفروا (معذرتهم) عذرهم (وهم لا يستعتبون) أي لا يقال لهم ارضوا بكم بتوبته من قولك استعطني فلان فاعتبته أي استرضاني فارضيته (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل

ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان اتم المبطلون) أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كانوا مثل في غرابها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة
 الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعجابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
 اذا جنتهم بآية من آيات القرآن قالوا اجتنبوا ردد باطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي مثل ذلك الطبع وهو الختم
 يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على
 أذاهم أوعداوتهم (ان وعد الله) ينصرك على أعدائك واطهار دين الاسلام على كل دين () لا بد من انجازه والوفاء به (ولا يستخفك
 الذين لا يوقنون) أي لا يحملك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والجهالة في الدعاء عليهم بالعذاب أو لا يحملك على الخفة والقلق
 جزاء ما يقولون ويفعلون فانهم ضلال (٤٦٨) شا كون لا يستبدع منهم ذلك ولا يستخفك بسكون النون عن يعقوب

والله الموفق للصواب
 ﴿سورة لقمان مكية وهي ثلاث وأربع وثلاثون آية﴾
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 (الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصفه بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي (هدى ورحمة) حالان من الآيات والعامل معنى الاشارة في تلك وحصة بالرفع على أن تلك مبتدا وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر وأخبر مبتدا محذوف أي هو أو هي هدى ورحمة (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس الالمى الذي يظن بك الظن كأن قدرأى

فوق الكفاية من الانذار (ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان اتم المبطلون) يعني ما أتم الا على باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جنتهم والجمع في قوله ان اتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال ولئن جنتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال معناه انكم كلكم أي الرسل مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) أي في نصرك واطهارك على عدوك (ولا يستخفك) أي لا يحملك على الجهل وقيل لا يستخفن رأيك (الذين لا يوقنون) أي بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده ﴿تفسير سورة لقمان﴾ وهي مكية وأربع وثلاثون آية وخمسة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 ﴿قوله عز وجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) أي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)﴾ قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قيل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة وكان يتجرفيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا أحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكامرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنيات ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات لهو أو ذات لهو الحديث وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لا يحمل تعاليم المغنيات ولا يبيعهن وأتباعهن حرام وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء لا يبعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخرجه الترمذي وهذا القظة عن أبي أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتبعوا القينات والمغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمار وقال مكحول من اشترى جارية ضاربة ليمسكها الغنائم وضر بها مقبلا عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى

وقد سمعوا والذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائلين بهذه الثلاثة لفضلها (أولئك على هدى) مبتدا وخبر (من يقول ربهم) صفة لهدى (وأولئك هم المفلحون) عطاف عليه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري أخبار الاكامرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا أحدثكم باحدث الاكامرة فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القرآن واللهو كل باطل ألهى عن الخير وعمايغنى ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي لأصل لها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يحلفان أنه الغناء وقيل الغناء مفسدة للقلب مفسدة للمال مسخطة للرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء لا يبعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسقط والاشترا من الشراء كما روى عن النضر أو من قوله اشترى الكفر بالابمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه أي يختارون حديث الباطل على حديث الحق وإضافة الله الى الحديث للتبيين بمعنى من لان الله ويكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث المنكر كما جاء في الحديث في المسجد يا كل الحسنات كمانا كل البهيمة الحشيش أو للتعريض كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو

(ليضل) أي ليصد الناس عن الدخول في الاسلام واسماع القرآن ليضل مكي وأبو عمرو أي ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويرد فيه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلا منه بما عليه من الوزرية (ويتخذها) أي السبيل بالنصب كوفي غير أي بكر عطفًا على ليضل ومن رفع عطفه على يشتري (هزوا) بسكون الزاي والهمزة جزء وبضم الزاي بلا همز حفص وغيرهم بضم الزاي والهمزة (أولئك لهم عذاب مهين) أي مهينهم ومن لا يهامة يقع على الواحد والجمع أي النضر وأمثاله (واذتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا) أعرض عن تدبرها متكبرارافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كان لم يسمعها) شبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كأنه والضمير ضمير الشأن (كان في أذنيه وقرا) ثقلوا وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لان (خالد بن فيها) حال من الضمير في لهم (وعند الله حقا) مصدران مؤ كدان الأول مؤ كد نفسه والثاني مؤ كد غيره اذ لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فا كد معنى (٤٦٩) الوعد وحقا يدل على معنى الثبات

فا كد به معنى الوعد ومؤ كدهم لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء فيهن أعداءه بالعذاب المهين (الحكيم) بما يفعل فيثيب أوليائه بالنعيم المقيم (خلق السموات بغير عمد) جمع عمد (ترونها) الضمير للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني ولا تحمل لها من الاعراب لانها مستأنفة أوفى محل الجرح صفة لعمد أي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعد لا ترى وهي احصا كما بقدرته (وألقى في الارض رواسي) جبالا ثوابت (أن

يقول ومن الناس من يشتري لهم الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا هو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء يلبث النفاق وقيل هو كل طوطى ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أي يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) أي يتخذ آيات الله مزحا (أولئك) يعني الذين هذه صفقتهم (لهم عذاب مهين) واذا تلى عليه آياتنا ولي مستكبرا) أي لا يعابها ولا يرفع لها رأسا (كان لم يسمعها) أي شبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سماع (كان في أذنيه وقرا) أي ثقلوا ولا وقر فيهم ما (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالد بن فيها وعندهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد) (وهو العزيز الحكيم) قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحفة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لانها له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدره قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدره الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان أحدهما أنه راجع الى السموات أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني أنه راجع الى العمدة ومعناه بغير عمد مرئية (وألقى في الارض رواسي أن تعيد بكم) أي لثلاث تترك بكم (وبت فيها) أي في الارض (من كل دابة) أي يسكنون فيها (وأنزّلنا من السماء ماء) يعني لمطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل صنف حسن (هذا) يعني الذي ذكرت مما تعابنون (خلق الله فاروقا ما ذا خلق الذين من دونه) أي آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا لا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة

تמיד بكم) لثلاث تترك بكم (وبت) ونشر (فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته (خلق الله) أي مخلوقه (فاروقا ما ذا خلق الذين من دونه) يعني آلهتهم بكنهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله فاروقا ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة (بل الظالمون في ضلال مبين) أضرب عن تبيكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود وعليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود وعليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي اذا كفت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان نبيا والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل وقيل تتلذذ لآل نبي وتلذذ له ألف نبي وان في

(أن اشكر الله) مفسرة والمعنى أى اشكر الله لأن إتياء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسرا إتياء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيمًا حتى يكون حكمًا فى قوله وفعله ومعانيه وصحته وقال السرى السقطى الشكر أن لاتعصى الله بنعمه وقال الجنيد أن لاترى معه شريكًا فى نعمه وقيل هو الاقرار بالجزع عن الشكر والحاصل أن شكر القلب (٤٧٠) المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤية الجزى فى الكل دليل

قبول الكل (ومن يشكر
فإنما يشكر لنفسه) لأن
منفعته تعود إليه فهو يريد
المزيد (ومن كفر)
النعمة (فإن الله غنى) غير
محتاج إلى الشكر (حيد)
حقيق بأن يحمد وأن لم
يحمد أحد (وإذا) أى
وإذا كراذ (قال لقمان
لابنه) أنعم أو أشكم (وهو
يعظه يابى) بالاسكان مكى
يابى حفص بقصه فى كل
القرآن (لا تشرك بالله أن
الشرك لظلم عظيم) لأنه
نسوبة بين من لانهمة الا
وهى منه ومن لانهمة له
أصلا (ووصينا الانسان
بوالديه حملة أمه وهنا على
وهن) أى حملة تمتن
وهنا على وهن أى تضعف
ضعفا فوق ضعف أى
يتزايد ضعفها ويتضاعف
لأن الحمل كلما ازداد أو
عظم ازدادت ثقلها وضعفا
(وفصالة فى عامين) أى
فطامه عن الرضاع لتمام
عامين (أن اشكر لى
ولوالبديك) هو تفهيم

والحكمة فاختار الحكمة وروى أنه كان نائما نصف الليل فنودي بالقمان هل لك أن نجعلك خليفة فى
الارض فتصم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على
فسمع وطاعة وانى أعلم ان الله ان فعل فى ذلك أعانى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم بالقمان قال
ان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاها الظلم من كل مكان ان عدل فبالحرى أن ينجو وان أخطأ الطريق
أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خيره من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفقته
الدنيا ولم يصب الآخرة فحجبت الملائكة من حسن منطقته فنام نومة فاعطى الحكمة فأنبه وهو يتكلم بهائم
نودي دواء بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو فى الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان
لقمان يوازى دواء الحكمة وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم
فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألت فلا ما الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق
الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعينى وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين وقيل خبر
السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشى رابعهم أوتى الحكمة والعقل والفهم وقيل
العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيمًا حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة فى الامور وقيل
الحكمة شئ يجعله الله فى القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر وقوله (أن اشكر الله) وذلك لأن
المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فأنما يشكر لنفسه) أى عليه يعود نفع ذلك وكذلك
كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فإن الله غنى) أى غير محتاج إلى شكر الشاكرين (حيد) أى
وحقيق بأن يحمد وأن لم يحمد أحد وقوله تعالى (وإذا قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشكم (وهو
يعظه) وذلك لأن أعلى مراتب الانسان أن يكون كاملا فى نفسه مكملًا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة
أن اشكر لله إشارة إلى الكمال وقوله وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه إشارة إلى التكميل لغيره وبدأ بالاقرب
إليه وهو ابنه وبدأ فى وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (يابنى لا تشرك بالله أن الشرك لظلم
عظيم) لأن النسوبة بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لأنه وضع العبادة فى غير موضعها
وقوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حملة أمه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل
ان لما أذا حلت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لأن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف
والرضاعة ضعف (وفصالة فى عامين) أى فطامه فى سنتين (أن اشكر لى ولوالبديك إلى المصير) لما جعل الله
بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي فى الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لى
ولوالبديك ثم فرق فقال إلى المصير يعنى ان نعمتهم مختصة بالدنيا ونعمتى عليك فى الدار الآخرة وقيل لما أمر
بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير إلى قال سفيان بن عيينة فى هذه الآية من صلى الصلوات
الحسنى فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الحسنى فقد شكر الوالدين (وان جاهدك على أن
تشرك فى ما ليس لك به علم فلا تطعهما) قال النخعي يعنى ان طاعتهم واجبة فان أفضى ذلك إلى الاضرارك بى

لوصينا أى وصينا به بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملة أمه وهنا على وهن وفصالة فى عامين اعتراض فلا
بين المفسر والمفسر لأنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعايبه من المشاق فى حملة وفصالة هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقوقها العظيم
مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الحسنى فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الحسنى فقد شكرهما (إلى المصير) أى
مصيرك إلى وحسابك على (وان جاهدك على أن تشرك فى ما ليس لك به علم) أراد بنى العلم به نفيه أى لا تشرك فى ما ليس بشئ يريد
الاصنام (فلا تطعهما) فى الشرك

(وصاحبهما في الدنيا معروفا) صفة مصدر محذوف أي صحابهما معروفا وحسن خلق جميل وحلم واحتمال وبروصلة (واتبع سبيل من أناب إلى) أي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه أنوار خدمتي (ثم إلى مرجعكم) أي مرجعك ومرجعهما (فانبتكم بما كنتم تعملون) فجاز بك على إيمانك وأجازهم ما على كفرهما وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد كيد الماني وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني أنا وصيناك بالدين وأمرناه أن لا يطيعهما في الشرك وإن جاهدنا كل الجهد لقبحه (يأبى أنهما أن تلك مثقال حبة من خردل) بالرفع مدني والضمير للقصة وأنث المثقال لضافته إلى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم * وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الاساءة والاحسان أي إن كانت مثالا في الصغر حبة خردل (فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض) أي فكانت مع صخرها في أخفى موضع (٤٧١) وأحرزه بكوف الصخرة أو حيث

كانت في العالم العلوي أو السفلي والاكثر على أنها التي عليها الأرض وهي السجين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الأرض (يات بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها أعمالها (إن الله لطيف) يتوصل علمه إلى كل خفي (خير) عالم بكنهه أو لطيف باستخراجها خير بمستقرها (يأبى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) في ذات الله تعالى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فانها تورث المنح (إن ذلك) الذي وصيتك به (من عزم الأمور) أي مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب والزام أي أمر به أمرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أي مقطوعاتها

فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب إلى) أي اتبع دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب إلى يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك أنه حين أسلم أنه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وأمنت به قال نعم إنه صادق فاتموا به ثم جلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فلهذا سلمهم سابقا لسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر (ثم إلى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) أي أنها أن تلك مثقال حبة من خردل (وذلك أن ابن لقمان قال لا يه يا ب أن عمات الخطيئة حيث لا يرا في أحد كيف يعلمها الله قال يابني أنها أي الخطيئة أن تلك مثقال حبة من خردل أي في الصغر (فتكن) أي مع صخرها (في صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الأرض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر نور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الأرض ولا في السماء فلذلك قال (أو في السموات أو في الأرض) والصخرة على متن الريح والريح على القدرة (يات بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله (إن الله لطيف) أي باستخراجها (خير) أي بمكانها ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فأت (يأبى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الاذى (أن ذلك من عزم الأمور) يعني إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الأمور الواجبة التي أمر الله بها (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خذك للناس) قال ابن عباس لا تكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحقر الفقراء فليكن الفقير والغني عندك سواء (ولا تمش في الأرض مرحا) أي خيلاء (إن الله لا يحب كل مختال) في مشيه (خفور) أي على الناس (واقصد في مشيك) أي ليكن في مشيتك قصد بين الاسراع والتأني أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو أن يرى في نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار (واغضض) أي اخفض وقيل انقص (من صوتك إن أنكر) أي أقمع (الاصوات الجبر) لأن أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال

ومفروضاتها وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها في سائر الأدم (ولا تصعر خذك للناس) أي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أبو عمرو ونافع وحزرة وعلى وهو بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون (ولا تمش في الأرض مرحا) أي تفرح مرحا وأوقع المصدر موقع الحال أي مرحا ولا تمش لأجل المرح والاشتر (إن الله لا يحب كل مختال) متكبر (خفور) من يعد مناقبه تطاولا (واقصد) القصد التوسط بين العلو والتقصير (في مشيك) أي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب ديب المتأوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنه كان إذا مشى أسرع قائما أرادت السرعة المرتفعة عن ديب المتأوت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا ينهون عن خيب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك متواضعا (واغضض من صوتك) وانقص منه أي اخفض صوتك (إن أنكر الاصوات) أي أوحشها (لصوت الجبر) لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن

(S V T)

الشرائع وأضعف
الشرائع والخلق والخلق
ونيل العطايا وعرف
البلايا وقبول الخلق ورضا
الرب وقال ابن عباس
الظاهرة ماسوى من
خلقك والباطنة ماستر من
عيوبك (ومن الناس
من يجادل في الله بغير
علم ولا هدى ولا كتاب
منير) نزلت في النضر
ابن الحرث وقد مر في
الحج (واذا قيل لهم اتبعوا
ما أنزل الله قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه آباءنا أولو
كان الشيطان يدعوهم
إلى عذاب السعير)
معناه أيتبعونهم ولو كان
الشيطان يدعوهم أى
في حال دعاء الشيطان إياهم

الى العذاب (ومن يسلم وجهه الى الله) عدى هنا بالى وفى

الى العذاب (ومن يسلم وجهه الى الله) عدى هنا بالى وفى
 على من أسلم وجهه لله باللام فعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم
 المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة)
 هى ما علق به الشئ (الوثقى) تأنيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك بلوثق
 عروة من جبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أى هى صائرة اليه فيجازى عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا
 يحزنك كفره) من حزن يحزنك نافع من أحزن أى لا يهمنك كفره من كفر (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) فنعاقبهم على أعمالهم
 (ان الله عليم بذات الصدور) ان الله يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليل) بدنياهم (ثم نضطرهم) نلجئهم
 (الى عذاب غليظ) شديد يشبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطراب المضطر الى الشئ والغلاظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة
 والثقيل على المعذب (وانى)

سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بأن الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم وإذا نهوا عليه لم يقنوهوا (لأنه ما في السموات والارض ان الله هو الغني) عن حمد الحامدين (الحمد) المستحق للحمد وان لم يحدوه قال المشركون ان هذا أي الوحي كلام سينفذ فاعلم الله أن كلامه لا ينفذ بقوله (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطف على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أي ولو ثبت كون الاشجار أقلاما و ثبت البحر مدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء والاول الحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام في حار كون البحر مدودا وقرئ بمدده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد لكن أغنى عن ذكر المداد قوله بمدده لانه من قولك مد الدواء وأمد هاجعل البحر الاعظم بمنزلة الدواء وجعل البحر السبعة مدادافهني نصب فيه مدادها أبدأ صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر مدودا بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مداد الكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فان قلت زعمت أن قوله والبحر بمدده حال في أحد وجهي (٤٧٣) الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقولك

جئت والجيش مصطفى وما أشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبق من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد ريت أقلاما وأثر الكلمات وهي جمع قلة على الكلام وهي جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تنفي بكتبها البصار فكيف بكلمه (ان الله عزيز) لا يجهزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفذ كلماته وحكمه (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)

سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون الله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد) تقدم تفسيره ﴿قوله تعالى﴾ (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة ويستلونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أجبارة اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول وما أوتيتهم من العلم الا قليلا أتعتبنا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنت قالوا أأنت تتلو فما جاءك انا وأوتينا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد أنا كم الله بما ان علمهم به اتفقتهم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤث الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجمع علم قليل مع خير كثير فأ نزل الله هذه الآية فعلى هذا انكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود امرؤا وقد قرئش أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفذ فينقطع فأ نزل الله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام أي فبريت أقلاما و قيل بعد ذلك شجرة قلم (والبحر بمدده) أي يز يده وينصب اليه (من بعده سبعة أبحر) أي مدادوا الخلائق يكتبون به كلام الله (ما نفدت كلمات الله) لانها لا نهاية لها (ان الله عزيز حكيم) ﴿قوله تعالى﴾ (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أي الا خلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء (ان الله سميع) أي لا قولكم (بصير) بأعمالكم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) أي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشياء التي ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أي لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلي) أي في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لانه أكبر من كل كبير ﴿قوله تعالى﴾ (ألم تر أن الفلك) أي السفن والمراكب (تجري في البحر بنعمت الله) أي ذلك من نعمة الله عليكم (ليريهكم من آياته) أي من عجائب صنائه

(٦٠ - خازن) - ثالث

الخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فذف للعالم به أي سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغل شأن عن شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا بعث (بصير) بأعمالهم فيجازيهم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار) يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر) لمنافع العباد (كل) أي كل واحد من الشمس والقمر (يجري) في فلكه و يقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبالياء عياش دل أيضا بتعاقب الليل والنهار ويزيادتهما ونقصانهما وجرى النيران في فلكيهما على تقدير وحساب وبأحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) بالياء عراقى غير أبي بكر (من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته التي يجهز عنها الاحياء القادرون المألون فكيف بالجناد الذي يدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلي الشأن الكبير (ألم تر أن الفلك) وقرئ ذلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل (تجري في البحر بنعمت الله) بأحسانه ورحمته وألريح لان الريح من نعم الله (ليريهكم من آياته) عجائب قدرته البحر اذا ركبتموها

(ان في ذلك آيات لكل صابر) على بلائه (شكور) لنعماته وهما صفتا المؤمن فالإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال ان في ذلك آيات لكل مؤمن (واذا غشبهم) أي الكفار (موج كالظلل) الموج يرتفع فيعود مثل الظل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم إلى البر ففهم مقتصد) أي باق على الإيمان والاخلاص الذي كان منه ولم يعد إلى الكفر أو مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البصر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر (وما يجحد بآياتنا) أي بحقيقتها (الا كل خثار) غدار والخثار قبح الغدر (كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوم لا يجزي والد عن ولده) لا يقضي عنه شيئا والمعنى (٤٧٤) لا يجزي فيه خفف (ولامولود هو جازعن والده شيئا) وارد على طريق من التوكيد لم يرد

عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية أكد من الجملة الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آياتهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم ان ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيدي لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع لأب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لأجداده اذا الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك كذا في الكشف (ان وعد الله) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا) بزييتها فان نعمتها دانية ولذتها فانية (ولا يعرّنكم بالله الغرور) الشيطان أو الدنيا أو الامل

(ان في ذلك آيات لكل صابر) أي على ما أمر الله (شكور) لانعامه (واذا غشبهم موج كالظلل) أي كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل إلى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فاذا نجاه من تلك الشدة ففهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم إلى البر ففهم مقتصد) أي عدل موقف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والنبوت على الإيمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح إلى البحر فجاهاهم يرجع عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضع يده في بدى فسكت الرج ورجع عكرمة إلى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهدوه والمراد بقوله (وما يجحد بآياتنا الا كل خثار) أي غدار (كفور) أي جحود لانعمنا عليه وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا) أي وخافوا (يوم لا يجزي والد عن ولده) ولا يغني (والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئا) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الولد والولد فنبه بالا على الادنى وبالادنى على الاعلى فالولد يجزي عن والده كمال شفقتة عليه والولد يجزي عن والده لما له من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمة نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوم ما هذا شأنه وهو كائن لوعد الله به ووعدته حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تفرنكم الحياة الدنيا) أي لانها فانية (ولا يعرّنكم بالله الغرور) يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة وقوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأنه عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا أجدت فقل لي متى ينزل الغيث وترك امرأتى حبل فتى نادى ولقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا تدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو أي شهر أو أي يوم ليلا أو نهارا (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا الا الله (ويعلم ما في الارحام) اذ كرام أنتى أحرأأم أسود نام الحلقة أم ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خيرا أو شر (وما تدرى نفس بأي أرض تموت)

(ان الله عنده علم الساعة) أي وقت قيامها (وينزل) بالتشديد شامخي ومدني وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف أي من الفعل تقديره ان الله ينبت عنده علم الساعة وينزل (الغيث) في ابائه من غير تقديم ولا تاخير (ويعلم ما في الارحام) اذ كرام أنتى نام أم ناقص (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خيرا أو شرور بما كانت عازمة على خير فعمات شر أو عازمة على شر فعمات خيرا (وما تدرى نفس بأي أرض تموت) أي أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أو نادها وقالت لا أبرحها فترمي بها امرأى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدني وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الرج ويلقيه بيلا داهن ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما في الدراية من معنى الخنز والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان أعملت

الخلل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعلمت حيلها ما يختص بها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان معرفة ما عداهما أبعد وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على انه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فاشار باصابعه الخمس يعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمس أشهر وبخمس أيام فقال أبو حنيفة رضي الله عنه هو اشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله (ان الله عليم بالغيوب) (خير) بما كان ويكون وعن الزهري رضي الله تعالى عنه أكثر وأقراءة سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم ﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدني وكوفي وتسع وعشرون آية بصرى﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) على انها السورة

السورة مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بأنه خير مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين لأنه معجز للبشر ومثله أبعد شيء من الريب ثم اضرب عن ذلك الى قوله (أم يقولون افتراه) أي اختلقه محمد لأن أم هي المنقطة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أي يقولون افتراه انكار القول لهم وتجييبا منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم اضرب عن الانكار الى

أي ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الأرض في براو بحر في سهل أو جبل (ان الله عليم) أي بهذه الاشياء وبغيرها (خير) أي ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فإنه كفر بالقرآن لأنه خالفه والله تعالى أعلم بمراد وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة السجدة وهي مكية﴾

قال عطاء الثلاث آيات من قوله أفن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى أعلم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (ألَمْ نَزِلْ الكتابَ لارِيبِ فيه) أي لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أي بل يقولون يعني المشركين (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) أي القرآن (من ربك لتنذر قومنا ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يلهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذ لم ياتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعلم لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان (لعلهم يهتدون) يعني تنذرهم راجيا لهدايتهم (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلاتنتذرون) تقدم تفسيره ﴿قوله تعالى (يدبر الامر) أي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الأرض ثم يعرج) أي يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الأرض ثم صعوده الى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج اليه أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الامر وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الأرض وسدرة المنتهى التي هي مقام

اثبات انه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعصا وجهلا (لتنذر قوما) أي العرب (ما أتاهم من نذير من قبلك) ما للنفى والجملة صفة لقوما (لعلهم يهتدون) على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتدكر على الترجي من موسى وهرون (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) استولى عليه باحدانه (مالكم من دونه) من دون الله (من ولي ولا شفيع) أي اذا جاوزتم رضاهم تجدوا لانفسكم وليا أي ناصر اينصركم ولا شفيعا يشفع لكم (أفلاتنتذرون) تعظون بعواظ الله (يدبر الامر) أي امر الدنيا (من السماء الى الأرض) الى أن تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) ذلك الامر كله أي يصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) هو يوم القيامة (مما تعدون) من أيام الدنيا ولا تمسك للشبهة بقوله اليه في اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرضاه أو أمره كما لا تثبت لهم بقوله اني ذاهب الى ربي اني مهاجر الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله

(ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (العزيز) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه ونسيده وقيل لا وقف عليه لان (الذي) صفته (أحسن كل شيء) أي حسنه لان كل شيء مرتقب على ما اقتضته الحكمة (خلقه) كوفي ومافع وسهل على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسن خلقه غيرهم على البذل أي أحسن خالق كل شيء (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلاله) من نطفة (من ماء) أي مني وهو بدل من سلاله (مهيئ) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله في أحسن تقويم (وتفخ) ادخل (٤٧٦) (فيه من روحه) الاضافة للاختصاص كأنه قال وتفخ فيه من الشيء الذي

اختص هو به وبعلمه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون قليلا (وقالوا) القائل أبي ابن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم (أنذا ضللتنا في الارض) أي صرنا ترابا وذهبا مختلطين بتراب الارض لا يتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو عثاق الارض بالدفن فيها وقرأ على ضللتنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل واتصب الطرف في أنذا ضللتنا بما يدل عليه (أننا لفي خلق جديد) وهو نبعت بلهم (بلقاء ربهم كافرون) جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه الى ما هو أبلغ وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) أي الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون (أي

جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشتقته وقال ابن أبي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضي الله عنهما أيام سماها الله تعالى لأدري ما هي وأكره ان أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزيز) أي الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) باوليائه وأهل طاعته (قوله تعالى) (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس أنقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه لهم خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه وقيل معناه أحسن الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من سلاله) أي من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهيئ) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه (وتفخ فيه من روحه) أضاف اليه الروح اضافة تشريف كيست الله وناقة الله ثم ذكر ما يرتب على نفخ الروح في الجسد فقال (وجعل لكم) أي خلق بعد ان كنتم نطفامواتا (السمع والابصار والافئدة) قيل قدم السمع لان الانسان يسمع أولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووجد السمع لان الانسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليلا ما تشكرون) يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعمة فتوحدوه الا قليلا (قوله تعالى) (وقالوا) يعني منكروى البعث (أنذا ضللتنا) هلكنا (في الارض) والمعنى صرنا ترابا (أننا لفي خلق جديد) استفهام انكاري قال الله تعالى (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي انه لا يغفل عنكم واذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له الا ذلك روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتزعزع أعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحرة قبضه ملك الموت عن معاذين جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهي تصفح وجوه الناس فامن أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انما قد انقضى أجله ضرب برأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله (ثم الى ربكم ترجعون)

يتوفاكم يقبض أرواحكم ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب

اي والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفى استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حتى من فلان اذا أخذته وافيا كلاما من غير نقصان وعن مجاهد جويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الأمر لذلك كله هو الخالق لافعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفى رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها

(ولو ترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ولو امتناعية والجواب محذوف أي رأيت أمرا عظيما (إذا مجرمون) هم الذين قالوا أن هذا ضلالتنا في الأرض ولو واد للمضي وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لغيره ما يتداوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له (نا كسوار رؤسهم) من الذل والحياء والندم (عند رؤسهم) عند حساب رؤسهم ويوقف عليه لحق الحذف إذا التقدير يقولون (ربنا أبصرنا) صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك (٤٧٧) تصديق رسلك أو كنا عميا

وصما فابصرنا وسمعنا (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل صالحا) أي الإيمان والطاعة (أنا موقنون) بالبعث والحساب الآن (ولو شئنا لا ينفع ذلك الإيمان) ولو شئنا لا تبدينا كل نفس هداها (ولكن حق القول مني) أي وجب القول مني (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفار الجن والانس (فدوقوا) أي فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) أي تركتم الإيمان في الدنيا (هذا أنا سيناكم) أي تركناكم بالكيفية غير ملتفت إليكم كما يفعل بالناس قطع الرجاكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب (قوله تعالى) (انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمدهم) أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) أي عن الإيمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدا مكانا لوضع جبهته في غيره وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتنا ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار وهذه من عزائم سجود القرآن فقسن للقارى وللمستمع (قوله تعالى) (تتجافى جنوبهم) أي ترتفع وتنقبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الانصار كنا صلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا أو أشهرا لا قالوا بل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

أي تصيرون إلى ربكم أحياء فيجزىكم بأعمالكم (ولو ترى إذا مجرمون) أي المشركون (نا كسوار رؤسهم عند رؤسهم) أي يطأ رؤسها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند رؤسهم يقولون (ربنا أبصرنا) أي ما كناه به مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما انتباه رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها (فارجعنا) أي فارددنا إلى الدنيا (نعمل صالحا أنا موقنون) أي في الحال أما دلكن لا ينفع ذلك الإيمان (ولو شئنا لا تبدينا كل نفس هداها) أي رشد ها وتوفيقها للإيمان (ولكن حق القول مني) أي وجب القول مني (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفار الجن والانس (فدوقوا) أي فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) أي تركتم الإيمان في الدنيا (هذا أنا سيناكم) أي تركناكم بالكيفية غير ملتفت إليكم كما يفعل بالناس قطع الرجاكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب (قوله تعالى) (انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمدهم) أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) أي عن الإيمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدا مكانا لوضع جبهته في غيره وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتنا ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار وهذه من عزائم سجود القرآن فقسن للقارى وللمستمع (قوله تعالى) (تتجافى جنوبهم) أي ترتفع وتنقبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الانصار كنا صلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا أو أشهرا لا قالوا بل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

(فصل في فضل قيام الليل والحث عليه) عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في لقاء بماتركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الإيمان به (أنا سيناكم) تركناكم في العذاب كالمفسى (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم الذي لا انقطاع له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي (انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمدهم) ونزهوا الله عما لا يليق به واثنوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان به والسجود له (تتجافى) ترتفع وتنحى (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع النوم قال سهل وهب

(بدعون) داعين (ربهم)

عابدين له (خوفا وطمعا)

مفعول له أى لاجل خوفهم

من سخطه وطمعهم في

رحمته وهم المتعبدون

وعن النبي صلى الله عليه وسلم

في تفسيره اقيام العبد من

الليل وعن ابن عطاء أبت

جنوبهم ان تسكن على

بساط الغفلة وطلبت بساط

القربة يعنى بصلاة الليل

وعن أنس كان أناس من

أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم يصلون من صلاة

المغرب الى صلاة العشاء

الاخيرة فنزلت فيهم وقيل

هم الذين يصلون صلاة العتمة

لا ينامون عنها (ومما

رزقناهم ينفقون) في طاعة

الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى

(لهم) ما يعنى الذى أخفى

على حكاية النفس حمزة

ويعقوب (من قرأ عين)

أى لا يعلم أحدا ما أعد لهؤلاء

من الكرامة (جزاء) مصدر

أى جوز وجزاء (بما

كانوا يعملون) عن الحسن

رضى الله عنه أخفى القوم

أعمالا في الدنيا فأخفى الله

لهم ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت وفيه دليل على ان

المراد الصلاة في جوف الليل

ليكون الجزاء موقفا بين

ان من كان في نور الطاعة

والإيمان لا يستوى مع من

هو في ظلمة الكفر والعصيان

بقوله (أفمن كان مؤمنا كمن

كان فاسقا) أى كافرا وهما محمولان على لفظ من وقوله (لا يستويون) على المعنى بدليل قوله فاسقا

سفرة فأصبحت يومافر يباقر وهو يسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأت تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فاخذ بلسانه وقال أكف عنك هذا فقلت يا رسول الله وأالمواخذون بما تذكرك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم أخرجه الترمذي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقرية إلى ربكم ونكفير للسيئات ومنهاة عن الآثام ومطرزة الداء عن الجسد أخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطنه ولحقه من بين حبه وأهله إلى صلاته فيقول الله عز وجل ملائكته انظروا إلى عبدی ثار عن فراشه ووطنه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة بما عندي ورجل غزاني سبيل الله وانهمزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى أهرق دمه فيقول الله تعالى ملائكته انظروا إلى عبدی رجع رغبة فيما عندي وشفقة بما عندي حتى أهرق دمه أخرجه الترمذي بمعناه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرضا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعد الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذي (خ) عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في قصة بذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أخاك لا يقول الرفث يعنى بذلك ابن رواحة

قال وفيما رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من القجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ما اذا قال واقع

بيت يحافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث * وقوله تعالى (بدعون ربهم خوفا وطمعا) قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع * قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) أى مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون إلى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أى من الطاعات في دار الدنيا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وافرؤا ان شتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين * قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستويون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عتبة بن أبي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وأنا شيخ والله اني أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جناها وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الآية وقوله لا يستويون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا

(أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هي نوع من الجنان تأوى إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش (نزل بها كانوا يعملون) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار علما (وأما الذين فسقوا فإوهم النار) أي ملجؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وقيل لهم) أي تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) وهذا (٤٧٩)

دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان (ولنذيقهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا من الأسر وما منحوا به من السنة سبع سنين (دون العذاب الأكبر) أي عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة وعن الداراني العذاب الأدنى الخذلان والعذاب الأكبر الخلود في النيران وقيل عذاب الأدنى عذاب القبر (لعلهم لعل المعذبين بالعذاب الأدنى) (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر) (بآيات) ربه) أي بالقرآن (ثم أعرض عنها) أي فتوى عنها ولم يتدبر فيها ولم للاستبعاد أي أن الأعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وإبانتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك وجدت منك تلك الفرصة ثم لم تنهزها استبعاد التركة

فاسقوا أحدا (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أي التي يأوي إليها المؤمنون (نزل) هو ما بهيا للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعني من الطاعات في دار الدنيا (وأما الذين فسقوا فإوهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) قوله تعالى (ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) أي سوى العذاب الأكبر قال ابن عباس العذاب الأدنى مصائب الدنيا واسقامها وعنفه أنه الحد ودوقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والأكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) أي إلى الإيمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن أظلم) أي لأحد أظلم (ممن ذكر) بآيات ربه) أي بدلائل وحدانيته وانعامه عليه (ثم أعرض عنها) أي ترك الإيمان بها (أنا من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون) معناه أنهم لما لم يرجعوا بالعذاب الأدنى فأنامهم منتقمون بالعذاب الأكبر قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فلا تكن في سرية) أي في شك (من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحجرة وإلى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في سرية من لقائه (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره فأن قلت قد صبح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكتيب الأحمر كان قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس ثم لما صعد إلى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شيء قدير فأن قلت كيف أصبح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الأنبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت يجاب عنه بأجوبة أحدها أن الأنبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صبح في الحديث وأن يتقربوا إلى الله بما استطاعوا وأن كانوا أقدم ماتوا لأنهم بمنزلة الأحياء في هذه الدار التي هي دار العمل إلى أن تنفني ثم يرحلون إلى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني أنه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان نعيمهم وصلاتهم الجواب الثالث أن التكليف وإن ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحننهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يعبد في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب أن العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلا تكن في سرية من لقائه أي من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني إسرائيل وجعلناهم) أي من بني إسرائيل (أئمة) أي قادة للخير

الانتهاز (أنا من المجرمين منتقمون) ولم يقل منه لأنه إذا جعله أعظم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منه فقد دل على إصابته الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قال بالضيم لم يفد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن في سرية) شك (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقاء موسى ربه في الآخرة كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وجعلناهم أئمة) بهمزتين كوفي وشامي

(يهودون) بذلك الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه (باصبرنا) اي اياهم بذلك (لما صبروا) حين صبروا على الحق بطاعة الله وعن المعاصي بما صبروا حزمة وعلى أي صبرهم عن الدنيا وفيه دليل على أن الصبر ثمرة امامة الناس (وكانوا بايانا) التوراة (بوقنون) يعلمون علما لا يخالف شك (ان ربك هو يفضي) يقضي (بينهم يوم القيامة) بين الانبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركون (فما كانوا فيه يختلفون) فيظهر الحق من البطل (أولم) الواو للعطف على معطوف عليه من جنس المعطوف أي أولم يدع (يهود) يبين والفاعل الله بدليل قراءة يزيد عن يعقوب نهدي (لهم) لاهل مكة (كم) يهدي لأن كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كما دونهود وقوم لوط (يمشون في مساكنهم) أي أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم (ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواءظ (٤٨٠) فيتعظوا (أولم يروا أنا نسوق الماء) نجرى المطر والانهار (الى الارض الجرز)

أي الارض التي جز نباتها أي قطع اما لعدم الماء أو لانه رعي ولا يقال للثي لا تثبت كالسباخ جز بدليل قوله (فنخرج به) بالماء (زرعنا كل منه) من الزرع (أنعامهم) بن عصفه (وأأنفسهم) من حبه (أفلا يبصرون) بأعينهم - فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركون أو يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون (ان كنتم صادقين) في أنه كائن (قل يوم الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم

يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء (يهودون باصرنا) أي يدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) أي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بايانا بوقنون) أي أنها من الله تعالى (ان ربك هو يفضي ويحكم) (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل هم الانبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى (أولم يهد لهم) أي تبين لهم (كم أهلكنا) أي كثرة من أهلكنا (من قبلهم من القرون) أي الامم الخالية (يمشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا (ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) أي آيات الله ومواعظه فيتعظون بها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أي الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي أرض باليمن وقيل هي أيين (فنخرج به) أي بذلك الماء (زرعنا كل منه أنعامهم) أي العشب والتبن (وأأنفسهم) أي من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون) أي فيعتبروا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل أراد يوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوم ماتتم منه فيه ونسريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو بدر وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) أي لا يقبل منهم الايمان ومن حل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي يمهلون ليتوبوا ويعتذروا (فاعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (واتظر) أي موعدي لك بالنصر عليهم (انهم منتظرون) أي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا ايهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الانسان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال طامس تفضلان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية ﴾

وثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبع مائة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فتح مكة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهر اولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استجبالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستجلبوا به ولا تستهزؤا فإني كافي بكم وقد حدثتكم في ذلك اليوم وأنتم فلا ينفعكم الايمان أو استنظرتكم في ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح أو يوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فأنهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند الفرق (فاعرض عنهم واتظر) النصر وهلا كهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلا كهم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر والله أعلم

﴿ سورة الاحزاب مدنية ﴾ وهي ثلاث وسبعون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال أبي بن كعب رضي الله عنه لم نعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فوالذي يحلف به أبي ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزير حكيم أراد أبي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فأكتمها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض (يا أيها النبي) وبالله من نافع أي يا أيها المخبر عنا المؤمنون على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحببنا (٤٨١) وانما لم يقل يا محمد كما قال يا آدم يا موسى

تشر يفاله وتنو بها بفضله
وتصريحه باسمه في قوله
محمد رسول الله ونحوه
لتعليم الناس بأنه رسول الله
(اتق الله) أثبت على
تقوى الله ودم عليه وازدد
منه فهو باب لا يدرك
مداه (ولانطع الكافرين
والمنافقين) ولا تساعد
على شيء واحترس منهم
فانهم أعداء الله والمؤمنين
وروى ان أبا سفيان
وعكرمة بن أبي جهل وأبا
الاعور السلمي قدموا
المدينة بعد قتال أحد
فنزلوا على عبد الله بن أبي
وأعطاهم النبي الأمان على
أن يكلموه فقالوا ارفض
ذكر آلهتنا وقل انها تنفع
وتشفع ووازرهم المنافقون
على ذلك فهم المسلمون
بقتلهم فنزلت أي اتق الله
في نقض العهد ولا تطع
الكافرين من أهل مكة
والمنافقين من أهل المدينة
فيما طلبوا (ان الله كان
عليها) بنحبت أعمالهم
(حكيم) في تأخير الأمر

قوله عز وجل (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة
ابن أبي جهل وأبي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن
سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم
عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب
ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان طاش فاعلمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا
في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبي اتق
الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الاعور
والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة (ان الله كان عليا) أي بخلقه
قبل أن يخلقهم (حكيم) أي فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) أي من وفاء العهد وترك طاعة
الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله) أي ثق بالله وكل أمرك اليه (وكفى
بالله وكيلاً) أي حافظاً لك وقيل كفيلاً برزقك ﴿قوله تعالى﴾ (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت
في أبي معمر جند بن معمر الفهري وكان رجلاً ليلاً حافظاً لما يسمع فقال قريش ما حفظ أبو معمر هذه
الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين
يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقبه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال
الناس فقال انهزموا فقال له فيا بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا
انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وعن أبي ظبيان قال قلنا لابن عباس رأيت
قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عني بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم ما صلى فخطر
خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا تروا ان له قلبين قلباً معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للانسان
في صلاته وقيل في معنى الآية انه لما قال الله تعالى يا أيها النبي اتق الله فكان ذلك أمراً بالتقوى فكانه قال ومن
حقها أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتق الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا
مثل ضربه الله تعالى للظاهر من أمراته وللمتبنين ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلو ما أن يفعل
باحدهما ما يفعل بالاخر من أفعال القلوب فالأخر فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا ما لا يفعل بذلك
فذلك يؤدي الى انصاف الجلة بكونه مريداً كارهاً عالماً جاهلاً موقناً شاكياً حالة واحدة وهما حالتان
متنافيتان فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين ﴿قوله﴾
تعالى (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت

(٦١ - (غازن) - ثالث) بقتلهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين
والمنافقين (ان الله) الذي يوحى اليك (كان بما تعملون خبيراً) أي لم يزل عالماً بأعمالكم وأعمالكم قبل انما جمع لان المراد بقوله اتبع هو
وأصحابه وبآباء أبو عمرو وأي بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أسند أمرك اليه وكله الى
تدبيره (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً موكولاً اليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وان كل لفظ الخبر فالمعنى اكتب بالله وكيلاً (ما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم

وما جعل أدياءكم أبناءكم) أي ما جمع الله قلوبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أنه تعالى كما لم يجعل
 لإنسان قلوبين لأنه لا يحل ما أن يفعل بالأخر فعلا من أفعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج إليه وما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك
 يؤدي إلى انصاف الجملة بكونه مريدا كارهاعا لما ظاننا موقنا شاكافي حالة واحدة لم يحكم أيضا أن تكون المرأة الواحدة اما الرجل زوجها لان
 الام مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة وان يكون الرجل الواحد مدعي الرجل وابنه لان البنوة اصاله في النسب والدعوة الصاق عارض
 بالنسبة لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضرب به الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كاب سبي
 صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمه فغير فاختار رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زيد وبك كانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد
 امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ
 العرب فقيل له ذوالقطين فأكذب الله قو لم وضربه مثلا في الظهار والتبني والتكفير في رجل وادخل من الاستغراقية على قلوبين وذكر
 الجواب للتأكيذ الثلاثي بياء بعد الهززة حيث كان كوفي وشامي الالاء نافع ويعقوب وسهل وهي جمع التي تظاهرون عاصم من ظاهر اذا قال
 لامرأته أنت على كظهرأي تظاهرون (٤٨٢) على وحيزة وخلف تظاهرون شامي من ظاهر بمعنى تظاهروا غيرهم

تظاهرون من أظهر بمعنى
 ظهر وعدى بمن لتضمنه
 معنى البعد لانه كان طلاقا
 في الجاهلية ونظيره آلى
 من امرأته لما ضمن
 معنى التباعد عدى بمن
 والا فآلى في أصله الذي هو
 معنى حلف وأقسم ليس
 هذا يحكمه والدعى فعيل
 بمعنى مفعول وهو الذي
 بدعى ولدا وجمع على أفعلاء
 شاذ لان باب ما كان منه
 بمعنى فاعل كتنى وأتقيا
 وشقى وأشقياء ولا يكون
 ذلك في نحو رمى وسعى
 للتشبيه اللفظي (ذلكم

على كظهرأي يقول الله وما جعل نساءكم التي تقولون لمن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكم منكر
 وزور وفيه كفارة وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله في سورة المجادلة ﴿قوله تعالى﴾ (وما جعل أدياءكم
 يعني الذين تبنيونهم) (أبناءكم) وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن
 المولود يدعو له بالناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل
 الكلابي وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن
 بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل
 الله هذه الآية ونسخ بها التبنى (ذلكم قولكم بافواكم) أي لاحقيقة له يعني قو لم زيد بن محمد وادعاء
 النسب لاحقيقة له (والله يقول الحق) أي قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشد إلى سبيل الحق
 (ادعوهم لأبائهم) أي الذين ولدوهم فقولوا لزيد بن حارثة (هو أقسط عند الله) أي أعدل عند الله (ق) عن
 ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدعو له الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم
 لأبائهم هو أقسط عند الله الآية (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين) أي فهم اخوانكم (ومواليكم) أي
 كانوا محررين وليسوا ببنينكم أي قسموهم باسماء اخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين
 (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه (ولكن ما تعدت قلوبكم) أي من
 دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به ان تدعوه إلى غير أبيه وهو يظن انه كذلك (وكان الله
 غفورا رحيمًا) (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى إلى غير أبيه

قولكم بافواكم) أي ان قولكم للزوجة هي أم وللدعى هو ابن قول تقولونه بالنسب لاحقيقة له اذ
 الابن يكون بالولادة وكذا الام (والله يقول الحق) أي ما هو الحق ظاهره وباطنه (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم
 لأبائهم هو أقسط) (عند الله) وبين ان دعاءهم بأبائهم هو ادخل الامر في القسط والعدل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه
 ولد الرجل ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الله كرم من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر إلى فصاحة هذا
 الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها وصل بينهما فصل الاسمية عنها وصل بينهما فصل بالطلبية (فان لم تعلموا آباءهم) فان
 لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم (فاخوانكم في الدين ومواليكم) أي فهم اخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي
 وأخي ويامولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي لانهم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطين
 جاهلين قبل ورود النهي (ولكن ما تعدت قلوبكم) ولكن لانهم عليكم فيما تعدتموه بعد النهي أو لانهم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يابني على
 سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين وما في موضع الجر عطف على ما الاولى ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ دون العمد
 على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبنى وعمده واذا وجد التبنى فان كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنًا منه ثبت نسبه منه وعق ان
 كان عبدًا له وان كان أكبر سنًا منه لم يثبت النسب وعق عند أبي حنيفة رضي الله عنه وأما المعروف بالنسب فلا يثبت نسبه بالتبني وعق ان
 كان عبدًا (وكان الله غفورًا رحيمًا) لا يؤخذكم بالخطأ وقبل التوبة من المتعمد

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي أحق بهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها فاعلم ان يبذلوا هادونه ويجعلوا هادءاً وهو أولى بهم أي أرأف بهم وأعطف عليهم وانفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤف رحيم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي أبوأمة ولذلك صار المؤمنون أخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) في تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يتعد (٤٨٣) التحريم الى بناتهن (وأولوا الارحام) وذوو

القارابات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث وكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالطهارة لا بالقرباة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرباة (في كتاب الله) في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لأولى الارحام أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الاجانب وان يكون لابتداء الغاية أي أولوا الارحام بحق القرباة أولى بالميراث من المؤمنين أي الانصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الطهارة (الأن تفعلوا الى أوليائكم معروفًا) الاستثناء من خلاف الجنس أي لكن فعلكم الى أوليائكم معروفًا جاز وهو أن توصوا لمن أحببتهم من هؤلاء بشئ فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعلوا بالي لانه في معنى نسوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية

وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح لان أنفسهم تدعوهم الى ما فيه هلا كههم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم في الجمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزات الآية (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك ما لا فطرته بعصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فانا مولاه عصبه الميت من يرثه سوى من له فرض مقدرو قوله أو ضياعاً أي عيالا وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً وان كسرت الضاد كان جمع ضائع وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) يعني أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأييد لافي النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا اخواتهن وأخواتهن هن أخوات المؤمنين وحالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روى عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأم انما أنا أم رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالطهارة وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أي في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعني ان ذوي القربايات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والطهارة وصارت الموارثة بينهم بالقرباة (الأن تفعلوا الى أوليائكم معروفًا) يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والطهارة أباح أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النص وحفظ الحرمة بحق الايمان والطهارة وقيل معناه الا أن توصوا الى قرابتكم بشئ وان كانوا من غير أهل الايمان والطهارة (كان ذلك) أي الذي ذكر من أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض (في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة (مسطورا) أي مكتوباً بميثاقاً وقوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي على الوفاء بما جملوا وان يصدق بعضهم بعضاً ويشر بعضهم ببعض وقيل على أن يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحو القوم بهم (ومنك) يعني يا محمد (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكور من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكور تشریفه وتفضيله ولما روى

في الدين (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أي واذا ذكر التوارث بالارحام كان مسطوراً في اللوح (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم) (ومنك) خصوصاً وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لان هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لانهم أولوا العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقد قدم من قدمه زمانه (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم)

وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه وأما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أي الانبياء (عن صدقهم) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله وليسأل الانبياء ما الذي أجازتهم أمهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (وأعد للكاافرين) بالرسول (عذابا ألما) وهو عطف على أخذنا لان المعنى ان الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكاافرين عذابا ألما وعلى ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فأتاب المؤمنين وأعد للكاافرين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) أي ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب كونه هو

يوم الخندق وكان بعد حرب أحد سنة (اذ جاءكم جنود) أي الاحزاب وهم قریش وغطفان وقریظة والنضير (فارسلنا عليهم رجلا) أي الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألقا بعت الله عليهم صابا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وأسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جواب عسكرهم فانهمزوا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبا لهم ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين ففرض معسكره والخندق

البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا شديدا على الوفاء بما جلاوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعني أخذ ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في شؤونهم مع علمه سبحانه وتعالى أنهم صادقون تكببت من أرسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين باقواهم عن صدقهم في قلوبهم (وأعد للكاافرين عذابا ألما) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (اذ جاءكم جنود) يعني الاحزاب وهم قریش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فارسلنا عليهم رجلا) يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الرج التي أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور وقيل الصبار يج فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب حره قوله تعالى (وجنودا لم تروها) يعني الملائكة ولم تقا تل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة رجلا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب القساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وكثرت كبر الملائكة في جواب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يابني فلان النجاء النجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهمزوا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما يعملون بصيرا) هذا كمرغزة الخندق وهي الاحزاب قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حاربوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قریش بمكة فدعواهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قریش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بحجهم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقریش سرهم ما قالوا ونشطوا للمادعواهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا

بينه وبين القوم وأمر بالذراى والنسوان فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف

غطفان

وكانت قریش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبوسفیان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (وكان الله بما تعملون بصيرا) أى بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالباء أبو عمرو وأى بما يعمل الكفار من البنى والسى فى اطفاء نور الله

غطفان ٣ وقيساوعيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وإن قر يشاقد بايعوهم
على ذلك فاجابوهم وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن
حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحرث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة وسعير بن ربيعة بن
نيرة ابن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما
اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حرق قال
يا رسول الله أنا كئيب فارس إذا حوصرنا ضرب بنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون حتى أحكموه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل
عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون
سلمان منا وقال الانصار سلمان منافق قال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف
كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعا فخرنا حتى إذا
كنا تحت أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشتت علينا فقلنا يا سلمان
ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب واما ان
يأمرنا فيها أمره فانا لا نحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب
عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشتت
علينا حتى ما يجي بنا منها شيء قليل ولا كثير فرفنا فيها بأمرنا فانا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه السلام المعول من سلمان
وضربه به ضربا شديدا وبارق منها برق أضواء ما بين لاتبها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت
مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضرب بهار رسول الله صلى الله
عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى أضواء ما بين لاتبها حتى لكان مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضرب بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبارق
منها ما برق أضواء ما بين لاتبها حتى لكان مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير
فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورفق فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله
قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم وقال أرايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت
ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فاضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أبواب الكلاب
وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضواء لي منها قصور
قيصر من أرض الروم كأنها أبواب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق
الذي رأيتم أضواء لي منها قصور صنعاء كأنها أبواب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا
فاستبشروا المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون بمنكم
ويعدكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون
الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن وأذيقوا المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون
ذلك لهم فلم أر أي ما بهم من التعب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة
فقالوا محبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حينئذ ابدا

٢ قوله غطفان الخ كذا
بالاصل وفي المواهب خرج
أولئك اليهود حتى جاؤا
غطفان من قيس عيلان
زاد شارحها بعين مهمة
قال الجوهرى وابش في
العرب عيلان نيرة اه
مصحح

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول
والله لو لا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينتنا علينا * وثبت الاقدام ان لا قينا
والمشركون قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة اينا

ويرفع بها صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض ابطينه رجعت الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة
في عشرة آلاف من أحابشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل نهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد
حتى نزلوا بذي نبيلى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم
الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري
والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عبد الله بن أبي ربيعة حتى أتى كعب بن أسد القرظي
صاحب عقد بني قريظة وكان قد واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فملاس مع
صوت ابن أبي ربيعة أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأتى أن يفتح له فناداه حي يا كعب افتح لنا فقال ويحك
يا حي انك امرؤ مشؤم اني قد عاهدت محمدا فقلت بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك
افتح أكرمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الا خوف ان أكل معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك
يا كعب جئت بك بعز الدهر وبحرطام جئت بك بقريش على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من
رومة وبغطفان على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بذي نبيلى الى جانب أحد قد عاهدوني وعاهدوني أن لا
يرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذي الدهر وبجاء قديهرق ماؤه ويرعد
ويبرق ايس فيه شيء دعني ومحمدا وما أنا عليه فاني لم أر من محمدا الا صدقا ووفاء فلم يزل حي بن أخطب بكعب
يفتله في الذرة والغارب حتى سمح له على ان أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان
أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبرىء مما كان عليه فيما بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عباد احد بني ساعدة
وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني
عمر بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أحسن أم لا فان كان حقا فالحنا الى الحنا
أعرفه ولا تقتوا أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم
فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا نعقد بيننا وبينه ولا عهد
فشا تم سعد بن عباد وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشائهم فابتنوا بينهم
ربي من المشائهم ثم أقبل سعد وسعد ومن معهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة
حذر عضل القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم
من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن
قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمدا بعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصروا أحدنا لا يقدر أن يذهب الى
الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال أوس بن قيطي أحد بني حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من
العدو وذلك على ملا من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى ديارنا فاتها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل

والخصي فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحرث بن عوف وهما قائد اعطفان فاعطاهما ثلث عمارة المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخرج بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما فيه فقالا لا يرسل الله أشيئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر نحب فتصنعه أم شيء تصنعه لنا قال بلى شيء أصنع لكم والله ما صنع ذلك إلا أني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال لسعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطعمون أن يأكلوا من ثمره واحدة إلا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم أموالنا ما نأخذ منهم حاجة والله وما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول سعد الصحيفة فحاما فيها من الكتابة ثم قال لي جهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش عمرو بن عبد ود وأخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيالهم فروا على بني كنانة فقالوا اتهموا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيد هائم تيموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسماع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحد فلما كان يوم الخندق خرج معايل البري مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحدا هما قال أجل قال له علي فاني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال اني أدعوك إلى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب اني أقتلك فقال علي لكني والله أحب أن أقتلك خمي عمرو وعند ذلك فاقتحم عن فرسه فعفره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلا من مذبة بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة الخزومي وكان اقبح الخندق فتورط فيه فرمود بالحجارة فقال يا معشر العرب قتله أحسن من هذه فنزل إليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمنه فشانكم به فغلب بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فرس سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعها وكاهها وفي يده حربة وهو يقول لا بأس بالموت إذا حان الأجل فقالت له الحق يا بني فقد والله اخترت قالت عائشة فقلت يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت أسبغ ممهاهي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم فقطع منه الأكل رماه خباب بن قيس بن العرقعة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقعة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها إلى شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنعا

النساء والصبيان قالت صفية فر بنارجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينهما وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا اليئاعهم اذا اتانا انت قالت فقلت يا احسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقبله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بأصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فصربت بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا احسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال مالي بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهرهم وهم واتبائهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فامرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فدل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان ندبما لهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا الحرب محمد وقد ظاهروهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونسأؤكم لا تقدررون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبنائهم ونسأؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل يبلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقا تلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان يقا تلوا معكم محمد حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأى وأصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقى محمد فقد بلغني أمر رأيت حقاً على ان أبلغكم نصحاءكم فاكتموا على قالوا تفعل قال نعمون ان معشر يهود قد نددوا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل برضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فإرسل اليهم ان نعم فان بعث اليكم يهود يلمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلاً واحداً ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس الى ولا أراكم تهمونني قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا تفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان وروس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لنسابدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى تناجز محمد او نفرغ مما بيننا وبينه فإرسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أخذت فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولست نابع ذلك بالذي تقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا حتى تناجز محمد فانتنا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فإرسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقال بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما بر بد القوم الا ان يقا تلوا فان وجدوا فرصة اتهمزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فإرسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فإبواء اليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليل شاتية شديدة

(اذجاؤكم) بدل من اذ جاءكم (من فوقكم) أي من أعلى الوادي من قبل المشرق (٤٨٩) بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من

أسفل الوادي من قبل المغرب قریش (واذراغت الارضا) مالت عن سنها ومستوى نظرها حيرة أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها الشدة الروح (وبلغت القلوب الخناجر) الخنجر رأس الغاصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا اتفتحت الرثة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الخنجر وقيل هو مثل في اضطراب القلوب وان لم تبلغ الخناجر حقيقة روى ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء تقول فقد بلغت القلوب الخناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (ونظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الذين القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الاولون بالله انهم يتسلمون بخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم قريو عمرو وحزبة الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبالالف فيهما مدني وشامي وأبو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالالف في الوقف مكى وعلى وحفص ومثله الرسول والسبيل

البرد جعلت تكفا قدورهم ونطرح آيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا وروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته وهو قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه بمشي على الأرض ولجئنا على أعناقنا وخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيته ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام من رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت اليها فقال مثله فسكت القوم وما قام من رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت اليها فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يا رسول الله وقت حتى أتيت فآخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال انت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحذثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على اسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قال أبو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهمها فوضعتها في كبد قوسي فاردت أن أرميه ولورميته لاصته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحذثن حدا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأي أبو سفيان ما تفعل الرج وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قریش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أمتعرفني أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قریش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذا الرج ما نروب فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعل قریش فاستقروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنني أمشي في حمام فأتيت وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابا في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء فأدقاني النبي صلى الله عليه وسلم فأنامني عند رجليه وأقي على طرف ثوبه وألقى صدرى بطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل (اذجاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعههم طلحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قریش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قریش ومن تبعه وأبو الأورع عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جرزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم (واذراغت الارضا) أي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر الى عدوها (وبلغت القلوب الخناجر) أي زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفزع والخنجر جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جنبوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رثته واذا انتفخت رثته رفعت القلب الى الخنجر فلهذا يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) أي اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون

(هنالك ابتلى المؤمنون) امتنعوا بالصبر على الايمان (وزلزلوا زلازا شديدا) وحركوا بالخوف تحريكاً شديداً (واذ يقول المنافقون) عطف على الاول (والذين في قلوبهم مرض) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يسفيلونهم بادخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) روى ان معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال بعدنا محمد فخرج فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقام هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة (لامقام لكم) وبضم الميم حصص أي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون (فارجعوا) عن الايمان الى الكفر أو من عسكر رسول الله الى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) أي بنو حارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي ذات عورة (وما هي بعورة ان يربدون الا فرارا) العورة الخلل والعورة ذات العورة وهي قراءة ابن عباس يقال عور لمكان عور اذا بدا منه خلل يخاف منه (٤٩٠) العدو والسارق ويجوز أن يكون عوره تخفيف عورة اعتدروا أن بيوتهم

عرضة للعدو والسارق لانها غير محصنة فاستأذنه ليعصوها ثم يرجعوا اليه فأكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يربدون القرار من القتال (ولودخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها أي ولودخلت هذه العساكر المنزلة التي يفرون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها وانتالت على أهلهم وأولادهم ناهين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفرع (الفتنة) أي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين (لأنوها) لا عطاؤها لأنوها بلامد مجازي أي لجأوها

النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى المؤمنون) أي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين (وزلزلوا زلازا شديدا) أي حركوا حركه شديده (واذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) هو قول أهل النفاق بعدنا محمد ففتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا هو الغرور قوله تعالى (واذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قيثي وأصحابه (يا أهل يثرب) يعني يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العمالق كان قد نزها في قديم الزمان وفي بعض الاخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال هي طيبة كانه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقرير والتوبيخ (لامقام لكم) أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أي الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) يعني بني حارثة وبنو سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي خالية ضائعة وهي مائل الى العدو يخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة ان يربدون الا فرارا) أي انهم لا يخافون ذلك انما يربدون القرار من القتال (ولودخلت عليهم من أقطارها) يعني لودخل هؤلاء الجيوش الذين يربدون قناطهم وهم الاحزاب من نواحي المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أي الشرك (لأنوها) أي لجأوها وفعلاوها ورجعوا عن الاسلام (وماتلبثوا بها) أي ما احتبسوا عن الفتنة (الايسيرا) أي لا سرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا قوله عز وجل (واقعدوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) أي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هو ابوم أحدان يفسلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا مثلها وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر فاماروا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا نحن أشهدنا الله قتالنا لقتلنا فساقت الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أي عنده في الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتن من الموت أو القتل) يعني الذي كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك (واذا لا تمتعون) أي بعد القرار (الا قليلا) أي مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم

وفعلوها (وماتلبثوا بها) باجانبها (الايسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو مالبثوا بالمدينة (من) بعد ارتدادهم الايسير فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعورار بيوتهم ليفروا عن نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ماؤهم هو لا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما فعلوا بشئ وما ذلك الا لمتهم الاسلام وحبهم الكفر (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم الى الاحزاب (لا يولون الادبار) منهزمين (وكان عهد الله مسؤلا) مطلوباً مقتضى حتى يوفي به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتن من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا) أي ان كان حضر أجالكم لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتن لم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض الروايات انه مر بمحاطة مائل فامرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل تطلب (قل من ذا الذي يعصمكم)

من الله) أي مما أراد الله أنزاله بكم (إن أراد بكم سوءاً) في أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أي إطالة عمر في عافية وسلامة أو من يمنع الله من أن يرحكم إن أراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) ناصر (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي من يعوق عن نصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يمنع وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) في الظاهر من المسلمين (هلم الينا) أي قربوا أنفسكم الينا ودعوا محمد وأهله لغت أهل الحجاز فاتهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجل وهو صوت سمي به فعل متعدي نحو احضرو قرب (ولا ياتون بالبأس) أي الحرب (٤٩١) (الافليلا) الايتان افليلا أي

يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أشعة) جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير في ياتون أي ياتون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فاذا جاء الخوف) من قبل العدو ومنه عليه السلام (رأيتهم ينظرون اليك) في تلك الحالة (تدور أعينهم) يمينا وشمالا (كالذي يغشى عليه من الموت) كما ينظر للغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولو اذا بك (فاذا ذهب الخوف) زال ذلك الخوف وأمنوا وجزأت الغنائم (سلقوكم بالسنة حداد) خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب مسلح فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام أي يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا

(من الله إن أراد بكم سوءاً) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) أي ناصر يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المشبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أي ارجعوا الينا ودعوا محمد وأهله فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يشبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه إلا كثر رأس ولو كانوا الجمال لاتهمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا واننا نشفق عليكم فاتم اخواننا وجبرائنا هموا اليينا فاقبل عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا ما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزد المؤمنين بقول المنافقين الا ايمانا واحسابا ﴿ وقوله تعالى (ولا ياتون بالبأس) يعني الحرب (الافليلا) أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشعة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) أي في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الامن (بالسنة حداد) أي ذر به تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فاهم عند الغنيمة أشجع قوم وعند الحرب أجبن قوم (أشعة على الخير) أي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا (فاحبط الله أفعالهم) أي التي كانوا ياتون بها مع المسلمين قيل هي الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أي احباط أفعالهم مع ان كل شيء على الله يسير ﴿ قوله تعالى (يحسبون) يعني هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعني قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن قتالهم جينا وفرقا وقد انصرفوا عنهم (وان يأت الاحزاب) أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يستلون عن أنبائكم) أي عن أخباركم وما آل اليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ما قاتلوا الا قليلا) يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب ﴿ قوله عز وجل (لقد كان لكم في رسول

معكم وبما كنا غلبتم عدوكم) (أشعة على الخير) أي خاطبوكم أشعة على المال والغنيمة وأشعة حال من فاعل سلقوكم (أولئك لم يؤمنوا) في الحقيقة بل بالسنة (فاحبط الله أفعالهم) أبطل باضمارهم الكفر ما أظهره من الاعمال (وكان ذلك) احباط أفعالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أي لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم قد انصرفوا (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) البادون جمع البادية أي يتمنوا المنافقون لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البادية حاصلون بين الاعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا عما فيه الخوف من القتال (يستلون) كل قادم منهم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عن أخباركم وعماسي عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول

الله أسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أي فدوة وهو المؤسسى به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون مناحيد أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد وأوفيه خصلة من حقه ان يؤتى بها حيث قاتل بنفسه (ان كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يامل نواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا لمن يد من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البذل من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة أي أسوة حسنة كائنه لن كان (وذكر الله كثيرا) أي في الخوف والرجاء والشدة والرخاء (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) وعدهم الله أن يرزقوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبكم أن (٤٩٢) تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم إلى قوله قريب فلما جاء

الأحزاب واضلربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا) هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وعلموا ان الغلبة والفتنة لله قد وجبت لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ان الأحزاب سائررون اليكم في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا الإشارة إلى الخطب والبلاء (وما زادهم) مارأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ومحبيهم (الايما نا) بالله وبمواعيده (ونسبنا) لقضائه وقدره (من) المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعني من بقى بعده هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر على الأعداء (وما بدلوا) يعني عهدهم (تبدلا) (ق) عن أنس قال غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما صنعت فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعتر إليك بما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجدر بحمها من دون أحد قال سعد فاستطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدناه بضعا وثمانين ضربه بالسيف وأطعنه برمح وأرمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فاعرفه أحد الأخوة بينانه قال أنس كنا نرى أوظن ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوق أجونا على الله فنامنا مات ولم يأكل من أجره شيأ منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك غمرة وكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واداغطينا رجليه بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعله على رجليه من الأذخر ومننا من أينعت له ثمرة فهو بهديهما النمرة كساء ملون من صوف وقوله ومننا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرة وهذه

الله عليه وسلم ثبتوا وقالوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحزرة ومصعب استعارة وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أي مات شهيدا كحزرة ومصعب وقضاء النحب صار عبارة عن الموت لان كل حي من المحدثات لابد ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أي نذره (ومنهم من ينتظر) الموت أي على الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبدلا) ولا غيره ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه نمر بض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب كما مر في قوله تعالى ولقد كان عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار

(ليجزى الله الصادقين بصدقهم) بوقائهم بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء) اذ لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بعفوا لحوته جعل المنافقين كأنهم ما قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوقائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغیظهم) حال أي مغیظین كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) ظفرا أي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال أي غير ظافرين (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا عزيزا) قادرا (٤٩٣) غالبا (وانزل الله الذين ظاهروهم)

عاونوا الاحزاب (من أهل الكتاب) من بني قريظة (من صياصيمهم) من حصونهم الصيصية ما تحصن به روى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهمز فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الخيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فقال يا رسول الله ان الله يأمرك بالمشير الى بني قريظة وأنا معك اليهم فان الله دافعهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فحاصروهم خسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم

استعاره لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أي يجتنبها ويقطفها * عن أبي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا بشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وفيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) أي فيهديهم الى الايمان ويشرح لهم صدورهم (ان الله كان غفورا رحیما) ورد الله الذين كفروا (أي من قريش وغطفان) (بغیظهم) أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم ينالوا خيرا) أي ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) أي بالملائكة والريح (وكان الله قويا) أي في ملكه (عزيزا) أي في انتقامه قوله تعالى (وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيمهم) أي من حصونهم ومعاقبهم واحدا صيصية (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف (فريقا تقتلون) يعني الرجال يقال كانوا استماتة (وتأسرون فريقا) يعني النساء والذراري يقال كانوا سبعماتة قيل وخمسين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضام تطووها) يعني بعد قيل هي خيبر ويقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا)

ذكر غزوة بني قريظة

قيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع قال العلماء بالسيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التي انصرف للاحزاب راجع بين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعظا بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها راحلة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجهه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه وفرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالمشير الى بني قريظة وأنا معك الى بني قريظة فانهم اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركهم في زلزال ولبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من مكان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب برأيه اليهم وابتدروا الناس وسار على حتى اذا

ان تقتل مقاتلتهم وتسي ذرارهم ونساءهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقد همهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانماتة الى تسعماتة وقيل كانوا استماتة مقاتل وسبعماتة أسير (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وبضم العين شامى وعلى ونصب (فريقا) بقوله (تقتلون) وهم الرجال (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي المواشي والنقود والامتنعة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم في منازلكم (وأرضام تطووها) بقصد القتال وهي مكة أو فارس والروم وخيبر وكل ارض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا

دنا من الحصون وسمع منها مقالة في صحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الا غابت قال أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم
 يا رسول الله قال لو قدر أني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال
 يا اخوان القرية قد أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم على أصحابه بالصور بن قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل منكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية
 ابن خليفة على بغلة بيضاء عليها راحلة وعليها قضيعة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل عليه السلام
 بعث إلى بني قريظة بزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني
 قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الأخيرة ولم
 يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة فصلاوا العصر بها بعد العشاء
 الأخيرة فاعلمهم الله بذلك ولاعتفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خساو عشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حبي بن أخطب دخل
 على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود انكم قد نزل
 بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلا لا تلتا ناخذوا أيها شتم قالوا وما هن قال تابع هذا الرجل
 ونصده فوالله قد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دياركم وأموالكم وأبنائكم
 ونسائكم فقالوا لا تفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيت هذه فهل فلتقتل أبناءنا ونساءنا
 ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصليين بالسيوف ولا نترك وراءنا نقلا يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد
 فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان ظهر فلعمري لننتخذن النساء والابناء قالوا تقتل هؤلاء
 المساكين فما في العيش بعدهم خير قال فان أبيت هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد
 آمنوا فانزلوا فعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا انفسد سبتنا وتحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من قبلنا
 لامن قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدت له امه حازم ليلة من الدهر
 ثم انهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعت لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا
 حلفاء الاوس نستشيرهم في امرنا فإرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام إليه الرجال والنساء
 والصبيان يكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة ان ترى أن تنزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقة
 انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه
 ولم يات النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد إلى عمود من عمده وقال والله لا أبرح مكاني حتى يتوب الله
 علي مما صنعت وعاهد الله لا يبطأ أرض بني قريظة أبدي ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما
 بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما ان فعل فانا بالذي
 أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
 بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم ضحكك يا رسول الله
 أضحك الله سنك قال نيب على أبي لبابة فقلت الا أبشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على
 باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس إليه
 ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا إلى الصبح أطلقه قال ثم ان
 نعلبه بن سعيد وأسيدين بن سعيد وأسيدين بن عبيد وهم نضر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من
 فوق ذلك هم بنو عزم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج في تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فربح من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة
 الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بنى قريظة
 في غدرهم بر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة
 اللهم لا تحرمنى من عثرات الكرام تغلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه
 فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فبين أوثق من بنى قريظة حين نزلوا
 على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدري أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوايب الأوس وقالوا يا رسول
 الله انهم موالينادون الخزرج وقد فعلت في موالى الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن
 أبى ابن سلول فوجههم له فلما كلمه الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم
 فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده
 في خيمة امرأة من المسلمين يقال طار فيدة وكانت تدوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به
 ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخنزق اجعلوه في
 خيمة فيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة أنه قومه فملاوه
 على حمار قد وطؤوا وسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون
 يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه
 قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى الاشهل فنعى
 لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ من كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال
 وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال
 ونسبي الذراري والنساء فتعال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرفعة
 ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرس من نساء بنى النجار ثم خرج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخذق بها خنادق ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم في
 تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم
 ستمائة وسبع مائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب
 بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال أتى كل موطن لا تعقلون ألا ترون
 الداعي لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله
 عليه وسلم وأتى بحبي بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كوضع الأئمة أئمة
 أئمة لئلا يسلبها مجموعة يدها الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله مالت نفسي في
 عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر
 وملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بنى قريظة
 الا امرأة واحدة قالت والله انها العندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم

يقتل رجلا لم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها ابن فلانة قالت انا والله قلت ويك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت
حدثنا حدثته قالت فاطمى بها فضرب عنقه او كانت عائشة تقول ما أنسى عجايبها طيب نفس وكثرة ضحك
وقد عرفت أنها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلا بن سويد
قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن
الحق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس
في الجاهلية يوم بعث أخذه فزنا صيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل
تعرفني قال وهل يجمل مثلي مثلك قال اني أريد أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال
ثم اني ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يدوله على منة وقد أحيت
أن أجزيه بها فذهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأناه فقال له ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فإيصنع بالحياة فاني ثابت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فأناه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأتك
وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فابقاؤهم على ذلك فاني ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فأناه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي
ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تراءى فيه عذاري الحى كعب بن أسد قال قتل قال فافعل مقدمتنا
اذا شد دنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فافعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني
عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فاني أسألك يدي عندك يا ثابت الاما ألحقني بالقوم فوالله ما في العيش بعد
هؤلاء من خير فانا بصابر حتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى باقي
الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالد المخلد ابدأ قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من
أثبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأغنم في ذلك اليوم سهمين للخيال وسهما للرجال
فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفارس وللفارس سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة
وثلاثين فرسا وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري
أخا بني الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد اصطفى لنفسه من نساءهم رجحانة بنت عمرو بن خناسة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس على
أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعلى فتركها
وقد كانت حين سباهها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه
بذلك من أمرها فبينما هو بين أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا التلعة بن شعبة يشترى باسلام
رجحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت رجحانة فسر ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن
معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب الى أن
وجاهدتهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب فريش على رسولك شيئا فابقني له وان
كنت قد أقطعت الحرب بينه وبينهم فابقني اليك فانفجر كله فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته
التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فخره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفس
محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر واني اني عجزني قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رجاء بينهم
(خ) عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الأحزاب الآن تغزوهم
ولا يغزونا نحن نسير اليهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده

(يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) أي السعادة في الدنيا وكثرة الاموال (فتعالين) أصل تعال أن بقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطى ثم كثر حتى استوى في استعماله (٤٩٧) الا يمكنه ومعنى تعالين أقبلن بارادتك

واختياركن لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقوله قام يهددني (أمة يمكن) أعطكن متعة الطلاق ونسحب المتعة لكل مطلقة الا المفوضة قبل الوطاء (وأسرحكن) وأطلقكن (سراحا جيلا) لا ضرار فيه أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزينة نفقة وتغايرون فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها وروى أنه قال لعائشة اني اذا كرك لك أمرا ولا عليك أن لا تجلي فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت اني هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وحكم التخيير في الطلاق أنه اذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسي أن تقع نطقه بانه اذا اختارت

لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده ﴿ قوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن) أي متعة الطلاق (وأسرحكن سراحا جيلا) أي من غير ضرر (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سأله من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة آذينه بغيره بعضهن على بعض فهاجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكى أن لا يقر بهن شهرا ولم يخرج الى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لا علمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفاضل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقلت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولوروده الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الامر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قريشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث اهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا يباه لم يؤذن لاحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقلت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن حولي كما ترى يسألني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر الى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده قلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعترظن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن (م) عظيمها قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تجلي فيه حتى تستشيرى أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفليك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ان لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثني معتنا ولا متعتنا ولكن بعثني معلما مبدرا قوله واجبا أي مهتما والواجب الذي أسكته لهم وعلمته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثني معتنا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا

زوجها لم يقع شيء وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت

(٦٣ - (خازن) - ثالث)

زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكم)

من البيان لا التبعض (أجرا عظيما)

يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة (مبينة) ظاهر خشها من بين بمعنى تبين وافتح الياء مكي وأبو بكر قيل هي عصياتهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (يضاعف لها العذاب) يضعف لها العذاب مكي وشامي فضعف أبو عمر ويزيد ويعقوب (ضعفين) ضعف عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أفصح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل (٤٩٨) وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الدم

للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل لأن المعصية من لعالم أفصح ولذا أفضل حد الأحرار على العبيد ولا يرجم الكافر (وكان ذلك) أي تضعف العذاب عليهن (على الله يسيرا) هينا (ومن يقنت منكن لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحا نؤتيها) وبالياء فيها حزمة على (أجرها مرتين) مثلي ثواب غيرها (وأعتدنا لها رزقا كريما) جليل القدر وهو الجنة (يانساء النبي لستن كأحد من النساء) أي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء إذا تقصبت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة نساويكن في الفضل وأحد في الأصل بمعنى واحد وهو الواحد ثم وضع في النسب العام مستويا فيه المذكور والمؤنث والواحد وما وراءه (ان اتقين)

شهر أو أنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال إن الشهر تسع وعشرون (فصل في حكم الآية) اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقادة وأكثراهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خبرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعن وأسرحكن بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور وأنه قال لعائشة لا تجلي حتى تستشيري أبايكم وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقها التفريع على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس وإذا خير الرجل امرأته فاخترت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها يقع طلاق واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي يقع طلاق واحدة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج يقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن علي أنها إذا اختارت زوجها يقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها فطلاق واحدة وأكثراهل العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما أبالي خبرت امرأتى واحدة أو مائة أو ألقا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضي الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئا قوله تعالى (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لأن منهن من أتت بفاحشة فإن الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لمن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرية على الأمة وذلك لأن نسبة النبي صلى الله عليه وسلم إلى غيره من الرجال كنسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة إلى غيرهن كنسبة الحرية إلى الأمة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي تطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتيها أجرا مرتين) أي مثلي أجر غيرها قيل الحسنه بعشرين حسنة وتضعف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين (وأعتدنا لها رزقا كريما) يعني الجنة قوله تعالى (يانساء النبي لستن كأحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى (ان اتقين) يعني الله فاطعته فإن الأكرم عند الله هو الاتقي (فلا تخضعن بالقول) أي لا تلن بالقول للرجال ولا ترقصن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تظن قولايحبد المنافق والقاجر به سبيلا إلى الطمع فيكن والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الاطماع فيهن (وقان قول معروف) أي بوجه الدين والاسلام عند الحاجة إليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى قوله عز وجل (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوفا رأى كن أهل وقار وسكون

ان أردن التقوى أو ان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) أي اذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا نجتن بقولكن خاضعا أي ليناختنا مثل كلام المريات (فيطمع) بالنصب على جواب النهي (الذي في قلبه مرض) ريبة وفجور (وقان قول معروف) حسنام كونه خشنا (وقرن) مدنى وعاصم غير هبيرة وأصله اقررن فقدفت الراء تخفيفا وألقت فتحنها على ما قبلها أو من قار يفار اذا اجتمع والباقون قرن من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من رأى اقررن قرارا من التكرار وقلت كسرتها إلى القاف (في بيوتكن) بضم الباء بصرى ومدنى وحفص

(ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) أي القديمة والتبرج التبخر في المشي أو اظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجاً مثل تبرج النساء في الجاهلية الاولى وهي الزمان الذي ولد فيه ابراهيم أو ما بين آدم ونوح (٤٩٩) عليهما السلام أو زمن داود وسليمان

والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام (وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) خص الصلاة والزكاة بالامر ثم عم بجميع الطاعات تفضيلاً لهما لان من واطب عليهما جرتاه الى ما وراءهما (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على أن نساء من أهل بيته وقال عنكم لانه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (ويظهركم تطهيرا) من نجاسة الآثام ثم بين أنه إنما سهاهن وأمرهن ووعظهن لتلايقار أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعاروا للذنوب لرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترن للمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض منها نقي كالثوب الطاهر وفيه تنفير لاولى الباب عن المناهي وترغيب

(ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكرس والتغنج والتبخر وقيل هو اظهار الزينة وابرار المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قيصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفهما منه وقيل كان في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع النساء مثله فبلغ ذلك من حوهم فاتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فآخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فزولوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تدكر الاولى وان لم تكن لها أخرى (وأقن الصلاة) أي الواجبة (وآتين الزكاة) أي المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أي فيما أمر وفيما نهى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أي الأثم الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء (أهل البيت ويظهركم تطهيرا) هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وهور واية سعيد ابن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذ كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجاعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرجال وبالجم المنقوش عليه صور الرجال عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت في بينها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله أأنت من أهل البيت فقال انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فخلاهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ؑ قوله تعالى (واذ كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله) يعني القرآن (والحكمة) قيل هي السنة وقيل هي أحكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا) أي باوليائه وأهل طاعته (خيرا) أي بجميع خلقه ؑ قوله عز وجل (ان المسلمين والمسلمات) الآية وذلك

لهم في الاوامر (واذ كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) أي السنة أو بيان معاني القرآن (ان الله كان لطيفا) عالما بغوامض الاشياء (خيرا) عالما بحقائقها أي هو عالم بافعالكن وأقوالكن فاحذرن مخالفة أمره ونهيهِ ومعية رسوله ولما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فأنزل فينا شيء فنزلت (ان المسلمين والمسلمات) المسلم الداخل في السلم بعد الحرب

المتقاة الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله (والمؤمنين) المصدقين بالله ورسوله وما يجب أن يصدق به (والمؤمنات والقاتين) القائمين بالطاعة (والقاتات والصادقين) في النيات والأقوال والأعمال (والصادقات والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيئات (والخاشعين) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين (والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات) فرضا ونفلا (والصائمين والصائمات) فرضا (٥٠٠) ونفلا وقيل من تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل

شهر فهو من الصائمين (والحافظين فروجهم) عمال يعمل (والحافظات) والذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الله كرم المعنى والحافظات فروجهن (والذاكرات) الله فحذف له لالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لان الاول نظير قوله نيات وأبكرا في انهما جنسان مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف بينهما وأما الثاني فن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما) على طاعتهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أمجة على مولاه زيد بن حارثة فابت وأبى أخوها عبد الله فزلت (وما كان لمؤمن

ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قان يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فافينا خبرنا ذكر به اننا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الآية عن أم عمارة الانصارية قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت مالي أرى كل شيء إلى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ان أم سلمة بنت أبي أمية وأبنة بنت كعب الانصارية قالت النبي صلى الله عليه وسلم ما بال بنات كذا الرجال ولا يذكرن النساء في شيء من كتابه ونحشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا قالت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان النساء في خيبة وخسار قال وم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكرهن مع الرجال فذكرهن بهامهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لأمر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يرا دبه أمر الله تعالى وهو نصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله (والقاتين والقاتات) الرابعة الصدق في الأقوال والأفعال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساء وسر وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع في الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله (والمصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمين والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهم) يعني عمال يعمل (والحافظات) العائنة كثرة الذكركر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكركر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال اذا كرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أقر بان الله قريبه ومحمد رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقاتين والقاتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على طاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عمال يعمل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أي بمحو ذنوبهم (وأجر عظيما) يعني الجنة في قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر أن تكون لهم الخيرة من أمرهم)

ولا مؤمنة) أي وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (اذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله (أمرا) زلت من الامور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) ان يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه واختيارهم تلوا لا اختياره فقالوا ربنا يارسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها وانما جمع الضمير في لم وان كان من حقه ان يوحد لان المذكورين وقع تحت النفي فصار مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ ويكون بالياء كوفي والخيرة ما يتخير ودل ذلك على ان الامر

(ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) فان كان العصيان عصياناً ردواً امتناعاً عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصياناً فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالاسلام الذي هو أجل النعمة (وأنت على) بالاعتقاد والتبني فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زبد بن حارثة (٥٠١) (أمسك عليك زوجك) زينب بنت جحش وذلك

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعدما أنكحها اياه فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفوع عنها قبل ذلك لا تريد لها وسمعت زينب بالنسبة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها الرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أراك منهاشي قال لا والله ما رأيت منها الا خيراً ولكنّها تعظم على لشرفها وتؤذي فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فلا تطلقها وهو نهى تزويه اذا لولى ان لا يطلق أو واتق الله فلا تدمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي تخفي في نفسك نكاحها ان يطلقها زيد وهو الذي أبداه الله تعالى وقيل الذي أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد اياها والواو في وتخفي في نفسك (وتخشى الناس) أي قاله الناس انه

نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الاسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيته وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت أنا ابنة عمك يا رسول الله فلا أَرْضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني أخته زينب اذا قضى الله ورسوله أمر اي معنى نكاح زيد لزينب أن تكون لهم الخيرة من أمرهم أي الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما أراد الله أو يمنع مما أمر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) أي أخطأ خطأ ظاهراً فلما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيا وساماً وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيد ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً وملحفة وخمسين مداماً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر ﴿قوله عز وجل﴾ (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت في زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينئذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيداً ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش وقعت في نفسه وأعجبه حسنهما فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكر له ذلك ففطن زيد وألقى في نفسه كراهيتها في الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له مالك أراك منهاشي قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيراً ولكنّها تعظم على بشرها وتؤذي بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها ثم ان زيد اطلقها فذلك قوله عز وجل واذا تقول للذي أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه أي بالاعتقاد وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش (واتق الله) أي فيها ولا تفارقها (وتخفي في نفسك) أي تسرو وتضمري في نفسك (ما الله مبديه) أي مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس جهل وقيل ودأنه طلقها (وتخشى الناس) قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لأنهم أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال عمرو بن مسعود وعائشة ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكنتم هذه الآية واذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(فصل) فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندها ما رآها وارادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مدعيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تزويجه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيداً بما ساء كما هو محب تطبيقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب ما روى عن سفيان بن عيينة عن علي

نكح امرأته ابنة (والله أحق أن تخشاه) واو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك ارادة ان لا يمسه وتخفي خاشياً قاله الناس وتخشى الناس حقيقة في ذلك بان تخشى الله وعن عائشة رضي الله عنها لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحى اليه لكنتم هذه الآية

ابن زيد بن جده عن قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتحنى في نفسك ما الله مبديه وتحنى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أريد أن أطلق زينب أعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فإن الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وإن زيد أسير طلقها فلما جاء زيد قال اني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك وهذا هو الأولى والأليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجنا كما فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أن يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على أنه إنما عوتب على اخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيداً ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضى وكف من شيء يتعصم منه الانسان ويستحى من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله ورعا كان الدخول في ذلك المباح سائماً إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو أنما جعل الله طلاق زيد طلاقاً وزوج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لزالة حرمة التبنّي وإبطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أباً أحدهم رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فإن قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيداً بما ساء كما قلت هو ان الله تعالى أعلم بفيه أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس بتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته وقيل كان في أمره بما ساء كما فعل للشهوة ورد النفس عن هواها وهذه اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لوطقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال الانبياء مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وأنه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد ما أثم الان الودوميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لأنهم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشياء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فلما قضى زيد منها وطراً) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاشرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذلك كقضاء الوطير ليعلم ان زوجة المتبنّي تحل بعد الدخول بها (زوجنا كما) قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أبأؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لأدل عليك بثلاث ما من امرأة من نساءك تدل بهن جدي وجدك واحداً واني أنكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذا كرهها على قال فانطلق زيد حتى أتاهوا وهي تخمر عينيها قال فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كرهها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بك كرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجد هاو نزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن قال فلقد رأيته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبنى أماس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبعه نجر نساءه يسلم عليهن ويقفن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فإدري أنا أخبرته

(فلما قضى زيد منها وطراً)

الوطر الحاجة فاذا بلغ البالغ حاجته من شيء فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاشرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها (زوجنا كما) روى أنها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك أخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نساءه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار

(لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) قيل قضاء الوطر ادراك الحاجة وبلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكونه (مفعولا) مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد وأقدر له من عدد النساء (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم ترايا وجندا مؤكدا لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد (٥٠٣) كانت نختمهم المهائر والسراري وكانت لداود

مائة امرأة وثلاثمائة سرية
ولسليمان ثلاثمائة حرة
وسبع مائة سرية (في الذين
خلوا من قبل) في الانبياء
الذين مضوا من قبل (وكان
أمر الله قدرا مقدورا)
قضاء مقضيا وحكما مبتوتا
ولا وقف عليه أن جعلت
(الذين يبلغون رسالات
الله) بدلا من الذين الاول
وقف أن جعلته في محل الرفع
أو النصب على المدح أي هم
الذين يبلغون أو أعني
الذين يبلغون (ويخشونه
ولا يخشون أحدا الا الله)
وصف الانبياء بانهم لا
يخشون الا الله تعريضا في
قوله وتخشى الناس والله
أحق أن تخشاه (وكفى بالله
حسبنا) كافيا للمخاوف
وتحسبا على الصغيرة
والكبيرة فكان جديرا
بان تخشى منه (ما كان
محمد أبأ أحد من رجالكم)
أي لم يكن أبا رجل منكم
حقيقة حتى ثبت بينه
وبينه ما ثبت بين الاب

أن القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالتقى السريين وبينه ونزل
الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفي
رواية أكثر وأفضل ما أولم على زينب قال ثابت بن أوفى قال أظعمهم خبزا ولحاحا حتى تركوه ﴿ قوله عز وجل
(لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أي أم (في أزواج أدعيائهم) جمع الدعي وهو المتبني (إذا قضوا منهن
وطرا) يقول ز وجنالك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني وإن كان
قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للاب (وكان أمر الله مفعولا) أي قضاء الله ماضيا
وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله تعالى (ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله) أي فيما أحل الله له من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن
الله سنة في الانبياء وهو أن لا يحرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فانه
كان لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة وسليمان ثلثمائة امرأة وسبع مائة سرية
فكذلك سن محمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا)
أي قضاء مقضيا أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثبت الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات
الله) أي فرائض الله وسنته وأوامره ونواهيه الى من أرسلوا اليهم (ويخشونه) أي يخافونه (ولا يخشون
أحدا الا الله) أي لا يخافون قالة الناس ولا أئمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسبا) أي حافظا
لاعمال خلقه ومحاسبهم ﴿ قوله عز وجل (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما تزوج زينب قال الناس إن محمد تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم يعني زيد
ابن حارثة والمعنى انه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنكاح فان قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والظاهر وإبراهيم وقال للحسن ان ابني هذا سيد
قلت قد أخرجوا من حكم النبي بقوله من رجالكم وهو لا علم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم
يلد لهم (ولكن رسول الله) أي ان كل رسول هو أبوأمة فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب
الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس يريد
لأنه ختم به النبيين لجعل له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبى بعده لم يعطه ولدا ذكر
يصير رجلا (وكان الله بكل شيء عليما) أي دخل في علمه أنه لا نبى بعده فان قلت قد صح أن عيسى عليه السلام
ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبى قلت ان عيسى عليه السلام من نبى قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا
بشرية محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض أمته (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بناء فاحسنه وأجله الاموضع

ولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والظاهر والطيب والقاسم وإبراهيم
توفوا صبيانا (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبوأمة فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة
لهم عليه لافي سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والتبني
من باب الاختصاص والتقريب لا غير (وخاتم النبيين) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أي آخرهم يعني لا نبيا بعده وعيسى من نبى قبله
وحين ينزل يتزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كانه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل شيء عليما)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كَرَّوَا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (أَتَوْا عَلَيْهِ بِصِرِّ وَبِالْثَّنَاءِ وَأَكْثَرُوا ذَلِكَ) (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً) (أَوَّلَ النَّهَارِ) (وَأَصِيلًا) (آخِرَ النَّهَارِ) وَخَصَّ بِالذِّكْرِ لَانْ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةَ النَّهَارِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِمَا وَعَنْ قَتَادَةَ قَوْلُوا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالْفِعْلَانِ أَيُّ إِذَا كَرَّوَا اللَّهَ وَسَبِّحُوهُ مُوَجَّهَانِ إِلَى الْبُكْرَةِ وَالْأَصِيلِ كَقَوْلِكَ صَمَّ وَصَلَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالتَّسْبِيحِ مِنْ جِلَّةِ الذِّكْرِ وَأَنَا اخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِهِ اخْتِصَّاصَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ أَبَانَةً لِفَضْلِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَذْكَارِ لَانْ مَعْنَاهُ تَنْزِيهِهِ ذَاتَهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَجَازَانِ يَرَادُ (٥٠٤) بِالذِّكْرِ وَكَثْرَتِهِ تَكْثِيرُ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ فَانْهَامِنْ جِلَّةِ الذِّكْرِ ثُمَّ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ

التَّسْبِيحُ بُكْرَةً وَهِيَ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَأَصِيلًا وَهِيَ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ أَوْ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ (هُوَ الَّذِي يَصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْمَصَلِيِّ أَنْ يَنْعَظَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ اسْتَعِيرَ لِمَنْ يَنْعَظُ عَلَى غَيْرِهِ حَنَوا عَلَيْهِ وَتَرَوْفًا كَمَا تَدْرِي الْمَرِيضُ فِي انْعَظَافِهِ عَلَيْهِ وَالْمَرْأَةُ فِي حَنَوِهَا عَلَى وَلَدِهَا ثُمَّ كَثُرَتْ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي الرَّجَةِ وَالتَّرَوْفِ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ أَيُّ تَرْحَمُ عَلَيْكَ وَتَرَأْفُ وَالْمَرَادُ بِصَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ قَوْلُهُمْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ جَعَلُوا لِكُونِهِمْ مُسْتَجَابِي الدَّعْوَةِ كَأَنَّهُمْ قَاعِلُونَ الرَّجَّةَ وَالرَّأْفَةَ وَالْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يَتَرْحَمُ عَلَيْكُمْ وَيَتَرَأَفُ حِينَ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِكَثَرِ الذِّكْرِ وَالتَّوْفَرُّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالطَّاعَةِ (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) مِنْ ظُلُمَاتِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى نُورِ الطَّاعَةِ

لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَعَمِلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَتَجَبَّبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَنَةَ فَانَا اللَّبَنَةُ وَأَمَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَعَنْ جَابِرٍ نَحْوَهُ وَفِيهِ جُنَّتْ نَحْمَتُ الْأَنْبِيَاءِ (ق) عَنْ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحَدٌ وَأَنَا الْمَاسِي الَّذِي يَمُحُو اللَّهُ الْكُفْرَ فِي وَأَنَا الْخَاشِعُ الَّذِي يَخْشَى النَّاسَ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفَارْحِيمَا (م) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمِي لِنَافْسِهِ أَسْمَاءً فَقَالَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحَدٌ وَأَنَا الْمَقْفِيُّ وَأَنَا الْمَاسِي وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ الْمَقْفِيُّ هُوَ الْمَوْلَى الذَّاهِبُ يَعْنِي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَّبَعُ لَهُمْ فَذَا قَفِيَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كَرَّوَا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمْ يَفْرَضِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ فَرِيضَةً إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا ثُمَّ عَذَرَ أَهْلَهَا فِي حَالِ الْعَذْرِ غَيْرَ الذِّكْرِ فَانَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ وَلَمْ يَعْذِرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا مَعْلُومًا بِأَعْلَى عَقْلِهِ وَأَمْرُهُمْ بِهِ فِي الْأَحْوَالِ كَمَا هُوَ أَهْلُهَا فَذَكَرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَقَالَ تَعَالَى وَإِذَا كَرَّوَا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا يَعْنِي بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَفِي الصَّحَةِ وَالسَّعْيِ وَفِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَقِيلَ الذِّكْرُ الْكَثِيرُ أَنْ لَا يَنْسَاهُ أَبَدًا (وَسَبِّحُوهُ) مَعْنَاهُ إِذَا كَرَّمُوهُ بِبَنِي لَكُمْ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ وَالتَّزْيِينِ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَدَامَةِ لَانْ ذِكْرَ الطَّرَفَيْنِ يَفْهَمُ مِنْهُ الْوَسْطُ أَيْضًا وَقِيلَ مَعْنَاهُ صَلَاةُ الْبُكْرَةِ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَأَصِيلًا يَعْنِي صَلَاةَ الْعَصْرِ وَقِيلَ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَقِيلَ مَعْنَى سَبِّحُوهُ قَوْلُوا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ زَادَ فِي نَسْخَةِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَعَبَّرَ بِالتَّسْبِيحِ عَنْ أَخَوَاتِهِ وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ كَثِيرًا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ يَقُولُهَا الطَّاهِرُ وَالْجَنِّبُ وَالْخَائِضُ وَالْمُحْدَثُ (هُوَ الَّذِي يَصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الْاسْتِغْفَارُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقِيلَ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ هِيَ إِشَاعَةُ الذِّكْرِ الْجَلِيلِ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ قَالَ أَنَسٌ لَمَّا نَزَلَتْ أَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا خَصَّكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِشَرَفٍ إِلَّا وَقَدْ أَشْرَكَ كُفَّافُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يَعْنِي أَنَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَهُدَايَتِهِ وَدَعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لَكُمْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) فِيهِ بَشَارَةٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ يَصَلِّي عَلَيْكُمْ غَيْرُ مَخْتَصٍّ بِالسَّامِعِينَ وَقَدْ وَحِيَ بَلْ هُوَ عَامٌ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (نَحْمَتُهُمْ) يَعْنِي تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ) أَيُّ يَوْمِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (سَلَامٌ) أَيُّ يَسْلَمُ الرَّبُّ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَيَسْلَمُهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَرَوَى عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ نَحْمَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ يَعْنِي يَلْقَوْنَ مَلِكَ الْمَوْتِ لَا يَقْبِضُ رُوحَ مُؤْمِنٍ إِلَّا يَسْلَمُ عَلَيْهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ إِذَا جَاءَ مَلِكَ الْمَوْتِ لِقَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ قَالَ رَبُّكَ يَسْلَمُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ حِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ تَبَشِّرُهُمْ (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) يَعْنِي الْجَنَّةَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) أَيُّ لِلرَّسْلِ بِالتَّبْلِيغِ وَقِيلَ شَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (وَمُبَشِّرًا) أَيُّ لِمَنْ آمَنَ بِالْجَنَّةِ (وَنَذِيرًا)

(وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) هُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالصَّلَاةِ الرَّحْمَةِ وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ أَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ) قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا خَصَّكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِشَرَفٍ إِلَّا وَقَدْ أَشْرَكَ كُفَّافُهُ فَتَزَلَّتْ (نَحْمَتُهُمْ) مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ أَيُّ تَحِيَّةُ اللَّهِ لَهُمْ (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ) يَوْمُهُ (سَلَامٌ) يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى السَّلَامُ عَلَيْكُمْ (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) يَعْنِي الْجَنَّةَ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) عَلَى مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلَى تَكْدِيمِهِمْ وَتَعْدِيَتِهِمْ أَيُّ مَقْبُولًا قَوْلًا عِنْدَ اللَّهِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ كَمَا يَقْبَلُ قَوْلُ الشَّاهِدِ الْعَدْلُ فِي الْحُكْمِ وَهُوَ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ كَمَا يَقُولُ صَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَادِدًا بِهَ أَيُّ مُقَدَّرًا بِهَ الصَّيْدُ غَدًا (وَمُبَشِّرًا) لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ (وَنَذِيرًا) لِلْكَافِرِينَ بِالنَّارِ

(وداعيا الى الله باذنه) بامرء أو بتفسيره والكل منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلابه الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يحل ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على أنه القرآن فيكون التقدير وذاسراج منيرا وتاليا سراجا منيرا ووصف بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته أو شاهد ابوحده انبتنا ومبشر ابر حمتنا ونذير انبقتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا ووجه ظاهرة لحضرتنا (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) ثوابا عظيما (ولانطع الكافرين والمنافقين) المراد به التهميش أو الدوام والثبات على ما كان عليه (ودع اذاهم) هو بمعنى الابداء فيحتمل أن يكون مضافا الى الفاعل أى اجعل ابداءهم اياك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ابدائهم أو الى المفعول أى دع ابداءك اياهم مكافاة لهم (وتوكل على الله) (٥٠٥) فإنه يكفيهم (وكفى بالله وكبلا) وكفى به مفوض اليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير يدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بدله من عقاب عاجل أو أجل كاثوا منذر ين به في المستقبل والداعى الى الله بتفسيره بقوله وتوكل على الله فان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير يالا كتفاء به وكبلا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكفى به عن

أى لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) أى الى توحيد وطاعته (بأذنه) أى بامرء (وسراجا منيرا) سراجا منيرا لانه جلابه ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يحل ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فإنه يؤخذ منه أنوار كثيرة (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) أى ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولانطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم) قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لانجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكبلا) أى حافظا ﴿قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أى تجامعوهن ففي الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فانت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول على وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة و به قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبيرة والقسام وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم و به قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة وقع وان عظم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قاطعا فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فالكلم عليهن من عدة تعتدونها) أى تحصى عليها بالافراء والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق (فتعوهن) أى أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمي لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال

(٦٤ - (خازن) - ثالث) جميع خلقه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أى تزوجتم والنكاح هو الوطء في الاصل وتسمية العقد نكاحا لما لا يستلزمه من حيث انه طريق اليه كنسمة الخمر اثما لانها سببه وكقول الرازي * أسنة الآبال في سحابه سمي الماء بأسنة الآبال لانه سبب سمن الآبال وارتقاع أسنمتها ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملاسة والملاسة والقربان والتغشي والاتبان وفي تخصيص المؤمنات مع ان الكتابيات تساوي المؤمنات في هذا الحكم إشارة الى ان الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة (م طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والخلوة الصحيحة كالمس (فالكلم عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على ان العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها فتعلمون من العدة (فتعوهن) والمتعة تجب التي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها

(وسرحوهن سراح جيل) أي لا تمسكوهن ضرارا وأخرجوهن من منازلكم إذا عداكم عليهن (يا أيها النبي أنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن إذا مهر أجز على البضع ولهذا قال السكرخي أن النكاح بلفظ الاجارة جائز وقلنا التأيد من شرط النكاح والتأيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وإتاؤها إعطاؤها عاجلا أو فرضا وتسميتها في العقد (وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وهي صفة وجورية فاعتقهم ما وتزوجهم (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ومع ليس لقران بل لوجودها خب كقوله وأسلمت مع سليمان وعن أم هاني بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرتي فانزل الله هذه الآية فلم أحل (٥٠٦) له لاني لم أهاجر معه (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) وأحلنا لك من وقع لها ان

تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذا انكرها قال ابن عباس هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أوزي بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان (ان أراد النبي أن يستنكحها) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الاول شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال أحلنا هالك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان

لظاهر الآية (وسرحوهن سراح جيل) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن قوله عز وجل (يا أيها النبي أنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي من السبي فقل لكها مثل صفة وجورية وقد كانت مارية مما ماملكت يمينه فولدت له ابراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) الى المدينة فن لم تهاجر منهن لم يحزل نكاحها عن أم هاني بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرتي ثم أنزل الله أنا أحلنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لاني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الطهارة في التحليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحلنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكاكية بالمهر فذهب جماعة الى أنها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى أنه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء به قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التملك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى أنه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى أنه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج كافي في حق سائر الامة لقوله تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لاني لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح أو بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الابوي وشهود ومهر (وماملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من

تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحكام وأتمه سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل (خالصة) بلا مهر حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أي خاص لك احلال ما أحلنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزير كالعاقبة والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه أو نفاه عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكملة له لاجل النسوة ونكر يره أي نكر بر النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي ما أوجبنا من المهور على أمتك في زواجهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق (وماملكت أيمانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله

(لكيلا يكون عليك حرج) ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم جلة اعتراضية (وكان الله غفورا رحيما) بالتوسعة على عباده (ترجي) بلا همز مدني وحزة وعلى وخلف وحفص وهمز غيرهم تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء) تضم بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء وتطلق من تشاء وتمسك من تشاء ولا تقسم لآتين شئت وتترك زوج من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت وهذه (٥٠٧) قصة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان

يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلى المازولة لا يتنقها أو يتنقها وروى أنه أرجى منهن جويرة وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لمن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خساو آوى أربعا وروى أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخبر فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) أي ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك في ذلك أي ليس اذا عزلتها لم يحزلك ردها الى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتينهن كلهن) أي

الاحكام في ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع الى أول الآية معناه أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكي لا يكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) أي للواقع في الحرج (رحيما) أي بالتوسعة على عباده ﴿قوله تعالى﴾ (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي اليك) أي تضم اليك (من تشاء) قيل هذا للضم ينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرن شهر حتى نزلت آية التخير فأمره الله تعالى ان يخبرهن فمن اختارت الدنيا فارقهها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن أمهات المؤمنات لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لمن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واختارنه على هذا الشرط واختلفوا في أنه هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله من ذلك يسوي بينهن في القسم الاسودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها عائشة وقيل أخرج بعضهن روى عن أبي رزين قال لما نزل التخير أشفقن ان يطلقن فقلن يابني الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خسا أم حبيبة وميمونة وسودة وجويرة وصفية فكان يقسم لمن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن ترك نكاح من شئت وتكح من شئت من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهين أنفسهن فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن قالت يا رسول الله ما أرى ربك الا يسارع في هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي طلبت ان تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسم (فلا جناح عليك) أي لا اثم عليك فاباح الله له ترك القسم لمن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويأمن يشاء منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أي ذلك التخير الذي خيرتك في صحبتهم أقرب الى رضاهن وأطيب لانفسهن وأقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتينهن) أي أعطينتهن (كلهن) من تقر يب وارجاء وعزل وايواء (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليما) أي بما في ضمائركم (حليما) أي عنكم ﴿قوله تعالى﴾ (لا تحل لك النساء من بعد) أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترتك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهن

أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع تأ كيد لنون يرضين وقرى ويرضين كلهن بما آتينهن على التقديم وقرى شاذا كلهن بالنصب تأ كيدا لمن في آتينهن (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتق ويحذر (لا تحل لك النساء) بالنساء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيق واذا جاز بغير فصل فع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما

ان الاربع نصاب أمته (ولا ان تبدل بهن من (٥٠٨) أزواج) بالطلاق والمعنى ولا ان تبدل بهؤلاء التسع أزواجا آخر بكنهن أو بعضهن

كرامة لمن وجزاء على ما
اخترن ورضين فقصر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهن وهن التسع التي
مات عنهن عائشة حفصة
أم حبيبة سودة أم سلمة
صفية ميمونة زينب بنت
جحش جويرية ومن في
من أزواج لنا كيد النبي
وقادته استغراق جنس
الازواج بالتحريم (ولو
أعجبك حسنهن) في موضع
الحال من الفاعل وهو
الضمير في تبدل أي تبدل
لامن المفعول الذي هو من
أزواج لتوغلته في التنكير
وتقديره مفروضا أعجابك
بهن وقيل هي أسماء بنت
عميس امرأة جعفر بن
أبي طالب فاتها من أعجبه
حسنهن وعن عائشة وأم
سلمة مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى أحل له
ان يتزوج من النساء ما شاء
يعنى ان الآية نسخت
ونسخها ما بالسنة أو بقوله
انا أحلنا لك أزواجك
وترتيب النزول ليس على
ترتيب المصحف (الاما
ملكك يمينك) استثنى من
حرم عليه الاماء ومحمل ما
رفع بدل من النساء (وكان
الله على كل شيء رقيبا)
حافظا وهو محذير عن
مجاوزة حدوده (بأيتها

فاخترن الله ورسوله شكر الله لمن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال
بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيع له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنساء في أحل له أن
يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب
لومات نساء النبي صلى الله عليه وسلم كان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك
النساء من بعد قال نعم أحل له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك الآية ثم قال
لا تحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا أن تبدل
بهن من أزواج) أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية
الاما ملكك يمينك أي من الكتابيات فتفسرى بهن وقيل في قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج كانت
العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى
فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من أزواج أي تبادل بأزواجك غيرك بان تعطيه زوجته وتأخذ زوجته
فحرم ذلك الاما ملكك يمينك أي لا بأس ان تبادل بجارتك ما شئت فاما الحرائر فلا (ولو أعجبك حسنهن)
يعنى ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتكسح بدلا أخرى ولو أعجبك جاهلا قال ابن عباس يعنى أسماء
بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يخطبها فنهى عن ذلك (الاما ملكك يمينك) قال ابن عباس ملك بعدد ولاء مارية (وكان الله على كل
شيء رقيبا) أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى
ما يدعوه الى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة ان رجلا أراد أن يتزوج امرأة
من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في عين الانصار رشيا قال الجدي يعنى هو
الصفر عن المغيرة بن شعبه قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال
فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله عز وجل (يا أيها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن ولجة
زينب بنت جحش حين بنى بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن أنس بن مالك انه كان ابن عشرين
مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أم هانئ توافيني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقدمته عشرين سنين وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة وكنت أعلم الناس بشأن
الحجاب حين أنزل وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش حين أصبح النبي
صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم
فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا ففتى النبي صلى الله عليه وسلم
ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب
فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد
خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فاضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالسترو أنزل
الحجاب زاد في رواية قال دخل يعنى النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستروانى لى الحجرة وهو يقول
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى قوله والله لا يستحي من الحق (ق) عن عائشة
ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناسع وهو صعيد أفيح وكان عمر
رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم أحجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل

الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم

فخرجت

الى طعام غير ناظر بن اناه) ان يؤذن لكم في موضع الحال أي لا تدخلوا الا ما يؤذن لكم وفي معنى الظرف تقديره الا وقت أن يؤذن لكم وغير ناظر بن حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظر بن أي غير منتظر بن وهو لا يقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا ايها المتحينون للطعام الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظر بن اناه وانى الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى وقيل اناه وقته أي غير ناظر بن وقت الطعام وساعة كاه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتم وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجيا كل فوج ويخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجدا أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطلوا فقام رسول الله صلى (٥٠٩) الله عليه وسلم ليخرجوا فطاف رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالحجرات وسلم عليهم ودعوا له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رآه يتولى اخرجوا فرجع وزلت (ولكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعمتم فانثروا) فتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) هو محذور معطوف على ناظر بن أو منصوب أي ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدث به (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) من اخرجكم (وان الله لا يستحي من الحق) يعني ان اخرجكم حق ما ينبغي أن يستحي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحبي من بعض الافعال قيل لا

خرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طوية فناداها عمر ألقا قدر فذاك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع ^{للحجرات} المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول والغائط والصعيد وجه الارض والافج الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان يطلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثيابا كلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم يعني الا أن تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلون (غير ناظر بن اناه) يعني منتظر بن نضجه ووقت ادراكه (ولكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعمتم) أي أكلتم الطعام (فانثروا) أي اخرجوا من منزله وتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) أي لا تطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فهو عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) أي فيستحي من اخرجكم (والله لا يستحي من الحق) أي لا يترك ناديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحبي من بعض الافعال قال لا يستحي من الحق بمعنى لا يمنع منه ولا يترك الحبي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وقيل بحسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم (واذا سألتموهن متاعا) أي واذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسألوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة (ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) أي من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي ليس لكم اذا في شيء من الاشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وإيجاب حرمة حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمة حتى يمتن لها الموت

يستحي من الحق أي لا يمنع منه ولا يترك الحبي منكم هذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانثروا (واذا سألتموهن) الضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه (متاعا) عارية أو حاجة (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويودان ينزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وكران بعضهم قال انتهى ان نكح بنات عمنا الامن وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن فلانة فنزل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أي وما صح لكم اذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما

(ان تبدوا شيئا) من ابداء النبي صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن (أو تخفوه) في أنفسكم من ذلكم (فان الله كان بكل شيء عليا) فيعافبكم به ولم ينزل آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضا نكلمن من وراء حجاب فنزل (لا جناح عليهن في آبائهن ولا آبائهن ولا أخواتهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) أي نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) أي لا آتم عليهن في ان لا يحتجن من هؤلاء ولم يذكر الم (٥١٠) والحال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية الم ابا قال الله تعالى واله آباك

ابراهيم واسماعيل واسحق واسماعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور كالاجاب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كونه قيل (واتقين الله) فيها أمرين به من الاحتجاب وأنزل فيسه الوحي من الاستتار واحتطن فيه (ان الله كان على كل شيء شهيدا) عالما قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي قولوا اللهم صل على محمد ووصلي الله على محمد (وسلموا تسليما) أي قولوا اللهم سلم على محمد واتقوا لأمره وحكمه اتقيادوا وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال ان الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصل على الأقال ذاتك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين ولا

قبله ثلاث تكع بعده (ان تبدوا شيئا) أي من أمر نكاحهن على أنفسكم (أو تخفوه) أي في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليا) أي يعلم سرهم وعلايتهم نزلت فيمن أضر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولم ينزل آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكلمن من وراء حجاب فنزل الله عز وجل (لا جناح عليهن في آبائهن ولا آبائهن ولا أخواتهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) أي لا آتم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الأصناف من الأقارب (ولانسائهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكآيات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكآيات وانما قال ولانسائهن لانهن من أجناسهن (ولامالكت أيمانهن) اختلفوا في ان عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالأجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد (واتقين الله) أي أن يرا كن أحد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شيء) أي من أعمال العباد (شهيدا) قوله عز وجل (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله تناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الاسلام

فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الأخير وهو مذهب الشافعي وأحمد والرواتبين عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر ٢ واختاره الطحاوي من الحنفية والخلعي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد (ق) عن أبي حنيفة الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك جيد مجيد (م) عن أبي مسعود البدرى قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نسينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك جيد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على

أذ كر عند عبد مسلم فلا يصل على الأقال ذاتك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي وكما ذكر اسمه عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فكروه وهو شعار الروافض ٢ قوله واختاره الطحاوي الخ ضعيف والمعتمد قول الكرخي انها واجبة مرة وأما كلما ذكر فستحبه أفاده في مجمع الانهر وبه تعلم ما في كلام النسفي اه

ورسوله عن فعل مالا
يرضى به الله ورسوله
كالكفر وانكار النبوة
مجازا وانما جعل مجازا
فيهما وحقيقة الايذاء
يتصور في رسول الله لئلا
يجتمع المجاز والحقيقة في
لفظ واحد (لعنهم الله في
الدنيا والآخرة) طردهم
الله عن رحمته في الدارين
(وأعد لهم عذابا مهينا) في
الآخرة (والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير
ما كنسبوا) أطلق إيذاء
الله ورسوله وقيده إيذاء
المؤمنين والمؤمنات لان
ذاك يكون غير حق أبدا
وأما هذا فنه حق كالحد
والتعزير ومنه باطل قيل
نزلت في ناس من المنافقين
يؤذون عليا رضي الله عنه
ويسمعونه وقيل في زناة
كانوا يتبعون النساء وهن
كارهات وعن الفضيل
لا يحل لك أن تؤذي كلبا
أو خنزيرا بغير حق فكيف
إيذاء المؤمنين والمؤمنات
(فقد احتملوا) تحملوا
(بهتانا) كذباعظما (وانما
ميننا) ظاهرا (يا أيها النبي
قل لا زواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلايبهن)
الجلباب ما يسترا الكل مثل
الملحفة عن المبرد ومعنى

واحدة صلى الله عليه بها عشرة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة
صلى الله عليه بها عشرة وحطت عنه عشر خطيئة ورفع له عشر درجات أخرجه الترمذي وله عن أبي
طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت أنا ترى البشر في وجهك قال
أنا في الملك فقال يا محمد ان ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد الا صليت عليه عشرة ولا يصلي عليك
أحد الا صامت عليه عشرة وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن أمتي السلام عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس
بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن أبي طالب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل على أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال بالمكال الا وفي
اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته
كما صليت على ابراهيم انك جيد مجيد أخرجه أبو داود قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود
فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلوله وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث
ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذبه
اي في قوله لن يعيدني كما بدتني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اي في قوله اتخذ الله ولدا
وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقبل الليل والنهار معني هذا الحديث
أنه كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذمو الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من
أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه الى الدهر في
زعمكم وقيل معني يؤذون الله يلحدون في أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبي هريرة
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلق فليخلقوا ذرة
أولي خلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من آهان لي وليا فقد آذنته بالحرب ومعني
الاذي هو مخالفة أمر الله تعالى وار تكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزّه
عن أن يلحقه أذى من أحد وأما إيذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت ربا عيته وقيل
ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كنسبوا) أي من غير أن عملوا
مأوجبا أذا هم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) قيل انها نزلت في
علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا
يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهم فيتبعون المرأة فان سكنت تبعوها
وان زجرتهم اتهاوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرمة من الامه لان زى الكل
كان واحدا فخرج الحرمة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى أزواجهن فذكر واذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحر أن يتشبهن بالاماء فقال تعالى
(يا أيها النبي قل لا زواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) أي يرخين ويغطين
جمع جلابيب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء
يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال اذا زال التوبص وجه المرأة دن ثوبك على وجهك

ومن التبعض أى ترخى بعض جلبابها وفضله على وجهها تنفع حتى تميز من الامة أو المراد أن يتجلبين ببعض ما هن من الجلابب وأن لا تكون المرأة متبذلة فى درع وخمار كالامة ولها جلبابان فصاعداً فى بيتها وذلك ان النساء فى أول الاسلام على هجيراتهن فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لا فضل بين الحرة والامة وكان القتبان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن فى النخيل والفيضان للاماء ورما تعرضوا للحرة لحسبان الامة فامر أن يخالفن بزمن عن زى الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى أولى وأجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا) لماسلف منهم من التفريط (رحباً) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) فجورهم الزناة من قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض (والمرجعون فى المدينة) هم أناس كانوا يرجفون أخبار السوء عن سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كبت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت من الرجة وهى الزلزلة (لنفرينك بهم) (٥١٢) لنامرتك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) فى المدينة وهو عطف على

لنفرينك لانه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصبوا به عطف بهم لبعده حاله عن حال المعطوف عليه (الا قليلا) زماناً قليلاً والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عصاوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجعون عما يؤلفون من أخبار السوء لنامرتك بان تفعل الافعال التى نسوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا يسكنوك فيها الا زماناً قليلاً ريثما يرتحلون

وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابب الا عيناً واحدة ليعلم أنهن حارر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحباً) أى لماسلف منهم قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنبهة فعلاها بالدرة وقال بالكاع أنتشمين بالحرار أى القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحق به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خبيس قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أى عن ثقافتهم (والذين فى قلوبهم مرض) أى فجورهم الزناة (والمرجعون فى المدينة) أى بالكذب وذلك ان ناساً منهم كانوا اذا خرجت سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف رقيق كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وتفسوا الاخبار (لنفرينك بهم) أى لنحرسنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) أى لا يسكنونك فى المدينة الا قليلاً أى حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم ونحلى منهم المدينة (ملعونين) أى مطرودين (أئمتفقوا) أى وجدوا أو أدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلاً) أى الحكم فيهم هذا على الامر به (سنة الله) أى كسنة الله (فى الذين خلوا من قبل) أى فى المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما تقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) قوله عز وجل (يستلك الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يستلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استجبالاً على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحاناً لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها فى التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحبسهم بقوله (قل انما علمها عند الله) يعنى ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبياً ولا ملكاً (وما يدريك) أى أى شئ يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريباً) أى انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستجلبين واسكات للمتحنين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً يومقلب

فمضى ذلك اغراء وهو التحريض على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لا يجاورونك وجوههم الاملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معاً كما مر ولا ينتصب عن أخذ والان ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أئمتفقوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلاً) والتشديد يدل على التكثير (سنة الله) فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء أن يقتلوا أئمتا وجدوا (فى الذين خلوا) مضوا (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) أى لا يبدل الله سنته بل يحجر بها مجرى واحداً فى الامم (يستلك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استجبالاً على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحاناً لان الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب فامر رسوله بان يحبسهم بانه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديداً للمستجلبين واسكاتاً للمتحنين بقوله (قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) شيئاً قريباً أو لان الساعة فى معنى الزمان (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً) ناراً شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبداً) هذا يرد مذهب الجهمية لانهم يزعمون أن الجنة والنار قنبان ولا وقف على سعير الان قوله خالدين فيها حال عن الضمير فى لم (لا يجدون ولياً ولا نصيراً) ناصراً يمنعهم اذ كر (يومقلب

وجوههم في النار) تصرف في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت وخصت الوجوه لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة (يقولون) حال (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التني (وقالوا ربنا اننا أطعنا ساداتنا) جمع سيد ساداتنا شامى وسهل ويعقوب (٥١٣) جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين

لقنوه الكفر وزينوه لهم (وكبراءنا) ذوي الاسنان منا أو علماءنا (فاضلونا السبيل) يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لا طلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وقائدها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف (ربنا آثمهم ضعفين من العذاب للضلال والاضلال) والعنهم لعنا كبيرا (بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالناء تكثيرا لاعداد اللعان ونزل في شأن زيدوزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومنة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وأتهمهم إياه بقتل هرون فأحياء الله

وجوههم في النار) أي تتقلب ظهر البطن حين يسحبون عليها (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) أي في الدنيا (وقالوا ربنا اننا أطعنا ساداتنا وكبراءنا) يعني رؤس الكفر الذين لقنوه الكفر وزينوه لهم (فاضلونا السبيل) يعني عن سبيل الهدى (ربنا آثمهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعني ضعف عذاب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) أي لعنا متتابعاً ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) أي فظهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيهاً) أي كريمة إذا جاءه وقد قال ابن عباس كان حظياً عند الله لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محبوباً مقبولاً واختلفوا فيما أذى به موسى فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرا الحجر بنو به قال فجمع موسى بآثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما يمنع موسى من لباس فقام الحجر حتى نظر إليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرب بأقال أبو هريرة والله ان بالحجر نداء ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخاري ومسلم والبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلاً حياً يستير الأبرياء من جسده استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا السترا من عجب بجلده ما برص وما أدره واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلاه وما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بشوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملائمة من بني إسرائيل ورأوه عراة يأنوا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرب بأبعصاه فوالله ان بالحجر نداء من أثر الضرب ثلاثاً وأرباعاً وخمساً فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً الآية عظم الخصلة لنفخة فيها وقوله فجمع أي أسرع وقوله ثوبي حجر أي دع ثوبي يا حجر قوله وطفق أي جعل يضرب الحجر وقوله ندبها هو بفتح النون والدال وهو الأصح وأصله أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبهه بالضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبها بسكون الدال وقيل في معنى الآية ان أذاهم إياه انه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغياً لتقذف موسى بنفسها على رأس الملائكة فصمها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حين أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً في القسمة فاعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطي عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطي ناساً من أشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لا أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصوف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد أذى بك أكثر من هذا فصبر الصبر بكسر الصاد صبح أحمري صبح به الأديم ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً) قال ابن عباس صواباً وقيل صدقاً وقيل هو قول لا اله الا الله

(٦٥ - (خازن) - ثالث) تعالى فاخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كبراً نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم (وكان عند الله وجيهاً) ذاجاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والاعمش وكان عبد الله وجيهاً (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً) صدقاً وصواباً وقاصداً إلى الحق والداد القصد إلى الحق والقول بالعدل والمراد منهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسددوا قلوبهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تكلف

على سبب الان جواب الامر قوله (يصلح لكم اعمالكم) يقبل طاعتكم أو يوفقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أي بمعها والمعنى راقبوا الله في حفظ السننكم وتسد بقولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم ونكفيرها وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان لينتدفع عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البالغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (اما عرضنا الامانة على السموات والارض (٥١٤) والجبال) وهو يراد بالامانة الطاعة لله وبحمل الامانة الحياطة يقال فلان حامل

للأمانة ومحمّل لها أي لا يؤذيها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته اذ الامانة كأنهارا كبة للمؤمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولي عليه حق فاذا أداها لم يبق رابكة له ولا هو حامل لها يعني ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد اتقادت لامر الله اتقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجادات واطاعت له الطاعة التي تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكويناً ونسوبة على هيات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين وأخبر أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والهواب يسجدون لله

(يصلح لكم اعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم) ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما أي ظفر بالخير العظيم قوله عز وجل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على أنهم اذا أدوها تأبهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيل والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمر وأبه ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعها فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولايمان لمن لا أمانة له وفي رواية عن ابن عباس هي أمانات الناس والوفاء بالعهود وحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على أعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لمن أتحمّل هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنن جوز يقن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مستخرات لا مراك لانريدنوا بالوعاقب وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيماً لله تعالى أن لا يقوموا بها الا معصية ولا مخالفة لامرءه وكان العرض عليهن تحييراً لا إلزاماً ولو ألزمن لم يمتنعن من حملها والجادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامرءه ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها والقول الاول أصح وهو قول الطائفة (قابين أن يحملنها وأشفقن منها) أي خفن من الامانة أن لا يؤدبنها فيلحقهن العقاب (وحملها الانسان) يعني آدم قال الله عز وجل لآدم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تقبها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنن جوزيت وان أسأت عوقبت فتحمّلها آدم فقال بين أذني وعاتقي قال الله أما اذا تحملت فأسأ عينك وأجعل لبصرك حجاباً فاذا خشيت أن لا تنظر الى ما لا يحل فأرخ عليه حجاباً وأجعل لسانك لحين وغلاً فاذا خشيت فاعلقه وأجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة الامقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله أنه فرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام وقواه وأشد ما أن يحمله ويستقل به فأبى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وضعف قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال

وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله وأما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الاتقياد ابن لاوامر الله ونواهي وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجادات فيما يصح منها ويليق بها من الاتقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (قابين أن يحملنها) أي أبين الحياطة فيها وان لا يؤدبنها (وأشفقن منها) وخفن من الحياطة فيها (وحملها الانسان) أي خان فيها وأبى أن لا يؤدبها (انه كان ظلوماً) لكونه نارك لا أداء الامانة (جهولا) لا خطاه ما يستد مع تمكنه منه وهو أداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حلال الامانة أي خانا ولم يطيعا ومن أطاع من الانبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوماً جهولا وقيل معنى الآية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأقواه فأبى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه انه كان ظلوماً جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يلحها وضمنها ثم خان بضمها فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الاعلى أساليبهم من ذلك قولهم لو قيل لنسبح

أين تذهب لقال أسوى العوج واللام في (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) للتعليل لان التعذيب هنا نظير التأديب في قولك ضربته للتأديب فلا تقف على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين (٥١٥) والمؤمنات) وقرأ الاعمش ويتوب الله بالرفع

ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويتبدى ويتوب الله ومعنى الشهيرة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا توب على الوافي كان نوعا من عذاب الغادر والعاقبة أي جعلها الانسان قال الامر الى تعذيب الاشقياء وقبول توبة السعداء (وكان الله غفورا) للتائبين (رحيما) بعباده المؤمنين والله الموفق للصواب

(سورة سبأ مكية وهي أربع وخسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد) ان أجرى على المعهود فهو بما حده نفسه محمود وان أجرى على الاستغراق فله لكل المحامد الاستحقاق (لله) بلام التملك لانه خالق ناطق الجدا أصلا فكان ملكه مالك الحمد للتحديد هلا (الذي له ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا وقهرا فكان حقيقا بان محمد سرا وجهرا (وله الحمد في الآخرة) كما هو له في الدنيا اذ النعم في الدارين من المولى غير أن الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم

ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بما يمر به وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصي به جهولا أي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمائها وقيل في تفسير الآية أقوال آخر وهو ان الله تعالى اتمن السموات والارض والجبال على كل شيء واتمن آدم وأولاده على شيء فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلق له وقوله فابين أن يحملها أي ادين الامانة ولم يخن فيها وأما الامانة في حق بني آدم فهي ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وجعلها للانسان أي خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حلا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاول

(فصل) في الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين فسرأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الجمل كجمر دسرجته على رجله فكيف فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدسرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا أميننا حتى يقال للرجل ما أجده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه وأما اليوم فما كنت لا بايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة في جذر قلوب الرجال جذر الشيء أصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة في الشيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أثر العمل وقيل انما هو النقاط في الجلد وقد فسر الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شيء (خ) عن أبي هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء عرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فذكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيبت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهلها فانتظر الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي بما خانوا الامانة ونقضوا العهد (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ل يظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله و يظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيما) والله أعلم بما راده وأسرار كتابه

(تفسير سورة سبأ وهي مكية)

(أربع وخسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة ٣ وألف وخمسمائة واثناعشر حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيقي بان محمد وبنو بني عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض أي ملكا وخالقا (وله الحمد في الآخرة) أي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كما هو له في الدنيا كما هو له في الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد

التكليف وانما يحمد أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بآمانا لو امن الاجر ٢ قوله وثلاث وثلاثون كذا ببعض نسخ الخازن وفي بعضها بدون ثلاث وفي الخطيب ثلاث وثمانون وعلم الصواب من ذلك عند العليم الخبير ٥

ولا يجوز انكم بالفتح للام في خبره (أفترى على الله كذبا) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها (أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبترأ منهم ما بل هؤلاء القائلون الكافر ون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤذيه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلاهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأت نخسف بهم) وبالادغام على التقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء (الارض أو نسقط) الثلاثة (٥١٧) بالياء كوفي غير عاصم لقوله أفترى على الله

كذبا (عليهم كسفا) كسفا حفص (من السماء) أي أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حينما كانوا رأيا سارا وأمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدران أن ينفذوا من أقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم الرسول وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الايكة (ان في ذلك) النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وسأند لان عليه من قدرة الله تعالى (آية) دلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مطيع له اذ المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد

ان تكونوا رفاتا وترابا) (أفترى على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (أم به جنة) أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى رداع عليهم ليس محمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون في شيء وهو مبترأ منهما (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني منكرو البعث (في العذاب والضلال البعيد) أي عن الحق في الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي فيعلموا انهم حيث كانوا في ارضي وتحت سمائي فان ارضي وسمائي محيطتا بهم لا يخرجون من أقطارها وأنقادهم (ان نشأت نخسف بهم الارض) أي كما خسفنا بقارون (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي كما فعلنا بصحاب الايكة (ان في ذلك) أي فيما ترون من السماء والارض (آية) أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) أي نائب راجع الى الله بقلبه ﴿ قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (يا جبال أوبي معه) أي وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعى معه اذا رجع ونوحى معه اذا نوح (والطير) أي وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح أو بالنيابة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل أو فتور أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشطه (والناله الحديد) يعني كان الحديد في يده كالسمع أو كالبحين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فيقيض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (أن اعمل سابقات) أي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حاق

آتيناد داود منا فضلا (لا يا جبال) بدل من فضلا أو من آتيناد بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال (أوبي معه) من التأويب رجعى معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح مجزة لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا دعاهم أجابوا اشعارا بانه ما من حيوان الا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولو قال آتيناد داود منا فضلا لتأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة (والناله الحديد) وجعلناه له ليأكلها كالطين المجنون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة (أن اعمل) أن بمعنى أي وأمرناه أن اعمل (سابقات) دروعا واسعة نامية من السبع وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم

ما تقولون في دار دفيثوا عليه ففيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسببه (٥١٨) ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير

دقا فتقلق ولا غلاظا فتقسم الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (صالحا) خالصا يصلح للقبول (اني بما تعملون بصير) فاجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا ورفع الريح أبو بكر وحاد والفضل أي لسليمان الريح مسخرة (غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وكان يغدو من دمشق فيقيل باسطخر فارس وبينهما مسيرة شهر وروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بمرقند (وأسلناه عين القطر) أي معدن النحاس فالقطر النحاس وهو الصفر ولكنه أسأله وكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب وماء عين القطر باسم ما آل إليه (ومن الجن من يعمل) من في موضع نصب أي وسخرنا من الجن من يعمل (بين يديه باذن ربه) بأمر ربه (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) الذي أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) أي مساجد وقيل كان نارفن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقتة (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتدال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفع قامته رجل فأوحى الله إليه ألم أقض ذلك على يدك ولكن ابنك أملكك بعدك اسمه سليمان أقضى أمه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب أئمة بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقدم عليهم الأعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ر بضا وأنزل على كل ر بض منها سبطا من الأسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أما كنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أما كنها فأتى من ذلك بشئ كثير لا يحصىه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار وتصويرها ألواحا وأصلاح تلك الجواهر وتقب اليواقيت والآلئ فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه بالآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالآواح الفير وزج فلم يكن على وجه تلك الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أخبار بني إسرائيل وأعلمهم أنه بناء لله تعالى وإن كل شئ فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيداً روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكماً يوافق حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزم إلا الصلاة فيه إلا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النساء وغير النساء سألن ربه ثلاثاً فأعطاهن اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاهن الثالث فذكر نحو قوله لا ينهزم أي لا ينهض إلا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه فاختصر فخرب المدينة وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله إلى دار ملكه بالعراق وبني الشياطين لسليمان باليمن

الدرع ولا تجعل المسامير دقا فتقلق ولا غلاظا فتقسم الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (اني بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه ان مسيرة غدوتك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير وراحها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهرين قبل كان يغدو من دمشق فيقيل باسطخر و بينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل و بينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بمرقند (وأسلناه عين القطر) أي أذبناله عين النحاس قال أهل التفسير أجزيت له عين النحاس ثلاثة أيام لبيا لهن كجري الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يزغ) أي يعدل (منهم) من الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقتة (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتدال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفع قامته رجل فأوحى الله إليه ألم أقض ذلك على يدك ولكن ابنك أملكك بعدك اسمه سليمان أقضى أمه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب أئمة بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقدم عليهم الأعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ر بضا وأنزل على كل ر بض منها سبطا من الأسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أما كنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أما كنها فأتى من ذلك بشئ كثير لا يحصىه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار وتصويرها ألواحا وأصلاح تلك الجواهر وتقب اليواقيت والآلئ فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه بالآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالآواح الفير وزج فلم يكن على وجه تلك الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أخبار بني إسرائيل وأعلمهم أنه بناء لله تعالى وإن كل شئ فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيداً روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكماً يوافق حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزم إلا الصلاة فيه إلا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النساء وغير النساء سألن ربه ثلاثاً فأعطاهن اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاهن الثالث فذكر نحو قوله لا ينهزم أي لا ينهض إلا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه فاختصر فخرب المدينة وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله إلى دار ملكه بالعراق وبني الشياطين لسليمان باليمن

يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) الذي أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقتة (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وما كن

(ونمايل) أي صور السباع والطيور وروى أنهم عملوا لأسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران باجنتهما وكان التصوير مباحا حيثئذ (وجفان) جمع جفنة (كالجواب) جمع جابية وهي الحياض الجار قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل كالجواني في الوصل والوقف مكي ويعقوب وسهل وافق أبو عمرو في الوصل الباقيون بغيرياء اكتفاء بالكسرة (وقدور راسيات) ثابتات على الأنا في لا تنزل عنها العظماء وقيل إنها باقية باليمن وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أي ارجعوا أهل البلاد وأسألوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرهم فعملوا له أحوال أي شاكرين (٥١٩) أو اشكروا واشكرا لأن عملوا فيه معنى اشكروا

من حيث أن العمل للنعم شكر له أو مفعول به يعني أناسخروا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أتم شكرا وسئل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين بدى المعبود (وقليل من عبادي) يسكون الياء حمزة وغيره بفتحها (الشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكذا وعن ابن عباس رضي الله عنه من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وحكي عن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي (فلم أقضينا عليه الموت) أي على سليمان (ما دلهم) أي الجن وآل داود (على مونه الأداة الأرض) أي الأرض وهي دويبة يقال لها سرفة والأرض

قصورا وحصونا عجيبه من الصخر وقوله عز وجل (ونمايل) أي ويعملون له نمايل أي صور من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد لإبرارها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل أن اتخذوا الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز أن يختلف فيه الشرائع لأنه ليس من الأمور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما يقبح في كل الشرائع قيل عملوا لأسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط له الأسدان ذراعيهما وإذا جلس أظله النسران باجنتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والأسود على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من أراد النوم منه (وجفان) أي قصاع (كالجواب) أي كالحياض التي يجي فيها الماء أي يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) أي ثابتات على أئانها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها العظماء أو كان يصعد إليها بالسلام وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكر النعمتي وقوله تعالى (فلم أقضينا عليه الموت) أي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك أنه كان لا يصبح يوما إلا وقد نبتت في محرابه بيت المقدس شجرة فبسط لها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لا شيء خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها وتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت له داء كتب ذلك حتى نبتت الخروب فقال لها ما أنت قالت أنا الخروب قال ولا شيء نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاك وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب شيئا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فكشوا بوابون بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الأرض عظام سليمان فخر ميتا فعملوا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الأرض ففهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (ما دلهم على مونه الأداة الأرض) يعني الأرض (تأكل منسأته) قال البخاري يعني عصاه (فلما خربت بيت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه علمت

فعلها فاضيفت إليه يقال أَرْضُ الخشب أرضا إذا أكلتها الأرض (تأكل منسأته) والعصا تسمى منسأة لأنه ينسأ بها أي يطرد ومنسأته بغير همز مدني وأبو عمرو (فلما خرو) سقط سليمان (تبينت الجن) علمت الجن كلهم علما يبين بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فستاق موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بأن يسموه فلما بقي من عمره سنة سأل ربه أن يعمر عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت

القدس لاربع مضين من ملكه وروى ان افريدون جاء ليصعد كرسية فلما دنا ضرب الاسد ان ساقه فكسرها فلم يحسرها فمجرأ أحد بعده أن
 يدنونه (لقد كان لسبأ) بالصرف بتأويل الحى وبعده أبو عمرو وتأويل القبيلة (في مسكنهم) حزة وحفص مسكنهم على وخلف وهو
 موضع سكنهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا يقيمون فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم (آية) اسم كان (جنتان) بدل
 من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره (٥٢٠) الآية جنتان ومعنى كونهما آية ان أهلها لما عرضوا عن شكر الله سبحانه الله

النعمة ليعتبروا ويتعظوا
 فلا يعودوا الى ما كانوا عليه
 من الكفر وغمط النعم أو
 جعلها آية أى علامة دالة
 على قدرة الله واحسانه
 وجوب شكره (عن
 يمين وشمال) أراد جماعة من
 البساتين جماعة عن
 يمين بلدهم وأخرى عن
 شمالها وكل واحدة من
 الجماعتين في تقاربها
 وتضامها كلها جنة واحدة
 كما تكون بساتين البلاد
 العامرة أو أراد بستان كل
 رجل منهم عن يمين
 مسكنه وشماله (كلوا من
 رزق ربكم واشكروا له)
 حكاية لما قال لهم أنبياء
 الله المبعوثون اليهم أولا
 قال لهم لسان الحال أوهم
 أحقاء بان يقال لهم ذلك
 ولما أمرهم بذلك أتبعوه
 قوله (بلدة طيبة ورب
 غفور) أى هذه البلدة
 التي فيها رزقكم بلدة طيبة
 وربكم الذي رزقكم وطلب
 شكركم رب غفور لمن
 شكره قال ابن عباس
 كانت سبأ على ثلاث
 فراسخ من صنعاء وكانت

الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسيامان وهو ميت ويظنون به
 حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى
 الآية أنه ظهر أمر الجن وانكشف للانس أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك
 ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء
 بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين ٥٢٠ قوله عز وجل (لقد كان لسبأ
 في مسكنهم آية) عن فروة بن مسيك المرادى قال لما نزل في سبأ ما أنزل قال الرجل يا رسول الله وما سبأ
 أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنها رجل ولد عشرة من العرب فتيا من منهم ستة ونشأ من منهم
 أربعة فاما الذين نشأوا فلهم وجدام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والاشعريون وجبر وكندة
 ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خشم وبجيلة أخرجه الترمذي مع زيادة
 وقال حديث حسن غريب وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أى بمأرب من أرض
 اليمن آية أى دلالة على وحدانية ما وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أى بستانان (عن يمين وشمال)
 أى عن يمين الوادى وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا)
 أى قيل لهم كلوا (من رزق ربكم) أى من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكنتها على رأسها وتغر
 بالجنتين فيمتلئ المكنتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئا (واشكروا له) أى على ما رزقكم
 من النعمة واعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أى أرض مأرب وهي سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل
 لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه
 القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب أى وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب
 غفور لمن شكره ٥٢٠ قوله عز وجل (فاعرضوا) قال وهب أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعاهم الى الله
 تعالى وذكروا نعمته عليهم وأنذرهم عقابه فكذبوههم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا ربكم
 فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم (فارسنا عليهم سيل العرم) العرم الذي لا يطاق
 قيل كان ماء أحر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي يحبس الماء وقيل العرم
 الوادى قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهما
 فامرت بواديهما قسدا بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه
 بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا
 عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب
 الاعلى ففتح فجري ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل
 فلا ينقذ الماء حتى يشوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعد هامة فلما طغوا
 وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وأخرب أرضهم وقال
 وهب رأوا قباير عمون ويجدون في علمهم ان الذي يخرب سددهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الار بطوا

أخصب البلاد ونخرج المرأة على رأسها المكنتل فتعمل بيدها ونسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكنتل مما ينساقط
 عندها
 فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت فله طيب هوأها (فاعرضوا) عن
 دعوة أنبيائهم فكذبوههم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة (فارسنا عليهم سيل العرم) أى المطر الشديد أرا العرم اسم الوادى أدهو الجرذ الذي
 نهب عليهم السكر لما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله فغرقهم

(و بدلناهم بجنتهم) المذكورين (جنتين) وتسمية البدل جنتين للمشاكله وازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (ذوائى أكل خط) الا كل الثمر يشقل ويخفف وهو قراءه نافع ومكى والخط شجر الاراك وقيل كل شجر ذى شوك (وأثل وشئ من سدر قليل) الاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نون الا كل وهو غدير أبى عمرو ان أصله ذوائى أكل أكل خط خذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الا كل بالخط كأنه قيل ذوائى أكل بشع ووجه أبى عمرو ان أكل الخط فى معنى البربر وهو غدير الاراك اذا كان غضا فكانه قيل ذوائى بربر والاثل والسدر معطوفان على أكل لاعلى خط لان الاثل لا أكل له وعن الحسن قل السدر لانه أكرم ما بدلو لانه يكون فى الجنان (ذلك جزيناهم بما كفروا) أى جزيناهم ذلك (٥٢١) بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وهل يجازى

الا الكفور) كوفى غير أبى بكر وهل يجازى الا الكفور غيرهم معنى وهل يجازى مثل هذا الجزاء الا من كفر الذممة ولم يشكرها أو كفر بالله أو هل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل فى معنى المعاقبة وفى معنى الاباءة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) أى بالماء والشجر وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) أى متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقرىها من اقليل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية وبقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبأ الى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (وقدرنا فيها السير) أى قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم فى العدو والراح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أى وقلنا لهم سيروا (فيها ليالى وأياما) أى فى أى وقت شتم (آمنين) أى لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسثموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا بعد مماتى كان أجدر أن نشتهيها وطلبوا الكد والتعب فى الاسفار (فقالوا ربنا بعدين أسفارنا) وقرى باعدين أسفارنا أى اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلات لتركب فيها الرواحل وتزود الازواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الاجابة (وظلموا أنفسهم) أى بالبطر والطغيان (جعلناهم أحاديث) أى عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل التفريق وقيل لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فاما غسان فاحقوا بالشام ومر الازدالى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج

عند هاهنا فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التفریق أقبلت فيما يذكرون فأرة جراء كبيرة الى هرة من تلك الطرارفسا ورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغل فى السد وحفرت حتى أو هنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاءه السيل وجد دخلا فدخل منه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيدي سبا فذلك قوله تعالى فارسنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم بجنتهم جنتين ذوائى أكل خط) قيل هو شجر الاراك وثمره البربر وقيل كل نبت أخذ طعمها من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خط وقيل هو غدير شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به (وأثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء لانه أعظم منه (وشئ من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه فى الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذى بدلوا مما ينتفع به بل كان سدر ابريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) أى ذلك الذى فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل يجازى الا الكفور) أى هل يكافأ بعمله الا الكفور لله فى نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى ويجزى بحسناته ولا يكافأ بسيئاته (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) أى بالماء والشجر وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) أى متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقرىها من اقليل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية وبقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبأ الى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (وقدرنا فيها السير) أى قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم فى العدو والراح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أى وقلنا لهم سيروا (فيها ليالى وأياما) أى فى أى وقت شتم (آمنين) أى لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسثموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا بعد مماتى كان أجدر أن نشتهيها وطلبوا الكد والتعب فى الاسفار (فقالوا ربنا بعدين أسفارنا) وقرى باعدين أسفارنا أى اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلات لتركب فيها الرواحل وتزود الازواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الاجابة (وظلموا أنفسهم) أى بالبطر والطغيان (جعلناهم أحاديث) أى عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل التفريق وقيل لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فاما غسان فاحقوا بالشام ومر الازدالى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج

(٦٦ - (خازن) - ثالث) السير) أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر فى قرية ويروح فى أخرى الى أن يبلغ الشام (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول نمة ولكنهم لما مكثوا من السير وسويت لهم أسبابه فكانهم أمروا بذلك (ليالى وأياما آمنين) أى سيروا فيها ان شتم بالليل وان شتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أى سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وان تطاولت مدة سفركم وامتدت اياما وليالى (فقالوا ربنا بعدين أسفارنا) قالوا ياليتنا كانت بعيدة ففسر على نجابتنا ونرجح فى التجارات ونفاخر فى الدواب والاسباب بطروا النعمة وملاوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكى وأبو عمرو (وظلموا) أى ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم تفرقنا اتخذوا الناس مثلام ضرروا يقولون ذهبوا

أيدي سبا وتفرقوا أيدي سبا فخلق غسان بالشام وانمار يثرب وجندام بنهامة والازد بعمان (ان في ذلك آيات لكل صابر) عن المعاصي (شكور) للنم أو لكل مؤمن لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (واقصد صدق عليهم ابليس ظنه) بالثبديد كوفي أي حقق عليهم ظنه أو وجده صادقاً بالتخفيف غيرهم أي صدق في ظنه (فاتبعوه) الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبا ولبنى آدم وقلل المؤمنين بقوله (الافريقا من المؤمنين) لقلتهم بالاضافة الى الكفار ولا نجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) لابليس على الذين صار ظنه فيهم صدقاً (من سلطان) من تسيط واستيلاء بالسوسة (الانعلم) موجوداً ما علمناه معدوماً والتغيير على المعلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) ور بك على كل شيء حفيظ (محافظ عليه وفعل ومفاعل متآخيان) (قل) لشركي قومك (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي زعمتموهم آلهة من دون الله فالمفعول (٥٢٢) الاول الضمير الراجع الى الموصول وحذف كما حذف في قوله هذا الذي بعث الله

استخفاً فالطول الموصول بصلته والمفعول الثاني آله وحذف لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوماً فاذا مفعولاً زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله الاصنام والملائكة وسميتهم باسمه والتجوا اليهم فيما يعرفكم كما تتجئون اليه وانتظروا استجابتهم له عائكم كما تنتظرون استجابته ثم اجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضر (في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك) وما لهم في هذين الجنين من شركة في الخلق ولا في الملك (وما له تعالى) منهم من آلهتهم (من ظهري) من

ولحق آل خزيمه بالعراق (ان في ذلك آيات) أي لغير اود لا لاهل (لكل صابر) أي عن المعاصي (شكور) أي لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء مثلاً كركل النعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واقصد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظره فانظره الله قال لا غو بهم ولا ضلهم ولم يكن متقين وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم سمعتم وانما قاله ظناً فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفاً ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا (وما كان له عليهم من سلطان) أي ما كان تسيطنا اياه عليهم (الانعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي لئري ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذ كان معلوماً عنده لانه عالم الغيب (ور بك على كل شيء حفيظ) أي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل) أي قل يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) أي انهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) يعني من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) أي لا آلهة (فيهما) أي في السموات والارض (من شرك) أي من شركة (وما له) أي الله (منهم) أي من الآلهة (من ظهري) عوين (ولا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن أذن له) أي لمن أذن الله له في الشفاعة قاله تكذيباً للكفار حيث قالوا هو لاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز أن يكون المعنى الا لمن أذن الله في أن يشفع له (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية نصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فرغ عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذي قال (الحق وهو العلي الكبير) وللترمذي اذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة باجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعوا جاعع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجمر المسلسلة على الصفاة فيصمقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فرغ عن قلوبهم فيقولون عوين يعني على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا

كبارجى (ولا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن أذن له) أي أذن له الله يعني الامن وقع الاذن للشفيع لاجله وهي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمره أي لاجله وهذا تكذيب لقولهم هو لاء شفعاؤنا عند الله اذن له كوفي غير عاصم الا الاعمش (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) أي كشف الفزع من قلوب الشافعين والمنشفوع لهم بكلمة يسكنهم بهارب العزة في اطلاق الاذن وفرغ شامى أي الله تعالى والتفريع ازالة الفزع وحتى غاية لما فهم من ان ثم انتظار الاذن وتوقفوا فرغوا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم كأنه قيل يتر بصون ويتوقعون ملياً فرعين حتى اذا فرغ عن قلوبهم (قالوا) سأل بعضهم بعضاً (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى (وهو العلي الكبير) ذو العلو والكبر يا ابليس ملك ولا نبى أن يسكن ذلك اليوم الا باذنه وأن يشفع الا لمن ارتضى

الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام
 المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن
 خوطب به قد أتصفك صاحبك وفي درجه بعد
 ما تقدم ما تقدم من التقرير دالة غير خفية على من
 هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال
 المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل الى الغرض
 ونحوه قولك للكاذب أحدنا الكاذب وخوف
 بان حرفي الجبر الداخلين على الهدى والضلال لان
 صاحب الهدى كأنه مستعمل على فرس جوادير كفه
 حيث شاء والضال كأنه ينفذ مس في ظلام لا يرى
 أين يتوجه (قل لا تستلون عما أجر منا ولا تستل عما
 نعملون) هذا أدخل في الانصاف من الاول حيث
 أسند الاجرام الى المخاطبين وهو من جور عنه محظور
 والعمل الى المخاطبين وهو مأمور به مشكور (قل
 يجمع بيننا ربنا) يوم

اُنْهَجُوهُ وَاَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍ • فَشَرِّكَ خَيْرٌ مِّنْ الْفَدَاءِ

القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بالحكم (قل أروني الذين ألحقتم) أي ألحققوهم (به) بالله (شركاء) في العبادة معه ومعنى قوله أروني وكان يراهم أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الشركاء (به) (كلا) ردع وتنبية أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشأن (الحكيم) في تديره (وبما أرسلناك إلا كافة للناس) إلا رسالة عامة لهم محيط بها لأنها إذا شملتهم فقد كففتهم أن يخرج منها أحدهم وقال الزجاج معنى كافة في اللغة الإحاطة والمعنى أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ فجعله حالاً من الكافة والتاء على هذا المبالغة كانه

الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن أقر (وذكرا) بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيصلهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة المشار إليها في قوله فل يجمع بيننا (ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف لموعدهم من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم وأما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول بعير سانية (لا تتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستقمال ولا التقدم إليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لاسترشاد إبقاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على الإنكار والتعنت وأنهم مصادون ليوم يقاضونهم فلا يستطيعون تأخر اعنه ولا تقدماء عليه (وقال الذين كفروا) أي أبو جهل وذووه (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل عليه من إعادة الأجزاء حقيقة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون) محبسون (عند ربهم يرجع) يرد (بعضهم إلى بعض القول) في الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم وما لهم في الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم يخاطبوا ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم رأيت الحجب (٥٢٤) خذف الجواب (يقول الذين استضعفوا) أي الاتباع (للذين استكبروا) أي

للرؤس والمقدمين (لولا أنتم لكانوا مؤمنين) لولا دعاؤكم إيانا إلى الكفر لكانوا مؤمنين بالله ورسوله (قال الذين استكبروا والذين استضعفوا نحن صدقناكم عن الهدى) أولى الاسم أي نحن حرف الإنكار لأن المراد إنكار أن يكونوا هم الصادقين لهم عن الإيمان وثابت أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم (بعداذ جاءكم) انما وقعت اذ مضى إليها وان كانت اذ واذامن الظروف اللازمة للظرفية لانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف إليها

تكن لاحد من كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث إلى قومه أو إلى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافة كفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للبالغة (بشيرا) أي لمن آمن بالجنة (وذكرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بان يزاد في آجالهم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والانجيل (ولو ترى) أي يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم رأيت الحجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والاشراف (لولا أنتم لكانوا مؤمنين) يعني أنتم منعونا عن الإيمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أي أجاب المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا نحن صدقناكم) أي منعناكم (عن الهدى) أي عن الإيمان (بعداذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أي بترك الإيمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي مكركم بنافي الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الأمل فيها (اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسرؤا الندامة) أي أظهروها وقيل أخفوها وهو من الاضداد (لمارأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا)

الزمان (بل كنتم مجرمين) كافرين لا اختياركم وإشاركم الضلال على الهدى لا بقولنا ونسويلنا (وقال الذين

استضعفوا للذين استكبروا) لم يأت بالعاطف في قال الذين استكبروا وأتى به في وقال الذين استضعفوا لان الذين استضعفوا أمرا أولا كلامهم فجىء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول (بل مكر الليل والنهار) بل مكركم بنافي الليل والنهار فانس في ظرف باجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليهم ونهارهم ما كرم على الاسناد المجازي أي الليل والنهار مكر ابطول السلامة فيهما حتى ظننا انكم على الحق (اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أشباهها والمعنى ان المستكبرين لما أنكروا بقولهم نحن صدقناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كره عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضراهم باضراهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لتنادب الابل والنهار او جعلكم إيانا على الشرك وانحاذ الانداد (وأسرؤا الندامة) أضمرأوا وأظهرأوا وهو من الاضداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يتندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لمارأوا العذاب) انجم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فجاء بالصرح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال

(هل يجزون الاما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير) نبي (الا قال مترفوها) متنعموها ورؤساؤها (انا بما أرسلتم به كافرون) هذه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وافتخرنا بكثره الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا واولادا وما نحن بمعدين) أرادوا انهم أكثر على الله من ان يعذبهم نظرا الى أحوالهم في الدنيا وظنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهم ما وضيق عليهم فلا ينقص عليهم ما أمر الثواب بقوله (قل ان ربي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق تضيقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا (٥٢٥) اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زاني) أي وما

جاعة أموالكم ولا جاعة اولادكم بالتي وذلك ان الجمع المكسر علة لاؤه وغير علة لانه سواء في حكم التأنيث والزاني والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب على المصدر أي تقر بكم قربة كقوله أنبتكم من الارض نباتا (الامن آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كم في تقر بكم يعني ان الاموال لا تقرب أحد الا المؤمنين الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب أحد الا من علمهم الخير وفقهم في الدين ورشحهم للصالح والطاعة وعن ابن عباس الاممى لكن ومن شرط جوابه (فاولئك لهم جزاء الضعف) وهو من اضافة المصدر الى المفعول فاصله اولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف

أي في النار الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الاما كانوا يعملون) أي من الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿قوله عز وجل﴾ (وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها) أي رساؤها وأغنياؤها (انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا واولادا) يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا واولادا (وما نحن بمعدين) أي ان الله قد أحسن اليانا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة (قل ان ربي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني انه تعالى ييسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضيق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي انها كذلك (وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زاني) أي بالتي تقر بكم عندنا تقريبا (الا) أي لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانه وعلمه يقربه مني (فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي يضاعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرة الى سبعمئة (وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا) أي يعملون في ابطال حججنا (معجزين) أي معاندين يحسبون انهم يجزوننا ويفوتوننا (اولئك في العذاب محضرون) ﴿قوله عز وجل﴾ (قل ان ربي ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطى خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عند من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جيع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خاف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان يترلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تنقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطى ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدى هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه ﴿قوله تعالى﴾ (ويوم نحشرهم جميعا) يعني هؤلاء الكفار

ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة وأقرأ يعقوب جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء (بما عملوا) بأعمالهم (وهم في الغرفات) أي غرف منازل الجنة الغرفة حجرة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون في آياتنا) في ابطالها (معجزين) أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي ييسط الرزق (يوسع) لمن يشاء من عباده ويقدره وما أنفقتم ما شرطية في موضع النصب (من شيء) بيانه (فهو يخلفه) يعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بالمال أو آجلا بالثواب جواب الشرط (وهو خير الرازقين) المطعنين لان كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها يتنفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الجنة التي أوجدها في وجعني عن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي (ويوم نحشرهم جميعا)

ثم هولاء الكفرة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون) وبالياء فيها حرف ص ويعقوب هذا خطاب للملائكة وتقر يع للكفار واراد على المثل السار اياك اعني واسمى باجاره ه ونحوه قوله أنت قلت للناس اتخذوني الآية (قالوا) أي الملائكة (سبحانك) تنزيها لك أن يعبد معك غيرك (أنت ولينا) الموالاة خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالي والموالي جميعا والمعنى أنت الذي نواليه (من دونهم) اذ لا موالاة بيننا وبينهم فينبوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وصورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أكثرهم) أكثر الانس أو الكفار (بهم) بالجن (مؤمنون فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) لان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثوب وعقاب والنيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها يخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا يملك (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) (٥٢٦) في الدنيا (واذا نتلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات

(ثم نقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استفهام تقر يع وتقر ير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك ه وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) أي تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أي نحن نتولاك ولا تتولاهم فينبوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت اراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صوروا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) أي مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعاة (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد انهم عاجزون لانفع عندهم ولا ضرر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) واذا نتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا (الارجل) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم (يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن أو لامر النبوة كله (لما جاءهم) وعجزوا عن الانبان به (ان هذا) أي الحق (الاسحار مبين) بتوهم على انه سحر ثم بتوهم على انه بين ظاهر كل عاقل تام له سماء سحرا (وما آتيناكم من كتب يدرسونها) أي ما

(قالوا) أي المشركون (ما هذا) أي محمد (الارجل) يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (الافك مفترى) وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (للحق) للقرآن أو لامر النبوة كله (لما جاءهم) وعجزوا عن الانبان به (ان هذا) أي الحق (الاسحار مبين) بتوهم على انه سحر ثم بتوهم على انه بين ظاهر كل عاقل تام له سماء سحرا (وما آتيناكم من كتب يدرسونها) أي ما

أعطينا مشركي مكة كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذيرا أي بنذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم نوعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين من قبلهم) أي وكذب الذين تقدموهم من الامم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناكم) أي وما بلغ أهل مكة عشر ما أتى الاولون من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال والاولاد (فكذبوا رسلنا فكيف كان تكبير) لا يمكن بين الاولين فليحذروا من مثله وبالياء في الوصل والوقف يعقوب أي حين كذبوا رسلهم جاءهم انكارى بالتدبير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظرون فبال هؤلاه وانما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقداموا عليه جعل تكذيب الرسل مسبا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (قل انما أعظكم بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرهاب قوله (أن تقوموا) على انه عطف بيان لما قيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر وقيل هو في محل الرفع على تقدير وهي ان تقوموا والنصب على تقدير أعني وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن محضهم ههنا أو قيام القصد الى الشيء دون النهوض والالتصاف والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا (لله)

أى لوجه الله خالصا لوجهه ولا عصبية بل لطلب الحق (مثنى) اثنين اثنين (وفردى) فردا فردا (ثم تفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما لمحصل فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤدبهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفه ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفردى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الروية ويقل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف ويشور عجاج التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب وتتفكروا معطوف على تقوموا (ما صاحبكم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون والمعنى ثم تفكروا فتعلموا ما صاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قد امد عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي الساعة ثم بين انه لا يطلب أجر على الانذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على انذارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط تقديره أى شئ سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نبي مسئلة (٥٢٧) الاجر رأسا نحو ما لى هذا فهو لك أى ليس لى

فيه شئ (ان أجرى) مدنى وشامى وأبو بكر وحفص وبسكون الياء غيرهم (الا على الله وهو على كل شئ شهيد) فيعلم انى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه (قل ان ربي يقذف بالحق بالوحي والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار للمعنى الالتقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب ان اقذفه فى التابوت وهنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويرزقه (علام الغيوب) مرفوع على البذل من الضمير فى يقذف أو على انه خبر

أى لاجل الله (مثنى) أى اثنين اثنين (وفردى) أى واحد واحد (ثم تفكروا) أى تجتمعوا جميعا فتتفكروا وتتاوروا وتتفكروا فى حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن (ما صاحبكم من جنة) ومعنى الآية انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الاتصاف فى الامر والنهوض فيه باطمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما لمحصل فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر فى نفسه أيضا بعدل ونصفه هل رأيت فى هذا الرجل جنونا قط أوجر بنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمد صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل قد علمتم انه من أرجح قريش عقلا وأرزنهم حملا وأحدهم ذهنا وأرزنهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويعد حون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين انه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل ثم الكلام عند قوله ثم تفكروا أى فى السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتداء فقال ما صاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (فهو لكم) أى لم أسألكم شيئا (ان أجرى) أى ثوابى (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربي يقذف بالحق) أى يأتى بالوحي من السماء فيقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) أى خفيات الامور (قل جاء الحق) أى القرآن والاسلام (وما يبدى الباطل وما يعيد) أى ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية تبيد شيئا أو يعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس أحد ابتداء ولا يعينه اذامات وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فاعما أضل على نفسي) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فاعما أضل على نفسي أى اثم ضلالتى على نفسي (وان اهتديت فبما يوحى الى ربي) أى من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) قوله عز وجل (ولو ترى) أى يا محمد

مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدى الباطل وما يعيد) أى زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات الحى فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنهم بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد وقبل الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل اولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذ هلك أى لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحد ولا يعينه فالله شئ والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى (قل ان ضللت فاعما أضل على نفسي) ان ضللت فنى وعلى (وان اهتديت فبما يوحى الى ربي) أى فبتسديد به بالوحي الى وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فاعما أهتدى لما كقوله فنى اهتدى فلنفسه ومن ضل فاعما أضل عليها ولكن هما متقابلان معنى لان النفس كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها ما ينفعها فبهديتها بها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحتته مع جلاله محله وسداد طر يقته كان غيره أولى به (انه سميع) لما أقوله لكم (قريب) منى ومنكم مجازىنى وبجازىكم (ولو ترى) جوابه محذوف أى رأيت أمرا عظيما وحالا هائلة

(اذفرعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلا فوت) فلا مهرب أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه (وأخذوا) عطف على فزعوا أي فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى اذفرعوا فلم يفوتوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من مخرج بدر إلى القليب (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنابه) بمحمد عليه السلام لم يرد ذكره في قوله ما يصاحبكم من جنة أو بالله (وأي لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول أي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريدان التوبة كانت تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا أمثلت حالهم بحال من يريدان يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الآخر من قبس ذراع التناوش بالهمزة أبو عمرو وكوفي غير حفص همزت الواو لأن كل واحد مضمومة ضمتها لازمة أن شئت أبدلتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وإن شئت قلت ادور وتقاوم وعن ثعلب التناوش بالهمزة التناول من بعد و بغير همز التناول من قرب (وقد كفر وأبه من قبل) من قبل العذاب أو في الدنيا (ويقتفون بالغيب) معطوف على قد (٥٢٨) كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشئ الغائب

يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والثواب أو هو قوطم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر سحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعده شئ مما جاء به السحر والشعر وأبعده شئ من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب ويقتفون بالغيب عن أبي عمرو على البناء للمفعول أي تأنيهم به شياطينهم ويلقنونهم آياه وإن شئت فقلقه بقوله وقالوا

(اذفرعوا) أي عند البعث أي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أي لا يفوتون تناول نجاه لهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها وحينما كانوا فاتهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يحجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو حسرت بالبيداء ومعنى الآية ولوترى اذفرعوا رأيت أمر اعتبار به (وقالوا آمنابه) أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (وأي لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا فضيغوه وقال ابن عباس يسألون الرد إلى الدنيا فيقول وأنى لهم الرد إلى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة إلى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأحوال القيامة (ويقتفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لأن علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمد صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قوطم أنه شاعر سحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كافعل بشيايعهم) أي بنظراتهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والإيمان في وقت اليأس (إنهم كانوا في شك) أي من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) أي موقع في الريبة والتهمة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة﴾

﴿وهي مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والأرض) أي خالقها ومبتدعها على غير مثال سبق (جاعل

آمنابه على أنه مثلهم في طاعتهم تحصيل ما عطاوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنابه في الآخرة وذلك مطلب مستبعد الملائكة بمن يقتد شيا من مكان بعيد لا مجال للظن في حقوقه حيث يريدان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز أن يكون الضمير في آمنابه للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائلين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قد فهم بالغيب وهو غيب ومقدوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وحيل) بينهم وبين ما يشتهون (من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم بقوله أرجعنا فعمل صالحا والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لتحقيق وقوعه (كافعل بشيايعهم من قبل) باشيايعهم من الكفرة (إنهم كانوا في شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع في الريبة من أراه إذا أوقعه في الريبة هذا رد على من زعم أن الله لا يعذب على الشك والله أعلم ﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله) حمد ذاته تعاليا وتعظيما (فاتر السموات) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم إلى امرأين في بئر فقال أحدهما ما فطرتهما أي ابتدأتها (والأرض جاعل

الملائكة رسلا) الى عباده (أولى) ذوى اسم جمع له وهو بدل من رسلا أو نعت له (أجنحة) جمع جناح (مثنى وثلاث ورباع) صفات لأجنحة وأنما تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ آخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير الى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق) أى يزيد في خلق الأجنحة وغيره (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورته ونمائه في الاعضاء وقوة في البطش وخصافة في العقل وجزالة في الرأي وذلاقة في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (ان الله على كل شئ قدير) قادر (ما يفتح الله للناس من رحمة) نكرت الرحمة للإشاعة والابهام كأنه قال من أية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك (فلا تمسك لها) فلا أحذية تدرك على أمسا كما هو حبسها واستعير الفتح للإطلاق والارسال ألا ترى الى قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا مرسلا له) مطلق له (من بعده) من بعد أمسا كه وأنت الضمير الراجع الى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكره حلا على اللفظ (٥٢٩) المرجع اليه اذ لا تأنيث فيه لان الاول فسر

بالرحمة فمن اتبع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وعن معاذ مرفوعا لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم بهم فاجرهم وتعن قراؤهم أمراءهم على معصية الله فإذا فعلوا ذلك نزح الله يده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذي يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة ارساله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمة الله

الملائكة رسلا) أى الى الانبياء (أولى أجنحة) أى ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أى بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أى يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء قال عبد الله بن مسعود في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق ونمائه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شئ قدير) أى بما يريد أن يخلق الله (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير ورزق (فلا تمسك لها) أى لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسلا له من بعده) أى لا يقدر أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أى قيا أمسك (الحكيم) أى فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت أى لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لانهم منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) أى لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ (يرزقكم من السماء) يعنى المطر (والارض) أى النبات (لا اله الا هو فاني توفكون) أى من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيده الله وانكار البعث وأتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) أى فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه قوله تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعنى وعد القيامة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أى لا تخدعنكم بلداتهما وما فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله

(٦٧ - (خازن) ثالث)

وارسال الرسل لبيان السبل دعوة اليه وزلفة لديه والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد النعم بقوله (هل من خالق غير الله) برفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على وجزء على الوصف لفظا (يرزقكم) يجوز ان يكون مستأنفا ويجوز ان يكون صفة خالق (من السماء) بالمطر (والارض) بأنواع النبات (لا اله الا هو) جملة مفصلة لا محل لها (فاني توفكون) فبأى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) نبه على قرين سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء قبلا اسوة ولهذا نكر رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل اعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وتقدير الكلام وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لان الجزاء يتعقب الشرط ولو أجرى على الظاهر يكون سابقا عليه ووضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب بالتكذيب عن التأسى (والى الله ترجع الامور) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقه فانه ترجع بفتح التاء شامى وجزء وعلى ويعقوب وخلف وسهل (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) كان (فلا تغرنكم الحياة الدنيا)

فلا تخدعكم الدنيا ولا يذهلكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للأخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي الشيطان فإنه يمسككم الأمانى الكاذبة ويقول إن الله غنى عن عبادك وعن تكذيبك (إن الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بآيكم ما فعل وأتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجد منكم إلا ما يدل على معاداته في سرهم وجهرهم ثم خص سرهم وخطأ من أتبعه بأن غرضه الذي يؤم في دعوة شيعته هو أن يوردهم مودا هلاك بقوله (انما يدعوا خوفاً به ليكونوا من أصحاب السعير) ثم كشف الغطاء فبنى الأمر كله على الإيمان وتركه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أي من أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من خوفاً به أي أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من خوفاً به بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم ولما ذكر القرآن يقين قال لنبيه عليه السلام (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) بتزيين الشياطين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وذ كر الزجاج إن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهب نفسك عليه حسرة خذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله خذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي (٥٣٠) من يشاء عليه فلا تذهب نفسك ير يدأى لانهلكها حسرات مفعول لله يعني فلا تهلك

نفسك للحسرات وعليهم صلاة تذهب كما تقول هلاك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته (إن الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح) الريح مكي وحسرة وعلى (فتشرب سحابا فسقناه إلى بلد ميث) بالتشديد مدنى وحسرة وعلى وحفص وبالتخفيف غيرهم (فأحيينا به) بالمطر لتقدم ذكره ضمنا (الأرض بعد موتها) يسها وانما قيل فتشرب لتحكى الحال التي

(ولا يغرنكم بالله الغرور) أي لا يقل لكم أعمالوا ما شئتم فإن الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال الله تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (انما يدعوا خوفاً به) أي أشياعه وأوليائه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) قوله عز وجل (أفمن زين لهم سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبار من الذنوب منهم لأنهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم إياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله (فرآه حسناً) وفي الآية حذف مجازة أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقاً كمن هداه الله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ٧ وقيل مجاز الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تنغم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا (إن الله عليم بما يصنعون) فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح فتشرب سحابا) أي تزججه من مكانه وقيل تجمعهم ونحى به (فسقناه) أي فسوقه (إلى بلد ميث) فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) أي مثل أحياء الموات نشور الأموات وروى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتي وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به ثم خضر أقات نعم قال كذلك يحيى الله الموتي وتلك آيته في خلقه ﴿ قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتز ر بطاعة الله

تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية وهو بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وأحياء الأرض بالمطر بعد موتها ما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا مع ولا يها عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكاف في محل الرفع أي مثل أحياء الموات نشور الأموات قيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أي العزة كلها مختصة بالله عز وجل الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافر ون يتعززون بالانصاف كما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاء والذين آمنوا بالسنتهم من غير موافاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافر بن أولياء من دون المؤمنين أيتفنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فيبين أن لا عزة إلا لله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضعه استغناء عنه به لدلالة عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه في الحديث إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف أن ما يطلب به العزة هو بقوله وقيل مجاز الآية الخ يعلم بما ذكره الامام النسفي عن الزجاج أنه غير ظاهر فليتاأمل اه

الايان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكمال الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومعنى قوله اليه الى محل القبول والرضا وكل ما انصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود والى حيث لا ينفذ فيه الاحكامه والكامل الطيب كمال التوحيد أى لا اله الا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحد الا التايد كز ويؤث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعنى والعمل الصالح يرفعه الكمال الطيب فالرافع الكمال والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العامل أى العمل الصالح يرفعه الله وفيه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع والكامل الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه أى من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فإنه هو الذى يرفع العبد (والذين يكر ون السيات) هي صفة لصدور محذوف أى المكرات السيات (٥٣١) لان مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر قر يش به

عليه السلام حين اجتمعوا في دار الندوة كما قال الله تعالى واذا يكر بك الذين كفر واليبتوك الآية (لم عذاب شديد) في الآخرة (ومكر أولئك) مبتدا (هو) فصل (يبور) خبر أى ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور أى يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين أخرجه من مكة وقتلهم وأنتهم في قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحق المكر السيء الا بأهله (والله خلقكم) أى أباكم (من تراب ثم) أنشأكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) أصافا وذكرا وانا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) هو في موضع الحال أى الامعونه له (وما يعمر من معمر) أى

وهو دعاء الى طاعة من له العزة أى فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعز زبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولا وليا له المؤمنين (اليه) أى الى الله (يصعد الكمال الطيب) قيل هو قول لا اله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر روى البغوي باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفر والقائلهن حتى يحجى بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكمال الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفي اسناده الحاج بن نصير ضعيف وقيل الكمال الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد أى يقبل الله الكمال الطيب (والعمل الصالح يرفعه) قال ابن عباس أى يرفع العمل الصالح الكمال الطيب وقيل الكمال الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء القرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتنى وليس بالتعلى ولكن ما وفر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكمال الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قولا لا يعمل ولا قولا ولا عملا الا بنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة الى العمل الصالح أى الكمال الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا أن يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال (والذين يكر ون السيات) أى يعملون السيئات أى الشرك وقيل يعنى الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء (لم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) أى يبطل وبهلك في الآخرة قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) يعنى آدم (ثم من نطفة) يعنى ذريته (ثم جعلكم أزواجا) يعنى أصنافا ذكرانا وانا واثنا وقيل زوج بعضكم بعضا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) أى لا يطول عمرا أحد (ولا ينقص من عمره) أى عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يوما ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز أن يزداد ذلك وقرأ هذه الآية (الافى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أى كتابة الآجال والاعمال على الله هي قوله

وما يعمر من أحد وانما سباهم عمرا بما هو صائر اليه (ولا ينقص من عمره الا في كتاب) يعنى اللوح أو صحيفه الانسان ولا ينقص زيد فان قلت الانسان اما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعبير وخلافه فحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتساع فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين وانكالا على تسديد هم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق أو تاويل الآية انه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يوما حتى ياتي على آخره فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من يبلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (ان ذلك) أى احصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله يسير) سهل

(وما يستوى البحران هذا) أى أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة وقيل هو الذى يكسر العطش (سائح شرابه) مرمى وسهل الانحدار لعذوبته وبه يرتفع شرابه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذى يحرق بالوحته (ومن كل) (ومن كل واحد منهما) (تأكلون لحاظريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) وهى اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق الماء بجريها يقال محرت السفينة الماء أى شقته وهى جمع ماخرة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله ولم يجزله ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجز لم يشكل لدلالة المعنى عليه (واعلمكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله ضرب البحر بن العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحر بن وما علق بهما من نعمه وعطائه وبحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنتين بالبحر بن ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشفق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله (يوجل الليل فى النهار ويوجل النهار فى الليل) يدخل من ساعات أحدهما فى الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وسخر الشمس والقمر) أى ذال أنواء صورته لاستواء سيره (كل يجرى لاجل مسمى) أى يوم القيامة ينقطع جريهما (ذلكم) مبتدأ (الله بكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله بكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام التى (٥٣٢) تعبدونها من دون الله يدعون قنينة (ما يملكون من قطمير) هى القشرة

الرقية الملتفة على النواة (ان تدعوهم) أى الاصنام (لا يسمعون دعاءكم) لانهم جاد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (ما استجابوا لكم) لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الاطية ويتبرؤن منها (و يوم القيامة يكفرون بشرككم) باسرا ككم لهم وعبادتهم اياهم و يقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا يفتك مثل خير) ولا يفتك اياها المفتون باسباب الغرور كما يفتك الله الخبير بخبايا الامور وتحقيقه ولا يخبرك

تعالى (وما يستوى البحران) يعنى العذب والملح ثم وصفهما فقال (هذا عذب فرات) أى طيب بكسر العطش (سائح شرابه) أى سهل فى الخلق حتى مرمى (وهذا ملح أجاج) أى شديد الملوحة يحرق الخلق بملوحته وقيل هو المر (ومن كل) يعنى من البحر بن (تأكلون لحاظريا) يعنى السمك (وتستخرجون) أى من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون فى البحر الملح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه مواخر) أى جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) أى بالتجارة (واعلمكم تشكرون) أى تشكرون الله على نعمه (يوجل الليل فى النهار ويوجل النهار فى الليل) وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله بكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (ان تدعوهم) يعنى الاصنام (لا يسمعون دعاءكم) يعنى انهم جاد (ولو سمعوا) أى على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم وقيل ما تقفونكم (و يوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها (ولا يفتك مثل خير) يعنى نفسه أى لا يفتك أحد مثلى لاني عالم بالاشياء قوله تعالى (يا أيها الناس أتمموا الفقر الى الله) أى الى فضله واحسانه والفقر المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغنى) عن خلقه لا يحتاج اليهم (الحيد) أى المحمود فى احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أى لا تخاذكم أنداد او كفركم بآياته (ويأت بخلق جديد) أى يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا (وما ذلك على الله

بالامر مخبر هو مثل خير عالم به يريد أن الخبير بالامر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذى أخبركم به من حال الأوتان هو الحق لاني خير مما أخبرت به (يا أيها الناس أتمموا الفقر الى الله) قال ذو النون الخلق محتاجون اليه فى كل نفس وخطرة لحظة وكيف لا وجودهم به وبقاؤهم به (والله هو الغنى) عن الاشياء أجمع (الحيد) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغنى الذى هو مطعم الاغنياء وذكر الحيد ليدل به على أنه الغنى النافع بغناء خلقه والجواد المنعم عليهم اذ ليس كل غنى نافعا بغناء الا اذا كان الغنى جوادا منعموا واذ اجادوا نعم حده المنعم عليهم قال سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أو صله فقره اليه فينبغي للعبد أن يكون مفتقرا بالسر اليه ومنقطعا عن الغير اليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هى الذل والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد وقال الواسطى من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غنيا بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى وقال يحيى الفقر خير للعبد من الغنى لان المدلة فى الفقر والكبر فى الغنى والرجوع الى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع اليه بتكثير الاعمال وقيل صفة الاولياء ثلاثة الثقة بالله فى كل شئ والفقر اليه فى كل شئ والرجوع اليه من كل شئ وقال السبلى الفقير يجرب البلاء وبلاؤه كله عز (ان يشأ يذهبكم) كلكم الى العدم فان غناه بذاته لا يكمى القدم (ويأت بخلق جديد) وهو بدون حكم جيد (وما ذلك) الانشاء والافناء (على الله

بعزيز) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يهبد له لا يشرك به شياً (ولا تزور وزارة وزيراً أخرى ولا تحمل نفس آئمة أئمة نفس أخرى والنور والوقر اخوان ووزر الشئ اذا حله والوزارة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تؤاخذ جارية الدنيا الولي بالولي والجار بالجار وانما قيل وزارة ولم يقل ولا تزور نفس وزراً أخرى لان المعنى ان النفوس الوزرات لا ترى منهن واحدة الاحملة وزرها الا وزر غيرها وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالهم مع أثقالهم واراد في الضالين المضلين فانهم يحملون أثقال ضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شئ من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بمحاملين من خطاياهم من شئ (وان تدع مثقلة) أي نفس مثقلة بالذنوب احدا (الى حلها) ثقلها أي زنوبها لتحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شئ ولو كان) أي المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع (ذاقربي) ذا قرابه قريبة كاب أو ولد أو أخ والفرق بين معنى قوله ولا تزور وزارة وزيراً أخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حلها لا يحمل منه شئ ان الاول دال على عدل الله في حكمه وان لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في بيان أنه لا غيات يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار لودعت الى أن يخفف بعض وقرها لم نجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أي انما يتنفع بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من

(٥٣٣)

المدعو بعض قرابتها (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أي انما

الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم وقيل بالغيب في السر حيث لا اطلاع للغير عليه (وأقاموا الصلاة) في مواقينها (ومن تركي) يظهر بفعل الطاعات وترك المعاصي (فانما ينزكي نفسه) وهو اعتراض مؤكد تخفيفهم واقامتهم الصلاة لانهم امن بجللة التزكي (والى الله المصير) المرجع وهو وعد للتزكي بالثواب (وما يستوى الا العمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن أو

بعزيز) أي بممتنع (ولا تزور وزارة وزيراً أخرى) أي ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ بذنب غير هان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالهم مع أثقالهم قلت هذه الآية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حلها) معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حل ذنوب غيرها (لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربي) أي ولو كان المدعو ذا قرابة كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يعلق الاب والام بالابن فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ما على (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أي يخافون ربهم (بالغيب) أي لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم (بالغيب) (وأقاموا الصلاة ومن تركي) أي أصلح وعمل خيراً (فانما ينزكي نفسه) أي لها ثوابه (الى الله المصير وما يستوى الا العمى والبصير) أي الجاهل والعالم وقيل الا العمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعني الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (وما يستوى الا حياء ولا اموات) يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعني حتى يتعظ ويحيب (وما أنت بمسمع من في القبور) يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) أي ما أنت الا منذر تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) أي بشيراً بالثواب لمن آمن ونذيراً بالعقاب لمن كفر (وان من أمة) أي من جماعة كثيرة فيما مضى (الا خلا) أي سلف (فيها نذير) أي نبى منذر فان قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم يخل من نذير

للجاهل والعالم (ولا الظلمات) مثل للكفر (ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور) الحق الباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحارة كالسموم الا أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن القراء (وما يستوى الا حياء ولا اموات مثل) للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لالتأكيد معنى النفي والفرق بين هذه الواوأت أن بعضها ضمت شفعاً الى شفع وبعضها ورا الى وتر (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) يعني أنه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته وما أنت تخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا يتفقون بسموعهم (ان أنت الا نذير) أي ما عليك الا أن تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار رفع وان كان من المصرين فلا عليك (انا أرسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعني محققاً ومحققين أو صفة للمصدر أي ارسالاً مصحوباً بالحق (بشيراً) بالوعد (ونذيراً) بالوعيد (وان من أمة) وما من أمة قبل أمك والامة الجماعة الكثيرة وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة والمراد هنا اهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم يخل تلك الامم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الا خلا) مضى (فيها نذير) بخوفهم وخامة الطغيان وسوء عقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير في آخر الآية بعد ما ذكرهم لان النذارة مشفوعة بالبشارة فعمل ذكر النذارة على ذكر البشارة

(وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسالهم (جاءتهم رسالهم) حال وقد مضى (بالبينات) بالمعجزات (وبالزبر) وبالصحف (والكتاب المنير) أى التوراة والإنجيل والزبور ولما كانت هذه الأشياء فى جنسهم أسند المجىء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبور والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت) عاقبت (الذين كفروا) بأنواع العقوبة (فكيف كان نكير) انكارى عليهم وتعذيبى لهم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنابه) بالماء (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر وأهيا نهما من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها (ومن الجبال جدد) طرق مختلفة اللون جمع جدة كدة ومدة (بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود) جمع غريب وهو تاء كيد للاسود يقال أسود غريب وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه (٥٣٤) ومنه الغراب وكان من حق التأ كيد ان يبيع المؤكد كقولك أصفر فاقع الآته

الآن تدرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم وآثاره باقية الى يوم القيامة لانه لا نبى بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالهم بالبينات) أى بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أى الصحف (وبالكتاب المنير) أى الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والإنجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبور تأكيذا (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء (يعنى المطر) فاخرجنابه ثمرات مختلفا ألوانها (يعنى أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها) قيل يعنى ألوانها فى الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وحمر) يعنى الخطط والطرق فى الجبال (مختلف ألوانها) يعنى منها ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرايب سود) أى شديدة السواد كما يقال أسود غريب تشبها بلون الغراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أى خلق مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقيل عظموه وقدره واقدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتزده عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتزهون عن الشئ أصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله وأشد هم له خشية قولا فرخص فيه أى لم يشدد فيه قولا فتزده عنه أقوام أى تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لم يخش الخنن بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانشاق الصوت من الالف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا وقال رجل للشعبى أفتنى أيها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عزيز) أى فى ملكه (غفور) أى لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المتب المعاقب واذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلوة) أى ويقومون الصلاة فى أوقاتها (وأنفقوا

أضمر المؤكد قبله والذى بعده تفسير للمضمر وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله ومن الجبال جدد أى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعند آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك (انما

يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علما به أقل كان آمن وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون أحدا الا الله وبينهما تغاير فى الاول بيان ان الخاشعين هم العلماء وفى الثانى بيان ان الخشى منه هو الله تعالى وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم انما يخشى الله من عباده العلماء والخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظم الله من عباده العلماء (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المتب حقه ان يخشى (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا

عمارزقناهم سراوعلانية) أى مسرين النفل ومعلنين الفرض يعنى لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (برجون) خبران (تجارة) هى طلب الثواب بالطاعة (لن تبور) لن تكسديعنى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله (ليوفهم) متعلق بلن تبور أى ليوفهم بنفاقها عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن اليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه أو يرجون في موضع الحال أى راجين واللام في ليوفهم تتعلق بدتلون وما بعده أى فعملوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والاتفاق لهذا الغرض وخبران (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) أى غفور لهم شكور لا عمالهم أى يعطى الجزيل على العمل القليل (والذى أوحينا اليك من الكتاب) أى القرآن ومن للتبيين (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (ان الله بعباده خير بصير) فعلمك وأبصر أحوالك وراك أهلالا ن يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عبارة على سائر الكتاب (ثم أورثنا الكتاب) أى أوحينا اليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أى حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة (٥٣٥) الالتقاء الى أفضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال

(فهم ظالم لنفسه) وهو المرجأ لامر الله (ومنهم مقتصد) هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا (ومنهم سابق بالخيرات) وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين والآية وقال بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده وآخرون مرجون لامر الله الآية والحديث فقد روى عن عمر رضى الله عنه انه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له

عمارزقناهم) أى فى سبيل الله (سراوعلانية برجون تجارة لن تبور) أى لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب (ليوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس سوى الثواب يعنى عمالهم ولم تسمع أذن (انه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذى أوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى من الكتب (ان الله بعباده خير بصير) قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) أى أوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعنى حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه بمعنى نورته (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامة بان جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوى بغير سند وعن أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم فى الجنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحذروا انه قد ثبت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوى بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غر بتي وآنس وحشتي وسقى الى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

مغفور له وعنه عليه السلام السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد بحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيعجز حتى يظن انه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه أبو الدرداء والاثرفن ابن عباس رضى الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبار والمقتصد صاحب الصغار والسابق المجتنب لهم وقال الحسن البصرى الظالم من رجحت سياسته والسابق من رجحت حسنة والمقتصد من استوت حسنة وسياسته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال فخيرهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الايمان وعليه الجمهور وانما قدم الظالم للايدان بكثرتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لثلاث يأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل ان أول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذى اشتغل بمعاده والمقتصد الذى اشتغل بمعاشه ومعهاده والظالم الذى اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذى يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعبد على الرغبة والرغبة والسابق الذى يعبد على الهبة والاستحقاق وقيل

الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما والمقتصد من يجتهد أن لا يأخذها الا من حلال والسابق من أعرض عنها جلة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (٥٣٦) (بإذن الله) بامرء أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أى إبراهيم الكتاب (هو الفضل

الكبير جنات عدن) خبر
ثان لذلك أو خبر مبتدأ
محذوف أو مبتدأ والخبر
(يدخلونها) أى الفرق
الثلاثة يدخلونها أبو عمرو
(يحلون فيها من أساور)
جمع أسورة جمع سوار (من
ذهب ولؤلؤا) أى من ذهب
مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا
بالنصب والهمزة نافع
وحقق عطف على محل من
أساور أى يحلون أساور
لؤلؤا (ولباسهم فيها حرير)
لما فيه من اللذة والزينة
(وقالوا الحمد لله الذى
أذهب عنا الحزن) خوف
النار أو خوف الموت أو
هموم الدنيا (ان ربنا
لغفور) يغفر الجنايات
وان كثرت (شكور)
يقبل الطاعات وان قلت
(الذى أحلنا دار المقامة)
أى الإقامة لا نبرح منها ولا
نفارقها يقال أقت إقامة
ومقاما ومقامة (من
فضله) من عطائه وفضاله
لا باستحقاقنا (لا يمسنا فيها
نصب) نصب ومشقة (ولا
يمسنا فيها القوب) أعياء
من التعب وفترة وقرأ أبو
عبد الرحمن السلمي لغوب
بفتح اللام وهو شئ

قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه
فيحسب في المقام حتى يدخله الهضم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا الآية فقالت يابنى كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم
لنفسه فقل ومنلكم جعلت نفسها معناه وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر
نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب
المشامة والمقتصد أصحاب الميمة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت
حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت سيئاته وحسناته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل
الظالم من كان ظاهره مخيرا من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خيرا من
ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعامل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارى له العالم به العامل
بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكباثر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة
وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال
جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا به لا يتقرب اليه الا بكفره وان الظلم لا يؤثر فى الاصطفاء ثم تثنى
بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لثلايا من أحد مكره وكلهم في الجنة وقيل
رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قرينة فاذا عصي
الرجل دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى جلة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته وبجاهدته
دخل فى عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين
والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أى بالاعمال الصالحة الى الجنة أو الى
رحمة الله (بإذن الله) أى بامر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى إبراهيم الكتاب
واصطفاهم ثم أخبر بشواهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعنى الاصناف الثلاثة
(يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا
الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات
وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقلب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم
القيامة وهموم الحصر والمعيشة فى الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد روى البغوى
بسند عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى
نشورهم وكأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (ان
ربنا لغفور شكور) يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذى أحلنا) أى أنزلنا (دار
المقامة) أى الإقامة (من فضله) أى لا بأعمالنا (لا يمسنا فيها نصب) أى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يمسنا
فيها القوب) أى أعياء من التعب وقوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا) أى
فيستر بحوائجهم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أى من عذاب النار (كذلك نجزي كل كفور وهم

يلقب منه أى لا تكلف عملا يلعبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا) جواب النفي ونصبه بصرخون
باضمار أن أى لا يقضى عليهم موت ثان فيستر بحوائجهم (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب نار جهنم (كذلك) مثل ذلك الجزاء (ينجزى كل
كفور) ينجزى كل كفور أبو عمرو (وهم

يصرخون فيها) يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة واستعمل في الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا من النار الذي كنا نعمل) أي أخرجنا من النار ردنا إلى الدنيا من بدل الكفر ونطمع بعد العصية فجاءوا بعد قدر عمر الدنيا (أولم نعمركم ما يتد كرفيه من تذ كر) يجوز أن يكون ما نكرة موصوفة أي نعمر ما يتد كرفيه من تذ كر فيه من تذ كر وهو متناول لكل عمر تمكن منه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التو بيخ في المتناول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أربعون وقيل ستون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو المشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه اخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (قد وقوا) العذاب (فالظالمين من نصير) ناصر يعينهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما عنكم (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي ثابتة في نحر قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية أي ما في

(٥٣٧)

عنه ذو بطن خارجة جارية أي ما في

بطنها من الحبل لان الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع للمعنى الصلبة (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) يقال للامستخلف خلفية ويجمع على خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها التشكروه بالتوحيد والطاعة (فن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية (فعليه كفره) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال (ولا يزيد الكافر بن كفرهم عند ربهم الامقتا) وهو أشد البغض (ولا يزيد

يصرخون فيها) يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أي من النار (نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي في الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى تو بيخا لهم (أولم نعمركم ما يتد كرفيه من تذ كر) قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة وروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله إلى كل امرئ آخر أجله حتى يبلغ ستين سنة وعنه بإسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمر أمتي ما بين الستين إلى السبعين (وجاءكم النذير) يعني محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتهم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لا ختها استعدادي فقد قرب الموت (قد وقوا) أي يقال لهم ذوقوا العذاب (فالظالمين من نصير) أي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) يعني انه اذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) أي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورأت ما ينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء في أرضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها التشكروه بالتوحيد والطاعة (فن كفر) أي جحد هذه النعمة وغمطها (فعليه كفره) أي وبال كفره (ولا يزيد الكافر بن كفرهم عند ربهم الامقتا) أي غضبا وقيل المقت أشد البغض (ولا يزيد الكافر بن كفرهم الا خسارا) أي في الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام جعلتموها شركاء بزعيمكم (أروني ماذا خلقوا من الارض) يعني أي جزء استبدوا بخلقها من الارض (أم لهم شرك في السموات) أي خلق في السموات والارض (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي على حجة وبرهان من ذلك (بل إن يعد الظالمون بعضهم) يعني الرؤساء (بعضا الاغروا) يعني قو لهم هؤلاء الاصنام شفعاء عند الله (قوله عز وجل) (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أي لكي لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكاتتا جديرتين بان تزولا وتهدأ هذا لعظم كلمة الشرك (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أي ليس بمسكهما أحد سواه (انه كان حليما غفورا) أي

(٦٨ - (خازن) - ثالث)

الكافر بن كفرهم الا خسارا) هلاكا وخسارا (قل أرأيتم شركاءكم)

ألهتم التي أشركتموها في العبادة (الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) أروني بدل من رأيتم لان معنى رأيتم أخبروني كأنه قيل أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمما استحقوا به الشراكة أروني أي جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقها دون الله (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركة في خالق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاء فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب ينبت على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بل ان يعد) ما يعد (الظالمون بعضهم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضا) أي لا تباع (الاغروا) هو قو لهم هؤلاء شفعاء عند الله (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) بمنعهما من أن تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (ان أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) أي بعد امساكهم من الاولى من يده لتأ كيد النقي والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسهما وكاتتا جديرتين بان تهدأ هذا العظم

كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي أقسموا بليغ أو على الحال أي جاهدوا في إيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) بلغ قر يشاقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أنار رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم أي من الأمة التي يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما قال للذهبية العظيمة هي إحدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازادهم الانقورا) أي مازادهم محي الرسل صلى الله عليه وسلم الانبعاث عن الحق وهو اسناد مجازي (استكباراً في الأرض) (٥٣٨) مفعول له وكذا (ومكر السيئ) والمعنى ومازادهم الانقور الاستكبار ومكر السيئ

غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهم ما كاتفاقد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لوجاء نذير لنكونن أهدى ديناً منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) أي رسول (ليكونن أهدى من إحدى الأمم) يعني اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (مازادهم) مجيئه (الانقورا) أي تباعدوا عن الهدى (استكباراً في الأرض) يعني عتوا وتكبروا عن الإيمان به (ومكر السيئ) يعني عمل الفبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) أي لا يحل ولا يحيط إلا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل إلا لمن أشرك (فهل ينظرون) أي ينتظرون (الأسنت الأولين) يعني أن ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجدلنت الله تبديلاً) أي تغييراً (ولن تجدلنت الله تحويلاً) أي تحويل العذاب عنهم إلى غيرهم (أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه أنهم يعتبرون بمن مضى وباركهم وعلامات هلاكهم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليحجزه) أي ليفوت عنه (من شئ في السموات ولا في الأرض) أنه كان علماً قديراً ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهرها) أي ظهر الأرض (من دابة) أي من نسمة تدب عليها ير يدني آدم وغيرهم كما هلك من كان في زمن نوح بالطوفان الأمن كان في السفينة (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ير يد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيراً بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

أحوال يعني مستكبرين وما كرين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السيئ وأن مكر السيئ أي المكر السيئ ثم ومكر السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله (ولا يحيق) يحيط وينزل (المكر السيئ إلا بأهله) وأقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لآخيه جبا وقع فيه مكبا (فهل ينظرون الأسنت الأولين) وهو أنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الآن ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبى الرسل جعل استقباهم لذلك انتظاراً له منهم (فلن تجدلنت الله تبديلاً ولن تجدلنت الله تحويلاً) بين أن سنته التي هي الانتقام من مكذبى

ثم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة يس عليه الصلاة والسلام

الرسل سنة لا بد لها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وان ذلك مفعول لا محالة (أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) اقتداراً فلم يتمكنوا من الفرار (وما كان الله ليحجزه) ليسبقه ويفوته (من شئ) أي شئ (في السموات ولا في الأرض) أنه كان علماً بهم (قدراً) قادراً عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من المعاصي (ما ترك على ظهرها) على ظهر الأرض لأنه جرى ذكر الأرض في قوله ليحجزه من شئ في السموات ولا في الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) إلى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) أي لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب

صفحة	صفحة
١٥٨ فصل في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به	٢ (تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)
١٦٠ فصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسيأتي في أحاديث تتعلق بالأسراء	٧ ذكر قصة ذهاب أخوة يوسف بيوسف عليه الصلاة والسلام
١٦٢ ذكر القصة في هذه الآيات (أي الآيات التي أولها وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب)	٥١ (تفسير سورة الرعد)
١٧١ فصل في الأحاديث التي وردت في بر الوالدین	٥٩ فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة (أي قوله تعالى والله يسجد من في السموات والارض الآية)
١٨٦ فصل في الأحاديث الواردة في قيام الليل	٧٣ (تفسير سورة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)
١٩٦ (تفسير سورة الكهف)	٩٣ (تفسير سورة الحجر)
١٩٨ ذكر قصة أصحاب الكهف بسبب خروجهم إليه	٩٧ فصل اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين
٢٢٨ (تفسير سورة مريم عليها السلام)	١١٢ (تفسير سورة النحل)
٢٣٩ فصل وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن (أي قوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)	١١٤ فصل احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل أي آية (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)
٢٤٨ (تفسير سورة طه)	١٢٦ فصل وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن أي قوله تعالى (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض الآية)
٢٦٦ الكلام على معنى الحديث وشرحه (أي حديث احتج آدم وموسى الخ)	١٤٥ فصل في حكم الآية أي قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)
(فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك)	١٥٢ فصل اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أي قوله تعالى (وان عاقبتكم فعاقبوا الآية)
(تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام)	١٥٣ (تفسير سورة الاسراء)
٢٨٢ ذكر القصة في ذلك (أي قوله تعالى قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم الآية)	١٥٤ فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه
٢٨٦ ذكر قصة أيوب عليه السلام	١٥٨ فصل قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا لاحديث شريك بن أبي نمر عن أنس
٢٩٨ (تفسير سورة الحج)	
٣٠٣ فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن (أي قوله تعالى ألم نر أن الله يسجد له الآية)	
٣١٨ فصل في حكم سجود التلاوة هنا (أي في قوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا الآية)	
٣١٩ (تفسير سورة المؤمنين)	
٣٣٣ (تفسير سورة النور)	
٣٥٤ فصل في بيان التمثيل المذكور في قوله الله نور السموات والارض الآية	

صفحة	صفحة
٤٦٨ (تفسير سورة لقمان)	٣٦٥ (تفسير سورة الفرقان)
٤٧٥ (تفسير سورة السجدة)	٣٧٨ فصل وهذه السجدة من عزائم السجرات
٤٧٧ (فصل في فضل قيام الليل والحث عليه)	أى قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
٤٨٠ (تفسير سورة الاحزاب)	(الآية)
٤٨٤ ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب	٣٨١ (تفسير سورة الشعراء)
٤٩٣ ذكر غزوة بني قريظة	٤٠٠ فصل في مدح النمر
٤٩٨ فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى يا أيها النبي	(تفسير سورة النمل)
قل لا زواج لك ان كنتن تردن الحياة الدنيا	٤٠٨ فصل وهذه السجدة من عزائم السجود (أى
(الآية)	قوله تعالى ألا يسجدوا لله الآية)
٥٠١ فصل فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الآية	٤٢٣ تفسير سورة القصص
(أى قوله تعالى واذا تقول للذى أنعم الله عليه	٤٢٤ ذكر القصة في ذلك (أى قوله تعالى وأوحينا
الح)	الى أم موسى الح)
٥١٠ فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه	٤٤٢ ذكر قصة فارون
وسلم وفضلها	٤٤٤ (تفسير سورة العنكبوت)
٥١٥ فصل في الامانة	٤٥٧ (تفسير سورة الروم)
(تفسير سورة سبأ)	٤٦٠ فصل في فضل التسبيح
٥٢٨ (تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة)	